



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه
صباح
الرمضان

WWW. **Ghaemiyeh** .com
WWW. **Ghaemiyeh** .org
WWW. **Ghaemiyeh** .net
WWW. **Ghaemiyeh** .ir

من مخطوطات
مكتبة المرحوم أبي العباس

(١-٢)

فِي الْقُرْآنِ

كتاب

الطه المحدث المنظر الأول

لفظ الدين أبي الحسين

سَيِّدُ بَيْتِ نَبِيِّ اللَّهِ الْبَرُّوْدِيِّ

الطبعة سنة ١٢٣٣ هـ

(الجزء الأول)

باعتناء
السيد محمود المرعشي

تأليف
السيد أحمد الحسيني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فقه القرآن

كاتب:

قطب الدين سعيد بن هبة الله راوندى

نشرت فى الطباعة:

كتابخانه آيت الله مرعشى نجفى

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٤٠	فقه القرآن المجلد ١ الى ٢
٤٠	اشارة
٤٠	فقه القرآن جلد ١
٤٠	الجزء الأول
٤٠	اشاره
٤٠	كتاب الطهارة
٤٠	اشاره
٤١	فصل
٤١	باب وجوب الطهارة وكيفيةها و ما به تكون و ماينقضها
٤٢	باب الوضوء
٤٢	اشاره
٤٣	فصل
٤٣	فصل
٤٣	فصل
٤٤	فصل
٤٥	فصل
٤٥	فصل
٤٦	فصل
٤٧	فصل
٤٧	فصل
٤٨	فصل
٤٨	فصل
٤٨	فصل

٤٩ فصل

٤٩ فصل

٥٠ فصل

٥٠ فصل

٥٠ فصل

٥٠ باب الغسل

٥٠ اشاره

٥١ فصل

٥١ فصل

٥٢ باب التيمم

٥٢ اشاره

٥٣ فصل

٥٣ فصل

٥٤ فصل

٥٤ فصل

٥٥ فصل

٥٥ فصل

٥٥ فصل

٥٦ باب أحكام الطهارة من الآية الثانية التي هي من أمهات الطهارة أيضا

٥٦ اشاره

٥٦ فصل

٥٧ فصل

٥٧ فصل

٥٨ فصل

٥٨ فصل

٥٨ باب الحيض والاستحاضة والنفاس

٥٩ اشارة

٥٩ فصل

٥٩ فصل

٦٠ فصل

٦١ فصل

٦٢ فصل

٦٢ باب أحكام المياه

٦٢ اشارة

٦٢ فصل

٦٣ فصل

٦٣ فصل

٦٣ فصل

٦٤ فصل

٦٤ فصل

٦٥ فصل

٦٥ فصل فيما ينقض الطهارتين

٦٦ باب توابع الطهارة

٦٦ اشارة

٦٦ فصل

٦٦ فصل

٦٧ فصل

٦٧ فصل

٦٧ باب الزيادات في الخبر

٦٨ اشارة

٦٨ مسألة

٦٨ مسألة

٦٨ مسألة

٦٨ مسألة

٦٩ مسألة

٦٩ مسألة

٦٩ مسألة

٧٠ مسألة

٧٠ مسألة

٧٠ مسألة

٧٠ مسألة

٧٠ كتاب الصلاة -

٧٠ اشاره

٧١ فصل

٧١ فصل

٧١ باب ذكر المواقيت

٧١ اشاره

٧٢ فصل

٧٢ فصل

٧٢ فصل

٧٣ فصل

٧٣ فصل

٧٣ فصل

٧٤ باب ذكر القبلة -

٧٤ اشاره

٧٤ فصل

٧٥ فصل

٧٥ فصل

٧٦ فصل

٧٦ فصل

٧٧ فصل

٧٧ فصل

٧٨ باب ستر العورة وذكر المكان واللباس مما يجوز الصلاة عليه و فيه وذكر الأذان والإقامة

٧٨ اشاره

٧٨ فصل

٧٩ فصل

٧٩ فصل

٧٩ فصل

٧٩ فصل

٨٠ باب ما يقارن حال الصلاة

٨٠ اشاره

٨٠ فصل

٨١ فصل

٨١ فصل

٨٢ فصل

٨٢ فصل

٨٣ باب هيآت الصلاة

٨٣ اشاره

٨٣ فصل

٨٤ فصل

٨٤ فصل

٨٤ فصل

٨٥ فصل

٨٦ فصل

٨٦ فصل

٨٦ فصل

٨٧ فصل

٨٧ فصل

٨٨ فصل

٨٨ فصل

٨٨ فصل

٨٩ باب قضاء الصلاة وتركها -

٨٩ اشاره

٨٩ فصل

٨٩ باب ذكر صلاة الليل وذكر جميع النوافل -

٩٠ اشاره

٩٠ فصل

٩٠ فصل

٩١ فصل

٩١ فصل

٩٢ فصل

٩٢ باب أحكام الجمعة -

٩٢ اشاره

٩٣ فصل

٩٣ فصل

٩٤ فصل

٩٤ فصل

٩٤ فصل

٩٥ فصل

٩٥ باب الجماعة وأحكامها -

٩٥ اشارة

٩٦ فصل

٩٦ فصل

٩٦ باب الصلاة في السفر

٩٧ اشارة

٩٧ فصل

٩٧ فصل

٩٨ فصل

٩٨ باب صلاة الخوف

٩٨ اشارة

٩٩ فصل

٩٩ فصل

١٠٠ فصل

١٠٠ فصل

١٠١ فصل

١٠١ فصل

١٠١ باب فضل المساجد و مايتعلق بها من الأحكام

١٠١ اشارة

١٠٢ فصل

١٠٢ فصل

١٠٢ فصل

١٠٣ فصل

١٠٣ فصل

١٠٤ باب صلاة العيدين والاستسقاء والكسوف و غير ذلك

١٠٤ باب الصلاة على الموتى وأحكامهم

١٠٤ اشارة

١٠٥ ----- فصل

١٠٥ ----- باب الزيادات

١٠٥ ----- اشارة

١٠٥ ----- مسألة

١٠٦ ----- مسألة

١٠٦ ----- مسألة

١٠٦ ----- مسألة

١٠٧ ----- مسألة

١٠٧ ----- مسألة

١٠٧ ----- مسألة

١٠٧ ----- مسألة

١٠٧ ----- مسألة

١٠٨ ----- مسألة

١٠٨ ----- مسألة

١٠٨ ----- مسألة

١٠٨ ----- مسألة

١٠٩ ----- مسألة

١٠٩ ----- مسألة

١٠٩ ----- كتاب الصوم

١٠٩ ----- اشارة

١٠٩ ----- فصل

١١٠ ----- باب فى تفصيل ماأجملناه

١١٠ ----- اشارة

١١١ ----- فصل

١١١ ----- فصل

١١٢ ----- فصل

١١٢	فصل
١١٣	فصل
١١٣	فصل
١١٣	باب من له عذر أو مايجرى مجرى العذر
١١٣	اشاره
١١٤	فصل
١١٤	فصل
١١٥	باب فى النية و فى علامه أول الشهر وآخره
١١٥	اشاره
١١٥	فصل
١١٥	فصل
١١٦	باب أقسام الصوم الواجب
١١٧	الفصل الأول فى الصوم الذى هو كفارة الظهار
١١٧	الفصل الثانى فى صوم كفارة قتل الخطأ
١١٧	الفصل الثالث فى صوم كفارة اليمين
١١٨	الفصل الرابع فى صيام أذى حلق الرأس
١١٨	الفصل الخامس فى صوم دم المتعمه
١١٨	الفصل السادس فى صوم جزاء الصيد
١١٩	الفصل السابع فى صوم النذر
١١٩	الفصل الثامن فى صوم الاعتكاف
١١٩	الفصل التاسع فى صوم قضاء ما فات من شهر رمضان لعذر
١٢٠	الفصل العاشر فى صيام شهرين متتابعين على من أفطر يوما من شهر رمضان متعمدا
١٢٠	باب مسائل شتى من ذلك
١٢٠	اشاره
١٢١	فصل
١٢١	فصل

١٢١ ----- فصل

١٢٢ ----- فصل

١٢٢ ----- باب الزيادات

١٢٢ ----- اشارة

١٢٣ ----- مسألة

١٢٣ ----- مسألة

١٢٣ ----- مسألة

١٢٣ ----- مسألة

١٢٣ ----- مسألة

١٢٤ ----- مسألة

١٢٤ ----- مسألة

١٢٤ ----- مسألة

١٢٤ ----- مسألة

١٢٤ ----- مسألة

١٢٥ ----- مسألة

١٢٥ ----- كتاب الزكاة وجميع العبادات المالية

١٢٥ ----- باب فى وجوب الزكاة

١٢٥ ----- اشارة

١٢٥ ----- فصل

١٢٦ ----- فصل

١٢٦ ----- فصل

١٢٦ ----- الباب الأول فيما تجب فيه الزكاة وكيفيتها ومانستحب فيه الزكاة

١٢٧ ----- فصل

١٢٧ ----- فصل

١٢٨ ----- فصل

١٢٨ ----- فصل

١٢٩ فصل

١٢٩ فصل

١٣٠ فصل

١٣٠ الباب الثاني في ذكر من يستحق الزكاة وأقل ما يعطى

١٣٠ اشاره

١٣١ فصل

١٣١ فصل

١٣٢ فصل

١٣٢ الباب الثالث في ذكر من يجب عليه الزكاة وذكر أحكام الزكاة كلها

١٣٢ اشاره

١٣٣ فصل

١٣٤ فصل

١٣٤ فصل

١٣٥ فصل

١٣٦ فصل

١٣٧ فصل

١٣٧ باب ذكر الخمس وأحكامه

١٣٧ اشاره

١٣٨ فصل

١٣٨ فصل

١٣٨ فصل

١٣٩ فصل

١٣٩ فصل

١٤٠ باب الأنفال

١٤٠ اشاره

١٤٠ فصل

١٤١ ----- فصل

١٤١ ----- باب زكاة الفطرة

١٤١ ----- اشاره

١٤٢ ----- فصل

١٤٣ ----- باب الجزية

١٤٣ ----- اشاره

١٤٣ ----- فصل

١٤٤ ----- باب الزيادات

١٤٤ ----- اشاره

١٤٤ ----- مسألة

١٤٤ ----- مسألة

١٤٤ ----- مسألة

١٤٥ ----- مسألة

١٤٥ ----- مسألة

١٤٥ ----- مسألة

١٤٦ ----- مسألة

١٤٦ ----- مسألة

١٤٦ ----- مسألة

١٤٦ ----- مسألة

١٤٦ ----- مسألة

١٤٦ ----- مسألة

١٤٧ ----- كتاب الحج

١٤٧ ----- اشاره

١٤٧ ----- فصل

١٤٧ ----- فصل

١٤٧ ----- باب في أنواع الحج

١٤٨ اشاره

١٤٨ فصل

١٤٨ فصل

١٤٩ فصل

١٤٩ باب فى تفصيل أفعال الحج المتمتع

١٤٩ اشاره

١٥٠ فصل

١٥٠ فصل

١٥١ فصل

١٥١ فصل

١٥١ فصل

١٥٢ فصل

١٥٢ فصل

١٥٣ فصل

١٥٣ فصل

١٥٤ باب فرائض الحج وسننه و مايجرى مجراها

١٥٤ اشاره

١٥٤ فصل

١٥٥ فصل

١٥٥ فصل

١٥٦ فصل

١٥٦ فصل

١٥٧ فصل

١٥٧ باب ذكر المناسك و مايتعلق بها

١٥٧ اشاره

١٥٧ فصل

١٥٨ ----- فصل

١٥٨ ----- فصل

١٥٩ ----- فصل

١٥٩ ----- باب الذبح والحلق ورمى الجمار

١٥٩ ----- اشاره

١٦٠ ----- فصل

١٦٠ ----- باب فى ذكر أيام التشريق يكون فيهما رمى الجمرات على ما ذكر

١٦١ ----- اشاره

١٦١ ----- فصل

١٦١ ----- فصل

١٦٢ ----- باب ما يجب على المحرم اجتنابه

١٦٣ ----- باب نهى المحرم من الإخلال والتعدى والتقصير

١٦٣ ----- اشاره

١٦٣ ----- فصل

١٦٤ ----- باب تفصيل ما يجب على هذا الاعتداء من الجزاء

١٦٤ ----- اشاره

١٦٤ ----- فصل

١٦٤ ----- فصل

١٦٥ ----- فصل

١٦٦ ----- فصل

١٦٦ ----- فصل

١٦٧ ----- فصل

١٦٧ ----- فصل

١٦٨ ----- باب المحصور والمصدود

١٦٨ ----- اشاره

١٦٨ ----- فصل

١٦٩ ----- فصل

١٦٩ ----- فصل

١٧٠ ----- باب العمرة المفردة

١٧٠ ----- اشاره

١٧٠ ----- فصل

١٧١ ----- باب الزيادات

١٧١ ----- اشاره

١٧١ ----- مسألة

١٧١ ----- مسألة

١٧١ ----- مسألة

١٧٢ ----- مسألة

١٧٢ ----- مسألة

١٧٢ ----- مسألة

١٧٢ ----- مسألة

١٧٢ ----- مسألة

١٧٣ ----- مسألة

١٧٣ ----- مسألة

١٧٣ ----- كتاب الجهاد

١٧٣ ----- اشاره

١٧٣ ----- باب فرض الجهاد و من يجب عليه

١٧٣ ----- اشاره

١٧٤ ----- فصل

١٧٥ ----- فصل

١٧٥ ----- باب ذكر المرابطة

١٧٦ ----- باب حكم من ليس له نهضة إلى الجهاد

١٧٦ ----- باب حكم القتال في الشهر الحرام

١٧٦ ----- اشارة

١٧٧ ----- فصل

١٧٨ ----- باب فى الآيات التى تحض على القتال

١٧٨ ----- اشارة

١٧٨ ----- فصل

١٧٩ ----- باب أصناف الكفار الذين يجب جهادهم وحكم الأسارى

١٧٩ ----- اشارة

١٧٩ ----- فصل

١٧٩ ----- فصل

١٨٠ ----- فصل

١٨١ ----- فصل

١٨١ ----- فصل

١٨٢ ----- فصل

١٨٢ ----- باب حكم مأخذ من دار الحرب بالقهر وذكر مايتعلق به

١٨٢ ----- اشارة

١٨٣ ----- فصل

١٨٣ ----- فصل

١٨٣ ----- فصل

١٨٤ ----- باب المهادنة

١٨٤ ----- اشارة

١٨٤ ----- فصل

١٨٥ ----- باب ذكر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

١٨٥ ----- اشارة

١٨٥ ----- فصل

١٨٦ ----- فصل

١٨٦ ----- فصل

١٨٧	فصل
١٨٧	باب أحكام أهل البغى
١٨٧	اشاره
١٨٨	فصل
١٨٨	باب حكم المحاربين والسيره فيهم
١٨٨	اشاره
١٨٩	فصل
١٨٩	فصل
١٨٩	فصل
١٩٠	باب حكم المرتدين وكيفية حالهم
١٩٠	اشاره
١٩١	فصل
١٩١	فصل
١٩١	باب الزيادات
١٩٢	مسألة
١٩٢	مسألة
١٩٣	كتاب الديون والكفالات والحوالات والوكالات
١٩٣	اشاره
١٩٣	باب أحكام الدين
١٩٣	اشاره
١٩٣	فصل
١٩٤	فصل
١٩٤	فصل
١٩٥	باب قضاء الدين وحكم المدين المعسر
١٩٥	اشاره
١٩٥	فصل

١٩٤	باب القرض
١٩٤	باب قضاء الدين عن الميت
١٩٧	باب الصلح
١٩٧	باب الكفالة
١٩٧	باب الحوالة
١٩٨	باب الوكالة
١٩٨	اشاره
١٩٨	فصل
١٩٩	فصل
٢٠٠	باب اللقطة والضالة
٢٠٠	باب الزيادات
٢٠٠	اشاره
٢٠٠	مسألة
٢٠٠	مسألة
٢٠١	مسألة
٢٠١	كتاب الشهادات
٢٠١	اشاره
٢٠١	باب تعديل الشهود و من تقبل شهادته
٢٠١	اشاره
٢٠٢	فصل
٢٠٢	فصل
٢٠٣	فصل
٢٠٣	باب ذكر ما يلزم الشهود
٢٠٣	اشاره
٢٠٤	فصل
٢٠٥	فصل

٢٠٥ ----- فصل

٢٠٦ ----- فصل

٢٠٦ ----- باب فى تحمل الشهادة وأدابها

٢٠٦ ----- اشاره

٢٠٦ ----- فصل

٢٠٧ ----- فصل

٢٠٧ ----- باب شهادة كل ذى قرابة لمن يقرب منه و عليه وذكر من تقبل شهادته منهم

٢٠٧ ----- اشاره

٢٠٨ ----- فصل

٢٠٨ ----- فصل

٢٠٩ ----- فصل

٢١٠ ----- فصل

٢١٠ ----- باب شهادة من خالف الإسلام

٢١١ ----- اشاره

٢١١ ----- فصل

٢١٢ ----- فصل

٢١٢ ----- فصل

٢١٣ ----- فصل

٢١٣ ----- فصل

٢١٤ ----- فصل

٢١٤ ----- فصل

٢١٥ ----- باب الزيادات

٢١٥ ----- اشاره

٢١٦ ----- مسألة

٢١٦ ----- مسألة

٢١٦ ----- مسألة

٢١٦ مسألة

٢١٧ مسألة

٢١٧ مسألة

٢١٧ فقه القرآن جلد ٢

٢١٧ الجزء الثانى

٢١٧ اشاره

٢١٧ كتاب القضايا

٢١٧ اشاره

٢١٨ باب الحث على الحكم بالعدل والمدح عليه وذكر عقوبة من يكون بخلافه

٢١٨ اشاره

٢١٨ فصل

٢١٨ فصل

٢١٩ باب ما يجب أن يكون القاضى عليه

٢١٩ اشاره

٢١٩ فصل

٢٢٠ فصل

٢٢١ باب كيفية الحكم بين أهل الكتاب

٢٢١ اشاره

٢٢١ فصل

٢٢٢ باب نواذر من الأحكام

٢٢٢ اشاره

٢٢٢ فصل

٢٢٣ باب الزيادات

٢٢٣ اشاره

٢٢٣ مسألة

٢٢٣ مسألة

٢٢٣	كتاب المكاسب
٢٢٣	اشاره
٢٢٤	باب فى تفصيل ماأجملناه
٢٢٤	اشاره
٢٢٤	فصل
٢٢٥	فصل
٢٢٥	باب المكاسب المحظورة والمكروهة
٢٢٥	اشاره
٢٢٥	فصل
٢٢٦	فصل
٢٢٦	فصل
٢٢٧	باب المكاسب المباحة
٢٢٧	اشاره
٢٢٨	فصل
٢٢٨	باب التصرف فى أموال اليتامى
٢٢٩	باب من يجبر الإنسان على نفقته
٢٣٠	باب السبق والرمية
٢٣٠	باب الزيادات
٢٣٠	كتاب المتاجر
٢٣٠	اشاره
٢٣١	باب آداب التجارة
٢٣١	اشاره
٢٣٢	فصل
٢٣٢	باب أحكام الربا
٢٣٢	اشاره
٢٣٣	فصل

٢٣٤	باب البيع بالنقد والنسيئة والشرط في العقود
٢٣٤	اشاره
٢٣٤	فصل
٢٣٥	فصل
٢٣٥	باب في أشياء تتعلق بالمبايعه ونحوها
٢٣٥	اشاره
٢٣٦	فصل
٢٣٦	فصل
٢٣٧	باب الرهن وأحكامه
٢٣٧	اشاره
٢٣٨	فصل
٢٣٩	باب الوديعه
٢٣٩	باب العارية
٢٣٩	باب الإجازات
٢٤٠	باب الشركه والمضاربه
٢٤٠	اشاره
٢٤١	فصل
٢٤١	باب الشفعه
٢٤٢	باب المزارعه والمساقاة
٢٤٢	باب الإفلاس والحجر
٢٤٢	اشاره
٢٤٣	فصل
٢٤٣	فصل
٢٤٤	باب الفصص
٢٤٤	كتاب النكاح
٢٤٤	اشاره

٢٤٥ باب ماأحل الله من النكاح و ماحرم منه

٢٤٥ اشارة

٢٤٥ فصل

٢٤٦ فصل

٢٤٦ فصل

٢٤٧ فصل

٢٤٧ فصل

٢٤٨ فصل

٢٤٨ فصل

٢٤٩ فصل

٢٥٠ باب مقدار مايحرم من الرضاع وأحكامه ماوراء ذوات المحارم القرابية

٢٥٠ اشارة

٢٥٠ فصل

٢٥١ فصل

٢٥١ فصل

٢٥٢ باب ضروب النكاح

٢٥٢ باب ذكر النكاح الدائم

٢٥٢ اشارة

٢٥٣ فصل

٢٥٤ فصل

٢٥٤ فصل

٢٥٥ باب الصداق وأحكامه

٢٥٥ اشارة

٢٥٥ فصل

٢٥٦ فصل

٢٥٦ باب المتعة وأحكامها

٢٥٦ اشارة

٢٥٦ فصل

٢٥٧ فصل

٢٥٧ فصل

٢٥٨ فصل

٢٥٨ فصل

٢٥٩ باب العقد على الإماء وأحكامه

٢٥٩ اشارة

٢٥٩ فصل

٢٦٠ فصل

٢٦٠ فصل

٢٦١ فصل

٢٦١ باب نفقات الزوجات والمرضعات وأحكامها

٢٦١ اشارة

٢٦٢ فصل

٢٦٢ فصل

٢٦٣ فصل

٢٦٣ فصل

٢٦٤ فصل

٢٦٤ فصل

٢٦٤ فصل

٢٦٥ فصل

٢٦٦ باب في ذكر ملك الأيمان

٢٦٦ باب ما يحرم النظر إليه منهن و ما يحل

٢٦٦ اشارة

٢٦٧ فصل

٢٦٧	فصل
٢٦٧	فصل
٢٦٨	باب اختيار الأزواج و من يتولى العقد عليهن
٢٦٨	اشاره
٢٦٨	فصل
٢٦٩	فصل
٢٦٩	باب فى النهى عن خطبة النساء المعتدات بالتصريح وجوازها بالتعريض
٢٦٩	اشاره
٢٧٠	فصل
٢٧١	فصل
٢٧١	باب ما يستحب فعله
٢٧١	اشاره
٢٧٢	فصل
٢٧٣	فصل
٢٧٣	باب الزيادات
٢٧٤	كتاب الطلاق
٢٧٤	اشاره
٢٧٤	باب أقسام الطلاق وشرائطه
٢٧٤	اشاره
٢٧٤	فصل فى طلاق التى لم يدخل بها
٢٧٤	فصل فى طلاق التى دخل بها و لم تبلغ المحيض و لاتكون فى سنها من تحيض
٢٧٧	فصل فى طلاق الآيسة من المحيض و فى سنها من تحيض
٢٧٨	فصل فى طلاق المستقيمة الحيض
٢٧٩	فصل فى طلاق الحامل المستبين حملها
٢٧٩	فصل فى طلاق المستحاضة و طلاق الغائب عن زوجته و طلاق الغلام والعبد
٢٧٩	باب بيان شرائط الطلاق

٢٧٩ اشارة

٢٨٠ فصل

٢٨١ فصل

٢٨١ فصل

٢٨٢ فصل

٢٨٣ باب عدة المتوفى عنها زوجها وعدة المطلقة على اختلاف أحوالها

٢٨٣ اشارة

٢٨٣ فصل

٢٨٤ فصل

٢٨٥ باب كيفية الطلاق الثلاث وحكم المراجعة والتراجع والعضل

٢٨٥ اشارة

٢٨٥ فصل

٢٨٦ فصل

٢٨٧ فصل

٢٨٧ فصل

٢٨٨ فصل

٢٨٨ فصل

٢٨٩ فصل

٢٨٩ باب ما يجب على المرأة في عدتها

٢٩٠ اشارة

٢٩١ فصل

٢٩١ باب ما يكون كالسبب للطلاق

٢٩١ اشارة

٢٩٢ فصل

٢٩٣ باب ما يؤثر في أنواع الطلاق

٢٩٤ باب ما يلحق بالطلاق

٢٩٤	اشاره
٢٩٤	فصل فى الطهار
٢٩٥	فصل فى الإيلاء
٢٩٤	فصل فى اللعان
٢٩٧	فصل فى الارتداد
٢٩٧	باب الزيادات
٢٩٧	اشاره
٢٩٧	مسألة
٢٩٨	مسألة
٢٩٨	مسألة
٢٩٨	مسألة
٢٩٨	مسألة
٢٩٨	مسألة
٢٩٩	مسألة
٢٩٩	كتاب العتق وأنواعه
٢٩٩	اشاره
٢٩٩	باب من إذاملك العتق فى الحال
٣٠٠	باب من يصح ملكه و من لا يصح
٣٠٠	باب بيع أمهات الأولاد
٣٠١	باب الولاء
٣٠١	باب أن المملوك لا يملك شيئاً
٣٠١	باب المكاتبه
٣٠١	اشاره
٣٠٢	فصل
٣٠٢	فصل
٣٠٣	باب التدبير
٣٠٣	باب الزيادات

٣٠٣ اشارة

٣٠٣ مسألة

٣٠٤ كتاب الأيمان والنذور والكفارات

٣٠٤ اشارة

٣٠٤ باب فى أقسام الأيمان وأحكامها

٣٠٤ اشارة

٣٠٥ فصل

٣٠٥ فصل

٣٠٦ باب حفظ اليمين

٣٠٦ اشارة

٣٠٧ فصل

٣٠٨ فصل

٣٠٨ باب أقسام النذور والعهود وأحكامها

٣٠٨ اشارة

٣٠٩ فصل

٣٠٩ فصل

٣١٠ باب أقسام العهد

٣١٠ باب الكفارات

٣١٠ اشارة

٣١١ فصل

٣١١ فصل

٣١١ باب الزيادات

٣١١ اشارة

٣١٢ مسألة

٣١٢ مسألة

٣١٢ مسألة

٣١٣	كتاب الصيد والذباحة
٣١٣	اشاره
٣١٣	باب أحكام الصيد
٣١٣	اشاره
٣١٣	فصل
٣١٤	فصل
٣١٥	باب ما يحرم من الصيد
٣١٥	اشاره
٣١٥	فصل
٣١٦	باب الذبيح
٣١٧	باب ما يحل أو يكره لحمه
٣١٧	اشاره
٣١٧	فصل
٣١٨	باب ما حلل من الميتة و ما حرم من المذكى
٣١٨	باب الزيادات
٣١٩	اشاره
٣١٩	مسألة
٣١٩	مسألة
٣١٩	كتاب الأطعمة والأشربة
٣١٩	اشاره
٣٢٠	باب ما أباحه الله من الأطعمة
٣٢٠	اشاره
٣٢١	فصل
٣٢٢	فصل
٣٢٢	فصل
٣٢٣	باب الأطعمة المحظورة

٣٢٣ اشارة

٣٢٣ فصل

٣٢٤ فصل

٣٢٥ فصل

٣٢٥ فصل

٣٢٥ باب الأشرية المباحة والمحظورة

٣٢٤ اشارة

٣٢٤ فصل

٣٢٧ فصل

٣٢٨ باب بيان تحريم الخمر

٣٢٨ اشارة

٣٢٨ فصل

٣٢٩ فصل

٣٣٠ باب الزيادات

٣٣٠ اشارة

٣٣٠ مسألة

٣٣٠ كتاب الوقوف والصدقات

٣٣١ اشارة

٣٣١ باب كيفية الوقف وأحكامه

٣٣١ اشارة

٣٣١ فصل

٣٣٢ فصل

٣٣٢ فصل

٣٣٣ باب الهبة وأحكامها

٣٣٣ اشارة

٣٣٣ فصل

٣٣٣	باب الزيادات
٣٣٤	كتاب الوصايا
٣٣٤	اشاره
٣٣٤	باب الحث على الوصية
٣٣٤	اشاره
٣٣٥	فصل
٣٣٦	فصل
٣٣٦	فصل
٣٣٧	باب الوصية للوارث وغيره من القربات وأحكام الأوصياء
٣٣٧	اشاره
٣٣٨	فصل
٣٣٨	باب ما على وصى اليتيم
٣٣٨	اشاره
٣٣٩	فصل
٣٤٠	باب الوصية المبهمة
٣٤١	باب الوصية التي يقال لها راحة الموت
٣٤١	باب من تجوز شهادته في الوصية وشروط الوصية
٣٤١	اشاره
٣٤٢	فصل
٣٤٣	باب نادر
٣٤٣	باب الإقرار
٣٤٣	باب الزيادات
٣٤٤	كتاب الموارث
٣٤٤	اشاره
٣٤٤	باب كيفية ترتيب نزول الموارث
٣٤٤	اشاره

٣٤٥	فصل فى بيان ذلك
٣٤٥	باب ما يستحق به الموارىث وذكور سهامها
٣٤٦	باب ذكر ذوى السهام
٣٤٦	اشاره
٣٤٦	فصل
٣٤٧	فصل فى ميراث الولد
٣٤٧	فصل فى ميراث الوالدين
٣٤٨	فصل فى ميراث الزوجين
٣٤٩	فصل فى ميراث كلاله الأم
٣٤٩	فصل فى ميراث كلاله الأب
٣٥٠	باب فى مسائل شتى
٣٥١	باب من يرث بالقرابة دون الفرض
٣٥١	اشاره
٣٥٢	فصل
٣٥٢	باب فى مسائل شتى
٣٥٣	باب ذكر من يرث بالفرض والقرابة
٣٥٣	اشاره
٣٥٣	فصل
٣٥٤	فصل
٣٥٥	باب بطلان القول بالعصبه والعلول وكيفية الرد
٣٥٥	اشاره
٣٥٥	فصل
٣٥٦	فصل
٣٥٦	باب بيان أن فرض البننتين الثلثان
٣٥٦	اشاره
٣٥٨	فصل

٣٥٨	باب أن القاتل خطأ يرث المقتول من التركة لا من الدية
٣٥٨	باب أن المسلم يرث الكافر
٣٥٩	باب أن ولد الولد ولد وإن نزل
٣٥٩	باب الزيادات
٣٥٩	اشاره
٣٦٠	مسألة
٣٦٠	مسألة
٣٦٠	مسألة
٣٦٠	كتاب الحدود
٣٦٠	اشاره
٣٦١	فصل
٣٦١	فصل
٣٦٢	فصل
٣٦٢	فصل
٣٦٣	فصل
٣٦٣	فصل
٣٦٤	باب غير المسلم يفجر بالمسلم
٣٦٤	باب الحد في اللواط والسحق
٣٦٥	باب الحد في شرب الخمر
٣٦٥	باب الحد في السرقة
٣٦٦	اشاره
٣٦٦	فصل
٣٦٧	فصل
٣٦٧	فصل
٣٦٨	باب حد المحارب
٣٦٩	باب الحد في الفرية

٣٦٩ اشارة

٣٦٩ فصل

٣٧٠ باب الزيادات

٣٧٠ اشارة

٣٧٠ مسألة

٣٧٠ مسألة

٣٧١ مسألة

٣٧١ مسألة

٣٧١ كتاب الدييات

٣٧١ اشارة

٣٧١ باب القتل العمد وأحكامه

٣٧١ اشارة

٣٧٢ فصل

٣٧٢ فصل

٣٧٣ فصل

٣٧٣ فصل

٣٧٤ فصل

٣٧٥ فصل

٣٧٥ فصل

٣٧٦ فصل

٣٧٦ باب القتل الخطأ المحض

٣٧٦ اشارة

٣٧٧ فصل

٣٧٧ فصل

٣٧٨ فصل

٣٧٨ فصل

٣٧٩ ----- فصل

٣٧٩ ----- باب القتل الخطأ وشبيهه العمد

٣٨٠ ----- باب ديات الجوارح والأعضاء والقصاص فيها

٣٨٠ ----- اشاره

٣٨١ ----- فصل

٣٨١ ----- فصل

٣٨١ ----- فصل

٣٨٢ ----- فصل

٣٨٣ ----- باب الزيادات

٣٨٣ ----- اشاره

٣٨٣ ----- مسألة

٣٨٣ ----- مسألة

٣٨٤ ----- مسألة

٣٨٤ ----- مسألة

٣٨٤ ----- مسألة

٣٨٤ ----- مسألة

٣٨٥ ----- مسألة

٣٨٥ ----- باب فيما يحتاج إليه الناظر في هذا الكتاب

٣٨٥ ----- اشاره

٣٨٦ ----- فصل

٣٨٦ ----- تعريف المركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

إشارة

شماره كتابشناسى مى : ايران سرشناسه : گريوانى، خليل عنوان و نام پديدآور : فقه القرآن راوندى / قطب الدين راوندى
وضعت نشر : كتابخانه آيت الله مرعشى نجفى، قم توصيفگر : قطب راوندى، سعيد بن هبة الله، -٥٧٣ق. توصيفگر : كتاب فقه
القرآن راوندى توصيفگر : فقه

فقه القرآن جلد ١

الجزء الأول

إشارة

تأليف الفقيه المحدث المفسر الأديب قطب الدين أبى الحسين سعيد بن هبة الله الراوندى المتوفى سنة ٥٧٣هـ [صفحه ٣] بسم
الله الرحمن الرحيم رب زدنى علما الحمد لله الذى خلق الخلق كما أراد و لم يرد إلا الحكمة والسداد ابتدعهم بقدرته ابتدعا
واخترعهم على مشيئته اختراعا فأغنى بفضلهم كل صغير وأقنى بمنه كل كبير و من أجل مواهبه وأجمل صنائعه هذا العقل الذى
يدرك به سعادة الأبد وينقذ من الشقاوة كل أحد فطوبى لمن عزب أعماله ويؤسى لمن ذل ياهماله ثم لم يرض سبحانه بذلك
لرافته بالمكلفين حتى أمد عقولهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب وأكد بالألطف الحجة وأوضح بالشرائح المحجة فله الحمد دائما
و له الشكر واصبا بكل ما حمده به أكرم خلائقه عليه وأرضى حامديه لديه فقد أكمل لنا دينه وأتم علينا نعمته ورضى لنا الإسلام
دينا. وصلى الله على محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين و على آله الأطهار الأئمة الأخيار الهداة الأبرار الذين أذهب الله عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا. أما بعد فإن الذى حملنى على الشروع فى جمع هذا الكتاب أنى لم أجد من علماء الإسلام قديما
وحديثا من ألف كتابا مفردا يشتمل على الفقه الذى ينطق به كتاب الله [صفحه ٤] و لم يتعرض أحد منهم لاستيعاب مانصه عليه
لفظه أو معناه وظاهره أو فحواه فى مجموع كان على الانفراد صائب هدف المراد و إن صنفوا فى الفقه وتفسير القرآن ما لا يحاط
به إلا على امتداد الزمان . والعذر لنا خاصة واضح لأن حجة هذه الطائفة فى صواب جميع ما انفردت به من الأحاديث الشرعية
والتكاليف السمعية أو شاركت فيه غيرها من الفقهاء هى إجماعها لأن إجماعها حجة قاطعة ودلالة موجبة للعلم بكون المعصوم
الذى لا يجوز عليه الخطأ فيه فإن انضاف إلى ذلك كتاب الله أو طريقة أخرى توجب العلم وتثمر اليقين فهى فضيلة ودلالة
تنضاف إلى أخرى و إلا ففى إجماعهم كفاية. فرأيت أن أولف كتابا فى فقه القرآن يغنى عن غيره بحسن مبانيه و لا يقصر فهم
القارئ عن معانيه متجنباً فيه الإطالة والتكثير ومتحرراً الإيجاز والتيسير ليكون الناظر فيه أنيسا يصادقه وللغنية رداً يصدقه فجمعت
منه بعون الله تعالى جملة مشروحة أخرجها الاستقراء و إن نسا الله فى الأجل ذكرت بعد ذلك ما يقتضيه الاستقصاء و الله الموفق
لما يشاء [صفحه ٥]

كتاب الطهارة

إشارة

اعلم أن الله سبحانه و تعالى بين أحكام الطهارة في القرآن على سبيل التفصيل في موضعين ونبه عليها جملة في مواضع شتى منه خصوصا أو عموما تصريحا أو تلويحاً. و أنا إن شاء الله أورد جميع ذلك أو أكثر ما فيه على غاية ما يمكن تلخيصه وأستوفيه وأومى إلى تعليقه وجهته دليله وأذكر أقوال العلماء والمفسرين في ذلك والصحيح منها والأقوى و إن شبت شيئا بشيء فعلى جهة المثال لا على وجه حمل أحدهما على الآخر. وأقتصر في جميع ما يحتاج إليه على مجرد ما روى السلف رحمهم الله من المعانى إلا القليل النادر والشاذ الشارد وأقنع أيضا بألفاظهم المنقولة حتى لا يستوحش من ذلك وهذا شرطى إلى آخر الكتاب . ولا أجمع إلا ما فرقه أصحابنا في مصنفاتهم وذلك لأن القياس بالدليل الواضح غير صحيح في الشريعة و هو حمل الشيء على غيره في الحكم لأجل ما [صفحہ ۶] بينهما من الشبه فيسمى المقيس فرعا والمقيس عليه أصلا وكذلك الاجتهاد غير جائز في الشرع و هو استفراغ الجهد في استخراج أحكام الشرع وقيل هو بذل الوسع في تعرف الأحكام الشرعية. فأما إذا صح بإجماع الفرقه المحققة حكم من الأحكام الشرعية بنص من الرسول ص مقطوع على صحته على سبيل التفصيل رواه المعصومون من أهل بيته ع ثم طلب الفقيه بعد ذلك دلالة عليه من الكتاب جملة أو تفصيلا ليضيفها إلى السنة حسما للشئعة فلا يكون ذلك قياسا ولا اجتهادا لأن القائل والمجتهد لو كان معهما نص على وجه من الوجوه لم يكن ذلك منهما قياسا ولا اجتهادا وهذا واضح بحمد الله . على أن أكثر الآيات التي نتكلم عليها في هذا المعنى فهو ما نبهنا عليه الأئمة من آل محمد ع وهم معدن التأويل ومنزل التنزيل .

فصل

اعلم أن الأدلة كلها أربعة حجة العقل والكتاب والسنة والإجماع . أما الكتاب و هو غرضنا هاهنا فهو القرآن في دلالاته على الأحكام الشرعية والمستدل بالكتاب على ما ذكرناه يحتاج إلى أن يعرف من علومه خمسة أصناف [صفحہ ۷] العام والخاص والمحكم والمتشابه والمجمل والمفسر والمطلق والمقيد والناسخ والمنسوخ . أما العموم والخصوص قليلا يتعلق بعموم قد دخله التخصيص كقوله تعالى *وَلَا تَكْفُرُوا بِالْمُشْرِكِ حَتَّى يَكْفُرَ بِكُمْ* و هذا عام في كل مشركة حرة كانت أو أمه و قوله *وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ* خاص في الحرائر فقط فلو تمسك بالعموم غلط وكذلك قوله *فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ* و قوله *مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ* خاص في أهل الكتاب . و أما المحكم والمتشابه فليقتض بالمحكم ويفت به دون المتشابه . و أما المجمل والمفسر فليعمل بالمفسر كقوله تعالى *أَقِيمُوا الصَّلَاةَ* و هذا غير مفسر و قوله *فَسَبِّحَانَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَ حِينَ تُصْبِحُونَ* مفسر بإجماع المفسرين لأنه فسر الصلوات الخمس لأن قوله *حِينَ تُمْسُونَ* يعنى المغرب والعشاء الآخرة و *حِينَ تُصْبِحُونَ* يعنى الصبح وعشياً يعنى العصر و *حِينَ تَطْهَرُونَ* والظهور . و أما المطلق والمقيد فليبنى المطلق على المقيد إذا كانا في حكم واحد كقوله تعالى *وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ* هذا مطلق في العدل والفاسق و قوله *وَ اشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ* مقيد بالعدالة فيبنى المطلق عليه . قرآن-١٦١-٢٠١-قرآن-٢٤٩-٣٠٦-قرآن-٣٦٢-٣٨٤-قرآن-٣٩٧-٤٥٠-قرآن-٥٨٨-٦٠٥-قرآن-٦٢٨-٦٧٨-قرآن-٧٣٨-٧٥١-قرآن-٧٨٢-٧٩٧-قرآن-٨١٢-٨١٨-قرآن-٨٣٢-٨٤٧-قرآن-٩٣٧-٩٧٥-قرآن-١٠١٣-١٠٤٤ [صفحہ ٨] و أما الناسخ والمنسوخ فليقتض بالناسخ دون المنسوخ كآية العدة بالحوال والآية التي تضمنت العدة بالأشهر. ويأتى بيان جميع ذلك إن شاء الله تعالى

باب وجوب الطهارة وكيفيةها و ما به تكون و ما ينقضها

الدليل على هذه الأشياء الأربعة التي هي مدار الطهارتين و ما يقوم مقامهما عند الضرورة اثنان من المائدة والنساء وهما قوله تعالى

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ وَقَوْلِهِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ وظاهر هذا الخطاب متوجه إلى من كان على ظاهر الإيمان فأما الكافر فلا يعلم بهذا الظاهر أنه مخاطب به ويعلم بآية أخرى ودلالة عليه به أخرى . وإنما أمر المؤمنون به وهو واجب على الكل لأنه بعد الدخول في الملة و من أتى الإسلام يؤمر به ثم يؤمر بفروعه . على أنه يمكن أن يقال إن التخصيص هاهنا ورد للتغليب والتشريف وإن كان الكل مراداً كقوله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا أَلا تَرَىٰ أَنْ أَسْبَابَ التَّكْلِيفِ الَّتِي حَسَنَ الْخُطَابَ لِأَجْلِهَا حَاصِلَةٌ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ يُوَضِّحُ ذَلِكَ وَيُبَيِّنُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ وَلَا خِلَافَ - قرآن- ١٣٢-٢٢١- قرآن- ٢٣٠-٢٩٥- قرآن- ٦٥٧-٧١٨- قرآن- ٨٢٧-٨٦٢] صفحہ ٩ [أنه ينبغي أن يحمل على عمومته في كل ما هو عبادة الله وإن كان خاصاً في المكلفين منهم الذين أوجب الله ذلك عليهم وأوندبهم إليه والآية متوجهة إلى جميع الناس ممن يصح مخاطبته مؤمنهم وكافرهم لحصول العموم فيها إلا من ليس بشرائط التكليف على ما ذكرناه . فالكافر إذا لا بد أن يكون مخاطباً بالصلاة وبجميع أركان الشريعة لكونها واجبة عليه لأنه مذموم بتركها متمكن من أن يعلم وجوبها ويعاقب غداً عليه أيضاً ألا ترى إلى قوله تعالى حكاية عن الكفار قالوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ . و لا يقدر في وجوب ذلك بأنه إذا أسلم لا يجب عليه قضاء ما فاتته لأن القضاء هو الفرض الثاني . فإن قيل كيف يجوز أن يكون من مخاطبين بذلك ولم يكن من موجودين في ذلك الوقت و من المحال أن يخاطب المعدوم . قلنا الأوامر على ضربين أحدهما على الإطلاق فالمأمور يجب أن يكون قادراً مزاح العلة فضلاً على وجوده والآخر يكون أمراً بشرط فالمأمور لا يجب أن يكون كذلك في الحال ولكن بشرط أن يوجد ويصير قادراً مزاح العلة متمكناً . وإذ ثبت هذا فأوامر الله تعالى وأوامر الرسول ع كانت أوامر للمكلفين الموجودين في ذلك الزمان على تلك الصفات وكانت أوامر لمن بعدهم بشرط أن يوجدوا ويصيروا قادرين مترددي الدواعي على ما ذكرناه والأمر على هذا الوجه يكون حسناً فإنه يحسن من الواحد منا أن يأمر النجار بإنجار باب غدا بشرط أن يمكنه مما يحتاج إليه من الآلات وغيرها وإن لم يمكنه في الحالة . وإنما أوردت هذه الجملة استيناساً للناظر فيه وهو التنبيه للفقير - قرآن- ٤٥٨-٤٨٩] صفحہ ١٠ [

باب الوضوء

إشارة

أما قوله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ . فإنه يدل بظاهره على وجوب أربعة أفعال مقارنة للوضوء ويدل من فحواه على وجوب النية فيه لأنه عمل والأعمال بالنيات . ثم اعلم أن القيام إلى الصلاة ضربان أحدهما أن يقوم للدخول فيها والآخر أن يتأهب باستعمال الطهارة للشروع فيها فالأول لا يصح من دون الثاني والثاني إنما يجب بشرط تقدم الأول فبهذا الخطاب أمرهم الله أنهم إذا أرادوا القيام إلى الصلاة وهم على غير طهر أن يغسلوا وجوههم ويفعلوا ما أمرهم الله به فيها . وحذف الإرادة لأن في الكلام دلالة عليه ومثله قوله تعالى فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مَعْنَاهُ إِذَا أُرِدْتَ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ فَاسْتَعِذْ وَقَوْلُهُ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ مَعْنَاهُ فَأُرِدْتَ أَنْ تَقِيمَ لَهُمُ الصَّلَاةَ . وألذى يدل عليه هو أن الله أمر بغسل الأعضاء إذا قام إلى الصلاة بقوله إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ لَا يَغْسِلُ أَعْضَاءَهُ لِأَنَّهُ لَا يَقُومُ إِلَيْهَا لِيُصَلِّيَ إِلَّا وَقَدْ غَسَلَ الْأَعْضَاءَ أَوْ فَعَلَ مَا قَامَ مَقَامَهُ فَعَلِمَ أَنَّهُ أَرَادَ إِذَا أُرِدْتَ الْقِيَامَ إِلَى الصَّلَاةِ فَغَسَلَ أَعْضَاءَكَ فَأَمَرَ بِغَسْلِ الْأَعْضَاءِ فَتَبَّتَ أَنَّ الْغَسْلِينَ وَالْمَسْحِينَ كِلَيْهِمَا وَاجِبٌ فِي هَذِهِ الطَّهَارَةِ . ويدل قوله تعالى

ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا على -قرآن- ١٨-١٧٩-قرآن- ٦٧٦-٧١٧-قرآن- ٧٦٢-٨٠٧-قرآن- ٩١٧-٩٥٣-قرآن- ١٢٢٥-١٢٨٥ [صفحة ١١] وجوب عشر كفيات مقارنة للوضوء و على وجوب أربعة أشياء قبل الوضوء وهى تركان وعلان .

فصل

و إذا ثبت وجوب الطهارة لأن الله أمر بها والأمر فى الشرع يحمل على الوجوب لا يحمل على الندب إلا القرينة فاعلم أنهم اختلفوا هل يجب ذلك كلما أراد القيام إلى الصلاة أو فى بعضها أو فى أى حال هى. فقال قوم المراد به إذا أراد القيام إليها و هو على غير طهر و هو المروى عن ابن عباس وجابر. وقيل معناه إذا قمتم من نومكم إلى الصلاة وروى أن الباقر سئل ما المراد بالقيام إليها فقال المراد به القيام من النوم -رواية- ١-٢-رواية- ٩-٨٤. وقيل المراد به جميع حال قيام الإنسان إلى الصلاة فعليه أن يجدد طهر الصلاة عن عكرمه و قال كان على ع يتوضأ لكل صلاة و يقرأ هذه الآية -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-٦٤ و هذا محمول على الندب و عن ابن سيرين كان الخلفاء يتوضئون لكل صلاة و عن ابن عمر كان الفرض أن يتوضأ لكل صلاة ثم نسخ ذلك بالتخفيف فقد حدثته أسماء بنت زيد بن الخطاب أن عبد الله بن حنظلة بن أبى عامر الغسيل حدثها أن النبى ص أمر بالوضوء عند كل صلاة فشق ذلك عليه فأمر بالسواك ورفع عنه الوضوء إلا من حدث فكان عبد الله يرى ذلك فرضا -رواية- ١-٢-رواية- ٣٩-٢١٤ [صفحة ١٢] وروى سليمان بن بريدة عن أبيه أن النبى ص كان يتوضأ لكل صلاة فلما كان عام الفتح صلى الصلوات بوضوء واحد فقال عمر يا رسول الله صنعت شيئا ما كنت تصنعه فقال عمدا فعلته -رواية- ١-٢-رواية- ٣٦-١٨٣

فصل

والآية تدل على جميع ما ذكرناه من الواجب والندب لغه وأقوى الأقوال ما حكيناه أولا من أن الفرض بالوضوء يتوجه إلى من أراد الصلاة و هو على غير طهر فأما من كان متطهرا فعليه ذلك استحبابا. و قال الحسين بن على المغربى معنى إذا قمتم إذا قمتم عليها وهمتم بها قال الراجز للرشيد -قرآن- ٢٣٢-٢٤٢ ماقاسم دون الفتى ابن أمه || و قدر ضيناه فقم فسمه فقال يا أعرابى ما رضيت أن تدعوننا إلى عقدة الأمر له قعودا حتى أمرتنا بالقيام فقال قيام عزم لا قيام جسم و قال خزيم الهمدانى فحدثت نفسى أنها أوحى لها || أتانا عشاء حين قمنا لنهجع أى حين عزمنا للهجوع . و قال قوم إن الله تعالى أنزل هذه الآية إعلاما للنبى ص أنه لا وضوء عليه واجبا إلا إذا قام إلى الصلاة و ما يجرى مجراها من العبادات لأنه كان إذا أحدث امتنع من الأعمال كلها حتى نزلت هذه الآية فأباح الله له بها أن يفعل ما بدا له من الأعمال بعد الحدث توضحا أو لم يتوضأ إلا العمل الصلاة فإنه [صفحة ١٣] يجب عليه أن يتوضأ له . و فى الآية نيف وعشرون حكما سوى التفرجات الداخلة تحتها والامتحان يستخرجها فالحوادث غير متناهية وعموم النصوص أيضا غير متناهية و إن كانت النصوص متناهية فلاحاجة إلى القياس شرعا.

فصل

وقوله فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ أمر منه تعالى بغسل الوجه والأمر شرعا يقتضى الوجوب وإنما يحمل على الندب لقرينة و غير ممتنع أن

يراد باللفظ الواحد في الحالين لأنه لاتنافی بينهما. والغسل جريان الماء أو كالجريان فقد رخص عندعوز الماء مثل الدهن واختلفوا في حد الوجه الذي يجب غسله فحده عندنا من قصاص شعر الرأس إلى محادر شعر الذقن طولاً و مادخل بين الإبهام والوسطى عرضاً و ماخرج عن ذلك فلايجب غسله و منازل من المحادر لايجب غسله . والدليل عليه من القرآن جملة قوله وَ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ قَدِّينَهَا ع . و أما ماغطاه الشعر كالذقن والصدغين فإن إمرار الماء على ماعلا عليه من الشعر يجزى من غسل مابطن منه من بشره الوجه . و الذي يدل عليه أن ماذكرناه مجمع على أنه من الوجه و من ادعى الزيادة فعليه الدلالة و لادليل شرعا لمن خالفنا فيه . و قال عبدالجبار لوخيلنا والظاهر لكان بعدنابات اللحية يجب إيصال الماء -قرآن- ٢٩-٩-قرآن- ٤٨٥-٥١٧ [صفحة ١٤] إلى البشرة التي هي تحتها كمايلزم ذلك من لالحية له إلا أن الدلالة قامت على زوال وجوب ذلك بستر اللحية والآية تدل عليه لأن إفاضة الماء على مايقابل هذه البشرة و ماسقط من اللحية عن الوجه فلايلزم فيه على وجه . و إن نبت للمرأة لحية فكمثل الرجل . و كل مسألة شرعية لها شعب ووجوه فإذاسألک عنها سائل فتبثت في الجواب فلا تجبه بلا أو بنعم على العجلة و تصفح حال المستفتى فإن كان عامياً يطلب الجواب ليعمل به ويعول عليه فاستفسره عن الذي يقصده ويريد الجواب عنه فإذاعرفت مايريد بعينه أجبتة عنه و لاتتجاوز إلى غيره من الوجوه فليس مقصود هذاالسائل إلاالوجه الذي يريد بيان حكمه ليعمل به و إذا كان السائل معاندا يريد الإعانة تستفسره أيضا عن الوجه الذي يريد من المسألة فإذاذكره أفتيته عنه بعينه و لاتتجاوزه إلى غيره أيضا فليس مقصوده طلب الفائدة وإنما هو يطلب المعاندة فضيق عليه سبيل العناد و إن كان السائل مستفيدا يطلب بيان وجوه المسألة والجواب عن كل وجه ليعلمه ويستفيده فأوضح له الوجوه كلها واجعل الكلام منقسما لثلا يذهب شيء من بابه و هذاالعمري استظهار للعالم في جميع العلوم إن شاء الله تعالى .

فصل

وقوله وَ أَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ عطف على وَجُوهَكُمْ فالواجب غسلهما. ويجب عندنا غسل الأيدي من المرافق وغسل المرافق معهما إلى رءوس الأصابع و لايجوز غسلها من الأصابع إلى المرافق إلا عندالضرورة فقد قال الله تعالى مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ . و إلى في الآية بمعنى مع كقوله وَ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ . -قرآن- ٩-٣٨-قرآن- ٤٨-٥٧-قرآن- ٢٢٨-٢٦٨-قرآن- ٣٠٣-٣٤٤ [صفحة ١٥] وإنما قلنا ذلك لأن إلى قد تكون بمعنى الغاية و قد تكون بمعنى مع حقيقةً فيهما و لاختلاف بين أهل اللسان أن كل لفظة مشتركة بين معنيين أو معان كثيرة إنما يتميز بعضها دون بعض بما يقترن إليها من القرائن فإذاصح اشتراك لفظة إلى في معنى الغاية ومعنى مع حقيقةً لاستعارة و مجازاً وانضاف إلى واحد منهما و هو ماذكرناه إجماع الطائفة ثبت ماأردناه من وجوب ابتداء غسل الأيدي من المرافق وغسلها معها إلى رءوس الأصابع . و قد قال جماعة من الخاصة والعامه أن حمل إلى في هذاالموضع على معنى مع أولى من حمله على معنى الغاية لأنه أعم و فيه زيادة في فائدة الخطاب واحتياط في الطهارة واستظهار بدخول المرافق في الوضوء و في معنى الغاية إسقاط الفائدة وترك الاحتياط وإبطال سائر ماذكرناه ويؤكد ذلك قراءة أهل البيت ع فاغسلوا وجوهكم وأيديكم من المرافق . على أن المرتضى رضى الله عنه قال إن الابتداء في غسل اليدين للوضوء من المرافق والانتهاء إلى أطراف الأصابع الأولى أن يكون مسنوناً ومندوباً إليه لا أن يكون فرضاً حتماً والفقهاء يقولون لعل هوخير بين الابتداء بالأصابع و بين الابتداء بالمرافق . و قال الزجاج لو كان المراد يالي مع لوجب غسل اليد إلى الكتف لتناول الاسم له قال وإنما المراد يالي الغاية والانتهاء لكن المرافق يجب غسلها مع اليدين . و هذا الذي ذكره ليس بصحيح لأننا لوخيلنا و ذلك لقلنا بما قاله لكن [صفحة ١٦] أخرجه دليل و هو إجماع الأمة على أن من بدأ من المرافق كان

وضوؤه صحيحا و إذا جعلت غايةً ففيه الخلاف . واختلف أهل التأويل في ذلك فقال مالك بن أنس يجب غسل اليدين إلى المرفقين و لا يجب غسل المرفق و هو قول زفر . و قال الشافعي لا أعلم خلافا في أن المرافق يجب غسلها . و قال الطبري غسل المرفقين و مافوقهما مندوب إليه غير واجب و قد اعتذر له بأن معنى كلامه أن وجوب ذلك يعلم من السنة لا من الآية . وإنما اعتبرنا غسل المرافق لإجماع الأمة على أن من غسلهما صحت صلاته و من لم يغسلهما ففيه الخلاف . و قيل الآية مجمله فالواجب الرجوع إلى البيان و قد ثبت أنه ص غسلهما فيما حكاه كبار الصحابة في صفته و ضوئه فصار فعله بيانا للآية كما أن قوله كذلك . و ليس لأحد أن يقول إن ظاهر قوله فَأَغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى المَرَافِقِ يوجب أن يكون المرفق غايةً في الوضوء لا أن يكون مبدوءا به أو يغسل المرفق معها . لأننا قدينا بأن إلى بمعنى مع والغاية على سبيل الحقيقة و قرينه إجماع الأمة أن غسل المرافق واجب فلو كان إلى للغاية هنا لم يلزم غسل المرفق على مقتضى وضع اللغة لأن ما بعد إلى إذا كانت للغاية لا يدخل فيما قبلها إلا فلا تكون غاية . -قرآن- ٧٠٩-٧٦٠ [صفحة ١٧]

فصل

قوله وَ امْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ مجمله فعليه معطوفة على الجملة المتقدمة وهي تقتضي الإيجاب حيث تقتضيه الأولى و تتناول الندب حيث تتناوله الأولى و لا فرق بين المقتضيين في الجملتين على حال لمكان الواو العاطفة . وكذلك يجب أن يكون حكم أرجلكم حكم رءوسكم لمكان واو العاطفة أيضا سواء كان عطفا على اللفظ أو على المحل لأن جميع ذلك اسم لشيء واحد و هو الوضوء فإن اقتصر على بعضها اختيارا فلا وضوء . فإذا ثبت ذلك فاعلم أنهم اختلفوا في صفته المسح فقال قوم يمسح منه ما يقع عليه اسم المسح و هو مذهبنا و به قال عبد الله بن عمر و القاسم بن محمد و الشافعي . و قال مالك يجب مسح جميع الرأس . و قال أبو حنيفة لا يجوز مسح الرأس بأقل من ثلاثة أصابع و هذا عندنا على الاستحباب . و لا يجوز المسح عندنا إلا على مقدم الرأس و هو المروي عن ابن عمر و القاسم بن محمد و الطبري و لم يعتبره أحد من الفقهاء و قالوا أي موضع مسح أجزاءه . وإنما اعتبرنا المسح ببعض الرأس فضلا على النص من آل محمد ع لدخول الباء الموجبة للتبويض لأن دخولها في الإثبات في الموضع الذي يتعدى الفعل فيه بنفسه لا وجه له غير التبويض و إلا لكان لغوا و حملها على الزيادة لا يجوز مع إمكانها على فائدة مجددة . -قرآن- ٧-٢٩ [صفحة ١٨] فإن قيل يلزم على ذلك المسح ببعض الوجه في التيمم في قوله فَأَمْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ مِنْهُ قَلْنَا كذلك نقول فإن في التيمم يمسح الوجه بين قصاص الشعر إلى طرف الأنف على ما نصوا عليه . و من غسل الرأس فإنه لا يجزئه عن المسح عندنا و خالف جميع الفقهاء في ذلك و قالوا يجزئه لأنه يشتمل عليه . و هذا غير صحيح لأن حد المسح شرعا هو إمرار العضو الذي فيه نداوة على العضو الممسوح من غير أن يجري عليه الماء والغسل لا يكون إلا بجريان الماء عليه بعلاج و غير علاج فمعناهما مختلف و لو كانا واحدا لما ورد الأمر بهما و اقتصر بقوله فَأَغْسِلُوا و لم يقل بعده وَ امْسَحُوا و ليس إذا دخل المسح في الغسل يسمى الغسل مسحا كما أن العمامة لا تسمى خرقة و إن كانت تشتمل على خرق كثيرة . و قال الشافعي الأذنان ليستا من الوجه و لا من الرأس . -قرآن- ٦٦-١٠٧-قرآن- ٥٥٢-٥٦١-قرآن- ٥٧٨-٥٨٨

فصل

و قوله وَ أَرْجُلَكُمْ من قرأها بالجر عطفتها على اللفظ و ذهب إلى أنه يجب مسح الرجلين كما واجب مسح الرأس و من نصب

فكمثله لأنه ذهب إلى أنه معطوف على موضع الرءوس فإن موضعهما نصب لوقوع المسح عليهما فالقراءتان جميعا تفيضان المسح على ماذهب إليه . وممن قال بالمسح ابن عباس و الحسن البصرى والجبائى والطبرى وغيرهم . وعندنا أن المسح على ظاهرهما من رءوس الأصابع إلى الكعبين . -قرآن- ٩-٢١ قال ابن عباس وأنس الوضوء غسلتان ومسحتان -روايت- ١-٢-روايت- ٢٤-٤٨ . [صفحہ ١٩] وقال عكرمة ليس على الرجلين غسل إنما فيهما المسح و به قال الشعبي و قال ألا ترى أن فى التيمم مسح ما كان غسلا ويلغى ما كان مسحاً . و قال قتادة افترض الله مسحين وغسلين . وروى أوس بن أوس قال رأيت النبى ص توضأ ومسح على نعليه ثم قام وصلى وكذلك روى حذيفة -روايت- ١-٢-روايت- ٢٧-٩٦ وروى حبة العرنى رأيت عليا ع شرب فى الرحبة قائما ثم توضأ ومسح على نعليه -روايت- ١-٢-روايت- ٢١-٨٠ ووصف ابن عباس وضوء رسول الله ص و أنه مسح على رجله و قال إن فى كتاب الله المسح ويأبى الناس إلا الغسل -روايت- ١-٢-روايت- ٣-١١٩ . والغسل فى اللغة إجراء الماء على الشىء على وجه التنظيف والتحسين وإزالة الوسخ عنه ونحوها ومسحه بالماء إيصال رطوبته إليه فقط كما ذكرناه . و قال على ع ما نزل القرآن إلا بالمسح -روايت- ١-٢-روايت- ١٨-٤٥ و أما الكعبان فهما عندنا الناتان فى وسط القدم و به قال محمد بن الحسن الشيبانى و إن أوجب الغسل . و قال أكثر الفقهاء هما عظاما الساقين . يدل على ماقلناه أنه لو أراد ما قالوا لقال سبحانه إلى الكعب لأن فى الرجلين منها أربعة . فإن ادعوا تقديرا بعد قوله وَ امْسِجُوا بِرُؤُسِكُمْ وَ أَرْجُلِكُمْ أى كل واحدة إلى الكعبين كما فى قولهم اكسنا حلة أى اكس كل واحد منا حلة فذلك مجاز وحمل الكلام على الحقيقة إذا أمكن أولى و هو قولنا . -قرآن- ٢٦٣-٢٩٩ [صفحہ ٢٠] فإن قيل كيف قال إلى الكعبين و على مذهبكم ليس فى كل رجل إلا كعب واحد . قلنا إنه تعالى أراد رجلى كل متطهر و فى الرجلين كعبان و لوبنى الكلام على ظاهره لقال وأرجلكم إلى الكعب والعدول بلفظاً أرجلكم إلى أن المراد بهار جلا كل متطهر أولى من حملها على كل رجل . -قرآن- ٢٠-٣٥-قرآن- ٢٠٧-٢١٦

فصل

إن قيل القراءه بالجرح فى أرجلكم ليست بالعطف على الرءوس فى المعنى وإنما عطف عليها على طريق المجاورة كما قالوا جرح ضب خرب و خرب من صفات الجرح لا بالضب . قلنا أولا- إن العرب لم تتكلم به إلا ساكنا فقالوا خرب فإنهم لا يقفون إلا على الساكن فلا يستشهد به و بعد التسليم فإنه لا يجوز فى الآية من وجوه أحدها ما قال الزجاج إن الإعراب بالمجاورة لا يكون مع حرف العطف و فى الآية حرف العطف الذى يوجب أن يكون حكم المعطوف حكم المعطوف عليه و ما ذكره ليس فيه حرف العطف فأما قول الشاعر فهل أنت إن ماتت أتانك راحل || إلى آل بسطام بن قيس فخطب قالوا جرح مع حرف العطف الذى هو الفاء فإنه يمكن أن يكون أراد الرفع وإنما جرح الراوى وهما و يكون عطفاً على راحل فيكون قد أقوى لأن القصيدة مجرورة و قال قوم أراد بذلك الأمر وإنما جرح لإطلاق الشعر . والثانى أن الإعراب بالمجاورة إنما يجوز مع ارتفاع اللبس فأما مع [صفحہ ٢١] حصول اللبس فلا يجوز ولا يلتبس على أحد أن خرب صفة جرح لا ضب و ليس كذلك فى الآية لأن الأرجل يمكن أن تكون ممسوحة ومغسولة فلاشتباه حاصل هنا ومرتفع هناك . و أما قوله و حور عين فى قراءة من جرهما فليس بمجرور على المجاورة بل يحتمل أمرين أحدهما أن يكون عطفاً على قوله يطوف عليهم ولدان مخلصون بأكواب و أباريق و كأس من معين إلى قوله و حور عين فهو عطف على أكواب وقولهم إنه لا يطاف إلا بالكأس غير مسلم بل لا يمتنع أن يطاف بالحور العين كما يطاف بالكأس و قد ذكر فى جملة ما يطاف به الفاكهة واللحم . والثانى أنه لما قال أولئك المقربون فى جنات النعيم عطف بقوله و حور عين على جنات النعيم فإنه قال هم فى جنات النعيم و فى مقاربة أو معاشره حور عين ذكره أبو على الفارسى . و من

قال القراءه بالجر يقتضى المسح على الخفين فقوله باطل لأن الخف لا يسمى رجلا فى لغه و لا شرع و الله أمر بإيقاع الفرض على ما يسمى رجلا على الحقيقه. -قرآن- ٢٧٨-٣٥٧-قرآن- ٣٦٩-٣٨٢-قرآن- ٥٦٣-٥٦٦-قرآن- ٦١٨-٦٣١-قرآن- ٦٣٧-٦٥٣-٦٥٣

فصل

و إن قيل فى القراءه بالنصب فى أرجلكمهى معطوفه على قوله وَ أَيْدِيكُمْ فى الجملة الأولى. -قرآن- ٣٤-٤٣-قرآن- ٦٥-٧٧ [صفحه ٢٢] فيقال إن هذا غير صحيح لأنه لا يجوز أن يقول القائل اضرب زيدا وعمرا وأكرم بكرا وخالدا ويريد بنصب خالدا العطف على زيدا وعمرا المضروبين لأن ذلك خروج عن فصاحة الكلام ودخول فى معنى اللغز فإن أكرم الأمور خالدا فيكون ممثلا لأمره معذورا عند العقلاء و إن ضربه كان ملوما عندهم و هذامما لامحيص عنه . على أن الكلام متى حصل فيه عاملان قريب و بعيد لا يجوز إعمال البعيد دون القريب مع صحه حمله عليه و بمثله ورد القرآن و فصيح الشعر قال تعالى وَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا و لو أعمل الأول لقال كما ظننتموه و قال آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا و لو أعمل الأول لقال أفرغه و قال هاؤم اقرؤا كتابيه و لو أعمل الأول لقال هاؤم اقرءوه و إليه ذهب البصريون . فأما من يختار إعمال الأول من الكوفيين فإنه لا يجيز ذلك فى مثل الموضع الذى نحن فيه و ليس قول إمرئ القيس -قرآن- ٤٥٧-٥١٨-قرآن- ٥٦١-٥٩٠-قرآن- ٦٢٨-٦٥١ فلو أن ما أسعى لأدنى معيشه || كفانى و لم أطلب قليل من المال من قبيل مانحن بصدده إذ لم يوجه فيه الفعل الثانى إلى ما وجه إليه الأول و إنما أعمل الأول لأنه لم يجعل القليل مطلوبا و إنما كان المطلوب عنده الملك و جعل القليل كافيا و لو لم يرد هذا و نصب لفسد المعنى و على هذا يعمل الأقرب أبدا أنشد سيويه قول طفيل جرى فوقها فاستشعرت لون مذهب [صفحه ٢٣] و قال كثير قضى كل ذى دين فوفى غريمه || وعزه ممطول معنى غريمها و لو أعمل الأول لقال فوفاه غريمه والاستدلال بقوله ممطول معنى غريمها أولى لأن قوله عزه مبتدأ و ممطول خبره و معنى كذلك و كل واحد منهما فعل للغريم فلا يجوز رفعه بممطول فيبقى معنى و قد جرى خيرا على عزه و هو فعل لغيرها فيجب إبراز ضميره . فأما من قال إن قوله وَ أَرْجُلَكُمْ منصوبه بتقدير واغسلوا أرجلكم كما قال -قرآن- ٢٧٥-٢٨٧ متقلدا سيفا ورمحا و علفتها تبنا و ماء باردا فقد أخطأ أيضا لأن ذلك إنما يجوز إذا استحال حمله على ما فى اللفظ فأما إذا جاز حمله على ما فى اللفظ فلا يجوز هذا التقدير.

فصل

و قد ذكرنا من قبل أن قوله وَ أَرْجُلَكُمْ بالنصب معطوف على موضع بَرُّؤُسٍ كَمَا لَأَنَّ موضعها النصب و العطف على الموضع جائز حسن كما يجوز على اللفظ لافرق بينهما عند العرب فى الحسن لأنهم يقولون لست بقائم و لا قاعدا أو لا قاعد و إن زيدا فى الدار و عمرو و فرغ عمرو و بالعطف على الموضع كما نصب قاعدا لأنه معطوف على محل بقائم قال الشاعر -قرآن- ٢٩-٤١-قرآن- ٦٦-٧٦ معاوى إننا بشر فأسجح || فلسنا بالجبال و لا الحديد مقدر لكل شبهة. و صح أن الحكم فى الآية المسح فى الرجلين و قد تقل الشبهه فى القراءه [صفحه ٢٤] بالجر على ما قدمناه . و من قال يجب غسل الرجلين لأنهما محدودتان كاليدين فقوله ليس بصحيح لأننا لانسلم أن العله فى كون اليدين مغسولتين كونهما محدودتين و إنما وجب غسلهما لأنهما عطفتا على عضو مغسول و هو الوجه و كذلك إذا عطف الرجلان على ممسوح و هو الرأس و وجب أن يكونا ممسوحتين و الفصاحة فيما قال الله فى الجملتين ذكر معطوفا و معطوفا عليه أحدهما محدود و الآخر غير محدود فيهما. و روى أن الحسن قرأ و أرجلكم بالرفع فإن صحت هذه

القراءة فالوجه أنه الابتداء وخبره مضمرة أى وأرجلكم ممسوحة كما يقال أكرمت زيدا وأخوه أى وأخوه أكرمه فأضمرة على شريطة التفسير واستغنى بذكره مرة أخرى إذا كان فى الكلام الذى يليه ما يدل عليه و كان فيما أبقي دليل على ما ألقى فكأن هذه القراءة وإن كانت شاذة إشارة إلى أن مسح الرأس ببقية النداء من مسح الرأس كما هو. ويدل أيضا على وجوب الموالاة لأن الواو إذا واو الحال فى قوله وأرجلكم بالرفع .

فصل

وهذه الآية تدل على أن من غسل وجهه مرة وذراعيه مرة مرة أدى الواجب على ما فصله الأئمة ع ودخل فى امتثال ما يقتضيه الظاهر لأن لفظ الأمر يدل على المرة الواحدة ويحتاج على الاقتصار أو التكرار إلى دليل آخر فلما ورد أن النبى ص توضأ مرة مرة وتوضأ مرتين مرتين علم أن الفرض [صفحہ ۲۵] مرة واحدة والثانية سنة لأن الآية مجمله وبيانها فعله ع . وكذلك تدل الآية على أنه لا يجوز أن يجعل مكان المسح غسلا ولا بدل الغسل مسحاً لأن الله أوجب بظاهر الآية الغسل فى الوجه واليدين وفرض المسح فى الرأس والرجلين فمن مسح ما أمر الله بالغسل أو غسل ما أمر بالمسح لم يكن ممثلاً للأمر لأن مخالفة الأمر لا تجزى فى مثل هذا الموضع . وتدل الآية أيضا على أنه يجب تولى المتطهر وضوءه بنفسه إذا كان متمكنا من ذلك ولا يجزیه سواه لأنه قال فَاغْسِلُوا أُمَّرَ بَانَ يَكُونُوا غَاسِلِينَ وَمَاسِحِينَ وَالظَّاهِرُ يَقْتَضِي تَوْلَى الْفِعْلِ حَتَّى يَسْتَحِقَّ التَّسْمِيَةَ لِأَنَّ مِنْ وَضْأِهِ غَيْرُهُ لَا يُسَمَّى غَاسِلًا وَلَا مَاسِحًا عَلَى الْحَقِيقَةِ . وَيَزِيدُ ذَلِكَ تَأْكِيدًا - قرآن - ۴۵۷-۴۶۶ - ماروى أن الرضاع رأى المأمون يتوضأ بنفسه والغلام يصب الماء عليه فقرأ ع وَ لَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا - روايت - ۱-۲ - روايت - ۱۰-۱۲۰ - فإذا كان هذا مكرها فينبغى أن يكون الأول محظورا . وفى الآية أيضا دلالة على أن من مسح على العمامة أو الخفين لا يجزیه لأن العمامة لا تسمى رأسا والخف لا يسمى رجلا كما لا يسمى البرقع وما يستر اليدين وجها ولايدا . و ماروى فى المسح على الخفين أخبار آحاد لا يترك لها ظاهر القرآن على أنه روى المخالف عن أمير المؤمنين ع أنه قال نسخ ذلك بهذه الآية ولذلك قال ع لمن شهد لمسح الخفين أقبل المائدة أم بعدها عند عمر فقالوا لاندري فقال ع كان قبل المائدة - روايت - ۱-۲ - روايت - ۱۶۵-۳۵ . [صفحہ ۲۶]

فصل

وفى هذه الآية دلالة على أن الطهارة تفتقر إلى النية سواء كانت وضوءا أو غسلا أو ما يقوم مقامهما من التيمم وهو مذهب الشافعى أيضا . وقال أبو حنيفة الطهارة بالماء لا تفتقر إلى النية والتيمم لا بد فيه من نية . والدليل على صحته ما ذكرناه أن قوله إذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا تَقْدِيرَهُ أَى فَاغْسِلُوا لِلصَّلَاةِ وَإِنَّمَا حَذَفَ ذِكْرَ الصَّلَاةِ اخْتِصَارًا وَمَذْهَبُ الْعَرَبِ فِي ذَلِكَ وَاضِحٌ لِأَنَّهُمْ إِذَا قَالُوا إِذَا أُرِدْتَ لِقَاءَ الْأَمِيرِ فَالْبَسْ ثِيَابَكَ تَقْدِيرَهُ فَالْبَسْ ثِيَابَكَ لِلِقَاءِ الْأَمِيرِ . وَإِذَا أُمِرَ بِالْغَسْلِ لِلصَّلَاةِ فَلَا بَدَّ مِنَ النِّيَّةِ لِأَنَّ بِالنِّيَّةِ يَتَوَجَّهُ الْفِعْلُ إِلَى الصَّلَاةِ دُونَ غَيْرِهَا . - قرآن - ۲۴۷-۲۸۳ - وقوله ع الأعمال بالنيات - روايت - ۱-۲ - روايت - ۱۴-۳۲ - يؤكده .

فصل

و إذا صح بظاهر تلك الآية أن أفعال الوضوء الواجبة المقارنة له خمس النية وغسل الوجه وغسل اليدين ومسح الرأس ومسح

الرجلين. فاعلم أن في الآية أيضا دلالة على وجوب كفياتها العشر المقارنة له بظاها و من فحواها و لولا النصوص المجمع على صحتها في وجوب هذه الواجبات وغيرها الموجبة علما وعملا- لما أوردنا هذه الاستدلالات التي ربما يقال لنا إنها على أسلوب استخراجات الفقهاء إلا أنهم يرجمون رجما فيما طريقه العلم ونحن بعد أن قبلناه علما بالإجماع من الفرقة المحقة الذي هو حجة نتجاذب أهداب تلك [صفحہ ۲۷] الاستدلالات ونشبت بهانضيف بذلك فضيلة إلى فضيلة على أن أكثر مانتيه من أئمة الهدى ع . ولعمري إن الله قد أغنى الخلق عن التعسف بين وفصل الشريعة على لسان رسوله ص وألسنة حججه ع ما أجمله في كتابه من الأحكام لما في مجمل الكتاب وتفصيل السنة من دواء العليل وشفاء الغليل ماتصير الألفاظ الإلهية بهما أقوى وأبلغ . وكلا- الأمرين من الله جملة وتفصيلا ليس للرسول والأئمة ع في شيء من ذلك اجتهاد إنما هو علم علمهم الله نعمه عليهم ورحمة للعالمين حتى أرش الخدش .

فصل

والآية تدل على وجوب الترتيب في الوضوء من وجهين أحدهما أن الواو توجب الترتيب لغه على قول الفراء و أبي عبيد و شرعا على قول كثير من الفقهاء ولقوله ع ابدءوا بما بدأ الله به -رواية ۱- ۲-رواية ۱۴- ۳۹ . والثاني و هو على قول الجمهور أن الله أوجب على من يريد القيام إلى الصلاة إذا كان محدثا أن يغسل وجهه أولا لقوله تعالى إذا قمتم إلى الصلاة فأغسلوا و الفاء توجب الترتيب والتعقيب بلا- خلاف فإذا ثبت أن البداءة بالوجه هو الواجب ثبت في باقي الأعضاء لأن أحدا لا يفرق . ويقويه - قرآن- ۱۲۸- ۱۶۴ قوله ع للأعرابي حين علمه الوضوء فقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به -رواية ۱- ۲-رواية ۳- ۸۲ فإن كان رتب فهو كما نقول و إن لم يرتب لزم أن يكون من رتب [صفحہ ۲۸] لا- يجزيه و قد أجمعت الأمة على خلافه . و قال أبو مسلم بن مهريز أجد ما يقال على من أجاز وقوع الطهارة بغير الترتيب أنه قد ثبت أن فاعله مسيء بفعله والمسيء معاقب والاحتراز عن العقاب واجب قال والوجه اسم لما يناله البصر عند المواجهة من قصاص شعر الرأس إلى منتهى الذقن طولاً . و لم يحد الله الوجه كما حد اليد لأن الوجه معروف مختص يجب غسل جميعه واليد يشتمل على جميع ما هو من البنان إلى أصل الساعد و لا يجب غسل جميعها في الوضوء فلا بد فيها من التحديد. وأشار إلى مسح بعض الرأس بالباء التي ليست للتعدي و حد الرجلين لمثل ما ذكرناه في اليد.

فصل

وظاهر الآية يوجب غسل الأعضاء ومسحها متى أراد الصلاة و هو محدث فإذا غسلها بلا ترتيب ثم أراد الصلاة يجب أن يكون بعد مخاطبا به عملا بمقتضى الآية. على أن من أخطأ في الوضوء فقدم مؤخرا أو آخر مقدا يجب عليه أن يعيد لأن الترتيب في الوضوء واجب على ما ذكرناه من مقتضى الآية. و قال أبو جعفر ع تابع بين الوضوء كما قال تعالى ابدأ بالوجه ثم باليدين ثم امسح الرأس والرجلين و لا تقدم شيئا بين يدي شيء تخالف ما أمرت به فإن غسلت الذراع قبل الوجه فابدأ بالوجه وأعد على الذراع و إن مسحت الرجل -رواية ۱- ۲-رواية ۲۲- دامه دارد [صفحہ ۲۹] قبل الرأس فامسح على الرأس قبل الرجل ثم أعد على الرجل ابدأ بما بدأ الله عز و جل به -رواية ۱- ۲- ۹۴ . و هذا عام في العمدة والخطأ.

فصل

و فى الآيه أيضا دلالة على أن الموالاة واجبة فى الوضوء لأن الأمر شرعا يجب على الفور و لا يسوغ فيه التراخى إلا بدليل فإذا ثبت ذلك و كان المأمور بالصلاة فى وقتها مأمورا بالوضوء قبلها فيجب عليه فعل الوضوء عقيب توجه الأمر إليه وكذلك جميع الأعضاء الأربعة لأنه إذا غسل وجهه فهو مأمور بعد ذلك بغسل اليدين و لا يجوز له تأخيره . فإن فرق وضوءه للضرورة حتى يجف ماتقدم منه استأنف الوضوء من أوله و إن لم يجف وصله من حيث قطعه إذا كان الهواء معتدلا . و إن والى بين غسل أعضاء الطهارة و مسحها و جف شىء منها قبل الفراغ لحر شديد أو ريح من غير تقصير منه فيه فلا بأس إذا بقيت نداوة تكفى للمسح لأنه قال ما جعل عليكم فى الدين من حرج . و بمثل ذلك تدل الآيه على مقارنته النية و استدامه حكمها . -قرآن- ٦١٤-٦٥٤

فصل

و يدل قوله و امسحوا برؤوسكم و أرجلكم على أن من مسح رأسه ورجليه بإصبع واحدة فقد دخل تحت الاسم و يكون ماسحا . و لا يلزم على ذلك مادون الإصبع لأننا لو خيلنا و الظاهر لقلنا بذلك لكن السنة منعت منه . -قرآن- ١٣-٤٩ [صفحہ ٣٠] و صورته أن يمسح برأس مسبحة يمينه مقدم رأسه يضعها عليه عرضا مع الشعر إلى قصاصه ثم يمسح بها عرضا رجله اليمنى من أصابعها إلى الكعبين و بمسبحة اليسرى رجله اليسرى كذلك فهذا مجزئ . و الندب أن يمسح مقدم الرأس بثلاث أصابع مضمومة بالعرض و أن يمسح الرجلين بالكفين . و الباء فى قوله برؤوسكم كما تدل على مسح بعض الرأس تدل فى الرجلين أيضا عليه لأنها مضمرة فى أرجلكم و واد العطف منبئة عنه و قائمة مقامها و كل ما هو منوى فى الكلام فهو فى حكم الثابت على بعض الوجوه . -قرآن- ٢٩٤-٣٠٤-قرآن- ٣٧٧-٣٨٦

فصل

و تدل الآيه بقريب من ذلك على أن مسح الرأس و الرجلين ببقية نداوة الوضوء من غير استئناف ماء جديد لأن الأمر كما هو على الإيجاب شرعا فهو على الفور و إذا لم يشتغل المتطهر بأخذ الماء الجديد و اكتفى بالبله فهو على الفور و لأن اسم المسح يقع على كليهما فلا يصح أن يميز و يخصص بأحدهما إلا بقرينة تنضم إليه . و إجماع الطائفة الذى هو حجة حاصل على أن المسح ببقية الندوة و هو من أوثق القرائن على أنه سبحانه لم يذكر فى الآيه استئناف الماء و هذا قدم مسح . فإن قيل و لم يذكر المسح ببقية الندوة أيضا قلنا نحمل الآيه على العموم و نخصها بدليل إجماع الفرقه على أن المسح فى الشرع هو أن يبيل المحل بالماء من غير أن يسيل و الغسل إمرار الماء على المحل حتى يسيل مع الاختيار [صفحہ ٣١]

باب الغسل

إشاره

ثم قال سبحانه و تعالى عاطفا على تلك الجملة جملة أخرى فقال وَ إِن كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا. ولكل كلام حكم نفسه -قرآن- ٦٤- ٩٦ ولذلك قال ع إذا أجنب المكلف فقد وجب الغسل -رواية- ١- ٢- رواية- ١٨- ٥٢. فعلة الغسل هي الجنابة كما ذكره المرتضى في الذريعة فغسل الجنابة واجب على كل حال . وقد ذكرنا في كتاب الشجار في وجوب غسل الجنابة بيان ذلك على الاستقصاء وبيننا ما هو العمل عليه والمعمول على ما أشرنا هاهنا أيضا إليه . وقيل إن هذه الأحكام التي هي الغسل والتيمم الذي هو بدل منه أو من الوضوء من مقدمات الصلاة وشرائطها تجب لوجوبها أي وإن أصابتكم جنابة وأردتم القيام إلى الصلاة فاطهروا ومعناه فتطهروا بالاعتسال فهذه الجملة مفصلة بالجملة الأولى متعلقة بها لأن الآية من أولها إلى آخرها تبين شرائط الصلاة المتقدمة فلماذا كان حكم الجملة الأخيرة حكم الأولى لأنه قد ربطها الواو العاطفة بما قبلها حتى يقدح في ذلك بقوله وَ أُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَ رَبَائِكُمُ اللَّاتِي فِي -قرآن- ٦٤٣- ٦٩٣. فعلة الغسل هي الجنابة كما ذكره المرتضى في الذريعة فغسل الجنابة واجب على كل حال . وقد ذكرنا في كتاب الشجار في وجوب غسل الجنابة بيان ذلك على الاستقصاء وبيننا ما هو العمل عليه والمعمول على ما أشرنا هاهنا أيضا إليه . وقيل إن هذه الأحكام التي هي الغسل والتيمم الذي هو بدل منه أو من الوضوء من مقدمات الصلاة وشرائطها تجب لوجوبها أي وإن أصابتكم جنابة وأردتم القيام إلى الصلاة فاطهروا ومعناه فتطهروا بالاعتسال فهذه الجملة مفصلة بالجملة الأولى متعلقة بها لأن الآية من أولها إلى آخرها تبين شرائط الصلاة المتقدمة فلماذا كان حكم الجملة الأخيرة حكم الأولى لأنه قد ربطها الواو العاطفة بما قبلها حتى يقدح في ذلك بقوله وَ أُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَ رَبَائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ. -قرآن- ١- ١٠٩

فصل

ونبدأ أولا بفسر ألفاظ الآية وكشف معانيها ثم نشتغل بذكر الأحكام المتعلقة بها فنقول إن لفظ الجنب يقع على الواحد والجمع والاثنين والمذكر والمؤنث مثل عدل وخصم وزور ونحو ذلك إذ هو مصدر أو بمنزلة المصدر وقال الزجاج تقديره ذو جنب . وأصل الجنابة البعد لأنها حالة تبعد عن مقاربة العبادات إلى أن يتطهر بالاعتسال على بعض الوجوه . والاطهار هو الاعتسال بلا خلاف واطهر هو تطهر مدغما لأن التاء أدغم في الطاء فسكن أول الكلمة فريد فيها ألف الوصل . ومعنى الآية أي استعملوا الماء أو ما يقوم مقامه . والجنابة تحصل بشيئين إما بإنزال الماء الدافق في النوم واليقظة بشهوة أو بغير شهوة أو باللقاء الختانيين وجب غيبوبة الحشفة في القبل أنزل أو لم ينزل . وقال أبو مسلم بن مهريز يُلزم الرجل حكم الجنابة من أمور منها أن يجامع في قبل أو دبر ومنها أن يلتقي الختانان وإن لم يكن إنزال ولا ماء شهوة ومنها أن يحتلم في النوم بشرط أن يجد بللا- والأغسال المفروضة والمسنونة سبعة وثلاثون غسلا منها ستة أغسال مفترضات والباقية نوافل . [صفحة ٣٣] و لم يورد المشايخ تغسيل الأموات من جملة الواجبات ولا غسل نظارة المصلوب بعد ثلاثة أيام ولا غسل استسقاء ولا غسل من أسلم بعد الكفر فلذلك نقص عن هذا العدد. والفرض المذكور بظاهر اللفظ في القرآن منها اثنان غسل الجنابة والحيض قال تعالى وَ إِن كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا فوجب بظاهر هذا اللفظ الغسل وقال سبحانه وَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٌّ فَاعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَيَمْنِ قَرَأَ بالتشديد وقد بينا أن الاطهار هو الاعتسال وسيجيء بيانه في بابه إن شاء الله تعالى . -قرآن- ٢٤٧-

٢٧٩-قرآن- ٣٢٢- ٤٣٦

فصل

و ليس على الجنب وضوء مع الغسل فإن قوله وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا هو على الإطلاق غير مقيد و لامشروط بالوضوء و من اغتسل من الجنابة فقد طهر بلا خلاف . و كل غسل ماعدا غسل الجنابة يجب الوضوء قبله حتى يستباح به الدخول فى الصلاة فإن نسيه المغتسل فليتوضأ بعد الغسل لتصح منه الصلاة. و غسل المرأة من الجنابة كغسل الرجل سواء لاناقد بينا فى قوله جُنُبًا إِنْ الجنب يقع على الرجال والنساء و الرجل والمرأة فينبغى أن يكون حكم الجنابة و حكم غسل الجنابة فيهما سواء و إن ورد الخطاب بلفظ المذكورين فى قوله وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَإِنَّ ذَلِكَ لِتَغْلِيْبِ لَفْظِ الرَّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ إِذَا اجْتَمَعُوا. والأغسال الآخر الواجبة وهى أربعة يعلم وجوبها بالإجماع والسنة وبقوله -قرآن- ٧٧-٤٥-٧٧-قرآن- ٣٦٠-٣٦٦-قرآن- ٥٢١-٥٢١- [صفحة ٣٤] تعالى على سبيل الجملة ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا. و قال المرتضى غسل من مس ميتا من الناس مستحب غير واجب وإنما ذكره كذلك لخبر ورد للتقية. والجنب إذا أراد الغسل يجب عليه سته أشياء ويعلم هذا من السنة على سبيل التفصيل و من القرآن على سبيل الجملة قال تعالى ما آتاكم الرسول فخذوه و قد فصلها رسول الله ص و رواها الأئمة المعصومون ع كما علمه الله غضا طريا. و قال بعضهم لا يجب الاغتسال على الجنب بقوله فَاطَّهَّرُوا بِلِ تَفْسِيْرِهِ فى قوله إِلَّا عَابِرِي سَبِيْلِ حَتَّى تَغْتَسِلُوا فى سورة النساء. فإن قيل مامعنى تكرير قوله أَوْ لَمْ تَسْتَمِ النَّسَاءُ إِنْ كَانَ مَعْنَى اللَّامِسِ الْجَمَاعَ مَعَ قَوْلِهِ وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا. قلنا يمكن أن يقال إن الجنابة فى الأول تحمل على الاحتلام و فى الثانى على الجنابة عمدا. وقيل إن المعنى فى قوله وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا غير المعنى بقوله أَوْ لَمْ تَسْتَمِ النَّسَاءُ لَأَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا إِذَا كُنْتُمْ وَاجِدِينَ لِلْمَاءِ مَتَمَكِّنِينَ لِاسْتِعْمَالِهِ ثُمَّ بَيْنَ حُكْمِهِ إِذَا عَدِمَ الْمَاءُ أَوْ لَا يَتِمُّكَ مِنْ اسْتِعْمَالِهِ فَالْتِيْمُ هُوَ فَرْضُهُ وَ هُوَ طَهَارَتُهُ فَأَرَادَ إِذَا كَانَ لَهُ سَبِيْلٌ إِلَى الْمَاءِ فَعَلِيْهِ أَنْ يَغْتَسِلَ وَ إِنْ جَامَعَ وَ لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ فَعَلِيْهِ التِيْمُ فَالْأَوَّلُ فى حكمه مع وجود الماء والثانى فى حكمه مع عوز الماء -قرآن- ٢٥-٨٥-قرآن- ٣٠٤-٣٣٣- قرآن- ٤٥٩-٤٦٩-قرآن- ٤٩٢-٥٣١-قرآن- ٥٧٧-٥٩٨-قرآن- ٦٣٨-٦٧٠-قرآن- ٧٩٠-٨٢٢-قرآن- ٨٤١-٨٦٢-قرآن- ٨٧٩-٩١١] [صفحة ٣٥]

باب التيمم

إشارة

ثم قال تعالى وَ إِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمْ تَسْتَمِ النَّسَاءُ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ بَيْنَ تَعَالَى أَحْكَامِ التِيْمَمِ الْخَمْسَةِ وَأَشَارَ إِلَى أَنَّهُ عَلَى ضَرْبَيْنِ تِيْمَمٌ هُوَ بَدَلٌ مِنَ الْوُضُوءِ وَ تِيْمَمٌ هُوَ بَدَلٌ مِنَ الْغَسْلِ الْمَفْرُوضِ . قال المفسرون معنى الآية أنه لما تقدم الأمر بالوفاء بالعقود و من جعلتها إقامة الصلاة و من شرائطها الطهارة بين سبحانه و تعالى و قال يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ أَى إِذَا أَرَدْتُمْ الْقِيَامَ إِلَيْهَا وَأَنْتُمْ عَلَى غَيْرِ طَهْرٍ فَعَلَيْكُمْ الْوُضُوءُ وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا عِنْدَ ذَلِكَ فَاغْتَسِلُوا أَى اغْسِلُوا جَمِيعَ الْبَدَنِ عَلَى وَجْهِهِ وَ إِنْ كُنْتُمْ جَرَحَى أَوْ مَجْدَرِينَ أَوْ مَرْضَى يَضُرُّكُمْ اسْتِعْمَالُ الْمَاءِ وَ كُنْتُمْ جُنُبًا أَوْ عَلَى غَيْرِ وَضُوءٍ وَ كُنْتُمْ مَسَافِرِينَ وَأَنْتُمْ جُنُبًا أَوْ جَاءَ مِنَ الْغَائِطِ أَحَدُكُمْ قَدْ قَضَى حَاجَتَهُ مِنْهُ وَ هُوَ مَسَافِرٌ أَوْ جَامِعَتُمُ النَّسَاءَ وَ لَمْ تَجِدُوا مَاءً أَوْ لَا تَتَمَكَّنُونَ مِنْ اسْتِعْمَالِهِ فَاقْصِدُوا وَجْهَ الْأَرْضِ طَاهِرًا نَظِيْفًا غَيْرَ نَجَسٍ وَ لَا قَدْرٍ فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ أَى مِنَ الصَّعِيدِ. فإذا تبينت خلاصة معنى الآية يسهل عليك تدبر أحكامها التى نذكرها. والغائط أصله المطمئن من الأرض وكانوا يبرزون إليه ليغيبوا عن عيون الناس ثم كثر ذلك حتى قيل للحدث غائط كناية بالتغوط عن الحدث فى الغائط وقيل إنهم كانوا يلقون النجو فى هذا المكان وترميه الرياح إليه أيضا فسمى باسمه على سبيل

المجاورة ثم كثر هاهنا حتى صار فيه حقيقته وإن استعمل فيما وضع له كان مجازا. -قرآن- ١٧-١٩٨-قرآن- ٤٥٢-٥٠٥-قرآن-
٩٠٦-٩٤٧ [صفحة ٣٦] واللمس يكون باليد ثم اتسع فيه فأوقع على الجماع . والتيمم القصد و قد صار فى الشرع اسما لقصد
مخصوص و هو أن يقصد الصعيد ونحوه ويستعمل التراب و ما فى معناه فى أعضاء مخصوصة. والصعيد وجه الأرض من
غير نبات و لاشجر و قال الزجاج الصعيد ليس هو التراب إنما هو وجه الأرض ترابا كان أو غيره من الأحجار ونحوها وإنما سمي
صعيدا لأنه نهاية ما يصعد إليه من باطن الأرض . و قوله أو على سَفَرٍ معناه و إن كنتم مسافرين . -قرآن- ٣٧٨-٣٩٢

فصل

اعلم أنهم قالوا إن السفر فى هذين الموضوعين غير معتبر اعتبارا يخل به إذا حصل شرطه الذى قرنه الله بذلك و قيده به من قوله فلم
تجدوا ماءً وإنما ذكر لأن أكثر هذه الضرورات على الأغلب تكون فى الحال السفر فإن حصلت فى غيره فكمثله لهذا نظائر كثيرة
كقوله وَ رَبَّائِكُمُ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ و ليس لكونهن فى الحُجُور اعتبارا وإنما ذكر ذلك لكونه فى أكثر الحالات كذلك .
وقيل إن أوهاهنا بمعنى الواو كقوله أرسيلناه إلى مائه ألفٍ أو يزيدون يعنى وجاء أحد منكم من الغائط و ذلك لأن المجيء من
الغائط ليس من جنس المرض والسفر حتى يصح عطفه عليهما فإنهما سبب لإباحة التيمم والرخصة والمجىء من الغائط سبب
لإيجاب الطهارة والتقدير و قد جاء من الغائط . و قوله أو لأمستم النساء المراد به الجماع وكذا إذا قرئ أو لمستم واللمس والملاسة
معناها واحد لأنه لا يلمسها إلا وهى تلمسه وقيل المراد به اللمس باليد وغيرها والصحيح هو الأول . -قرآن- ١٢٩-١٤٧-قرآن-
٢٦٧-٣٠٦-قرآن- ٤٢٢-٤٦٥-قرآن- ٦٨٥-٧٠٦ [صفحة ٣٧] يروى أن العرب والموالى اختلفتا فيه فقال الموالى المراد به الجماع
وقال العرب المراد به مس المرأة فارتفعت أصواتهم إلى ابن عباس فقال غلب الموالى المراد به الجماع . وسمى الجماع لمسا
لأن به يتوصل إلى الجماع كما سمي المطر سماء .

فصل

وقوله فلم تجدوا ماءً راجع إلى المرضى والمسافرين جميعا مسافر لا يجد الماء ومريض لا يجد الماء أو من يوضئه أو يخاف الضرر
من استعمال الماء لأن الأصل أن حال المرض يغلب فيها خوف الضرر من استعمال الماء وحال السفر يغلب فيها عدم الماء . فتييمموا
أى تعمدوا وتحروا واقصدوا صعيدا . و قد ذكرنا أن الزجاج قال الصعيد وجه الأرض و هذا يوافق مذهب أصحابنا فى أن التيمم
يجوز بالحجر سواء كان عليه تراب أو لم يكن . والتيمم إنما يصح ويجب لفريضة الوقت فى آخر الوقت و عند تضييقه لأن التيمم
بلا خلاف إنما هو طهارة ضرورية و لا ضرورة إليه إلا فى آخر الوقت و ما قبل هذه الحال لم تتحقق فيه ضرورة . و ليس للمخالف
أن يتعلق بظاهر قوله فلم تجدوا ماءً فتييمموا وبأنه لم يفرق بين أول الوقت و آخره لأن الآية لو كان له ظاهر يخالف قولنا جاز أن
يخصه بإجماع الفرقة المحقة وبما ذكرناه أيضا كيف و لا ظاهر لها ينافى مانذهب إليه لأنه تعالى قال يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم
إلى الصلوة وأراد بلا خلاف إذا أردتم القيام إلى الصلاة كما قدمناه ثم أتبع ذلك حكم العادم للماء الذى يجب عليه التيمم
فيجب على من تعلق بهذه الآية أن يدل على أن من كان فى أول الوقت -قرآن- ٩-٢٧-قرآن- ٢٤٥-٢٥٦-قرآن- ٦٣٩-٦٧٠-
قرآن- ٨٥٩-٩١٢ [صفحة ٣٨] له أن يريد الصلاة ويعزم على القيام إليها . فإننا نخالف فى ذلك ونقول ليس لمن عدم الماء أن
يريد الصلاة فى أول الوقت و ليس لهم أن يفصلوا بين الجملتين ويقولوا إن إرادة الصلاة شرط فى الجملة الأولى التى أمر

فيهابالطهارة بالماء مع وجوده وليست شرطا في الجملة الثانية التي ابتداءؤها وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ وَذَلِكَ لِأَنَّ الشَّرْطَ الْأَوَّلَ لَوْ لَمْ يَكُنْ شرطا في الجملتين لكان يجب على المريض أو المسافر إذا أحدثا التيمم وإن لم يردا الصلاة وهذا لا يقوله أحد. والتيمم إنما أوجبه الله عند عدم الماء حيث لم يجده الإنسان ومعلوم أنه أراد من وجود الماء التمكن منه والقدرة عليه لأنه لو وجد الماء ولم يتمكن من الوصول إليه للخوف من السبغ أو التلف على نفسه لم يكن واجبا عليه استعماله ولم يحسن أن يكون مرادا فعلم أنه إنما أراد التمكن والتيمم مرتفع بأحد الأشياء الثلاثة إما لعدم الماء مع الطلب له أو لعدم ما يتوصل إلى الماء من آلة أو ثمن أو لحائل بينه وبين الماء من الخوف من استعماله إما على النفس أو على المال وما أشبه ذلك فالآية بمجرد ما تدل على جميع ذلك . -قرآن- ٢٨٩-٣٠٧

فصل

على أن نحمل قوله تعالى فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا عَلَى الْعُموم في جميع الأوقات عنه عدم الأشياء الثلاثة المذكورة على بعض الوجوه فإن القاضى للصلوات المفروضات يتيمم عند حصول إحدى تلك الشرائط في كل حال وإن لم يكن وقت صلاة حاضرة وكذلك يتيمم من أراد أن يصلى صلاة نافلة في غيروقت فريضة أو في أول وقتها ثم يجوز أن يصلى بذلك التيمم فريضة الوقت في آخر وقتها -قرآن- ٢٨-٥٩ [صفحة ٣٩] عند تضييقه إذا لم ينتقض حكم ذلك التيمم بحدث أو ما يجرى مجراه وهو التمكن من استعمال الماء. واختلف في كيفية التيمم على أقوال أحدها أنه ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين وهو قول أبي حنيفة والشافعي وأكثر الفقهاء وبه قال قوم من أصحابنا لحديث ورد للتقية. وثانيها أنه ضربة للوجه وضربة لليدين من الزندين وإليه ذهب عمار بن ياسر ومكحول والطبري وهو مذهبا في التيمم إذا كان بدلا من الجنابة فإن كان بدلا من الوضوء كفاه ضربة واحدة يمسح بها وجهه من قصاص شعره إلى طرف أنفه ويديه من زنديه إلى أطراف أصابعهما. وإنما وهم الراوى عن عمار في الضربة في اليدين للتيمم على كل حال لأنه روى التيمم الذي هو بدل من الجنابة وقصته معروفة وهي أنه وعمر كانا في سفر فاحتلما ولم يجدا الماء فامتنع عمر من الصلاة إلى أن وجد الماء وتمعك عمار في التراب وصلى إذ لم يعرفا كيفية التيمم فلما دخلا على رسول الله ص حكيا حالهما فتبسم ع وقال تمعكت كما تمعكت الدابة ثم علمه كيفية التيمم . وثالثها أنه إلى الإبطين ذهب إليه الخوارج . وروى الزهري أن الله عفو يقبل منكم العفو السهل لأن في قبوله التيمم بدلا من الوضوء تسهيل الأمر علينا. ومسح الوجه بالتراب وما يجرى مجراه في التيمم إنما هو إلى طرف الأنف ومسح اليد على ظاهر الكف على ما قدمناه والدليل عليه بعد إجماع الطائفة [صفحة ٤٠] قوله تعالى فَمَسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ودخول الباء إذا لم يكن لتعدية الفعل إلى المفعول لا بد له من فائدة وإلا كان عبثا ولا فائدة بعد ارتفاع التعدية إلا التبويض وحكم التبويض يسرى من الوجوه إلى الأيدي لأن حكم المعطوف والمعطوف عليه سواء في مثل ذلك . -قرآن- ١٤-٤٩

فصل

والمقيم إذا فقد الماء يتيمم كالمسافر لأن العلة في السفر فقدان الماء ألا ترى أن السفر بانفراده لا يرخص التيمم فيه وإنما ذكر سبحانه السفر مع السببين للترخيص في التيمم على ما قدمناه لأن الغالب في السفر عوز الماء دون الحضر وبناء كلام العرب على الأغلب كثير. فإن قيل الآية ترخص للمحدث التيمم إذا فقد الماء فمن أين لكم أن من سواه ممن ذكرتموه يجوز له أيضا ذلك

قلنا قد قدمنا أن من المعلوم أنه تعالى أراد بوجود الماء التمكن من استعماله والقدرة عليه والتمكن مرتفع في المواضع كلها.

فصل

قوله تعالى فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً يدل على أن المحبوس إذا لم يجد الماء وتيمم وصلى فلا إعادة عليه خلافاً للشافعي. وإنما قلنا إنه لا يعيد لأنه إذا صلى فقد أدى فرضاً بالاتفاق وإعادة الفرض لا تجب إلا بحجته ولا حجة على إعادة صلاة المحبوس بالتيمم من كتاب ولا سنة ولا إجماع. -قرآن- ١٤-٦٢ [صفحة ٤١] ويستحب التيمم من ربي الأرض التي تنحدر المياه عنها فإنها أطيب من مهابطها قال تعالى صَعِيداً طَيِّباً وسمى صعيداً لأنه يصعد من الأرض والطيب ما لم يعلم فيه نجاسة وطيباً أى طاهراً وقيل حللاً- وقيل منبتاً دون السبخة التي لا تنبت كقوله وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ الْهَدْيُ حَبِثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِيداً وَالْعَمُومُ يَتَنَاوَلُ الْكُلَّ . وتسمية التيمم بالطهارة حكم شرعي -قرآن- ٩١-١٠٦-قرآن- ٢٤٣-٣٣٦ لأن النبي ص قال جعلت لى الأرض مسجداً وترابها طهوراً -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٥٨ . ولا يرفع الحدث بالتيمم سواء كان بدلاً من الوضوء أو بدلاً من الغسل وإنما يستباح به الصلاة عند ارتفاع التمكن من الطهارتين ألا ترى أن الجنب إذا تيمم وصلى فإذا تمكن من الماء يجب عليه الاغتسال . وقال المرتضى رضى الله عنه يجب فى نية التيمم رفع الحدث ليصح الدخول فى الصلاة.

فصل

وقوله تعالى مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ مَعْنَاهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ فِيمَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْوُضُوءِ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ وَ مِنَ الْغَسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ وَ التَّيْمُمِ عِنْدَ عَدَمِ الْمَاءِ أَوْ تَعَذَّرَ اسْتِعْمَالَهُ لِيُزَيِّنَكُمْ فِي دِينِكُمْ مِنْ ضَيْقٍ وَ لِيُفْتِنَكُمْ فِيهِ وَ مِنَ الْحَرَجِ الَّذِي لَمْ يَرِدْهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِمْ أَنْ يَغْتَسِلُوا حِينَ يَخَافُونَ مِنْهُ تَلْفَ النَّفْسِ . -قرآن- ١٦-٦٢ [صفحة ٤٢] ثم قال وَ لَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ أَى لَكِنْ يَرِيدُ اللَّهُ لِيُطَهَّرَكُمْ بِمَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْوُضُوءِ وَ الْغَسْلِ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَ الْجَنَابَةِ أَنْ يَنْظِفَ بِهِ أَجْسَامَكُمْ مِنَ الذُّنُوبِ -قرآن- ١٠-٣٨ كما قال النبي ص إن الوضوء يكفر ما قبله -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٤٦ . وقوله وَ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ مَعْنَاهُ يَرِيدُ اللَّهُ مَعَ تَطْهِيرِكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ أَنْ يَتِمَّ نِعْمَتَهُ بِإِبَاحَتِهِ لَكُمْ التَّيْمُمِ وَ بَطَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ فِيمَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْوُضُوءِ وَ الْغَسْلِ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ مَعَ وَجُودِ الْمَاءِ وَ التَّيْمُمِ مَعَ عَدَمِهِ لِتَشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى نِعْمِهِ فَتَسْتَحِقُوا الثَّوَابَ إِذَا قُمْتُمْ بِالْوَاجِبِ فِي ذَلِكَ . -قرآن- ١٠-٣٩

فصل

والله تعالى ما جعل علينا فى الدين من حرج حتى أباح للتيمم أن يصلى بتيممه صلوات الليل كلها من الفرائض والنوافل ما لم يحدث أو لم يتمكن من استعمال الماء. ويدل عليه قوله فى آية الطهارة أنه أوجب الطهارة على القائم إلى الصلاة إذا وجد الماء ثم عطف عليه بالتيمم عند فقد الماء والصلاة أتم الجنس وكأنه قال والطهارة تجزيكم لجنس الصلاة إذا وجدت الماء و إذا فقدتموه أجزأكم التيمم لجنسها. ثم كما لا تختص الطهارة بصلاة واحدة فكذلك التيمم . فإن قيل إن قوله إذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ يدل على إيجاب الطهور أو التيمم إذا لم يجد الماء على كل قائم إلى الصلاة وهذا يقتضى وجوب التيمم لكل صلاة. قلنا ظاهر الأمر لا يدل على التكرار ولا على الاقتصار من فعل مرة واحدة فليس يجب تكرار الطهارة بتكرار القيام إلى الصلاة إلا بقرينة

ودليل . -قرآن- ٤٧٧-٥٠٢ [صفحة ٤٣] على أن السائل يذهب إلى أن الرجل لو قال لامرأته أنت طالق إذادخلت الدار فلم يقتض قوله أكثر من مرة واحدة عند من يجيز الطلاق مشروطا و لو تكرر دخولها لم يتكرر وقوع الطلاق عليها

باب أحكام الطهارة من الآيه الثانية التي هي من أمهات الطهارة أيضا

إشارة

أما قوله تعالى فى سورة النساء يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة و أنتم سيكارى فقد قيل فى هذه الآية نيفا وعشرين حكما سوى التفرجات . وقالوا فى سبب نزول هذه الآية قولان أحدهما قال ابراهيم إنها نزلت فى قوم من الصحابة أصابهم جراح . الثانى قالت عائشة نزلت فى جماعة منهم أعوزهم الماء . وظاهر الخطاب متوجه إلى المؤمنين كلهم بأن لا يقربوا الصلاة وهم سكارى و لا يجب قصر الحكم على سببه بلا خلاف . وقرب يقرب متعد يقال قربتك وقرب يقرب لازم يقال قربت منه . -قرآن- ٣٣-٩٨ [صفحة ٤٤] وأصل السكر سد مجرى الماء فبالسكر تنسد طريق المعرفة . وقوله و أنتم سيكارى جملة منصوبة الموضع على الحال والعامل فيه تقربوا وذو الحال ضميره . وقوله جنباً أنتصب لكونه عطفاً عليه والمراد به الجمع . وعابري سبيل منصوب على الاستثناء . وقوله على سبيل عطف على مرضى أى مسافرين . -قرآن- ٦٤-٧٩-قرآن- ١٥٧-١٦٣-قرآن- ٢٠٩-٢٢٤-قرآن- ٢٥٤-٢٦٤-قرآن- ٢٧٨-٢٧٤

فصل

ومعنى الآية لا تقربوا مكان الصلاة أى المساجد للصلاة وغيرها كقوله و صيموات أى مواضعها . وهذا أولى مما روى أن معناه لا تصلوا وأنتم سكارى لأن قوله إلّا عابري سبيل كد الأول فإن العبور إنما يكون فى المواضع دون الصلاة . وأنتم سيكارى فيه قولان أحدهما أن المراد به سكر النوم روى ذلك عن أبى جعفر الباقر . والثانى أن المراد به سكر الشراب . حتى تعلموا ما تقولون أى حتى تميزوا بين الكلام و حتى تحفظوا ماتلون من القرآن . وقوله و لا جنباً إلّا عابري سبيل فيه قولان أيضا -قرآن- ٦٨-٧٨-قرآن- ١٥٤-١٧٥-قرآن- ٢٣٦-٢٤٨-قرآن- ٣٦٠-٣٨٨-قرآن- ٤٥٨-٤٩٣ [صفحة ٤٥] أحدهما أن معناه لا تقربوا مواضع الصلاة من المساجد وأنتم جنب إلا مجتازين وعابري سبيل أى مارين فى طريق حتى تغتسلوا من الجنابة . والثانى أن المراد به و لا تقربوا الصلاة وأنتم جنب إلا أن تكونوا مسافرين فيجوز لكم أداؤها بالتيمة و إن لم يرتفع حكم الجنابة فإن التيمم و إن أباح الصلاة لا يرفع الحدث . والقول الأول أقوى لأنه تعالى بين حكم الجنب فى آخر الآية إذ اعدم الماء فلو حملناه على القول الثانى لكان تكراراً وإنما أراد تعالى أن يبين حكم الجنب فى دخول المساجد فى أول الآية ويبين حكمه فى الصلاة عند عدم الماء فى آخر الآية . وقوله و إن كنتم مرضى قد بينا أنه نزل فى أنصارى مريض لم يستطع أن يقوم فيتوضأ . والمرضى الذى يجوز معه التيمم مرض الجراح والكسر والقروح إذا خاف أصحابها من مس الماء وقيل هو المرض الذى لا يستطيع معه تناول الماء أو لا يكون هناك من يناوله على ما قدمناه والمروى عن الأئمة ع جواز التيمم فى جميع ذلك لأنه على العموم . والمراد بقوله لمستم ولا مستم الجماع ليكون بيانا لحكم الجنب عند عدم الماء كما بين حكم الجنب فى حال وجود الماء بقوله و لا جنباً إلّا عابري سبيل حتى تغتسلوا و بين أيضا حكم المحدث عند عدم الماء بقوله أو جاء أحد منكم من الغائط . -قرآن- ٧٨-٩٣-قرآن- ٥٦٥-

فصل

يسأل عن قوله تعالى لا تَقْرَبُوا الصَّيْلَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ قَلِيلًا كَيْفَ يَجُوزُ نَهْيُ السُّكَرَانِ فِي حَالِ السُّكْرِ مَعَ زَوَالِ الْعَقْلِ . وَيَجَابُ عَنْهُ بِأَجْوِبَةٍ أَحَدَهَا أَنَّ النَّهْيَ إِنَّمَا وَرَدَ عَنِ التَّعَرُّضِ لِلسُّكْرِ فِي حَالِ وَجُوبِ إِدَاءِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ عَلَى التَّخْصِيصِ وَإِنْ وَجِبَ ذَلِكَ قَبْلَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى بَعْدَ ذِكْرِ الْأَشْهَرِ الْحَرَمِ فَلَا تَظَلِّمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَإِنْ وَجِبَ ذَلِكَ فِي غَيْرِهَا مِنَ الْأَشْهُرِ . وَالثَّانِي أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ سُكَرَانٌ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ حُدِّ نَقْصَانِ الْعَقْلِ إِلَى مَا لَا يَحْتَمِلُ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ . وَالثَّلَاثُ أَنَّ النَّهْيَ إِنَّمَا دَلَّ عَلَى أَنَّ إِعَادَةَ الصَّلَاةِ وَاجِبَةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ أَدَوْهَا فِي حَالِ السُّكْرِ وَلَا تَصِحُّ لَوْ كَانَ الْخَمْرُ عَلَى ثَوْبِهِ أَوْ بَدَنِهِ . وَقَدْ سُئِلَ أَيْضًا فَقِيلَ إِذَا كَانَ السُّكَرَانُ مَكْلَفًا فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَنْهَى عَنِ الصَّلَاةِ فِي حَالِ سُكْرِهِ مَعَ أَنَّ عَمَلَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى خِلَافِهِ . وَأَجِيبُ عَنْهُ بِجَوَابَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ مَنْسُوخٌ عَلَى حَدِّ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ قَلِيلَ الْخَمْرِ لَمْ يَكُنْ شَرْبَهُ حَرَامًا بِحَيْثُ لَمْ يَسْكُرْ . وَالْآخَرُ أَنَّهُمْ لَمْ يَأْمُرُوا بِتَرْكِهَا لَكِنْ أَمَرُوا بِأَنْ يَصْلُوهَا فِي بَيُوتِهِمْ وَنَهَوْا عَنِ الصَّلَاةِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَمَاعَةٍ تَعْظِيْمًا لَهُ وَتَوْقِيرًا لِلْمَسْجِدِ . وَلَا يَصِحُّ مِنَ السُّكَرَانِ شَيْءٌ مِنَ الْعُقُودِ كَالنِّكَاحِ وَالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ عَلَى بَعْضِ الْوُجُوهِ وَلَا رَفْعُهَا كَالطَّلَاقِ وَالْعِتَاقِ . -قرآن-٢٣-٦٠-قرآن-٢٨٥-٣١٧ [صفحة ٤٧] فأما ما يلزم به الحدود والقصاص فإنه يلزمه جميع ذلك يقطع بالسرقة على كل حال إذ امت شرائط السرقة وكذا يحد بالقذف والزنا لأنه السبب لذلك ولعموم الآيات المتناولة لذلك على ما ذكره .

فصل

على أن من كان مكلفاً يلزمه الصلاة على كل حال وإنما حسن أن ينهى عن الصلاة من على ثوبه أو بدنه نجاسةً مع أنه مكلف والخمر نجس فالنهي على هذا متوجه إليه في حال يكون عليه . ومعنى الآية أنه خاطب المؤمنين ولاسكروا وقال لا تَقْرَبُوا الصَّيْلَةَ فِي الْمَسْتَقْبَلِ وَأَنْتُمْ سَيِّئَاتُ الْكِبَرِ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ مَا يُؤَدِّي إِلَى السُّكْرِ وَعَلَى هَذَا قَالَ السُّلَفُ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْمَسْكِرَ ثُمَّ حَرَّمَ الْقَلِيلَ وَالكَثِيرَ مِنْهُ فِي الْمَائِدَةِ كَمَا ذَكَرَ هَاهُنَا بَعْضُ أَحْكَامِ الطَّهَارَةِ وَبَيْنَهَا فِي الْمَائِدَةِ . وَمَعْنَى لَا تَقْرَبُوا الصَّيْلَةَ لِأَنَّهَا لَا تَصِلُوهَا وَلَا تَقْرَبُوا الشَّيْءَ أَبْلَغَ فِي النَّهْيِ مِنْ لَا تَفْعَلْهُ . وَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّ قَوْلَهُ وَأَنْتُمْ سَيِّئَاتُ الْكِبَرِ جَمْلَةٌ مِنْ مَبْتَدَأٍ وَخَبَرٍ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ لِأَنَّهُ لَمْ يَنْهَهُمْ عَنِ الصَّلَاةِ مُطْلَقًا إِنَّمَا نَهَاهُمْ عَنِ السُّكْرِ الَّذِي لَا يَفْهَمُ مَعَهُ الْقَوْلُ أَيْ إِذَا كُنْتُمْ بِهَذِهِ الْحَالَةِ فَلَا تَصِلُوهَا وَالْمُرَادُ تَجَنَّبُوا الصَّلَاةَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ . وَقَوْلُهُ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ غَايَةٌ لِلْحَالِ الَّتِي نَهَى عَنِ الصَّلَاةِ فِيهَا فَكَأَنَّهُ قَالَ لَكِنْ إِذَا كُنْتُمْ مِنَ السُّكْرِ فِي حَالَةٍ تَعْلَمُونَ مَعَهُ مَاتَقْرَعُونَ فِي صَلَاتِكُمْ أَوْ لَفْظُهُ فَصَلُّوا . وَقَدِينَا أَنَّ قَوْلَهُ وَلَا جُنْبًا إِنَّمَا نَصَبَ عَلَى الْحَالِ عَطْفًا عَلَى مَحَلِّ وَأَنْتُمْ سَيِّئَاتُ الْكِبَرِ أَيْ لَا تَقْرَبُوا مَوَاضِعَ الصَّلَاةِ مِنَ الْمَسَاجِدِ لِامْتِجَازِينَ فِي حَالِ السُّكْرِ -قرآن-٢٣٣-٢٥٣-قرآن-٢٦٧-٢٨٢-قرآن-٤٩٣-٥١٣-قرآن-٥٨٩-٦٠٤-قرآن-٧٩٩-٨٢٧-قرآن-٩٨٠-٩٩٢-قرآن-١٠٢٧-١٠٤٢ [صفحة ٤٨] ولامتجازين في حال الجنابة وهو قول أبي جعفر وحذف للدلالة الكلام عليه وهو الأقوى لأنه تعالى بين حكم الجنابة في آخر هذه الآية إذ اعدم الماء فلو حملناه على ذلك لكان تكراراً وإنما أراد أن يبين حكم الجنب في دخول المساجد في أول الآية وحكمه إذ أراد الصلاة مع عدم الماء في آخرها . وبهذه الآية وبالآية التي تقدم ذكرها من المائدة يستدل على تحريم الخمسة الأشياء على الجنب على ما ذكرناه .

وقوله أولمستم المراد بالقراءتين في الآيتين الجماع واختاره أبوحنيفة أيضا ألا ترى إلى قوله وَ لَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرطاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ مَخْصَصًا بِالْيَدِ لثَلَا- يلتبس بالوجه الآخر. و كل موضع ذكر الله تعالى المماسه أراد به الجماع كقوله مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا وكذلك الملامسه. و قال بعضهم من قرأ بلا ألف أراد اللبس باليد وغيرها مما دون الجماع واختاره الشافعي والصحيح هو الأول . -قرآن- ١٠٠-١٦٥-قرآن- ٢٦١-٢٨٤ و عن ابن عباس إذا حمل عابري سبيل على المسافرين كان تكرارا فيجب أن يحمل على الاجتياز بالمساجد إلى الاغتسال إذا لم يتوصل إلى الماء إلا به -روایت- ١-٢-روایت- ١٩-١٥٣ . و قال عبد الله و الحسن يمر به إلى الماء و لا يجلس فيه . و قيل إن ماتوهموه من التكرير غير صحيح لأن المكرر إذا علق به حكم [صفحه ٤٩] آخر لم يفهم من الأول كان حسنا و قد ذكر معه التيمم فلم يكن تكريرا معيبا والأول أولى . و قال قوم إن في التيمم جائز أن يضرب باليدين على الرمل فيمسح به وجهه و إن لم يعلق بها شيء و به نقول . والشافعي يوجب التيمم لكل صلاة و يرويه عن علي ع و ذلك عندنا محمول على الندب . و قوله يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا دَخَلْتُمُ الْمَسَاجِدَ فَارْتَمُوا بِرِءُوسِكُمْ خَلْفَكُمْ لَا يَفْعَلُوا كَمَا فَعَلُوا فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ إِذْ جَاءُوا رَسُولَهُمْ فَاسْتَمَعُوا لَهُمْ ذِكْرًا لِمَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ فِي الْمَسْجِدِ وَالْمَسْجِدِ الَّذِي فِي الْأَرْضِ يُحْسِنُ صَلَاتِهِ لِمَنِ ارْتَضَى مِنْهُمْ وَيُؤْتِيهِمْ مِمَّا رَزَقَهُ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ حِسَابٍ وَ الْقُرْآنِ وَالْآيَةِ . -قرآن- ٢٩٦-٣٢٢-قرآن- ٤٠٨-٤٣٩

والجنب لا يجوز أن يمس القرآن و هو المكتوب في الكتاب أو اللوح لقوله تعالى لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ و كذا كل من يجب عليه غسل واجب . والضمير في لا يَمَسُّهُ يُجِرُّع إلى القرآن لا إلى الدفتر لقوله تَنزِيلًا مِنْ -قرآن- ٧٩-١٠٩-قرآن- ١٥٦-١٦٦-قرآن- ٢٠٥-٢١٦ والجنب لا يجوز أن يمس القرآن و هو المكتوب في الكتاب أو اللوح لقوله تعالى لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ و كذا كل من يجب عليه غسل واجب . والضمير في لا يَمَسُّهُ يُجِرُّع إلى القرآن لا إلى الدفتر لقوله تَنزِيلًا مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَظَرَ اللَّهُ مَسَّ الْقُرْآنِ مَعَ ارْتِفَاعِ الطَّهَارَةِ. فَإِنْ قِيلَ هَذَا يُلْزِمُكُمْ أَنْ لَا تَجُزُوا عَلَى مَنْ لَيْسَ عَلَى الطَّهَارَةِ الصَّغْرَى أَيْضًا أَنْ يَمَسَّ الْقُرْآنَ. قُلْنَا وَكَذَلِكَ نَقُولُ وَإِنَّمَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَمَسَّ حَوَاشِي الْمَصْحُفِ وَ أَمَانِيسِ الْمَكْتُوبِ فَلَا يَجُوزُ. وَكَذَلِكَ لَا يَمَسُّ كِتَابَهُ شَيْءٌ عَلَيْهِ اسْمُ اللَّهِ أَوْ أَسْمَاءُ أَنْبِيَائِهِ وَأَسْمَاءُ أُمَّتِهِ ع . وَ يَجُوزُ لِلْجَنْبِ وَالْحَائِضِ أَنْ يَقْرَأَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا شَاءَ إِلَّا عِزَائِمَ السُّجُودِ الْأَرْبَعِ وَالدَّلِيلَ عَلَيْهِ زَائِدًا عَلَى إِجْمَاعِ الْفِرْقَةِ قَوْلُهُ فَأَقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ -قرآن- ١-١٧-قرآن- ٤٢٤-٤٥٨ فأما الحديث ما كان يحجب رسول الله عن قراءة القرآن إلا الجنبه -روایت- ١-٢-روایت- ١٥-٦٩ فهو الكراهه. وظاهر عموم ذلك يقتضى حال الجنابه وغيرها فإن ألزمتنا قراءة السجودات قلنا أخرجناها بدليل و هو إجماع الطائفة وأخبارهم . ويمكن أن يكون هذا الفرق بين عزائم السجود وغيرها أن فيها سجودا واجبا والسجود لا يكون إلا على طهر ذكره بعض أصحابنا. و هذا ضعيف لأن العلة لو كان ذلك لما تجاوز موضع السجود إلا- أن يقال النهى عن قراءة تلك السور الأربع لحرمتها الزائدة على غيرها والنهى الوارد فى الأحاديث بقراءة القرآن للجنب ففى السور الأربع على الحظر وفيما عداها على الكراهه [صفحه ٥١]

قال الله تعالى وَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ. وسبب نزول هذه الآية أنهم كانوا في الجاهلية يجتنبون مؤاكلة الحائض ومشاربتها حتى كانوا لا يجالسونها في بيت واحد فسألوا رسول الله ص عن ذلك واستعلموا ذلك أو أوجب هو أم لافزلت الآية. وقيل كانوا يستجيزون إتيان النساء في أدبارهن أيام الحيض فلما سألوا عنه بين تحريمه والأول أقوى. وقالوا إن في هذه الآية خمسة عشر حكما وزاد بعضهم. والمحيض والحيض مصدر حاضت المرأة والمحيض في الآية تصلح للمصدر والزمان فتقدير المصدر يسألونك عن حيض المرأة ما حكمه من المجامعة وغيرها وتقدير الزمان يسألونك عن حال المرأة وقت الحيض ما حكمها في مجامعة الرجل -قرآن- ١٩-١٣٣ [صفحة ٥٢] إياها والسائل أبوالدرداء فيما روى. وصفة الحيض هو الدم الغليظ الأسود الذي يخرج بحرارة على الأغلب. وأقل الحيض ثلاثة أيام متواليات ولا يعتبر التوالى فيها بعض أصحابنا إذا لم يكن بين بعض الأيام الثلاثة وبين بعض عشرة أيام وكلاهما على الإطلاق غير صحيح لأن غير المتتابع في ثلاثة الأيام إنما يكون في الحبل لم يستبين حملها والمتابع لمن عداها على ما ذكره في الاستبصار. وأكثر الحيض عشرة أيام و عليه أهل العراق والحسن. وأقل الظهر عشرة أيام وخالف الجميع وقالوا خمسة عشر. وأما المستحاضة فهي المرأة التي غلبها الدم فلا يرقأ والسين هاهنا للضرورة أي صارت كالحائض. والاستحاضة دم رقيق أصفر بارد على الأغلب وهي بحكم الطاهر إذا فعلت ما عليها. وقال قوم تغتسل مرة ثم تتوضأ لكل صلاة وقال قوم تغتسل عند كل صلاة. وعندنا لها ثلاثة أحوال إن رأت الدم لا يظهر على القطنه فعليها تجديد الوضوء لكل صلاة وإن ظهر الدم على القطنه ولا يسيل فعليها غسل لصلاة الغداة وتجديد الوضوء لباقي الصلوات وإن ظهر الدم عليها وسال فعليها ثلاثة أغسال عند الغداة والظهر والمغرب. وحكم النفاس حكم الحيض إلا- في الأقل فليس حد لأقل النفاس. وهذا يعلم بالإجماع والسنة تفصيلا وبالكتاب جملة قال تعالى ما آتاكم الرسول فخذوه. -قرآن- ١١١٥-١١٤٤ [صفحة ٥٣]

فصل

وقوله قُلْ هُوَ أَذَىٰ مَعْنَاهُ قَذْرٌ وَنَجَاسَةٌ وَقِيلَ قُلْ يَا مُحَمَّدُ هُوَ دَمٌ وَمَرَضٌ وَقِيلَ هُوَ أَذَىٰ لِهِنَّ وَعَلَيْهِنَّ لِمَا فِيهِ مِنَ الْمَشَقَّةِ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ أَيْ اجْتَنَبُوا مَجَامِعَهُنَّ فِي الْفَرْجِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَائِشَةَ وَ الْحَسَنَ وَقَتَادَةَ وَمَجَاهِدَ وَ هُوَ قَوْلُ الشَّيْبَانِيِّ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ وَيُؤَافِقُ مَذْهَبَنَا. وَقِيلَ إِنَّهُ لَا يَحْرَمُ مِنْهَا غَيْرُ مَوْضِعِ الدَّمِ فَقَطْ وَقِيلَ يَحْرَمُ مَا دُونَ الْإِزَارِ وَيَحِلُّ مَا فَوْقَهُ وَ هُوَ قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيِّ. وَالْإِعْتِزَالُ التَّنَحُّيُّ عَنِ الشَّيْءِ. وَقِيلَ مَعْنَىٰ أَذَىٰ أَيْ ذُو أَذَىٰ أَيْ يَتَأَذَىٰ بِهِ الْمَجَامِعُ بِنْفُورِ طَبَعِهِ عَمَّا يَشَاهِدُ فَلَا تَلْزَمُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ تَرْكِ مَجَامِعَتِهِنَّ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ لِأَنَّ مِنَ الْعَرَبِ مَنْ كَانَ يَتَجَنَّبُ الْمَرْأَةَ كُلَّهَا تَقْبِيلَهَا وَ أَنْ يَمَسَّ بَدَنَهَا فَأَبْطَلَ اللَّهُ هَذَا الْإِعْتِقَادَ وَ بَيَّنَّ أَنَّهُ أَذَىٰ فَقَطْ أَيْ يَسْتَقْدِرُ الْمَجَامِعُ دَمَ الْحَيْضِ وَ أَنَّهُ كَلْفُهُ عَلَيْهِنَّ فِي التَّكْلِيفِ . وَ لَوْ قَالَ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِيهِ لَكَانَ كَافِيًا وَإِنَّمَا ذَكَرَ فِي الْمَحِيضِ إِضْحَاحًا وَ تَوْكِيدًا وَ تَفْخِيمًا وَلِذَلِكَ قَالَ وَ لَا تَقْرُبُوهُنَّ بَعْدَ أَنْ قَالَ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ لِمَا وَصَلَهُ بِهِ مِنْ ذِكْرِ الْغَايَةِ الَّتِي أَمَرَ بِاعْتِزَالِهَا وَ هُوَ قَوْلُهُ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ. -قرآن- ٩-٢٢-قرآن- ١١٦-١٥٠-قرآن- ٤٣٢-٤٣٦-قرآن- ٨٢٤-٨٤١-قرآن- ٨٥٥-٨٧٥-قرآن- ٩٣٥-٩٤٨

فصل

ومعنى لا- تَقَرَّبُوهُنَّ أى لا-تقربوا مجامعتهن فى موضع الحيض إلا- أن اللفظ عام والمعنى خاص لأن العلماء مجمعون على جواز قضاء الوطر منها فيما -قرآن- ٨-٢٢ [صفحة ٥٤] بين الفخذين والأليتين و أى موضع أراد من جسدها وإنما اختلفوا فى الدبر فمنع منه الجمهور وأجازه مالك بن أنس وعزاه إلى نافع عن ابن عمر. و كل من أنكر ذلك قال إن الله سماهن حرثا وليس الدبر موضع الحرث و هذا ليس بسداد لأنهم يجوزون فى غير القبل و إن لم يكن موضع حرث .فالجواب الصحيح أن العلماء أجمعوا على جواز هذا و لم يجمعوا على جواز ذلك فافترق الأمران .فمباشرة الحائض على ثلاثة أضرب محرّم بلا خلاف ومباح بلا خلاف ومختلف فيه .فالمحظور بلا خلاف وطؤها فى الفرج لقوله وَ لَا تَقَرَّبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِنْ خَالَفَ وَفَعَلَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَ عَلَيْهِ الْكُفَّارَةُ. و أما المباح فما عدا ما بين السرة والركبة فى أى موضع شاء من بدنها. والمختلف فيه ما بين السرة والركبة غير الفرج والظاهر أن هذا أيضا مباح . والآية دالة على وجوب اعتزال المرأة والتباعد منهن فى حال الحيض على ما ذكرناه و فيها ذكر غاية التحريم ويشمل ذلك على فصول أحدها ذكر الحيض وأقله وأكثره و قد فصلناه . وثانيها حكم الوطى فى حال الحيض فإن عندنا الكفارة عليه إن كان فى أوله دينار و فى وسطه نصف دينار و فى آخره ربع دينار و قال ابن عباس عليه دينار و لم يفصل وأول الحيض و آخره مبنى على أكثر أيام الحيض وهى عشرة أيام دون عادة المرأة. وثالثها غاية تحريم الوطى وسيجيء ذكرها. و قال المرتضى من وطئ جاريته فى حيضها فعليه أن يتصدق والدليل عليه أنا قد علمنا أن الصدقة بر وقربة وطاعة لله تعالى فهى داخله تحت قوله وَ افْعَلُوا -قرآن- ٤٩٣-٥٢٥-قرآن- ١٣٢٠-١٣٣٠ بين الفخذين والأليتين و أى موضع أراد من جسدها وإنما اختلفوا فى الدبر فمنع منه الجمهور وأجازه مالك بن أنس وعزاه إلى نافع عن ابن عمر. و كل من أنكر ذلك قال إن الله سماهن حرثا و ليس الدبر موضع الحرث و هذا ليس بسداد لأنهم يجوزون فى غير القبل و إن لم يكن موضع حرث .فالجواب الصحيح أن العلماء أجمعوا على جواز هذا و لم يجمعوا على جواز ذلك فافترق الأمران .فمباشرة الحائض على ثلاثة أضرب محرّم بلا خلاف ومباح بلا خلاف ومختلف فيه .فالمحظور بلا خلاف وطؤها فى الفرج لقوله وَ لَا تَقَرَّبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِنْ خَالَفَ وَفَعَلَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَ عَلَيْهِ الْكُفَّارَةُ. و أما المباح فما عدا ما بين السرة والركبة فى أى موضع شاء من بدنها. والمختلف فيه ما بين السرة والركبة غير الفرج والظاهر أن هذا أيضا مباح . والآية دالة على وجوب اعتزال المرأة والتباعد منهن فى حال الحيض على ما ذكرناه و فيها ذكر غاية التحريم ويشمل ذلك على فصول أحدها ذكر الحيض وأقله وأكثره و قد فصلناه . وثانيها حكم الوطى فى حال الحيض فإن عندنا الكفارة عليه إن كان فى أوله دينار و فى وسطه نصف دينار و فى آخره ربع دينار و قال ابن عباس عليه دينار و لم يفصل وأول الحيض و آخره مبنى على أكثر أيام الحيض وهى عشرة أيام دون عادة المرأة. وثالثها غاية تحريم الوطى وسيجيء ذكرها. و قال المرتضى من وطئ جاريته فى حيضها فعليه أن يتصدق والدليل عليه أنا قد علمنا أن الصدقة بر وقربة وطاعة لله تعالى فهى داخله تحت قوله وَ افْعَلُوا الْخَيْرَ وَأَمْرَهُ بِالطَّاعَةِ مِمَّا لَا يَحْصَى بِالْكِتَابِ وَظَاهِرُ الْأَمْرِ يَقْتَضِي الْإِجَابَ فى الشريعة فينبغى أن تكون الصدقة واجبة ويشب له حكم الندب بدليل قاد إلى ذلك و لادليل هاهنا يوجب العدول عن الظواهر.فأنعم النظر كيف ألزم القوم الذين خالفوه من طريقهم . -قرآن- ١-٨

فصل

و قوله حَتَّى يَطْهُرْنَ بالتخفيف معناه حتى ينقطع الدم عنهن وبالتشديد معناه حتى يغتسلن و قال مجاهد وطاوس معنى يطهرن بتشديد يتوضأن و هو مذهبنا وأصله يطهرن فأدغم التاء فى الطاء. وعندنا يجوز وطء المرأة إذا انقطع دمها وطهرت و إن لم تغتسل إذا غسلت فرجها و فيه خلاف . فمن قال لا يجوز وطؤها إلا بعد الطهر من الدم والاعتسال تعلق بالقراءة بالتشديد وإنها تفيد

الاجتسال . و من جوز وطأها بعد الطهر من الدم قبل الاجتسال تعلق بالقراءة بالتخفيف و هو الصحيح لأنه يمكن في قراءة التشديد أن يحمل على أن المراد به يتوضأ على ما حكيناه عن طاوس وغيره و من عمل بالقراءة بالتشديد يحتاج أن يحذف القراءة بالتخفيف أو يقدر محذوفاً بأن يقول تقديره حتى يطهرن ويتطهرن . و على مذهبنا لا يحتاج إلى ذلك لأننا نعمل بالقراءتين فإننا نقول يجوز وطء الرجل زوجته إذا طهرت من دم الحيض و إن لم تغتسل متى مست به الحاجة والمستحب أن لا يقربها إلا بعد التطهير والاجتسال . والقراءتان إذا صحتا كانتا كآيتين يجب العمل بموجبهما إذا لم يكن نسخ . ومما يدل على استباحة وطئها إذا طهرت و إن لم تغتسل قوله وَ الَّذِينَ هُمْ - قرآن- ٩-٢٢- قرآن- ١٠٠٠-١٠١٤ و قوله حَتَّى يَطْهَرْنَ بالتخفيف معناه حتى ينقطع الدم عنهن وبالتشديد معناه حتى يغتسلن و قال مجاهد و طاوس معنى يطهرن بتشديد يتوضأ و هو مذهبنا وأصله يطهرن فأدغم التاء في الطاء . وعندنا يجوز وطء المرأة إذا انقطع دمها وطهرت و إن لم تغتسل إذا غسلت فرجها و فيه خلاف . فمن قال لا يجوز وطؤها إلا بعد الطهر من الدم والاجتسال تعلق بالقراءة بالتشديد وإنها تفيد الاجتسال . و من جوز وطأها بعد الطهر من الدم قبل الاجتسال تعلق بالقراءة بالتخفيف و هو الصحيح لأنه يمكن في قراءة التشديد أن يحمل على أن المراد به يتوضأ على ما حكيناه عن طاوس وغيره و من عمل بالقراءة بالتشديد يحتاج أن يحذف القراءة بالتخفيف أو يقدر محذوفاً بأن يقول تقديره حتى يطهرن ويتطهرن . و على مذهبنا لا يحتاج إلى ذلك لأننا نعمل بالقراءتين فإننا نقول يجوز وطء الرجل زوجته إذا طهرت من دم الحيض و إن لم تغتسل متى مست به الحاجة والمستحب أن لا يقربها إلا بعد التطهير والاجتسال . والقراءتان إذا صحتا كانتا كآيتين يجب العمل بموجبهما إذا لم يكن نسخ . ومما يدل على استباحة وطئها إذا طهرت و إن لم تغتسل قوله وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِمَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ . و قوله فَأَتُوا حُرَّتْكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ قال المفسرون إن اليهود قالوا من أتى زوجته من خلفها في قبلها يكون الولد أحولاً - فكذبهم الله وأباح ما حظه فعموم هذه الظواهر يتناول موضع الخلاف ويقطع كل اعتراض عليه قوله وَ لَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ إذ لا شبهة في أن المراد بذلك انقطاع الدم دون الاجتسال لأن طهرت المرأة في الشرع بخلاف طمشت و إن كان في الأصل هو ضد النجاسة يقال طهرت المرأة فهي طاهرة إذا لم يكن عليها نجاسة وطهرت فهي طاهر إذا لم تكن حائضاً . والخطاب إذا ورد من الحكيم و يكون فيه وضع اللغة و عرف الشرع يجب حمله على العرف الشرعي إذا كان وارداً لحكم من أحكام الشرع ولأن جعله تعالى انقطاع الدم غاية يقتضى أن مابعده بخلافه فالحيض كما ذكر الله تعالى مانع و ليس وجوب الاجتسال مانعاً . وطهرت بالفتح أقيس لقولهم طاهر كقولهم قعد فهو قاعد و من حيث الطبيعة طهرت أولى في المعنى . والقراءة بالتشديد لا بد أن يكون المراد بها الطهارة فإن كان المعنى التوضأ كما ذكرنا فلا كلام و إن كان الاجتسال فنحمله على الاستحباب . - قرآن- ١-٤٥- قرآن-

٥٥-٨٣- قرآن- ٢٦٥-٢٩٧

فصل

و قوله فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ أَى إِذَا غَسَلْنَ وَقِيلَ إِذَا تَوَضَّأْنَ وَقِيلَ إِذَا غَسَلْنَ الْفَرْجَ . - قرآن- ٩-٦٣- [صفحة ٥٧] فَأَتُوهُنَّ أَى فجامعهن و هو إباحة كقوله وَ إِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا و كقوله فَأِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ . و أما قوله مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ فمعناه من حيث أمركم الله بتجنيبه في حال الحيض و هو الفرج وقيل من قبل الطهر دون الحيض و قال محمد بن الحنفية أى من قبل النكاح دون الفجور . والأول أليق بالظاهر و إن كان العموم يحتمل جميع ذلك وكذا يحتمل أن يكون المراد من حيث أباح الله لكم دون ما حرمه عليكم من إتيانها وهى صائمه واجبا أو محرمة أو معتكفة على بعض الوجوه ذكره الزجاج والعموم يشمل الجميع . فغاية تحريم الوطء مختلف فيهما منهم من جعل الغاية انقطاع الدم حسب ما قدمناه ومنهم من قال

إذاتوضأت أوغسلت فرجها حل وطؤها و إن كان الأولى أن لايقربها إلا بعدالغسل و هو مذهبا ومنهم من قال إذاانقطع دمها واغتسلت حل وطؤها عن الشافعي ومنهم من قال إذا كان حيضها عشرا فنفس انقطاع الدم يحللها للزوج و إن كان دون العشر فلايحل وطؤها إلا بعدالغسل أوالتيمم أوامضى وقت صلاة عليها عن أبي حنيفة. -قرآن- ١-١٠-قرآن- ٤١-٦٧-قرآن- ٧٦-١١٨- قرآن- ١٣٢-١٥٨

فصل

وقوله إن الله يحب التوابين و يحب المتطهرين قال عطاء المتطهرين بالماء و قال مجاهد المتطهرين من الذنوب والأول مروى فى سبب نزول هذه الآية والعموم يتناول الأمرين . -قرآن- ٩-٦٥ [صفحه ٥٨] وإنما قال المتطهرين و لم يذكر المتطهرات لأن المذكر والمؤنث إذااجتمعا فالغلبة للمذكر كماقدمناه فى قوله يا أيها الذين آمنوا. وقيل التوابين من الذنوب والمتطهرين بالماء. و لوقلنا المراد به الرجال دون النساء لأن الخطاب بالأمر والنهى معهم دونهن لقوله فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن لكان أولى و لم يحتج إلى عذر. ويستدل بهذه الآية أيضا على استحباب غسل التوبة وكذا على ما ذكرناه من أنهم لايقربن إلا بعدالاجتسال -قرآن- ١٢-٢٦-قرآن- ١١٥-١٤١-قرآن- ١٤٩-١٦٠-قرآن- ١٧٤-١٨٨-قرآن- ٢٨٣-٣١٧-قرآن- ٣٢٠-٣٣٤

باب أحكام المياه

إشاره

قال الله تعالى و أنزلنا من السماء ماء طهوراً أى طاهرا مطهرا مزيلا للأحداث والنجاسات مع طهارته فى نفسه . ووصف الله الماء بكونه طهورا مطلقا يدل على أن الطهوريه صفة أصليه للماء ثابتة له قبل الاستعمال بخلاف قولهم ضارب وشاتم ومتكلم لأنه إنما يوصف به بعدضربه و شتمه و كلامه ولذلك لايجوز إزالة النجاسة بمائع سوى الماء. وكذا لايجوز الوضوء به والغسل لأنه تعالى نقل الحكم من الماء المطلق إلى التيمم ومعناه أنه أوجب التيمم على من لم يجد الماء و هذا غير واجد للماء لأن المائع ليس بماء لأنه لايسمى ماء. وأيضا فقوله فتيمموا الفاء فيه يوجب التعقيب بلا خلاف . ووجه الدلالة أن الله تعالى قال و أنزلنا من السماء ماء طهوراً فأطلق -قرآن- ١٩-٥٧-قرآن- ٥٥٢-٥٦٣-قرآن- ٦٣٥-٦٧٣ [صفحه ٥٩] على ما وقع عليه اسم الماء فإنه طهور سواء نزل من السماء أو نبع من الأرض عذبا كان أو مالحا باردا أو مسخنا واقفا أو جاريا ماء البحر أو البر أو البئر أو العين . و قال ابن بابويه أصل جميع الماء من السماء لقوله و أنزلنا من السماء ماء طهوراً والطهور هو المطهر فى اللغه فيجب أن يعتبر كل مايقع عليه اسم الماء بأنه طاهر ومطهر إلا ما قام الدليل على تغيير حكمه أو أنه غير مطهر و إن كان طاهرا لكونه مضافا. -قرآن- ٢١١-٢٤٩

فصل

فإن قيل الطهور لايفيد فى لغة العرب كونه مطهرا.قلنا هذاخلاف على أهل اللغه لأنهم لايفرقون بين قول القائل هذاماء طهور و هذاماء مطهر بل الطهور أبلغ وأيضا وجدنا العرب تقول ماء طهور و تراب طهور و لايقولون ثوب طهور و لاخل طهور لأن التطهير

ليس فى شىء من ذلك ثبت أن الطهور هو المطهر. فإن قيل كيف يكون الطهور هو المطهر واسم الفاعل منه غير متعد. قلنا هذا كلام من لم يفهم معانى الألفاظ العريضة و ذلك أنه لاختلاف بين أهل النحو أن اسم الفعول موضوع للمبالغة وتكرار الصفة فإنهم يقولون فلان ضارب فإذا تكرر منه ذلك وكثر قالوا ضروب و إذا كان كون الماء طاهرا ليس مما يتكرر ولا يتزايد فينبغى أن يعتبر فى إطلاق الطهور عليه غير ذلك و ليس بعد ذلك إلا أنه مطهر و لو حملناه على ما حملنا عليه لفظه طاهر لم يكن فيه زيادة فائدة. [صفحة ٦٠]

فصل

ويدل عليه أيضا قوله تعالى وَ يُنَزَّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهَّرَ بِهٖ فَمَا كَانَ لِيُطَهَّرَ بِهٖ وَ يُذْهَبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ - قرآن - ٣٠- ٨٧- قرآن - ١٨٤- ١٩١- قرآن - ٢١٨- ٢٦٩ قال ابن عباس معناه يذهب عنكم وسوسة الشيطان فإن الكفار غلبوكم على الماء حتى تصلوا أنتم مجنونون و ذلك أن يوم بدر وسوس الشيطان إلى المسلمين و كان الكفار نزلوا على الماء فقال لعنه الله تزعمون أيها المسلمون أنكم على دين الله وأنتم على غير الماء وعدوكم على الماء فأرسل الله عليهم المطر فشربوا واغتسلوا وأذهب به وسوسة الشيطان وكانوا على رمل تغوص فيه الأقدام فشده المطر حتى ثبتت عليه الأرجل و هو قوله وَ يُثَبَّتْ بِهٖ الْأَقْدَامَ - روايت - ١- ٢- روايت - ١٨- ٤٥٤ والهاء فى به راجعة إلى الماء. وقد أطبق المفسرون على أن رِجْزَ الشَّيْطَانِ فى الآية المراد به أثر الاحتلام فإن المسلمين كان أكثرهم احتملوا ليلتهم فأنزل الله المطر وطهرهم به . والتطهير لا يطلق فى الشرع إلا بإزالة النجاسة أو غسل الأعضاء الأربعة و قد أطلق الله عليه اسم التطهير و قال الجبائى إنما ذكر الرجز وكنى به عن الاحتلام لأنه بوسوسة الشيطان . - قرآن - ٦١- ٧٥ [صفحة ٦١]

فصل

و لا بأس بأن يشرب المضطر من المياه النجسة و لا يجوز شربها مع الاختيار و ليس الشرب منها مع الاضطرار كالتطهير لأن التطهير قربة إلى الله والتقرب إليه تعالى لا يكون بالنجاسات ولأن المحدث يجد فى إباحته للصلاة بدلا من الماء عند فقدته قال تعالى فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا. و لا يجد المضطر بالعطش بدلا من الماء غيره فإذا وجد الماء و كان نجسا رخص الله له فى تناوله مقدار ما يمسك به ريقه . ويدل على استباحة الماء النجس فى حال الاضطرار أن الله أباح كل محرم عند ضرورة حيث قال إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَ مَا أُهْلَ بِهٖ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَ لَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ فَيَمَّمْ أَنَّهُ لَإِثْمَ عَلَى مَتَنَاوَلِ هَذِهِ الْمُحْظُورَاتِ عِنْدَ الضَّرُورَةِ. - قرآن - ٢٥٣- ٢٨٤- قرآن - ٤٩٥- ٦٤٥

فصل

والماء إذا خالطه من الطاهرات ما غير لونه أو طعمه أو رائحته فإنه يجوز التوضؤ به ما لم يسلبه إطلاق اسم الماء عليه لأن الله أوجب التيمم عند فقد الماء بقوله فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا و من وجد ماء على تلك الصفة فهو واجد للماء - قرآن - ١٦٣- ١٩٤ قال الصادق

ع الماء كله طاهر حتى يعلم أنه قذر -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٥٢. و لاخلاف أن الماء له حكم التطهير إذا كان على خلقته والخلاف في أنه إذاخالطه غيره أو استعمل . [صفحہ ٦٢] وقيل إذا اغتسل به جنب خرج عن بابه ومنهم من كره التطهير به بعد ذلك وقال المرتضى يجوز إزالة النجاسات بالماء لئلا يضر الغرض بإزالة النجاسة أن لا تكون وأسباب أن لا تكون النجاسة لا تختلف قال والدليل عليه أن لا تختلف بين أن لا تكون أصلاً وبين إزالتها فإذا كان هكذا فمتى أزيلت مشى ما ذكرناه وقد سقط حكمها. وقال الشيخ أبو جعفر إن كان ذلك كذلك عقلاً فإننا متعبدون شرعاً أن لا نزيل النجاسة إلا بالماء المطلق .

فصل

و من لا يجد ماء ولا تراباً نظيفاً قال أبو حنيفة لا يصلي وعندنا أنه يصلي ثم يعيد بالوضوء أو التيمم وبذلك نص عن آل محمد ع ويؤيده قوله تعالى إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا وَقوله أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ لآيَةً. والأمر على الوجوب إلا أن يدل دليل ولا دليل على ما يدعيه الخصم وقد بين النبي ع أحكام المياه وما ينجسها وما يزيل حكم نجاستها بالزيادة أو النقصان على ما أمر الله بعد أن علمه تعالى فقال وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ -قرآن- ١٤٥-٢٠٠-قرآن- ٢٠٩-٢٤١-قرآن- ٤٤٧-٤٩٣ و من لا يجد ماء ولا تراباً نظيفاً قال أبو حنيفة لا يصلي وعندنا أنه يصلي ثم يعيد بالوضوء أو التيمم وبذلك نص عن آل محمد ع ويؤيده قوله تعالى إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا وَقوله أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ لآيَةً. والأمر على الوجوب إلا- أن يدل دليل ولا دليل على ما يدعيه الخصم وقد بين النبي ع أحكام المياه وما ينجسها وما يزيل حكم نجاستها بالزيادة أو النقصان على ما أمر الله بعد أن علمه تعالى فقال وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ أَى أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْقُرْآنَ يَا مُحَمَّدٌ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ مِنْ الْأَحْكَامِ عَلَى مَا عَلَّمْنَاكَ وَأَمْرٌ جَمِيعٌ الْأُمَّةَ بِاتِّبَاعِهِ وَالْأَخْذُ مِنْهُ جَمَلَةٌ وَتَفْصِيلاً فَقَالَ مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ. فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ لَكُمْ وَجْهَ الْاِحْتِجَاجِ بِالْأَخْبَارِ الَّتِي تَرَوْنَهَا أَنْتُمْ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَأَبْنَائِهِ وَأَبْنَائِهِ ع عَلَى مَنْ خَالَفَكُمْ. قُلْنَا إِنْ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ وَ هَذَا عَلَى الْعُمومِ وَ قَدْ ثَبَتَ بِالْأَدْلَةِ إِمَامَةُ الصَّادِقِ ع وَعَصْمَتِهِ وَ أَنْ قَوْلُهُ وَفَعَلَهُ حُجَّةٌ فَجَرَى قَوْلُهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مَجْرَى قَوْلِ الرَّسُولِ عَلَى أَنَّهُ ع صَرَحَ بِذَلِكَ -قرآن- ١-١٩-قرآن- ١٥٥-١٨٤-قرآن- ٣٣٠-٣٩٤ و قال كل ما أقوله فهو عن أبي عن جدي عن رسول الله عن جبرئيل عن الله -رواية- ١-٢-رواية- ١٠-٨٢. و من وجه آخر وهو أن النبي ص قال إني مخلف فيكم الثقلين ما إن تمسكتهم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي الخبر -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-١٠١ فجعل عترته في باب الحجّة مثل كتاب الله ولا شك أن هذا الخطاب إنما يتناول علماء العترة الذين هم أولو الأمر وهم الصادق وآبؤه وأبناؤه الاثنا عشر و كل ما يصدر عنهم من أحكام الشرع عن رسول الله عن الله تعالى يجب على من خالفنا العمل عليه سواء أسندوا أو أرسلوا وكيف لا- وهم يعملون على ما رواه مثل أبي هريرة وأنس من أخبار الآحاد. وهذا السؤال يعتمده مخالفونا في جميع مسائل الشرع وهو غير قادح . [صفحہ ٦٤]

فصل

وقوله تعالى إِنَّمِ الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ يُدَلُّ عَلَى أَن سُورَ الْيَهُودِي وَالنَّصْرَانِي وَ كُلِّ كَافِرٍ أَصْلَى أَوْ مَرْتَدٍ أَوْ مَلَى نَجَسٍ . وَ فِي الْآيَةِ شَيْئَانِ تَدُلُّ عَلَى الْمَبَالِغَةِ فِي نَجَاسَتِهِمْ أَحَدُهُمَا قَوْلُهُ إِنَّمِ الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ أُبْلَغَ فِي الْإِخْبَارِ بِنَجَاسَتِهِمْ مِنْ أَنَّ يُقَالُ الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ مِنْ غَيْرِ إِنَّمَا فَإِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ إِنَّمَا زَيْدٌ خَارِجٌ عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ بِمَنْزِلَةِ مَا خَارِجٌ إِلَّا زَيْدٌ. وَالثَّانِي قَوْلُهُ نَجَسٌ وَ هُوَ مُصَدَّرٌ وَلِذَلِكَ لَمْ يَجْمَعْ

والتقدير إنما المشركون ذو نجاسة وجعلهم نجسا مبالغة في وصفهم بذلك كما يقال ما هو إلا سير إذا وصف بكثرة السير وكقوله قرآن-١٦-٤٢-قرآن-١٧٦-١٩٥-قرآن-٣٤٩-٣٥٤ فإنما هي إقبال وإدبار وليس لأحد أن يقول المراد به نجاسة الحكم لانجاسة العين لأن حقيقة هذه اللفظة تقتضى نجاسة العين في الشرع وإنما يحمل على الحكم تشبيها ومجازا والحقيقة أولى من المجاز باللفظ على أننا حملناه على الأمرين لأنه لا مانع من ذلك . فإن قيل فقد قال الله تعالى وَ طَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّ لَكُمْ وَ هَذَا عَامٌ فِي جَمِيعِ مَا شَرِبُوا وَعَالَجُوا بِأَيْدِيهِمْ . قلنا يجب تخصيص هذا الظاهر بالدلالة على نجاستهم وتحمل هذه الآية على أن المراد بها طعامهم الذي هو الحبوب ويملكونه دون ما هو سؤر أو عالجوه بأجسامهم . -قرآن-٢٦٣-٣٠٨ [صفحہ ٦٥] على أن ما فى طعام أهل الكتاب ما يغلب على الظن أن فيه خمرا أو لحم خنزير فلا بد من إخراجه من هذا الظاهر و إذا أخرجناه من الظاهر لأجل النجاسة و كان سؤرهم على ما بينا نجسا أخرجناه أيضا من الظاهر .

فصل

عن أبى بصير سألت أبا عبد الله ع عن الجنب يدخل يده فى الإناء قال إن كانت قدره فليهرقه و إن كان لم يصبها قدر فليغتسل منه هذاما قال الله تعالى مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ -رواية-١-٢-رواية-١٦-٢٠٢ وسئل أيضا عن الجنب يغتسل فينتضح من الماء فى الإناء فقال لا بأس هذاما قال الله مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ -رواية-١-٢-رواية-٣-١٣١ . و إذا صافح المسلم الكافر أو من كان حكمه حكمه ويده مرطبة بالعرق أو غيره غسلها من مسه بالماء البتة و إذا لم يكن فى يد أحدهما رطوبة مسحها بالحائط لأنه تعالى قال إِنَّمِ الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَحَكْمٌ عَلَيْهِمُ بِالنَّجَاسَةِ بِظَاهِرِ اللَّفْظِ فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَا يَمَسُّونَهُ نَجَسًا إِلَّا مَا أَبَاحَتْهُ الشَّرِيعَةُ . فإن قيل هل يجوز الوضوء والغسل بماء مستعمل . قلنا يجوز ذلك فيما استعمل فى الوضوء و لا يجوز فيما استعمل فى غسل الجنابة والحيض وأشباههما مما يزال به كبار النجاسات وبذلك نصوص عن أئمة الهدى ع . و فى تأييد جواز ما استعمل فى الوضوء قوله فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا -قرآن-١٧١-١٩٧-قرآن-٥٢٧-٥٥٨ [صفحہ ٦٦] وهذا الضرب من الماء مستحق للإسْم على الإطلاق و فى منع ما سواه نص ظاهر واحتياط للصلاة قاله الشيخ المفيد . و قال المرتضى يجوز استعمال الماء المستعمل فى الأغسال الواجبة أيضا إذا لم تكن نجاسة على البدن لعموم هذه الآية و قد أشرنا فى الباب الأول إلى هذا

فصل فيما ينقض الطهارتين

نواقضهما عشر بإجماع الفرقة المحققة وبالكتاب والسنة جملة وتفصيلا . أما النوم فإن آية الطهارة تدل بظاهرها على أنه حدث ناقض للوضوء وإنما يوجب إعادته على اختلاف حالات النائم إذا أراد الصلاة . و قد نقل أهل التفسير وأجمعوا على أن المراد بقوله إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ إِذَا قُمْتُمْ مِنَ النُّوْمِ وَ هَذَا الظاهر يوجب الوضوء من كل نوم . -قرآن-٢٤٦-٢٧١ و قال زيد الشحام سألت أبا عبد الله ع عن الخفقة والخفتين فقال ما أدرى ما الخفقة والخفتان إن الله يقول بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ إِنْ عَلِيَّاع كَانَ يَقُولُ مَنْ وَجَدَ طَعْمَ النُّوْمِ أَوْجِبْ عَلَيْهِ الْوَضُوءَ -رواية-١-٢-رواية-٢١-٢١١ و عن ابن بكير قلت للصادق ع ما يعنى بقوله إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ إِذَا قُمْتُمْ مِنَ النُّوْمِ قُلْتَ يَنْقُضُ النُّوْمُ الْوَضُوءَ فَقَالَ نَعَمْ إِذَا كَانَ يَغْلِبُ عَلَى السَّمْعِ وَ لَا يَسْمَعُ الصَّوْتَ -رواية-١-٢-رواية-١٨-١٧٥ . والجنابة تنقض الوضوء على أى وجهيها حصلت وتوجب الغسل أيضا قال [صفحہ ٦٧] تعالى وَ

إِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَكَذَا الْحَيْضُ قَالَ تَعَالَى وَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ الْآيَةَ وَالسُّكْرَ الْمَزِيلَ وَاللَّعْلَ يَنْقُضُ الْوُضُوءَ فَقَطُّ وَكَذَلِكَ الْغَائِطُ قَالَ تَعَالَى لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُيَّكَارٍ إِلَى قَوْلِهِ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ وَمَا سِوَاهَا مِنَ النُّوَاقِضِ يَعْلَمُ بِالتَّفْصِيلِ مِنَ السَّنَةِ وَإِنَّمَا يَعْلَمُ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى الْجُمْلَةِ. -قرآن- ٨-٤٠-قرآن- ٦٥-٩٤-قرآن- ١٦٥-٢٠٢-قرآن- ٢١٤-٢٤٩ وروى أن النبي ع قال لأهل قبا ماذا تفعلون في طهركم فإن الله أحسن عليكم الثناء فقالوا نغسل أثر الغائط فقال أنزل الله فيكم وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ -رواية- ١-٢-رواية- ٩-١٦٧. فقوله رجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا أَى يتطهرون بالماء من الغائط والبول وهو المروى عن الباقر والصادق ع . -قرآن- ٨-٤٠ وروى في تفسير قوله وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ أَى بنى إسرائيل إذا أصاب البول شيئا من جسدهم قطعوه بالسكين -رواية- ١-٢-رواية- ٩-١١٤

باب توابع الطهارة

إشارة

قد بينا أن من شرط الصلاة أذى لا تتم إلا به الطهور و هو ينقسم على ثلاثة [صفحة ٦٨] أضرب وضوء وغسل وتيمم بدلها. و كما لا يجوز الدخول في الصلاة مع عدم الطهارة في أكثر الحالات لا يجوز الدخول فيها مع نجاسة على البدن أو الثياب اختيارا قال تعالى وَ ثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ. حمل هذه الآية أهل التفسير على الحقيقة والمجاز أما الحقيقة فظاهر أى فطهر ثيابك من كل نجاسة للصلاة فيها قال ابن سيرين و ابن زيد اغسلها بالماء وقيل معناه شمر ثيابك -قرآن- ١٦٧-٢٠٤ ورأى على ع من يجر ذيله لطوله فقال له قصر منه فإنه أتقى وأتقى وأبقى -رواية- ١-٢-رواية- ٣-٨١ و أما من حمله على المجاز فقال كأنه تعالى قال وبدنك فطهر أو نفسك فطهر كما يقال فلان طاهر الثوب أى طاهر النفس كقول امرئ القيس فسلى ثيابى من ثيابك تنسلى . و لا مانع للحمل على الحقيقة والمجاز معا لفقد التنافى بينهما فيجب إجراؤه على العموم فيهما لفقد المخصص والقرينة على أن الحقيقة أصل والمجاز فرع عليه والحمل على الأصل أولى والأمر شرعا على الوجوب . ويدل عليه أيضا قوله وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَ لَمْ يَفْرُقْ بَيْنَ الظَّاهِرِ وَالْخَفِيِّ وَ لَآ بَيْنَ القَلِيلِ وَالكَثِيرِ. -قرآن- ٢٣٠-٢٤١

فصل

وقوله وَ إِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ -قرآن- ٩-٦٤ [صفحة ٦٩] عن ابن عباس أن الله أمر بعشر سنن خمس في الرأس وخمس في البدن أمالتى في الرأس فالمضمضة والاستنشاق والفرق وقص الشوارب والسواك و أمالتى في الجسد فالختان وحلق العانة وتقليم الأظفار و نشف الإبطين والاستنجاء بالماء -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-٢٣٤ و به قال قتادة و أبو الخلد و قال تعالى مَلَأَهُ أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ أَى ابتغوا ملته فإنها داخله فى مله نبينا مع زيادات . -قرآن- ٤٢-٦٧

فصل

وإنما نتكلم فى النجاسات التى خالفونا فيها احتجاجا عليهم اعلم أن المنى نجس لا يجزى فيه إلا الغسل عندنا والدليل عليه

بعد إجماع الطائفة قوله وَ يُنَزَّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهَّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّ الْمَفْسِرِينَ قَالُوا إِنَّهُ تَعَالَى أَرَادَ بِهِ أَثَرَ الْإِحْتِلَامِ عَلَى مَا قَدَّمَ مِنْهُ . وَالْآيَةُ دَالَةٌ عَلَى نَجَاسَةِ الْمَنِيِّ مِنْ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّ الرَّجْسَ وَالرَّجْزَ وَالنَّجْسَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ لِقَوْلِهِ وَالرَّجْزَ فَهَاجِرٌ وَقَوْلِهِ فَاجْتَنِبُوا الرَّجْسَ . وَالْوَجْهَ الثَّانِي أَنَّهُ تَعَالَى أَطْلَقَ عَلَيْهِ اسْمَ التَّطْهِيرِ وَهُوَ فِي الشَّرْعِ إِزَالَةُ النَّجَاسَةِ . وَدَمُ الْحَيْضِ نَجَسٌ قَلِيلٌ وَكَثِيرٌ لَا يَجُوزُ الصَّلَاةُ فِي ثَوْبٍ أَوْ بَدَنِ أَصَابَهُ مِنْهُ شَيْءٌ قَلِيلٌ وَالِدَلِيلُ عَلَيْهِ آيَةُ الْمَحِيضِ فَإِنَّهَا عَلَى الْعَمُومِ . - قرآن- ١٤٩- ٢٤٠- قرآن- ٤٠٠- ٤١٧- قرآن- ٤٢٦- ٤٤٥ [صفحہ ٧٠] والخمر و كل مسكر نجس يدل عليه آية تحريمه وهي على العموم أيضا. و أما الغائط فيمكن أن يستدل على نجاسته بآية الطهارة. والفقاع وغيره من النجاسات تدل على نجاستها السنة على سبيل التفصيل والقرآن على الإجمال قال تعالى ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا و قد نهى عنه . - قرآن- ٢٢٨-

٢٨٨

فصل

والدم الذي ليس بدم حيض و نفاسه و استحاضه يجوز الصلاة في ثوب أو بدن أصابه منه ما ينقص مقداره عن سعة الدرهم الوافي و ما زاد على ذلك لا يجوز الصلاة فيه . و احتجنا عليه من الكتاب مضافا إلى الإجماع قوله يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ بِمَاءٍ ذَا ذِكْرٍ فَالْوُجُوهُ لَمَّا فَجَعَلَ تَطْهِيرَ الْأَعْضَاءِ الْأَرْبَعَةِ مَبِيحًا لِلصَّلَاةِ فَلَوْ تَعَلَّقَتْ الْإِبَاحَةُ بِغَسْلِ نَجَاسَةٍ لَكَانَ زِيَادَةٌ لَا يَدُلُّ عَلَيْهَا الظَّاهِرُ لِأَنَّهُ بِخِلَافِهَا وَ لَا يَلْزَمُ عَلَى هَذَا مَا زَادَ عَلَى الدَّرْهَمِ . وَ مَاعِدَا الدَّمِ مِنْ سَائِرِ النَّجَاسَاتِ مِنْ بَوْلٍ أَوْ عَذْرَةٍ وَمَنِيٍّ وَغَيْرِهَا إِذَا كَانَ قَلِيلًا يَجِبُ إِزَالَتُهُ لِأَنَّ الظَّاهِرَ وَ إِن لَمْ يَجِبْ ذَلِكَ فَقَدْ عَرَفْنَا بِدَلِيلٍ أَوْجِبُ الزِّيَادَةَ عَلَى الظَّاهِرِ وَ لَيْسَ فِي ذَلِكَ يَسِيرُ الدَّمِ . وَ تَلَكَّ الدَّمَاءُ الثَّلَاثَةُ لِلنِّسَاءِ تَخْتَصُّ فِي الْأَكْثَرِ بِأَوْقَاتٍ مَعِيْنَةٌ يُمْكِنُ التَّحَرُّزُ مِنْهَا وَبَاقِي الدَّمَاءِ بِخِلَافِ ذَلِكَ . وَ إِنَّمَا فَرَقْنَا بَيْنَ الدَّمِ وَ بَيْنَ الْبَوْلِ وَ الْمَنِيِّ وَ سَائِرِ النَّجَاسَاتِ فِي عَتَبَةِ الدَّرْهَمِ لِإِجْمَاعِ الطَّائِفَةِ وَأَخْبَارِهِمْ وَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْوَجْهُ فِيهِ أَنَّ الدَّمِ لَا يَجِبُ خُرُوجُهُ - قرآن- ٢١٢- ٢٧٦ [صفحہ ٧١] من الجسد على اختلاف مواضعه وضوءا إلا ما ذكرناه والبول والعذرة والمنى يوجب خروج كل واحد منها الطهارة فغلظت أحكامها من هذا الوجه على حكم الدم .

فصل

فأما من كان به بثور يرشح منها الدم دائما لم يكن عليه حرج في الصلاة به وكذا إن كان به جراح يرشح دما وقيحا فله أن يصلى فيها و إن كثر ذلك يدل عليه قوله مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ وَنَحْنُ نَعْلَمُ لَوْ أَلْزَمَ الْمَكْلَفُ إِزَالَةَ ذَلِكَ لَحَرَجَ بِهِ وَرَبِمَا تَفَوْتَهُ الصَّلَاةُ مَعَ ذَلِكَ فَأَبَاحَهُ اللَّهُ رَأْفَةً بِعِبَادِهِ . وَالْآيَةُ دَالَةٌ أَيْضًا عَلَى أَنَّ حُكْمَ الثَّوْبِ إِذَا أَصَابَهُ دَمُ الْبَقِ وَالْبِرَاغِيثُ فَلَا حَرَجَ أَنْ يَصَلِيَ فِيهِ وَ إِن كَانَ كَثِيرًا لِأَنَّهُ مِمَّا لَا يُمْكِنُ التَّحَرُّزُ مِنْهُ وَ أَنَّهُ تَعَالَى رَفَعَ الْحَرَجَ عَنِ الْمَكْلَفِينَ . وَ قَدَّمْنَا أَنَّ الْخَمْرَ وَنَبِيذَ التَّمْرِ الَّذِي نَشَى وَ كُلَّ مَسْكَرٍ لَا يَجُوزُ الصَّلَاةُ فِيهِ وَ إِن كَانَ قَلِيلًا حَتَّى يَغْسَلَ بِالْمَاءِ وَيَدُلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ إِنََّّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصَابُ وَ الْأَزْلَامُ رِجْسٌ وَ إِذَا ثَبِتَ أَنَّهُ نَجَسٌ يَجِبُ إِزَالَتُهُ ثُمَّ قَالَ فَاجْتَنِبُوا أَمْرًا بِاجْتِنَابِ ذَلِكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَ ظَاهِرُ أَمْرِ اللَّهِ شَرَعًا عَلَى الْإِجْمَاعِ فَيَجِبُ اجْتِنَابُ مَا يَتَنَاوَلُ اللَّفْظَ عَلَى كُلِّ وَجْهِ - قرآن- ١٦٥- ٢٠٥- قرآن- ٦٠٤- ٦٦٣- قرآن- ٧٠٥- ٧١٧ [صفحہ ٧٢]

إذا سمعت الله تعالى يقول يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فاعرف لها سمعك فإنها لأمر يؤمر به أولنهي ينهي عنه -قرآن- ٢٩-٥٥ و قال الصادق ع لذة ما في النداء أزالته تعب العبادة والعناء -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-٦٥ . و قوله وَ لَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا يدل على أنه يكره أن يستعين الإنسان في الوضوء أو الغسل بمن يصب الماء عليه بل ينبغي أن يتولاه بنفسه . و من وضأه غيره و هو يتمكن منه لم يجزه و كذلك في الغسل إذا تولاه غيره مع تمكنه لا- يكون مجزيا لقوله فَأَغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا فإنه إذا لا يكون متطهرا. فإن كان عاجزا عن الوضوء أو الغسل لمرض أو ما يقوم مقامه بحيث لا يتمكن منه لم يكن به بأس لقوله ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ . -قرآن- ١٠-٤٧-قرآن- ٢٦٣-٢٨٣-قرآن- ٢٨٦-٣١٥-قرآن- ٤٤٢-٤٨٢

مسألة

إن قيل لم جاز أن يعبر عن إرادة الفعل بالفعل في قوله إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ. قلنا لأن الفعل يوجد بقدره الفاعل عليه ويقع بوجه دون وجه بإرادته له فكما يعبر عن القدرة على الفعل بالفعل في قولهم الإنسان لا يطير والأعمى لا يبصر أى لا يقدران على الطيران والإبصار كذلك عبر عن إرادة الفعل بالفعل فأقيم ما هو كالمسبب مقام ما هو كالسبب للملابسة بينهما و لا مجاز في الكلام . - قرآن- ٥٨-٨٣ [صفحة ٧٣]

مسألة

فإن قيل ظاهر الأمر يوجب الوضوء على كل قائم إلى الصلاة محدث و غير محدث. قلنا يحتمل أن يكون الأمر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين خاصة. فإن قيل هل يجوز أن يكون الأمر شاملا للمحدثين وغيرهم لهؤلاء على وجه الإيجاب ولهؤلاء على وجه الاستحباب. قلنا نعم هذا من الصواب لأنه لا مانع من أن تتناول الكلمة الواحدة معنيين مختلفين .

مسألة

روى أن عبدالرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فأكلوا و شربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب قدموا أحدهم ليصلى بهم فقرا أعبد من تعبدون أنتم عابدون ما أعبد فنزل يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ فَكَانُوا لَا يَشْرَبُونَ فِي أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ فَإِذَا صَلُوا الْعِشَاءَ شَرَبُوهَا فَلَا يَصْبِحُونَ إِلَّا وَ قَدْ ذُهِبَ عَنْهُمْ السُّكْرُ وَيَعْلَمُوا مَا يَقُولُونَ ثم نزل تحريمها -رواية- ١-٢-رواية- ٧-٤٣٦ فهذه الرواية غير صحيحة فالخمر كانت محرمة في كل ملء على ما ذكره في بابه . [صفحة ٧٤]

مسألة

فإن قيل مامحل قوله إلاً عابري سبيل من الإعراب. قلنا من فسر الصلاة في الآية بمواضع الصلاة وهي المساجد فحذف المضاف فهو في موضع الحال أى لا تقربوا المسجد جنباً إلا مجتازين منه إذا كان فيه الطريق إلى الماء أو كان الماء منه أو احتمتم فيه و كان النبي ص لم يأذن لأحد يمر في مسجده و هو جنب إلا لعل على حتى سد الأبواب كلها إلا بابه . و أما من حمل الآية على ظاهرها و هو بعيد فقال معناه لا تقربوا الصلاة في حال الجنابة إلا ومعكم حال أخرى تعذرون فيها وهي حال السفر و عبور السبيل عبارة عن السفر فقد ترك مجازاً و وقع في مجازين . و إن زعم أنه صفة لقوله جنباً أى و لا تقربوا الصلاة في حال الجنابة إلا و لعلم حال أخرى تعذرون معها وهي حال السفر و عبور السبيل عنده عبارة عن السفر فقد ترك مجازاً و وقع في مجازين . و إن زعم أنه صفة لقوله جنباً أى و لا تقربوا الصلاة جنباً غير عابري سبيل فإنهم لا تصح صلاتهم على الجنابة لعذر السفر حتى يغتسلوا و يتيمموا عند العذر و هذا يستوى فيه المقيم و المسافر. -قرآن- ٢٣-٤٤-قرآن- ٥٧٣-٥٧٩-قرآن- ٧٦٢-٧٦٨

مسألة

فإن قيل إن الله تعالى أدخل في حكم الشرط أربعة وهم المرضى و المسافرين [صفحہ ٧٥] و المحدثون و أهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذى هو الأمر بالتيمم عند عدم الماء منهم. قلنا الظاهر أنه يتعلق بهم جميعاً و أن المرضى إذا عدموا الماء لضعف حركتهم و عجزهم عن الوصول إليه أو مع وجدانهم الماء لا يمكنهم استعمال الماء لجرح أو قرح بهم فلهم أن يتيمموا و كذلك السفر إذا عدموه لبعدهم منه أو لبعض الأسباب التى هى فى الشرع عذر و المحدثون و أهل الجنابة كذلك إذا لم يجدوه لبعض الأسباب .

مسألة

فإن قيل كيف نظم فى سلك واحد بين المرضى و المسافرين و بين المحدثين و المجنبيين و المرض و السفر سببان من أسباب الرخصة و الأحداث سبب لوجوب الوضوء و الغسل. قلنا أراد سبحانه أن يرخص للذين وجب عليهم التطهير و هم عادمون للماء فى التيمم فخص من بينهم مرضاهم و سفرهم لأنهم المتقدمون فى استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض و السفر و غلبتهما على سائر الأسباب الموجبة لغرضه ثم عم من وجب عليه التطهر و أعوزه الماء لخوف عدو أو سبب أو عدم آلة استقاء أو غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض و السفر.

مسألة

الدلك فى غسل الجنابة غير واجب بدلالة قوله و لا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا و اسم الاغتسال ثابت مع عدم الدلك للجوارح و اليدين فبطل -قرآن- ٤٥-٩٨ [صفحہ ٧٦] قول من أوجهه إذ ليس بعد امتثال الأمر بالغسل أمر آخر و ذلك البدن أمر زائد على الغسل و إيجاب ما زاد على الأمور به لا يكون من جهة الشرع إلا أن يريد به احتياط المغتسل فى إيصال الماء إلى أصل كل شعر من رأسه و بدنه .

مسألة

فإن قيل مم اشتقاق الجنابة. قلنا من البعد فكأنه سمي به لتباعده عن المساجد إلى أن يغتسل ولذلك قيل أجنب . وقال ابن عباس الإنسان لا يجنب والثوب لا يجنب -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۰-۵۳ فإنه أراد به أن الإنسان لا يجنب بمماسه الجنب وكذا الثوب إذالبسه الجنب .

مسألة

الصعيد وجه الأرض ترابا كان أو غيره و إن كان صحرا لاتراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه لكان ذلك طهوره و هو مذهب أبي حنيفة أيضا. فإن قيل فما يصنع بقوله في المائدة فَامَسَّ حُجُورَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ مِنْهُ أى بعضه و هذا لا يتأتى فى الصخر الذى لاتراب عليه. قلنا قالوا إن من لا ابتداء الغاية على أنه لو كان للتبعيض لا يلزم ما ذكر لأن التيمم بالتراب عند وجوده أولى منه بالصخر وكون الغبرة على الكفين لا اعتبار بها. -قرآن- ۱۷۲-۲۱۳ [صفحه ۷۷]

مسألة

المحيض مصدر مثل المجيء و كانت الجاهلية إذا حاضت المرأة لم يساكنوها فى بيت كفعل اليهود والمجوس وأخرجوهن من بيوتهن فى صدر الإسلام أيضا بظاهر قوله فَاَعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فقال ع إنما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن إذا حضن و لم يأمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم . -قرآن- ۱۵۴-۱۷۴

مسألة

و قد قال بعض المفسرين فى قوله تعالى قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى مَعْنَاهُ أَفْلَحَ مَنْ تَطَهَّرَ لِلصَّلَاةِ وَ تَوَجَّهَ بِذِكْرِ اللَّهِ فَصَلَّى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ -قرآن- ۴۲-۶۴ [صفحه ۷۸]

كتاب الصلاة

إشارة

و قد ورد فى القرآن آى كثيرة على طريق الجملة تدل على وجوب الصلاة نحو قوله أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ قوله فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا وَ قوله حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ . ويمكن الاستدلال بهذه الآيات على وجوب جميع الصلوات و على صلاة الجنائز و صلاة العيدين و على وجوب الصلاة على النبى وآله فى التشهد لأنه عام فى جميع ذلك . و قوله حَافِظُوا أَبْلَغَ مِنْ أَحْفَظُوا لِأَنَّ هَذَا الْبِنَاءَ أَصْلُهُ لِتَكَرُّرِ الْفِعْلِ بِوُقُوعِهِ مِنْ اثْنَيْنِ فَإِذَا اسْتَعْمَلَ فِيمَا يَكُونُ مِنْ وَاحِدٍ ضَمَّنَ مَبَالِغَهُ وَ تَطَاوُلًا - فى ذلك الفعل كقوله عافاك الله لا يقصد به سؤال هذا الفعل مرة واحدة فكان الله تعالى كرر الأمر بحفظ الصلوات

الخمس وتحفظ الصلوات بأن يؤتى بها فى أوقاتها بحدودها وحقوقها. -قرآن-٧٩-١١٤-قرآن-١٢٣-١٩٩-قرآن-٢٠٨-٢٣٢- قرآن-٤٠٦-٤١٣ [صفحہ ٧٩] والصلوة أفضل العبادات ولهذا قال رسول الله ص لكل شىء وجه ووجه دينكم الصلاة -رواية- ٢-١-رواية-٢٣-٥٦ و قال ع الصلاة أول ما ينظر فيه من أعمال العبد فإن صحت لم ينظر فى عمل من أعماله وإن لم تصح نظر فيها و فى جميع أفعاله -رواية-٢-١-رواية-١٣-١٣١

فصل

فإن قيل كيف أمروا بالصلاة وهم لا يعرفون حقيقتها فى الشريعة. قيل إنما أمروا بذلك لأنهم أحيلوا فيه على بيان الرسول ع ووجه الحكمة فيه ظاهر لأن المكلفين إذا أمروا بشىء على الإجمال كان أسهل عليهم فى أول الوهلة وأدعى لهم فى قبولها من أن يفصل ثم كون المجمل المأمور به يدعوهم إلى استفسار ذلك فىكون قبول تفصيله أئزم لهم . ومثاله فى العقليات قول أصحاب المعارف لنا لو كنا مكلفين بالمعرفة لوجب أن نكون عالمين بصفة المعرفة لئلا يكون تكليفنا بما لا يطاق . فنقول لهم الواحد منا وإن لم يكن عالما بصفة المعرفة فإنه عالم بسبب المعرفة وهو النظر فالعلم به يقوم مقام العلم بمسببه الذى هو المعرفة وصفتها والمكلف إنما يجب أن يكون عالما بصفة ما كلف لتمكنه الإتيان به على الوجه الذى كلف فإذا أمكنه من دونه فلا معنى لاشتراطه .

فصل

وإقامة الصلاة أداؤها بحدودها وفرائضها كما فرضت عليهم يقال أقام القوم سوقهم إذا لم يعطوها من المبايعه. [صفحہ ٨٠] وقيل إقامتها إدامه فرائضها يقال للشىء الراتب قائم . وقيل هو من تقويم الشىء يقال قام بالأمر إذا أحكمه وحافظ عليه . وقيل إنه مشتق مما فيها من القيام ولذلك يقال قد قامت الصلاة . و أما الصلاة فهى الدعاء فى الأصل والصلاة اشتقاقها من اللزوم يقال اصطفى بالنار أى لزمها و قال تعالى تصلى ناراً . وتخصصت فى الشرع بالدعاء والذكر فى موضع مخصوص وقيل هى عبارة عن الركوع والسجود على وجه مخصوص وأذكار مخصوصه . و قال أصحاب المعانى إن معنى صلى أزال الصلاة منه وهو النار كما يقال مرض . وفرضها على ثلاثة أقسام متعلقه بثلاثة أحوال الحضر والسفر والضرورة وإنما اختلفت أحكامها لاختلاف أحوالها وبينها رسول الله ص وفصلها ونص القرآن عليها جملة قال ما آتاكم الرسول فخذوه و قال وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ -قرآن-٢٩٥-٣٠٥-قرآن-٦٦٥-٦٩٤-قرآن-٧٠٢-٧٦٧

باب ذكر المواقيت

إشاره

فأولها الظهر وهى أول صلاة فرضها الله تعالى على نبيه ع وقال [صفحہ ٨١] أقم الصلاه لئلا تلوك الشمس إلى غسق الليل ودلوكها زوالها وبعدها العصر قال حافظوا على الصلوات و الصلاة الوسطى فرض فى الآية الأولى بين دلوك الشمس وغسق الليل أربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ثم قال وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ وَأَوْجِبَ صَلَاةَ الْفَجْرِ أَيضًا وَقَالَ تَعَالَى أَقِمِ الصَّلَاةَ

طَرْفِي النَّهَارِ. و قال فى الموضوعين أقيم فالمراد به أمته معه . -قرآن-١-٥٣-قرآن-٨٧-١٣١-قرآن-٢٤٣-٢٥٩-قرآن-٢٩٦-٣٢٩-
قرآن-٣٥١-٣٥٦

فصل

والدلوک فى آیه الفرض المتقدمه اختلفوا فيه فقال ابن عباس و ابن مسعود و ابن زيد هو الغروب والصلاة المأمور بها هاهنا هى المغرب و قال ابن عباس فى روايه أخرى و الحسن و مجاهد و قتاده دلوکها زوالها و هو المروى عن الباقى و الصادق ع و ذلك أن الناظر إليها يدلک عينه لشده شعاعها و أما عند غروبها فيدلک عينه ليتبينها والصلاة المأمور بها عند هؤلأ الظهر. و غسق الليل ظهور ظلامه يقال غسقت القرحة أى انفجرت و ظهر ما فيها و قال ابن عباس و قتاده هو بدء الليل و قال الجبائى غسق الليل انتصافه . و قوله تعالى وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ قال قوم يعنى به صلاة الفجر و ذلك يدل على أن الصلاة لاتتم إلا بالقراءة لأنه أمر بالقراءة و أراد بها الصلاة لأنها لاتتم إلا بها مع التمكن . -قرآن-٥١٢-٥٢٨ [صفحه ٨٢] ومعنى إِنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا تشهد ملائكة الليل و ملائكة النهار فتكتب فى صحيفه الليل و صحيفه النهار و فيه حث للمسلمين على أن يحضروا هذه الصلاة و يشهدوها للجماعه - قرآن-٨-٤١ و عن أمير المؤمنين ع أنها الصلاة الوسطى -روایت-١-٢-روایت-٢٧-٤٧ و قال الحسن إِنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا تشهد ملائكة الليل و ملائكة النهار و العصر إلى غسق الليل الصلاة العشاءين كأنه يقول من ذلك الوقت إلى هذا الوقت على ما بين أوقات الصلوات الأربع ثم أفرد صلاة الفجر بالذكر. و قال الزجاج سمي صلاة الفجر قرآن الفجر لتأكيد أمر القراءة فى الصلاة كما ذكرنا. -قرآن-١٥-٣١-قرآن-٥٧-٧٥

فصل

واستدل قوم بهذه الآيه على أن الوقت الأول موسع إلى آخر النهار فى الأحوال لأنه أوجب إقامة الصلاة من وقت الدلوک إلى وقت غسق الليل و ذلك يقتضى أن ما بينهما وقت . و قال الشيخ أبو جعفر الطوسى هذا ليس بقوى لأن من قال إن الدلوک هو الغروب لادليل له فيها لأن من قال ذلك يقول إنه يجب إقامة المغرب من عند الغروب إلى وقت اختلاط الظلام الذى هو غروب الشفق و ما بين ذلك وقت المغرب و من قال الدلوک هو الزوال يمكنه أن يقول المراد بالآيه بيان وجوب [صفحه ٨٣] الصلوات الخمس على ما ذكره الحسن لا بيان وقت صلاة واحدة فلا دلالة فى الآيه على ذلك . والصلاة فى أول وقتها أفضل قال تعالى فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ففى عمومها دليل عليه . -قرآن-١٣٠-١٥١

فصل

و قوله أقيم الصلاة طَرْفِي النَّهَارِ وَ زُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ أمر الله به نبيه و أمته بإقامة الصلاة و الإتيان بأعمالها على وجه التمام فى ركوعها و سجودها و سائر فروضها. و قيل إقامتها هو عملها على استواء كالقيام الذى هو الانتصاب فى الاستواء. و قوله طَرْفِي النَّهَارِ يريد بهما صلاة الفجر و المغرب و قال الزجاج يعنى به الغداء و الظهر و العصر و يحتمل أن يريد به صلاة الفجر و العصر لأن طرف الشئ من الشئ و صلاة المغرب ليست من النهار. و قوله زُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ عن ابن عباس يريد به العشاء الآخرة و قال الزجاج العشاءان المغرب

والعتمة والزلفه المنزلة. و من قال المراد بطرفى النهار الفجر والمغرب قال ترك ذكر الظهر والعصر لظهورهما فى أنهما صلاة النهار والتقدير أقم الصلاة طرفى النهار مع الصلاتين المفروضتين . وقيل إنهما ذكرا على التبع للطرف الأخير لأنهما بعد الزوال فهما أقرب إليه وقد قال أقم لدلوك الشمس إلى غسق الليل ودلوكها زوالها ثم قال إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ أى إن الدوام على فعل الحسنات يدعو إلى ترك السيئات -قرآن- ٩-٦٦-قرآن- ٢٥٥-٢٧٢-قرآن- ٤٤٩-٤٦٨-قرآن- ٨٦٩-٩٠٣ [صفحہ ٨٤]
فإذا دعا إلى تركها فكأنها ذهبت به بالقوله إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ . -قرآن- ٤٢-٨٨

فصل

وقوله تعالى فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ هذه الآية أيضا تدل على الصلوات الخمس فى اليوم والليله لأن قوله حِينَ تُمْسُونَ يقتضى المغرب والعشاء الآخرة وَحِينَ تُصْبِحُونَ يقتضى صلاة الفجر وعشياً يقتضى العصر وَحِينَ تَطْهَرُونَ يقتضى صلاة الظهر ذكره ابن عباس ومجاهد. وإنما أخر الظهر عن العصر لاندواج الفواصل . والإمساء الدخول فى المساء والمساء مجيء الظلام بالليل والإصباح نقيضه وهو الدخول فى الصباح والصباح مجيء ضوء النهار. وَفَسُبْحَانَ اللَّهِ أى سبحوا الله فى هذه الأوقات تنزيها لله عما لا يليق به وَ لَهُ الْحَمْدُ يعنى الثناء والمدح فى السماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ عَشِيًّا أى فى العشى وَحِينَ تَطْهَرُونَ أى حين تدخلون فى الظهر و هونصف النهار. وإنما خص الله العشى والإظهار فى الذكر بالحمد وإن كان حمله واجبا فى جميع الأوقات لأنها أحوال تذكر بإحسان الله و ذلك أن انقضاء إحسان أول يقتضى الحمد عند تمام الإحسان والأخذ فى الآخر كما قال وَ آخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. -قرآن- ١٦-٦٦-قرآن- ١٣٦-١٤٩-قرآن- ١٧٩-١٩٧-قرآن- ٢١٥-٢٢٤-قرآن- ٢٣٧-٢٥٥-قرآن- ٤٦٧-٤٨٢-قرآن- ٥٤٣-٥٥٧-قرآن- ٥٧٨-٦١٣-قرآن- ٦٢٨-٦٤٦-قرآن- ٨٩٣-٩٤٦

فصل

وقوله فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ -قرآن- ٩-٨٩ وقوله فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا. قال تعالى لنبى ع فَاصْبِرْ عَلَى أذَاهُمْ إِيَّاكَ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ أى صل والسبحه الصلاة بِحَمْدِ رَبِّكَ أى بثناء ربك قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ يعنى سبحة الصبحه أى صلاة الفجر وَقَبْلَ غُرُوبِهَا يعنى صلاة العصر وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ يعنى صلاة المغرب والعشاء وَأَطْرَافَ النَّهَارِ صلاة الظهر فى قول قتادة. فإن قيل لم جمع أطراف النهار. قلنا فيه ثلاثة أقوال أحدها أنه أراد أطراف كل نهار والنهار اسم جنس فى معنى جمع وثانيها أنه بمنزلة قوله فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وثالثها أراد طرف أول النصف الأول وطرف آخر النصف الأول وطرف أول النصف الأخير وطرف آخر النصف الأخير فلذلك جمع . وقوله لَعَلَّكَ تَرْضَى أى افعل ما أمرتك به لكى ترضى بما يعطيك الله من الثواب على ذلك وقيل أى لكى ترضى بما حملت على نفسك من المشقة فى طاعة الله بأمره كما كنت تريد أن تكون فى مثل ما كان الأنبياء عليه من قبلك . -قرآن- ١-١٠-قرآن- ٣٣-٣٩-قرآن- ٥٧-٧٩-قرآن- ١٠٢-١١٥-قرآن- ١٣٠-١٥٠-قرآن- ١٨٤-١٩٨-قرآن- ٢١٧-٢٣٣-قرآن- ٢٦٠-٢٧٨-قرآن- ٤٤٤-

٤٦٦-قرآن- ٥٩٨-٦١١

فصل

وقوله فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ أَىٰ احتمل ذلك حتى يأتي الله بالفرج . وصل قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ صَلَاةَ الْفَجْرِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ صَلَاةَ الْعَصْرِ وَقِيلَ صَلَاةُ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَمِنَ اللَّيْلِ صَلَاةُ اللَّيْلِ وَيَدْخُلُ فِيهَا صَلَاةُ -قرآن- ٩-١٤٦-قرآن- ١٩١-٢١١-قرآن- ٢٢٢-٢٣٩-قرآن- ٢٧٤-٢٨٨ [صفحہ ٨٦] المغرب والعتمة ونوافل الليل أيضا وَأَدْبَارَ السُّجُودِ عن الحسن بن علي ع أنهما الركعتان بعد المغرب تطوعا وقيل التسيحات المائة بعد الفرائض عن ابن عباس ومجاهد و عن ابن زيد هي النوافل كلها. وأصل التسيح التنزيه لله عن كل ما لا يجوز في صفته وسميت الصلاة تسيحا لما فيها من التسيح . وروى أنه تعالى أراد بأدبار السجود نوافل المغرب وأراد بقوله إدبار النجوم الركعتين قبل الفجر. فتلك الآيات الست تدل على المواقيت للصلوات الموقته في اليوم والليلة -قرآن- ٣٧-٥٦-قرآن- ٣٦٥-٣٨١

باب ذكر القبلة

إشارة

قال الله تعالى جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْيَمِينَةَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ فِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ أَى جعل الله الكعبة ليقوم الناس في متعبداتهم متوجهين إليها قِيَامًا وعزما عليها وقيل قواما لهم يقوم به معادهم ومعاشهم وقِيَامًا أَى مراعاة للناس وحفظا لهم . -قرآن- ١٩-٧٥ و عن ابن عباس والبراء بن عازب أن الصلاة كانت إلى بيت المقدس إلى بعد مقدم النبي ع المدينة تسعة عشر شهرا -رواية- ١-٢-رواية- ٣٦-١١٥ و عن أنس كان ذلك بالمدينة تسعة أشهر أو عشرة أشهر ثم وجهه الله تعالى إلى الكعبة -رواية- ١-٢-رواية- ١٣-٨٧ . قال تعالى سَيَقُولُ الشُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا. -قرآن- ١٤-٩٧ [صفحہ ٨٧] اختلفوا في الذين عابوا النبي ع والمسلمين بالانصراف عن قبله بيت المقدس إلى الكعبة على ثلاثة أقوال قال الحسن هم مشركو العرب فإن رسول الله لما تحول بأمر الله إلى الكعبة من بيت المقدس قالوا يا محمد رغبت عن قبله آباءك ثم رجعت إليها أيضا والله لترجعن إلى دينهم . وقال ابن عباس هم اليهود. وقال السدى هم المنافقون قالوا ذلك استهزاء بالإسلام . والعموم يتناول الكل . واختلفوا في سبب عيهم الصراف عن القبلة فقول إنهم قالوا ذلك على وجه الإنكار للنسخ . وقال ابن عباس إن قوما من اليهود قالوا يا محمد ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها ارجع إليها تتبعك ونؤمن بك وأرادوا بذلك فتنته -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-١٣٩ الثالث أن مشركى العرب قالوا ذلك ليوهموا أن الحق ما هم عليه . وإنما صرفهم الله عن القبلة الأولى لما علم من تغيير المصلحة في ذلك وقيل إنما فعل ذلك لما قال تعالى وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهَا أَنَّهُمْ لَمَّا كَانُوا بِمَكَّةَ أُمْرًا أَن يَتَّجِهُوا إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لِيَتَمَيَّزُوا عَنِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَانُوا بِحَضْرَتِهِمْ يَتَّجِهُونَ إِلَىٰ الْكِعْبَةِ فَلَمَّا انْتَقَلَ الرَّسُولُ عَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ كَانَتِ الْيَهُودُ الَّذِينَ بِالْمَدِينَةِ يَتَّجِهُونَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَنَقَلُوا إِلَىٰ الْكِعْبَةِ لِلْمَصَالِحِ الدِّينِيَّةِ الْكَثِيرَةِ مِنْ جَمَلَتِهَا لِيَتَمَيَّزُوا مِنَ الْيَهُودِ كَمَا أَرَادَ فِي الْأَوَّلِ أَن يَتَمَيَّزُوا مِنْ كُفَّارِ مَكَّةَ. -قرآن- ١٧٣-٢٨٨

فصل

لاخلاف أن التوجه إلى بيت المقدس قبل النسخ كان فرضا واجبا ثم اختلفوا فقال الربيع كان ذلك على وجه التخيير خير الله نبيه ع بين أن [صفحہ ٨٨] يتوجه إلى بيت المقدس و بين أن يتوجه إلى الكعبة. وقال ابن عباس وأكثر المفسرين كان ذلك فرضا

معينا و هو الأقوى لقوله وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا فَبَيْنَ تَعَالَى أَنَّهُ جَعَلَهَا قِبْلَةً وَظَاهِر ذَلِكَ أَنَّهُ مَعِينٌ لِأَنَّهُ لَدَلِيلٌ عَلَى التَّخْيِيرِ. وَ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ كَانَ مَخِيرًا بَيْنَ أَنْ يُجْعَلَ الْكَعْبَةُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي تَوَجُّهِهِ إِلَيْهِ وَ بَيْنَ أَنْ لَا يَنْتَقِلَ لِمَا كَانَ بِمَكَّةَ. عَلَى أَنَّهُ لَوْ ثَبِتَ أَنَّهُ كَانَ مَخِيرًا لِمَا خَرَجَ عَنْ كَوْنِهِ فَرْضًا كَمَا أَنَّ الْفَرْضَ هُوَ أَنْ يُصَلِّيَ الصَّلَاةَ فِي الْوَقْتِ ثُمَّ هُوَ مَخِيرٌ بَيْنَ أَوَّلِهِ وَ أَوْسَطِهِ وَ آخِرِهِ . وَ قَوْلُهُ إِلَّا مَا لِنَعْلَمَ أَيُّ لِيَعْلَمَ مَلَائِكَتُنَا وَ الْإِفَالَةَ كَانَ عَالِمًا بِهِ وَ قَالَ الْمُرْتَضَى فِيهِ وَجْهًا مَلِيحًا أَيُّ يَعْلَمُ هُوَ تَعَالَى وَ غَيْرُهُ وَ لَا يَحْصُلُ عِلْمُهُ مَعَ عِلْمِ غَيْرِهِ إِلَّا بَعْدَ حُصُولِ الْإِتْبَاعِ فَأَمَّا قَبْلَ حُصُولِهِ فَإِنَّمَا يَكُونُ هُوَ تَعَالَى الْعَالَمِ وَحْدَهُ فَصَحَّ حِينَئِذٍ ظَاهِرُ الْآيَةِ. وَ قَوْلُهُ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ قِيلَ فِيهِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّ قَوْمًا ارْتَدَوْا عَنِ الْإِسْلَامِ لِمَا حَوْلَتِ الْقِبْلَةَ جَهْلًا مِنْهُمْ بِمَا فِيهَا مِنْ وَجْهِ الْحِكْمَةِ وَ الْآخَرَ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ كُلُّ مَقِيمٍ عَلَى كُفْرِهِ لِأَنَّ جِهَةَ الْإِسْتِقَامَةِ إِقْبَالُهَا وَخِلَافُهَا إِدْبَارُهَا وَ لِذَلِكَ وَصَفَ الْكَافِرَ بِأَنَّهُ أَدْبَرَ وَ اسْتَكْبَرَ وَ قَالَ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الْأَعْدَى كَذَّابٌ وَ تَوَلَّى عَنِ الْحَقِّ . -قرآن- ١٢٥-١٧٠-قرآن- ٥١٥-٥٢٩-قرآن- ٧٦٦-٧٩٥-قرآن- ١٠٢٢-١٠٧١

فصل

ثُمَّ قَالَ وَ إِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً فَالضَّمِيرُ يَحْتَمِلُ رَجُوعَهُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ الْقِبْلَةَ عَلَى قَوْلِ أَبِي الْعَالِيَةِ وَ التَّحْوِيلَةَ عَلَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ هُوَ الْأَقْوَى لِأَنَّ الْقَوْمَ إِذَا ثَقُلَ عَلَيْهِمُ التَّحْوِيلُ لَانْفُسِ الْقِبْلَةَ وَ عَلَى قَوْلِ ابْنِ زَيْدٍ الصَّلَاةَ. وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ فِي مَعْنَاهُ أَقْوَالُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَمَّا -قرآن- ١٠-٣٣-قرآن- ٢٢٠-٢٥٤ [صَفْحَةُ ٨٩] حَوْلَتِ الْقِبْلَةَ قَالَ نَاسٌ كَيْفَ أَعْمَلْنَا الَّتِي كُنَّا نَعْمَلُ فِي قِبْلَتِنَا الْأُولَى وَ كَيْفَ بَمَنْ مَاتَ مِنْ إِخْوَانِنَا قَبْلَ ذَلِكَ فَأَنْزَلَهُ اللَّهُ وَ قَالَ الْحَسَنُ إِنَّهُ لِمَا ذَكَرَ مَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَشَقَّةِ فِي التَّحْوِيلَةِ أَتْبَعَهُ بِذِكْرِ مَا لَهُمْ مِنَ الْمَثُوبَةِ وَ أَنَّهُ لَا يُضَيِّعُ مَا عَمَلُوهُ مِنَ الْكَلْفَةِ فِيهِ لِأَنَّ التَّذْكَيرَ بِهِ يَبْعَثُ عَلَى مَلَازِمَةِ الْحَقِّ وَ الرِّضَا بِهِ الثَّلَاثُ قَالَ الْبَلْخِيُّ إِنَّهُ لِمَا ذَكَرَ إِعْنَامَهُ عَلَيْهِمُ بِالتَّوَلِيَةِ إِلَى الْكَعْبَةِ ذَكَرَ السَّبَبَ الَّذِي اسْتَحَقُّوهُ بِهِ وَ هُوَ إِيمَانُهُمْ بِمَا حَمَلُوهُ أَوْ لَا فَقَالَ وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ الَّذِي اسْتَحَقَّقْتُمْ بِهِ تَبْلِيغَ مَحَبَّتِكُمْ فِي التَّوَجُّهِ إِلَى الْكَعْبَةِ. فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ جَازَ عَلَيْهِمُ الشُّكُّ فِيمَنْ مَضَى مِنْ إِخْوَانِهِمْ فَلَمْ يَدْرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى حَقِّ فِي صَلَاتِهِمْ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ. قُلْنَا الْوَجْهَ فِيهِ أَنَّهُمْ تَمَنَّوْا وَقَالُوا كَيْفَ لِإِخْوَانِنَا لَوْ أَدْرَكُوا الْفَضْلَ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى الْكَعْبَةِ مَعْنَاهُ فَإِنَّهُمْ أَحَبُّوا لَهُمْ مَا أَحَبُّوا لِأَنْفُسِهِمْ وَ كَانَ الْمَاضُونَ فِي حَسْرَةٍ ذَلِكَ أَوْ يَكُونُ قَالَ ذَلِكَ مُنَافِقٌ فَخَاطَبَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا فِيهِ الرَّدُّ عَلَى الْمُنَافِقِينَ . وَ إِنَّمَا جَازَ أَنْ يُضَيِّعَ الْإِيمَانَ إِلَى الْأَحْيَاءِ عَلَى التَّغْلِيْبِ لِأَنَّ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يَغْلِبُوا الْمَخَاطَبَ عَلَى الْغَائِبِ كَمَا يَغْلِبُونَ الْمَذْكَرَ عَلَى الْمُؤنَّثِ فَيَقُولُونَ فَعَلْنَا بِكُمْ وَ بَلَّغْنَاكُمْ وَ إِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا حَاضِرًا وَ الْآخَرُ غَائِبًا. -قرآن- ٤٢٣-٤٦٠

فصل

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَتَهُ تَرْضَاهَا قَالَ قَوْمٌ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ قَبْلَ الَّتِي تَقَدَّمَتْهَا وَ هِيَ قَوْلُهُ سَيَقُولُ السَّيِّفُهَا. -قرآن- ١٧-٨٧-قرآن- ١٤٧-١٦٦ [صَفْحَةُ ٩٠] فَإِنْ قِيلَ لِمَ قَلْبُ النَّبِيِّ ع وَجْهَهُ فِي السَّمَاءِ قُلْنَا عَنْهُ جَوَابَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ كَانَ وَعَدَ بِالتَّحْوِيلِ عَنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَكَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ اِنْتِظَارًا وَ تَوْقَعًا لِمَا وَعَدَ بِهِ . وَ الثَّانِي أَنَّهُ كَانَ يَجِبُ مَحَبَّةَ طِبَاعٍ وَ لَمْ يَكُنْ يَدْعُو بِهِ حَتَّى أذُنَ لَهُ فِيهِ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ ع لَا يَدْعُونَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لثَلَاثٍ يَكُونُ فِي رَدِّهِمْ تَنْفِيرٌ عَنْ قَبُولِ قَوْلِهِمْ إِنْ كَانَتِ الْمَصْلَحَةُ فِي خِلَافِ مَا سَأَلُوهُ وَ هَذَا الْجَوَابُ مَرُورٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ . وَ قِيلَ فِي سَبَبِ مَحَبَّةِ النَّبِيِّ ع التَّوَجُّهُ إِلَى الْكَعْبَةِ ثَلَاثَةٌ أَقْوَالُ

أحدها أنه أراد مخالفة اليهود والتميز منهم والثاني أنه أراد ذلك استدعاء للعرب إلى الإيمان . والثالث أنه أحب ذلك لأنها كانت قبله إبراهيم . و لو قلنا إنه أحب جميع ذلك لكان صوابا.

فصل

وَشَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ نَحْوَهُ وَتَلَقَاهُ وَعَلِيهِ الْمَفْسُورُونَ وَأَهْلُ اللُّغَةِ. و عن الجبائي أراد بالشرط النصف فأمره أن يولى وجهه نصف المسجد حتى يكون مقابل الكعبة. والأول أولى لأن اللفظ إذا كان مشتركا بين النصف والنحو ينبغي أن لا يحمل على أحدهما إلا بدليل و على الأول إجماع المفسرين . و قوله إِنَّ الْعِدِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَهُم الْيَهُودَ عَنِ السَّدَى وَقِيلَ هُمْ أَحْبَابُ الْيَهُودِ وَعُلَمَاءُ النَّصَارَى غَيْرَ أَنَّهُمْ جَمَاعَةٌ قَلِيلَةٌ يَجُوزُ عَلَيْهِمْ إِظْهَارُ خِلَافٍ مَا يَبْطِنُونَ لِأَنَّ الْجَمْعَ الْكَثِيرَ لَا يَتَأْتِي ذَلِكَ مِنْهُمْ لِمَا يَرْجَعُ إِلَى الْعَادَةِ فَإِنَّهَا لَمْ يَجْزِ ذَلِكَ مَعَ اخْتِلَافِ الدَّوَاعِي وَإِنَّمَا يَجُوزُ الْعِنَادُ عَلَى النَّفْرِ الْقَلِيلِ . -قرآن- ٣-٢٦-قرآن- ٢٩٩-٣٢٨ [صفحة ٩١] و هذه الآية ناسخة لفرض التوجه إلى بيت المقدس قبل ذلك و عن ابن عباس أول مانسخ من القرآن فيما ذكر لنا شأن القبلة و قال قتادة نسخت هذه الآية ما قبلها. و هذامنا نسخ من السنة بالقرآن لأنه ليس في القرآن ما يدل على تعبد بالتوجه إلى بيت المقدس ظاهرا. و من قال إنها نسخت قوله فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ فَنَقُولُ لَهُ لَيْسَتْ هَذِهِ مَنْسُوخَةٌ بَلْ هِيَ مَخْتَصَةٌ بِالنَّوَافِلِ فِي حَالِ السَّفَرِ عَلَى مَا نَذَكَرُهُ بَعْدَ. فأما من قال يجب على الناس أن يتوجهوا إلى الميزاب الذي على الكعبة ويقصدوه فقوله باطل على الإطلاق لأنه خلاف ظاهر القرآن . -قرآن- ٢٩٣-٣٣٠ و قال ابن عباس البيت كله قبله وقبلته بابه -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-٥١ و هذا يجوز فأما أن يجب على جميع الخلق التوجه إليه فهو خلاف الإجماع .

فصل

و قوله تعالى وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ رَوَى عَنِ الْبَاقِرِ وَالصَّادِقِ أَنَّ ذَلِكَ فِي الْفَرْضِ وَ قَوْلُهُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ قَالَا هُوَ فِي النَّافِلَةِ -رواية- ١-٢-رواية- ٩٠-١٧٤ و عن الباقر لما حولت القبلة إلى الكعبة أتى رجل من عبد الأشهل من الأنصار وهم قيام يصلون الظهر قد صلوا ركعتين نحو بيت المقدس فقال إن الله قد صرف رسوله نحو البيت الحرام فصرفوا وجوههم نحوه في بقية صلاتهم -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٢٢٤. وَ إِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَالْهَاءُ يَعُودُ إِلَى التَّحْوِيلِ وَقِيلَ التَّوَجُّهُ إِلَى الْكَعْبَةِ لِأَنَّهُ قَبْلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَجَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ. -قرآن- ٢-٢٩ [صفحة ٩٢] و عن عطا في قوله قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الْحَرَمِ كُلِّهِ مَسْجِدٍ. و هذامثل قول أصحابنا إن الحرم قبله من كان نائيا عن الحرم من الآفاق . و اختلف الناس في صلاة النبي ع إلى بيت المقدس فقال قوم كان يصل إلى الكعبة فلما صار بالمدينة أمر بالتوجه إلى بيت المقدس سبعة عشر شهرا ثم أعيد إلى الكعبة و قال قوم كان يصل إلى بيت المقدس إلا أنه كان يجعل الكعبة بينه وبينه ثم أمره الله بالتوجه إلى الكعبة. فإن قيل كيف قال وَ لَئِنْ أَتَيْتَ الْعِدِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَ قَدْ آمَنَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ. قلنا عن ذلك جوابان أحدهما قال الحسن إن المعنى أن جميعهم لا يؤمن والثاني أنه مخصوص بمن كان معاندا من أهل الكتاب دون جميعهم الذين وصفهم الله تعالى يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ. و قوله وَ لَئِنْ أَتَيْتَ أَمْوَءَهُمْ مَعْنَاهُ الدَّلَالَةُ عَلَى فساد مذاهبهم وتبكيهم بها. و قوله وَ مَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ أَى لَيْسَ يُمْكِنُكَ اسْتِصْلَاحُهُمْ بِاتِّبَاعِ قِبْلَتِهِمْ لِاخْتِلَافِ وَجْهَتِهِمْ لِأَنَّ النَّصَارَى يَتَوَجَّهُونَ إِلَى الْمَشْرِقِ وَالْيَهُودُ إِلَى الْمَغْرِبِ فَبَيَّنَ اللَّهُ أَنَّ إِرْضَاءَ الْفَرِيقَيْنِ مَحَالٌ. وَقِيلَ إِنَّهُ لَمَّا كَانَ النِّسْخُ مَجْزُوعًا قَبْلَ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ فِي الْقِبْلَةِ أَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ لِيَرْتَفِعَ

ذلك التجويز وكذلك ينحسم طمع أهل الكتاب من اليهود إذ كانوا طمعوا في ذلك وظنوا أنه يرجع النبي إلى الصلاة إلى بيت المقدس . وقوله وَ مَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَهُ بَعْضٌ أَى لا يصير النصارى كلهم يهودا ولا -قرآن- ٢٠-٥٨-قرآن- ٤٥٥-٥٣١-قرآن- ٧١٩-٧٥٧-قرآن- ٧٦٧-٧٩٥-قرآن- ٨٥١-٨٨١-قرآن- ١٢٥٩-١٢٩٥ [صفحة ٩٣] اليهود كلهم نصارى أبدا كما لا يتبع جميعهم الإسلام .

فصل

ثم قال تعالى وَ إِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ كَمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ وَأَمْرَ الْقِبْلَةِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ صَحَّةَ مَا كَتَمُوهُ وَ مَا لَمْ يَدْفَعِ الْحَقُّ مِنَ الْعَذَابِ . وَالْهَاءُ فِي يَعْرِفُونَ هَاءٌ عَلَى أَمْرِ الْقِبْلَةِ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ قَالَ الزَّجَّاجُ هِيَ عَائِدَةٌ عَلَى أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ حَقَّ النَّبِيِّ ع وَ صَحَّةُ أَمْرِهِ . وَإِنَّمَا قَالَ وَ إِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ قَالَ يَعْرِفُونَهُ عَلَى الْعَمُومِ لِأَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ مِنْهُمْ مَنْ أَسْلَمَ وَ أَقْرَبُ مَا عَرَفَ فَلَمْ يَدْخُلْ فِي جَمَلَةِ الْكَاتِمِينَ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَ كَعَبِّ الْأَحْبَارِ وَ غَيْرِهِمَا مِمَّنْ دَخَلَ الْإِسْلَامَ . فَإِنَّ قِيلَ كَيْفَ قَالَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ فِي الْحَقِيقَةِ أَنَّ أَبْنَاءَهُمْ أَبْنَاءُهُمْ وَ يَعْرِفُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا هُوَ النَّبِيُّ الْمُبْعُوثُ الْمُبَشِّرُ بِهِ فِي الْحَقِيقَةِ . فَلَمَّا تَشَبَّهَ وَقَعَ بَيْنَ الْمَعْرِفَةِ بِالْأَبْنَاءِ فِي الْحُكْمِ وَ هِيَ مَعْرِفَةٌ تَمِيزُهُ بِهَا مِنْ غَيْرِهِ وَ بَيْنَ الْمَعْرِفَةِ بِأَنَّهُ هُوَ النَّبِيُّ الْمُبَشِّرُ بِهِ فِي الْحَقِيقَةِ فَوَقَعَ التَّشْبِيهُ بَيْنَ مَعْرِفَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا أَظْهَرَ مِنَ الْأُخْرَى فَكُلٌّ مِنْ رَبِّي وَ لَدَا كَثِيرًا وَ رَأَاهُمْ سَنِينَ وَ سَمِيَ هَذَا أَحْمَدًا وَ ذَا مُحَمَّدًا وَ ذَا عَلِيًّا وَ ذَا حَسَنًا وَ ذَا حُسَيْنًا فَإِنَّهُ يَمِيزُ بَيْنَهُمْ بِحَيْثُ لَا يَلْتَبِسُ عَلَيْهِ ذَلِكَ بِحَالٍ . -قرآن- ١٧-٥٩-قرآن- ١٤٥-١٥٦-قرآن- ٢٧٤-٣١٦-قرآن- ٣٣٨-٣٤٩-قرآن- ٥١٨-٥٥٦

فصل

وقوله وَ لِكُلِّ وَجْهَةٍ هُوَ مُؤَلِّيها فِيهِ أَقْوَالٌ أَحَدُهَا أَنَّ لِكُلِّ أَهْلِ مِلَّةٍ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَجْهَةً وَثَانِيها أَنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وَجْهَةً وَاحِدَةً وَ هِيَ الْإِسْلَامُ وَ إِنِ اخْتَلَفَتْ الْأَحْكَامُ كَمَا قَالَ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ -قرآن- ٩-٤٠-قرآن- ١٧٦-١٩٦ وَ قَوْلُهُ وَ لِكُلِّ وَجْهَةٍ هُوَ مُؤَلِّيها فِيهِ أَقْوَالٌ أَحَدُهَا أَنَّ لِكُلِّ أَهْلِ مِلَّةٍ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَجْهَةً وَثَانِيها أَنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وَجْهَةً وَاحِدَةً وَ هِيَ الْإِسْلَامُ وَ إِنِ اخْتَلَفَتْ الْأَحْكَامُ كَمَا قَالَ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرَعَةً وَ مِنْهَا جَاءَ أَى شَرَائِعُ الْأَنْبِيَاءِ . وَ ثَالِثُها هُوَ صَلَاتُهُمْ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ وَ صَلَاتُهُمْ إِلَى الْكَعْبَةِ وَ رَابِعُها أَنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَجْهَةً وَرَاءَ الْكَعْبَةِ أَوْ قَدَامُها أَوْ عَنْ يَمِينِها أَوْ عَنْ شِمَالِها . وَ الْوَجْهَةُ الْقِبْلَةُ وَ مُؤَلِّيها فِي قَوْلٍ مُجَاهِدٍ مُسْتَقْبَلُها . وَقِيلَ فِي تَكَرُّرِ قَوْلِهِ قَوْلٌ وَجْهَتُها لِمَا كَانَ فَرِضًا نَسَخَ مَا قَبْلَهُ كَانَ مِنْ مَوَاضِعِ التَّأَكِيدِ لِيُنْصَرَفَ النَّاسُ إِلَى الْحَالَةِ الثَّانِيَةِ بَعْدَ الْحَالَةِ الْأُولَى وَ يَثْبُتُونَ عَلَيْهِ عَلَى يَقِينٍ . وَقِيلَ فِي تَكَرُّرِ قَوْلِهِ وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ إِذَا اخْتَلَفَ لِاخْتِلَافِ الْمَعْنَى وَ إِنِ اتَّفَقَ اللَّفْظُ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَوَّلِ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ مُنْصَرَفًا عَنِ التَّوْجِهَةِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ الْمُرَادُ بِالثَّانِي أَيْنَ كُنْتَ مِنَ الْبِلَادِ فَتَوَجَّهْ نَحْوَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مُسْتَقْبَلًا كُنْتَ لظَهْرِ الْقِبْلَةِ أَوْ وَجْهًا أَوْ يَمِينًا أَوْ شِمَالًا . وَ فِي قَوْلِهِ وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ قَوْلُوا وَجْهَتُكُمْ شَطْرَهُمْ مُحذوفٌ وَاجْتَرَى بِدَلَالَةِ الْحَالِ عَنِ دَلَالَةِ الْكَلَامِ قَالَ الزَّجَّاجُ عَرَفْتُمْ ذَلِكَ كَمَا يَكُونُ لِأَهْلِ الْكِتَابِ حِجَّةً لَوْجَاءَ عَلَى خِلَافٍ مَا تَقَدَّمَتْ بِهِ الْبَشَارَةُ فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ مِنْ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ سَيُوجِهُونَ إِلَى الْكَعْبَةِ . إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا اسْتِثْنَاءً مُنْقَطِعٌ أَى لَكِنِ الظَّالِمِينَ مِنْهُمْ يَتَعَلَّقُونَ بِالشَّبْهِةِ وَيَضْعُونَهَا مَوْضِعَ الْحِجَّةِ فَلِذَلِكَ حَسَنُ الِاسْتِثْنَاءِ وَ هُوَ كَقَوْلِهِ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ -قرآن- ١-٢٠-قرآن- ٢٠٠-٢٠٨-قرآن- ٢٥٤-٢٦٧-قرآن- ٤٢٠-٤٣٩-قرآن- ٧١٣-٧٥٨-قرآن- ٩٥٠-

باب ستر العورة وذكر المكان واللباس مما يجوز الصلاة عليه وفيه وذكر الأذان والإقامة

إشارة

ستر السواتين على الرجال مفروض و ماعدا ذلك مسنون و على النساء الحرائر يجب ستر جميع البدن قال تعالى خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ يعنى البسوا لباسا مأمورا به عند كل صلاة مع التمكن . والزينة هاهنا باتفاق المفسرين ما يوارى به العورة قالوا أمر الله بأخذ الزينة و لاختلاف أن التزين ليس بواجب والأمر فى الشريعة على الوجوب فلا بد من حمله على ستر العورة. ويدل عليه أيضا قوله يا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سِوَاتِكُمْ وَ رِيشًا وَ لِبَاسُ التَّقْوَى قال على بن موسى القمى دل ذلك على وجوب ستر العورة. و قال غيره إنما يدل ذلك على أنه أنعم عليهم بما يقيهم الحر والبرد و ما يتجملون به ويصح اجتماع القولين . وإنما قال أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا لأن ما يتخذ هو منه ينبت بالمطر الذى ينزل من السماء و هو القطن والكتان وجميع ما ينبت من الحشيش والرياش الذى يتجمل به . ولباسُ التَّقْوَى هو الذى يقتصر عليه من أراد التواضع والنسك فى العبادة من لبس الصوف والشعر والوبر والخشن من الثياب وقيل هو ما يكون مما ينبت من الأرض وشعر و صوف ما يؤكل لحمه من الحيوان وقيل التقدير -قرآن- ١٠٧-١٤٢-قرآن-٣٨٩-٤٨٠-قرآن-٦٤٢-٦٨٦-قرآن-٨١٣-٨٢٦ [صفحه ٩٦] ولباس التقوى خير لكم إذا أخذتم من الريش وأقرب لكم إلى الله منه والريش ما فيه الجمال كالخز الخالص ونحوه مما أباحه الله و منه ريش الطائر. والحمل على جميع ذلك أولى لفقد الاختصاص بالحرير الخالص غير محرم على النساء على حال و إذا كان مخلطا بالقطن ونحوه فللرجال أيضا حلال .

فصل

و هذه الآية خطاب من الله تعالى لأهل كل زمان من المكلفين على ما يصح ويجوز من وصول ذلك إليهم كما يوصى الإنسان ولده وولد ولده و إن نزلوا بتقوى الله وإيثار طاعته . ويجوز خطاب المعدوم بمعنى أن يراد بالخطاب إذا كان المعلوم أنه سيوجد وتتكامل فيه شرائط التكليف و لا يجوز أن يراد من لا يوجد لأن ذلك عبث لافائدة فيه . على أن الآية كانت خطابا للمكلفين الموجودين فى ذلك الزمان ولكل من يكون حكمهم حكمه . وقوله تعالى يُؤَارِي سِوَاتِكُمْ أى يستر ما يسوؤكم انكشافه من الجسد لأن السوء ما إذا انكشف عن البدن يسوء والعورة ترجع إلى النقيصة فى البدن . وقوله يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ أى تناولوا زينتكم وهى اللبسة الحسنه ويسمى ما يتزين به زينة من الثياب الجميلة ونحو ذلك . قال الزجاج هو أمر بالاستتار فى الصلاة قال أبو على ولهذا صار التزين للجمع والأعياد سنة و قال مجاهد هو ما وارى العورة و لوعبائه. -قرآن- ٤٣٨-٤٥٥-قرآن-٥٧٦-٦٢٧ وقوله عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ عن أبى جعفر فى الجمعات والأعياد -رواية- ١-٢-رواية- ٣-٦٨ و عن ابن عباس كانوا يطوفون بالبيت عراة فنهاهم الله عن ذلك -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-٦٩ . [صفحه ٩٧] وقالوا لما أباح الله تناول الزينة وحث عليه وندب إليه وهناك قوم يحرمون كثيرا من الأشياء من هذا الجنس قال الله تعالى منكرا لذلك قُلْ يَا مُحَمَّدَ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ. -قرآن- ١٣٩-١٤١-قرآن-١٥٠-٢٠١

فصل

وجلد ما يؤكل لحمه يجوز فيه الصلاة إذا كان مذكى مشروعاً. وجلود الميتة لا تطهر بالدباغ وكذا جلود ما يذكيه أهل الخلاف والدليل على ذلك مضافاً إلى إجماع الطائفة قوله حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَهَذَا تحريم مطلق يتناول أجزاء الميتة في كل حال . وجلد الميتة يتناوله اسم الموت لأن الحياة تحله وليس بجار مجرى العظم والشعر وهو بعد الدباغ يسمى جلد ميتة كما يسمى قبل الدباغ فينبغي أن يكون حظر التصرف لاحقاً به . فأما دلالة على أن الشعر والصوف والريش منها والنايب والعظم كلها محرم فلا يدل عليه لأن ما لم تحله الحياة لا يسمى ميتة. وكذلك جلد ذبائح أهل الكتاب و كل من خالف الإسلام أو من أظهره ودان بالتجسم والصورة وقال بالجبر والتشبيه أو خالف الحق فعندنا لا يجوز الانتفاع به على وجهه ولا يصح الصلاة فيه لعموم الآية قال تعالى وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ . -قرآن- ١٦٧-١٩٣-قرآن- ٧٥٥-٧٧١

فصل

وقوله تعالى لَكُمْ فِيهَا دِفٌّ وَمَنَافِعُ . -قرآن- ١٦-٤٥ [صفحة ٩٨] قال ابن عباس الدف ء لباس من الأكسية وغيرها كأنه سمي بالمصدر من دفئ يومنا دفاء ونظيره الكن وقال الحسن يريد ما استدفعى به من أوبارها وأصوافها وأشعارها والدف ء خلاف البرد ومنه رجل دفان . وقال تعالى وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ يَعْنِي قمصاً من الكتان والقطن وخص الحر بذلك مع أن وقايتها للبرد أكثر لأمرين أحدهما أن الذين خوطبوا به أهل حر في بلادهم والثاني أنه ترك ذلك لأنه معلوم . -قرآن- ٢١٢-٢٥٣

فصل

وقال تعالى وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ. قيل المراد بالمساجد في الآية بقاع الأرض كلها -قرآن- ١٥-٨٣ لقوله ع إن الله جعل الأرض لى مسجداً -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٤٣ فالأرض كلها مسجد يجوز الصلاة فيه إلا ما كان مغصوباً أو نجساً فإذا زال الغصب والنجاسة منه فحكمه حكمها وروى ذلك زيد بن علي عن آبائه ع . [صفحة ٩٩]

فصل

وقال تعالى وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُؤًا وَلَعِبًا. النداء في الآية الدعاء بمد الصوت في الأذان ونحوه. أخبر الله عن صفة الكفار الذين نهى المؤمنون عن اتخاذهم أولياء بأنهم إذ نادى المؤمنون للصلاة ودعوا إليها اتخذوها هزواً ولعباً. وفي معنى ذلك قولان أحدهما قال قوم إنهم كانوا إذا أذن المؤذن للصلاة تضاحكوا فيما بينهم وتغامزوا على طريق السخف والمجون تجهيلاً لأهلها وتنفيراً للناس عنها وعن الداعي إليها. والثاني أنهم كانوا يرون المنادى إليه بمنزلة اللاعب الهاذي بفعلها جهلاً منهم بمنزلتها وقال أبو ذهيل الجمحي -قرآن- ١٥-٧٥ وأبرزتها من بطن مكة بعد ما || أصاب المنادى بالصلاة واعتما فالاستدلال بهذه الآية يمكن على الأذان وكذا بقوله إذا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ. والأذان للمنفرد سنة على كل حال وكذا الإقامة وواجبان في صلاة الجمعة إذا اجتمعت شرائطها لأن تلك الجماعة واجبة ولا تنعقد إلا بهما ويقال على الإطلاق إنهما

واجبان في الجماعة لخمس صلوات وقيل يتأكد نديهما. وقد بين رسول الله أحكامها كما أمره الله بقوله وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَقد علمه الله . -قرآن- ٥٤-٩٧-قرآن-٣٥٩-٤٢٤ [صفحة ١٠٠] والأذان في اللغة اسم للإعلام قائم مقام الإيذان كما أن العطاء اسم للإعطاء وهو في الأصل علم سمعي قال تعالى وَ أذِّنْ فِي النَّاسِ. والأذان في الشرع إعلام الناس بحلول وقت الصلاة وقال السدي كان رجل من النصارى بالمدينة يسمع المؤذن ينادى أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمداً رسول الله قال حرق الكاذب والقائل كان منافقاً فدخلت خادمته له بعد ذلك ليلة بنار فسقطت شرارة فاحترق البيت واحترق هو وأهله . و قد بينا أن المؤذن في اللغة كل من تكلم بشيء نداء وأذنته وآذنته ويستعمل ذلك في العلم الذي يتوصل إليه بالسمع كقوله فَأَذُنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ -قرآن- ١١٩-١٣٨-قرآن-٥٥٢-٥٨٠

باب ما يقارن حال الصلاة

إشاره

قال الله تعالى وَ قَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ. قال زيد بن أرقم كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت هذه الآية. وقد دلت على أن القيام مع القدرة والاختيار واجب في الصلاة. وقال تعالى وَ مَا أُمِرُوا إِلَّا لِيُعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ. تدل هذه الآية على أن النية للصلاة ولسائر العبادات واجبه وذلك أن الإخلاص -قرآن- ١٩-٤٥-قرآن-١٨٢-٢٤٤ [صفحة ١٠١] بالديانة هو التقرب إلى الله بعملها مع ارتفاع الشوائب والتقرب لا يصح إلا بالعقد عليه والنية له ببرهان الدلالة. وروى عن الرضا عن آبائه عن رسول الله ص أنه قال لا قول إلا بعمل ولا قول ولا عمل إلا بنية ولا عمل ولا نية إلا بإصابة السنه و من تمسك بسنتي عند اختلاف أمتي كان له أجر مائة شهيد -رواية- ١-٢-رواية- ٥٧-١٩٠ . ومحل النية القلب وذلك لأن النية هي الإرادة المخصوصة التي تؤثر في وقوع الفعل على وجه دون وجه ولا يكون من فعل غيره و بهايق الفعل عبادة وواقعا موقع الوجوب أو الندب وقد قال النبي ع الأعمال بالنيات -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٤١ . ولا يجوز في تكبير الافتتاح إلا قول الله أكبر مع القدرة عليه لأن المسلمين قد أجمعوا على أن من قاله انعقدت صلاته بلا خلاف و إذا أتى بغيره فليس على انعقادها دليل فالاحتياط يقتضى ما قلناه . وقال قوم إن قوله وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَ كَبْرُهُ تَكْبِيرًا أمر بذلك وهو على الإيجاب شرعا وكذا قوله وَ رَبَّكَ فَكَبِّرْ. وقيل معناه صل لله طاهرا في ثياب طاهرة فكنى بالتكبير عن الصلاة و لو لا وجوب التكبير في الصلاة لما كنى به عنها وهذا كقوله الحج عرفه. -قرآن- ٢٢١-٢٧٨-قرآن-٣٢٢-٣٣٨

فصل

القراءة شرط في صحة الصلاة قال تعالى فَأَقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ -قرآن- ٣٨-٧٢ [صفحة ١٠٢] وقال فأقروا ما تيسر منه والأمر في الشريعة يقتضى الإيجاب . -قرآن- ٨-٣٤ وقال ع لاصلاة إلا بفتح الكتاب -رواية- ١-٢-رواية- ١٣-٣٩ و هذاتفصيل ما أجمله الآيتان ما آتاكم الرسول فخذوه وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس . وقال تعالى وَ قَرَأَانَ الْفَجْرِ أَى صلاة الفجر فسمى الله الصلاة قرآنا إعلاما بأنها لا تتم إلا بالقراءة. وقال تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَ اسْجُدُوا لِمَا كَانَ اللَّهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ أَمْرًا بِالصَّلَاةِ جَمَلَةٌ ثُمَّ نَصَّ عَلَى بَعْضِ أَعْمَالِهَا تَنْبِيْهَا عَلَى عَظَمِ مَحَلِّهِ وَ كِبَرِ شَأْنِهِ كَذَلِكَ أَمْرٌ بِالرُّكُوعِ وَ السُّجُودِ مَفْرُودًا تَفْخِيمًا لِمَنْزِلَتِهِمَا

فى الصلاة أى صلوا على ما أمرتكم به من الركوع والسجود ثم أمرهم تعالى بعد ذلك بأوامر فقال وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ إِلَى أَنْ أَمَرَ مَرَّةً أُخْرَى بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ فَقَالَ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَكُلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ التَّأْكِدِ فِى الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَأَنَّهَا رُكْنَانِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِهَمَا مَعَ الْإِخْتِيَارِ أَوْ مَا يَقُومُ مَقَامَهُمَا مَعَ الْإِضْطِرَارِ. وَالتَّسْبِيحُ فِيهِمَا وَاجِبٌ أَيْضًا وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ - قُرْآن - ٣١ - ٦٠ - قُرْآن - ٦٣ - ١٠٦ - قُرْآن - ١٢٢ - ١٣٨ - قُرْآن - ٢٢٤ - ٢٧١ - قُرْآن - ٥٢٤ - ٥٦٢ - قُرْآن - ٦٠٥ - ٦٢٤ - مَارُوى أَنَّهُ لِمَا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَ إِنَّهُ لَحَقَّ الْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ قَالَ النَّبِيُّ عِ اجْعَلُوهَا فِى رُكُوعِكُمْ وَ لِمَا نَزَلَ قَوْلُهُ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى قَالَ عِ ضَعُوهَا هَذَا فِى سَجُودِكُمْ - رِوَايَت - ١ - ٢ - رِوَايَت - ١٠ - ١٩٨ - وَهَذَا أَمْرَانِ يَقْتَضِيَانِ الْوَجُوبَ . [صَفْحَةُ ١٠٣]

فصل

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ ارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ أَنْ قَوْلُهُ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ يَدْخُلُ فِيهَا الرُّكُوعُ فَلَمْ يَقُلْ وَ ارْكَعُوا وَهَلْ هَذَا إِتِّكَارٌ. قُلْنَا هَذَا أَوْلَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الرُّكُوعَ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الصَّلَاةِ عَلَى بَعْضِ الْوُجُوهِ لَا تَصِحُّ مِنْ دُونِهِ فَهَذَا إِذْ ذَكَرَهُ لِلتَّفْخِيمِ وَالتَّعْظِيمِ لِشَأْنِ الرُّكُوعِ كَقَوْلِهِ وَ مَلَأْنَاكَتَهُ وَ رُسَيْلَهُ وَ جَبْرِيلَ وَ مِيكَالَ وَ كَمَا قَالَ فِيهِمَا فَالْكِهْمَةُ وَ نَخْلٌ وَ رُؤْمَانٌ وَ فَعَلَ الرُّكُوعَ يَعْبُرُ بِهِ أَيْضًا عَنِ الصَّلَاةِ بِتَمَامِهَا فَقَوْلُ الْقَائِلِ فَرَّغْتَ مِنْ رُكُوعِى أَى مِنْ صَلَاتِى وَإِنَّمَا يَعْبُرُ بِهِ عَنْهَا لِأَنَّهُ أَوْلُ مَا يَشَاهِدُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ فِى الصَّلَاةِ لِأَنَّ أَصْلَ الرُّكُوعِ الْإِنْحِنَاءُ. وَ قَالَ بَعْضُ الْمَفْسُرِينَ إِنْ الْمَأْمُورِينَ فِى الْآيَةِ هُمُ أَهْلُ الْكِتَابِ وَ لَا رُكُوعَ فِى صَلَاتِهِمْ فَكَانَ الْأَحْسَنُ ذِكْرَ الْمَخْتَصِّ دُونَ الْمَشْتَرِكِ لِأَنَّهُ أَبْعَدُ مِنَ اللَّبْسِ فَأَمْرُهُمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ عَلَى مَا يَرُونَهَا مِنْ أَمْرِهِمْ بِضَمِّ الرُّكُوعِ إِلَيْهَا وَ الْأَمْرُ شَرَعًا عَلَى الْوَجُوبِ . وَ يُمْكِنُ أَنْ يَقَالَ إِنْ قَوْلُهُ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّمَا يَفِيدُ إِجْبَابَ إِقَامَتِهَا وَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ إِشَارَةً إِلَى صَلَاتِهِمْ الَّتِى يَعْرِفُونَهَا وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَيْضًا إِشَارَةً إِلَى الصَّلَاةِ الشَّرْعِيَّةِ فَلَمَّا قَالَ وَ ارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ حَتَّى مَعَ هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمِينَ الرَّاكِعِينَ فَخَصَّصَتْ بِالصَّلَاةِ الْمُنْفَرِدَةَ فِى الشَّرْعِ فَلَا يَكُونُ تَكَرُّارًا بَلْ يَكُونُ بَيَانًا. وَقِيلَ فِيهِ وَجْهٌ لَطِيفٌ وَ هُوَ أَنَّهُ لَمَّا أَمَرَ بِالصَّلَاةِ بِقَوْلِهِ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ - قُرْآن - ٣٢ - ١٠٠ - قُرْآن - ١١١ - ١٢٨ - قُرْآن - ١٥٦ - ١٦٦ - قُرْآن - ٣٣٠ - ٣٧٩ - قُرْآن - ٣٩١ - ٤٢٦ - قُرْآن - ٨٧٥ - ٨٩٢ - قُرْآن - ١٠٢٨ - ١٠٥٦ - قُرْآن - ١٢١٠ - ١٢٢٧] [صَفْحَةُ ١٠٤] حَثَّ بِقَوْلِهِ وَ ارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ عَلَى صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ لِتَقْدِمِ الصَّلَاةِ لِلْمُنْفَرِدِ فِى أَوَّلِ الْآيَةِ وَ يَجِئُ بِبَيَانِهَا فِى بَابِهَا. - قُرْآن - ١١ - ٣٩

فصل

وَ قَالَ تَعَالَى وَ لَا - تَجْهَرُ بِصَيْحَاتِكَ وَ لَا - تُخَافُ بِهَا وَ ابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا. قَالَ الطَّبْرِيُّ الْمُرَادُ لَا تَجْهَرُ بِصَيْحَاتِكَ بِصَلَاةِ النَّهَارِ الْعِجْمَاءِ وَ لَا تُخَافُ بِهَا يَعْنِى صَلَاةَ اللَّيْلِ الَّتِى يَجْهَرُ بِهَا فِى الْقِرَاءَةِ فَالْجَهْرُ فِى صَلَاةِ الْغَدَاةِ وَاجِبٌ وَ كَذَلِكَ فِى الرُّكُوعِ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْعِشَاءِ. فَأَمَّا صَلَاةُ النَّهَارِ فَهِيَ عِجْمَاءٌ كَمَا ذَكَرْنَاهُ يَجِبُ فِى الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ جَمِيعًا الْمَخَافَةُ إِلَّا فِى الْجُمُعَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَ فِى الرُّكُوعِ الْأَوَّلِينَ مِنَ الظُّهْرِ أَيْضًا مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَإِنَّهُ يَسْتَحَبُّ الْجَهْرُ فِيهِمَا. وَقِيلَ إِنَّهُ نَهَى مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَنِ الْجَهْرِ الْعَظِيمِ فِى حَالِ الصَّلَاةِ وَ عَنِ الْمَخَافَةِ الشَّدِيدَةِ وَ أَمْرٌ بِأَنْ يَتَّخِذَ بَيْنَ ذَلِكَ طَرِيقًا وَسَطًا فَأَقْلُ الْجَهْرِ أَنْ تَسْمَعَ مِنْ يَلِيكَ وَ أَكْثَرُ الْمَخَافَةِ أَنْ تَسْمَعَ نَفْسَكَ وَ لَا مَانِعَ مِنَ الْحَمْلِ عَلَى الْقَوْلِينَ لِعُمُومِهِ . - قُرْآن - ١٥ - ٨٧ - قُرْآن - ١٠٨ - ١٢٧ - قُرْآن - ١٥٣ - ١٧٠ - وَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ عِ بِمَكَّةَ كَانَ إِذَا صَلَّى يَجْهَرُ بِصَلَاتِهِ عَلَى الْمَأْمُورِ فَسَمِعَ بِهِ الْمَشْرُوكُونَ فَشْتَمُوهُ وَ آذَوْهُ وَ أَرَادُوا أَصْحَابَهُ فَأَمَرَ اللَّهُ بِتَرْكِ الْجَهْرِ - رِوَايَت - ١ - ٢ - رِوَايَت - ١٩ - ١٥٠ - وَ عَنِ عَائِشَةَ الْمُرَادُ بِالصَّلَاةِ هَاهُنَا الدُّعَاءُ أَى لَا تَجْهَرُ بِدُعَائِكَ وَ لَا تُخَافُ بِهِ وَ لَكِنْ بَيْنَ ذَلِكَ -

روایت-۱-۲-روایت-۱۴-۹۲ ویجوز أن يكون جميع ما ذكرناه مراداً لأنه لا مانع . و قال قوم هذا خطاب لكل واحد من المصلين والمعنى لا تجهر أيها [صفحہ ۱۰۵] المصلی بصلاتک تحسنها مراةء في العلانية و لا تخافت بها تسيء في القيام بها في السريرة . و صلاة الغداة يجهر بها و إن كانت من صلاة النهار لأن النبي ع صلاها في غلس الصبح .

فصل

و قال قوم يمكن أن يستدل على أن الصلاة على النبي وآله في التشهد واجب بقوله يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليماً و هو أمر و هو في الشرع على الوجوب . و الإجماع حاصل باستحباب الصلاة على النبي وآله في كل موضع و على كل حال . و وجوبها لا يعتبر إلا في التشهد والقنوت في كل صلاة مستحب في الموضع المخصوص منها يدل عليه قوله تعالى و قوموا لله قانتين قال صاحب العين القنوت في الصلاة دعاء بعد القراءة في آخر الركعتين يدعو قائماً . فإذا قيل القنوت هو القيام الطويل هاهنا قلنا المعروف في الشريعة أن هذا الاسم يختص الدعاء و لا يعرف من إطلاقه سواه على أنانحمله على الأمرين لأنه عام . و يجوز الدعاء في الصلاة أين شاء المصلی منها والحجّة بعد إجماع الطائفة ظاهر أمر الله بالدعاء على الإطلاق قال تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا قرآن-۸۴-۱۴۷-قرآن-۳۷۱-۳۹۷-قرآن-۷۵۵-۷۸۴ و قال قوم يمكن أن يستدل على أن الصلاة على النبي وآله في التشهد واجب بقوله يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليماً و هو أمر و هو في الشرع على الوجوب . و الإجماع حاصل باستحباب الصلاة على النبي وآله في كل موضع و على كل حال . و وجوبها لا يعتبر إلا في التشهد والقنوت في كل صلاة مستحب في الموضع المخصوص منها يدل عليه قوله تعالى و قوموا لله قانتين قال صاحب العين القنوت في الصلاة دعاء بعد القراءة في آخر الركعتين يدعو قائماً . فإذا قيل القنوت هو القيام الطويل هاهنا قلنا المعروف في الشريعة أن هذا الاسم يختص الدعاء و لا يعرف من إطلاقه سواه على أنانحمله على الأمرين لأنه عام . و يجوز الدعاء في الصلاة أين شاء المصلی منها والحجّة بعد إجماع الطائفة ظاهر أمر الله بالدعاء على الإطلاق قال تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن و قال ادعوني أستجب لكم . و قال قوم القنوت السكوت و قوله قوموا لله قانتين يدل على أن الكلام والتحدث في الصلاة محظور نهى الله عنه و هذا التأويل أيضاً غير مستبعد مع أنه لا ينافي ما قدمناه و يجوز أن يكون الكل مراداً . -قرآن-۱-۹-قرآن-۱۷-۴۰-قرآن-۷۷-۱۰۰

فصل

ويجب القراءة في الركعتين الأوليين على التضييق للمنفرد والمصلی مخير في الركعتين الأخيرتين بين القراءة والتسبيح ويمكن أن يستدل عليه بقوله فاقروا ما تيسر من القرآن لأن ظاهر هذا القول يقتضى عموم الأحوال كلها التي من جملتها أحوال الصلاة . و لو تركنا و ظاهر الآية قلنا إن القراءة واجبة كلها تضييقاً لكن لمادل الدليل على وجوبها في الأوليين على التضييق و في الأخيرتين يجب على التخيير للمنفرد قلنا بجواز التسبيح في الأخيرتين إلا أن الأمر ورد بأن القراءة للإمام في الأخيرتين أيضاً أفضل من التسبيح . و افتتاح الصلاة المفروضة يستحب بسبع تكبيرات يفصل بينهما بتسبيح و ذكر الله والوجه فيه بعد إجماع الفرقة المحقة هو أن الله ندبنا في كل الأحوال إلى تكبيره و تسبيحه و أذكاره الجميلة و ظواهر آيات كثيرة من القرآن تدل عليه مثل قوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً و سيبحوه بكرة و أصلاً يلا فوق افتتاح الصلاة داخل في عموم الأخبار التي أمرنا فيها بالأذكار . -قرآن-۱۴۷-۱۸۱-قرآن-۷۶۱-۸۵۲ [صفحہ ۱۰۷] ويجب الطمأنينة في الركوع والسجود وكذا بعد رفع الرأس منهما . و قد بين

النبى ع كيفية الصلاة من الفرائض والسنن و ما يترك لأمر الله بذلك قال تعالى وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ورواها علماء أهل البيت و على صحة جميع ذلك إجماع الطائفة و هو دليل قاطع فى أول ركعة ثلاثه عشر فعلا مفروضا وكذا فى كل ركعة إلا النيء و تكبيره الإحرام - قرآن - ١٥٣-١٩٩

باب هيات الصلاة

اشاره

قال الله تعالى فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انحر. أمر منه تعالى لنبىه ويدخل فيه جميع المكلفين يأمرهم الله بالصلاة و أن ينحروا. قال قوم معناه صل لربك الصلاة المكتوبه واستقبل القبلة بنحرك تقول العرب منازلنا تتناحر أى تتقابل أى هذا ينحر ذا يعنى يستقبله وأنشد - قرآن - ١٩-٤٢ أباحكم هل أنت عم مجالد || وسيد أهل الأبطح المتناحر وروى عن مقاتل بن حيان عن الأصبع بن نباته عن أمير المؤمنين ع أنه قال لما نزلت هذه السورة قال رسول الله لجبرئيل ما هذه النحرية التى أمرنى بهارىبى قال ليست بنحرية وإنما يأمرك إذا تحرمت للصلاة أن ترفع يديك إذا كبرت و إذا ركعت و إذا رفعت رأسك من الركوع و إذا سجدت فإنه صلاتنا وصلاة الملائكة فى السماوات السبع و إن لكل شىء عزيته و إن زينة الصلاة رفع الأيدي عند كل تكبيره - روايت - ١-٢- روايت - ٨٠-٣٩٣ . [صفحہ ١٠٨] و أما مارووه عن على ع أن معناه ضع يدك اليمنى على اليسرى حذاء النحر فى الصلاة فمما لا يصح عنه لأن جميع عترته الطاهرة قدرروا عنه بخلاف ذلك و هو أن معناه ارفع يديك إلى النحر فى الصلاة حسب ما قدمناه . وكذا روى عن عمر بن يزيد عن أبى عبد الله ع فى قوله تعالى فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انحر هورفع يديك حذاء وجهك وروى مثله عنه ع عبد الله بن سنان - روايت - ١-٢- روايت - ٢٨-١٥٥ و قال حماد بن عثمان سألته ما النحر فرفع يديه إلى صدره فقال هكذا يعنى استقبال بيديه القبلة فى افتتاح الصلاة - روايت - ١-٢- روايت - ٢٤-١١٨ و عن جميل قلت لأبى عبد الله ع فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انحر فقال بيده هكذا يعنى استقبال بيديه حذو وجهه القبلة فى افتتاح الصلاة - روايت - ١-٢- روايت - ١٤-١٣٤ و قال النبى ع رفع الأيدي من الاستكانة قيل و ما الاستكانة قال أ لا تقرأ هذه الآية فمما استكانوا لربهم و ما يتصرون - روايت - ١-٢- روايت - ٢٠-١٣٥ و قد أورد الثعلبى والواحدى فى تفسيريهما الحديث الذى قدمناه عن الأصبع عن على ع وجعلنا هذا الخبر من تمامه و هو الصحيح . وروى جماعة عن الباقر والصادق ع فى قوله وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا أن التبتل هنا رفع الأيدي فى الصلاة - روايت - ١-٢- روايت - ١٥-١٥٩ و فى روايه - روايت - از قبل - ١٤ هورفع يديك إلى الله وتضرعك إليه والعموم يتناولهما .

فصل

و قال تعالى وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا. قال الفراء والزجاج المساجد مواضع السجود من الإنسان الجبهة واليدان والرجلان . وزاد فى روايه أصحابنا عنهم ع تفصيلا فقالوا فى قوله وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ السجود على سبعة أعظم فريضة الجبهة واليدين والركبتين وطرف أصابع الرجلين . والمعنى أنه لا ينبغي أن يسجد بهذه الأعضاء لأحد سوى الله أى أن الصلاة لا تجب إلا لله لأنها عبادة والعبادة غاية الشكر والشكر يجب على النعمة وغاية الشكر التى هى العبادة تجب على أصول النعمة وهى خلق الحياة والقدرة والشهوه وغيرها مما لا يدخل تحت مقدور القدر و لا يقدر على أصول النعمة غير الله فلا تجب العبادة إلا له تعالى .

وقال تعالى فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا أى لاتراءوا أحدا نهاهم الله عن الرياء فى الصلاة حتى لا يراءوا بها غيره فإنها لاتكون مقبولة إلا إذا كانت خالصة لله تعالى . والسجود على هذه الأعضاء السبعة واجب ووضع الأنف على الأرض سنة وكنيتهم ع فيه الإرغام بالأنف سنة. -قرآن- ١٥-٧٢-قرآن- ٢٠٩-٢٣٣-قرآن- ٦٥٩-٦٩٠ [صفحہ ١١٠] وقال بعضهم الأنف والجبهة عظم واحد فلا تقبل صلاة لا يصيب الأنف منها ما يصيب الجبهة و هذالشدة تأكيد النذب فى ذلك .

فصل

قوله قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون. قال مجاهد هو غرض الطرف وخفض الجناح أى بقيت أعمالهم الصالحة فهم خافضون متذللون فيها لله . وقيل الخشوع هو أن ينظر المصلى إلى موضع سجوده فى حال القيام وينظر فى حال الركوع إلى ما بين قدميه أو يغمض عينه فى هذه الحالة و أما فى حال السجود فالى طرف أنفه وفى جلوسه إلى حجره . وروى أن رسول الله ص كان يرفع بصره إلى السماء فلما نزلت هذه الآية طأطأ رأسه ونظر إلى مصلاه . وإنما أعاد ذكر الصلاة هاهنا بقوله والذين هم على صلواتهم يحافظون مع جرى ذكرها فى الآية المقدمة لأنه أمر بالخشوع فى أول الآيات وأمر فى آخرها بالمحافظة عليها والقراءة بالتوحيد لأن الصلاة اسم جنس يقع على القليل والكثير أى لا يضيعونها وهم يواظبون على أدائها. وفى تفسير أهل البيت ع أن معناه الذين يحافظون على مواقيت الصلاة فيؤدونها فى أوقاتها ولا يؤخرونها حتى يخرج وقتها و به قال أكثر المفسرين . - قرآن- ٧-٦٧-قرآن- ٤٩٧-٥٤٠ [صفحہ ١١١]

فصل

وقوله يسدح لة فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة -قرآن- ٩-١٢٦ قال ابن عباس كل تسيح فى القرآن صلاة -روایت- ١-٢-روایت- ١٨-٤٥ وروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله ع أن الله مدح قوما بأنهم إذا دخل وقت الصلاة تركوا تجارتهم وبيعهم واشتغلوا بالصلاة -روایت- ١-٢-روایت- ٤٣-١٣٠ . وهذان الوقتان من أصعب ما يكون على المتبايعين وهما الغداة والعشى . وقوله قل إن صلواتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك لهما إنما أضاف الصلاة إلى أصل الواجبات من التوحيد والعدل لأن فيها التعظيم لله عند التكبير و فيها تلاوة القرآن التى تدعو إلى كل بر و فيها الركوع والسجود وهما غاية خضوع لله و فيها التسيح الذى هو تنزيه الله تعالى . وإنما جمع بين صلاته وحياته وإحداهما من فعله والأخرى من فعل الله لأنهما جميعا بتدبير الله . والكيفيات المفروضة فى أول ركعة ثمانية عشر وفى أصحابنا من يزيد فى العدد وإن كانت الواجبات بحالها فى القولين . -قرآن- ٨١-١٧٣ [صفحہ ١١٢] وفى الركعة الثانية مثلها إلا كيفة النية وكيفة التكبير. وفى التشهد يجب سته أشياء ويستدل عليها من فحوى الآيات التى تقدم ذكرها و من الآيات التى يأتى بيانها من بعد.

فصل

قال الله تعالى حافظوا على الصلوات و الصلاة الوسطى . ومعنى الآية حث على مراعاة الصلوات ومواقبتهم و أن لا يقع فيها و لا فى شرائطها و لا فى أفعالها و لا فى كيفياتها التى بين رسول الله ص وجوبها تضييع وتفريط و هذاعام فى جميع واجباتها من الأفعال

والتروك وكيفياتها والفرائض والسنن . و قوله الصَّلاةِ الوُسْطِيهِ العصر فيما روى عن النبي ص و عن علي ع و عن ابن عباس و الحسن و قال ابن عمر وزيد بن ثابت إنها الظهر و هوالمروى عن أبي جعفر و أبي عبد الله ع و قال قبيصة بن ذؤيب هي المغرب و قال جابر هي الغداة و عن ابن عمر هي واحدة من الخمس غير مميزة. و قال الحسن بن علي المغربي المعنى بها صلاة الجماعة لأن الوسط -قرآن- ١٩-٦٣-قرآن-٣١٢-٣٢٧ [صفحة ١١٣] العدل فلما كانت صلاة الجماعة أفضلها خصت بالذكر و هذاوجه مريح غير أنه لم يذهب إليه غيره . فمن جعلها العصر قال لأنها بين صلاتي النهار و صلاتي الليل وإنما حث عليها زيادة لأنها وقت شغل الناس في غالب الأمر. و من قال إنها صلاة الظهر قال لأنها وسط النهار ولأنها أول صلاة فرضت فلها بذلك فضل . و من قال هي المغرب قال لأنها وسط في الطول والقصر من بين الصلوات فهي أول صلاة الليل و قدرغب الله في الصلاة بالليل . و أما من قال هي الغداة قال لأنها بين الظلام والضيء وهي صلاة لاتجمع معها غيرها. و من حمل الصلاة الوسطى على صلاة الجماعة جعل الصلوات على عمومها من الفرائض . و من حملها على واحدة من الصلوات على الخلاف فيه اختلفوا فمنهم من قال أراد بقوله عَلَى الصَّلَاةِ ماعدا هذه الصلاة حتى لا- يكون عطف الشيء على نفسه ومنهم من قال لا يمتنع لمن يريد بالأول جميع الصلوات وخص هذه الصلاة بالذكر تعظيما لها وتأكيذا لفضلها وشرفها كقوله وَ مَلَائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكَالَ . -قرآن- ٦٧٩-٦٩٤-قرآن-٨٦٨-٩١٧

فصل

اعلم أن الله تعالى لما حث على الطاعة بقوله وَ لَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ مَخْصُوعَةً بِالْمَحَافِظَةِ عَلَيْهَا لِأَنَّهَا أَعْظَمُ الطَّاعَاتِ فَقَالَ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَاةِ -قرآن- ٤٨-٧٨-قرآن-١٣٨-١٦٢ [صفحة ١١٤] أى داوموا على الصلوات المكتوبات في مواقيتها بتمام أركانها ثم خص الوسطى تفخيما لشأنها ثم اختلف فيها على ستة أقوال على ما ذكرنا. وأكد من ذكر أنها الظهر بقول النبي ع إذا زالت الشمس سبح كل شيء لربنا فأمر الله بالصلاة في تلك الساعة وهي الساعة التي تفتح فيها أبواب السماء فلا تغلق حتى يصلى الظهر ويستجاب فيها الدعاء -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-١٧٣ و ذكر أنها الجمعة يوم الجمعة والظهر سائر الأيام . و من ادعى أنها العصر أكد قوله بقول النبي ع الذى تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٦٦ . و من ذكر أنها المغرب أكد قوله بقول النبي ع إن أفضل الصلوات عند الله صلاة المغرب لم يحطها الله عن مسافر و لاقم في فتح الله بها صلاة الليل و ختم بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرا في الجنة و من صلى بعدهما أربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين أو أربعين سنة -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٢٧٥ . و من زعم أنها صلاة العشاء الآخرة قال لأنها بين صلاتين لا يقصران و قال النبي ع من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-٦٧ . و من قال إنها إحدى الصلوات الخمس لم يعينها الله وأخفاها في جملة المكتوبات كلها ليحافظوا على كلها كما أخفى ليلة القدر في ليالي شهر رمضان واسمه الأعظم في جميع أسمائه وساعة الإجابة في ساعات الجمعة. و من قال إنها صلاة الفجر دل عليه أيضا من التنزيل بقوله وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا يعنى تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار وهي مكتوب في ديوان الليل و ديوان النهار ولأنها صلاة لا-تجمع مع غيرها كما تقدم فهي منفردة بين مجتمعين فقد جمع النبي ع بين الظهر والعصر وجمع بين المغرب -قرآن- ٢٦٩-٣٢٠ [صفحة ١١٥] والعشاء بالمزدلفة فصلاة الظهر متأخية لصلاة العصر وكذا المغرب للعشاء وصلاة الغداة منفردة. ويستحب الجمع في هذين الموضوعين يعنى عرفه والمشعر على الرجال والنساء في أى يوم كان من الأسبوع و في أية ليلة كانت سوى ليلة الجمعة أو غيرها من الليالي و لا يستحب الجمع في غيرهما من المواضع بل هو رخصة سواء كان في

الحضر أو السفر إلا في يوم الجمعة فإنه يستحب فيه الجمع بين الظهر والعصر لا غير في كل بقعة و على كل حال . ويلزم النساء خاصة الجمع بين الظهر والعصر والجمع بين المغرب والعشاء الآخرة في بعض وجوه استحاضتهن .

فصل

ثم قال تعالى في آخر الآية وَ قَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ أى داعين والقنوت هو الدعاء فى الصلاة فى حال القيام وهو المروى عنهما ع وقيل ساكتين لأنهم نهوا بذلك عن الكلام فى الصلاة وقيل خاشعين فنهوا عن العبث والالتفات فى الصلاة فالالتفات فيها إلى خلف محذور و إلى ماسواه من الجوانب مكروه . والأصل فى القنوت الإتيان بالدعاء وغيره من العبادات فى حال القيام ويجوز أن يطلق فى سائر الطاعات فإنه و إن لم يكن فيه القيام الحقيقى فإن فيه القيام بالعبادة . -قرآن- ٣٠-٥٦ [صفحة ١١٦] واستدل الشافعى على أنها هى الغداة بقوله وَ قَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَبمعنى وقوموا فيها لله قانتين و هذا فى جميع الصلوات عندنا . والقنوت جهرا فى كل صلاة -قرآن- ٤٥-٧١ و عن زيد بن ثابت أن النبى ع كان يصلى الهاجرة وكانت أثقل الصلوات على أصحابه فلا يكون وراءه إلا المصافى والصفاة فقال لقد هممت أن أحرق على قوم لا يشهدون الصلاة بيوتهم فنزل قوله حافظوا على الصلوات -روایت- ١-٢-روایت- ٢١-٢١٧

فصل

وقوله إنما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و هم راعون . لاخلاف بين الأمة أن هذه الآية نزلت فى أمير المؤمنين ع حين تصدق بخاتمه و هو راعى روى ذلك المغربى عن أبى بكر الرازى والطبرى والرمانى ومجاهد والسدى وقالوا المعنى بالآية هو الذى أتى الزكاة فى حال الركوع و هو قول أهل البيت ع . وأجمعت الأمة على أنه لم يؤت الزكاة فى الركوع غير أمير المؤمنين ع . و فى هذه الآية دلالة على أن العمل القليل لا يفسد الصلاة . وقيل فى قوله وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ هو وضع الجبهة والأنف فى السجود على الأرض . -قرآن- ٩-١٣٢-قرآن- ٥٢٥-٥٦٢ [صفحة ١١٧]

فصل

وقوله تعالى وَ أقم الصلاة لذكري قال قوم معناه متى ذكرت أن عليك صلاة كنت فى وقتها فأقمتها أوفات وقتها فاقضها سواء فاتت عمدا أو نسيانا . وقيل معناه أقم أيها المكلف الصلاة لتذكرنى فيها بالتسبيح والتعظيم وإنى أذكرك بالمدح والثواب . و قال تعالى فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ أَى تركوها وقيل أى أخرها عن مواقيتها وهو الذى رواه أصحابنا . و قال فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ و هذا تهديد لمن يؤخرها عن وقتها لأنه تعالى قال عَنْ صَلَاتِهِمْ و لم يقل ساهون فيها وإنما ذم من وقع منه السهو مع أنه ليس من فعل العبد بل هو من فعل الله لأن الذم توجه فى الحقيقة على التعرض للسهو بدخوله فيها على وجه الرياء وقلبه مشغول بغيرها لا يرى لها منزلة تقتضى صرف الهمة إليها . -قرآن- ١٦-٤٣-قرآن- ٢٦٩-٣١٣-قرآن- ٣٨٤-٤٣٨-قرآن- ٤٨٩-٥٠١ و عن يونس بن عمار سألت أبا عبد الله ع عن قوله الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ أهى وسوسه الشيطان قال لا كل أحد يصيبه هذا ولكن إن يغفلها ويدع أن يصلى فى أول وقتها -روایت- ١-٢-روایت- ٢٢-١٨٠ و عن أبى

أسامة زيد الشحام سألته أيضا عن قوله الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ قال هو الترك لها والتواني عنها -رواية- ١-٢-رواية- ٣١-١٢٠ [صفحة ١١٨] وعن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن ع قال هو التصنيع لها -رواية- ١-٢-رواية- ٤٩-٦٥ وعن ابن عباس هم الذين يؤخرون الصلاة عن أوقاتها -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-٥٦. وقيل يريد المنافقين الذين لا يرجون لها ثوبا إن صلوا ولا يخافون عليها عقابا إن تركوا فهم عنها غافلون حتى يذهب وقتها فإذا كانوا مع المؤمنين صلوا رياء وإذا لم يكونوا معهم لم يصلوا وهو قوله الَّذِينَ هُمْ يُرَأُونَ. وقيل ساهون عنها لا يبالون صلوا أو لم يصلوا. وعن أبي العالیه هم الذين لا يصلونها لمواقبتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها هم الذين إذا سجدوا قالوا برء وسهم هكذا وهكذا ملتفتين . -قرآن- ٢٠١-٢٢١ وقال أنس الحمد لله الذي قال عَنْ صَلَاتِهِمْ وَلَمْ يَقُلْ فِي صَلَاتِهِمْ -رواية- ١-٢-رواية- ١٤-٧٠ أراد بذلك أن السهو الذي يقع للإنسان في صلاته من غير عزم لا يعاقب عليه .

فصل

وقوله تعالى فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ. خاطب محمداص والمراد به هو وجميع المكلفين أى إذا أردت قراءة القرآن فاستعد بالله لأن بعد القراءة لا تكون الاستعاذة إلا عند من لا يعتد بخلافه . وقيل هو التقديم والتأخير وهذا ضعيف لأن ذلك لا يجوز مع ارتفاع اللبس والشبهة. والاستعاذة عند التلاوة مستحبة إلا- عند أهل الظاهر فإنهم قالوا فاستعد بالله أمر وهو على الإيجاب ولو لا الرواية عن أهل البيت أنها مستحبة وعلى صحتها إجماع الطائفة لقلنا بوجوبها. والتعوذ في الصلاة مستحب فى أول ركعة دون ماعداها وتكراره فى كل -قرآن- ١٦-٥٧-قرآن- ٣٥٠-٣٦٧ [صفحة ١١٩] ركعة يحتاج إلى دليل ولا دليل . ويسر فى التعوذ فى جميع الصلوات ويجب الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم فى الحمد وفى كل سورة بعدها فى كل صلاة يجب الجهر فيها وتجب قراءته لأنه آية من كل سورة والدليل عليه إجماعنا الذى تقدم أنه حجة فإن كانت الصلاة مما لا يجهر فيها استحب الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم فيها. واختلف فيه أيضا فقيل إنه مقصور على الركعتين الأولىين من الظهر والعصر والأظهر أنه على العموم فى جميع المواضع التى كانت فيها من الصلوات . وقالوا فى قوله وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ أى اقرأ أيها المخاطب بسم الله الرحمن الرحيم فى أول كل سورة. -قرآن- ٤٨١-٥٠١

فصل

قال الله تعالى وَ إِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَى قَوْلِهِ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ. تدل هذه الآية أن من قرأ بغير العربية معنى القرآن بأى لغة كانت فى الصلاة كانت صلاته باطلة لأن ما قرأه لم يكن قرآنا. وإن وضع لفظا عربيا موضع لفظ من القرآن يكون معناهما واحدا فكمثله فإنه تعالى وصف اللسان بصفتين ألا ترى أنه تعالى أخبر أنه أنزل القرآن بلسان عربى مبين وقال تعالى إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا فَخَيْرٌ أَنَّهُ أَنْزَلَهُ عَرَبِيًّا. فمن قال إذا كان بغير العربى فهو قرآن فقد ترك الآية وقال تعالى وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ وَعند أبى حنيفة أرسل الله رسوله بكل لسان . -قرآن- ١٩-٥٥-قرآن- ٦٧-٩٢-قرآن- ٣٩٦-٤٢٩-قرآن- ٥٢٢-٥٧٠ [صفحة ١٢٠] وإذ ثبت أنه بغير العربية لا يكون قرآنا سقط قولهم وثبت أنها لاتجزى. على أن من يحسن الحمد لا يجوز أن يقرأ غيرها لقوله ع كل صلاة ليس فيها فاتحة فهى خداج -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٤٧. فإن لم يحسن الحمد وجب عليه أن يتعلمها فإن ضاق عليه الوقت وأحسن غيرها قرأ ما يحسن فإن لم يحسن إلا بعض سورة قرأه فإن لم يحسن شيئا أصلا ذكر الله وكبره ولا يقرأ

فصل

وقوله تعالى وَ لِلّٰهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا. يدل على أنه يجوز للمصلى أن يدعو لدينه ودنياه ولإخوانه لأنه قال فَادْعُوهُ و لم يستثن حال الصلاة وظاهره فى عرف الشرع الاستغراق والعموم فلأمانع . و إذا سلم عليه و هو فى الصلاة رد عليه مثله يقول سلام عليكم و لا- يقول وعليكم السلام فإنه يقطع الصلاة. ويمكن أن يكون الوجه فى ذلك أن لفظه سلام عليكم من ألفاظ القرآن يجوز للمصلى أن يتلفظ بها تاليا للقرآن وناويا لرد السلام إذ لا تنافى بين الأمرين قال الله تعالى وَ إِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّهِ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا. قال الحسن وجماعته من متقدمى المفسرين إن السلام تطوع والرد فرض لقوله فَحَيُّوا والأمر شرعا على الوجوب فإذا أطلق الأمر و لم يقيده بحال دون حال فالمصلى إذا سلم عليه و هو فى الصلاة فليرد عليه مثل ذلك . -قرآن- ١٦-٥٧-قرآن- ١٢٩-١٣٧-قرآن- ٤٩٤-٥٥٧-قرآن- ٦٣٤-٦٤١ [صفحة ١٢١] وسمعت بعض مشايخى مذاكرة أنه مخصوص بالنوافل والأظهر أنه على العموم . و من شجون الحديث أن رسول الله ص دعا أباسعيد الخدرى و هو فى الصلاة فلم يجبه فوبخه و قال ألم تسمع قول الله يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-١٩٦

فصل

وقوله تعالى الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ أَىٰ يَصَلُّونَ عَلَىٰ قَدَرٍ إِمَّا فِي صَلَاتِهِمْ وَسَقَمِهِمْ وَهُوَ الْمُرِيُّ فِي أَخْبَارِنَا لِأَنَّ الصَّلَاةَ يَلْزِمُ التَّكْلِيفَ مَا دَامَ عَقْلُهُ ثَابِتًا فَإِنْ لَمْ يَتِمَّكَنْ مِنَ الصَّلَاةِ لِاقْتِائِهَا وَ لِقَاعِدَاتِهَا وَ لِامْضِطْجَعِهَا فَلْيَصِلْ مَوْمِيَا يَبْدَأُ بِالصَّلَاةِ بِالتَّكْبِيرِ وَيَقْرَأُ فَإِذَا أَرَادَ الرُّكُوعَ غَمَضَ عَيْنَيْهِ فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ فَتَحَهَا وَ إِذَا أَرَادَ السُّجُودَ الثَّانِي غَمَضَهَا وَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ فَتَحَهَا وَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ فَتَحَهَا وَ إِذَا أَرَادَ السُّجُودَ الثَّانِي غَمَضَهَا وَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ فَتَحَهَا وَ عَلَىٰ هَذَا صِلَاتِهِ . وَ قَوْلُهُ فَإِذَا اطْمَأَنَّنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنْ كَانَ صَلَى رُكْعَةً مُسْتَلْقِيًا هَكَذَا ثُمَّ قَوَى عَلَىٰ أَنْ يَصَلِيَ مُضْطَجِعًا أَوْ كَانَ صَلَى مُضْطَجِعًا وَقَدَّرَ أَنْ يَصَلِيَ قَاعِدًا أَوْ كَانَ يَصَلِّي قَاعِدًا فَقَوَى أَنْ يَصَلِيَ قَائِمًا رَجَعَ إِلَيْهِ . وَ كَذَا عَلَىٰ عَكْسِهِ إِنْ صَلَى رُكْعَةً قَائِمًا فَضَعَفَ عَنِ الْقِيَامِ صَلَى الْبَاقِي قَاعِدًا. -قرآن- ١٦-٨٠-قرآن- ٤٦٩-٥٠٨ [صفحة ١٢٢] و عن ابن مسعود نزلت هذه الآية فى صلاة المريض لقوله وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ. والعريان إذا كان بحيث لا يراه أحد صلى قائما و إذا كان بحيث لا يأمن أن يراه أحد صلى جالسا للآية ولقوله مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ. -قرآن- ٥٦-٨٥-قرآن- ١٩٦-٢٣٦ و قال ابن عباس لم يعذر أحد فى تركه للصلاة إلا مغلوب على عقله -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-٦٩ و هذا يدل على عظم حال الصلاة.

فصل

وقوله تعالى فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ. يستدل بهذه الآية على أن من ترك الصلاة متعمدا يجب قتله البتة على بعض الوجوه لأن الله تعالى أوجب الامتناع من قتل المشركين بشرطين أحدهما أن يتوبوا من الشرك والثانى أن يقيموا الصلاة فإذا لم يقيموا وجب قتلهم . ثم قال فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ تَقْدِيرُهُ فَمِنْ إِيَّاهُمْ إِيَّاهُمْ . أما

قوله وَ مَا كَانَ صِيَالَتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَ تَصَدِيَةً فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ صَلَاةً هُوَ لِأَنَّ الْكُفْرَانَ تِلْكَ الصَّلَاةَ الَّتِي أَمَرُوا بِهَا فَأَخْبَرَ تَعَالَى بِذَلِكَ لِثَلَا يَظُنُّ ظَانَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُهُمْ مَعَ كَوْنِهِمْ مُصَلِّينَ وَمُسْتَغْفِرِينَ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى وَ مَا لَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَ هُمْ يُصَيِّدُونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. وَإِنَّمَا سَمِيَ اللَّهُ مَكَاءً هُمْ صَلَاةً لِأَنَّهُمْ يَجْعَلُونَ ذَلِكَ مَكَانَ الصَّلَاةِ وَالِدَعَاءِ -قرآن- ١٦-٩٤-قرآن- ٣٢٨-٣٩٢-قرآن- ٤٢٥-٤٨٤-قرآن- ٦٧٤-٧٥١ [صفحة ١٢٣] وَالتَّسْبِيحِ الْمَشْرُوعِ وَالْمَكَاءِ الصَّغِيرِ وَالتَّصَدِيَةَ التَّصْفِيَةَ وَلِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْمَلُونَ كَعَمَلِ الصَّلَاةِ مِمَّا فِي هَذَا وَقِيلَ كَانَ بَعْضُهُمْ يَتَّصِدِي الْبَعْضَ لِيَرَاهُ بِذَلِكَ الْفِعْلِ وَ كَانَ يَصْفِرُ لَهُ

باب قضاء الصلاة وترها

إشارة

أَعْلَمُ أَنَّ الْقَضَاءَ هُوَ فَرْضٌ ثَانٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ السَّنَةُ عَلَى سَبِيلِ التَّفْصِيلِ وَيَسْتَدَلُّ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ وَ أَذْكَرُ رَبِّكَ إِذَا نَسِيْتَ عَلَى طَرِيقِ الْجُمْلَةِ وَ عَلَى مَا قَدَّمْنَاهُ فِي قَوْلِهِ وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي. ثُمَّ مِنْ كَانَ مُخَاطَبًا بِالصَّلَاةِ فَفَاتَتْهُ فَإِنْ كَانَ كَافِرًا فِي الْأَصْلِ فَالصَّلَاةُ الْفَائِتَةُ مِنْهُ فِي حَالِ كُفْرِهِ لَا يَلْزِمُهُ قَضَاؤُهَا وَ إِنْ كَانَ مُخَاطَبًا بِالشَّرَائِعِ بِالِدَلِيلِ الْقَاطِعِ وَعَمُومِ قَوْلِهِ إِنْ تَجَتَّبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ تُكْفَرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ نُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا يَشْهَدُ بِبِرَاءَةِ ذِمَّتِهِ الَّتِي هِيَ الْأَصْلُ وَالسَّنَةُ قَدِ فُصِّلَتْ أَنَّهُ لَا يَلْزِمُهُ قَضَاؤُهَا. فَأَمَّا مَنْ كَانَ عَلَى ظَاهِرِ الْإِسْلَامِ بِالْغَا كَامِلِ الْعَقْلِ فَإِنْ جَمِيعَ مَا يَفُوتُهُ مِنَ الصَّلَوَاتِ بَعَذَرٍ وَ غَيْرِ عَذَرٍ يَلْزِمُهُ قَضَاؤُهَا حَسَبَ مَا فَاتَتْهُ إِنْ سَفَرَ فَسَفَرًا وَ إِنْ حَضَرَ فَحَضَرَ وَ كَذَا مَا يَفُوتُهُ فِي حَالِ النَّوْمِ الْمَعْتَادِ أَوْ حَالِ السُّكْرِ أَوْ تَنَاوُلِ الْأَشْيَاءِ الْمَرْقُودَةِ. وَ إِنْ كَانَ عَلَى مَذْهَبٍ فَاسِدٍ كَالْتَشْبِيهِ وَ نَحْوِهِ وَ كَانَ صَلَّى أَوْ لَمْ يَصِلْ فَإِذَا اسْتَبْرَأَ وَ جَبَّ عَلَيْهِ قَضَاءُ جَمِيعِ ذَلِكَ. -قرآن- ٩٥-١٢٢-قرآن- ١٦٧-١٩٤-قرآن- ٣٦٤-٤٦٣ [صفحة ١٢٤]

فصل

وَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَ هُوَ الْغَدِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكَرَ أَيْ يَخْلُفُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ مِمَّا يَحْتَاجُ أَنْ يَعْمَلَ فِيهِ فَمِنْ فَاتَهُ عَمَلُ اللَّيْلِ اسْتَدْرَكَهُ بِالنَّهَارِ وَ مِنْ فَاتَهُ عَمَلُ النَّهَارِ اسْتَدْرَكَهُ بِاللَّيْلِ عَلَى الْفَوْرِ وَ هُوَ قَوْلُهُ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكَرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا. عَنِ أَكْثَرِ الْمَفْسُرِينَ أَنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ وَقْتَيْنِ لِلْمُتَذَكِّرِينَ وَ الشَّاكِرِينَ مِنْ فَاتِهِ فِي أَحَدِهِمَا وَ رَدَهُ مِنَ الْعِبَادَةِ قَامَ بِهِ فِي الْآخِرِ. -قرآن- ١٦-٩٠-قرآن- ٢٤٦-٢٩٠ وَ عَنِ عُنْبَسَةَ الْعَابِدِ سَأَلَتْ الصَّادِقَ عَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ وَ هُوَ الْغَدِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكَرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا قَالَ قَضَاءُ صَلَاةِ اللَّيْلِ بِالنَّهَارِ وَقَضَاءُ صَلَاةِ النَّهَارِ بِاللَّيْلِ -رواية- ١-٢-رواية- ٢١-٢٠٢ وَ فِي رِوَايَةٍ عَنْ غَيْرِهِ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَ قَالَ فِي قَوْلِهِ وَ هُوَ الْغَدِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ خِلْفَةً يَقْضَى صَلَاةَ النَّهَارِ بِاللَّيْلِ وَ صَلَاةَ اللَّيْلِ بِالنَّهَارِ -رواية- ١-٢-رواية- ٤٤-١٥٥. وَ قَوْلُهُ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكَرَ كَلَامٌ مُجْمَلٌ يَفْسِرُهُ -قرآن- ١٠-٣٤ قَوْلُهُ عَ مِنْ نَسِي صَلَاةً فَوْقَهَا حِينَ يَذْكَرُهَا -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٤٥ يَعْنِي إِذَا ذَكَرَ أَنَّهَا فَاتَتْهُ قَضَاهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي -قرآن- ٤٥-٦٩ [صفحة ١٢٥]

باب ذكر صلاة الليل وذكر جميع النوافل

قال الله تعالى يا أَيُّهَا الْمَرْمُلُ قُمْ اللَّيْلَ . وهذا أمر من الله لنبية ع بقيام جميع الليل إلا القليل منه والخطاب معه حين التف بثيابه تأهبا للصلاة وقيل التف بثيابه للنوم وقال الحسن إن الله فرض على النبي و المؤمنين أن يقوموا ثلث الليل فما زاد فقاموا حتى تورمت أقدامهم ثم نسخ تخفيفا عنهم وقال غيره هو فعل لم ينسخ لأنه لو كان فرضا لماخير في ذلك وإنما بين تخفيف الثقل . وقال قوم المرغب فيه قيام ثلث الليل أو نصف الليل أو الليل كله إلا القليل وإنما لم يرغب بالآية في قيام جميعه لأنه تعالى قال إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوْ انْقُصَ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ عَنِى عَلَى النصف . وقال الزجاج نصفه بدل من الليل بدل البعض من الكل كقوله ضرب زيد رأسه والمعنى قم نصف الليل أوزد على نصف الليل وذلك قبل أن يتعبد بالصلوات الخمس . و عن ابن عباس وغيره كان بين أول السورة وآخرها الذى نزل فيه التخفيف سنه وقال ابن جبير عشر سنين وقال الحسن وعكرمة نسخت الثانية الأولى والأولى أن يكون الكلام على ظاهره و يكون جميع ذلك سنه مؤكده إلا أنه ليس بفرض . قرآن-١٩-٥٢-قرآن-٥٤٣-٦٠٦

فصل

وقوله وَ رَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا أمر من الله له بأن يرتل القراءة . قرآن-٩-٣٦ [صفحة ١٢٦] والترتيل ترتيب الحروف على حقها فى تلاوتها وتبيين الإعراب تثبت فيها والحدرد هو الإسراع فيها وكلاهما حسن إلا أن الترتيل هاهنا هو المرغب فيه . وناشئة اللبساعات التهجد من الليل وقال أبو جعفر و أبو عبد الله ع هو القيام آخر الليل إلى صلاة الليل . والمعنى أن عمل الليل أشد ثباتا من عمل النهار وأثبت فى القلب من عمل النهار لأنه يواطىء فيه القلب اللسان لانقطاع الشغل وفراغ القلب وثوابه أعظم لأن عمل الليل أشد على البدن من عمل النهار. ثم قال إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ فِي النَّاسِ مِنْ قَالَ هَذِهِ الْآيَةُ نَاسِخَةٌ لِمَا فِي أَوَّلِ السُّورَةِ مِنَ الْأَمْرِ الْحَتْمِ بِقِيَامِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوْ انْقُصَ مِنْهُ . وقال آخرون إنما نسخ ما كان فرضا إلى أن صار نفلا. وقد قلنا الأمر فى أول السورة على وجه الندب فكذا هاهنا فلاتنافى بينهما حتى ينسخ بعضها ببعض . قرآن-١٥٠-١٦٥-قرآن-٤٧٦-٥٦٠-قرآن-٦٥٥-٦٧٨

فصل

وقوله وَ اذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَ آصِيًا بُكْرَةً الْغَدَاةَ وَ الْأَصِيلَ الْعَشَى وَ هُوَ أَصْلُ اللَّيْلِ . وَ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُدْخَلْتَ مِنَ اللَّتْبَعِيضِ يعنى فاسجد له فى بعض الليل قرآن-٩-٤٩-قرآن-٩٦-١٢٣ [صفحة ١٢٧] لأنه لم يأمر بقيام جميع الليل كما قال إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ وَالْمَعْنَى أَنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ يَا مُحَمَّدُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ وَأَقْلَ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ أَى أَقْلَ مِنْ نِصْفِهِ وَ مِنَ ثُلُثِهِ وَ الْهَاءُ تَعُودُ إِلَى اللَّيْلِ أَى نِصْفِ اللَّيْلِ وَ ثُلُثِ اللَّيْلِ مَعْنَاهُ أَنَّكَ تَقُومُ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي قَرِيبًا مِنَ الثَّلَاثِينَ وَ فِي بَعْضِهَا قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ اللَّيْلِ وَ فِي بَعْضِهَا قَرِيبًا مِنْ ثُلُثِهِ . وَقِيلَ إِنَّ الْهَاءَ تَعُودُ إِلَى الثَّلَاثِينَ أَى وَأَقْرَبَ مِنْ نِصْفِ الثَّلَاثِينَ وَ مِنْ ثُلُثِ الثَّلَاثِينَ وَ إِذَا نَصَبْتَ فَالْمَعْنَى وَ تَقُومُ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ وَ يَقُومُ طَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَ اللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ أَى يَقْدِرُ أَوْقَاتَهُمَا لَتَعْلَمُوا مِنْهَا عَلَى مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ . عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ أَى تَطِيقُوا الْمَدَامَةَ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ وَيَقَعُ مِنْكُمْ التَّقْصِيرُ فِيهِ فَتَابَ عَلَيْكُمْ أَنْ جَعَلَهُ تَطَوُّعًا وَ لَمْ يَجْعَلْهُ فَرْضًا وَقِيلَ أَى فَخَفَّفَ عَلَيْكُمْ . فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ لِأَنَّ فِي

الصلاة عند أكثر المفسرين . وأجمعوا أيضا على أن المراد بالقيام المتقدم في قوله قَمِ اللَّيْلُ هو القيام إلى الصلاة إلا بأبمسلم فإنه قال أراد القيام لقراءة القرآن . عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرَضَى وَ ذَلِكَ يَقْتَضِي التَّخْفِيفَ عَنْكُمْ وَ آخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ أَى وَمِنْكُمْ قَوْمٌ آخَرُونَ يسافرون للتجارة وطلب الأرباح ومنكم قوم آخرون يقاتلون في سبيل الله فكل ذلك يقتضى التخفيف عنكم فأقروا ما تيسر منه . -قرآن- ٤٤-١٢٨-قرآن- ٥٧٦-٦١٣-قرآن- ٦٦٤-٦٨٦-قرآن- ٧٤٨-٧٦٢-قرآن- ٨١٩-٨٥٣-قرآن- ٩٥٠-٩٦١-قرآن- ١٠٣٥-١٠٦٧-قرآن- ١٠٩٦-١١٢٩-قرآن- ١٢٥٨-١٢٨٤ وروى عن الرضا عن أبيه عن جده ع قال فأقروا ما تيسر منهلکم فيه خشوع القلب وصفاء السر وأقيموا الصلاة لحدودها التى أوجبها الله عليكم -روایت- ١-٢-روایت- ٤٤-١٥٢ . [صفحہ ١٢٨]

فصل

وقوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون . قال الزهرى كانوا يعنى المتقين الذين وعدهم بالجنات قليلا ما يهجعون بالليل فى دار التكليف أى كان هجوعهم قليلا . فتكون مامصديقه و قال الحسن ماصلة وتقديره كانوا يهجعون هجوعا قليلا و قال قتاده كان هجوعهم قليلا . فى جنب يقظتهم للصلاة والعبادة . -قرآن- ١٦-٥٧-قرآن- ٧١-٧٦ و قال أبو عبد الله ع فى قوله وَ بِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ فى الوتر فى آخر الليل سبعين مرة -روایت- ١-٢-روایت- ٢٧-١٠٤ و قال فى قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون أى كانوا أقل الليالى يفوتهم لا يقومون فيها و كان القوم ينامون ولكن كلما انقلب أحدهم قال الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر -روایت- ١-٢-روایت- ٣-٢٠١ و قال ع فى قوله وَ أَقْوَمُ قِيْلًا قِيَامَ الرَّجُلِ عَنْ فِرَاشِهِ يَرِيدُ بِهِ اللَّهُ لَا يَرِيدُ بِهِ غَيْرُهُ -روایت- ١-٢-روایت- ٣-٩٤ . و قال مجاهد فى قوله وَ بِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ أى يصلون فى السحر . و عن الحسن يطلبون من الله المغفرة والحمل عليهما للعموم أحسن . -قرآن- ٢٤-٥٥ [صفحہ ١٢٩] والسحر الوقت قبل طلوع الفجر و هو من أفضل الأوقات قال تعالى الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ أى المصلين بها يسألون المغفرة فيها و قد تطلب المغفرة بالصلاة كما تطلب الدعاء . و قال عمران بن حصين فى قوله وَ الشَّفْعِ وَ الْوَتْرِ هى الصلاة فيها شفع ووتر . -قرآن- ٦٧-٩٣-قرآن- ٢٠٥-٢٢٥ و عن أبى عبد الله ع أن قوله تعالى وَ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ هى القيام آخر الليل لصلاة الليل والدعاء فى الأسحار -روایت- ١-٢-روایت- ٢٧-١٢٤ وسميت باقيات لأن منافعتها تبقى وتنفع أهلها فى الدنيا والآخرة بخلاف منافعه مقصور على الدنيا فقط وقيل هى قوله سبحان الله والحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر عقيب الصلوات و فى غيرها .

فصل

وقوله تعالى وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ . خاطب نبيه ع و من للتبعض والتهجد التيقظ بما ينفى الهجود و هو النوم كالتأثم والتخرج . قال المبرد التهجد عند أهل اللغة السهر للصلاة أول ذكر الله فإذا سهر -قرآن- ١٦-٥٩ [صفحہ ١٣٠] للصلاة قيل تهجد و إذا أراد النوم قيل هجد . والنافلة فعل ما فيه الفضيلة مما رغب الله فيه و لم يوجبه . و قوله نَافِلَةً لَكَ وَجْهٌ هَذَا الاختصاص هو أنه أتم الترغيب لما فى ذلك من الصلاح لأمتة فى الاقتداء به والدعاء إلى الاستئذان بسنته . وروى أنها فرضت عليه و لم تفرض على غيره فكانت فضيلة له ذكره ابن عباس و إليه أشار أبو عبد الله ع . والسنة مضافة إلى الله من حيث دلنا عليها و على تحريم الحرام منها وتحليل الحلال وتضاف إلى النبى ع من حيث سمعناها منه و كان هو المبتدئ بها . -قرآن- ١١٥-١٢٧

وقوله تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ مَعًا إِنْ آتَىٰهُ مَتَاوَلَهُ لِمَنْ يَاقُومُ إِلَىٰ صَلاةِ اللَّيْلِ عَن لَذَّةِ مَضْجَعِهِ فِي وَقْتِ السَّحْرِ وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ الْقَائِمِينَ بِاللَّيْلِ قَالَ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَاجِدًا يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سَمِيمًا هُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السَّجُودِ هُوَ مَا يَظْهَرُ فِي وُجُوهِهِمْ مِنَ السَّهْرِ بِاللَّيْلِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَثَرُ صَلَاتِهِمْ يَظْهَرُ فِي وُجُوهِهِمْ وَعَنْ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عَ خَلَوْا بِاللَّهِ فَكَسَاهُمْ نُورًا مِنْ نُورِهِ . -قرآن- ٩-٤٣-قرآن- ١٦٠-٢٦٩ [صفحة ١٣١] وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ قَالَ فِي وَقْتِ السَّحْرِ سَبْعِينَ مَرَّةً فَهُوَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ وَالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَقَالَ فِي قَوْلِهِ إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ إِنْ ذَلِكَ فِي النَّوَافِلِ يَدْعُونَ عَلَيْهَا وَفِي قَوْلِهِ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ فِي الْفَرَائِضِ وَالْوَجِيبَاتِ -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٣٠٥ وَقَوْلُهُ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ قَالَ أَبُو الْأَحْوَسِ مَعْنَاهُ حِينَ تَقُومُ مِنْ نَوْمِكَ . وَقِيلَ مَعْنَاهُ صَلَّ النَّوَافِلِ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ مِنْ نَوْمِ الْقَائِلَةِ قَبْلَ فَرِيضَةِ الظُّهْرِ مِنَ اللَّيْلِ حِينَ تَقُومُ مِنَ النَّوْمِ فَصَلَّ نَوَافِلَ اللَّيْلِ وَادْبَارَ النَّجْمِ مَرَّةً قَبْلَ الْفَرِيضِ وَادْبَارَ السَّجُودِ نَوَافِلَ الْمَغْرَبِ -قرآن- ٩-٩٠-قرآن- ٢١٥-٢٢٦-قرآن- ٢٧٢-٢٩١-قرآن- ٣١٥-٣٣٤

باب أحكام الجمعة

إشارة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ . مِنْ هَاهُنَا بِمَعْنَى فِي الدَّالَّةِ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ بِدَلِيلِ أَنَّ النِّدَاءَ لِلصَّلَاةِ الْمَشَارِ إِلَيْهَا فِي وَسْطِ الْجُمُعَةِ وَ لَوْ كَانَتْ مِنَ الَّتِي تَخْتَصُّ بِابْتِدَاءِ الْغَايَةِ لَكَانَ النِّدَاءُ فِي أَوَّلِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَهُوَ عَلَى إِضْمَارٍ مَصْدَرٌ مَحْذُوفٌ حَذَفَ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ وَمَعْنَاهُ إِذَا سَمِعْتُمْ أَذَانَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَامْضُوا إِلَى الصَّلَاةِ . -قرآن- ١٩-١١٧ [صفحة ١٣٢] قَالَ قَتَادَةُ امْضُوا إِلَى الصَّلَاةِ مَسْرِعِينَ غَيْرِ مُتَغَافِلِينَ وَقَالَ الزَّجَّاجُ الْمَعْنَى فَامْضُوا لِالسَّعْيِ الَّذِي هُوَ الْإِسْرَاعُ قَالَ وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَامْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ لَوْ عَلِمْتَ الْإِسْرَاعَ لِأَسْرَعْتَ حَتَّى يَقَعَ رَدَائِي مِنْ كَتْفِي قَالَ وَكَذَلِكَ كَانَ يَقْرَأُ قَالَ الْحَسَنُ وَاللَّهُ مَا أَمَرُوا إِلَّا بِأَنْ يَأْتُوا الصَّلَاةَ وَعَلَيْهِمُ الْوَقَارُ وَالسَّكِينَةُ وَقَالَ الزَّجَّاجُ أَيِ اقْصِدُوا وَالسَّعْيُ التَّصَرُّفُ فِي كُلِّ عَمَلٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى أَيِ بِمَا عَمِلَ وَمِنْهُ قَوْلُهُ لَتُنْجِزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى . -قرآن- ٣٦٧-٤٠٣-قرآن- ٤٢٩-٤٥٧ وَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ السَّعْيُ قِصِّ الشَّارِبِ وَنَتْفِ الْإِبْطِ وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ وَالغَسْلِ وَالتَّطْيِبِ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ وَلبَسِ أَفْضَلِ الثِّيَابِ وَالذِّكْرِ -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-١٢٦ . خَاطَبَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ إِذَا أَذِنَ لِصَلَاةِ الْجُمُعَةِ وَكَذَلِكَ إِذَا صَعِدَ الْإِمَامُ الْمَنْبِرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صِ سِوَاهُ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ أَيِ فَامْضُوا إِلَى الصَّلَاةِ مَسْرِعِينَ غَيْرِ مُتَغَافِلِينَ وَقِيلَ مَا هُوَ السَّعْيُ عَلَى الْأَقْدَامِ وَلَكِنْ بِالْقُلُوبِ وَالنِّيَّةِ وَالخُشُوعِ فَقَدْ نَهَى أَنْ يَأْتُوا الصَّلَاةَ إِلَّا وَعَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ . وَقَالَ السَّائِبُ بْنُ يَزِيدٍ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ مُؤَذِّنٌ وَاحِدٌ وَهُوَ بِلَالٌ فَكَانَ إِذَا جَلَسَ عَلَى الْمَنْبِرِ أَذِنَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَيَأْتِيهِ الْأَقْدَامُ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ كَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ كَذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي عَهْدِ عُمَانَ وَكَثُرَ النَّاسُ وَتَبَاعَدَتِ الْمَنَازِلُ زَادَ أَذَانًا فَأَمَرَ بِالتَّأْذِينِ الْأَوَّلِ عَلَى سَطْحِ دَارِهِ بِالسُّوقِ فَيَأْتِيهِ عُمَانُ عَلَى الْمَنْبِرِ أَذِنَ مُؤَذِّنُهُ فَيَأْتِيهِ الْأَقْدَامُ لِلصَّلَاةِ فَلَمْ يَكُنْ يَدْعُو بِذَلِكَ عَلَيْهِ . -قرآن- ١٣٧-١٦٢ [صفحة ١٣٣] وَ لَيْسَ هَذَا دَلِيلًا شَرْعِيًّا بَلْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صِ مِنْ أَحَدِثِ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ -رواية- ١-٢-رواية- ٢٦-٦٨

اعلم أن فرض الجمعة يلزم جميع المكلفين لعموم قوله فَاسْعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ لِصَاحِبِ الْعُذْرِ مِنْ سَفَرٍ أَوْ مَرَضٍ أَوْ عَمَى أَوْ عَرَجٍ أَوْ آفَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ . ويعتبر فيه أيضا الذكورة والحريّة. و عند اجتماع شروطه لا تجب إلا عند حضور سلطان عادل أو من نصبه . ويتكامل العدد عندنا ستة أو خمسة. والمراد بذكر الله الخطبة التي هي تتضمن ذكر الله والمواعظ وأقل ما يكون أربعة أصناف حمد الله والصلاة على محمد وآله والوعظ وقراءة سورة خفيفة من القرآن . وقيل المراد بالذكر في الآية الصلاة التي فيها ذكر الله . والنداء رفع الصوت حتى يصل إلى المقصود به و منه قولهم لا ينداك منى مكروه أى لا يصل منى إليك مكروه و لا يصيبك والمراد به هاهنا الأذان فالمخاطب لصلاة الجمعة من يحصل فيه شرائط عشرة الذكورة والبلوغ وكمال العقل والحريّة والصحة من المرض وارتفاع العمى وارتفاع العرج و أن لا يكون شيخا لا حراك به و أن لا يكون مسافرا و يكون بينه وبين الموضع الذى يصلى فيه الجمعة فرسخان فما دونه . فعلى هذا إذا صلى المريض الظهر فى بيته أربعا ثم سعى إلى الجمعة فصلاها مع الإمام كان فرضه أفضلهما وأزكاهما عند الله و إن لم يقطع بواحدة منهما على التعيين . قال الشيخ المفيد وبذلك نص عن أئمة الهدى ع قال ويؤيده -قرآن- ٥٦-٨١ [صفحة ١٣٤] أن الله تعالى قد دعاه إلى كل واحدة من الصلاة على التخيير و لم يحظر عليه الجمع بينهما إذ شاء فوجب أن يكون الفرض أحدهما على الإبهام فلم يتعين بحكم شرعى . و قال آخرون إذا لم يمكنه السعى إلى الجمعة و إن كان مقيما ففرضه أربع . ويكره السفر يوم الجمعة قبل الصلاة لأنه مانع من أفعال الخير و كل ما يمنع من الأفضل فى الأعمال مكروه .

وقوله تعالى وَ ذَرُوا الْبَيْعَ أى دعوا المبايعه فمعناه إذا دخل وقت الصلاة اتركوا البيع والشراء . قال الفراء إنما لم يذكر الشراء و هو مثله لأن المشتري والبائع يقع عليهما البيعان فإذا زالت الشمس من يوم الجمعة والحال هذه حرم البيع والشراء حتى تقضى الصلاة . قال الحسن كل بيع تفوت فيه الصلاة يوم الجمعة فإنه بيع حرام لا يجوز و هذا الذى يقتضيه ظاهر الآية و هو مذهبا . وتحريم البيع يدل على تحريم سائر ما يشغل عن التوفر على سماع الذكر وتدبره حتى الكلام لأن النهى يدل على فساد المنهى عنه . ذلكم خَيْرٌ لَكُمْ لِكُمْذِكُمْ يَعْنِي مَا أَمَرْتُمْ بِهِ مِنْ حُضُورِ الْجُمُعَةِ وَاسْتِمَاعِ الذِّكْرِ وَأَدَاءِ الْفَرِيضَةِ وَتَرْكِ الْبَيْعِ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَنْفَعُ عَاقِبَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ نَصَحَهُ مَا قَلْنَا وَتَعْلَمُونَ مَنَافِعَ الْأُمُورِ وَمُضَارَهَا وَمَصَالِحَ أَنْفُسِكُمْ وَمَفَاسِدَهَا أَى اعْلَمُوا ذَلِكَ . و فى الآية كما ذكرنا دلالة على وجوب الجمعة وتحريم جميع التصرفات عند سماع أذان الجمعة لأن البيع إنما خص بالنهى عنه لكونه من أعم التصرفات فى أسباب المعاش . -قرآن- ١٦-٣٢-قرآن- ٥١٢-٥٢٩-قرآن- ٦٣٩-٦٥٩ [صفحة ١٣٥] و فيها دلالة على أن الخطاب للأحرار لأن العبد لا يملك البيع و على اختصاص الجمعة بمكان ولذلك أوجب السعى إليه . فإن قيل هل يجوز أن يخطب رجل ويصلى آخر قلنا لا و ذلك أن السنة ثبتت بخلافه و لم يحفظ عن أحد من أئمة الإسلام أنه تفرد بالصلاة دون الخطبة فثبت أن فعل ما فى السؤال بدعة واستدل من فحوى الآية بعضهم على ذلك . والإمام إذا عقد صلاة الجمعة بتكبيره الإحرام ثم تفرق عنه الناس بعد دخولهم فيها معه تمم هور كعتين و لم يصل أربعا الظهر فإنه عقدها جمعة عقدا صحيحا فلم ينقض ماعقده فعل من غيره لم يتعد إلى صلاته بالفساد ويدل عليه قوله وَ تَرَكُوا قَائِمًا . -قرآن- ٥٦٥-٥٨٤

وقوله تعالى فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ أَي إِذْ صَلَيْتُمْ الْجُمُعَةَ وَفَرغْتُمْ عَنْهَا تَفَرَّقُوا فِي الْأَرْضِ وَاطْلُبُوا الرِّزْقَ فِي الشَّرَاءِ وَالْبَيْعِ وَهَذَا إِبَاحَةٌ وَرِخْصَةٌ وَ لَيْسَ بِأَمْرٍ بَلْ رَفَعَ الْحُظْرَ الَّذِي أَوْقَعَهُ بِقَوْلِهِ وَ ذَرُّوا الْبَيْعَ . وَ قَدْ أَطْبَقُوا عَلَى أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ الْوَارِدَ بَعْدَ الْحُظْرِ يَقْتَضِي الْإِبَاحَةَ وَالصَّحِيحَ أَنَّ حُكْمَ لَفْظِ الْأَمْرِ الْوَاقِعِ بَعْدَ الْحُظْرِ هُوَ حُكْمُ أَمْرِ الْمُبْتَدِئِ عَلَى الْوَجُوبِ أَوِ الْوَقْفِ عَلَى الْحَالِيْنَ فَهُوَ كَذَلِكَ بَعْدَ الْحُظْرِ وَ هَذَا قَوِيٌّ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى وَجُوبِ هَذِهِ الصَّلَاةِ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ لِأَنَّهَا لَوْ لَمْ تَجِبْ لَكَانَ الْإِنْتِشَارُ مَبَاحًا قَبْلَ إِتْمَامِهَا وَيَدْخُلُ فِي الْإِنْتِشَارِ سَائِرُ التَّصَرُّفِ خُصُوصًا مَعَ ذِكْرِ ابْتِغَاءِ الْفَضْلِ . وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ أَيِ اطْلُبُوا مِنْ فَضْلِهِ بِعَمَلِ الطَّاعَةِ - قُرْآن - ١٦ - ٦٤ - قُرْآن - ٢١٢ - ٢٢٨ - قُرْآن - ٦٠٠ - ٦٢٧ [صَفْحَةُ ١٣٦] وَالِدَعَاءُ لَهُ تَعَالَى وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ وَحُضُورُ الْجَنَائِزِ وَزِيَارَةُ الْإِخْوَانِ فِي اللَّهِ وَادْكُرُوا إِحْسَانَهُ لَتَفْلِحُوا وَقِيلَ هَذَا أَمْرٌ بِزِيَادَةِ التَّعْقِيبِ الَّذِي يَسْتَحِبُّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْعُمُومُ يَتَنَاوَلُ جَمِيعَ ذَلِكَ . وَالْإِمَامُ إِذَا قَرَّبَ مِنَ الزَّوَالِ يَنْبَغِي أَنْ يَصْعَدَ الْمَنْبِرَ وَيَأْخُذَ فِي الْخُطْبَةِ بِمَقْدَارِ مَا إِذَا خُطِبَ الْخُطْبَتَيْنِ زَالَتِ الشَّمْسُ فَإِذَا زَالَتْ نَزَلَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ وَفَحْوَى الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَيْهِ . وَيَفْضَلُ بَيْنَ الْخُطْبَتَيْنِ بِجَلْسَةٍ كَلَا وَ لَا وَ هَذَا التَّفْصِيلُ يَعْلَمُ بِعَمَلِ رَسُولِ اللَّهِ وَقَوْلِهِ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى الْجُمْلَةِ قَالَ تَعَالَى مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ . وَ هَذَا الْفَصْلُ بَيْنَهُمَا سَنَةٌ عِنْدَنَا وَقَالَ الشَّافِعِيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ هُوَ وَاجِبٌ . وَيَحْرَمُ الْكَلَامُ عَلَى مَنْ حَضَرَ وَيَجِبُ عَلَيْهِ الْإِصْغَاءُ إِلَى الْخُطْبَتَيْنِ لِأَنَّهُمَا بَدَلٌ مِنَ الرَّكَعَتَيْنِ . وَ لَا يَذْكَرُ فِيهِمَا إِلَّا الْحَقَّ وَ إِلَّا فَالْجُمُعَةَ لَهُ . وَ مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَالْإِمَامُ يَخُطُبُ فَلَا يَتَطَوَّعُ لِأَنَّ ذَلِكَ شَاغِلٌ لَهُ عَنْ سَمَاعِ الْخُطْبَةِ وَاسْتِمَاعِهَا أَفْضَلُ مِنَ التَّطَوُّعِ بِالصَّلَاةِ إِذْ هُوَ بَدَلٌ مِنْ رَكَعَتِي فَرَضِ الظُّهْرِ فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ عَلَى مَارُوِي . وَ مَنْ وَجَدَ الْإِمَامَ قَدْ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الثَّانِيَةِ فَقَدْ فَاتَتْهُ الْجُمُعَةُ وَعَلَيْهِ الظُّهْرُ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ . وَ مَنْ أَدْرَكَ مَعَ الْإِمَامِ رَكَعَةً فَإِذَا سَلَّمَ الْإِمَامُ قَامَ فَأَضَافَ إِلَيْهَا رَكَعَةً أُخْرَى يَجْهَرُ فِيهَا وَ قَدْ تَمَّ جَمْعُهُ . - قُرْآن - ٤٥٧ - ٤٨٦

وَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع فِي قَوْلِهِ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي - رَوَايَاتُ ١ - ٢ - رَوَايَاتُ ٢٧ - إِدَامَةُ دَارِدٍ [صَفْحَةُ ١٣٧] الْأَرْضِ قَالَ الصَّلَاةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِنْتِشَارُ يَوْمَ السَّبْتِ - رَوَايَاتُ ١ - ٢ - رَوَايَاتُ ١٤ - ٦٧ وَقَالَ الصَّادِقُ ع إِنِّي لِأُرْكَبُ فِي الْحَاجَةِ الَّتِي كَفَاهَا اللَّهُ مَا أُرْكَبُ فِيهَا إِلَّا التَّمَّاسَ أَنَّ يَرَانِي اللَّهُ أَضْحَى فِي طَلَبِ الْحَلَالِ أَمَا تَسْمَعُ قَوْلَ اللَّهِ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ - رَوَايَاتُ ١ - ٢ - رَوَايَاتُ ٢٠ - ٢٢٠ وَقَالَ النَّبِيُّ ص مِنْ اغْتَسَلَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَأَحْسَنَ غَسْلَهُ وَ لَبَسَ صَالِحَ ثِيَابِهِ وَ مَسَّ مِنْ طَيِّبِ بَيْتِهِ ثُمَّ لَمْ يَفْرُقْ بَيْنَ اثْنَيْنِ غَفَرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى وَ زِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ بَعْدَهَا - رَوَايَاتُ ١ - ٢ - رَوَايَاتُ ٢٠ - ١٨٣ . وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالذِّكْرِ هَاهُنَا الْفِكْرَ وَقِيلَ اذْكُرُوا اللَّهَ فِي تِجَارَتِكُمْ وَأَسْوَاقِكُمْ . وَ لَا يَجُوزُ الْخُطْبَةُ إِلَّا قَائِمًا قَالَ تَعَالَى وَ تَرَكُّوكَ قَائِمًا فَإِنْ خُطِبَ لِعُذْرٍ جَالَسًا جَازَ لِقَوْلِهِ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ . وَيَجُوزُ رَدُّ السَّلَامِ وَ تَسْمِيَةُ الْعَاطِسِ وَالْإِمَامُ يَخُطُبُ إِذْ لَمْ يَحْظُرْ ذَلِكَ كِتَابًا وَ لِأَسْنَةٍ . - قُرْآن - ١١٣ - ١٣٢ - قُرْآن - ١٦٤ - ٢٠٤

ثم أخبر الله عن جماعة قابلوا الكرم باللؤم فقال وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا. سبب نزوله -قرآن- ٥٢-١٠٢ ماروى أنه أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية الكلبي بكل ما يحتاج إليه من دقيق وبر وغيرهما والنبى ع على المنبر -روایت- ١-٢-روایت- ١٠-١٠-ادامه دارد [صفحه ١٣٨] يخطب وذاك قبل أن أسلم دحية وجعل يضرب بطبل ليعلم بقدمه فلما رآه قاموا إلى البيع خشية أن يسبقوا إليه فلم يبق غير اثني عشر رجلا وانفض الآخرون فقال ع لوتبايعتم حتى لا يبقى منكم أحد لسأل بكم الوادى نارا و لو لاهؤلاء لسومت لهم الحجارة من السماء فأنزل الله الآية -روایت- از قبل- ٢٨٧. وروى أنهم استقبلوه باللهو أى تفرقوا عنك خارجين إليها ومالوا ونحوها ورأوا تجارة أى عاينوها وقيل علموا بيعا وشراء لهواً و هو الطبل وقيل المزامير والضمير للتجارة وخصت بالذكر إليها دون اللهو لأمرين أحدهما أن التجارة كانت أهم إليهم وهم بها أسر من الطبل الثانى أنهم انصرفوا إلى التجارة واللهو كان معهم فأى حاجة بالضمير إليه . -قرآن- ٧٦-٩٠-قرآن- ١٢٥-١٣٠

فصل

وقوله وَ تَرَكُوا قَائِمًا عن أبى عبد الله ع انصرفوا إليها وتركوك قائما تخطب على المنبر -روایت- ١-٢-روایت- ٣-٩٨ وسئل ابن مسعود أ كان النبى يخطب قائما فقال أ ماتقرأؤ تَرَكُوا قَائِمًا. وقال جابر بن سمره مارأيت رسول الله خطب إلا و هو قائم فمن حدثك أنه خطب و هو جالس فكذبه . وأول من استراح على المنبر هو عثمان كان يخطب قائما فإذا أعيأ جلس وأول من خطب جالسا معاوية. -قرآن- ٥٧-٧٦ [صفحه ١٣٩] وروى فى قوله وَ تَرَكُوا قَائِمًا أى قائما فى الصلاة -روایت- ١-٢-روایت- ٣-٥٩. ثم قال قل يا محمد لهم ما عند الله من الثواب على سماع الخطبة أحمد عاقبة من ذلك والله يرزقكم وإن لم تتركوا الخطبة والجمعة. و فى بعض القراءة حافظوا عَلَى الصَّلَاةِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَهِيَ صَلَاةُ الْعَصْرِ وَ قَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ فى الصلاة الوسطى. قالوا نزلت هذه الآية يوم الجمعة و رسول الله فى سفر فقت فيها وتركها على حالها فى السفر والحضر. وقوله إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا أى مفروضا إنها خمس بخمسين حصل التخفيف مع أجر خمسين صلاة لقوله مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا -قرآن- ١٥١-١٩٥-قرآن- ٢١٢-٢٣٨-قرآن- ٣٦٤-٤١٩-قرآن- ٤٨٨-٥٣١

باب الجماعة وأحكامها

إشارة

قال الله تعالى وَ ارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ. وهذا أمر منه تعالى للمكلفين بصلاة الجماعة لأنه تعالى قال قبله وَ أَقِيمُوا -قرآن- ١٩-٤٧-قرآن- ١١٦-١٢٧ قال الله تعالى وَ ارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ. وهذا أمر منه تعالى للمكلفين بصلاة الجماعة لأنه تعالى قال قبله وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ أمر بهذه اللفظة بواجباتها ونوافلها والتكرار فى الكلام لغير فائدة غير مستحسن فيجب أن يكون قوله وَ ارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ دالا على صلاة الجماعة سواء كانت الجماعة واجبة أو مندوبا إليها فالأمر يكون بالواجب مطلقا والندب مقيدا فى الشرع وقوله تعالى مَعَ الرَّاكِعِينَ دليل صريح لذلك . والجماعة على أربعة أضرب واجب ومستحب ومكروه ومحذور. فالواجب لا يكون إلا فى الجمعة والعيدين إذا اجتمعت شرائطها على ما ذكرناه والمستحب هو الجماعة فى الصلوات الخمس والمكروه صلاة الحاضر خلف المسافر فيما يقصر فى السفر والمحذور هو الصلاة خلف الفاسق والفاجر. و قدرغب الله فى الجماعة وحث عليها

بِالآيَةِ الَّتِي تَلَوْنَاهَا وَبِقَوْلِهِ حَافِظُوا عَلَيَّ الصَّلَاةِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى كُنَايَةً عَنِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ لِأَنَّهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَكَذَلِكَ خَصَّهَا اللَّهُ بِالذِّكْرِ . وَأَقْلَمَاتُ مَا تَكُونُ الْجَمَاعَةُ اثْنَانِ فَصَاعِدًا وَيَتَقَدَّمُ لِلْإِمَامَةِ أَقْرَاهُمْ ثُمَّ أَفْقَهُهُمْ . وَلا تَتَعَدَّدُ الْجَمَاعَةُ إِلَّا بِالْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ . -قرآن- ١-٢٧-قرآن- ١٢٧-١٥٥-قرآن- ٢٨٩-٣٠٥-قرآن- ٦٥٣-٦٩٧

فصل

وقوله تعالى وَ لَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَ لَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ -قرآن- ١٦-٨٩ كان النبي ص يقول إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول و في روايه على الصف المقدم -روايه- ١-٢-روايه- ٢٤-٩٨ فازدحم الناس وكانت دور بنى عذرة بعيدة عن المسجد فقالوا نبيع دورنا ولنشترين دورا قريبا من المسجد حتى ندرك الصف المقدم فنزلت الآية رواه الربيع بن أنس . [صفحه ١٤١] ومعنى الآية إنا نجازى الناس على نياتهم . و قال ابن عباس أى علمنا المستقدمين إلى الصف الأول فى الصلاة والمستأخرين عنه فإنه كان يتقدم بعضهم إلى الصف الأول ليدركوا فضيلته و كان يتأخر بعضهم لينظر إلى أعجاز النساء فنزل وَ لَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَ لَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ -روايه- ١-٢-روايه- ٢٠-٢٦٥ وروى أن النبي ص حث الناس على الصف الأول فى الصلاة فقال خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها فازدحموا فنزلت الآية -روايه- ١-٢-روايه- ٩-١٦٠

فصل

والمؤمنون يجب عليهم أن يستمعوا قراءة الإمام إذا جهر و أن لا يقرءوا والدليل عليه قوله وَ إِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا . والمفسرون اختلفوا فى الوقت الذى أمروا بالإنصات والاستماع فقال قوم أمروا حال كون المصلى فى الصلاة خلف الإمام الذى يؤتم به وهم يستمعون قراءة الإمام فعليهم أن ينصتوا و لا يقرءوا ويستمعون لقراءته فإذا كانوا على بعد من الإمام بحيث لا يسمعون صوته و إن كانت الصلاة مما يجهر فيها فلا بأس إذا أن يقرءوا . و من المفسرين من قال أمروا بالإنصات لأنهم كانوا يتكلمون فى الصلاة و إذادخل داخل وهم فى الصلاة قال لهم كم صليتم فيخبرونه و كان مباحا فنسخه الله . و قال قوم هو أمر بالإنصات للإمام فى خطبته -قرآن- ٩٢-١٤٦ [صفحه ١٤٢] وقيل هو أمر بذلك فى الصلاة والخطبة . وأقوى الأقوال الأول الذى استدللنا به لأنه لا حال يجب فيها الإنصات لقراءة القرآن إلا حال قراءة الإمام فى الصلاة فإن على المأموم الإنصات والاستماع له على ما قدمناه فأما خارج الصلاة فلا خلاف أنه لا يجب الإنصات والاستماع و ماروى عن أبى عبد الله ع أنه فى حال الصلاة وغيرها فهو على وجه الاستحباب . و قال أبو حنيفة لا يصلى صلاة الخسوف جماعة و كل ما يدل من القرآن والسنة على جواز الجماعة فى كل فريضة فهو عام على أن العامة قدرت أيضا عن النبي ص أنه صلاها جماعة ورووا أنه صلاها فرادى فوافقت رواياتهم رواياتنا . مع أن الشيخ المفيد ذكر فى كتابه مسائل الخلاف أنه إن انكسف القرص بأسره فى الشمس أو القمر صليت صلاة الكسوف جماعة و إن انكسف بعضه صليت فرادى

باب الصلاة فى السفر

اعلم أن السفر الذي يجب فيه التقصير في الصلاة ثمانية فرائخ فما فوقها إذا كان مباحاً أو طاعةً. والحجة مع الإجماع المكرر هو أن الله علق سقوط فرض الصيام عن المسافر بكونه مسافراً في قوله فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ و لاخلاف بين الأمة أن كل سفر أسقط فرض الصيام و رخص في الإفطار -قرآن- ١٨٩-٢٥٨ [صفحة ١٤٣] فهو بعينه موجب لقصر الصلاة و إذا كان الله قد علق ذلك في الآية باسم السفر فلاشبهة في أن اسم السفر يتناول المسافة التي حددنا السفر بها فيجب أن يكون الحكم تابعاً لها. و لا يلزم على ذلك أدنى ما يقع عليه الاسم من فرسخ أو ميل لأن الظاهر يقتضى ذلك لو تركنا معه لكن الدليل والإجماع أسقطا اعتبار ذلك و لم يسقطاه فيما اعتبرناه من المسافة و هو داخل تحت الاسم . و ذكر الفضل بن شاذان النيسابورى أنه سمع الرضاع يقول إنما وجب التقصير في ثمانية فرائخ لأنها مسيرة يوم و لو لم يجب في مسيرة يوم لما وجب في مسيرة ألف سنة و ذلك أن كل يوم بعد هذا اليوم منها نظير هذا اليوم فلو لم يجب في هذا اليوم لما وجب في نظيره -رواية- ١-٢-رواية- ٦١-٢٦٤

فصل

فإن قيل القرآن يمنع مما ذكرتم من وجوب التقصير لأنه تعالى قال وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ وَرَفَعَ الْجُنَاحَ يَدُلُّ عَلَى الْإِبَاحَةِ لَا عَلَى الْوَجُوبِ. قلنا هذه الآية غير متناولة لقصر الصلاة في عدد الركعات وإنما المستفاد منها التقصير في الأفعال من الإيماء وغيره لأنه تعالى علق القصر بالخوف و لاخلاف في أنه ليس الخوف من شرط القصر في عدد ركعات الصلاة وإنما الخوف شرط في الوجه الآخر و هو التقصير في الأفعال من الإيماء وغيره في الصلاة لأن صلاة الخوف قد أبيض فيها ما ليس مباحاً مع الأمن . -قرآن- ٧٠-١٦٠ [صفحة ١٤٤] و قال أبو جعفر الطوسي من تم في السفر و قد تليت عليه آية التقصير و علم وجوبه و جب عليه إعادة الصلاة فإن لم يكن علم ذلك فليس عليه شيء و لم يفصل المرتضى في إعادة بين الحالتين و كأنه للاحتياط. و من تم في السفر الصلاة متعمداً يجب عليه إعادة مع التقصير على كل حال و إن كان أتم ناسياً أعاد مادام في الوقت و لا إعادة عليه بعد خروج الوقت و الحجة في ذلك زائداً على الإجماع المتردد أن فرض السفر ركعتان فيما كان أربعاً في الحضر و ليس ذلك رخصة و إذا كان الفرض كذلك فمن لم يأت على ما فرض و جب عليه إعادة.

فصل

و قوله تعالى وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ. قال قوم كان ابن عمر يصلى حيث توجهت به راحلته في السفر تطوعاً و يذكر أن رسول الله ص كان يفعل ذلك و يتأول عليه هذه الآية. فالمصلى نافله على الراحلة و من يصلى صلاة شدة الخوف و من كان في السفينة ثم دارت يستقبل كل واحد من هؤلاء الثلاثة قبلته بتكبيره الإحرام ثم يصلى كيف شاء و الآية تدل على جميع ذلك . و قيل نزلت في قوم صلوا في ظلمة و قد خفيت عليهم جهة القبلة فلما أصبحوا إذا هم صلوا يمين القبلة أو يسارها فأنزل الله الآية. و قيل المراد بقوله فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ أَي فَتَمَّ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَا يُقَالُ هَذَا -قرآن- ١٦-٤٧-قرآن- ٥١٣-٥٣١ [صفحة ١٤٥] وجه الصواب و قيل المراد به فتم جهة القبلة و هى الكعبة لأنه يمكن التوجه إليها من كل مكان . و عن ابن عباس أنه رد على اليهود لما أنكروا تحويل القبلة إلى

الكعبة فقال ليس هو في جهة دون جهة كما يقول المشبهه -رواية 1-2-رواية 19-20. وقال الزجاج في قوله إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ يدل على التوسعة للناس فيما رخص لهم في الشريعة. -قرآن 26-51

فصل

و إذانوى الإنسان السفر لايجوز أن يقصر حتى يغيب عنه البنيان ويخفى عنه أذان مصره أو جدران بلده والدليل عليه من القرآن قوله وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ. و من نوى السفر و لم يفارق موضعه فلايجوز له القصر و إذافارق بنيان بلده يجوز له التقصير. و لايجوز أن يقصر مادام بين بنيان البلد سواء كانت عامرة أو خرابا فإن اتصل بالبلد بساتين فإذا حصل بحيث لا يسمع أذان المصر قصر فإن كان دونه تم. و من خرج من البلد إلى موضع بالقرب مسافة فرسخ أو فرسخين نيته أن ينتظر الرفقة هناك والمقام عشرين فصاعدا فإذا تكاملوا ساروا سفرا فيه يجب عليهم التقصير ولايجوز أن يقصر إلا بعدالمسير من الموضع الذي يجتمعون فيه لأنه مانوى بالخروج إلى هذاالموضع سفرا يجب فيه التقصير. -قرآن 134-133 [صفحہ 146] و إن لم ينو المقام عشرة أيام هناك وإنما خرج نيته سفر بعيد إلا أنه ينتظر قوما يتصلون به هناك اليوم أو غدا فالظاهر أنه يقصر. وحكى قتادة عن أبي العالیه أن قصر الصلاة في حال الأمن بنص القرآن قوله لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ هذا إذا كان التقصير يراد بها في السفر كما يراد في الشعر بعدالإحرام . -قرآن- 208-312 و من شجون الحديث أن ابن عباس قال اتخذت النصارى المشرق قبله لقوله وَ اذْكَرَ فِي الْكِتَابِ مَرِيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فاتخذوا ميلاد عيسى قبله كما سجدت اليهود على حرف وجوههم لقوله وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ فسجدوا وجعلوا ينظرون إلى الجبل فوقهم بحرف وجوههم مخافة أن يقع عليهم فاتخذوها سنة -رواية 1-2-رواية 41-

٣٥٠

باب صلاة الخوف

اشاره

قال تعالى وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا. اعلم أن صلاة الخوف على ضربين أحدهما صلاة شدة الخوف و هو إذا كان في المسلمين قلة لا يمكنهم أن يفترقوا فرقتين فعند ذلك يصلون فرادى إيماء و يكون سجودهم على قربوس سرجهم فإن لم يتمكنوا من ذلك ركعوا وسجدوا بالإيماء و يكون سجودهم - قرآن 13-137 [صفحہ 147] أخفض من ركوعهم فإن زاد الأمر على ذلك أجزأهم عن كل ركعة أن يقولوا سبحان الله والحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر والقصر في الآية التي تلونها الآن هو هذا التفصيل . والضرب الثاني هو إذا لم يبلغ الخوف إلى ذلك الحد وأرادوا أن يصلوا فرادى صلى كل واحد منهم صلاة تامه الركوع والسجود ويبطل حكم القصر إلا في السفر مع الانفراد ذكره الشيخ أبو جعفر في بعض كتبه . فإن أرادوا أن يصلوا جماعة نظروا فإن كان في المسلمين كثرة والعدو في جهة القبلة صلوا كما صلى النبي ص يوم بنى سليم فإنه قام والمشركون أمامه يعنى قدامه فصف خلف رسول الله صف و بعد ذلك الصف صف آخر فركع رسول الله وركع الصفان ثم سجد وسجد الصف الذين يلونه و كان الآخرون يحرسونهم فلما فرغ

الأولون مع النبي من السجدين وقاموا سجد الآخرون فلما فرغوا من السجدين وقاموا تأخر الصف الذين يلونه إلى مقام الآخرين وتقدم الصف الأخير إلى مقام الصف الأول ثم ركع رسول الله وركعوا جميعا في حالة واحدة ثم سجد وسجد معه الصف الذي يليه وقام الآخرون يحرسونهم فلما جلس رسول الله والصف الذي يليه سجد الآخرون ثم جلسوا وتشهدوا جميعا فسلم بهم أجمعين . و إن كان العدو في خلاف جهة القبلة يصلون كما وصفه الله في كتابه حيث قال وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ وهى مشروحة في كل كتاب . و إذا كان في المسلمين كثرة يمكنهم أن يفترقوا فرقتين و كل فرقة يقاوم العدو -قرآن- ١١٤١-١١٨٦ [صفحة ١٤٨] جاز أن يصلى بالفرقة الأولى الركعتين ويسلم بهم ثم يصلى بالطائفة الأخرى الركعتين أيضا و يكون نفلا له وهى فرض للطائفة الثانية ويسلم بهم وهكذا صلى ع بذات النخل . و هذا يدل على جواز صلاة المفترض خلف المتفل و على عكسه . وصلاة الخوف مقصورة على وجهين سفرا وحضرا على ماتقدم .

فصل

وقوله تعالى وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ معناه و إذا كنت في الضاربين في الأرض من أصحابك يا محمد أى المسافرين الخائفين عدوهم أن يفتنوهم فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ يعنى أتممت لهم الصلاة بحدودها وركوعها وسجودها و لم تقصرها القصر الذى يجب فى صلاة شدة الخوف من الاقتصار على الإيماء فليقم طائفة من أصحابك الذين أنت فيهم معك فى صلاتك وليكن سائرهم فى وجه العدو. و لم يذكر ماينبغى أن يفعله الطائفة غير المصلية من حمل السلاح وحراسة المصلين لدلالة الكلام والحال عليه لأنها لا بد أن يكونوا آخذين السلاح . ثم قال وَ لِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ قال قوم الفرقة المأمورة فى الظاهر هى المصلية مع رسول الله والسلاح مثل السيف يتقلد به والخنجر يشده إلى درعه وكذا السكين ونحوه وهو الصحيح . قال ابن عباس الطائفة المأمورة بأخذ السلاح هى التى يازاء العدو دون المصلية فإذا سجدوا يعنى الطائفة التى قامت معك مصلية بصلاتك وفرغت من سجودها فليكونوا من ورائكم يعنى فليصبروا بعد فراغهم من سجودهم مضافين -قرآن- ١٦-٦١-قرآن- ١٦٤-١٨٨-قرآن- ٥٤٨-٥٧٣ [صفحة ١٤٩] للعدو. وعندنا أنهم يحتاجون أن يتموا صلاتهم ركعتين والإمام قائم فى الثانية ويطيل القراءة وينوون هم الانفراد بها وقرءوا وركعوا وسجدوا وتشهدوا فإذا سلموا انصرفوا إلى موضع أصحابهم ويحيى الآخرون فيستفتحون الصلاة فيصلى بهم الإمام الركعة الثانية له ويطيل التشهد حتى يقوموا فيصلوا بقیة صلاتهم ثم سلم بهم الإمام .

فصل

و فى كتاب المولد والمبعث لأبى محمد أحمد بن أعثم الكوفى أن النبى ع صلى العصر كذلك فى غزوة ذات الرقاع إذ حارب بنى سعد و كان صلى رسول الله الظهر أربعاً قبل أن تنزل الآية قال وهم المشركون أن يحملوا على المسلمين وهم فى صلاة العصر وأراد النبى ع أن يصلى العصر بأصحابه فنزلت الآية وأسلم بعض الكفار بسبب ذلك ثم قال ابن أعثم فيجب على أهل الإسلام الآن إذا صلوا صلاة الخوف من عدو ثم فصل التفصيل الذى ذكره أبو مسلم بن مهريز الأصفهاني فى تفسيره أيضا قال إن النبى ع قام فصلى وقامت طائفة خلفه من المؤمنين وطائفة وجاه العدو فصلى بالطائفة التى خلفه ركعة وقامت الطائفة بركعة أخرى وسلمت و هو ع واقف يقرأ ثم انصرفت فقامت تجاه الكفار وأتت الطائفة التى كانت تلتقاء العدو فصلى النبى بهم ركعة هى له ثانية ولهذه الطائفة الركعة الأولى وجلس حتى قاموا فصلوا ركعة ثانية وحدهم و هو قاعد يتشهد ويدعو لم يسلم

حتى انتهت الطائفة الثانية إلى التسليم فسلم وسلموا معه بتسليمه . و هو اختيار الشافعي ومالك و هذه بعينها مذهبا أمر بها أئمة أهل البيت عن رسول الله عن الله تعالى . [صفحہ ۱۵۰]

فصل

و من قال إن صلاة الخائف ركعة قال الأولون إذا صلوا ركعة فقد فرغوا و هذا عندنا إنما يجوز في صلاة شدة الخوف على بعض الوجوه . و في الناس من قال كان النبي صلى الله عليه وسلم ركعة فلما قام خرجوا من الجماعة و تمموا صلاتهم فعلى هذا صلاة الخائف ركعة في الجماعة و ركعة على الانفراد لكل واحدة من الفرقتين . و قوله و لِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَ أَسْلِحَتْهُمْ يَجُوزُ أَنْ يَرْجِعَ الضَّمِيرُ إِلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْفِرْقَتَيْنِ أَيْ يَأْخُذُونَ السَّلَاحَ وَالْحِذْرَ فِي حَالِ الصَّلَاةِ . و قوله وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَ أَمْتَعْتِكُمْ مَعْنَاهُ تَمْنَى الْكَافِرِينَ لَوْ تَعْتَرِضُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَ أَمْتَعْتِكُمْ التِي بِهَا بَلَغْتُمْ فِي أَسْفَارِكُمْ فَتَسْهَوْنَ عَنْهَا فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ أَيْ يَحْمِلُونَ عَلَيْكُمْ حَمْلَهُ وَ أَنْتُمْ مَتَشَاغِلُونَ بِصَلَاتِكُمْ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَ أَمْتَاعِكُمْ فَيَصِيبُونَ مِنْكُمْ غَرَةً فَيَقْتُلُونَكُمْ وَيَسْتَبِيحُونَ عَسْكَرَكُمْ وَ مَامِعَكُمْ . و المعنى لا تشاغلوا بأجمعكم بالصلاة عند واقفة العدو فتمكنون عدوكم من أنفسكم و أسلحتكم ولكن أقيموا على ما بينت وخذوا حذركم بأخذ السلاح . و من عادة العرب أن يقولوا ملنا عليهم أي حملنا عليهم - قرآن - ۳۱۰-۳۴۷- قرآن - ۴۵۱-۵۲۰- قرآن - ۶۱۸-۶۳۸- و قال العباس بن عباد بن نضلة الأنصاري لرسول الله ليلة العقبة الثانية و الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن غدا على أهل منى بأسيفنا فقال ع لم تؤمر بذلك - رواية - ۱-۲- رواية - ۳-۱۶۳- يعني في ذلك الوقت . [صفحہ ۱۵۱]

فصل

ثم قال تعالى وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَ خُذُوا حِذْرَكُمْ مَعْنَاهُ لَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ وَ لَا إِثْمَ إِنْ نَالَكُمْ مَطَرٌ وَأَنْتُمْ مَوَاقِفُو عَدُوِّكُمْ أَوْ كُنْتُمْ جَرَحَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ إِذَا ضَعَفْتُمْ عَنْ حَمْلِهَا لَكِنْ إِذَا وَضَعْتُمُوهَا فَخُذُوا حِذْرَكُمْ أَيْ احْتَرِزُوا مِنْهُمْ أَنْ يَمِيلُوا عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ غَافِلُونَ . و قال طائفة أخرى و لم يقل طائفة آخرون ثم قال لَمْ يُصَيَّلُوا فَلْيَصَلُّوا حَمَلًا لِلْكَلامِ مَرَّةً عَلَى اللفظ و مرة على المعنى كقوله وَ إِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا وَمِثْلُهُ فَرِيقًا هَدَى وَ فَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ . و الآية تدل على نبوته ع فالآية نزلت و النبي بعسفان و المشركون بضجنان هموا أن يغيروا عليهم فصلى بهم العصر صلاة الخوف . و قال قوم اختص النبي بهذه الصلاة و الصحيح أنه يجوز لغيره . و قال قوم في قوله فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا يَعْنى فِي عِدْدِهَا فَيَصَلُّوا الرَّبَاعِيَّاتِ رَكَعَتَيْنِ وَظَاهِرُهَا يَقْتَضِي أَنْ التَّقْصِيرُ لَا يَجُوزُ إِلَّا إِذَا خَافَ الْمَسَافِرُ لِأَنَّهُ قَالَ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ وَ لَا خِلَافَ الْيَوْمِ أَنْ الْخَوْفَ لَيْسَ بِشَرَطٍ فِيهِ لِأَنَّ - قرآن - ۱۷-۱۳۱- قرآن - ۳۳۴-۳۴۷- قرآن - ۳۸۰-۴۰۳- قرآن - ۴۵۴- ۵۲۱- قرآن - ۵۲۹-۵۷۹- قرآن - ۷۸۹-۸۲۵- قرآن - ۹۳۰-۹۵۵- [صفحہ ۱۵۲] السفر المخصوص بانفراده سبب التقصير . و الصحيح أن فرض السفر مخالف لفرض المقيم و ليس ذلك قصرا لقوله ع فرض المسافر ركعتان غير قصر - رواية - ۱-۲- رواية - ۱۲-۴۰- و أما الخوف بانفراده فإنه يوجب القصر . و معنى قوله فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا أَي مِنْ حُدُودِ الصَّلَاةِ فِي صَلَاةِ شَدَّةِ الْخَوْفِ . - قرآن - ۵۵-۹۱- و روى أن يعلى بن منبه قال لعمر كيف تقصر الصلاة في السفر و قدأنا فقال عجب مما عجب منه فسألت النبي ص عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته - رواية - ۱-۲- رواية - ۹-۱۷۰ . و لا يقرأ أبي في الآية إن

يشتغل بشيء من أمور الدنيا في المساجد. ثم رغب الله بقوله وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ مِمَّا يَسْتَحِبُّ مِنَ الْأَدْعِيَةِ عِنْدَ دُخُولِ الْمَسَاجِدِ الْمَرْبُوبَةِ فَإِنَّهُ أَمَرَ مِنْهُ تَعَالَى وَتَرْتِيبًا بِهَذَا الدُّعَاءِ وَبِغَيْرِهِ إِذَا دَخَلَ مَسْجِدًا أَوْ غَيْرَهُ وَ إِذَا خَرَجَ . ولذلك رغب في المشى إلى المساجد للصلاة فيها والعبادات بقوله تعالى -قرآن- ١٩-٧٦-قرآن-٤٥٧-٥٢٠ [صفحہ ١٥٥] وَ نَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَ آثَارَهُمْ قَالَ مُجَاهِدٌ إِنَّا نَأْمُرُ مَلَائِكَتَنَا لِيشْتَبُوا جَمِيعَ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ حَتَّى يَمْسُكُوا بِهَا الْمَسَاجِدَ فَإِنَّ بَنِي سُلَيْمَةَ مِنَ الْأَنْصَارِ شَكُّوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَنَازِلِهِمْ فَنَزَلَتْ الْآيَةُ . وَ آثَارُهُمْ أَي خَطَاهُمْ فَمَنْ مَشَى إِلَى مَسْجِدٍ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ أَجْرٌ عَظِيمٌ . -قرآن- ١-٣٤-قرآن-١٩٥-٢٠٢

فصل

وقوله تعالى قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ يَا مَعْ كُفَّيْنِ أَنْ يَقِيمُوا وَجُوهَهُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ أَي يَتَوَجَّهُوا إِلَى قِبَلِهِ كُلِّ مَسْجِدٍ فِي الصَّلَاةِ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ . وَقَالَ الْفَرَاءُ مَعْنَاهُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ وَقْتُ صَلَاةٍ فِي مَسْجِدٍ فَصَلِّ فِيهِ وَ لَا تَنْقَلِ آتَى مَسْجِدٍ قَوْمِي . وَقِيلَ أَي تَوَجَّهُوا بِالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَ لَا تَشْتَغَلُوا بِمَا لَا يَلِيقُ فَعَلَهُ فِي الْمَسَاجِدِ مِنَ الْمَكْرُوهَاتِ وَ الْمَحْظُورَاتِ بَلْ مِنَ الْمَبَاحَاتِ الَّتِي لَا يَسْتَقْبِحُ فِي غَيْرِ الْمَتَعَبِدَاتِ . وَ لَا يَخْتَلِفُ الْمَعْنَى سِوَاءَ كَانَ مَسْجِدٌ مُصَدِّرًا أَوْ مَكَانًا أَوْ زَمَانًا فَالْمُصَدِّرُ عِبَارَةٌ عَنِ الصَّلَاةِ وَ أَنْ لَا يَسْجُدُوا إِلَّا لِلَّهِ أَي كَلِمَا صَلَّيْتُمْ فَأَقِيمُوا وَجُوهَكُمْ لِلَّهِ أَي فَلَا تَصَلُّوا إِلَّا لِلَّهِ وَأَقْبِلُوا بِصَلَاتِكُمْ عَلَيْهِ وَ لَا تَشْغَلُوا قُلُوبَكُمْ بِغَيْرِهِ وَ أَمَا الْمَكَانُ فَعَلَى مَعْنَى كُلِّ مَكَانٍ تَصَلُّونَ فِيهِ وَ يُؤْوَلُ الْمَعْنَى إِلَى الْأَوَّلِ وَ كَذَا إِذَا أُرِيدَ بِهِ الزَّمَانُ أَي فِي أَوْقَاتِ صَلَاتِكُمْ أَقِيمُوا وَجُوهَكُمْ لِلَّهِ . -قرآن- ١٦-٨٥ [صفحہ ١٥٦]

فصل

وقوله يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ أَمَرَ مِنْهُ تَعَالَى لِلْمَكْلُفِينَ بِالِاسْتِتَارِ فِي الصَّلَاةِ وَ فِي الْمَسَاجِدِ فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ كَشْفُ الرِّكْبَةِ أَوْ الْفَخْذِ وَ لَا السَّرَّةِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَسَاجِدِ فَضْلًا عَنْ كَشْفِ الْعَوْرَةِ فِيهَا . وَقَوْلُهُ تَعَالَى فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَيِّئُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ كَقِيلِ أَرَادَ بِالْبُيُوتِ الْمَسَاجِدَ أَي إِذَا دَخَلْتُمُوهَا فَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ هُمْ بِمَنْزِلَةِ أَنْفُسِكُمْ وَ إِذَا دَخَلْتُمُوهَا وَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا أَحَدٌ فَقُولُوا السَّلَامَ عَلَيْنَا وَ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ فَهَذَا عَلَى الْحَقِيقَةِ وَالْأَوَّلِ مُجَازٌ وَ كِلَاهُمَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا . وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَ أَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَ اجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبَلَهُ وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ . أَمَرَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَصَلُّوا فِي بُيُوتِهِمْ وَيَجْعَلُوا فِي الْبُيُوتِ قِبَلَهُ أَي مُصَلِّي إِذَا كَانُوا خَائِفِينَ وَ هَذَا رِخْصَةٌ وَ كُلُّ مَا يَعْلَمُ صِحَّةَ كَوْنِهِ فِي شَرِيعَةِ نَبِيِّ وَ لَا يَعْرِفُ فِيهِ نَسْخٌ وَ لَمْ يَرِدْ فِيهِ نَهْيٌ فَالْأَصْلُ فِيهِ أَنَّهُ بَاقٍ عَلَى حَالِهِ . -قرآن- ٩-٦٠-قرآن-٢٤٢-٢٩٢-قرآن-٥٤٧-٦٩٧ وَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ كَانَ فَرْعُونَ أَمَرَ بِهَدْمِ مَسَاجِدِهِمْ وَأَمَرُوا أَنْ يَصَلُّوا فِي بُيُوتِهِمْ -روایت- ١-٢-روایت- ١٩-٧٧ . وَ قَدْ تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَدِلَّ بِهِ عَلَى أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَجْنِبَ الْمَسَاجِدَ الْبَيْعَ وَ الشِّرَاءَ وَ إِشَادَةَ الشَّعْرِ وَ رَفْعَ الْأَصْوَاتِ وَ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مُحْظُورٌ أَوْ مَكْرُوهٌ وَلِذَلِكَ اسْتَدَلَّ قَوْمٌ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّهُ يَكْرَهُ فِي الْمَسَاجِدِ . -قرآن- ٢٢-٤٦ [صفحہ ١٥٧]

فصل

وقوله تعالى وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ. المراد بذلك مشركو العرب من قريش لأنهم صدوا النبي ع
عن المسجد الحرام و هو المروى عن الصادق ع وقيل أراد جميع المساجد وقيل إنهم الروم غزوا بيت المقدس وسعوا فى خرابه
وقيل هويخت نصر خرب بيت المقدس . و إذا صح وجه منها لا يجب الاقتصار عليه لأن نزول حكم فى سبب لا يوجب الوقوف
عليه ويجوز أن يعنى غيره للعموم أ لا ترى إلى قوله يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَ لَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ نزل فى الصوم فلما كانت الآية عامه
و إن وردت فى سبب وجب حملها على عموم اللفظ دون خصوص السبب . وقال الطبرى إن كفار قريش لم يسعوا قط فى
تخريب المسجد الحرام و هذا ليس بشيء لأن عمارة المسجد بالصلاة فيه و خرابه المنع من أن يصلى فيه على أنهم قد هدموا
مساجد كانت بمكة كان المسلمون يصلون فيها لما هاجر رسول الله ص . و ذكر المساجد لأن كل موضع منه مسجد ثم يدخل فى
خرابه خراب جميع المساجد. -قرآن- ١٦-٨٤-قرآن- ٤٣٤-٤٩١ [صفحه ١٥٨]

فصل

وقوله تعالى إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا. أمر المؤمنين بمنع الكفار من مقاربه المسجد الحرام
لطواف وغيره وقيل إنهم منعوا من الحج فأما دخولهم للتجارة فلم يمنعوا منه بين ذلك قوله وَ إِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ
مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ. وقوله بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا هى سنة تسع من الهجرة التى تبدأ فيها براءة المشركين . و ظاهر الآية أن الكفار أنجاس
لا يمكنون من دخول مسجد و قال عمر بن عبدالعزيز و لا يجوز أن يدخل المسجد أحد من اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار
ونحن نذهب إليه . وإنما قال إِنْ شَاءَ لأن منهم من لم يبلغ الموعد بأن يموت قبله وقيل إنما ذكره لتقطع الآمال إلى الله كما قال
لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وقوله ما كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ دأى رسول الله ص أن لا يحج مشرك بعد العام فإن
دخل مسجدا منهم داخل كان على المسلمين أن يمنعه فإن أدخل إلى حاكم المسجد الذى يحكم فيه فلا يقعد مطمئنا فيه بل
ينبغى أن يكون خائفا من الإخراج على وجه الطرد. -قرآن- ١٦-٩٤-قرآن- ٢٤١-٣٠٨-قرآن- ٣١٨-٣٣٤-قرآن- ٥٦٣-٥٧٠-
قرآن- ٦٧٢-٧١٧-قرآن- ٧٢٧-٧٧٠ [صفحه ١٥٩]

فصل

وقوله تعالى وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا وَ كُفْرًا أَى بنوه للإضرار والكفر والتفريق بين المؤمنين فإنهم إذا تحزبوا فصلى حزب
هنا وحزب يصلى فى غيره اختلفت الكلمه وبطلت الألفه. وإرصاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهُ هو أبوعامر الراهب لحق بقيصر متنعصرا و كان
يبعث إليهم سآتيكم بجند فأخرج محمداً بنوه يترقبونه و هو الذى حزب الأَحزاب مع المشركين فلما فتحت مكة هرب إلى
الطائف فلما أسلم أهل الطائف خرج إلى الروم وابنه عبد الله أسلم وقتل يوم أحد و هو غسيل الملائكة ووجه رسول الله
عند قدومه من تبوك عاصم بن عوف العجلانى ومالك بن الدخشم و كان مالك من بنى عوف الذين بنوا مسجد الضرار فقال
لهما انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه ثم احرقاه ففعلا ما أمر به فقال تعالى لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا نهى نبيه وجميع المؤمنين أن
يقوموا فى مثل هذا المسجد ويصلوا فيه وأقسم أن المسجد الذى أسس على التقوى أحق أن يقوم فيه هو مسجد قبا وقيل مسجد
المدینه و سبب ذلك أنهم قالوا بنينا للضعيف فى وقت المطر نسألك يا رسول الله أن تصلى فيه و كان توجه إلى تبوك فوعدهم
أن يفعل إذا عاد فنهى عنه -قرآن- ١٦-٦٣-قرآن- ١٩٧-٢٢٤-قرآن- ٧١٠-٧٣١

قال الله تعالى فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ أَى فصل لربك صلاة العيد وانحر - قرآن- ١٩-٤٢ [صفحه ١٦٠] الأضحى وانحر أعم نفعا من النسك . و هذه الصلاة واجبة عند حصول شرائطها وهى شرائط الجمعة وتستحب تلك الصلاة إذا اختلفت شرائطها. وقوله تعالى لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قال الحسن ذبح قوم قبل صلاة العيد يوم النحر فأمروا بإعادة ذبيحة أخرى وقال الزجاج معناه لا تقدموا أعمال الطاعة حتى لا يجوز تقديم الزكاة قبل وقتها. والتكبيرات الأمور بها فى العيدين يدل عليها بعد إجماع الطائفة قوله وَتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ. و إذا أُجِدَّتْ البلاد يستحب صلاة الاستسقاء قال الله تعالى وَ سَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ومثله من الآيات يدل على استحبابها. و ماروى أن النبى ص صلاها و قال تعالى لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ يدل عليها و على جميع ما يستحب من الصلوات المندوبة كصلاة الاستخارة والحاجه فقد أمر بهما رسول الله عن الله و قال تعالى ما آتاكمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ. وقوله تعالى إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ أَى صل شكرا له على ما جدد لك من نعمه و هذا يدل على أن صلاة الشكر مستحبه. وكذلك صلى رسول الله ص صلاة الكسوف وفعله بيان - قرآن- ١٤٤-١٩٠-قرآن-٤١٧-٤٥٤-قرآن-٥١٥-٥٤٣-قرآن-٦٢٤-٦٧٥-قرآن-٨٠١-٨٣٠-قرآن-٨٤٧-٩٥٨ [صفحه ١٦١] لقوله تعالى وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ و قال ما آتاكمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ. و لما حولت القبلة إلى الكعبة كانوا لا يعتبرون بطاعة إلا بالصلاة إلى الكعبة قال تعالى لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولَّوْا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ - قرآن- ١٥-٨٠-قرآن-٨٨-١١٧-قرآن-٢٠٥-٣٠٥ قال ابن عباس ليس البر كله فى التوجه إلى الصلاة نحو الكعبة ولكن البر من آمن بالله و إن هذه تدعو إلى الصلاح وتصرف عن الفساد و إن ذلك يختلف بحسب الأزمان -روايت-١-٢-روايت-١٨-١٦٨

باب الصلاة على الموتى وأحكامهم

إشاره

يدل على أربعة أحكام مفروضة فى حق المؤمن إذ مات قوله تعالى ما آتاكمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ و قد بين رسول الله تغميته وتكفينه والصلاة عليه ودفنه وفرضها على الكفاية و قد بينها بقوله وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ. فإذا مات كافر أو منافق فلا يجب شىء من ذلك على الأحياء قال تعالى وَ لَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَ لَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ و هذانهى من الله لنبىه أن يصلى على منافق أو يقوم على قبره أى لا تتول دفنه كما يقال قام فلان بكذا. -قرآن-٦٥-٩٤-قرآن-١٩٠-٢٥٥-قرآن-٣٢٥-٣٩٣ و عن ابن عباس صلى رسول الله ص على عبد الله بن أبى بن سلول قبل أن نهى عن الصلاة على المنافقين -روايت-١-٢-روايت-١٩-١١٠. [صفحه ١٦٢] و كان الشيخ المفيد يستدل بفحوى هذه الآية على وجوب القيام بدفن المؤمنين والصلاة عليهم لأنه كان يقول بدليل الخطاب ويجعله دليلا ومنع منه المرتضى وتوقف فيه أبو جعفر الطوسى وكذا حالهم فى استحباب الحال . والقيام فى الآية يجوز أن يكون الذى هو مقابل الجلوس و يكون معناه لا تقف عند قبره و من قولهم قام بكذا إذا ثبت على صلاحه و يكون القبر مصدرا على هذا أى لا تتول دفن ميت منهم والمفسرون كلهم على أن المراد بذلك الصلاة التى تصلى على الموتى و كان صلاة أهل الجاهلية على موتاهم أن يتقدم رجل فيذكر محاسن الميت ويثنى عليه ثم يقول عليك رحمة الله . وقوله إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ كَسْرَتْ إِنْ و فيها معنى العلة لتحقيق الإخبار بأنهم على هذه الصفة ويدل ذلك على أن الصلاة على الميت

فصل

وقوله تعالى وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ عَلَىٰ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِآيَةِ اللَّهِ. -قرآن- ١٦-٥٨-قرآن- ١٥٤-٢٥٨ قال جابر وغيره إن النبي ص أتاه جبرئيل ع وأخبره بوفاء النجاشي ثم خرج من المدينة إلى الصحراء ورفع الله الحجاب بينه وبين جنازته فصلى عليه ودعا له واستغفر له وقال للمؤمنين صلوا عليه فقال المنافقون -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-ادامه دارد [صفحة ١٦٣] يصلى على علع بنجران فنزلت الآية -رواية- از قبل ٣٩-والصفات التي ذكرت في الآية هي صفات النجاشي. و قال مجاهد نزلت في كل من أسلم من اليهود والنصارى ولا مانع من هذا أيضا لأن الآية قد تنزل على سبب وتكون عامة في كل ماتناوله. ويجوز أن يصلى على الجنازة بالتيمم مع وجود الماء إذا خيف فوت الصلاة عليه وبذلك آثار عن أئمة الهدى ع وكأنه استثناء من قوله إذا قُتِمَ إِلَى الصَّلَاةِ فَاعْسَلُوا وَجُوهَكُمْ بِالْآيَةِ. على أن هذا قد ورد في الصلاة المطلقة والصلاة على الجنازة صلاة مقيدة فأما التيمم فيها فلا إجماع الطائفة. و أما التكفين فإنه يدل عليه من القرآن قوله يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُم بِالْآيَةِ تَعْمُ الْأَحْيَاءَ وَالْأَمْوَاتَ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَفْصَلْ فِدْلَ عَلَى وَجُوبِ الْكُفْرِ عَمُومَهَا. و أما الدفن فالدليل عليه من كتاب الله قوله أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءَ وَ أَمْوَاتًا فَالْكَفَاتُ الضَّمَامُ وَالْوَعَاءُ أَى تَضَمُّهُمْ فِى الْحَالِينَ فَظَهَرَهَا لِلْأَحْيَاءِ وَبَطْنَهَا لِلْأَمْوَاتِ . وقوله تعالى ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ فَالْمَقْبَرُ الْأَمْرُ بِالْدَفْنِ وَالْقَابِرُ الدَّفْنُ . -قرآن- ٣١٩-٣٦٦-قرآن- ٥٢٤-٥٨٧-قرآن- ٧١٧-٧٦٦-قرآن- ٨٦١-٨٨٥] [صفحة ١٦٤] وقوله تعالى فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوَاءَ أَخِيهِ هُوَ أَوْلَ مَيْتٍ كَانَ مِنَ النَّاسِ فَلِذَلِكَ لَمْ يَدْرِ أَخُوهُ كَيْفَ يُؤَارِيهِ وَكَيْفَ يَدْفِنُهُ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ غُرَابَانِ أَحَدُهُمَا حَى وَالْآخَرُ مَيْتٌ فَنَقَرَ فِي الْأَرْضِ حَتَّى جَعَلَ حَفِيرَةً وَوَضَعَ الْمَيْتَ فِيهِ وَوَارَاهُ بِالتُّرَابِ إِلَهُمَا مِنَ اللَّهِ -قرآن- ١٦-١٠٠

باب الزيادات

إشارة

الصَّلَاةِ الْوَسْطَى أَى الْفَضْلَى مِنْ قَوْلِهِمْ الْأَفْضَلُ الْأَوْسَطُ وَإِنَّمَا أُفْرِدَتْ وَعَطِفَتْ عَلَى الصَّلَوَاتِ لِانْفِرَادِهَا بِالْفَضْلِ . -قرآن- ١-١٦ و قال النبي ع يوم الأحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا ثم قال إنها الصلاة التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب -رواية- ١-٢-رواية- ٣-١٦٤ . وروى في قوله وَ قَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قَامَ أَحَدُهُمْ إِلَى الصَّلَاةِ هَابَ الرَّحْمَنَ أَنْ يَمُدَّ بَصْرَهُ أَوْ يَلْتَفِتَ أَوْ يَقْلِبَ الْحَصَى أَوْ يَحْدِثَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا. -قرآن- ١٨-٤٤

مسألة

دلكت الشمس زالت أو غربت فإذا كان الدلو ك الزوال فالآية جامعة للصلاة الخمس لأن الغسق الظلمة و هو وقت صلاة

العشاءين وقرآن الفجر صلاة الغداة و إذا كان الدلوك الغروب خرجت منها صلاة الظهر والعصر. [صفحة ١٦٥] وقوله تعالى وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حِثًّا عَلَى طَوْلِ الْقِرَاءَةِ فِيهَا وَكَذَلِكَ كَانَتْ صَلَاةُ الْفَجْرِ أَطْوَلَ الصَّلَوَاتِ قِرَاءَةً. وَ مِنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ أَي وَعَلَيْكَ بَعْضَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ وَالتَّهَجُّدُ تَرْكُ الْهَجُودِ وَ هُوَ النَّوْمُ لِلصَّلَاةِ. وَ نَافِلَةٌ أَي عِبَادَةٌ زَائِدَةٌ لَكَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَوَضَعَ نَافِلَةً مَوْضِعَ تَهَجُّدٍ لِأَنَّ التَّهَجُّدَ عِبَادَةٌ زَائِدَةٌ فَنَافِلَةٌ مُصَدَّرٌ مِنْ غَيْرِ لَفْظِ الْفِعْلِ قَبْلَهُ . -قرآن-١٦-٣٢-قرآن-١١٨-١٤٢-قرآن-٢١٧-

٢٢٤

مسألة

فإن قيل أى فائده فى إخبار الله بقول اليهود أو المنافقين أو المشركين قبل وقوعه فقال سَيَقُولُ السَّيِّئَةُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا. قلنا فائدته أن مفاجأة المكروه أشد والعلم به قبل وقوعه أبعد من الاضطراب إذا وقع لما يتقدمه من توطئ النفس فإن الجواب العتيد قبل الحاجة إليه أقطع للخصم وأرد لسعيه وقبل الرمي يراش السهم. ما وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ وهى بيت المقدس. لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ أى الأرض كلها يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ مَا تَوَجَّهَ الْحِكْمَةُ وَالْمَصْلِحَةُ مِنْ تَوَجُّهِهِمْ تَارَةً إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأُخْرَى إِلَى الْكَعْبَةِ -قرآن-٨٩-١٧٢-قرآن-٣٧٤-٤٠٠-قرآن-٤٢٠-٤٤٨-قرآن-٤٦٤-٤٨١

مسألة

وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا قَالَ بَعْضُ الْمَفْسُرِينَ قَوْلَهُ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا لَيْسَتْ بِصِفَةِ الْقِبْلَةِ إِنَّمَا هِيَ ثَانِي مَفْعُولِي جَعَلَ يَرِيدُ وَ مَا جَعَلْنَا -قرآن-١-٤٦-قرآن-٧٢-٩٢ [صفحة ١٦٦] الْقِبْلَةَ الْجِهَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا وَهِيَ الْكَعْبَةُ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يَصَلِي بِمَكَّةَ إِلَى الْكَعْبَةِ ثُمَّ أَمَرَ بِالصَّلَاةِ إِلَى صَخْرَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ بَعْدَ الْهَجْرَةِ تَأْلُفًا لِلْيَهُودِ ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى الْكَعْبَةِ فَيَقُولُ وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تَسْتَقْبِلَهَا الْجِهَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا أَوْ لَا بِمَكَّةَ يَعْنِي وَ مَا رَدَدْنَاكَ إِلَيْهَا إِلَّا مَتَّحِنًا لِلنَّاسِ كَقَوْلِهِ وَ مَا جَعَلْنَا عِمَادَتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً. وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَيَانًا لِلْحِكْمَةِ فِي جَعَلِ بَيْتَ الْمَقْدِسِ قِبْلَتَهُ يَعْنِي أَنْ أَصْلَ أَمْرِكَ أَنْ تَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ وَ أَنْ اسْتَقْبَالَكَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ كَانَ أَمْرًا عَارِضًا لَغَرَضٍ وَإِنَّمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الْجِهَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا قَبْلَ وَقْتِكَ هَذَا وَهِيَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ لِمَتَّحِنَ النَّاسَ . -قرآن- ٢٩٥-٣٣١ وَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ كَانَ قِبْلَتَهُ بِمَكَّةَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَجْعَلُ الْقِبْلَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ -روایت-١-٢-روایت-١٩-٨٨

مسألة

شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَقَرَأَ أَبِي تَلْقَاءُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ . وَ شَطْرُ نَصْبٍ عَلَى الظَّرْفِ أَي اجْعَلْ تَوَلِيَّهُ الْوَجْهَ تَلْقَاءَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَي فِي جِهَتِهِ وَ سَمَّيْتَهُ لِأَنَّ اسْتِقْبَالَ عَيْنِ الْكَعْبَةِ فِيهِ حَرَجٌ عَظِيمٌ عَلَى الْبَعِيدِ. وَ ذَكَرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ الْوَاجِبَ مِرَاعَاةَ الْجِهَةِ دُونَ الْعَيْنِ فَعَلَى هَذَا الْكَعْبَةُ قِبْلَةٌ مِنْ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَسْجِدُ قِبْلَةٌ مِنْ كَانَ فِي الْحَرَمِ وَالْحَرَمُ قِبْلَةٌ مِنْ نَأَى مِنْ أَي جَانِبٍ كَانَ وَ هُوَ شَطْرُ الْمَسْجِدِ وَ تَلْقَاؤُهُ وَقِرَاءَةُ أَبِي وَلِكُلِّ قِبْلَةٍ إِشَارَةٌ إِلَى مَا ذَكَرْنَا. وَ قَوْلُهُ تَعَالَى هُوَ مُؤَلِّيَهَا أَي هُوَ مَوْلِيهَا وَجِهَتُهُ فَحُذِفَ أَحَدُ الْمَفْعُولِينَ . -قرآن-١-٢٤-قرآن-٤٦٦-٤٧٩ [صفحة ١٦٧] وَقِيلَ هُوَ اللَّهُ أَي اللَّهُ مَوْلِيهَا إِيَّاهُ عَلَى أَنَّ الْقِرَاءَةَ الْعَامَّةَ يَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِهَا ذَلِكَ أَيْضًا وَ يَكُونُ الْمَعْنَى وَلِكُلِّ مِنْكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَجْهَةٌ أَي جِهَةٌ تَصَلِّي إِلَيْهَا جَنُوبِيَّةً أَوْ شَمَالِيَّةً أَوْ شَرْقِيَّةً

أوغريبه أينما تكونوا يجعل صلاتكم كأنها إلى جهة واحدة وكأنكم تصلون حاضري المسجد الحرام .

مسألة

و عن أبي حنيفة يجوز أن يصلى الفريضة فى جوف الكعبة وعندنا لايجوز وبذلك نصوص عن أئمة الهدى ويؤيده قوله وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَقَدِينَا أَنْ الْمَرَادُ بِهِ نَحْوَهُ وَ مِنْ كَانَ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ لَمْ يَكُنْ مُصَلِّيًا نَحْوَهَا عَلَى أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ النَّصُّ بِأَنَّهُ يَصَلِّي النَّوَافِلَ فِي الْكَعْبَةِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ يُدَلُّ عَلَى أَنَّ الْبَعِيدَ مِنْ مَكَّةَ يَتَوَجَّهُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ التَّوَجُّهُ إِلَى عَيْنِ الْكَعْبَةِ إِلَّا لِمَنْ يَقْرِبُهَا. -قرآن- ١١٠-١٥٥-قرآن- ٢٩٩-٣٣٧

مسألة

قوله تعالى خُذُوا زِينَتَكُمْ أَي كَلِمَا صَلَّيْتُمْ خُذُوا لِبَاسَ زِينَتِكُمْ وَقِيلَ الزَّيْنَةُ الطَّيِّبُ وَأَطْيَبُ الطَّيِّبِ الْمَاءُ. ثُمَّ قَالَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ أَي مِنَ الثِّيَابِ وَ كُلِّ مَا يَتَجَمَّلُ بِهِ وَمَعْنَى الْإِسْتِفْهَامِ فِي مَنْزِلِ الْإِنْكَارِ تَحْرِيمَ ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ لَا نَعْبُدُ اللَّهَ فِي ثِيَابٍ أَدْنَبْنَا فِيهَا وَيَطُوفُونَ وَيَصَلُّونَ عِرَاءً. قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَبَّهَ تَعَالَى بِهَذَا عَلَى أَنَّهَا خَلَقَتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا عَلَى طَرِيقِ الْأَصَالَةِ وَ أَنَّ الْكُفْرَةَ تَبِعَ لَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَشْرِكُهُمْ فِيهَا أَحَدٌ. -قرآن- ١٤-٣٠-قرآن- ١١٥-١٤٣-قرآن- ٢٩٨-٣٤٥ [صفحة ١٦٨]

مسألة

قوله تعالى وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ بِجُزُءِهَا أَنْ يَذَكَرَ بِجُزُءِهَا أَنْ يَذَكَرَ ثَانِي مَفْعُولٌ مَنَعٌ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا لَهُ. وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ أَي بِلَادَهُمَا فَفِي أَي مَكَانٍ فَعَلْتُمُ التَّوْلِيَةَ يَعْنِي تَوَلَّيْتُمْ وَ جُوهَكُمْ شَطْرَ الْقِبْلَةِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَجْهَ اللَّهِ أَي جِهَتَهُ الَّتِي أَمَرَ بِهَا وَرَضِيهَا وَالْمَعْنَى أَنَّكُمْ إِذَا مَنَعْتُمْ أَنْ تَصَلُّوا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ قَدْ جَعَلْتُمْ لَكُمْ الْأَرْضَ مَسْجِدًا فَصَلُّوا فِي أَي بَقْعَةٍ شِئْتُمْ مِنْ بَقَاعِهَا وَافْعَلُوا التَّوْلِيَةَ مِنْهَا فَإِنَّهَا مُمْكِنَةٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ. -قرآن- ١٤-٦٨-قرآن- ١٣٦-١٦٧-قرآن- ٢٥٢-٢٩٠-قرآن- ٢٩١-٣٠٩

مسألة

قال الباقرع الصلاة عشرة أوجه صلاة السفر وصلاة الحضر وصلاة الخوف على ثلاثة أوجه وصلاة كسوف الشمس والقمر وصلاة العيدين وصلاة الاستسقاء والصلاة على الميت -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-١٦٣

مسألة

وقوله الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ تفصيل هذه الجملة - قرآن - ٩-٧٣ ما قال رسول الله ص لعمران بن حصين صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب تومى إيماء - رواية - ١-٢-رواية - ٣-١١٣ . [صفحہ ١٦٩]

مسألة

وقوله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ المَراد بالنداء الأذان ها هنا و من فى قوله من يَوْمِ الجُمُعَةِ بيان لإذا وتفسير له . وقيل إن الأنصار قالوا إن لليهود يوما يجتمعون فيه فى كل سبعة أيام والنصارى كذلك فاجتمعوا يوم العروبة إلى سعد بن زرارة فأنزل الله آية الجمعة . وأول جمعة جمعها رسول الله هى أنه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قبا على بنى عمرو بن عوف وأقام بها يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فأدركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى بطن واديهم فخطب وصلى الجمعة . وقد أبط الله قول اليهود حين افتخروا بالسبت و أنه ليس للمسلمين مثله فشرع الله لهم الجمعة . - قرآن - ١٦-٦٦-قرآن - ١١١-١٣٠

مسألة

قال أبو حنيفة لا تجب الجمعة إلا على أهل الأمصار فأما من كان موضعه منفصلا عن البلد فإنه لا يجب عليه و إن سمع النداء . وعندنا وعند الشافعى تجب على الكل إذا بلغوا العدد الذى تنعقد به الجمعة مع الشرائط الأخر يؤيده قوله إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنَ يَوْمِ الجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ يَوْمَ الَّذِي تَجِبُ عَلَيْهِ الأجر بذلك كل متمكن من سماع النداء إلا من خصه الدليل . - قرآن - ٢٢٥-٢٩٥ وكذا قول النبى ع الجمعة واجبة على كل من آواه الليل - رواية - ١-٢-رواية - ٢٣-٦١ ثم استثنى أشياء وبقي هذا على العموم . [صفحہ ١٧٠]

مسألة

وقوله وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ اضْرِبُوا فِي الْأَرْضِ الضرب فى الأرض السفر وقال الفقهاء القصر ثابت بالكتاب مع الخوف وبالسنه فى حال الأمن . فإن قيل كيف جمع بين الحذر والأسلحة فى قوله وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ. قلنا جعل الحذر وهو التحرز والتهيؤ آلة يستعملها الغازى فلذلك جمع بينه وبين الأسلحة فى الأخذ وجعلها مأخوذين ونحوه قوله وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ جَعَلَ الْإِيمَانَ مستقرا لهم ومتبونا لتمكنهم فيه . - قرآن - ٩-٣٦-قرآن - ١٧٦-٢١٣-قرآن - ٣٣٩-٣٨٠

مسألة

وقوله تعالى يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين لحاله التى كان عليها ثم أمره بأن يختار على الهجود التهجد و على التزمل التشمير لاجرم أن رسول الله ص أقبل على إحياء الليالى مع إصباحه حتى ظهرت السماء فى وجوههم . وترتيل القرآن قراءته على تؤدة بتبيين الحروف وإشباع الحركات حتى يجيء المتلو كالشعر المرتل وترتيلات أكيد لقوله وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ فى إيجاب

الأمر به و أنه مما لا بد منه للقارئ. -قرآن-١٦-٣٦-قرآن-٣٤٦-٣٥٤-قرآن-٣٦٧-٣٨٤

مسألة

و عن زين العابدين ع كان يصلى بين العشاءين و يقول أ ماسمعتم -رواية-١-٢-رواية-٢٦-ادامه دارد [صفحه ١٧١] قول الله
إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هَذِهِ نَاشِئَةُ اللَّيْلِ -رواية-از قبل-٥٢ و قال النبي ع تنفلوا فى ساعة الغفلة و لو بر كعتين خفيفتين فإنهما يورثان دار
الكرامة و دار السلام وهى الجنة و ساعة الغفلة بين المغرب والعشاء -رواية-١-٢-رواية-٢٠-١٤٨

مسألة

و قوله قد أفلح المؤمنون أخبر تعالى بثبات الفلاح لهم . والخشوع فى الصلاة خشية القلب و إلزام البصر موضع السجود و من
الخشوع أن يستعمل الآداب فيتوقى لف الثياب والعبث بالجسد والثياب والالتفات والتمطى والتشاؤب والتغميض والفرقة
والتشبيك وتقلب الحصى و كل ما لا يكون من الصلاة. وإضافة الصلاة إليهم لأنهم ينتفعون بها وهى ذخيرة لهم و الله متعال
عن الحاجة -قرآن-٩-٣٢ [صفحه ١٧٢]

كتاب الصوم

إشارة

قال الله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ. فقوله كُتِبَ عَلَيْكُمُ يقتضى الوجوب من
وجهين أحدهما كُتِبَ و هو فى الشرع يفيد الإيجاب كما قيل المكتوبة فى فريضة الصلوات والثانى عَلَيْهِ كُتِبَ يبنى على الإيجاب
أيضا كقوله وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ و إذا جمع بينهما فالدلالة على الإيجاب أو كد. ومعنى كُتِبَ يفرض وأوجب وعبر عن
الفرض بالكتب لأن المكتوب أبقى وأثبت ويجوز أن يكون معناه كتب فى اللوح المحفوظ أنكم تتعدون بذلك . والمراد
فرض عليكم الصوم أياما معدودة كما فرض على من كان قبلكم أياما معدودة -قرآن-١٩-١١١-قرآن-١١٩-١٣٤-قرآن-١٦٦-
١٧١-قرآن-٢٤٥-٢٥٣-قرآن-٢٩٠-٣٢٥-قرآن-٣٧٨-٣٨٣ [صفحه ١٧٣] و إن زاد ونقص واختلفت الأيام فالتشبيه واقع على
جملة أمر الصوم لا- على جميع أوقاته وأحكامه . لتتقوا النار التى أعدت للكافرين أى توقوا أنفسكم عذاب النار فالصوم جنة
فأوجب الله فرض الصيام على جميع المؤمنين بعموم اللفظ المنتظم للجميع وعم به جميع المؤمنات لمعرفة تغليب المذكر على
المؤنث إذا اجتمعوا وبقريته الإجماع إلا من خصه من الجميع فى الآية التى تعقب ماتلونها و ما يتبعها من السنة على لسان رسول
الله ع . ثم قال مفسرا ما أجمله ضربا من التفسير أياماً معدوداتٍ فَمَن كَانَ مِنكُمْ مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ الآية فبين أن
الفرض متعلق بأزمان مخصوصة وكشف عما يختص بالخروج عن فرضه فى الحال من المرضى والمسافرين و إن كان ألزمهم
إياه بعد الحال . -قرآن-٤٧٣-٥٦٢

فصل

ثم قال وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَ فِدْيَةَ طَعَامٍ مِسْكِينٍ رخص في صدر الإسلام للمشاهدين له من أهل السلامة والصحة من الأمراض إفطاره على التعمد على شرط قيامهم بفدية الإفطار من الإطعام ودل على أن الصوم له مع ذلك أفضل عنده وأولى من الفدية للإفطار. ثم نسخ تعالى ذلك بما أوردفه من الذكر من القرآن فقال شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَ الْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الْقُرْآنَ-١٠-٦٣-قرآن-٣٢١-٤٣٧ ثم قال وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَ فِدْيَةَ طَعَامٍ مِسْكِينٍ رخص في صدر الإسلام للمشاهدين له من أهل السلامة والصحة من الأمراض إفطاره على التعمد على شرط قيامهم بفدية الإفطار من الإطعام ودل على أن الصوم له مع ذلك أفضل عنده وأولى من الفدية للإفطار. ثم نسخ تعالى ذلك بما أوردفه من الذكر من القرآن فقال شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَ الْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَ مَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ الْآيَةَ. فأوضح بها عن بقية تفسير الإجمال فيما أنزله أولاً من فرض الصيام و بين أنه في أيام معدودات يجب فعله في شهر على التمام بما ذكر في العدة من فرض الكمال وحظر ما كان أباحه من قبل من الإفطار للفدية مع طاقة الصيام بإلزامه الفرض للشاهد في الزمان مع السلامة من العلل والأمراض وأكد خروج المرضى والمسافرين من فرضه في الحال بتكرار ذكرهم للبصيرة والبيان وأبان عن علته خروجهم بما وصف من إرادتهم به تعالى لهم اليسر وكرهه العسر عليهم زيادة منه في البرهان . وجاء في التفسير أن ماجاء في القرآن يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنهَا مدنية و ما فيه يا أَيُّهَا النَّاسُ مكيه. والصوم شرعا إمساك مخصوص عن أشياء مخصوصه و من شرط انعقاده النية ولأن تفسير الصوم بالصبر أولى لقوله تعالى وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّبْرُ لَقَدْ قَالَ الْمَفْسُورُونَ إِن الصَّبْرُ فِي الْآيَةِ هُوَ الصُّومُ وَ لَا يَوْمُهُ أَنَّهُ تَرَكَ - قرآن-١-١٤٣-قرآن-٦٦١-٦٨٧-قرآن-٧٠٩-٧٢٦-قرآن-٨٤٥-٨٨٠

باب في تفصيل ما أجملناه

إشارة

قوله تعالى كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ. و فيه ثلاثة أقوال أحسنها أنه كتب عليكم صيام أيام و كما محله نصب صفة مصدر محذوف أى فرض عليكم فرضاً مثلما فرض على الذين من قبلكم . -قرآن-١٤-٧٨ [صفحہ ١٧٥] ويحتمل أن يكون أيضاً من الحال للصيام وتقديره كتب عليكم الصيام مفروضاً في هذه الحال . والثاني ما قاله الحسن إنه فرض علينا شهر رمضان كما كان فرض شهر رمضان على النصارى وإنما زادوا فيه وحولوه إلى زمان الربيع . والثالث ما قاله جماعة إنه كان الصوم من العتمة إلى العتمة لايحل بعد النوم مأكلاً و لا مشرباً و لا منكحاً ثم نسخ والأول هو المعتمد. و قال مجاهد المعنى بالذين من قبلكم أهل الكتاب و قوله لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أى لكى تتقوا المعاصى بفعل الصوم و قال السدى لتتقوا ما حرم عليكم من المأكول والمشرب و قال قوم معناه لتكونوا أتقياء مما لطف بكم في الصيام لأنه لو لم يلفظ بكم لم تكونوا أتقياء. وإنما قلنا إن الأول أصح لأنه يصح ذلك في اللغة إذ فرض عليهم صيام أيام كما فرض علينا صيام أيام و إن اختلف ذلك بالزيادة والنقصان . و قوله أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ قال الفراء إنه مفعول كقولك أعطى زيد المال و قال الزجاج هو ظرف كأنه قيل الصيام في أيام معدودات و إذا كان المفروض في الحقيقة هو الصيام دون الأيام فلا يجوز ما قاله الفراء إلا- على سعة الكلام . و قال عطاء و ابن عباس أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ ثلاثة أيام من كل شهر ثم نسخ و قال ابن أبى ليلى المعنى به شهر رمضان وإنما كان صيام ثلاثة أيام تطوعاً. -قرآن-٤١٢-٤٣٠-قرآن-٧٦٨-٧٨٦-قرآن-١٠١٢-١٠٣٠ و روى عن أبى جعفر أن شهر رمضان كان واجباً صومه على كل نبى دون

فصل

وقوله تعالى فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ تقديره فعليه عدة من أيام أخر. وهذه الآية فيها دلالة على أن المسافر والمريض يجب عليهما الإفطار لأنه تعالى أوجب القضاء عليهما مطلقا و كل من أوجب القضاء بنفس السفر والمرض أوجب الإفطار وأوجب داود القضاء وخير في الإفطار فإن قدروا في الآية فأفطر على تقدير فمن كان منكم مريضا أو على سفر فأفطر فعده من أيام أخر كان ذلك خلاف ظاهر الآية وخروجا عن الحقيقة إلى المجاز من غير دليل . وبوجوب الإفطار في السفر قال عمر بن عبدالعزيز و عبد الله بن عمر و عبد الله بن عباس و عبدالرحمن بن عوف و أبوهريرة و عروة بن الزبير و هوالمروى عن أبي جعفر ع . وروى عن عمر أن رجلا صام في السفر فأمره أن يعيد صومه . -قرآن-16-85 وروى يوسف بن الحكم سألت ابن عمر عن الصوم في السفر قال رأيت لو تصدقت على رجل بصدقة فردها عليك ألا تغضب فإنها صدقة من الله تصدق بها عليكم -روايت-1-2-روايت-25-152 و قال ابن عباس الإفطار في السفر عزيمة -روايت-1-2-روايت-20-43 وروى ابن عوف عن النبي ص الصائم في السفر كالمفطر في الحضر -روايت-1-2-روايت-32-66 وروى عطا عن المحرز بن أبي هريرة قال كنت مع أبي في سفر في شهر رمضان فكنت أصوم ويفطر فقال أبي أما إنك إذا أقيمت فصليت وصام رجل في السفر فأمره عروة أن يقضى. [صفحه 177] و قال الباقر ع كان أبي ع لا يصوم في السفر وينهى عنه -روايت-1-2-روايت-19-62. و قال الطبري إنه لم ينقطع العذر برواية صحيحة أنه كان هاهنا صوم متعبد فنسخه الله بشهر رمضان .

فصل

وقوله تعالى وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهَا هَاءٌ عَائِدَةٌ عَلَى الصَّوْمِ وَقِيلَ عَائِدَةٌ عَلَى الْفِدَاءِ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ وَإِنْ لَمْ يَجْرُ لَهُ ذِكْرُ الْأَوَّلِ أَقْوَى . وقال الحسن وأكثر أهل التأويل إن هذا الحكم كان في المراضع والحوامل والشيخ الكبير فنسخ من الآية المراضع والحوامل وبقى الشيخ الكبير. -قرآن-16-45 و قال أبو عبد الله ع ذلك في الشيخ الكبير يطعم لكل يوم مسكينا منهم من مال نصف صاع وهم أهل العراق -روايت-1-2-روايت-27-113. و قال الشافعي مد عن كل يوم وعندنا مدان إن كان قادرا و إن لم يقدر إلا على مد أجزأه . و عن الصادق ع معناه على الذين يطيقون الصوم ثم أصابهم كبر أو عطاش وشبه ذلك فعليهم كل يوم مد -روايت-1-2-روايت-19-104. قال السدي لم تنسخ إنه كان فيمن يطيقه فصار إلى حال العجز عنه وإنما المعنى و على الذين يطيقونه ثم صاروا بحيث لا يطيقونه . و قوله فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا أَى و من جمع بين الصوم والصدقة وقيل من أعطى أكثر من مسكين والمعنى بقوله وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ أَنَّهُ سَائِرُ النَّاسِ كَانَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ مِنْ شَاءِ صَامٍ وَمِنْ شَاءِ أَفْطَرٍ وَافْتَدَى لِكُلِّ يَوْمٍ طَعَامَ مَسْكِينٍ حَتَّى نَسَخَ ذَلِكَ . -قرآن-140-160-قرآن-241-270 [صفحه 178] وَفَمَنْ تَطَوَّعَ مِنَ الْجَزَاءِ أَوْ بِمَعْنَى الَّذِي . و قوله فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَى لِكُلِّ يَوْمٍ يَفْطَرُ طَعَامَ مَسْكِينٍ وَمِنْ أَضَافٍ وَجَمْعِ الْمَسَاكِينِ فَمَعْنَى قِرَاءَتِهِ يُوْوَلُ إِلَيْهِ أَيْضًا لِأَنَّهُ إِذَا قِيلَ إِطْعَامُ مَسَاكِينٍ لِلْأَيَّامِ بِمَعْنَى لِكُلِّ يَوْمٍ إِطْعَامُ مَسْكِينٍ صَارَ الْمَعْنَى وَاحِدًا. وَ أَنَّ تَصَوُّمُوا خَيْرٌ لَكُمْ أَى وَصَوْمُهُ خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الْإِفْطَارِ وَالْفِدْيَةِ وَ كَانَ هَذَا مَعَ جَوَازِ الْفِدْيَةِ فَأَمَّا بَعْدَ النَّسْخِ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ الصَّوْمُ خَيْرٌ مِنَ الْفِدْيَةِ مَعَ أَنَّ الْإِفْطَارَ لَا يَجُوزُ لَهُ أَصْلًا. -

وقوله شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ. قيل فى معناه قولان أحدهما من شاهد منكم الشهر مقيما فليصمه وثانيهما من شاهده بأن حضره و لم يغب لأنه يقال شاهد بمعنى حاضر ويقال بمعنى مشاهد. وعندنا أن من دخل عليه الشهر كره له أن يسافر حتى يمضى ثلاث وعشرون من الشهر إلا أن يكون سفرا واجبا كالحج أو تطوعا كالزيارة فإن لم يفعل وخرج قبل ذلك فى مباح أيضا كان عليه الإفطار و لم يجزه الصوم . و قال أكثر المفسرين فمن شهد الشهر بأن دخل عليه شهر رمضان و هو حاضر فعليه أن يصوم كله . و شَهْرُ رَمَضَانَخبر مبتدأ أى هى شهر رمضان يدل عليه أياما معدودات وقيل بدل من قوله الصِّيَامُ وتقديره كتب عليكم شهر رمضان أو صوم شهر رمضان على حذف المضاف . -قرآن- ٩-١٤٤-قرآن-٦٠٢-٦١٥-قرآن-٦٨٩-٦٩٦ [صفحة ١٧٩] وقوله أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ -قرآن- ٩-٣٠ قال الصادق ع إن الله أنزل جميع القرآن فى ليلة القدر إلى السماء الدنيا ثم أنزل على النبى ص بعد ذلك نجوما -روایت- ١-٢-روایت- ١٨-١١٨ . وقيل ابتدئ إنزاله فى ليلة القدر من شهر رمضان . فإن قيل كيف يجوز أن يقال أنزل فى ليلة واحدة و فى الآية إخبار عما كان و لا يصلح ذلك قبل أن يكون . قلنا يجوز ذلك كما قال تعالى وَ نَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أى إذا كان يوم القيامة نادى أصحاب الجنة أصحاب النار ومثله لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ عَلَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ وَقْتُ كَذَا أَنْزَلَ لَقَدْ نَصَرَ كُمْ اللَّهُ وَ الْحِكْمَةُ فِى أَثْنَائِهِ عَلَى اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ لِيَكُونَ لَطْفًا لِلْمَلَائِكَةِ . و على هذا مسأله وهى أن بيان الأحكام الشرعية إنما يكون بالمواضع و بما يتبع ذلك فالأول مثاله الكلام والكتابة والثانى هو الإشارة والأفعال فالنبى ع يصح أن يبين الأحكام بالوجوه الأربعة و لا يصح البيان من الله إلا بالكلام والكتابة فإن الإشارة لا تجوز عليه والأفعال التى تكون بيانا يقتضى مشاهدة فاعلها على بعض الوجوه و ذلك يقتضى مشاهدته أما الكتابة فقد بين الله تعالى للملائكة بها فى اللوح المحفوظ . وقوله فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ مَهْنَسَخٌ لِلْفِدْيَةِ عَلَى قَوْلٍ مِنْ قَالَ بِالتَّخْيِيرِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ وَ نَاسَخٌ لِلْفِدْيَةِ أَيْضًا فِى الْمَرَضِيعِ وَ الْحَوَامِلِ عِنْدَ مَنْ ذَهَبَ -قرآن- ١٨٦-٢٢٥-قرآن- ٢٩٠-٣٣٩-قرآن- ٣٤٢-٣٨٧-قرآن- ٩٢٤-٩٦٢ [صفحة ١٨٠] إليه وبقى الشيخ له أن يطعم و لم ينسخ . وعندنا أن المرضعة والحامل إذا خافتا على ولديهما أفطرتا وكفرتا و كان عليهما القضاء فيما بعد إذا زال العذر و به قال جماعة من المفسرين كالطبرى وغيره .

وقوله فَمَن كَانَ مِنْكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ قَدِينَا أَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى وَجوب الإفطار فى السفر لأنه أوجب القضاء بنفس السفر والمرض و كل من قال ذلك أوجب الإفطار و من قدر فى الآية فأفطر فعدة من أيام أخر زاد فى الظاهر ما ليس منه . فإن قيل هذا كقوله فَمَن كَانَ مِنْكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَعِدَّةٌ مِّنْ صِيَامٍ فَمَعْنَاهُ فَحَلَقَ فَعِدَّةٌ مِّنْ صِيَامٍ . قلنا إنما قدرنا هناك فحلقت للإجماع على ذلك و ليس هنا إجماع فيجب أن لا يترك الظاهر و لا يزيد فيه ما ليس منه . -قرآن- ٩-٧٨-قرآن- ٢٨٣-٣٥٦ وسئل أبو عبد الله ع عن حد المرض الذى على صاحبه فيه الإفطار فقال هو مؤتمن عليه مفوض إليه فإن وجد ضعفا فليفطر و إن وجد قوة فليصم كان المريض على ما كان بل الإنسان على نفسه بصيرة -روایت- ١-٢-روایت- ٣-١٩٤ . وروى أن ذلك كل مرض لا يقدر معه على القيام بمقدار زمان صلاة . وقيل ما يخاف الإنسان معه الزيادة المفترطة فى مرضه . [صفحة ١٨١]

وقوله يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك اليسر فى الآيه الإفطار فى السفر والعسر الصوم فيه وفى المرض والعدة المأمور بإكمالها المراد بها أيام السفر أو المرض التى أمر بالإفطار فيها. وقوله وَتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ عطف على تأويل محذوف دل عليه ماتقدم من الكلام لأنه لما قال يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ دل على أنه فعل ذلك ليسهل عليكم فجاز ولتكمّلوا العدة. وقيل هو عطف جملة على جملة لأن بعده محذوفا كأنه قال ولتكمّلوا العدة شرع ذلك أو أريد ذلك ومثله قوله وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ أى وليكون من الموقنين بما أريناه . هذا قول الفراء والأول قول الزجاج وهو أجود لأن العطف يعتمد على ما قبله لا على ما بعده . وعطف الظرف على الاسم فى قوله وَ مَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ جاز لأنه بمعنى الاسم وتقديره أو مسافرا ومثله دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا كأنه قال دعانا مضطجعا أو قاعدا أو قائما. -قرآن- ۹-۳۷-قرآن- ۲۲۷-۲۴۹-قرآن- ۳۱۶-۳۴۴-قرآن- ۵۰۷-۵۹۷-قرآن- ۷۶۳-۷۹۸-قرآن- ۸۴۸-۸۸۷

وقوله فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ أراد تعالى من شهد الشهر وهو ممن -قرآن- ۹-۴۷ [صفحة ۱۸۲] يتوجه إليه الخطاب فعلى هذا الصبى إذا احتلم فى نصف يوم من شهر رمضان أمسك ما بقى تأديبا ولا قضاء عليه فيما مضى ويمسك الكافر أيضا إذا أسلم فى نهار رمضان للتأديب . والمجنون والمغمى عليه فى الشهر كله لا قضاء عليهم عندنا بدلالة قوله فَمَنْ شَهِدَ وتقديره فمن كان شاهدا الشهر ويتوجه الخطاب إليه والمجنون والمغمى عليه ليسا بعاقلين حتى يتناولهما الخطاب . والكافر وإن كان مخاطبا بالشرعيات فقد سامح الله معه إذا أسلم . وقسم هذا الكلام بعض أصحابنا فقال من نوى الصوم فى أول الشهر ثم أغمى عليه واستمر به أياما فهو بحكم الصائم لم يلزمه قضاء وإن لم يكن مفيقا فى أول الشهر وجب عليه القضاء وإنما يحمل هذا على الاستحباب لأنه تعالى قال ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ -قرآن- ۲۴۳-۲۵۴-قرآن- ۶۶۳-۷۰۳

باب من له عذر أو ما يجرى مجرى العذر

قال الله تعالى وَ مَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ المراد به إذا كان مريضا عليلا فلا يطبق الصوم أو يخاف على نفسه منه فيلزمه عدة من الأيام الأخر. واعلم أن من فاته رمضان بعذر من مرض وغيره فعليه قضاؤه ووقت القضاء ما بين رمضانين الذى تركه و الذى بعده فإن أخر القضاء إلى أن يدركه رمضان آخر صام الذى أدركه وقضى الذى فاته وإن كان تأخيره لعذر من سفر أو مرض استدما به فلا كفارة عليه وإن تركه مع القدرة كفر عن كل يوم بمد من طعام يدل عليه بعد إجماع الطائفة والاحتياط قوله فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وهذا هو القضاء والأمر على الفور إلتقينه. -قرآن- ۱۹-۵۴-قرآن- ۵۰۱-۵۷۰ [صفحة ۱۸۳] ثم الظاهر أن الفدية على من أطاق القضاء وإن كان الخطاب راجعا إلى القضاء والأداء معا فالظاهر أنه منهما إلا أن يقوم دلالة على تركه وقال أهل العراق الحامل والمرضع اللتان يخافان على ولديهما يفطران ولا يقضيان يوما مكانه ولا صدقة

عليهما ولا كفارة و به قال قوم من أصحابنا و قال الشافعي في رواية المزني عليهما القضاء و يطعمان لكل يوم مدا و هو مذهبنا المعمول عليه . و الشيخ الكبير الذي لا يطيق الصوم يفطر و يتصدق مكان كل يوم نصف صاع في قول أهل العراق و هو مذهبنا .

فصل

قال المرتضى من بلغ من الهرم إلى حد يتعذر معه الصوم و جب عليه الإفطار بلا- كفارة و لافدية و لو كان من ذكرنا حاله لو تكلف الصوم لتأتى منه لكن بمشقة شديدة يخشى المرض منها و الضرر العظيم كان له أن يفطر و يكفر عن كل يوم بمد من طعام قال و مما يجوز أن يستدل به على أن الشيخ الذي لا يطيق الصوم يجوز له الإفطار من غير فدية قوله تعالى لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا و إذا لم يكن في وسع الشيخ الصوم خرج من الخطاب به و لافدية عليه إذا فطر لأن الفدية إنما تكون عن تقصير و إذا لم يطق الشيخ الصوم فلا تقصير وقع منه . و يدل على أن من أطاق من الشيوخ الصوم لكن بمشقة شديدة يخشى منها المرض يجوز له أن يفطر و يفدى قوله تعالى وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ و معنى الآية أن الفدية تلزم مع الإفطار و كأن الله خير في ابتداء الأمر بهذه الآية الناس - قرآن- ۳۴۹-۳۸۷- قرآن- ۶۶۱-۶۹۸ [صفحة ۱۸۴] كلهم بين الصوم و بين الإفطار و الفدية ثم نسخ ذلك بقوله فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ . و أجمعوا على تناول هذه الآية لكل من عدا الشيخ الهرم ممن لا يشق عليه الصوم و لم يقد دليل على أن الشيخ إذا كان الضرر في هذه الآية فهو إذا دخل تحت حكم الآية الأولى . - قرآن- ۵۸-۹۶

فصل

و قال الشيخ أبو جعفر الطوسي في تهذيب الأحكام بعد أن ذكر كلام الشيخ المفيد و هو أن الشيخ الكبير و المرأة الكبيرة إذا لم يطبقا الصيام و عجزا عنه فقد سقط عنهما فرضه و وسعهما الإفطار و لا كفارة عليهما و إذا أطاها بمشقة عظيمة و كان مرضهما يضر بهما ضررا بينا و سعهما الإفطار و عليهما أن يكفرا عن كل يوم بمد من طعام . قال و هذا الذي فصل به بين من يطبق الصيام بمشقة و بين من لا يطبقه أصلا لم أجد به حديثا مفصلا و الأحاديث كلها على أنه متى عجزا كفرا عنه . و الذي حمله على هذا التفصيل هو أنه ذهب إلى أن الكفارة فرع على وجوب الصوم و من ضعف عن الصيام ضعفا لا يقدر عليه جملة فإنه يسقط عنه وجوبه جملة لأنه لا يحسن تكليفه للصيام و حاله هذه و قد قال الله تعالى لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا و هذا ليس بصحيح لأن وجوب الكفارة ليس بمبنى على وجوب الصوم لأنه ما كان يمنع أن يقول الله متى لم تطبقوا الصيام فصار مصلحتكم في الكفارة و سقط وجوب الصوم عنكم و ليس لأحدهما تعلق بالآخر . - قرآن- ۶۷۸-۷۱۶ [صفحة ۱۸۵] و الذي ورد في الأحاديث في ذلك مارواه الحلبي عن أبي عبد الله ع قال سألته عن رجل كبير يضعف عن صوم شهر رمضان فقال يتصدق بما يجزى عنه طعام مسكين لكل يوم - رواية- ۱-۲- رواية- ۴۶-۱۴۰ و مارواه محمد بن مسلم عن أبي جعفر ع في قول الله وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ قال الشيخ الكبير و الذي يأخذه العطاش و في رواية أخرى - رواية- ۱-۲- رواية- ۴۴-۱۷۰ و لا قضاء عليهما فإن لم يقدر فلا شيء عليهما و في رواية أنه قال يتصدق كل واحد بمدين من طعام . و هذا ليس بمضاد للرواية التي تضمنت مدا من طعام أو إطعام مسكين لأن هذا الحكم يختلف بحسب اختلاف أحوال المكلفين فمن أطاق إطعام مدين يلزمه ذلك و من لم يطق إلا إطعام مد فعل ذلك و من لم يقدر على شيء منه فليس عليه شيء بحسب ما قدمناه . و مقدار المد ثلاثمائة سوى سبعة دراهم و نصف درهم

من شرط صحة الصوم النية قال الله تعالى وَ مَا أُمِرُوا إِلَّا لِيُعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ والإخلاص لله بالديانة هو أن يتقرب إليه بذلك من غير رياء ولا سمعة وهذا التقرب لا يصح إلا بالنية له -قرآن- ١٠٥-٤٣- وقال النبي ص الأعمال بالنيات -رواية- ١-٢- رواية- ٢٠-٣٨ . [صفحہ ١٨٦] ويكفي في النية أن يعزم أنه يصوم شهر رمضان كله من أوله إلى آخره مع ارتفاع ما يوجب إبطاره . والنية إرادة مخصوصة ولا تتعلق بالإحداث ونحوه وهاهنا لا تتعلق بالإمساك وإنما تتعلق بكراهة تناول المفطرات و قد ذكرنا ذلك مستوفى في كتاب النيات في جميع العبادات . و إذانوى الإنسان في أول شهر رمضان صوم الشهر كله إلى آخره قال بعد النية في قلبه إن شاء الله فإن الله تعالى يقول وَ لَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَبْدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ . والصيام كما ذكرنا هو الكف عن تناول أشياء والصبر عليه و قد ورد الأمر من الله بالكف عنها في أزمان مخصوصة مما يجب أن يمسك عنه الصائم مما إن أقدم عليه يوجب القضاء سبعة عشر شيئاً فإذا كف العبد عنها في أوقات الصيام المحدودة بنية الكف عنها لوجه الله كان آتياً بالصيام و قد حذر الله على الصائم تناول جميع ما ينقض صومه من حد بيان الخيط الأبيض من الخيط الأسود و هو بياض الفجر عند انسلاخ الليل فإذا طلع الفجر فقد دخل وقت فرض الصيام ودخل وقت فريضة الصلاة ثم الحظر ممتد إلى دخول الليل وحد دخوله مغيب قرص الشمس وعلامة سقوط القرص عدم الحمرة من المشرق فإذا عدت الحمرة من المشرق سقط الحظر ودخل وقت الإفطار بضروبه من الأكل والشرب والجماع وسائر ما يتبع ذلك ويختص حظره بحال الصيام . ولا يلزم الكفارة مع القضاء إلا في تسعة مما قدمناه مجملاً على أنه يجب -قرآن- ٣٩٣-٤٤٤ [صفحہ ١٨٧] الإمساك عن جميع المحرمات والقبائح التي هي سوى التسعة الموجبة للقضاء والكفارة والثمانية الموجبة للقضاء دون الكفارة ويتأكد وجوب الامتناع عنها لمكان الصوم .

قال الله تعالى يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِيَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ . جعل الله الأهلة علامات الشهور ودلائل أزمان الفروض ومواقيت للناس في الحج والصوم وحلول آجال الدين ومحل الكفارات وفعل الواجب والمندوب إليه . -قرآن- ١٩-٨٥ سئل أبو عبد الله ع عن الأهلة في قوله يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِيَّةِ فقال هي أهلة الشهور فإذا رأيت الهلال فصم و إذا رأيت فافطر وليس بالرأى والتظنى -رواية- ١-٢-رواية- ٣-١٥٨ . ويسمى هلالاً لليلتين قاله الزجاج . فإن قيل عما ذا وقع السؤال من حال الأهلة . قيل عن زيادتها ونقصانها وما وجه الحكمه في ذلك فأجيب بأن مقاديرها يحتاج إليها الناس في صومهم وفطرم وحجهم وعدد نساءهم ومحل ديونهم وغير ذلك . [صفحہ ١٨٨] وفيها دلالة واضحة على أن الصوم لا يثبت بعدد الجدولين وأنه يثبت بالهلال لأن عددهم لو كان مراعى لما أحيل في مواقيت الناس في الحج على ذلك بل أحيل على العدد . والميقات منتهى الوقت والآخرة منتهى الخلق والإهلال ميقات الشهر .

و من قال إن قوله تعالى وَ لَتَكْمِلُوا الْعِدَّةَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ لَا يَنْقُصُ أَبَدًا فَقَدْ أَبْعَدَ مِنْ وَجْهِينِ أَحَدَهُمَا لِأَنَّ قَوْلَهُ وَ لَتَكْمِلُوا الْعِدَّةَ مَعْنَاهُ وَلَتَكْمِلُوا عِدَّةَ الشَّهْرِ سِوَاءَ كَانِ الشَّهْرُ تَامًا أَوْ نَاقِصًا أَعْنَى ثَلَاثِينَ يَوْمًا أَوْ تِسْعَةَ وَعِشْرِينَ يَوْمًا وَالثَّانِي أَنَّ ذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى الْقَضَاءِ لِأَنَّهُ قَالَ عَقِيبَ ذِكْرِ السَّفَرِ وَالْمَرَضِ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخْرَى يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَ لَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَ لَتَكْمِلُوا الْعِدَّةَ يَعْنِي عِدَّةَ مَافَاتِهِ وَ هَذَا بَيْنَ الْهَلَالِ وَ عِلْمَةِ الشَّهْرِ وَ بِهِ وَجِبَتِ الْعِبَادَةُ فِي الصِّيَامِ وَالْإِفْطَارِ وَالْحَجِّ وَ سَائِرِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالشَّهْرِ عَلَى أَهْلِ الشَّرْعِ وَرَبَّمَا خَفِيَ لِعَارِضِ أَوَاسْتِيْنِ أَهْلِ مِصْرَ لَعَلَّهُ وَظَهَرَ لِأَهْلِ غَيْرِ ذَلِكَ الْمِصْرَ وَلَكِنْ الْغُرُضُ إِنَّمَا تَعَلَّقَ عَلَى الْعِبَادَةِ إِذْ هُوَ الْعِلْمُ دُونَ غَيْرِهِ بِمَا قَدَّمَاهُ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ . فَإِنْ قِيلَ أَيْ تَعَلَّقَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنَّ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا بِسُؤَالِ قَدَمِ عَنِ الْأَهْلِ . قُلْنَا لِأَنَّهُ لَمَّا بَيَّنَّ مَا فِيهِ مِنْ وَجْهِ الْحِكْمَةِ اقْتَضَى لِنَعْمَلُوا عَلَى أُمُورٍ مُتَعَدَّةٍ وَ لَتَجْرُوا أُمُورَكُمْ عَلَى اسْتِقَامَةٍ فَإِنَّمَا الْبِرُّ أَنْ تَتَّبِعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَ أَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا أَيْ اتُّوا الْبِرُّ مِنْ وَجْهِهِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَغِبَ فِيهِ وَ هَذَا عَامٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى فِي الصَّوْمِ وَالْإِفْطَارِ فَإِنَّهُ يَجِبُ أَنْ لَا يَصَامَ فَرْضًا مِنْ عِنْدِ رُؤْيَاهُ هَلَالَ شَعْبَانَ - قُرْآن - ٢٩ - ٥١ - قُرْآن - ١٢٥ - ١٤٧ - قُرْآن - ٣٠٨ - ٤١٧ - قُرْآن - ٧٣٧ - ٧٨٩] [صفحة ١٨٩] إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَقْضَى ثَلَاثُونَ يَوْمًا مَعَ الْعَلَّةِ فِي السَّمَاءِ وَ لَا يَفْطُرُ إِلَّا بِالرُّؤْيَاهُ أَوْ بَعْدَ انْقِضَاءِ ثَلَاثِينَ يَوْمًا مِنْ عِنْدِ رُؤْيَاهُ هَلَالَ شَهْرِ رَمَضَانَ إِذَا كَانَ فِي آخِرِهِ عِلَّةٌ فِي السَّمَاءِ لَا يَصِحُّ مَعَهَا التَّرَائِي قَبْلَهُ إِنْ كَانَ

باب أقسام الصوم الواجب

الصوم الواجب على ضربين مطلق من غير سبب و هو شهر رمضان قال تعالى شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَ الْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ . وَالثَّانِي مَا هُوَ وَاجِبٌ بِسَبَبٍ وَ هُوَ عَشْرَةٌ أَوْجُهُ وَ وَجُوبُهَا كَوَجُوبِ شَهْرِ رَمَضَانَ أَحَدُهَا صَوْمُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعِينَ فِي كِفَارَةِ الظَّهَارِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَ الَّذِيْنَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تَوْعُظُونَ بِهِ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعِينَ . الثَّانِي صِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعِينَ فِيمَنْ أَفْطَرَ يَوْمًا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ مُتَعَمِّدًا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخْرَى وَ قَالَ مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ . الثَّلَاثُ صِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعِينَ فِي قَتْلِ الْخَطَايَا مَنْ لَمْ يَجِدِ الْعَتَقَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَ دِيَةٌ مُسَلِّمَةٌ إِلَى أَهْلِهَا إِلَى قَوْلِهِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعِينَ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ . الرَّابِعُ صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي كِفَارَةِ الْيَمِينِ لِمَنْ لَمْ يَجِدِ الْإِطْعَامَ وَ الْكِسْوَةَ - قُرْآن - ٧١ - ٢٠٦ - قُرْآن - ٣٣٧ - ٥٥١ - قُرْآن - ٦٣٨ - ٦٦٤ - قُرْآن - ٦٧٢ - ٧٠١ - قُرْآن - ٧٨٤ - ٨٧٦ - قُرْآن - ٨٨٨ - ٩٥٤] [صفحة ١٩٠] وَ الْعَتَقَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كِفَارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ كُلُّ ذَلِكَ مُتَتَابِعٌ وَ لَيْسَ بِمُفْتَرَقٍ . الْخَامِسُ صِيَامُ أَذَى حَلْقِ الرَّأْسِ قَالَ تَعَالَى فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٌ أَوْ نُسْئِكِفَصَاحِبُهَا مَخِيرٌ إِنْ شَاءَ صَامَ ثَلَاثًا أَوْ تَصَدَّقَ أَوْ نَسَكَ . السَّادِسُ صَوْمُ دَمِ الْمَتَعَةِ لِمَنْ لَمْ يَجِدِ الْهُدَى قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهُدَى فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعُهُ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ . السَّابِعُ صَوْمُ جِزَاءِ الصَّيْدِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَ مَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجِزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَيْدِيًّا بِالْبَالِغِ الْكَعْبِيِّ أَوْ كِفَارَةٌ طَعَامٌ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا . الثَّمَانُونَ صَوْمُ النَّذْرِ سِوَاءَ كَانَ مُتَعَمِّدًا أَوْ غَيْرَ مُتَعَمِّدًا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ وَ قَالَ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ . الثَّمَانُونَ صَوْمُ الْاِعْتِكَافِ وَ قَالَ تَعَالَى وَ لَا تَبَاشِرُوهُنَّ وَ أَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ . الْعَاشِرُ صَوْمُ قَضَاءِ مَافَاتٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَ النَّذْرِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فَعِدَّةٌ - قُرْآن - ٢٧ - ١٠٨ - قُرْآن - ١٨٢ - ٢٧٩ - قُرْآن - ٣٨٦ - ٥٥٦ - قُرْآن - ٥٩٩ - ٧٨١ - قُرْآن - ٨٤٨ - ٨٩٤ - قُرْآن - ٩٠٢ - ٩١٩ - قُرْآن - ٩٥٧ - ١٠١١ - قُرْآن - ١٠٧٥ - ١٠٨٢] وَ الْعَتَقَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كِفَارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ كُلُّ ذَلِكَ مُتَتَابِعٌ وَ لَيْسَ بِمُفْتَرَقٍ . الْخَامِسُ صِيَامُ أَذَى حَلْقِ الرَّأْسِ قَالَ تَعَالَى فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ

صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَصَاحِبُهَا مَخِيرٌ إِنْ شَاءَ صَامَ ثَلَاثًا أَوْ تَصَدَّقَ أَوْ نَسَكَ. السادس صوم دم المتعة لمن لم يجد الهدى قال الله تعالى فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَهُ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ. السابع صوم جزاء الصيد قال الله تعالى وَ مَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قُتِلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدِيًّا بِالْبَالِغِ الْكَعْبِيِّ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا. الثامن صوم النذر سواء كان متعينا أو غير متعين قال الله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ وَقَالَ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ. التاسع صوم الاعتكاف وقال تعالى وَلَا تَبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ. العاشر صوم قضاء مافات من شهر رمضان والنذر قال الله تعالى فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخْرٍ لِحَقِّهَا صَوْمٌ بِهَا صَوْمٌ كَفَّارَةٌ مِنْ أَفْطَرِ يَقْضِيهِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ بَعْدَ الزَّوَالِ فَإِنَّهُ أَيْضًا وَاجِبٌ. فأما بيان آية صوم شهر رمضان فقد مضى ونحن نبين الآن ما يتعلق بالوجوه الأخر من الصوم الواجب ونفرد لكل واحد فصلا مفردا إن شاء الله تعالى -قرآن- ١-١٩

الفصل الأول في الصوم الذي هو كفارة الظهار

قال تعالى الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِلَى قَوْلِهِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا. يقول فمن لم يجد الرقبة يعني عجز عنها فالصيام والتتابع فيه أن يوالى بين أيام الشهرين الهلالين أو يصوم ستين يوما وعند قوم إن بدأ من نصف شهر لا يفطر فيما بينهما فإن أفطر لالعذر استأنف فإن أفطر لعذر من مرض اختلفوا فمنهم قال يستأنف من عذر وغير عذر وقال قوم يبنى. وأجمعوا على أن المرأة إذا أفطرت للحيض في الشهرين المتتابعين في كفارة قتل الخطأ أنها تبنى فقاموا عليه المظاهر. وروى أصحابنا أنه إذا صام شهرا و من الثاني بعضه ولو يوما ثم أفطر لغير عذر فقد أخطأ إلا أنه يبنى فإن أفطر قبل ذلك بغير عذر استأنف وإن كان لعذر يبنى قال تعالى مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ثُمَّ قَالَ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا -قرآن- ١٣-٧٣-قرآن- ٨٥-١٥٦-قرآن- ٧١٩-٧٥٩-قرآن- ٧٦٩-٨١٤] صفحته ١٩٢ [

الفصل الثاني في صوم كفارة قتل الخطأ

قال الله تعالى وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً إِلَى قَوْلِهِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ يَعْنِي فَمَنْ لَمْ يَجِدِ الرقبة المؤمنة كفارة عن قتله المؤمن لإعساره فعليه صيام شهرين متتابعين. واختلفوا في معناه فقال قوم مثل ما قلناه ذهب إليه مجاهد وقال قوم فمن لم يجد الدية فعليه صوم الشهرين عن الرقبة والدية وتأويل الآية فمن لم يجد رقبة مؤمنة ولا دية يسلمها إلى أهلها فعليه صوم شهرين متتابعين ذهب إليه مسروق. والأول هو الصحيح لأن دية قتل الخطأ على العاقلة على ما ذكره في بابه والكفارة على القاتل بإجماع الأمة على ذلك. وصفة التتابع في الصوم أن يتابع الشهرين لا يفصل بينهما بإفطار يوم وقال أصحابنا إذا صام شهرا وزيادة ثم أفطر خطأ جاز له البناء كالتفصيل الذي ذكرناه في الفصل الأول. وقوله تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ أَي رَفَعَهُ مِنَ اللَّهِ لَكُمْ إِلَى التَّيْسِيرِ عَلَيْكُمْ بِتَخْفِيفِهِ عَنْكُمْ مِنْ فَرْضِ تَحْرِيرِ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ بِإِجَابِ صَوْمِ الشَّهْرَيْنِ الْمُتَتَابِعَيْنِ -قرآن- ١٩-٧٢-قرآن- ٨٤-١٥٠-قرآن- ٧٧٩-٧٩٧

الفصل الثالث في صوم كفارة اليمين

قال الله تعالى لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ إِلَى قَوْلِهِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ فحد من لم يكن بواجد هو من -قرآن- ١٩-٦٥-قرآن- ٧٧-١٥٨] صفحته ١٩٣ [ليس عنده ما يفضل عن قوته وقوت عياله يومه وليلته و

هو قول قتادة والشافعي أيضا فصوم هذه الثلاثة الأيام متتابع. فأما إذا قال القائل إذا فعلت كذا فله على أن أتصدق بمائة دينار أو أصوم يوم كذا فهذا عندنا نذر وعند أكثر الفقهاء يلزمه مائة دينار أو الصوم. وقال أبو على عليه كفارة يمين لقوله ذلك كفارة أيمانكم و هو عام في جميع الأيمان وعندنا هذا ليس بيمين بل هو نذر يلزمه الوفاء به لقوله أو فوا بالعقود ولقوله و ليوفوا نذورهم ولقوله يوفون بالنذر والوفاء بالنذر هو أن يفعل ما نذر عليه. والوفاء إمضاء العقد على الأمر الذي يدعو إليه العقد ومنه قوله يا أيها الذين آمنوا أو فوا بالعقود أى العقود الصحيحة لأنه لا يلزم أحدا أن يفي بعقد فاسد و كل عقد صحيح يجب الوفاء به -قرآن- ٣٠٣-٣٢٨-قرآن- ٤١٢-٤٣٠-قرآن- ٤٣٩-٤٦٠-قرآن- ٤٦٩-٤٨٦-قرآن- ٥٩١-٦٣٧

الفصل الرابع في صيام أذى حلق الرأس

قال الله تعالى فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففديته من صيام أو صدقة أو نسك. أمر الله تعالى أن لا يزيلوا شعور رؤسهم من أول ذى القعدة حتى ينتهي الهدى إلى المكان الذى يحل نحره فيه فمن مرض أو قمل رأسه أو تأذى به فعليه فدية من صيام فالذى رواه أصحابنا أن الصيام ثلاثة أيام أو صدقة ستة مساكين وروى عشرة مساكين والنسك شاء وروى عن كعب بن عجرة الأنصارى ومجاهد -قرآن- ١٩-١١٦ [صفحة ١٩٤] وعلقمه و ابراهيم والربيع واختار الجبائى مثل ما قلناه أن الصوم ثلاثة أيام و قال الحسن وعكرمة صوم عشرة أيام

الفصل الخامس في صوم دم المتعة

قال الله تعالى فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فمما استيسر رمى الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم. فالهدى واجب على المتمتع فإن لم يجد الهدى ولا ثمنه صام ثلاثة أيام في الحج وعندنا أن وقت صوم هذه الثلاثة الأيام يوم قبل التروية و يوم التروية و يوم عرفة فإن صام فى أول العشر جاز ذلك رخصة و إن صام يوم التروية و يوم عرفة قضى يوما آخر بعد التشريق فإن فاته يوم التروية فلا يصوم يوم عرفة لذلك بل يصوم بعد انقضاء أيام التشريق ثلاثة أيام متتابعات وصوم السبعة أيام إذ يرجع إلى أهله فأما أيام التشريق فلا يجوز صومها عندنا لمن كان بمنى وبمكة حاجا لصوم دم المتعة وغيره -قرآن- ١٩-١٦٥

الفصل السادس في صوم جزاء الصيد

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم إلى قوله أو عدل ذلك صياما. قيل فى معناه قولان -قرآن- ١٩-٨٣-قرآن- ٩٥-١١٧ [صفحة ١٩٥] أحدهما لا تقتلوا الصيد محرمن فمن صاد فعليه الجزاء أو الصدقة أو أن يقوم عدله من النعم ثم يجعل قيمته طعاما فى قول عطاء و هو مذهبنا. و قال قتادة يقوم نفس الصيد المقتول حيا ثم يجعل قيمته طعاما. ونصب صياما على التمييز و فى معناه قولان أحدهما يقوم ذلك المقتول بدراهم وتفض على الطعام ثم يصام لكل مد من الطعام يوم عن عطاء و قال غيره عن كل يوم مدين و هو مذهبنا و قال سعيد بن جبير يصوم ثلاثة أيام إلى عشرة أيام. و عن الزهرى فى قوله أو عدل ذلك صياما قال لى على بن الحسين ع أ وتدرى كيف كان عدل ذلك صياما فقلت لا قال يقوم الصيد قيمة ثم تفض تلك القيمة على البر ثم يكال ذلك البر أصواعا فيصوم لكل نصف صاع يوما -رواية- ١-٢-رواية- ١٦-٢٢٨. هذا إذا أصابه المحل فى الحرم

الفصل السابع في صوم النذر

قال الله تعالى وَ لِيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ وَ قَالَ أَوْفُوا بِالْعُقُودِ يُقَالُ فِي بَعْهَدِهِ وَأَوْفَى لُغَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ وَهِيَ لُغَةُ الْقُرْآنِ وَ قَدْ ذَكَرْنَا مَا فِي الْوَفَاءِ بِالنَّذْرِ. أَمَا الْعُقُودُ فَجَمْعُ الْعَقْدِ بِمَعْنَى الْمَعْقُودِ وَ هُوَ أَوْ كَدِ الْعَهْدِ. -قرآن- ١٩-٤٠-قرآن- ٤٨-٦٦ [صفحة ١٩٦] والفرق بين العهد والعقد أن العقد فيه معنى الاستيثاق والشد ولا يكون إلا بين متعاقدين والعهد قد ينفرد به الواحد فكل عهد عقد ولا يكون كل عقد عهدا خاطب الله تعالى المؤمنين وتقديره يأيها المؤمنون و هو اسم تعظيم وتكريم أوفوا بِالْعُقُودِ والأمر على الوجوب شرعا فعلى هذا من نذر صوم يوم بعينه فعليه الوفاء به واجبا. واختلفوا في هذه العهود على أربعة أقوال أحدها أن المراد بها العقود التي يتعاقد الناس بينهم ويعقدها المرء على نفسه كعقد الإيمان والنذور وعقد العهد وعقد البيع . وثانيها أنها العهود التي أخذها الله على العباد مما أحل وحرم . وثالثها أن المراد بها العهود التي كان أهل الجاهلية عاهد بعضهم بعضا على النصره والمؤازرة على من حاول ظلمه . ورابعها أن ذلك أمر من الله لأهل الكتاب قالوا فإنما أخذ به ميثاقهم من العمل بما في التوراة والإنجيل في تصديق نبينا . والأقوى أن يكون على العموم فإن ذلك بعرف الشرع يحمل على العموم والاستغراق وجوبا فيدخل تحته الصوم والصلاة والحج وغير ذلك -قرآن- ٢٣١-٢٤٩

الفصل الثامن في صوم الاعتكاف

قال الله تعالى وَ لَا تُبَاشِرُوا رُؤُوسَهُنَّ وَ أَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ. قيل في معناه قولان أحدهما أنه أراد به الجماع عن ابن عباس وغيره والثاني أنه أراد به الجماع و كل ما كان دونه من قبله وغيرها و هو مذهبننا. -قرآن- ١٩-٧٣ [صفحة ١٩٧] وقوله وَ أَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ فعندنا الاعتكاف هو اللبث في أحد المساجد الأربعة للعبادة من غير اشتغال بما يجوز تركه من أمور الدنيا و له شرائط مذكورة في كتب الفقه وأصله اللزوم . وقوله تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ أَي فَرَائِضُهُ وَالْحَدُّ مَتَهَى الشَّيْءِ. و لا يجوز الاعتكاف إلا بالصوم و به قال أبو حنيفة ومالك بن أنس ودلت الآية من فحواها على الصوم الواجب في الاعتكاف والدليل القاطع من القرآن قوله مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ إِنْ كَانَ عَلَى الْجُمْلَةِ. وعندنا لا يكون أقل من ثلاثة أيام و به قال أهل المدينة. وقيل إن هذه الآية من أولها أَجَلٌ لَكُمْ لِيَلْعَنَ الصَّيَّامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ نزلت في شأن أبي قيس بن صرمة و كان يعمل في أرض له فأراد الأكل فقالت امرأته نصلح لك شيئا فغلبت عيناه ثم قدمت إليه الطعام فلم يأكل فلما أصبح لاقى جهدا فأخبر رسول الله ص بذلك فنزلت الآية. وروى أن عمر أراد أن يواقع زوجته في شهر رمضان بالليل فقالت إني نمت فظن أنها تعتل عليه فوقع عليها ثم أخبر النبي ع من الغد فنزلت الآية فيهما. و عن الصادق ع أنها نزلت في خوات بن جبير بمثل قصة أبي قيس بن صرمة و كان ذلك يوم الخندق -قرآن- ٩-٤٢-قرآن- ٢٠١-٢٢٠-قرآن- ٤٠٦-٤٣٥-قرآن- ٥٤٧-٥٩٩ [صفحة ١٩٨]

الفصل التاسع في صوم قضاء ما فات من شهر رمضان لعذر

قال الله تعالى فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وتقديره فمن كان منكم في سفر يعنى مسافرا فليصم عدة من أيام أخر والأمر على الإيجاب في الشرع فعلم أن قضاء ما يفوت من شهر رمضان لعذر واجب يجوز متتابعاً ومتفرقاً والتتابع أفضل و به قال الشافعي ومالك و قال أهل العراق هو مخير. -قرآن- ١٩-٤٥ وروى عبدخير قال قلت لأبي الحسن أمير المؤمنين ع إن على أياما من شهر رمضان أفيجوز أن أقضيها متفرقة قال أقضها إن شئت متتابعه و إن شئت تترى قال فقلت إن بعضهم قال لا تجزى إلا متتابعه قال بل تجزى تترى

لأنه تعالى قال فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ و لو أرادها متتابعةً لبين المتتابع كما قال فَصِيحَةٌ مِنْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعِينَ فِي الْكُفَّارَةِ -رواية- ٢-١-
 رواية- ٢١-٣٤٥ . وقال المرتضى يخير أصحابنا للقاضي لصوم شهر رمضان إذافاته بين التفريق والمتابعة و لى فى ذلك تأمل والأقوى أن يلزمه متتابعة إذا لم يكن له عذر لأن الواجبات عندنا هى على الفور شرعا دون التراخي والقول بتخيره فى ذلك يدفع هذاالأصل فأما عندالعذر فلاخلاف أنه يجوز التفريق . ومعنى قوله تترى أى متواترة تقول العرب جاءت الخيل متتابعة إذاجاء بعضها فى أثر بعض بلا فصل وجاءت متواترة إذاتلاحقت وبينها فصل والعامه يوهمون فيقولون للمتتابع متواتر . و أماصيام النذر فإن كان الناذر نذر أن يصوم يوما بعينه فى سفر أو حضر ثم [صفحه ١٩٩] وافق ذلك اليوم أن يكون مسافرا فإنه يجب الصيام فى حال السفر فإن اتفق أن يكون ذلك اليوم يوم عيد أو يكون الناذر مريضا فعليه الإفطار والقضاء . و قدنص على قضاء مايفوت من صيام النذر لعذر رسول الله ص تفصيلا ونص عليه القرآن جملة كما قال تعالى ما آتاكم الرسول فخذوه - قرآن- ٢٤٠-٢٨٩

الفصل العاشر فى صيام شهرين متتابعين على من أفطر يوما من شهر رمضان متعمدا

من أفطر فى شهر رمضان متعمدا بالجماع فى الفرج لزمه القضاء والكفارة عندنا والكفارة عتق رقبة أوصيام شهرين متتابعين أوإطعام ستين مسكينا و عليه إجماع الطائفة المحقة . والدليل عليه على سبيل التفصيل إنما يكون من السنة و من القرآن إنما يكون على الجملة قال تعالى وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ و قدبينها رسول الله ص . و قال مالك هو بالخيار فى ذلك واعتمد الشيخ فى الجمل والعقود على هذه الرواية و قال فى غير موضع الكفارة و فيه عتق رقبة فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا و به قال أبوحنيفة والشافعى وعول على هذه الرواية و قال و من أصحابنا من قال بالأول . فمن أكل أو شرب أو جامع فى نهار شهر رمضان متعمدا لزمه القضاء والكفارة عندنا ومتى فعل شيئا منها ناسيا فلا شىء عليه و كذلك حكم من فعل شيئا منها فى يوم قدنذر صومه عمد كعمده ونسيانه كنسيانه -قرآن- ٢٧٤-٣٣٩ [صفحه ٢٠٠]

باب مسائل شتى من ذلك

إشارة

من صام فى السفر واجبا يجب عليه الإعادة غيرالنذر المقيد صومه بالسفر و غيرالثلاثة الأيام فى الحج بدل هدى المتعة . والحجة لقولنا زائدا على الإجماع المكرر قوله فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ فأوجب الله القضاء بنفس السفر . فإن قيل فيجب أن تقولوا مثل ذلك فى قوله فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أذىٌ مِنْ رَأْسِهِ وَ لَا تَضْمُرُوا فَحَلَقَ . قلنا هكذا يقتضى الظاهر و لوخلىنا وإياه لم نضم شيئا لكن أضمرناه بالإجماع و لادليل و لا إجماع نقطع به فى الموضوع الذى اختلفنا فيه والشىء إذاتكرر تقرر . و من تمضمض لطهارة فوصل الماء إلى جوفه لا شىء عليه من قضاء و لاغيره و إن وصل لغير طهارة من تبرد أوغيره ففيه القضاء خاصة . ويمكن أن تتعلق للحجة فى الأول بعدالإجماع المتردد بقوله ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ وَ كُلِّ الْحَرَجِ أَنْ يَأْمُرَنَا بِالْمُضْمَضَةِ فى الطهارة ثم يلزمنا القضاء إذاسبق الماء إلى أجوفنا من غيراعتماد فى حال الصوم و لايلزم على ذلك التبرد بالمضمضة لأنه مكروه فى الصوم والامتناع منه أولى . و قدكره بعض أصحابنا أن يتمضمض فى الطهارة فى الصوم الفرض و قال من تمضمض فيها فينبغى أن يرمى بماء الفم بعده ثلاث مرات . -قرآن- ١٦٥-٢٣٤-قرآن- ٣١١-٣٦٣-قرآن- ٧٢٩-٧٦٩ [صفحه

فصل

قال الله تعالى أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ. الرفث الجماع هاهنا بلا خلاف وروى عنهما كراهية الجماع في أول كل شهر إلا أول ليلة من شهر رمضان لمكان الآية. ويمكن أن يقال الوجه في ذلك تكسير الشهوة لسائر الشهر وإرضاء النفس اللوامة. والأشبه أن يكون المراد بليلة الصيام ليالي الشهر كله وإنما ذكر بلفظ التوحيد لأنه اسم جنس دل على الكثير. وقوله تعالى عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ معناه أنهم كانوا لما حرم عليهم الجماع في شهر رمضان بعد النوم خالفوا في ذلك فذكروهم الله بالنعمة في الرخصة التي نسخت تلك الفريضة. فإن قيل أليس الخيانة انتقاص الحق عن جهة المساترة فكيف يسائر الإنسان نفسه. قلنا عنه جوابان أحدهما أن بعضهم كان يسائر بعضا فيه فصار كأنه يسائر نفسه لأن ضرر النقص والمساترة داخل عليه والثاني أنه يعمل عمل المساترة له فهو يعمل لنفسه عمل الخائن له . -قرآن- ١٩-٧١-قرآن- ٣٩٤-٤٤٣ [صفحة ٢٠٢] وقوله تعالى وَ عَفَا عَنْكُمْ أَى أزال تحريم ذلك عنكم و ذلك عفو عن تحريمه عنهم فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ أَى جامعوهن ومعناه الإباحة دون الأمر وَ ابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ فى معناه قولان أحدهما قال الحسن يعنى طلب الولد والثانى قال قتادة يعنى الحلال الذى بينه الله فى كتابه بقوله كُلُوا وَ اشْرَبُوا إِباحةً للأكل والشرب حتى يظهر بياض الفجر من سواد الليل وقيل خيط الفجر الثانى مما كان فى موضعه من الظلام وقيل النهار من الليل فأول النهار طلوع الفجر الثانى لأنه أوسع ضياء. وقوله تعالى مِنَ الْفَجْرِ يَحْتَمِلُ مِنْ مَعْنِينَ التبعيض لأن المعنى بعض الفجر وليس الفجر كله أو التبيين أى حتى يتبين الخيط الأبيض الذى هو الفجر. -قرآن- ١٦-٢٩-قرآن- ٨٣-١٠٢-قرآن- ١٤٢-١٧٥-قرآن- ٢٩٥-٣١٢-قرآن- ٥١٢-٥٢٣

فصل

وقوله ثُمَّ أَتَمَّوْا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ والليل هو بعد غروب الشمس وعلامة دخوله على الاستظهار سقوط الحمرة من جانب المشرق وإقبال السواد منه وإلا فإذا غابت الشمس مع ظهور الآفاق فى الأرض المبسوطة وعدم الجبال والروابي فقد دخل الليل . وقوله وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا يمكن أن يقال هو أمر على الوجوب يتناول ما هو قوام البدن وأمر على الاستحباب بأكل السحور فإنه عون على الصوم وخلاف على اليهود واقتداء بالرسول -قرآن- ٩-٤٤-قرآن- ٢٥٦-٢٧٦ فإنه ع قال يستحب السحور ولو شربه من ماء وأفضله التمر -رواية- ١-٢-رواية- ١٦-٦١ وروى أن عدى بن حاتم قال للنبي ع إني وضعت خيطين من شعر أبيض وأسود فكنت أنظر فيهما فلا يتبينان لى فضحك رسول الله ع -رواية- ١-٢-رواية- ٩-٩-ادامه دارد [صفحة ٢٠٣] حتى رثى نواجذه وقال يا ابن حاتم إنما ذلك بياض النهار وسواد الليل فابتدئ الصوم من هذا الوقت -رواية- از قبل- ١٠٤ . وقد بين سبحانه الانتهاء أيضا بقوله ثُمَّ أَتَمَّوْا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ أى من وقت طلوع الفجر الثانى وهو الفجر الصادق المستطير المعترض الذى يأخذ الأفق ويجب عنده الصلاة إلى وقت دخول الليل على ما حددهنا . -قرآن- ٤٠-٧٥

فصل

وقوله تعالى لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ. قيل معناه لتبلون بالعبادات في أنفسكم كالصلاة والصيام وغيرهما وفي أموالكم من الزكوات والأخماس والإنفاق في سبيل الله لتمييز المطيع من العاصي. ويقال لشهر رمضان شهر الصبر لصبر صائمه عن الطعام والشراب نهارا وصبره إياهم عن المأكول والمشروب أي كفه إياهم وجسه لهم عن ذلك قال تعالى وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ أَي بالصوم والصلاة و هو خطاب لجميع من هو بشرائط التكليف لفقد الدلالة على التخصيص واقتضاء العموم لذلك والصبر هو منع النفس عن محابها وكفها عن هواها وكان النبي ع إذا أحزنه أمر استعان بالصبر والصلاة. واعلم أن من تحرى الفجر فلم يره فتسحر ثم علم بعد ذلك أنه كان طالعا لم يكن عليه قضاء بدلالة قوله ما جعل عليكم في الدين من حرج إذا كان الصوم فرضا كشهر رمضان فأما إن كان قضاء لشهر رمضان أو نافلة فلا يصح صوم ذلك اليوم . -قرآن- ١٦-٥٥-قرآن- ٣٦١-٣٩٦-قرآن- ٧٠٩-٧٤٩ [صفحہ ٢٠٤] وقوله لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وإن لم يكن تحرى الفجر وأقدم على التسحر قبل تحريه وقد طلع الفجر حينئذ وجب عليه القضاء لما كان منه من تفریطه في فرض الصيام . -قرآن- ٩-٤٧

فصل

وقد جرى ذكر النسخ في المسح على الخفين بسورة المائدة ونسخ القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة وكذا في آية الصوم ذكرنا دليلا على جوازه وقال تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها. فالنسخ حقيقته كل دليل شرعي دل على أن مثل الحكم الثابت بالنص الأول غير ثابت فيما بعد على وجه لولاه لكان ثابتا بالنص الأول مع تراخيه عنه . والنسخ في الشرع على ثلاثة أقسام نسخ الحكم دون اللفظ ونسخ اللفظ دون الحكم ونسخهما معا. فالأول كقوله يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين فكان الفرض الأول وجوب ثبوت الواحد للعشرة فنسخ بثبوت الواحد للثنتين فحكم الآية الأولى منسوخ وتلاوتها ثابتة ونحوها آية العدة والفدية وغير ذلك . والثاني كآية الرجم فقد روى أنها كانت منزلة الشيخ والشيخة إذازنيا -قرآن- ١٥٣-٢٠٣-قرآن- ٤٦٧-٧٨٨ [صفحہ ٢٠٥] فارجموهما البتة فإنهما قضيا الشهوة جزاء بما كسبا نكالا- من الله والله عزيز حكيم فرفع لفظها وبقي حكمها. والثالث ما هو مجوز ولم يقطع بأنه كان وقد روى عن أبي بكر أنه قال كنا نقرأ لاترغبوا عن آباءكم فهو كفر -رواية- ١-٢-رواية- ٣٤-٧١ . واعلم أن سبيل النسخ سبيل سائر ما تعبد الله به وشرعه على حسب ما يعلم من المصلحة فيه فإذا زال الوقت الذي تكون المصلحة مقرونه به زال بزواله وذلك مشروط بما في المعلوم من المصلحة به وهذا كاف في إبطال قول من أبي النسخ . ومعنى الآية ما تبدل من آية أو تركها أو توخاها نأت بخير منها لكم في التسهيل كالأمر بالقتال أو مثلها كالتوجه إلى القبلة

باب الزيادات

إشارة

سأل هشام بن الحكم أبا عبد الله ع عن علة الصيام فقال إنما فرض الله الصيام ليستوى به الغنى والفقير وذلك أن الغنى لم يكن ليجد مس الجوع فيرحم الفقير لأن الغنى كلما أراد شيئا قدر عليه فأراد الله أن يسوى بين خلقه وأن يذيق الغنى مس الجوع ليرق

مسألة

من قرأ فِدْيَةَ طَعَامٍ مِسْكِينٍ فطعام مسكين عطف بيان لقوله فدية و من -قرآن- ٨-٣٠ [صفحہ ٢٠٦] أضاف الفدية إلى طعام فهو كإضافة البعض إلى ما هو بعض له فإنه سمي الطعام الذي يفدى به فدية ثم أضاف الفدية إلى الطعام الذي يعم الفدية وغيرها و هذا قولهم خاتم حديد.

مسألة

و قوله فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ أى فعلية عدة ارتفاعه على الابتداء ويجوز أن يكون خبر ابتداء أى فالذى ينويه عدة من أيام أخر. فإن قيل كيف قيل فعدة على التنكير و لم يقل فعدتها. قلنا لما قيل فعدة فالعدة بمعنى المعدود فأمر بأن يصوم أياما معدودة فكأنها إن أفطر بعض الشهر فبعضه و إن أفطر الكل فالكل . واختلفوا فى العدة من الأيام الأخر فقال الحسن هى على التضييق إذ ابرأ المريض أو قدم المسافر وعندنا موقت فيما بين رمضانين فإن فرط فعلى ما ذكرناه . -قرآن- ٩-٣٥

مسألة

عن أبى عبد الله ع فى قوله وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهِ فِدْيَةٌ قَالَ من مرض فى شهر رمضان فأفطر ثم صح و لم يقض ما فاتة متوانيا حتى جاء شهر رمضان آخر فعليه أن يتصدق لكل يوم بمد من طعام و أن يقضى بعده -رواية- ١-٢-رواية- ٢٥-٢١٩

مسألة

و قوله تعالى فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ عن الصادق ع لم يكن رسول الله ص يصوم فى السفر تطوعا -رواية- ١-٢-رواية- ٣-ادامه دارد [صفحہ ٢٠٧] و لافريضة منذ نزلت هذه الآية بكراع الغميم عند صلاة الهجير فدعا رسول الله ص بإناء فشرب وأمر الناس أن يفطروا فقال قوم لو تمنا يومنا هذا فاسماهم النبى ع العصاة فلم يزالوا يسمون بذلك الاسم حتى قبض ع -رواية- از قبل -٢١١

مسألة

و قوله أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ أى أنزل فى فرضه وإيجاب صومه على الخلق القرآن فيكون فيه بمعنى فى فرضه كما يقول القائل أنزل الله فى الزكاة كذا يريد فى فرضها و قد ذكرنا له معنى آخر والمراد بالهدى الأولى الهداية من الضلالة وبالهدى الثانية بيان الحلال والحرام . -قرآن- ٩-٣٠ و عن أبى عبد الله ع القرآن جملة الكتاب والفرقان المحكم الذى يجب العمل بظاهره -رواية-

مسألة

وقوله فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصِّمْهُ الْآلِفَ وَاللَّامَ فِي الشَّهْرِ لِلْعَهْدِ وَالْمُرَادُ بِهِ شَهْرُ رَمَضَانَ وَيَتَنَصَّبُ عَلَيَّ أَنَّهُ ظَرْفٌ لَا عَلَيَّ أَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مَفْعُولًا - بِهِ لِلزَّمِّ صَوْمَهُ الْمَسَافِرُ كَمَا يَلْزَمُ الْمَقِيمَ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْمَسَافِرَ يَشْهَدُ الشَّهْرَ - قرآن-٩-٤٧ [صفحہ ٢٠٨] كما يشهد المقيم فلما لم يلزم المسافر علمنا أن معناه فمن شهد منكم المصر في الشهر فليصمه أي فليصم جميعه ولا يكون الشهر مفعولا به . فإن قيل كيف جاء ضميره متصلا في قوله فَلْيَصِّمْهُ إِذَا لَمْ يَكُنِ الشَّهْرُ مَفْعُولًا بِهِ . قلنا قد حذف منه المضاف على ما ذكرنا . وقيل إن الاتساع وقع فيه بعد أن استعمل ظرفا على ما تقدم بيان أمثاله في مواضع . - قرآن-١٨٠-١٨٩

مسألة

وقوله وَتُكْمَلُوا الْعِدَّةَ اللَّامَ فِيهِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلأَمْرِ كَقِرَاءَةٍ مِنْ قَرَأَ فَبِذَلِكَ فَلتَفْرَحُوا بِالتَّاءِ وَإِنَّمَا أورد اللَّامَ فِي أَمْرِ الْمُخَاطَبِ هُنَا إِشْعَارًا أَنَّ النَّبِيَّ عَ وَأُمَّتَهُ الْحَاضِرِينَ وَالْغَائِبِينَ دَاخِلُونَ تَحْتَ هَذَا الْخَطَابِ . - قرآن-٩-٣١ [صفحہ ٢٠٩]

مسألة

وقوله تَعَالَى يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ إِشَارَةً إِلَى جَوَازِ غَيْرِ التَّابِعِ فِي قِضَاءِ تِلْكَ الْعِدَّةِ وَإِنْ كَانَتْ شَهْرًا أَوْ أَيَّامًا إِلَّا أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ قِضَائِهَا جَمِيعًا . - قرآن-١٦-٤٤

مسألة

وقوله تَعَالَى وَتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ الْمُرَادُ بِهِ تَكْبِيرُ لَيْلَةِ الْفِطْرِ وَيَوْمَهُ عَقِيبَ أَرْبَعِ صَلَوَاتِ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ وَالغَدَاةِ وَصَلَاةِ الْعِيدِ عَلَى مَذْهَبِنَا . - قرآن-١٦-٥٣

مسألة

وقوله تَعَالَى حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ يُسْأَلُ فَيَقَالُ لَمْ يَزِدْ قَوْلُهُ مِنَ الْفَجْرِ وَهَلَا اخْتَصَرَ بِهِ عَلَى الْإِسْتِعَارَةِ قَلْنَا لِأَنَّ مِنْ شَرْطِ الْمُسْتَعَارِ أَنْ يَدُلَّ عَلَيْهِ الْحَالُ أَوِ الْكَلَامُ وَ لَوْ لَمْ يَذْكَرْ مِنَ الْفَجْرِ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الْخَيْطَيْنِ مُسْتَعَارَانِ فَيَزِيدُ مِنَ الْفَجْرِ فَكَانَ تَشْبِيهًا بَلِيغًا عَلَى أَنْ مَعَ هَذَا الْبَيَانِ التَّبَسُّعُ عَلَى الْعَرَبِيِّ الْفَصِيحِ مِثْلَ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ . - قرآن-١٦-٩٢-قرآن-١١٨-١٢٩- قرآن-٢٢٨-٢٣٩-قرآن-٢٧٦-٢٨٧

أما قوله كما كُتِبَ عَلَى الْعَذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ فَقَدْ روى عن أمير المؤمنين ع أولهم آدم ع -رواية- ١-٢-رواية- ٣-٩٧. يعنى أن الصوم عبادة قديمة ما أخلقى الله نبياً ولا أمة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون والمعاصى لأن الصائم أظلم لنفسه والمعنى -قرآن- ٩٨-١١٦ [صفحة ٢١٠] كتب عليكم كما كتب عليهم أن تتقوا المفطر بعد أن تصلوا العشاء و بعد أن تناموا ثم نسخ ذلك بقوله أُجِّلْ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيِّامِ الرَّفْتِ إِلَى نِسَائِكُمْ. ومعنى معدوداً بموتقات بعدد معلوم أو قلائل كقوله دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ و الله أعلم -قرآن- ٩٩-١٥١-قرآن- ١٦٠-١٦٩-قرآن- ٢٠٥-٢٢٣ [صفحة ٢١١]

كتاب الزكاة وجميع العبادات المالية

باب فى وجوب الزكاة

إشارة

قال الله تعالى وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ أَطِيعُوا الرُّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ. أمر الله تعالى فى هذه الآية جميع المكلفين بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة اللتين أوجبهما عليهم و أن يطيعوا الرسول فى كل ما يأمرهم به و يدعواهم إليه ليرحموا جزاء على ذلك و يثابوا بالنعم الجزيلة فالفرض التالى لفرض الصلاة فى محكم التنزيل هو الزكاة فلا بد من معرفته و تحصيله إذ كان فى الجهل به جهل أصل الشريعة يكفر المنكر له برده و يؤمن بالإقرار به لعموم تكليفه و عدم سقوطه عن بعض البالغين لالعذر. و فى قوله وَ آتُوا الزَّكَاةَ فى آى كثيرة و مواضع متفرقة فى كتاب الله دلالة -قرآن- ١٩-١٠١-قرآن- ٥٣٠-٥٤٦ [صفحة ٢١٢] قاطعة على أنها واجبة لأن ما رغب الله فيه فقد أراده و كل ما أراده من العبد و أمر به فى الشرع فهو واجب إلا أن يقوم دليل على أنه نفل و قيل الاحتياط يقتضى الوجوب . وسمى بالزكاة ما يجب إخراجها من المال لأنه نماء لما يبقى و تثمير له و قيل بل هو مدح لما يبقى بعد الزكاة فإنه زكى به أى مطهر كما قال أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً أى طاهرة. و قوله فى أول البقرة وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ عن ابن عباس أنه الزكاة المفروضة تؤتيها احتساباً و قال الضحاك هو التطوع بالنفقة فيما قرب من الله تعالى و الأولى حمل الآية على عمومها فيمن أخرج الزكاة الواجبة و النفقات الواجبة و تطوع بالخيرات . -قرآن- ٣١٠-٣٣٥-قرآن- ٣٦٩-٣٩٨

فصل

قال الله تعالى وَ ما مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَّلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ. و قال أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ. هذه الآية نزلت فى ناس من الصحابة استأذنوا النبى ع فى قتال المشركين منهم عبد الرحمن بن عوف وهم بمكة فلم يأذن لهم فلما كتب عليهم القتال وهم بالمدينة قال فريق منهم ما حكاها الله فى الآية. -قرآن- ١٩-٩٦-قرآن- ١٠٥-٢٠٠ [صفحة ٢١٣] فإن قيل كيف يصح ذلك و لم أمرهم الله بإيتاء الزكاة و لم تكن الزكاة فرضت بمكة. قلنا إنما قال الله ذلك و أمر بها على وجه الاستحباب و الندب دون الزكاة المقدره على وجه مخصوص . و قيل الآية نزلت فى اليهود نهى الله هذه الأمة أن يصنعوا مثل صنيعهم . على أن العقل دال على حسن الإحسان و الإنفاق فجاز أن يعلم الكافر حسنه غير أنه و إن علم ذلك لا يقع

منه على وجه طاعة لأنه لو أوقعها على ذلك الوجه لا يستحق الثواب و هذا لا يجوز فبين الله في الآية الأولى أنه لا يثيب من فعل الخيرات إذا كان كافرا.

فصل

وقوله لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولَّوْا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ إِلَى قَوْلِهِ وَ آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوَى الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ السَّائِلِينَ وَ فِي الرِّقَابِ وَ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ. لا خلاف أن هذه الآية تدل على وجوب إعطاء الزكاة وتدل أيضا في قول الشعبي والجبائي على وجوب غيره مما له سبب وجوب كالإنفاق على من يجب عليه نفقته و على من يجب عليه سد رمقه إذاخاف التلف و على ما يلزمه من النذر والكفارات ويدخل أيضا فيها ما يخرج الإنسان على وجه التطوع والقربة إليه تعالى لأن ذلك كله من البر. ومعنى قوله لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولَّوْا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ أَى لَيْسَ السَّدِيدُ وَالْخَيْرُ الصَّلَاةَ وَحَدَهَا لَكِنَّ الصَّلَاةَ مَعَ الْعِبَادَاتِ الْآخَرَ الْمَذْكُورَةَ. -قرآن- ٩-٦١-قرآن-٧٣-٢٢٦-قرآن-٥٧٢-٦٣٧ [صفحة ٢١٤] عن ابن عباس قال فإن قيل قوله وَ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ وَ آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوَى الْقُرْبَى كَرَّرَ وَ لَيْسَ زِيَادَةٌ فَائِدَةٌ. قلنا إنما قال تعالى وَ آتَى الزَّكَاةَ وَ قَدْ تَضَمَّنَ قَوْلُهُ وَ آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوَى الْقُرْبَى بِتَسَاءُلِ الزَّكَاةِ وَ تَنْبِيهِهَا عَلَى أَنَّهَا تَالِيَةٌ لِلصَّلَاةِ فَجَمَعَ بَيْنَهُمَا فِي الذِّكْرِ كَمَا يَجِبَانِ عَلَى حُدِّ وَاحِدٍ. وقيل إن قوله وَ آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوَى الْقُرْبَى لَيْسَ يَتَنَاوَلُ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى وَجُوبِ الزَّكَاةِ قَوْلُهُ وَ آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ عَلَى الْإِنْفَاقِ عَلَى أَوْلَادِكَ إِذَا عَرَفَ مِنْهُمْ شِدَّةَ الْحَاجَةِ وَ لَا يَخْرُجُهُ ذَلِكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ وَاجِبًا كَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ النِّفَقَاتُ فِي أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَرَتَّبَ اللَّهُ هَذَا التَّرْتِيبَ لِتَقْدِيمِ الْأُولَى فَالْأُولَى . -قرآن- ٣٥-٦٩-قرآن-٨٧-١٢٧-قرآن-١٧٦-١٩١-قرآن-٢٠٨-٢٤٨-قرآن-٣٧١-٤١١-قرآن-٤٨٨-٥٠٣-قرآن-٥٢١-٥٤٦

فصل

فإن قيل كيف قال الله لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَالْفَقِيرَ لَا تَجِبُ عَلَيْهِ الصَّدَقَةُ وَ إِنْ لَمْ يَنْفِقْ فَإِنَّهُ غَيْرُ مَخَاطَبٍ بِهِ. قلنا الكلام خرج مخرج الحث على الصدقة إلا أنه على ما يصح ويجوز من إمكان النفقة فهو مقيد في الجملة بذلك إلا أنه أطلق الكلام به للمبالغة في الترغيب فيه و قال الحسن هو الزكاة الواجبة و ما فرض الله في الأموال خاصة. والأولى أن تحمل الآية على الخصوص بأن نقول هي متوجهة إلى من يجب عليه إخراج شيء أوجبه الله عليه دون من لم تجب عليه و يكون ذلك أيضا مشروطا بأن لا يعفو الله عنه أو نقول لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ الْكَامِلَ الْوَاقِعَ عَلَى أَشْرَفِ الْوُجُوهِ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ. -قرآن- ٢٦-٧٦-قرآن-٥٤٦-٥٦٤-قرآن-٥٩٨-٦٢٨ [صفحة ٢١٥] وقيل في معنى البر إنه الجنة وقيل إنه البر من الله بالشواب والجنة وقيل البر فعل الخير الذي يستحقون به الأجر. فإذا ثبت وجوب الزكاة فاعلم أنه يحتاج فيها إلى معرفة خمسة أشياء ماتجب فيه و من تجب عليه ومقدار ماتجب فيه ومتى تجب و من المستحق لها ويدخل في القسم الأخير مقدار ما يعطى . والطريق إلى معرفتها الكتاب والسنة جملة وتفصيلا ونحن نشير إليها في أبواب إن شاء الله تعالى

الباب الأول فيما تجب فيه الزكاة وكيفيتها و ما تستحب فيه الزكاة

الزكاة عندنا لا تجب إلا في تسعة أشياء بينها رسول الله ص والدليل عليه من القرآن قوله تعالى ما آتاكم الرسول فخذوه وقال و
 أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم. وهي الأنعام والأثمان والغلات والثمار و ماعداها من الحبوب تستحب فيه الزكاة. -
 قرآن- ٩٨-١٢٧-قرآن-١٣٥-٢٠٠

فصل

و الذى يدل على صحته زائدا على إجماع الطائفة قوله تعالى و لا يسئلكم أموالكم والمعنى أنه لا يوجب فى أموالكم حقوقا لأنه
 تعالى لا يسألنا أموالنا إلا على هذا الوجه . و هذا الظاهر يمنع من وجوب حق فى الأموال مما أخرجناه فهو بالدليل -قرآن- ٦١-٨٦
 [صفحہ ٢١٦] القاطع و ماعداه باق تحت الظاهر فإن تعلق المخالف بقوله و آتوا حقه يوم حصاده و أنه عام فى جميع الزروع
 وغيرها مما ذكر فى الآية. فالجواب عنه أنا لانسلم أن قوله و آتوا حقه يتناول العشر ونصف العشر المأخوذ على سبيل الزكاة فمن
 ادعى تناوله لذلك فعليه الدلالة. و عند أصحابنا أن ذلك يتناول ما يعطى المسكين والفقير المجتاز وقت الحصاد والجذاذ من
 الجفنة والضغث فقد روى ذلك عن الأئمة ع فمنه -قرآن- ٦٢-٩١-قرآن- ١٨٠-١٩٤ ماروى عن أبى جعفر ع فى قوله و آتوا حقه
 يوم حصاده قال ليس ذاك الزكاة ألا ترى أنه قال و لا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين -رواية- ١-٢-رواية- ٢٧-١٥٣ . و هذه
 نكتة منه ع مليحة لأن النهى عن السرف لا يكون إلا فيما ليس بمقدر والزكاة مقدره و ليس لأحد أن يقول إن الإسراف هاهنا هو
 أن يعطى غير المستحق لأن ذلك مجاز و لا يجوز ترك الظاهر الذى هو الحقيقة والخروج إلى المجاز إلا بدليل و لا دليل هاهنا.
 و روى عن أبى عبد الله ع أنه قيل له يا ابن رسول الله و ما حقه قال يناول منه المسكين والسائل -رواية- ١-٢-رواية- ٣١-١٠٧ .
 والأحاديث بذلك كثيرة و يكفى احتمال اللفظ و إن كان يقوى هذا التأويل أن الآية تقتضى أن يكون العطاء فى وقت الحصاد
 والعشر المفروض أو نصفه فى [صفحہ ٢١٧] الزكاة لا يمكن فى تلك الحال لأن العشر أو نصفه مكيل و لا يؤخذ إلا من المكيل و
 فى وقت الحصاد لا يكون مكيلا و لا يمكن كيلا و إنما يكال بعد تدريته و تصفيته فتعلق العطاء بتلك الحال لا يمكن إلا بما ذكرناه
 . و يقوى هذا التأويل ماروى عن النبى ع من النهى عن الحصاد والجذاذ بالليل و إنما نهى عن ذلك لما فيه من حرمان المساكين
 ما ينبذ إليهم من ذلك ألا ترى إلى قوله تعالى إذ أقسموا ليصرمونها مصحين و لا يستنون. و ما يقوله قوم فى قوله و آتوا حقه يوم
 حصاده من أنها مجملة و لا دليل فيها فليس بصحيح لأن الإجمال هو مقدار الواجب لا الموجب فيه . -قرآن- ٣٨٥-٤٤٠-قرآن-
 ٤٦٨-٤٩٧

فصل

فإن قيل فى قوله و آتوا حقه يوم حصاده قد سماه الله تعالى حقا و ذلك لا يلىق إلا بالواجب . قلنا قد يطلق اسم الحق على الواجب
 والمندوب إليه ألا ترى إلى -قرآن- ٢٠-٤٩ ماروى عن جابر أن رجلا قال لرسول الله ص وهل على حق فى إبلى سوى الزكاة
 قال نعم تحمل عليها وتسقى من لبنها -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-١١٨ . فإن قالوا فظاهر قوله و آتوا حقه يقتضى الوجوب و
 ما ذكرتموه ليس بواجب . قلنا إذا سلمنا أن ظاهر الأمر شرعا على الوجوب أو الإيجاب كان لنا من الكلام طريقان -قرآن- ٢٤-٣٨]
 صفحہ ٢١٨ [أحدهما أن نقول إن ترك ظاهر من الكلام ليسلم ظاهر آخر له كترك ظاهر ذاك ليسلم هذا و أنتم إذا حملتم الأمر
 على الوجوب هاهنا تركتم تعلق العطاء بوقت الحصاد ونحن إذا حملنا الأمر على الندب سلم لنا ظاهر تعلق العطاء بوقت الحصاد و

ليس أحد هذين الأمرين إلا كصاحبه وأنتم المستدلون بالآية فخرجت من أن تكون دليلا لكم . والطريق الآخر أنا لوقلنا بوجوب هذا العطاء في وقت الحصاد فإن لم يكن مقدرا بل موكولا إلى اختيار المعطى لم نقل بعيدا من الصواب . فإن تعلق مخالفنا بقوله تعالى أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ أَنْ الْمَرَادُ بِالنَّفَقَةِ هَاهُنَا الصَّدَقَةُ بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى وَالْمَدِينِ يَكْتَبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَعْنِي لَا يَخْرُجُونَ زَكَاتِهَا. فالجواب عن ذلك أن اسم النفقة لا يجرى على الزكاة إلا مجازا ولا يعقل من إطلاق لفظ الإنفاق إلا ما كان من المباحات و ما جرى مجراها ثم لو سلمنا ظاهر العموم لجاز تخصيصه ببعض الأدلة التي ذكرناها. -قرآن- ٤٩١-٥٤١-قرآن- ٤١٣-٤٩٣

فصل

وقوله تعالى خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْمَالِكِينَ النَّصَابِ الْإِبِلِ إِذَا بَلَغَتْ خَمْسًا وَالْبَقَرِ إِذَا بَلَغَتْ ثَلَاثِينَ وَالْغَنَمِ إِذَا بَلَغَتْ أَرْبَعِينَ وَالْوَرَقِ إِذَا بَلَغَتْ مَائَتِينَ -قرآن- ١٦-٩٠ [صفحة ٢١٩] والذهب إذا بلغ عشرين مثقالا والغلات والثمار إذا بلغت خمسة أوسق تطهيرا لهم بها من ذنوبهم ووجب على الأمة حملها إليه لفرضه عليها طاعته ونهيه لها عن خلافه والإمام قائم مقام النبي ص فيما فرض عليه من إقامة الحدود والأحكام لأنه مخاطب في ذلك بخطابه . و قوله خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ عَلَى أَنْ يَأْخُذَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ جَمْعُهُ وَ لَوْ قَالَ خُذْ مِنْ مَالِهِمْ لَأَفَادَ وَ جُوبُ الْأَخْذِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ مُتَّفَقٌ وَ مِنْ دَخَلَتْ لِلتَّبْعِيضِ فَكَأَنَّهُ قَالَ خُذْ بَعْضَ مُخْتَلَفِ الْأَمْوَالِ . وَظَاهِرُ الْآيَةِ لِمَا ذَكَرْنَا لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ لِأَنَّهُ لَوْ أَخْذَ مِنْ صِنْفٍ وَاحِدٍ لَكَانَ قَدْ أَخْذَ بَعْضَ الْأَمْوَالِ وَإِنَّمَا يَعْلَمُ ذَلِكَ بِدَلِيلٍ آخَرَ. وَ الصَّدَقَةُ عَطِيَّةٌ مَا لَهَا قِيمَةٌ فِي الشَّرْعِ لِلْفَقِيرِ وَذِي الْحَاجَةِ وَالْبَرِّ عَطِيَّةٌ لِاجْتِلَابِ الْمُوَدَّةِ وَمِثْلُهُ الصَّلَاةُ. وَإِنَّمَا ارْتَفَعَتْ تُطَهِّرُهُمْ لِأَنَّهَا إِذَا بَلَغَتْ أَمْوَالَهُمْ لَكَانَتْ لَكَ تَطَهَّرَتْ وَتَكَوَّنَ التَّاءُ لِلتَّائِيثِ وَ قَوْلُهُ بِهَا تَبْيِينٌ لَهُ وَالتَّقْدِيرُ صَدَقَةٌ مُطَهَّرَةٌ وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ التَّاءُ لِخُطَابِ النَّبِيِّ ع وَالتَّقْدِيرُ فَإِنَّكَ تَطَهَّرْتُمْ بِهَا وَ هُوَ أَيْضًا صِفَةُ الصَّدَقَةِ إِلَّا- أَنَّهُ اجْتَرَأَ بِذِكْرِهَا فِي الثَّانِي عَنْ الْأَوَّلِ . وَقِيلَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى الْإِسْتِنَافِ وَحَمَلَهُ عَلَى الْإِتِّصَالِ أَوَّلِي . وَقِيلَ فِي هَذِهِ الصَّدَقَةِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا قَالَهُ الْحَسَنُ إِنَّهَا كَفَّارَةٌ لِلذَّنُوبِ الَّتِي أَصَابَهَا وَقَالَ غَيْرُهُ هِيَ الزَّكَاةُ الْوَاجِبَةُ. وَأَصْلُ التَّطَهُّيرِ إِزَالَةُ النَّجَسِ فَالْمَرَادُ هَاهُنَا إِزَالَةُ نَجَسِ الذَّنُوبِ عَلَى -قرآن- ٢٧٣-٢٩٠-قرآن- ٧١٥-٧٢٥-قرآن- ٧٩١-٧٩٤ [صفحة ٢٢٠] الْمَجَازِ وَالْإِسْتِعَارَةِ. وَ قَوْلُهُ وَصَلَّ عَلَيْهِمْ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ ع أَنْ يَدْعُوَ لِمَنْ يَأْخُذُ مِنْهُ الصَّدَقَةَ وَ قَالَ قَوْمٌ يَجِبُ ذَلِكَ عَلَى كُلِّ سَاعٍ يَجْمَعُ الصَّدَقَاتُ أَنْ يَدْعُوَ لِصَاحِبِهَا بِالْخَيْرِ وَالتَّرَكِيَّةِ وَالبَّرَكَةِ كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص . -قرآن- ٢٧-٤٢ وَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ أَمْوَالُنَا فَتَصَدَّقْ بِهَا عَنَّا وَاسْتَغْفِرْ لَنَا فَقَالَ مَا أَمَرْتُ أَنْ أَخْذَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ شَيْئًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-١٥٤

فصل

ولا تجب الزكاة في عروض التجارة وإنما تستحب على بعض الوجوه . فإن تعلق المخالف بقوله خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً وَأَنْ عَمُومِ الْقَوْلِ يَتَنَاوَلُ عَرُوضَ التَّجَارَةِ فَالْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ أَنَّ أَكْثَرَ مَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ يَكُونَ لَفْظُهَا عَمُومًا وَالعَمُومُ مُعْرَضٌ لِلتَّخْصِيصِ وَنَحْنُ نَخْصُ هَذَا الْعَمُومَ بِبَعْضِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَدَلَّتِنَا. عَلَى أَنَّ مَخَالَفَتَنَا لِابْدِئْ بِهِمْ مِنْ تَرْكِ هَذَا الظَّاهِرِ فِي عَرُوضِ التَّجَارَةِ لِأَنَّهُمْ يَضْمُرُونَ فِي تَنَاوُلِ هَذَا اللَّفْظِ لِعَرُوضِ التَّجَارَةِ أَنَّ يَبْلُغُ قِيمَتَهَا نَصَابَ الزَّكَاةِ وَ هَذَا تَرْكٌ لِلظَّاهِرِ وَخُرُوجٌ عَنْهُ وَ لِفَرْقِ بَيْنِهِمْ

فيه وبيننا إذا حملنا اللفظ في الآية على الأصناف التي أجمعنا على وجوب الزكاة فيها وإذا قمنا في ذلك مقامهم وهم المستدلون بالآية بطل استدلالهم . وبمثل هذا الكلام يبطل تعلقهم بقوله وَ الَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ . -قرآن- ٩١-١١٧-قرآن- ٦٦٧-٧٣١ [صفحہ ٢٢١] ويمكن أن يقال في هذه الآية إنها خرجت مخرج المدح لهم لمأفعلوه لا- على سبيل إيجاب الحق في أموالهم لأنه تعالى قال كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ومما أخرج الكلام كله مخرج المدح لهم بما فعلوه وليس في إيجاب الله في أموالهم حقاً معلوماً مدح لهم ولا ما يجب الثناء عليهم فعلم أن المعنى ويعطون من أموالهم حقاً معلوماً للسائل والمحروم وما يفعلونه من ذلك ليس بلازم أن يكون واجباً بل قد يكون نفلاً- ومتطوعاً به وقديم مدح الفاعل على ما يتطوع به كما يمدح على فعل ما يجب عليه . ولا تعلق لهم بقوله وَ آتُوا الزَّكَاةَ لِأَنَّ اسم الزكاة اسم شرعي ونحن لانسلم أن في عروض التجارة زكاة فيتناولها الاسم فعلى من ادعى ذلك أن يدل عليه . والدين إذا كان يد صاحبه تمتد إليه ولا يتعذر عليه كانت الزكاة فيه وإذا لم يتمكن من قبضه لتأجيله أودفعه باليد عنه فلا زكاة فيه على صاحبه وبذلك نصوص عن آل محمد فإن الله لم يجعل في الدين من حرج ولا كلف عسيراً بنص التنزيل . -قرآن- ١٢٦-٢٤٨-قرآن- ٦١٢-٦٢٨

فصل

وقوله أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ . سبب ذلك أنهم لماسألوا النبي ع أن يأخذ من مالهم ما يكون كفارة لذنوبهم فامتنع النبي من ذلك حتى أذن له فيه بقوله خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ -قرآن- ٩-٩٤-قرآن- ٢١٨-٢٣٥ وقوله أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ . سبب ذلك أنهم لماسألوا النبي ع أن يأخذ من مالهم ما يكون كفارة لذنوبهم فامتنع النبي من ذلك حتى أذن له فيه بقوله خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً عَلَى مَا قَدَّمْنَا مِنْهُ لَيْسَ لِلنَّبِيِّ قِبُولُ تَوْبَتِكُمْ وَأَنَّ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ دُونَهُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ أَى يأخذها بتضمن الجزاء عليها كما تؤخذ الهدية . قال الجبائي جعل أخذ النبي والمؤمنين للصدقة أخذاً له تعالى على وجه المجاز من حيث كان يأمره -قرآن- ٩-١ وأكده النبي ع بقوله إن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تصل إلى السائل -رواية- ١-٢-رواية- ٢٦-٧٨ أن أبا الباءة وصاحبه لما بشرهم رسول الله ص بقبول الله توبتهم ومغفرته لهم قالوا نتقرب بجميع أموالنا شكراً لما أنعم الله به علينا من قبول توبتنا فقال النبي ص يكفيكم الثلث -رواية- ١-٢-رواية- ٣-١٨٦

فصل

وقوله تعالى وَ مَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضَعِفُونَ عَلَى أَنَّ النية واجبة في الزكاة لأن إعطاء المال قد يقع على وجوه كثيرة فمنها إعطاؤه على وجه الصدقة ومنها إعطاؤه على وجه الهدية ومنها الصلة ومنها الوديعة ومنها قضاء الدين ومنها القرض ومنها البر ومنها الزكاة ومنها النذر وغير ذلك وبالنية يتميز بعضها من بعض . قال الكلبي في معنى الآية يضاعف الله أموالهم في الدنيا ونحوه قوله تعالى مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ . -قرآن- ١٦-٩٢-قرآن- ٤٣٩-٦٠٠ [صفحہ ٢٢٣] قال الربيع والسدى الآية تدل على أن النفقة بسبع مائة ضعف لقوله سَبْعَ سَنَابِلَ فغيرها فالحسنة بعشر كقوله تعالى مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا وَمَعْنَى الْآيَةِ أَى

يضاعف الله لهم الحسنات . فإن قيل هل رئى فى سنبله مائه حبه حتى يضرب المثل بها. قلنا إن ذلك متصور فشبه به لذلك و إن لم ير كقول إمرئ القيس -قرآن- ٧٠-٨٣-قرآن-١٢٢-١٦٥ ومسنونه زرق كأنياب أعوال و قال تعالى طَلَعَهَا كَأَنَّه رُؤُسُ الشَّيَاطِينِ وقيل يرى ذلك فى سنبل الدخن و قد يكون ذلك عبارة عن حب كثير. و هذه الآية متصل بقوله مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا و هذا مجاز لأن حقيقته أن يستعمل فى الحاجة ويستحيل ذلك ومعناه التلطف فى الاستدعاء إلى أعمال البر. و جهلت اليهود لما نزلت هذه الآية فقالوا الذى يستقرض منا فنحن أغنياء و هو فقير إلينا فأنزل الله لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِيَاءُ. -قرآن- ١٥-٤٩-قرآن-١٤١-١٨٤-قرآن-٣٨٧-٤٦٦

فصل

وقوله تعالى وَ مِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ الْآيَةَ دلالة على أنهم لم ينظروا إلى كيفية القسمة أهي عادلة أم جائرة وإنما اعتبروا إعطائه إياهم فقط فإن أعطاهم قالوا عدل وأحسن و إن لم يعطهم سخطوا وأنكروا و هذا جهل ومعلوم أن من لم -قرآن- ١٦-٥٣ [صفحة ٢٢٤] يرض قسمة النبي ع الصدقات وطعن عليه فيها سرا أو جهرا إما كافر أو منافق . واللمز العيب فى خلوة أى من المنافقين من يعيبك فى تفريق الصدقات و قال النبي ع لأعطيكم شيئا و لأمنعكموه إنما أنا خازن أضع حيث أمرت -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-٨٠ . و لا تعجب إن اختلف أحكام الصدقات فالغلات والثمار لا يراعى فيها حول الحول و شرطها اثنان الملك والنصاب . ويراعى حول الحول فى الأنعام والأثمان و من شرط الأنعام الملك والنصاب والسوم و من شرط الأثمان الملك والنصاب و كونهما مضروبين منقوشين دنائير و دراهم . و هذا التفصيل إنما نعلمه ببيان الرسول قال تعالى وَ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ حُفْيَانَهُ فِى مِثْلِ ذَلِكَ بِالْقَوْلِ وَ بَيَانَهُ فِى تَفْرِيقِهَا بِالْعَمَلِ وَ كِلَاهِمَا بَيَانٌ . ثم قال تعالى وَ لَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَ جَوَابَهُ مُحذوف أى لكانوا مؤمنين والمحذوف فى مثل هذا يبلغ لأن الذكر يقصره على معنى والمحذوف يجوز كل ممكن محتمل يذهب النفس معه كل مذهب و الله أعلم -قرآن- ٣٢٤-٣٥٦-قرآن-٤٤٢-٤٨٠

الباب الثانى فى ذكر من يستحق الزكاة وأقل ما يعطى

إشارة

قال الله تعالى إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسَاكِينِ وَ الْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ فِي الرِّقَابِ وَ الْغَارِمِينَ وَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ. أخبر الله فى هذه الآية أنه ليست الصدقات التى هى زكاة الأموال إلا للفقراء -قرآن- ١٩-٢٠٦ [صفحة ٢٢٥] والمساكين و من ذكرهم الله فى الآية. و فسر العالم ع هذه الأصناف الثمانية فقال الفقراء الذين لا يسألون لقوله تعالى فى سورة البقرة لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصُوا وَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْآيَةَ والمساكين هم أهل الزمانات منهم الرجال والنساء والصبيان والعاملين عليها هم السعاة فى أخذها و جمعها وحفظها حتى يؤدوها إلى من يقسمها والمؤلفة قلوبهم قال هم قوم وحدوا الله و لم يدخل قلوبهم أن محمدا رسول الله فكان ع يتألفهم فجعل لهم نصيبا بأمر الله لكى يعرفوا ويرغبوا و فى الرقاب قوم لزمتهم كفارات فى قتل الخطأ و فى الظهار و فى الإيمان و فى قتل الصيد فى الحرم و ليس عندهم ما يكفرون به وهم مؤمنون . و قال بعض العلماء جعل الله الزكوات لأمرين أحدهما سد خلة الآخر تقوية ومعونة لعز الإسلام واستدل لذلك على أن المؤلفة قلوبهم فى كل زمان

والغارمين الذين ركبتهم الديون في مباح أو طاعة و في سبيل الله الجهاد وجميع مصالحي المؤمنين و ابن السبيل المسافر المنقطع به والضيف . -قرآن- ١٣٧-١٨٥ [صفحة ٢٢٦]

فصل

اختلفوا في الفرق بين الفقير والمسكين فقال ابن عباس وجماعة الفقير المتعفف الذي لا يسأل والمسكين الذي يسأل ذهبوا إلى أنه مشتق من المسكنة بالسؤال . وهذا الخلاف في الفقير والمسكين لا يخل بشيء في باب الزكاة لأنهما جميعا من جملة ذوى السهام الثمانية سواء كان هذا أشد حالا أو ذاك إلا أنه ليس كلا اللفظين عبارة عن شيء واحد . وقال النبي ص ليس المسكين الذي يرده الأكلة والأكلتان والتمر والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى فيعينه ولا يسأل الناس إلحافا -رواية- ١-٢- روايت- ٢٠-١٤٥ . وقال قتادة الفقير ذو الزمانه من أهل الحاجة والمسكين من كان صحيحا محتاجا . وقال قوم هما بمعنى واحد إلا أنه ذكر بالصفتين لتأكيد أمره ويعطى من له شيء ولا يكفيه كما يعطى من لا شيء له . وسمى المحتاج فقيرا من حيث كأنه كسر فقار ظهره والمسكين كأن الحاجة سكنته عن حاله أهل السعة والثروة . و من قال المسكين أحسن حالا استدلال بقوله أما السَّيْفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينٍ و من قال هما سواء قال كانت السفينة مشتركة بين جماعة لكل واحد منهم شيء يسير . وَ الْعَامِلِينَ عَلَيْهَا يَعْنِي سَعَاءَ الزَّكَاةِ وَجِبَاتِهَا . -قرآن- ٣٤٧-٣٨٣-قرآن- ٤٦٣-٤٨٤ [صفحة ٢٢٧] وَ الْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ أَقْوَامٌ أَشْرَافُ كَانُوا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ع فَكَانَ يَتَأَلَّفُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَيَسْتَعِينُ بِهِمْ عَلَى قِتَالِ غَيْرِهِمْ فَيُعْطِيهِمْ سَهْمًا مِنَ الزَّكَاةِ فَقَالَ قَوْمٌ كَانَ هَذَا خَاصًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ع -قرآن- ١-٢٦ وروى جابر عن الباقع أنه ثابت في كل عصر إلا أن من شرطه أن يكون هناك إمام عدل يتألفهم على ذلك -رواية- ١-٢-رواية- ٢٧-١١١ واختاره الجبائي . وَ فِي الرَّقَابِيِّ عَنِ الْمَكَاتِبِ وَأَجَازُ أَصْحَابِنَا أَنْ يَشْتَرَى بِهِ عَبْدًا مَوْمِنًا إِذَا كَانَ فِي شِدَّةٍ وَيَعْتَقُ مِنْ مَالِ الزَّكَاةِ وَ يَكُونُ لِأَرْبَابِ الزَّكَاةِ وَ هُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ جَعْفَرِ بْنِ مَبِشْرٍ . وَ الْمَكَاتِبُ إِنَّمَا يُعْطَى مِنْ الصَّدَقَةِ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ مَا يُعْطَى مَا عَلَيْهِ مِنْ مَالِ الْكِتَابَةِ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَهُ فَإِنَّهُ لَا يُعْطَى شَيْئًا هَذَا إِذَا حَلَّ عَلَيْهِ نَجْمٌ وَ لَيْسَ مَعَهُ مَا يُعْطِيهِ أَوْ مَا يُكْفِيهِ لِنَجْمِهِ وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ غَيْرُ شَيْءٍ لَمْ يَحَلَّ عَلَيْهِ نَجْمٌ فَإِنَّهُ يُجُوزُ أَيْضًا أَنْ يُعْطَى لِعُمُومِ الْآيَةِ . وَ الْغَارِمِينَ هُمُ الَّذِينَ رَكِبْتَهُمُ الدِّيُونُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ وَ لَا إِسْرَافٍ فَيَقْضَى عَنْهُمْ دِيُونَهُمْ هَذَا قَوْلُ أَبِي جَعْفَرٍ ع وَ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْمَفْسَرِينَ . وَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَعْنِي الْجِهَادَ بِلَا خِلَافٍ وَ يَدْخُلُ فِيهِ عِنْدَ أَصْحَابِنَا جَمِيعُ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ وَ هُوَ قَوْلُ ابْنِ عَمْرٍ وَ عَطَاءٍ وَ بِهِ قَالَ الْبَلْخِيُّ فَإِنَّهُ قَالَ يَبْنِي مِنْهُ الْمَسَاجِدَ وَ الْقَنَاطِرَ وَ غَيْرَ ذَلِكَ وَ هُوَ قَوْلُ جَعْفَرِ بْنِ مَبِشْرٍ . وَ ابْنُ السَّبِيلِ هُوَ الْمَسَافِرُ الْمُنْقَطِعُ بِهِ فَإِنَّهُ يُعْطَى مِنَ الزَّكَاةِ وَ إِنْ كَانَ غَنِيًّا فِي بَلَدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ دِينًا عَلَيْهِ وَ هُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ وَ مَجَاهِدٍ . وَيَسْتَحِبُّ لَهُ أَيْضًا إِذَا وَصَلَ إِلَى مَالِهِ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِمِثْلِ مَا أَخَذَهُ حَيْثُ انْقَطَعَ بِهِ . -قرآن- ٢٠-٣٤-قرآن- ٤٥٩-٤٧٢-قرآن- ٥٨٩-٦٠٩-قرآن- ٧٩٠-٨٠٦ [صفحة ٢٢٨]

فصل

إذا دفع صاحب المال زكاته إلى الفقير بغير إذن الإمام عند حضوره فلإمام أن يعيد عليه ويطلبه بالزكاة بدلالة تعلق فرض الأداء به قال الله تعالى خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِهَا وَالْإِمَامُ مُخَاطَبٌ بَعْدَ النَّبِيِّ ع بِمَا خُوِطِبَ بِهِ فِي تَنْفِيذِ الْأَحْكَامِ . واختلفوا في مقدار ما يعطى الجابي للصدقة فقال مجاهد والضحاك يعطى الثمن بلا زيادة وقال به عبد الله بن عمرو بن العاص والحسن و ابن نهد و هو قدر عمالته و هو المروى في أخبارنا . واللام في قوله لِلْفُقَرَاءِ لَيْسَتْ لِلْمَلِكِ إِذْ لَخِلَافُ أَنَّ الصَّدَقَاتِ

لا يملكها الفقراء بالوجوب وإنما تصير حقا لهم ولمن عطف عليهم واللام إذا دلت على الحق لم يجب فيها العموم إذ الحق قد يكون للفقراء و يكون الاختيار إلى من يضعه فيهم فله أن لا يعمهم و إن كان قبل الوضع لجماعتهم فقد صار التخصيص في التمليك يصح مع كونه حقا على طريق العموم . فيذأبیت من ذلك فالواجب من الظاهر أن لا يقطع على كونه حقا لجماعتهم يبين ذلك أنه لو كان كذلك لما جاز في الصدقة أن يوضع في ثلاثة مساكين بل كان يجب وضعها في جميع من يتمكن منه في البلد وقد أجمعوا على خلافه . -قرآن- ١٥٥-٢١٢-قرآن- ٤٧٥-٤٨٥ و قال الباقر إن لقاسم الزكاة أن يضعها في أى الأصناف شاء -روایت- ١-٢-روایت- ١٩-٦٦ و إليه ذهب ابن عباس وحذيفة وعمر وعطاء و ابراهيم وسعيد بن جبیر. و قال بعض المتأخرين لا يضعها إلا في سبعة أصناف لأن المؤلفه قلوبهم قد [صفحه ٢٢٩] انقضوا و إن قسمها الإنسان عن نفسه ففي ستة لأنه بطل سهم العامل عليها وزعم أنه لا يجزى في كل صنف أقل من ثلاثة. وعندنا أن سهم المؤلفه والسعاه وسهم الجهاد قد سقط اليوم ويقسم في الخمسة الباقية كما شاء رب المال و إن وضعها في فرقة منهم جاز إلا أن أقل ما يعطى مستحق ما يجب في نصاب و لا يكسر إلا في الغلات والثمار والاحتياط فيها أن لا يكسر في نصابها أيضا. وأجمعت الأمة على أن الصدقات يخالف حكمها حكم الوصية لأنه إذا وصى بسهم ثم تعذر بعضها في البلد لم يجز صرفها إلى الموجودين فيه و لم يختلفوا في جواز ذلك في الزكاة فقد ثبت أن هذه السهام جهات لجواز الوضع فيهم فكأن الله وسع على المصدق القاسم الحال في ذلك فجاز أن يضعه في جميعهم كيف شاء و جاز أن يضع جميعه في بعضهم إذ رأى ذلك أولى وأحق في الحال .

فصل

قد ذكرنا من قبل أنه يجوز أن يشتري المملوك من مال الزكاة فيعتق إذا كان حاله ما قدمناه والدليل عليه قوله إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ إِلَى قَوْلِهِ وَ فِي الرِّقَابِ وَ هَذَا نَصٌ صَرِيحٌ فِي جَوَازِ عَتْقِ الرِّقْبَةِ مِنَ الزَّكَاةِ. فَإِنْ قِيلَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ وَ فِي الرِّقَابِ الْمَكَاتِبُونَ فَإِنَّ الْفُقَهَاءَ كُلَّهُمْ يَجِيزُونَ أَنْ يُعْطَى الْمَكَاتِبُ مِنْ مَالِ الزَّكَاةِ إِلَّا مَا لَكَ. قلنا نحمله على المكاتب و على من يتناع فيعتق لأنه لا تنافي بين الأمرين وظاهر القول يتناول الكل و لا مخصص لعمومه فمتى استفاد هذا المعتقد من الزكاة مالا ثم مات فماله إذا لم يكن له وارث من النسب والزوجية لأهل الزكاة لأنه اشترى من مالهم . -قرآن- ١١٢-١٤١-قرآن- ١٥٣-١٦٧-قرآن- ٢٣٧-٢٥١ [صفحه ٢٣٠] ويجوز أن يكفن من الزكاة الموتى ويقضى بها الدين عن الميت وباقي الفقهاء يخالفوننا فيه والحجة لأصحابنا مضافا إلى إجماعهم قوله وَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي آيَةِ وَجْهِ الصَّدَقَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا وَمَعْنَى سَبِيلِ اللَّهِ الطَّرِيقُ إِلَى ثَوَابِ اللَّهِ وَ الْوَصْلَةُ إِلَى التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ تَعَالَى وَ لَمَّا كَانَ مَا ذَكَرْنَا مَقْرَبًا إِلَى اللَّهِ وَ مَوْصِلًا إِلَى الثَّوَابِ جَازَ صَرْفُهُ فِيهِ . فَإِنْ قِيلَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ وَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا يَنْفَقُ فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ. قلنا كل هذا مما يوصف بأنه سبيل الله وإرادته بعضه لا يمنع من إرادته البعض الآخر. و قد روى مخالفونا عن ابن عمر أن رجلا- أوصى بماله في سبيل الله فقال ابن عمر إن الحج من سبيل الله فاجعلوه فيه . -قرآن- ١٣٢-١٥٢-قرآن- ٣٥٦-٣٧٦ ورووا عن النبي ع أن الحج والعمرة من سبيل الله -روایت- ١-٢-روایت- ٢٣-٥٦

الباب الثالث في ذكر من يجب عليه الزكاة وذكر أحكام الزكاة كلها

إشاره

قال الله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ. هذا و إن كان خطابا للمؤمنين دون سائر الناس فلا يدل على أن الكافر غير متعبد به لأن الأمر المتوجه إليكم لا يكون نهيا لغيركم مع أن جميع المؤمنين لا يجب عليهم الزكاة وإنما تجب على من يكون حرا يملك النصاب مع شرائطها الأخر المذكورة وقد قال الله تعالى وَيَلِّ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ -قرآن- ١٩-٨٠-قرآن- ٣٤٦-٣٩٤ [صفحة ٢٣١] فقد توعدهم على ترك الزكاة الواجبة عليهم لأنهم متعبدون بجميع العبادات ومعاقبون على تركها. قال الزجاج معناه ويل للمشركين الذين لا يؤمنون بأن الزكاة واجبة عليهم . وإنما خص الزكاة بالذكر تفريرا لهم على شحهم الذي يأنف منه أهل الفضل والصحيح أنه عام في جميع ذلك وحسن الإحسان والإنعام يعلم على الجملة عقلا. ولازكاة واجب في صامت أموال الصبيان وتجب فيهما عدا ذلك من أنعامهم وغلاتهم وثمارهم وبهذا نصوص عن آل محمد ع ويؤيدها قوله تعالى وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ فَخُوطِبَ بِالزَّكَاةِ مِنْ خُوطِبَ بِالصَّلَاةِ وَالصَّبِي غَيْر مَخَاطَبَ بِالصَّلَاةِ وَقَوْلُهُ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِهَا وَالصَّبِي لَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّطْهِيرِ إِذْ لَا ذَنْبَ لَهُ وَلَا تَكْلِيفَ عَلَيْهِ . فَأَمَّا زَكَاةُ حَرْثِهِ وَنَعْمِهِ فَمَا خُذْ مِنْ قَوْلِهِ وَ الَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ وَقَدْ ثَبِتَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَتَنَاقَضُ وَلَا يَخْتَلِفُ مَعَانِيهِ وَ لَمْ يَكُنْ طَرِيقَ إِلَى الْمَلَاءِمَةِ بَيْنَ مَعَانِيهِ إِلَّا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مَعَ وَفَاقِ السَّنَةِ فِي ذَلِكَ لَهُ . وَقَوْلُهُ أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ يَدْخُلُ فِيهِ الزَّكَاةُ الْمَفْرُوضَةُ وَغَيْرَهَا مِنْ أَنْوَاعِ النَّفَقَةِ . وَقَالَ عبيدُ السَّلْمَانِي وَ الْحَسَنُ هِيَ مَخْتَصَةٌ بِالزَّكَاةِ لِأَنَّ الْأَمْرَ عَلَى الْإِجَابِ وَ لَا يَجِبُ مِنَ الْإِنْفَاقِ عَلَى الْكُلِّ إِلَّا الزَّكَاةُ . وَقَالَ الْجَبَائِي هِيَ فِي التَّلَوُّعِ لِأَنَّ الْفَرَضَ مِنَ الصَّدَقَةِ لَهُ مَقْدَارٌ مِنَ الْقِيَمَةِ إِنْ قَصَرَ كَانَ ذَنْبًا عَلَيْهِ إِلَى أَنْ يُؤَدِيَهُ عَلَى التَّمَامِ . -قرآن- ٤٦٦-٥٠٤-قرآن- ٥٧٠-٦٢٧-قرآن- ٧٢٨-٧٦٧-قرآن- ٩٢٣-٩٥٦ [صفحة ٢٣٢]

فصل

وقوله وَ لَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ. عن علي ع والبراء و الحسن وقتادة أنها نزلت لأن بعضهم كان يأتي بالحشف فيدخله في تمر الصدقة و قال ابن زيد الخبيث الحرام . والأول أقوى والعموم يستغرقهما إلا أنه تعالى قال أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَ مِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ثُمَّ قَالَ وَ لَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ يَعْنِي مِنَ الَّذِي كَسَبْتُمْ أَوْ أَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنَ الْأَرْضِ وَالْحَرَامِ وَ إِنْ كَانَ خَبِيثًا فَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ غَيْرَ أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَرَادَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَنْفِي السَّبَبَ . فَأَمَّا إِذَا كَانَ مَالُ الْمَرْكُوزِ كُلَّهُ رَدِيثًا فَجَائِزٌ لَهُ أَنْ يُعْطَى مِنْهُ وَ لَا يَدْخُلُ فِيهَا نَهْيُهُ عَنْهُ لِأَنَّ تَقْدِيرَ مَا جَعَلَهُ اللَّهُ لِلْفَقِيرِ فِي مَالِ الْغَنِيِّ تَقْدِيرَ حِصَّةِ الشَّرِيكِ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ الشَّرِيكِينَ أَنْ يَأْخُذَ الْجَيِّدَ وَيُعْطِيَ صَاحِبَهُ الرَّدِيءَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْوَكْسِ فَإِذَا اسْتَوَى فِي الرَّدَاءِ جَازَ لَهُ إِعْطَاءُ الزَّكَاةِ مِنَ الرَّدِيءِ لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ لَمْ يَبْخَسْهُ حَقًّا هُوَ لَهُ كَمَا يَبْخَسُهُ فِي الْأَوَّلِ . وَيَقْوَى الْقَوْلُ الْأَوَّلُ قَوْلُهُ وَ لَسْتُمْ بِأَخْذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ لَأَنَّ الْإِغْمَاضَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الشَّيْءِ الرَّدِيءِ دُونَ مَا هُوَ حَرَامٌ . وَالْأَجْنَاسُ التَّسْعَةُ الَّتِي تَجِبُ فِيهَا الزَّكَاةُ تَدْخُلُ تَحْتِ قَوْلِهِ أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ -قرآن- ٩-٥١-قرآن- ٢٣٨-٣٠٨-قرآن- ٣١٨-٣٦٠-قرآن- ٨٥٧-٩٠٢-قرآن- ١٠٢٠-١٠٤١ وَقَوْلُهُ وَ لَا- تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ. عن علي ع والبراء و الحسن وقتادة أنها نزلت لأن بعضهم كان يأتي بالحشف فيدخله في تمر الصدقة و قال ابن زيد الخبيث الحرام . والأول أقوى والعموم يستغرقهما إلا- أنه تعالى قال أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَ مِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ثُمَّ قَالَ وَ لَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ يَعْنِي مِنَ الَّذِي كَسَبْتُمْ أَوْ أَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنَ الْأَرْضِ وَالْحَرَامِ وَ إِنْ كَانَ خَبِيثًا فَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ غَيْرَ أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَرَادَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَنْفِي السَّبَبَ . فَأَمَّا إِذَا كَانَ مَالُ الْمَرْكُوزِ كُلَّهُ رَدِيثًا فَجَائِزٌ لَهُ أَنْ يُعْطَى مِنْهُ وَ لَا يَدْخُلُ فِيهَا نَهْيُهُ عَنْهُ لِأَنَّ تَقْدِيرَ مَا جَعَلَهُ اللَّهُ لِلْفَقِيرِ فِي مَالِ الْغَنِيِّ تَقْدِيرَ حِصَّةِ الشَّرِيكِ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ الشَّرِيكِينَ أَنْ يَأْخُذَ الْجَيِّدَ وَيُعْطِيَ صَاحِبَهُ الرَّدِيءَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْوَكْسِ فَإِذَا اسْتَوَى فِي الرَّدَاءِ جَازَ لَهُ إِعْطَاءُ الزَّكَاةِ مِنَ الرَّدِيءِ لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ لَمْ يَبْخَسْهُ حَقًّا هُوَ لَهُ كَمَا يَبْخَسُهُ فِي الْأَوَّلِ . وَيَقْوَى الْقَوْلُ الْأَوَّلُ قَوْلُهُ وَ

لَسْتُمْ بِأَخِيذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهَا لَأَنْ إِغْمَاضَ لَا- يَكُونُ إِلَّا فِي الشَّيْءِ الرَّدِيءِ دُونَ مَا هُوَ حَرَامٌ . وَالْأَجْنَاسُ التَّسْعَةُ الَّتِي تَجِبُ فِيهَا الزَّكَاةُ تَدْخُلُ تَحْتَ قَوْلِهِ أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَكَذَا الْأَجْنَاسُ الْخَمْسَةُ الَّتِي يَسْتَحِبُّ فِيهَا الزَّكَاةُ تَدْخُلُ تَحْتَهُ . -قرآن- ١-٤٩ و عن الصادق ع أن الآية نزلت في قوم لهم أموال من ربا الجاهلية كانوا يتصدقون منه فنهى الله عنه وأمر بالصدقة من الطيب الحلال -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-١٣٨ . فعليك أيها الناظر في كتابي هذا أن تتدبره فإن السنة منها جىء ومنها أجيء وبيان الكتاب من السنة.

فصل

و قَوْلُهُ وَ لَسْتُمْ بِأَخِيذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ فِي مَعْنَاهُ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا أَنْ لَا تَتَصَدَّقُوا بِمَا لَا تَجِدُونَهُ مِنْ غَرْمَائِكُمْ إِلَّا بِالْمَسَامَحَةِ وَالْمَسَاهَلَةِ فَالْإِغْمَاضُ الْمَسَاهَلَةُ وَالْآخَرُ مَعْنَاهُ لَا تَتَصَدَّقُوا بِمَا لَا تَأْخُذُونَهُ إِلَّا أَنْ تَحْطُوا مِنَ الثَّمَنِ فِيهِ وَمِثْلُهُ قَوْلُ الزَّجَّاجِ أَيْ لَسْتُمْ تَأْخُذُونَهُ إِلَّا بَوَكْسٍ فَكَيْفَ تَعْطُونَهُ فِي الصَّدَقَةِ . ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ غَنَى عَنْ صَدَقَاتِكُمْ يَقْبَلُهَا مِنْكُمْ وَيَحْمَدُكُمْ عَلَيْهَا وَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهِ . ثُمَّ حَذَرَ مِنَ الشَّيْطَانِ الْمَانِعِ مِنَ الصَّدَقَةِ فَإِنَّهُ يَعِدُّكُمْ الْفَقْرَ بِتَأْدِيَةِ زَكَاتِكُمْ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْإِنْفَاقِ مِنَ الرَّدِيءِ وَسَمَاهُ فَحِشَاءٌ لِأَنَّ فِيهِ مَعْصِيَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعِدُّكُمْ أَنْ يَخْلِفَ عَلَيْكُمْ خَيْرًا مِنْ صَدَقَتِكُمْ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ اثْنَانِ مِنَ اللَّهِ وَاثْنَانِ مِنَ الشَّيْطَانِ . -قرآن- ٩-٥٤ وَقَالَ الصَّادِقُ ع لِلشَّيْطَانِ لِمَهُ وَلِلْمَلِكِ لِمَهُ فَلِمَهُ الشَّيْطَانُ وَعَدَهُ بِالْفَقْرِ وَأَمْرَهُ بِالْفَاحِشَةِ وَلِمَهُ الْمَلِكُ أَمْرَهُ بِالْإِنْفَاقِ وَنَهْيَهُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-١٣٤ . ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى صِفَةَ الْإِنْفَاقِ وَرَغِبَ فِيهِ فَقَالَ إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ -قرآن- ٤٥-٨٢ . ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى صِفَةَ الْإِنْفَاقِ وَرَغِبَ فِيهِ فَقَالَ إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ . اعْلَمْ أَنَّ صَدَقَةَ التَّطَوُّعِ إِخْفَاؤُهَا أَفْضَلُ لِأَنَّهُ أَبْعَدُ مِنَ الرِّيَاءِ وَالْمَفْرُوضِ لَا يَدْخُلُهُ الرِّيَاءُ وَيَلْحَقُهُ تَهْمَةُ الْمَنْعِ بِإِخْفَائِهَا فِإِظْهَارِهَا أَفْضَلُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَكَذَا -قرآن- ١-٥٩ رَوَى عَنِ الصَّادِقِ ع أَنَّهُ قَالَ الزَّكَاةُ الْمَفْرُوضَةُ تَخْرُجُ عِلَانِيَةً وَتُدْفَعُ عِلَانِيَةً وَغَيْرُ الزَّكَاةِ إِنْ دَفَعَهُ سِرًّا فَهُوَ أَفْضَلُ -رواية- ١-٢-رواية- ٣١-١٠٩ . وَقِيلَ الْإِخْفَاءُ فِي كُلِّ صَدَقَةٍ مِنْ وَاجِبٍ وَغَيْرِهِ أَفْضَلُ عَنِ الْحَسَنِ وَهُوَ الْأَشْبَهُ لِعُمُومِ الْآيَةِ وَعَلَيْهِ يَدْخُلُ أَخْبَارُنَا عَلَى أَنَّ الْأَوْلَى حَسَنٌ وَنَحْوُهُ أَنْ إِظْهَارَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ أَفْضَلُ دَفْعًا لِلشَّبْهَةِ وَإِخْفَاءِ النَّوَافِلِ حَسَنٌ دَفْعًا لِلرِّيَاءِ . وَالزَّكَاةُ وَالصَّدَقَةُ يَتَدَاخَلُ مَعْنَاهُمَا وَإِنْ كَانَتِ الزَّكَاةُ وَضَعْتَ عَرَفًا أَوْلَى فِي الْفَرَضِ وَالصَّدَقَةُ فِي النَّفْلِ وَالْإِبْدَاءُ الْإِظْهَارُ وَالْإِخْفَاءُ الْإِسْرَارُ . وَقَوْلُهُ فَنِعِمَّا هِيَ أَيْ نَعَمْ شَيْئًا إِبْدَاؤُهَا فَمَا نَكَرَهُ وَهِيَ فِي مَوْضِعٍ نَصَبَ لِأَنَّهُ يَفْسِرُ الْفَاعِلَ الْمَضْمَرُ قَبْلَ الذِّكْرِ فِي نَعْمِ وَالْإِبْدَاءُ هُوَ الْمَخْصُوصُ بِالْمَدْحِ فَحَذَفَ الْمَضَافَ الَّذِي هُوَ الْإِبْدَاءُ وَأَقِيمَ الْمَضَافَ إِلَيْهِ الَّذِي هُوَ الْمَضْمَرُ الصَّدَقَاتِ وَهُوَ هِيَ . -قرآن- ٣٤٨-٣٤٢

فصل

و قَوْلُهُ تَعَالَى خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً عَنِ الصَّادِقِ ع نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص مَنَادِيَهُ فَنَادَى فِي النَّاسِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمْ الزَّكَاةَ كَمَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ الصَّلَاةَ فَفَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنَ الذَّهَبِ -رواية- ١-٢-رواية- ٣-٣-ادامه دارد [صفحہ ٢٣٥] وَالْفِضَّةَ وَالْإِبِلَ وَالْبَقَرَ وَالْغَنَمَ وَمِنَ الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَالتَّمْرِ وَالزَّبِيبِ وَعَفَا عَمَّا سِوَى ذَلِكَ ثُمَّ لَمْ يَتَعَرَّضْ لَشَيْءٍ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَتَّى حَالَ عَلَيْهِمُ الْحَوْلُ مِنْ قَابِلٍ فَصَامُوا وَأَفْطَرُوا فَأَمَرَ مَنَادِيَهُ فَنَادَى أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ زَكُوا أَمْوَالَكُمْ تَقْبَلُ صَلَاتَكُمْ قَالَ ثُمَّ وَجَّهَ عَمَالَ الصَّدَقَةِ -رواية- از قبل- ٢٥٨ و قد بعث أمير المؤمنين ع مصدقا من الكوفة إلى باديتها فقال له يا عبد الله عليك بتقوى الله

ولا تؤثر دنياك على آخرتك وكن حافظا لما ائتمنتك عليه راعيا لحق الله فيه حتى تأتي نادى بنى فلان فإذا قدمت فانزل بمائهم من غير أن تخاطب آياتهم ثم امض إليهم بسكينه ووقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم ثم قل لهم يا عباد الله أرسلني إليكم ولى الله لأخذ منكم حق الله فى أموالكم فهل لله فى أموالكم حق فتؤدوه إلى وليه فإن قال لك قائل لا فلا تراجع و إن أنعم لك منهم منع فانطلق معه من غير أن تخيفه أو تعده إلا خيرا فإذا أتيت ماله فلا تدخله إلا بإذنه فإن أكثره له فقل يا عبد الله أتأذن لى فى دخول مالك فإن أذن لك فلا تدخل دخول متسلط عليه فيه ولا عنف به فاصدع المال صدعين ثم خيره فإن اختار فلا تعرض له فلا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله فى ماله فإذا بقى ذلك فاقبض حق الله منه فإن استقالك فأقله ثم اخطها واصنع مثل الذى صنعت أولا حتى تأخذ حق الله فى ماله فإذا قبضته فلا توكل به إلا ناصحا شفيقا أميناً حفيظاً غير معنف بشيء منها ثم احذر ما اجتمع عندك من كل فاد إلينا نصيره حيث أمر الله فإذا انحدر بهار سولك فأوعز إليه أن لا يحول بين ناقة وفضيلها ولا يفرق بينهما ولا يصير لبنها فيضر ذلك بولدها ولا يجهدنها ركوبا وليعدل بينهما فى ذلك وليوردهن كل ماء يمر به ولا يعدل بهن عن نبت الأرض إلى جواد الطريق حتى تأتينا سجاجا سمانا غير متعبات ولا مجهدات فنقسمهن على كتاب الله وسنة نبيه على -رواية- 1-2-رواية-3-ادامه دارد [صفحه 236] أولياء الله فإن ذلك أعظم لأجر ك -رواية- از قبل -37. فقوله خذ من أموالهم صدقة أمر منه تعالى بأخذ صدقاتهم على ماتقدم وفرض على الأمة حملها إليه لفرضه عليها طاعته والإمام قائم مقامه فيما فرض على النبى ص من إقامة الحدود والأحكام لأنه مخاطب بخطابه فى ذلك و لما وجد النبى كان الفرض حمل الزكاة إليه فلما غاب من العالم بوفاته صار الفرض حمل الزكاة إلى خليفته فإذا غاب الخليفة كان الفرض حملها إلى من نصبه فى مقامه من خاصته فإذا عدم السفراء بينه وبين رعيته وجب حملها إلى الفقهاء المأمونين من أهل ولايته لأن الفقيه أعرف بموضعها ممن لافقه له . -قرآن- 8-34

فصل

وقوله تعالى إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا قَالَ المبرد يعنى أن السنة للمسلمين على الأهلة لا على ما يعده أهل الكتاب فسمى الله كل ثلاثين يوما أو تسعة وعشرين يوما عند تجدد رؤية الهلال بعد استسراة شهرا وسمى كل اثني عشر شهرا سنة وعاما وحولا- إذ كان لا ينتظم أمر الناس إلا بهذا الحساب وإجراء الأحوال على مقتضى هذا المثال فى جميع الأبواب . و لما كان سائر الأمم سوى العرب يجعلون الشهر ثلاثين يوما والسنة بحلول الشمس أول الحمل و ذلك إنما يكون بانقضاء ثلاثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم واليهود والنصارى عبادتهم المتعلقة بالأوقات تجرى على هذا الحساب بين الله أنه حكم بأن تكون السنة قمرية لشمسية و أنه تعبد المسلمين بهذا فجعل حجتهم وأعيادهم ومعاملاتهم وحساباتهم ووجوب الزكوات عليهم معتبرة بالقمر وشهوره -قرآن- 16-68 [صفحه 237] لا بالشمس فإن كان مع الإنسان مال تام النصاب وحال عليه الحول يجب فيه الزكاة وحد حول الحول فيها أنه إذا استهل هلال الشهر الثانى عشر. والأثمان والأنعام لازكاة فيها حتى يحول عليها الحول. فأما الغلات فوقت الزكاة فيها حين حصولها بعد الحصاد والجداذ وتفصيل ذلك أن وقت وجوب الزكاة فى الغلات إذا كانت حبوبا إذا اشتدت وفى الثمار إذا بدا صلاحها. و على الإمام أن يبعث ساعاته لحفظها فى الاحتياط عليها كما فعل رسول الله بخيبر. ووقت الإخراج إذا ديس الحب ونقى وصى وفى الثمر إذا جفت وشمست والمراعى فى النصاب مجففا مشمسا. وقوله تعالى وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ - قرآن- 556-585 عن ابن عباس الزكاة العشر أو نصف العشر -رواية- 1-2-رواية- 17-43 و عن الصادق ع مما تنشر مما يعطى المساكين الضغث بعد الضغث والجفن بعد الجفن -رواية- 1-2-رواية- 19-83. و عن السدى الآيه منسوخة بفرض العشر

ونصف العشر لأن الزكاة لا تخرج يوم الحصاد ولأن هذه الآية مكية وفرض الزكاة نزل بالمدينة و لماروى أن الزكاة نسخت كل صدقة وقال الرماني هذا غلط لأن يوم حصاده ظرف لحقه وليس بظرف لإيتاء الأمور به . وقوله ولا تُسرّفوا نهى عن وضع الزكاة فى غير أهله و أن من أعطى زكاة ماله الفاسق والفاجر فقد أسرف ووجب عليه الإعادة -قرآن- ٢٥٣-٢٦٧ قال النبى ص المعتدى فى الصدقة كمانعها -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٤٥ والإسراف مجاوزة حد الحق و هو يكون [صفحہ ٢٣٨] بالتفريط والإفراط والتقصير والزيادة. والخطاب لأرباب المال وقيل للسلطان وقيل خطاب للجميع و هو أعم فائدة. وروى عن ثابت بن قيس بن شماس أنه كان له خمس مائة رأس نخلة فصرمها وتصدق بها و لم يترك لأهله منها شيئا فهى الله عن ذلك و بين أنه سرف ولذلك قال ع ابدأ بمن تعول -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٣٤ . والآية الأولى تدل على أن الواجب تعليق الأحكام المتصلة بالشهور والسنين من عبادات وغيرها بهذه الأشهر دون الشهور التى تعتبرها العجم والروم فمن هذا الوجه تعليق الصيام وأخذ الجزية وغيرها بحول هذا الحول يؤيده قوله منها أربعة حُرْمٌ والعدة اسم المعدود. -قرآن- ٢٣٠-٢٥١

فصل

وقوله تعالى وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ أَى مَا تُنْفِقُوا فى وجوه البر من مال فلأنفسكم ثوابه ثم قال وَ مَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ صِفَةِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ لَا يُنْفِقُونَ إِلَّا طَلِبًا لِرِضَا اللَّهِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ النَّهْيُ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرَهُ الْخَيْرُ أَى لَا تُنْفِقُوا إِلَّا طَلِبًا لِرِضْوَانِ اللَّهِ . ثم قال لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِيُقْبَلَ مِنْهُمْ قَوْلُهُمْ فَلَأَنْفُسِكُمْ -قرآن- ١٦-٥٥-قرآن- ١١٧-١٦٠-قرآن- ٣١١-٣٥٩-قرآن- ٣٨١-٣٩٤ [صفحہ ٢٣٩] والأحسن أن يكون العامل محذوفا أى النفقة المذكورة للفقراء الذين حبسوا ومنعوا فى طاعة الله إما لخوف العدو وإما للمرض والفقر وإما للإقبال على العبادة. ثم وصفهم بقوله يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا. ثم حث الناس عليها فقال الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً أَى يُنْفِقُونَ عَلَى الدَّوَامِ إِذْ لَوْ أَنَّ سَوَاهِلَهُمْ أَجْرُهُمْ أَتَى بِالْفَاءِ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ الْأَجْرَ مِنْ أَجْلِ الْإِنْفَاقِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ . ثم عقب بآية الربا ثم قال وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ أَى إِنْ وَقَعَ فِي غَرْمَائِكُمْ فَقَرِّضُوا إِلَى وَقْتِ يَسَارِهِ -قرآن- ١٧٣-٢٧١-قرآن- ٢٩٨-٣٦٩-قرآن- ٤٠٩-٤٢٤-قرآن- ٥١٦-٥٣٨ وقال الصادق ع فى حد هذا الإعسار و هو أن لم يقدر على ما يفضل عن قوته وقوت عياله على الاقتصاد و هو واجب فى كل دين -رواية- ١-٢-رواية- ٣-١٢٥ وقال الباقر ع إلى ميسرة معناه إلى أن يبلغ خبره الإمام فيقضى عنه من سهم الغارمين إذا كان أنفقه فى معروف -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-١٢٣ وَ أَنْ تَصَدَّقُوا أَى أَنْ تَصَدَّقُوا عَلَى الْمُعْسَرِ بِمَا عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْخَيْرُ مِنَ الشَّرِّ إِنْ كَانَ الدِّينُ عَلَى وَالدَّكُّ أَوْ عَلَى وَالدَّتْكَ أَوْ لَدَّكَ جَازَ أَنْ تَقْضِيَهُ عَنْهُمْ مِنَ الزَّكَاةِ وَ إِنْ لَمْ يَجْزِ إِعْطَاءُ الزَّكَاةِ إِيَّاهُمْ . وقوله الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مِنَّا وَ لَا أَذَى فَيُؤْتُونَ مَا يَنْقُصُ الْمَعْرُوفَ بِأَنْ يَقُولَ أَحْسَنُ إِلَى فُلَانٍ وَأَغْنِيَهُ -قرآن- ١-١٧-قرآن- ٦٣-٩٥-قرآن- ٢٣١-٣٢٩ [صفحہ ٢٤٠] ونحوه والأذى أن يقول أنت أبدا فقير و من أبلانى بك وأراحنى الله منك . ثم قال لَا تُبْطِلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ فَالْمَنَاقِقُ وَالْمَنَانُ يَفْعَلَانِ لِغَيْرِ وَجْهِ اللَّهِ فَلَا يَسْتَحِقَّانَ عَلَيْهِ ثَوَابًا وَ لِأَدْلِيلٍ فِيهَا عَلَى أَنَّ الثَّوَابَ الثَّابِتَ يَزُولُ بِالْمَنِّ . أما قوله يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّهِ فَالَّذِينَ قَالَ السُّدَى الْآيَةَ وَارِدَةً فِي الزَّكَاةِ يَسْتَحِبُّ سَانَ مَصَارِفِ الزَّكَاةِ وَالْأَظْهَرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ نَفَقَةُ التَّطَوُّعِ عَلَى مَنْ لَا يَجُوزُ وَضْعُ الزَّكَاةِ عِنْدَهُ وَلَمَنْ يَجُوزُ وَضْعُ الزَّكَاةِ عِنْدَهُ فَهِيَ عَامَةٌ فِي الزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ وَ فِي التَّطَوُّعِ لِأَنَّهُ لِأَدْلِيلٍ عَلَى نَسْخِهَا. والآية نزلت فى عمرو بن الجموح كان شيخا كبيرا ذا مال قال يا رسول الله بما ذا أتصدق و على من أتصدق . ثم قال وَ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ -قرآن- ٨٦-١٦٨-قرآن- ٢٩٧-٣٦٧-

قرآن-٧٠٧-٧٥١ عن الباقر ع العفو هاهنا مافضل عن قوت السنه -روایت-١-٢-روایت-١٦-٤٩ و عن الصادق ع العفو الوسط
أى لا إقتار ولا إسراف -روایت-١-٢-روایت-١٩-٥٤

فصل

وقوله الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ نزلت في قرآن-٩-٧٤ [صفحة ٢٤١] بحباب لأنه أتى النبي ع بصاع
من تمر وقال يا رسول الله إني عملت في النخل بصاعين فتركت للعيال صاعا وأهديت لله صاعا فقال المنافقون إن الله لغني عما
أتى به . والمتطوع المتنفل من طاعة الله ما ليس بواجب . وقوله وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ أَكْثَرُ الْمَفْسِرِينَ والعلماء على أن
الوعيد يتناول مانع الزكاة الواجبة لأن جمع المال ليس بمحذور و بعد إخراج حق الله منه فحفظه إليه إن شاء أحرزه بالدفن في
الأرض أو بالوضع في الصندوق . قرآن-٢٢٩-٢٧١ وقال النبي ع ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاة كنزه إلا جيء بكنزه يوم
القيامة فتحمى به جنبه وجبينه لعبوسه وازوراره وجعل السائل والساعي وراء ظهره -روایت-١-٢-روایت-٢٠-١٥٩ . وروى ابن
مهر يزيد في تفسيره أن سائلا سأل أباذر وهو بالريذة ما أنزلك هذا المنزل فقال كنا بالشام فسألني معاوية عن هذه الآية أهى فينا أم
في أهل الكتاب فقال قلت فينا وفيهم فقال معاوية بل هي في أهل الكتاب ثم كتب إلى عثمان أن أباذر يطعن فينا فاستقدمني
عثمان المدينة فلما أقبلت قال تنح قليلا فتنحيت إلى منزلي هذا. [صفحة ٢٤٢] وعن الصادق ع من منع الزكاة سأل الرجعة
عند الموت وهو قول الله تعالى حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ -روایت-١-٢-
روایت-١٩-١٧٢

باب ذكر الخمس وأحكامه

إشارة

قال الله تعالى وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَىٰ وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ الْغَنِيمَةُ
مأخذ من أموال أهل الحرب من الكفار بقتال وهي هبة من الله للمسلمين . والخمس يجب فيها وفي كل فائدة تحصل للإنسان
من المكاسب وأرباح التجارات وفي الكنوز والمعادن والغوص وغير ذلك وهي خمسة وعشرون جنسا وكل واحد منها غنيمه
فإذا كان كذلك فلا استدلال يمكن عليها كلها بهذه الآية ويدل عليها جملة قوله تعالى وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ
إِلَيْهِمْ . ووقت وجوب الخمس فيه وقت حصوله لا يراعى فيه حثول الحول ولا النصاب الذي في الزكاة إلا في شيئين منها أحدهما
الكنوز فإنه يراعى فيها النصاب الذي يجب فيه زكاة الأثمان والثاني الغوص فإنه يراعى فيه مقدار دينار و ماعداهما لا يعتبر فيه
مقدار والتقدير واعلموا أن ما غنمتموه ما نصب اسم أن وغنمتم صلته . وقوله فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ أى فأمره وشأنه أن الله خمسة فما
بمعنى الذي قرآن-١٩-١٥٥ قرآن-٤٨٦-٥٥١ قرآن-٨٧٣-٨٩٤ [صفحة ٢٤٣] ولا يجوز أن يكتب إلامفصولا- لأن كتبه
موصولا يوجب كون ما كافه على ما عليه عرف أهل اللغة والنحو . وقال الشيخ المفيد الخمس يجب في المعدن إذا بلغ الموجود
منه مبلغا قيمته مائتا درهم وبذلك نصوص عن أئمة آل محمد ع ويؤيد ذلك قوله وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ
ما وجد في المعدن فهو من الغنائم بمقتضى العرف واللسان . قرآن-٢٣٩-٢٩٨

فصل

و أما قسمة الخمس فهو عندنا على ستة أقسام على ما ذكره الله سهم لله وسهم لرسوله وهذان مع سهم ذى القربى القائم مقام النبى ص ينفقهما على نفسه و أهل بيته من بنى هاشم وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لأبناء السبيل كلهم من أهل بيت الرسول ع لا يشركهم فيها باقى الناس لأن الله عوضهم ذلك عما أباح لفقراء سائر المسلمين ومساكينهم وأبناء سبيلهم من الصدقات الواجبة المحرمة على أهل بيت النبى ص و هو قول زين العابدين والباقر ع روى الطبرى بإسناده عنهما. واعلم أن الفقير إذا أطلق مفردا دخل فيه المسكين وكذا لفظ المسكين إذا أطلق مفردا دخل فيه الفقير لأنهما متقاربان فى المعنى و لم يذكر فى آية الخمس الفقراء كما جمع الله فى آية الزكاة بينهما لأن هناك لهما سهمان من ثمانية أسهم وها هنا أفرد لفظ المساكين وأراد بهم من له شىء لا يكفيه و من لا شىء له ولكليهما سهم واحد من ستة أسهم . [صفحہ ۲۴۴]

فصل

و قوله و اليتامى و المساكين و ابن السبيل قال المغربى حاكيا عن الصابونى إن هؤلاء الثلاث الفرق لا يدخلون فى سهم ذى القربى و إن كان عموم اللفظ يقتضيه لأن سهامهم مفردة و هو الظاهر من المذهب . وإفراد لفظ ذى من ذى القربى دون أن يكون ذوى القربى على الجمع يحقق ما ذكرناه أنه للإمام القائم مقام الرسول ص . والذين يستحقون الخمس عندنا من كان من ولد عبدالمطلب لأن هاشما لم يعقب إلا منه من الطالبين والعباسيين والحارثيين واللهيبين فأما ولد عبدمناف من المطالبين فلا شىء لهم منه . -قرآن- ۹-۵۲ و عن ابن عباس الخمس يقسم خمسة أقسام فسهم لله وسهم رسوله واحد -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۹-۷۴ و قال قوم يقسم أربعة أقسام سهم لبنى هاشم وثلاث للذين ذكرهم الله بعد ذلك من سائر المسلمين ذهب إليه الشافعى و قال أهل العراق يقسم ثلاثة أقسام لأن سهم الرسول صرف الأئمة الثلاثة إلى الكراع والسلاح و قال مالك يقسم على ما ذكره الله و قال أبو العالية و هو رجل من صلحاء التابعين يقسم على ستة أقسام فسهم الله للكعبة والباقى لمن ذكر بعد ذلك .

فصل

و عن ابن عباس ومجاهد ذى القربى بنو هاشم -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۶-۴۷ و قد بينا أن المراد بذى القربى من كان أولى من أهل بيته فى حياته و بعد النبى هو القائم مقامه و به قال على بن الحسين ع فى رواياتهم و قال الحسن وقتادة سهم الله ورسوله وسهم [صفحہ ۲۴۵] ذى القربى لولى الأمر من بعده و هو مثل مذهبا. واليتيم هو من مات أبوه و هو صغير و لم يبلغ و ابن السبيل هو المنقطع به فى سفره سواء كان له فى بلده يسار أو لم يكن و لا يجب أن يكون له فى بلده يسار وانقطع به فى السفر لأن ذلك لا يقتضيه كلمة الأصل التى هى ابن السبيل و لا تفسيره الذى هو المنقطع به لأن المسافر إنما قيل له ابن السبيل لأن السبيل أخرجه إلى هذا المستقر كما أخرجه أبوه إلى مستقره لقى محتاجا والمنقطع به هو الذى نفذ ماعنده بل ضاع منه أو قطع به الطريق أو لغير ذلك سواء كان ماعنده قليلا أو كثيرا وسواء كان من ورائه شىء أو لم يكن . وذكر الشيخ فى المبسوط أن ابن السبيل على ضربين أحدهما المنشئ للسفر من بلده الثانى المجتاز بغير بلده وكلاهما مستحق للصدقة عند أبى حنيفة والشافعى ولا يستحقها إلا المجتاز عند مالك و هو الأصح لأنهم ع فسروه فقالوا هو المنقطع به و إن كان فى بلده ذا يسار فدل ذلك على أنه المجتاز و

قدروى أن الضيف داخل فيه والمنشى للسفر من بلده إذا كان فقيرا جاز أن يعطى من سهم الفقراء دون سهم ابن السبيل . ثم قسم السفر إلى طاعة ومعصية قال فإذا كان طاعة أو مباحا استحق بهما الصدقة ولا يستباح بسفر المعصية الصدقة ثم قال فابن السبيل متى كان منشئا للسفر من بلده و لم يكن له مال أعطى من سهم الفقراء عندنا و من سهم ابن السبيل عندهم و إن كان له مال لا يدفع إليه لأنه غير محتاج بلا خلاف و إن كان مجتازا بغير بلده و ليس معه شىء دفع إليه و إن كان غنيا فى بلده لأنه محتاج فى موضعه . هذا كلامه فى باب الزكاة والصحيح أن المنشى من بلده للسفر ليعطى شيئا فى بلد آخر لآمانع من أن يدفع إليه من سهم ابن السبيل مقدار ما يوصله إلى بلده . [صفحہ ۲۴۶]

فصل

قال المرتضى رضى الله عنه إن تمسك الخصم بقوله و أعلموا أنما غنمتم من شىء فإن لله خمسه و للرسول و لذى القربى و قال عموم الكلام يقتضى ألا يكون ذو القربى واحدا وعموم قوله و اليتامى و المساكين و ابن السبيل يقتضى تناوله لكل من كان بهذه الصفات و لا يختص بنى هاشم ومذهبكم يخالف ظاهر الكتاب لأنكم تخصون الإمام بسهم ذى القربى و لاتجعلونه لجميع قرابة الرسول من بنى هاشم و تقولون إن الثلاثة الأسهم الباقية هى ليتامى آل محمد و مساكينهم و أبناء سبيلهم و لاتتعدونهم إلى غيرهم ممن استحق هذا الاسم و هذه الأوصاف . و أجاب عنه فقال ليس يمتنع تخصيص مآظهره العموم بالأدلة على أنه لاخلاف بين الأمة فى تخصيص هذه الظواهر لأن ذا القربى عام و قد خصوه بقربى النبى ع دون غيره و لفظ اليتامى و المسكين و ابن السبيل عام فى المشرك و الذمى و الغنى و الفقير و قد خصته الجماعة ببعض من له هذه الصفة على أن من ذهب من أصحابنا إلى أن ذا القربى هو الإمام القائم مقام النبى خاصة و سمي بذلك لقربه منه نسبا و تخصصا فالظاهر معه لأن قوله لذى القربى وحده و لو أراد الجمع لقال ذوى القربى فمن حمل ذلك على الجمع فهو مخالف للظاهر. فأما الاستدلال بأن ذا القربى فى الآية لا يجوز أن يحمل على جميع ذوى القربيات من بنى هاشم فإن ما عطف على ذلك من اليتامى و المساكين و ابن السبيل إذ يلزم أن يكونوا غير الأقارب لأن الشىء لا يعطف على نفسه فضعيف و ذلك غير لازم لأن الشىء و إن لم يعطف على نفسه فقد يعطف صفة على أخرى و الموصوف واحد. -قرآن- ۵۳-۱۴۴-قرآن- ۲۱۱-۲۵۴-قرآن- ۱۰۱۱-۱۰۲۴ [صفحہ ۲۴۷]

فصل

والفىء ما أخذ بغير قتال فى قول عطاء و السائب و سفيان الثورى و هو قول الشافعى و هو اختيارنا و قال قوم الغنيمه و الفىء واحد. و قوله تعالى و أعلموا أنما غنمتم إلى آخر الآية ناسخ للآية التى فى الحشر من قوله ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله و للرسول و لذى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل لأن الله بين فى آية الغنيمه أن الأربعة الأخماس للمقاتلة و خمسها للرسول و لأقربائه و فى آية الحشر كلها له و على القول الأول لا يحتاج إلى هذا لأنه الفىء. و عندنا الفىء للإمام خاصة يفرقه فىمن يشاء يضعه فى مئونة نفسه و ذى قرابته و اليتامى و المساكين و ابن السبيل من أهل بيت النبى ص ليس لسائر الناس فيه شىء. و كذلك قيل فى قوله تعالى إن الله يأمر بالعدل و الإحسان و إيتاء ذى القربى إن الأمر فيه بإعطاء ذى القربى هو أمر بصله قرابة النبى ع و هم الذين أرادهم الله بقوله فإن لله خمسه و للرسول و لذى القربى -قرآن- ۱۴۳-۱۶۹-قرآن- ۲۲۱-۳۵۴-قرآن- ۷۱۴-

روى أنه لما نزل قوله تعالى ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فليله -رواية- ١-٢-رواية- ٧-٧-ادامه دارد [صفحه ٢٤٨] و للرسول و لذى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل الآية قال رسول الله ص لجبرئيل لمن هذا الفىء فأنزل الله قوله و آت ذا القربى حقه فاستدعى النبي ص فاطمة ع فأعطاها فدكا وسلمها إليها فكان وكلاؤها فيها طول حياة النبي من عند نزولها فلما مضى رسول الله أخذها أبو بكر و لم يقبل بينتها و لاسمع دعواها فطالبت بالميراث لأن من له حق إذامنع من وجه جاز له أن يتوصل إليه بوجه آخر فقال لها سمعت رسول الله يقول نحن معاشر الأنبياء لانورث ماتركناه صدقة فمنعها الميراث بهذا الكلام -رواية- از قبل- ٥٢٥ وروى على بن أسباط قال لما ورد أبو الحسن موسى ع على المهدي الخليفة وجدته يرد المظالم فقال ما بال مظلمتنا لا ترد فقال ما هي يا أبا الحسن فقال إن الله لما فتح على نبيه فدكا و ماوالاها و لم يوجف عليها بخيل و لاركاب فأنزل الله على نبيه و آت ذا القربى يدر رسول الله من هم فراجع في ذلك جبريل فسأل الله عن ذلك فأوحى الله إليه أن ادفع فدكا إلى فاطمة فدعاها رسول الله فقال لها يا فاطمة إن الله أمرني أن أدفع إليك فدكا فقالت قد قبلت يا رسول الله من الله و منك فلم يزل وكلاؤها فيها حياة رسول الله فلما ولى أبو بكر أخرج عنها وكلاءها فأتته فسألته أن يرد عليها فقال اتئبني بأسود أو أحمر فجاءت بأمر المؤمنين و الحسن و الحسين وأم أيمن فشهدوا لها فكتب بترك التعرض فخرجت و الكتاب معها فلقبها عمر فقال ما هذا معك يا بنت محمد قالت كتاب كتبه لى ابن أبي قحافة قال فأرينه فأبت فانتزعه من يدها فنظر فيه ثم تفل فيه ومحا وخرقه و قال هذا لأن أبيك لم يوجف عليه بخيل و لاركاب و تركها و مضى فقال له المهدي حدها فحدها فقال هذا كثير وأنظر فيه -رواية- ١-٢-رواية- ٢٨-١٠٠٠. [صفحه ٢٤٩]

و قوله تعالى يسئلونك عن الأنفال قل الأنفال لله و الرسول -قرآن- ١٦-٧٧ وروى عن الباقر والصادق ع أن الأنفال كل ما أخذ من دار الحرب بغير قتال إذا نجلي أهلها عنها -رواية- ١-٢-رواية- ٣١-١٠٠. و قسمها الفقهاء فينا و ميراث من لا وارث له و غير ذلك مما هو مذكور في كتب الفقه . و هو لله و للرسول و بعده للقاتم مقامه يصرف حيث يشاء من مصالح نفسه و من يلزمه مؤنته ليس لأحد فيه شىء. و قالوا كانت غنائم بدر للنبي ع خاصة فسألوه أن يعطيهم . و فى قراءة أهل البيت يسئلونك الأنفال فأنزل الله قوله قل الأنفال لله و الرسول و لذلك قال تعالى فاتقوا الله و أصلحوا ذات بينكم و لوسألوه عن موضع الاستحقاق لم يقل فاتقوا الله و قد اختلفوا فى ذلك اختلافا شديدا و الصحيح ما ذكرناه . و قال قوم نزلت فى بعض أصحاب النبي سألوه من المغنم شيئا قبل القسم فلم يعطه إياها فجعل الله جميع ذلك للنبي ع و كان نفل قوما و قال آخرون لو أردنا لأخذنا فأنزل الله الآية يعلمهم أن ما فعل فيها رسول الله ماض و قال معنى عن معنى من و كان ابن مسعود يقرأ يسئلونك الأنفال . -قرآن- ٣١١-٣٤٤-قرآن- ٣٦٤-٤٠٦-قرآن- ٤٤٦-٤٦١ [صفحه ٢٥٠] و قال الحسن قال النبي ع أيما سرية خرجت بغير إذن إمامها فما أصابت من شىء فهو غلول -رواية- ١-٢-رواية- ٣٢-٩٣. و اختلفوا هل لأحد بعد النبي أن ينفل فقال جماعة من الفقهاء واختاره الطبرى أن للأئمة أن يتأسوا بالنبي فى ذلك . و ذات بينكم قال الزجاج أراد الحال التى ينصلح بها أمر المسلمين . -قرآن- ١١٩-١٣١

و أما قوله ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فليله و للرسول و لذى القربى فأوله و ما أفاء الله على رسوله منهم من اليهود والذين أجلاهم من بنى النضير و إن كان الحكم سائرا في جميع الكفار إذا كان حكمهم حكمهم . والفىء رد ما كان للمشركين على المسلمين بتملكك الله إياهم على ما شرط فيه و قال عمر الفىء مال الخراج والجزية وقيل هو كل ما رجع من أموال الكافرين إلى المؤمنين فمنه غنيمه و غير غنيمه . و الذى نذهب إليه أن مال الفىء غير مال الغنيمه فالغنيمه كل ما أخذ بالسيف من دار الحرب عنوة على ما قدمناه والفىء كل ما أخذ من الكفار بغير قتال أو انجلى أهلها و كان ذلك للنبي ع وهى لمن قام مقامه و مال بنى النضير كان له ع لأنه لما نزل المدينة عاقده على أن لا يكونوا لا عليه و لا له ثم نقضوا العهد وأرادوا أن يطرحوا عليه حجرا حين مشى النبي إليهم يستعين بهم فأجلاهم الله عن منازلهم . وما أفاء الله على رسوله منهم يعنى من بنى النضير فهو له يفعل فيه ما يشاء و ليس فيه لأحد حظ . قرآن- ١٣- ١٠١- قرآن- ١٠٨- ١٤٨- قرآن- ٨٦٣- ٨٧٨ و قال النبي ص أيما قرية فتح الله ورسوله بغير قتال فهى لله -رواية- ١- ٢-رواية- ٢٠-ادامه دارد [صفحه ٢٥١] و لرسوله وأيما قرية فتحها المسلمون عنوة فإن لله خمسها و للرسول و لأقربائه و ما بقى غنيمه لمن قاتل عليها إذا كان يصح نقله إلى دار السلام فإن لم يمكن نقله فهو لبيت المال . ثم قال فما أوجفتم عليه من خيل و لا ركابيعنى لم يوجفوا على ذلك بخيل و لا ركاب وإنما جلوا عن الرعب و لم يكن هناك قتال . ثم بين المستحق لذلك فقال ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى يعنى قرى بنى النضير فليله و للرسول و لذى القربى يعنى من أهل بيته و ظاهره يقتضى أنه لهؤلاء سواء كانوا أغنياء أو فقراء ثم بين لم فعل ذلك فقال كى لا يكون دوله بين الأغنياء منكم فالدولة نقل النعمه من قوم إلى قوم . ثم قال و ما آتاكم الرسول فخذوه أى ما أعطاكم الرسول من الفىء فخذوه و ارضوا به فإن مال بنى النضير للنبي ص فإنه فىء لا غنيمه و النبي ع إنما وضعه فى المهاجرين إذا كان بهم حاجة و لم يعط الأنصار إلا أبادجانه و سهل بن حنيف لفقريهما وإنما وضعه فى المذكورين للفقرا لا من حيث كان لهم نصيب و هولمن قام مقامه من الأئمة -رواية- از قبل ٩٨٢ . و قوله للفقراء ليست اللام للتملك والاستحقاق وإنما هل للتخصيص من حيث تبرع النبي ع بشىء منه لهم كما تقدم بل اللام يتعلق بمعنى الكلام فى قوله ما آتاكم الرسول أى ما آتاكم الرسول إيتاء للفقراء و من قال للفقراء بدل من قوله لذى القربى يغفل عن سبب نزول الآية . و أما قوله و الذين تبوءوا الدار فمبتدأ و خبره يوجبون و كذا و الذين جاؤمبتدأ و خبره يقولون فلاتتوهم أن هؤلاء كلهم مشتركون فى ذلك الفىء كما يدعيه المخالفون -قرآن- ١٠- ٢٠- قرآن- ١٦٣- ١٨٢- قرآن- ٢٢٩- ٢٣٩- قرآن- ٢٥٤- ٢٦٧- قرآن- ٣٠٥- ٣٣٣- قرآن- ٣٤٧- ٣٥٥- قرآن- ٣٦١- ٣٧٦- قرآن- ٣٨٩- ٣٩٨] صفحه [٢٥٢]

باب زكاة الفطره

إشارة

كل آية دلت على زكاة المال تدل على زكاة الرءوس لعمومها و لفقد الاختصاص و قدروى عن آل محمد ع أن قوله تعالى قد أفلح من تزكى المراد به زكاة الفطره و فيها نزلت خاصة -رواية- ١- ٢-رواية- ٢٧- ١٠٦ فمن ملك قبل أن يهل شوال بلحظه نصابا و جب عليه إخراج الفطره . و قوله و ذكر اسم ربه فصليا إشارة إلى صلاة العيد و ذلك لأن إخراج الفطره يجب يوم الفطر

قبل صلاة العيد على ما بدأ الله به في الآية. وقال العلماء والمفسرون كل موضع من القرآن يدل على الصلوات الخمس وزكاة الأموال فذكر الصلاة فيه مقدم كقوله أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وقدم الزكاة في هذه الآية على الصلاة فقال قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلِّيَ علماً أن تلك الزكاة زكاة الفطرة وأن تلك الصلاة صلاة العيد. ويحتاج في زكاة الفطرة إلى معرفة خمسة أشياء من تجب عليه ومتى تجب و ما أُلذِي يجب وكم يجب و من يستحقها ويعلم تفصيلها من سنة النبي ع و قديينها بقوله وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ. وتجب الفطرة على كل حر بالغ مالك لما يجب فيه زكاة المال ويلزمه أن يخرج عن نفسه و عن جميع من يعوله حتى فطرة خادمة زوجته لقوله وَ عَائِشَةُ زَوْهْنٌ -قرآن- ٧٤-١٠٢ -قرآن- ٣٢٤-٣٥٩ -قرآن- ٤٠٤-٤٥٦ -قرآن- ٦٧٥-٧٤٠ -قرآن- ٨٧٩-٨٩٢ فمن ملك قبل أن يهل شوال بلحظة نصاباً وجب عليه إخراج الفطرة. وقوله وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى لِيُشَارَهِ إِلَى صَلَاةِ الْعِيدِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ إِخْرَاجَ الْفِطْرَةِ يَجِبُ يَوْمَ الْفِطْرِ قَبْلَ صَلَاةِ الْعِيدِ عَلَى مَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ فِي الْآيَةِ. وقال العلماء والمفسرون كل موضع من القرآن يدل على الصلوات الخمس وزكاة الأموال فذكر الصلاة فيه مقدم كقوله أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وقدم الزكاة في هذه الآية على الصلاة فقال قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى علماً أن تلك الزكاة زكاة الفطرة وأن تلك الصلاة صلاة العيد. ويحتاج في زكاة الفطرة إلى معرفة خمسة أشياء من تجب عليه ومتى تجب و ما أُلذِي يجب وكم يجب و من يستحقها ويعلم تفصيلها من سنة النبي ع و قديينها بقوله وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ. وتجب الفطرة على كل حر بالغ مالك لما يجب فيه زكاة المال ويلزمه أن يخرج عن نفسه و عن جميع من يعوله حتى فطرة خادمة زوجته لقوله وَ عَائِشَةُ زَوْهْنٌ بِالْمَعْرُوفِ وَ هَذَا مِنَ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّ أَهْلَ شَوَالٍ وَ زَوْجَتَهُ الْمَدْخُولَ بِهَا مَقِيمَةً عَلَى النَّشُوزِ لَمْ يَلْزَمَهُ فِطْرَتُهَا وَ الْمَرْأَةُ الْمَوْسِرَةُ إِذَا كَانَتْ تَحْتَ مَعْسَرٍ لَا يَلْزَمُهَا فِطْرَةُ نَفْسِهَا وَ تَسْقُطُ عَنِ الزَّوْجِ لِإِعْسَارِهِ وَ لَوْ قُلْنَا إِنَّهَا إِذَا مَلَكَتْ نَصَابًا وَ جَبَ عَلَيْهَا الْفِطْرَةُ كَانَ قَوْيَا لِعَمُومِ الْخَيْرِ إِذَا كَانَ الْحَالُ هَذِهِ. وَ الْفِطْرَةُ صَاعٌ مِنْ أَحَدِ أَجْنَاسِ سِتَّةِ الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَ التَّمْرِ وَ الزَّبِيبِ وَ الْأُرْزِ وَ الْأَقْطِ. وَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَخْرُجَ صَاعٌ مِنْ جَنْسَيْنِ وَ يَجُوزُ إِخْرَاجُ قِيَمَتِهِ وَ لَا يَجُوزُ إِخْرَاجُ الْمَسُوسِ وَ الْمُدُودِ مِنْهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى وَ لَا تَيْمَمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ -قرآن- ١-١٣ -قرآن- ٤٥٢-٤٩٤ قال الصادق ع تمام الصوم إعطاء الزكاة يعني الفطرة كالصلاة على النبي وآله من تمام الصلاة و من صام و لم يؤدها فلا صوم له إذا تركها متعمداً و من صلى و لم يصل على النبي وآله فلا صلاة له إن الله تعالى بدأ بها قبل الصلاة فقال قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى -رواية- ١-٢ -رواية- ١٨-٢٩٢. ويمكن أن يقال إن هذا فيمن صام واعتقد أن الفطرة لا تجب عليه و على وجه و كان ابن مسعود يقول رحم الله امرأ تصدق ثم صلى ويقرأ هذه الآية.

فصل

فإن قيل روى في قوله قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى عن ابن عمر و أبي العالية -قرآن- ٢٥-٤٧ [صفحة ٢٥٤] و عكرمة و ابن سيرين أنه أراد صدقة الفطرة و صلاة العيد وكيف يصح ذلك و السورة مكية و لم يكن هناك صلاة عيد و لا زكاة فطرة. قلنا يحتمل أن يكون نزلت أوائلها بمكة و ختمت بالمدينة. قال تعالى فَلا صِدْقَ وَ لا صِيْلَى أَى لَمْ يَتَّصِفْ وَ لَمْ يَصِلْ لِكِنْ كَذَّبَ اللَّهُ وَ تَوَلَّى عَنِ طَاعَتِهِ وَ كَأَنَّهُ فِي زَكَاةِ الْفِطْرِ لِأَنَّهُ ابْتَدَأَ بِذِكْرِ الصَّدَقَةِ ثَمَّ بِالصَّلَاةِ عَلَى مَا قَدَّمْنَا وَ الصَّدَقَةَ الْعَطِيَّةَ لِلْفَقِيرِ. وَ قَالَ تَعَالَى وَ مَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَ الشُّحُّ مَنْعُ الْوَاجِبِ فِي الشَّرْعِ وَ كَذَا الْبُخْلُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ -قرآن- ١٩١-٢١٣ -قرآن- ٢٣٨-٢٤٨ -قرآن- ٢٥٥-٢٦٤ -قرآن- ٣٨٢-٤٣٥ -قرآن- ٤٩٦-٥٢٥ وَ قَالَ النَّبِيُّ ص إِنَّهُ شَجَاعٌ أَقْرَعٌ طَوْقُوا بِهِ رَوَاهُ أَبُو جَعْفَرٍ ع -رواية- ١-٢ -رواية- ٢٠-٦٤

قال الله تعالى حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ والجزية عبارة -قرآن- ١٩-٦٧ [صفحة ٢٥٥] شرعية عن حق مخصوص يؤخذ من أهل الكتاب ليقروا على دينهم كما أن المأخوذ من أموال المسلمين على جهة الطهر يسمى زكاة وكلاهما اسم شرعى. والمعنى أن ذلك إذا أدوه أغنى عنهم لاجتزاء للمؤمنين لهم منهم والإبقاء به على دمائهم مأخوذة من قولهم هذا الشيء يجزى عن فلان أى يغنى عنه ويكفى. وقد طعن الدهرية فى أمر الجزية وأخذها وإبقاء العاصى على كفره لهذا النفع اليسير من جهته فكأنه إجازة الكفر لأجل الرشوة المأخوذة من أهل الذمة. الجواب لم تؤخذ الجزية للرضا بالكفر وفيه وجه حسن وهو أن إبقاءه أحسن فى العقل من قبله لأن الفرض بتكليفه نفعه وهو مادام حيا فعلى حد الرجاء من التوبة والإيمان بأن يتذكر ما غفل عنه و إذا قتل فقد انقطع الرجاء وهم أهل الكتاب يوحدون الله باللسان بخلاف الكافر الحربى فإن الحكمة تقتضى قتله إلا أن يسلم وإذا أخذ الجزية من هؤلاء بقوا ربما يكون سببا للإيمان وذو النفس الدنية ربما يفادى من ذهاب المال عنه الدخول فى الدين وفيه منفعة المؤمنين جملة وعلى أهل الذمة إهانته فالطعن ساقط.

قيل إن قوله تعالى وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا نزلت فى أهل الذمة ثم نسخها قوله قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ فوجب الجزية على أهل الكتاب من الرجال البالغين. والفقير الذى لا شىء معه يجب عليه الجزية لأنه لا دليل على إسقاطها منه -قرآن- ٢٢-٤٧-قرآن- ٨٢-٣٠٤ [صفحة ٢٥٦] وعموم الآية يقتضيه فإذا لم يقدر على أدائها كانت فى ذمته فإذا استغنى أخذت منه من يوم ضمنها. وبدليل العقل تسقط من مجانيهم ونواقصى العقول منهم. و مال الجزية حد لأنه من كل إنسان منهم ماشاء على قدر ماله ومما يطيق إنما هم قوم فدوا أنفسهم من أن يستعبدوا أو يقتلوا فتؤخذ منهم على قدر ما يطيقون حتى يسلموا فإن الله قال حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ فوجب الجزية مما يؤخذ منه فإذا وجد ذلا يسلم الجزية بيده صاغرا وإنما على طريق الإذلال بذلك وقابضها منه يكون قاعدا تألم لذلك يسلم. وقوله تعالى فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِذَا هُمْ فِي الدِّينِ عَلَى أَنْ مِنْ وَجبت عليه الجزية وحل الوقت فأسلم قبل أن يعطيها سقطت عنه ولم يلزمه أدائها لأن ذلك على العموم. وأما عقد الجزية فهو الذمة ولا يصح لإبشرطين الترام الجزية وأن يجرى عليهم أحكام المسلمين من غير استثناء فالتزام الجزية وضمانيها لا بد منه لقوله قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ إِلَى قوله حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ وَحقيقته الإعطاء هو الدفع غير أن المراد هاهنا هو الضمان وإن لم يحصل الدفع. وأما التزام أحكامنا عليهم فلا بد منه وهو الصغار المذكور فى الآية ففى الناس من قال الصغار هو وجوب جرى أحكامنا عليهم ومنهم من قال الصغار أن تؤخذ الجزية منه قائما والمسلم جالس عن خشوع وضراعة وذل واستكانة من الذمى وعن يد من المسلمين ونعمة منهم عليهم فى حقن دمائهم وقبول الجزية منهم. ولاحد لها محدود بل يضعها الإمام على أرضهم أو على رءوسهم على قدر -قرآن- ٣٣٦-٣٨٤-قرآن- ٥٤٤-٦٢٠-قرآن- ٨٩٣-٩٢٣-قرآن- ٩٣٥-٩٥٧ [صفحة ٢٥٧] أحوالهم من الضعف والقوة بقدر ما يكونون به صاغرين و ماروى أن عليا ع وضع على الموسر منهم ثمانية وأربعين

درهما و على المبسوط أربعة وعشرين درهما و على المتجمل اثني عشر درهما -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-١٣٢ إنما فعله لمارآه في تلك الحال من المصلحة

باب الزيادات

إشارة

أما قوله تعالى إِنَّمَا الصَّيِّدَاتُ لِلْفُقَرَاءِ فَقَصْرَ لجنس الصدقات على الأصناف المعدودة وأنها مختصة بهم كأنه قيل إنما هي لهم لالغيرهم ونحوه قولهم إنما الخلافة لقريش يريدون لايتعداهم ولا يكون لغيرهم فيحتمل أن تصرف إلى الأصناف كلها و أن تصرف إلى بعضها. -قرآن- ١٨-٤٧

مسألة

فإن قيل لم عدل عن اللام التي في الأربعة الأولى من قوله لِلْفُقَرَاءِ التي في الأربعة الأخيرة. قلنا قال بعض المفسرين إن ذلك للإيدان بأنهم أرسخ في استحقاق التصديق عليهم ممن سبق ذكره لأن في للدعاء فبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات و ذلك لما في فك الرقاب من الكتابة أو الرق أو الأسر و في فك الغارمين من الغرم من التخليص والإنفاذ. ويجمع الغازى الفقير أوالمنقطع في الحج بين الفقر والعالة وكذلك ابن السبيل الجامع بين الفقر والغربة عن الأهل والمال وتكرير في في قوله وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ فيه فضل ترجيح لهذين على الغارمين . -قرآن- ٦٢-٧٢-قرآن- ٥٠٥-٥٢٥ [صفحة ٢٥٨] وقيل اللام في الأصناف الأربعة تدل على أن تلك الصدقة لهم يفعلون به ماأرادوا وينفقون كماشاءوا مما أبيع لهم ولفظه في تدل أن الصدقة التي تعطى المكاتب والغارم ليس لهما أن ينفقا على أنفسهما وأهاليهما وإنما يضعان في فك الرقبة والذمة فيوصل المكاتب إلى سيده المديون إلى غريمه . و قوله فَرِيضَةٌ مصدر مؤكّد لأن قوله إِنَّمَا الصَّيِّدَاتُ لِلْفُقَرَاءِ معناه فرض الله الصدقات لهم . -قرآن- ٣٠١-٣٠٩

مسألة

وقوله وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ أَطِيعُوا الرُّسُولَ -قرآن- ٩-٧٠ قال النبي ع أيها الناس إنه لانبى بعدى و لأمة بعدكم صلوا خمسكم وصوموا شهركم وحجوا بيتكم وأدوا زكاة أموالكم تدخلوا جنه ربكم -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-١٣٨. فاشتملت هذه الآية على جميع العبادات .

مسألة

و أما قوله وَ اعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَا بِمَعْنَى الَّذِي و من شىء بيانه. قيل من كل شىء حتى الحنطة والمخييط وقيل من بعض

الأشياء لا- من جميعها فيكون التقدير من شىء مخصوص فحذف الصفة كقوله فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ أَى من الأم . وقوله فَأَنَّ لِلَّهِتَقْدِيرِهِ فواجب أن الله خمسة كأنه قيل فلا بد من ثبات -قرآن- ١٣-٤٩-قرآن- ٢٠١-٢٢٣-قرآن- ٢٤٦-٢٥٨ [صفحہ ٢٥٩] الخمس فيه من حيث إنه إذا حذف الخير واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك واجب ثابت حق لازم و ما أشبه ذلك كان أقوى لإيجابه من النص على واحدة وتعلق قوله إن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِمَحذُوفٍ ويبدل عليه اعلّموا أى إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أن الخمس لهؤلاء المذكورين و ليس المراد العلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لأمر الله لأن العلم المجرد يستوى فيه المؤمن والكافر. -قرآن- ١٦٤-١٩٠-قرآن- ٢١٠-٢١٧

مسألة

فإن قيل مامعنى ذكر الله وعطف الرسول وغيره عليه فى قوله تعالى فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَى آيَةً وَ ما المراد بالجمع بين الله ورسوله فى قوله قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ. قلنا أما آية الغنيمه فإن الله لما رأى المصلحة أن يكون خمس الغنيمه على ستة أقسام و يكون لرسوله سهمان منه فى حال حياته و سهم لذى قرياه و ثلاثة الأسهم الباقية لتمامى آل محمد و مساكينهم و أبناء سيولهم و يكون بعد وفاة رسول الله سهم الله و سهم رسوله و سهم ذى القربى لذى قربى الرسول القائم مقامه فصل تفصيلا فى ذلك تمهيدا لعذرهم و قطعاً لأطماع كل طامع . وكذلك آية الأنفال لما علم الله الصلاح فى الأنفال أن تكون خاصة لرسوله وبعده لمن يقوم مقامه من ذى قرياه أضافها إلى نفسه و إلى رسوله لكيلا تكون دوله بين هذا وذا و أبى القوم إلا أن تكون دولة بينهم . -قرآن- ٧٢-١٢٥-قرآن- ١٧٩-٢١٢

مسألة

وقوله وَ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ أَى ما جعله الله فينا له خاصة فما أوجفتم -قرآن- ٩-٤٢ [صفحہ ٢٦٠] على تحصيله خيلا و لا-تعبتم فى الاقتتال عليه ولكن سلط الله رسوله على مال بنى النضير ونحوه فالأمر فيه مفوض إليه يضعه حيث يشاء يعنى أنه لا-يقسم قسمه الغنائم التى قوتل عليها و ذلك أنهم طلبوا القسمة فنزلت الآية. ثم قال ما أفاء الله على رسوله و لم يدخل الواو العاطفه لأنه بيان للجملة الأولى فالجملة الأخيرة غير أجنبية عنها بين لرسول الله ما يصنع بما أفاء الله عليه و أن كان هو حقه نحله من الله فى هذه الآية و فى قوله وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ. -قرآن- ٢٣٥-٢٦٥-قرآن- ٤٥٤-٤٧٨

مسألة

و عن زرارة و محمد بن مسلم أنهما قالاً لأبى عبد الله ع أرأيت قول الله إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسْكِينِ آيَةً أ كل هؤلاء يعطى و إن كان لا يعرف فقال إن الإمام يعطى هؤلاء جميعاً لأنهم يقرؤن بالطاعة و إنما يعطى من لا يعرف ليرغب فى الدين فيثبت عليه فأما اليوم فلا تعطىها أنت و أصحابك إلا- من تعرف فمن وجدت من هؤلاء المسلمين عارفاً فأعطه دون الناس -روایت- ١-٢-روایت- ٣٧٨-٣٠

مسألة

فإن قيل كيف قال وَ فِي الرِّقَابِ بعد قوله وَ آتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُرْبَى و لا يقال آتى المال فيه . قلنا المفعول محذوف والتقدير وَ آتى فى فك الرقاب سيدهم و فى حق الغارمين أصحاب ديونهم و لا تعطى المملوك المال لينفق على نفسه وإنما يعطى ليدفع إلى مولاه فينتق سواء كان مكاتباً أو مملوكاً . -قرآن- ٢٠-٣٤-قرآن- ٤٥-٨٥ [صفحة ٢٦١]

مسألة

قال الصادق ع فى قوله لا- خَيْرٌ فى كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَتِهِ أَوْ مَعْرُوفٍ المَعْرُوفِ القرض -روایت- ١-٢-روایت- ١٨-١١٨ و قال فى قوله كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسِرَاتٍ عَلَيْهِمْ هو الرجل يدع ماله لا ينفقه فى طاعة الله بخلا ثم يدعه لمن يعمل بطاعة الله أو بمعصيته فإن عمل فيه بطاعة الله رآه فى ميزان غيره فرآه حسرةً و قد كان المال له و إن عمل به فى معصيته قواه بذلك المال حتى عمل به فى معصية الله -روایت- ١-٢-روایت- ١٠-٣١٢

مسألة

قال على ع قوله قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى انه التصدق بصدقة الفطر و قال لأبالي أن أجد فى كتابى غيرها لقوله قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى أى أعطاه زكاة الفطرة فتوجه إلى المصلى فصلى صلاة العيد -روایت- ١-٢-روایت- ١٦-٢٢٧

مسألة

روى أبو سعيد الخدرى كنا نخرج إذا كان فىنا رسول الله صاعاً من تمر أو طعام أو شعير أو أقط فقدم معاويةً حاجاً فقال أرى مدين من سمراء الشام -روایت- ١-٢-روایت- ٢٣-ادامه دارد [صفحة ٢٦٢] يعدل صاعاً من تمر -روایت- از قبل- ٢١ و ذلك فى عهد عثمان فقال على ع و قد سئل عن الفطرة فقال صاع من طعام قيل أونصف صاع قال بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان -روایت- ١-٢-روایت- ٣-١٠٩

مسألة

و قال الرضا ع إن الخمس بعد المئونة -روایت- ١-٢-روایت- ١٨-٤٠ و قال الصادق ع إن الله لما حرم علينا الزكاة أنزل لنا الخمس قال الله تعالى وَ اعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءِ الآيَةِ فالصدقة علينا حرام والخمس لنا فريضة والكرامة لنا حلال -روایت- ١-٢-روایت- ٢٠-١٨٦

مسألة

وقال أبو عبد الله ع في الرجل يموت ولا وارث له ولا مولى إنه من أهل هذه الآية يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ -رواية- ١-٢-رواية- ١١٩-٣ و عن علي بن أبي راشد قلت لأبي الحسن ع عندنا لأبي جعفر شئ فكيف نصنع فقال ما كان لأبي ع بسبب الإمامة فهو لي وما كان غير ذلك فهو ميراث علي كتاب الله وسنة نبيه ص -رواية- ١-٢-رواية- ٢٧-١٨٢ [صفحة ٢٤٣]

كتاب الحج

إشارة

قال الله تعالى وَ أَتَمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلْهَفْأَوْجِبِ سَبْحَانَهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ حُجَّةُ الْإِسْلَامِ وَعُمْرَةُ الْإِسْلَامِ لِأَنَّهُ تَعَالَى أَمْرٌ مِنَ الْمَكْلُفِينَ جَمِيعٍ مِنْ تَوَجُّهِهِ إِلَيْهِ وَجُوبِ الْحَجِّ أَنْ يَتِمَّ الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ وَوَجُوبِ الْإِتِمَامِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاجِبٌ بَلْ هَذَا أَكَّدَ فِي الْإِجَابِ مِنْ حُجْوِهَا وَاعْتَمَرُوا كَمَا أَنَّ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ أَكَّدَ مِنْ صَلَّوْا وَآتُوا الزَّكَاةَ أَكَّدَ مِنْ زَكَوْا. وَهِيَ وَاجِبَةٌ بِشُرُوطٍ ثَمَانِيَةٍ بَيْنَهَا رَسُولُ اللَّهِ ص . وَقَوْلُهُ أَتَمُّوا أَمْرٌ بِإِقَاعِهِمَا تَامَةٌ فَإِنَّ نَسَكَهَا كَثِيرَةٌ وَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَقْضَى بَعْضُهَا دُونَ بَعْضٍ . وَقِيلَ مِنْ دَخَلَ فِي الْحَجِّ أَوْ الْعُمْرَةِ عَلَى سَبِيلِ التَّطَوُّعِ وَأَحْرَمَ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتِمَّهُ وَمِثَالُهُ الْإِعْتِكَافُ فَإِنَّهُ يَسْتَحِبُّ لِلْمَكْلُفِ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي أَحَدِ الْمَسَاجِدِ الْأَرْبَعَةِ فَإِذَا عْتَكَفَ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتِمَّهُ . -قرآن- ١٩-٥٦-قرآن- ٢٧٨-٢٩٥-قرآن- ٣٠٩-٣٢٢-قرآن- ٣٨٩-٣٩٦ [صفحة ٢٤٤]

فصل

ولما قرن تعالى العمرة بالحج وأمر بإتمامهما وفعلهما أمرا واحدا فهي في الوجوب مرة واحدة كالحج . والحج في اللغة القصد و في الشرع هو القصد إلى البيت الحرام لأداء مناسك بهام مخصوصة في أوقات مخصوصة. والعمرة في اللغة الزيارة و في الشرع عبارة عن زيارة البيت لأداء مناسك مخصوصة فإن كانت مما يتمتع بها إلى الحج فتكون أيضا في وقت مخصوص و إذا كانت مبتولة ففي أي وقت كان من أيام السنة جازت . وقيل في قوله وَ أَتَمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلَّهِ أَي أَقِيمُوا إِلَى آخِرِ مَا فِيهِمَا وَ هُوَ الْمُرُودُ عَنِ امْتِمَارِ الْمُؤْمِنِينَ وَ زَيْنِ الْعَابِدِينَ ع . وَقَوْلُهُ لِلَّهِ أَي أَقْصِدُوا بِهَذَا التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ . -قرآن- ٤١٦-٤٥٣-قرآن- ٥٤٠-٥٤٥

فصل

وقال تعالى وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا -قرآن- ١٥-٨١ سئل أبو عبد الله ع عن قوله مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا فقال ما يقول فيها هؤلاء قيل يقولون الزاد والراحلة فقال ع قد قيل ذلك لأبي جعفر فقال هللك الناس إذا كان من له زاد وراحلة لا يملك غيرهما أو مقدار ذلك مما يقوت به عياله ويستغني به عن الناس فقد وجب عليه الحج ثم رجع فيسأل الناس بكفه لقد هللك إذ قيل له فما السبيل عندك فقال السعة -رواية- ١-٢-رواية- ٣-١٣-رواية- ٣-١٣-رواية- ٣-١٣ [صفحة ٢٤٥] في المال و هو أن يكون معه ما يحج ببعضه ويبقى بعض يقوت به نفسه و عياله ثم قال أليس قد فرض الله الزكاة فلم تجعل إلا على من يملك مائتي درهم -رواية- ١-٢-رواية- ١٥٨ . وإنما أورد ع هذه اللفظة على وجه المثال لا على وجه الحمل والأمثلة مما توضح به المسائل قال الله تعالى إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ -قرآن- ١١١-١٥٥

باب في أنواع الحج

معلوم أن الحج ليس المراد به القصد والحضور فقط وإنما هو مجمل يحتاج إلى التفصيل كالصلاة وتفصيله يدرك بالكتاب والسنة والله سبحانه قد بين بعض ذلك كالوقوف والدفع والسعى والطواف كما ذكر في سورة البقرة و بين أيضا ما يجب أن يمتنع منه كالرفث والفسوق والجدال وقتل الصيد. و الذي يدرك بالسنة فقد بينها رسول الله لقوله وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ. ثم اعلم أن الحج ضروب ثلاثة مفرد لأهل مكة وقارن لمن حكمه حكم أهل مكة وإن كان منزله خارج مكة من بواديها ثم النوعان للفريقين وتمتع لمن نأى من الحرم. فالأفراد فرض ساكنى مكة ومجاوريها الذين جاؤوا ثلاث سنين فصاعدا لم يجز لهم التمتع ويجوز لهم القران فأما من كان بحكم حاضرى المسجد الحرام فهو كل من كان على اثني عشر ميلا فما دونها إلى مكة من أى جانب كان ففرضه الأفراد والقران ولأن يحرم أغنياؤهم فالإقران أولى . وفرض التمتع عندنا هو اللازم لكل من لم يكن من حاضرى المسجد الحرام -قرآن- ٣٢٧-٣٩٢ [صفحہ ٢٦٦] و هو كل من كان على أكثر من اثني عشر ميلا من أى جانب كان إلى مكة فمن خرج عنها و ليس من الحاضرين لا يجوز له مع الإمكان غير التمتع قال الله تعالى فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ آيَةٌ. -قرآن- ١٥٩-٢١٣

فصل

وروى عن ابن عمار عن أبي عبد الله ع أن النبي ص أقام بالمدينة عشر سنين لم يحج ثم أنزل الله عليه وَ أَدِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ آيَةٌ -روایت- ١-٢-روایت- ٤٤-١٤٦ فأمر المؤذنين أن يؤذنوا على أصواتهم بأن رسول الله يحج من عامه هذا فعلم به من حضر المدينة و أهل العوالي والأعراب فاجتمعوا فخرج رسول الله في أربع بقين من ذى القعدة فلما انتهى إلى ذى الحليفة فزالت الشمس فاغتسل ثم خرج حتى أتى المسجد عند الشجرة فصلى فيه الظهر وأحرم بالحج ثم ساق الحديث إلى أن قال فلما وقف رسول الله بالمروة بعد فراغه من السعى قال إن هذا جبريل وأومى بيده إلى خلفه يأمرنى أن أمر من لم يسق هديا أن يحل ثم قال و لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لصنعت مثل ما أمرتكم ولكنى سقت الهدى و لا ينبغي لسائق الهدى أن يحل حتى يبلغ الهدى محله فقال عمر أنخرج [صفحہ ٢٦٧] حجاجا ورءوسنا تقطر فقال ع إنك لن تؤمن بها أبدا فقام إليه سراقه فقال فهذا الذى أمرتنا به لعامنا هذا أو لما يستقبل فقال ع بل هو للأبد إلى يوم القيامة ونزل رسول الله بمكة بالبطحاء هو وأصحابه و لم ينزلوا الدور فلما كان يوم التروية عند زوال الشمس أمر الناس أن يغتسلوا ويهلوا بالحج وكانت قريش تفيض من المزدلفة وهى جمع والمشعر الحرام ويمنعون الناس أن يفيضوا منها فأنزل الله ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ يَعْنِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ فِي إِفَاضَتِهِمْ مِنْهَا وَ مَنْ كَانَ بَعْدَهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ ثُمَّ مضى إلى الموقف بعرفات فوقف حتى وقع القرص إلى آخر الحديث . -قرآن- ٣٩٢-٤٣٠

فصل

ومما يدل على التمتع بالعمرة إلى الحج هو فرض الله على كل من نأى عن المسجد الحرام و لا يجزيه مع التمكن سواه بعد إجماع الطائفة عليه قوله تعالى وَ اتَّمُوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَأَمْرُهُ تَعَالَى شَرَعًا عَلَى الْوَجُوبِ وَالْفُورِ فَلَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَأْتِيَ بِهِمَا عَلَى الْفُورِ بَأَنْ يَحْرَمَ بِالْحَجِّ أَوِ الْعُمْرَةِ مَعًا أَوْ يَبْدَأَ بِالْحَجِّ وَيَتَنَّى بِالْعُمْرَةِ أَوْ يَبْدَأَ بِالْعُمْرَةِ وَيَتَنَّى بِالْحَجِّ فَلِأُولَئِكَ يَبْطُلُ لِأَنَّ عِنْدَنَا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ

يجمع فى إحرام واحد بين الحج والعمرة كما لا يجمع فى إحرام واحد بين حجتين أو عمرتين والقسم الثانى أيضا باطل لأن أحدا من الأمة لا يوجب على من أحرم بالحج مفردا أن يأتى عقبيه بلا فصل بالعمرة فلم يبق إلا وجوب القسم الأخير الذى ذكرناه وهو المتمتع الذى ذهبنا إليه . -قرآن- ١٥٤-١٩١ [صفحہ ٢٦٨] فإن قيل قد نهى عمر عن هذه المتعة مع متعة النساء وأمسكت الأمة عنه راضية بقوله . قلنا من ليس بمعصوم عن الفعل القبيح لا يدل على قبحة قوله بالنهى عن التمتع والإمساك عن النكير لا يدل عند أحد من العلماء على الرضا إلا بعد أن يعلم أنه لا وجه له إلا الرضا . وروى الحلبي قال سألت أبا عبد الله ع عن الحج فقال تمتع دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة لأن الله يقول فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فليس لأحد أن يتمتع إلا للحاضرى المسجد الحرام لأن الله تعالى أنزل ذلك فى كتابه وجرت السنة من رسول الله ص ثم قال إنا إذا وقفنا بين يدي الله قلنا ياربنا عملنا بكتابك و قال الناس رأينا ورأينا ويفعل الله بنا وبهم ما أراد ثم قال إنا لانتقى أحدا فى التمتع بالعمرة إلى الحج واجتناب المسكر والمسح على الخفين -روایت- ١-٢-روایت- ٢٢-٥١١

فصل

وسياق التمتع أن يحرم من الميقات بالعمرة فى أشهر الحج وهى شوال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة ويلبى ثم يدخل مكة فيطوف بالبيت للعمرة ويصلى ركعتى الطواف لها ويسعى بين الصفا والمروة ويقصر و قد حل . فيتمتع حينئذ بلبس الثياب إن شاء وعمل كل ما يعمل به الحلال من الطيب [صفحہ ٢٦٩] والنساء وغيرهما إلا الصيد لأنه فى الحرم إلى أن يحرم بالحج يوم التروية فهذه المدة التى بينهما متعة له . ثم ينشئ إحراما آخر بالحج من المسجد الحرام ويلبى ويخرج إلى عرفات ويقف هناك ويفيض إلى المشعر ويقف هناك ويغدو منها إلى منى ويذبح الهدى بها مع باقى المناسك يوم النحر ثم يأتى مكة يوم النحر أو من الغد لا غير اختيارا ويطوف طواف الزيارة ويصلى ركعتيه ويسعى ويطوف طواف النساء ويصلى ركعتيه و قد أحل من كل شىء ويعود إلى منى فيبيت لىالى منى بها ويرمى الجمار . وفرائض الحج المتمتع ثمانى عشرة يدل عليها ظواهر القرآن وفحواه وفرائض الحج القارن والمفرد عشر و من أفرد أوقارن فعليه أن يعتمر بعد الفراغ عمرة الإسلام مبتولة من حجه متى شاء

باب فى تفصيل أفعال الحج المتمتع

إشارة

أولها النية لأن من خرج من بيته قاصدا بيت الله يجب عليه وقت نهوضه أن ينوى أنه يخرج لحج الإسلام . ثم هو فى قطع الطريق يؤدى الواجبات لأذن ما لا يتم الواجب إلا به فهو أيضا واجب فإذا بلغ الميقات أحرم به للعمرة التى يتمتع بها إلى الحج ونوى ولبس ثوبى الإحرام ولبى أربع كلمات واجبا . فالدليل على وجوب النية قوله تعالى وَ مَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فهذه الآية تدل على أن النية للحج ولجميع العبادات واجبة لأن الإخلاص بالديانة هو القربى إلى الله تعالى بعملها مع ارتفاع الشوائب والتقرب إليه تعالى -قرآن- ٣٤١-٤٠٣ [صفحہ ٢٧٠] لا يصح إلا بالعقد عليه والنية له برهان . والنية إرادة مخصوصة محلها القلب و بين ع ذلك بقوله إنما الأعمال بالنيات -روایت- ١-٢-روایت- ٩-٣٢ . و أما الإحرام فريضة من تركه متعمدا فلا حج له فإذا أراد الإحرام تنظف واتزر بثوب وتوشح بآخر أوارتدى به ولا يلبس مخيطا . وروى عن ابن مسعود أنه لقي رجلا

محرمًا و عليه ثيابه القميص والسروال فقال له انزع هذاعنك فقال الرجل اقرأ على آية في هذا من كتاب الله فقرأ عليه قوله تعالى ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٢٣٢ . والآية عامة في كل ما أتى رسول الله و مانهى عنه و إن كان أمر النبي متصلا به و لاختلاف بين الفقهاء أن الآية إذ أنزلت في أمر لا تكون مقصورة عليه .

فصل

و قوله تعالى وَ أذن في الناس بالحج الآية . -قرآن- ١٦-٤٤ عن ابن عباس أن ابراهيم ع قام في المقام فنادى يا أيها الناس إن الله قد دعاكم إلى الحج فأجاب الحاضرون بليكن لبيك اللهم لبيك لبيك -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-١٤٧ . والشىء إذ علم أنه كان في شرع و لم ينسخ فهو على ما كان . و قال مجاهد نزل قوله يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤلنكم عن أمر الحج لما أنزل الله و لله على الناس حج البيت فوالوا في كل عام قال لا و لو قلت نعم لوجبت -رواية- ١-٢-رواية- ١٥-٢٢٤ [صفحة ٢٧١] و قال ابن عباس كان رجل مطعون في نسبه يقال له عبد الله فقال يا رسول الله من أبى فقال ع حذفه فنزلت الآية -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-١٢٣ . و كأن السؤال الأول والثانى وقعا في مجلس واحد فخاطب الله المؤمنين بهذه الآية ونهاهم عن مسألة الأشياء التي إذا ظهرت ساءت وأحزنت من أظهرت له . و روى عن أبى ابراهيم موسى بن جعفر ع أنه قال إن الله فرض الحج على أهل الجدة في كل عام و ذلك قوله و لله على الناس حج البيت فقال أخوه على بن جعفر قلت و من لم يحج منا فقد كفر قال لا ولكن من قال ليس هذا هكذا فقد كفر -رواية- ١-٢-رواية- ٥٥-٢٥٢ . ومعناه أنه يجب على أهل الجدة في كل عام على طريق البدل لأن من وجب عليه الحج في السنة الأولى فعلى هذا في كل سنة إلى أن يحج و لم يعن ع وجوب ذلك عليهم في كل عام على طريق الجمع ونظير ذلك ما نقله في وجوب الكفارات الثلاث من أنه متى لم يفعل واحدة منها فإننا نقول إن كل واحدة منها له صفة الوجوب فإذا فعل واحدة منها خرج الباقي من أن يكون واجبا فكذلك القول فيما تضمن هذا الحديث . والمراد بقوله و لله على الناس حج البيت الأمر دون الخبر كقوله و من دخله كان آمنا فإن معناه الأمر أيضا أى أمنوه لأنه لو كان خيرا لكان كذبا . -قرآن- ٢٣-٤٥٨-قرآن- ٨٢-٤٠٨ [صفحة ٢٧٢]

فصل

و من أحرم بالحج أو بالعمرة التي يتمتع بها إلى الحج في غير أشهر الحج وهي شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة لم ينعقد إحرامه . والحجة لنا بعد الإجماع المكرر قوله تعالى الحج أشهر معلومات ومعنى ذلك وقت الحج أشهر معلومات لأن الحج نفسه لا يكون أشهرا والتوقيت في الشريعة يدل على اختصاص الموقت بذلك الوقت و أنه لا يجوز إلا في وقته . فإن تعلق المخالف بقوله يسئلونك عن الأهل قل هي مواقيت للناس و الحج و أن ظاهر ذلك يقتضى أن الشهور كلها متساوية في جواز الإحرام فيها. الجواب أن هذه الآية عامة نخصصها بقوله الحج أشهر معلومات ونحمل لفظ الأهل على أشهر الحج خاصة. على أن أبا حنيفة لا يمكنه التعلق بهذه الآية لأن الله تعالى قال مواقيت للناس و الحج والإحرام عنده ليس من الحج . و قد أجاب بعض الشفعية عن التعلق بهذه الآية بأن قال يسئلونك عن الأهل قل هي مواقيت للناس أى لمنافعهم وتجاراتهم ثم قال و الحج فافتضى ذلك أن يكون بعضها لهذا وبعضها لهذا وهكذا نقول ويجرى ذلك مجرى قولهم هذا المال لزيد وعمرو أن الظاهر يقتضى اشتراكهما فيه . و هذا ليس بمعتمد لأن الظاهر من قوله للناس و الحج يقتضى أن يكون -قرآن- ١٧٥-١٩٩-قرآن- ٣٨١-٤٤٧-قرآن- ٥٥٥-

٥٧٩-قرآن-٥٩١-٦٠٠-قرآن-٦٩٢-٧١٩-قرآن-٨٠٨-٨٦٤-قرآن-٨٩٨-٩٠٦-قرآن-١٠٨٠-١٠٩٧ [صفحة ٢٧٣] جميع الأهلة على العموم لكل واحد من الأمرين وليس كذلك قولهم المال لزيد وعمرو لأنه لا يجوز أن يكون جميع المال لكل واحد منهما فوجب الاشتراك لهذه العلة وجرت الآية مجرى أن نقول هذا الشهر أجل لدين فلان ودين فلان في أنه يقتضى كون الشهر كله أجلا للدينين جميعا ولا ينقسم لانقسام المال فوجب أن لا يكون الاشتراك لهذه العلة.

فصل

والطواف بالبيت فريضة و هوسبعة أشواط يبدأ به من عند الحجر الأسود قال تعالى وَ عَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالطَّائِفِ الدَّائِرِ حَوْلَ الْكَعْبَةِ وَقَالَ وَ لِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَقَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ وَقَالَ أَرِنَا مَنَاسِكَنَا قَالَ قَتَادَةُ أَرَاهُمَا اللَّهُ الطَّوْفُ بِالْبَيْتِ وَالسَّعْيُ بَيْنَ الصِّفَا وَالْمَرْوَةِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ. وَقَالَ تَعَالَى وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى قَالَ الشَّعْبِيُّ وَقَتَادَةُ أَمَرُوا أَنْ يَصَلُّوا عِنْدَهُ وَهُوَ الْمَرْوِيُّ فِي أَخْبَارِنَا وَبِذَلِكَ يَسْتَدَلُّ عَلَىٰ أَنْ صَلَاةَ الطَّوْفِ فَرِيضَةٌ مِثْلُ الطَّوْفِ لِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِذَلِكَ وَالْأَمْرُ فِي الشَّرْعِ يَقْتَضِي الْإِجَابَ وَ لَيْسَ هَاهُنَا صَلَاةٌ يَجِبُ أَدَاؤُهَا عِنْدَهُ غَيْرَ هَذِهِ . -قرآن-٨١-١٥٤-قرآن-١٩٠-٢٢٣-قرآن-٢٣١-٢٦٩-قرآن-٢٧٧-٢٩٣-قرآن-٤٠٨-٤٤٩ [صفحة ٢٧٤] وَقَالَ تَعَالَى يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ لِآيَةٍ قَالَ مُجَاهِدٌ إِنَّمَا ذَكَرَ اللَّبَاسَ هَاهُنَا لِأَنَّ الْمَشْرُوكِينَ كَانُوا يَتَعَرَّوْنَ فِي الطَّوْفِ حَتَّى تَبْدُو سَوَاتِهِمْ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا هُوَ التَّعَرُّى فِي الطَّوْفِ كَانُوا يَقُولُونَ لَنَخْدُمُ اللَّهَ فِي ثِيَابٍ أَدْنَبْنَا فِيهَا وَيُقَالُ أَيْضًا بِالتَّعَرُّى مِنَ الذَّنُوبِ وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَطُوفُ أَيْضًا عَرِيَانَةً لِأَنَّهَا تَشْدُ فِي حَقِّهَا سِيرًا. -قرآن-١٥-٧٨-قرآن-١٩٠-٢٤١-

فصل

السعي بين الصفا والمروة فرض عندنا في الحج والعمرة و به قال الحسن وعائشة والشافعي قال الله إِنَّ الصِّفَا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ. وهما جبلان معروفان بمكة وهما من الشعائر أى معالم الله وشعائر الله أعلام متعبداته من موقف أو مسعى أو منحر مأخوذ من شعرت به أى علمت و كل معلم لعبادة من دعاء أو صلاة وأداء فريضة فهو مشعر لتلك العبادة. وإنما قال فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَهُوَ -قرآن-٩٩-١٤٢-قرآن-٣٦٣-٤٣٤ [صفحة ٢٧٥] طاعة من حيث إنه جواب لمن توهم أن فيه جناحا لصنمين كانا عليهما أحدهما أساف والآخر نائلة وروى ذلك عنهما ع و كان ذلك في عمرة القضاء و لم يكن فتح مكة بعد وكانت الأصنام على حالها حول الكعبة. و قال قوم سبب ذلك أن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بينهما فكره المسلمون ذلك خوفا أن يكون من أفعال الجاهلية فأنزل الله فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا. و قال آخرون على عكس ذلك وذكروا أن أهل الجاهلية كانوا يكرهون السعي بينهما فظن قوم أن في الإسلام مثل ذلك فأنزل الله الآية. وجملته أن في الآية ردا على جميع ماكرهه من كرهه لاختلاف أسبابه على الأجوبة الثلاثة. -قرآن-٣٢٩-٣٦٧-

فصل

قوله تعالى وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ لَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنْ السَّعْيَ بَيْنَ الصِّفَا وَالْمَرْوَةِ مُسْتَحَبٌّ مَتَطَوَّعٌ لِأَنَّ مَعْنَاهُ وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا

بالصعود على الصفا والمروة فهو المجازى بالثواب على تطوعه وفيمن لم يصعد و لم يقف على رءوسهما وسعى وطاف بينهما من طرف هذا إلى طرف تلك و من طرف تلك إلى طرف هذا هكذا سبعا فقد أدى الواجب فلا جناح عليه . و قال أنس و عطا إن جميع ذلك تطوع و به قال أبو حنيفة و عندنا أن من ترك الطواف بينهما متعمدا فلاحج له حتى يعود ويسعى و به قالت عائشة و الشافعي و قال أبو حنيفة إن عاد فحسن و إلجبره بدم و قال عطا و مجاهد يجزيه و لا شيء عليه . و قال المفسرون في معنى قوله وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا ثَلَاثَةً أَقْوَالٍ أُولَاهَا مِنْ -قرآن- ١٤-٥٦-قرآن- ٦١٦-٦٣٧ [صفحة ٢٧٦] تطوع خيرا أى الحج أو العمرة بعد الفريضة و الثانى و من تطوع خيرا أى بالطواف بهما عند من قال إنهما نفل و الثالث و من تطوع خيرا بعد الفرائض كمن طاف بالبيت الطوافات النافلة بعد الفراغ من مناسك الحج و هذا هو الأولى لأنه أعم . و قال الجبائي التقدير فلا جناح عليه أن يطوف بهما و هو غير صحيح لأن الحذف يحتاج إلى دليل . و الفرق بين الفرض و التطوع أن الفرض يستحق بتركة الذم و العقاب و التطوع لا مدخل لهما في تركه . و عن الصادق ع أن آدم الصفى نزل على الصفا و حواء على المروة و هى مرأة تسميا بهما -رواية ١-٢-رواية- ١٩-٨٨ . و التقصير بعد الفراغ من هذه العمرة واجب قال تعالى مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَ مُقَصِّرِينَ . -قرآن- ٥٥-٩٠

فصل

و إذا كان يوم التروية و قد فرغ من العمرة التى يتمتع بها إلى الحج و أراد الإحرام للحج و هو واجب نوى و أحرم عند مقام ابراهيم و لبي و كل هذه الثلاثة واجب يدل عليه الآيات التى تلونها من قبل و قال تعالى أيضا مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ . و يتوجه إلى عرفات فإذا زالت الشمس بها وقف هناك بعد الظهر و العصر إلى غروب الشمس و هذا الموقف فريضة فى الحج قال تعالى ثُمَّ أَفِيضُوا -قرآن- ٢١٩-٢٤٨-قرآن- ٣٧٣-٣٨٦ و إذا كان يوم التروية و قد فرغ من العمرة التى يتمتع بها إلى الحج و أراد الإحرام للحج و هو واجب نوى و أحرم عند مقام ابراهيم و لبي و كل هذه الثلاثة واجب يدل عليه الآيات التى تلونها من قبل و قال تعالى أيضا مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ . و يتوجه إلى عرفات فإذا زالت الشمس بها وقف هناك بعد الظهر و العصر إلى غروب الشمس و هذا الموقف فريضة فى الحج قال تعالى ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ كَانَتْ قَرِيشٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَاتَخْرُجَ إِلَى عَرَفَاتٍ وَيَقُولُونَ لَانْخَرُجَ مِنَ الْحَرَمِ وَ كَانُوا يَقِفُونَ يَوْمَ عَرَفَةَ بِالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَ لَيْلَةَ الْعِيدِ أَيْضًا بِهَا وَ كَانِ النَّاسُ الَّذِينَ يَحْجُونَ غَيْرَهُمْ يَقِفُونَ بِعَرَفَاتٍ يَوْمَ عَرَفَةَ كَمَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ يَفْعَلُونَ فَأَمَرَ اللَّهُ أَنْ يَقِفَ الْمُسْلِمُونَ كُلَّهُمْ يَوْمَ عَرَفَةَ بِعَرَفَاتٍ وَيَفِيضُوا مِنْهَا عِنْدَ الْغُرُوبِ إِلَى الْمَشْعَرِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَ الْإِفَاضَةُ مِنْهَا لَا يُمْكِنُ إِلَّا بَعْدَ الْوُقُوفِ أَوْ الْكُونَ بِهَا . -قرآن- ١-٢٥-قرآن- ٣٥٨-٣٩٦

فصل

و قوله فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ بَيْنَ تَعَالَى فَرَضَ الْمَوْقِفِينَ عَرَفَاتٍ وَ الْمَشْعَرِ أَى إِذَا دَفَعْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ بَعْدَ الْجَمَاعِ بِهَا فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ . أوجب الله على الحاج كلهم أن يذكروا الله بالمشعر لأن الأمر شرعا على الوجوب و لا يجوز أن يوجب الذكر فيه إلا- و قد أوجب الكون فيه ففى هذا دلالة على أن الوقوف بالمشعر الحرام ليلة العيد فريضة كما ذهبنا إليه و تقدير الكلام فإذا أفضتكم من عرفات فكونوا بالمشعر الحرام و اذكروا الله فيه أى اذكروه تعالى بالثناء و الشكر حسب نعمائه عليكم بالهداية فإن الشكر يجب أن يكون على حسب النعمة فى عظم المنزلة كما يجب أن يكون على مقدارها لو صغرت النعمة و لا يجوز التسوية

بين من عظمت نعمته و من صغرت نعمته يعنى اذكروه ذكرافيه بمثل هدايته إياكم و إن كنتم قبل محمد وقبل الهدى لمن الضالين عن النبوة والشريعة هداكم إليه . -قرآن- ٩-٣٦ [صفحه ٢٧٨] فإن قيل ثم للترتيب متراخيا فما معنى الترتيب بين قوله فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ و بين قوله ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ و لاختلاف أن الوقوف بعرفات مقدم على الوقوف بالمشعر. قلنا هذا يوجب الترتيب فى الإخبار بهما لا بالعمل فيهما ونحوه قوله تعالى ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بَعْدَ قَوْلِهِ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمِ ذِي مَسْجَبٍ و لاختلاف أن الإيمان يجب أن يكون قبل الإطعام . و قد روى أصحابنا أن هاهنا تقديمًا وتأخيرًا وتقديره ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس و إذا أفضت من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واستغفروا الله إن الله غفور رحيم . وأجاب المتأولون بأن قالوا رتب الإفاضة بعد المعنى الذى دل الكلام الأول عليه كأنه قيل أحرّموا بالحج على ما بين لكم ثم أفيضوا يامعشر قريش من حيث أفاض الناس بعد الوقوف بعرفة. و هذا قريب مما قلناه وإنما عدل من تأوله على الإفاضة من مزدلفة لأنه رآه بعد قوله فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ قَالَ فَامْرُوا أَنْ يَفِيضُوا مِنَ الْمزدلفة يوم الوقوف بها كما أمروا بعرفة و ما قدمناه هو التأويل المختار. فإذا أصبح يوم النحر صلى الفجر ووقف للدعاء بالمشعر إلى طلوع الشمس ثم يفيض إلى منى لأداء المناسك بها كما بينها رسول الله لقوله وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ. -قرآن- ٦٠-١٠١-قرآن- ١١٥-١٥٣-قرآن- ٢٨٤-٣١٤-قرآن- ٣٢٥-٣٦٠-قرآن- ٨٩٨-٩٢٥-قرآن- ١١٥٥-١٢٠١ [صفحه ٢٧٩]

فصل

والهدى واجب على المتمتع بالعمرة إلى الحج و من لم يقدر عليه وجب عليه صيام عشرة أيام قال تعالى فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ فَالهدى على الحاج المتمتع واجب بلا- خلافاً لظاهر القرآن وخالفوا فى أنه نسكٌ أو جبران والصحيح أنه نسكٌ وكذلك هو عندنا. فإن لم يجد الهدى ولا ثمنه صام ثلاثة أيام متتابعة فى أول ذى الحجة رخصة ووقت صومها يوم قبل التروية و يوم التروية و يوم عرفة فإن فاتته صام ثلاثة أيام بعد أيام التشريق فى شوال متتابعة و صام سبعة الأيام إذا رجع إلى أهله و هذا أصح من قول من قال إذا رجع عن حجه فى طريقه . -قرآن- ١٠٤-٢٧٤ و قوله تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ عن أبى جعفر أن المعنى كاملة من الهدى إذا وقعت بدلا منه استكملت ثوابه -رواية- ١-٢-رواية- ٣-١١٣ . ثم إنه لإزالة الإبهام لثلا يظن أن الواو بمعنى أو كأنه قال فصيام ثلاثة أيام فى الحج أو سبعة أيام إذا رجعتم كقوله فَانكحوا ما طاب لكم مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَ ثَلَاثَ وَ رُبَاعًا ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أى ماتقدم ذكره من التمتع بالعمرة إلى الحج ليس لأهل مكة و من يجزى مجراهم وإنما هول من لم يكن من حاضري مكة. -قرآن- ١٢٢-١٨٥-قرآن- ١٨٦-٢٤٢ [صفحه ٢٨٠]

فصل

وقال تعالى وَ لَا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ. يجب على كل من حج أن يوفّر شعر رأسه من أول ذى القعدة إلى يوم النحر بمنى فيحلقه هناك والمعنى لا تزيلوا شعر رؤوسكم حتى ينتهى الهدى إلى المكان الذى يحل نحره فيه و هو منى . و قال تعالى وَ إِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ تَعَالَى أَمْرًا بِمَنَاسِكَ الْحَجِّ الْوَقُوفِ بِعَرَفَةَ وَالْمَشْعَرِ وَالْإِفَاضَةَ وَرَمَى الْجِمَارَ وَالطَّوَافَ وَالسَّعْيَ وَ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَنَاسِكَهَا فَأَتَمَّهُنَّ أَى وَفَى بِهِنَّ . والابتلاء الاختبار و هو مجاز يعنى أنه تعالى يقابل العبد

مقابله المختبر الذى لا يعلم لأنه تعالى لوجازاهم بعلمه فيهم كان ظلما لمن أدخله النار. و على هذا قوله تعالى وَ الْفَجْرِ وَ لَيَالٍ عَشْرٍ عن ابن عباس وحسن وجماعة الليالى العشر هى العشر الأول من ذى الحجة شرفها الله ليسارع الناس فيها إلى عمل الخير واتقاء الشرّو الشّفع يوم النحر وَ التّرو يوم عرفه ووجه ذلك أن يوم النحر مشفع بيوم بعده . و لا يجوز للمتمتع مع الإمكان طواف الحج وركعتاه والسعى بين الصفا والمروة للحج إلا فى هذين اليومين فالطواف للحج وركعتاه والسعى له وطواف النساء وركعتاه فهذه الخمسة كلها فريضة و قد بينها رسول الله لقوله وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ قَالَ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ. -قرآن- ١٥-٧١-قرآن- ٢٧٠-٣٢٥-قرآن- ٤٥٢-٤٦٣-قرآن- ٦٥٣-٦٧٨-قرآن- ٨٠٩-٨١٨-قرآن- ٨٢٩-٨٣٨-قرآن- ١١٠٨-١١٧٣-قرآن- ١١٨١-١٢١٠ [صفحة ٢٨١] و أما قوله تعالى وَ لِيُطَوُّوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ قَالَ قوم هو طواف العمرة الذى يقال له طواف الصيد لأنه تعالى أمر به عقيب المناسك كلها وقيل هو طواف الإفاضة بعد التعريف إما يوم النحر وإما بعده و هو طواف الزيارة وروى أصحابنا أن المراد به هاهنا طواف النساء الذى يستباح به وطى النساء و هو زيادة على طواف الزيارة للحج والعموم يتناول الجميع -قرآن- ٢٠-٥٣

باب فرائض الحج وسننه ومايجرى مجراها

إشارة

اعلم أن فرائض الحج المفرد والقارن عشر احتججنا من القرآن تصريحاً وتلويحاً وتبييناً وإشارة فإن الثمانية الأشياء التى وجبت فى العمرة التى يتمتع بها إلى الحج تسقط فى الأفراد والقران و من حج مفرداً فعليه عمرة الإسلام بعد الحج مبتولاً منه . و قوله تعالى الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ أى أشهر الحج أشهر معلومات أو الحج حج أشهر معلومات ليكون الثانى هو الأول فى المعنى فحذف المضاف أى لالحج إلا فى هذه الأشهر و قد يجوز أن يجعل الأشهر الحج على الاتساع لكونه فيها ولكثرته من الفاعلين له لقول الخنساء -قرآن- ٢٥٩-٢٨٣ فإنما هى إقبال وإدبار . أى أشهر الحج أشهر موقته معينة لايجوز فيها التبديل والتغيير بالتقديم [صفحة ٢٨٢] والتأخير الذى كان يفعلها النساء قال الله تعالى إِنَّمَا السَّيِّئَةُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ. و قد ذكر أن أشهر الحج شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة عندنا على ما روى عن أبى جعفر وقيل هو شوال وذو القعدة وذو الحجة وروى ذلك أيضاً فى أخبارنا وروى تسع من ذى الحجة و لا تنافى بينها لأن على الرواية الأخيرة لا يصح الإحرام بالحج إلا فيها وعندنا لا يصح الإحرام بالعمرة التى يتمتع بها إلى الحج إلا بالرواية الأولى . و من قال إن جميع ذى الحجة من أشهر الحج قال لأنه يصح أن يقع فيها بعض أفعال الحج مثل صوم الأيام الثلاثة وذبح الهدى. و اختلف المفسرون فيه فقال قوم المعنى فى جميع ذلك واحد و قال آخرون هو مختلف من حيث إن الثانى معناه أن العمرة لا ينبغى أن تكون فى الأشهر الثلاثة على التمام لأنها من أشهر الحج والأول على أنها ينبغى أن يكون فى شهرين وعشراً وتسع من الثالث . فإن قيل كيف جمع شهرين وعشرة أيام ثلاثة أشهر قلنا لأنه قد يضاف الفعل إلى الوقت و إن وقع فى بعضه ويجوز -قرآن- ٥٣-٩١ [صفحة ٢٨٣] أن يضاف الوقت إليه كذلك كقولك صليت يوم الجمعة وصليت يوم العيد و إن كانت الصلاة فى بعضه وقدم زيد فى يوم كذا وقدمه فى بعض اليوم فكذلك جاز أن يقال ذو الحجة شهر الحج و إن كان فى بعضه وإنما يفرض الإحرام بالحج فى البعض .

فصل

وقوله تعالى فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ. فمن فتح الجميع فقد نفى جميع الرفث والفسوق والجidal كقوله تعالى لا ريب فيه بعد نفى جميع الريب و من رفع فعلى الابتداء وخبره في الحج ويعلم من الفحوى أنه ليس المنفى رفثا واحدا ولكنه جميع ضروبه . والرفث هاهنا عندنا كناية عن الجماع و هو قول ابن عباس و قتادة والأصل الإفحاش في المنطق في اللغة و عن جماعة المراد هاهنا المواعدة للجماع والتعريض للجماع أو المداعبة كله رفث . والفسوق قيل هو التنازع بالألقاب لقوله بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ وقيل هو السباب - قرآن- ١٦-٦٤- قرآن- ١٣٧- ١٥٠- قرآن- ٥٠٢- ٥٢٤ لقوله ع سباب المؤمن فسوق -روايت- ١-٢- روايت- ١٢-٣٢ وروى بعض أصحابنا أن المراد به الكذب والأولى أن نحمله على جميع المعاصي التي نهى المحرم عنها و به قال ابن عمر و قد يقول القائل ينبغي أن تقيد لسانك في شهر رمضان لئلا يبطل صومك فيخصه بالذكر لعظم حرمة . [صفحة ٢٨٤] وقوله وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ فالذي رواه أصحابنا أنه قول لا والله وبلى والله صادقا وكاذبا وللمفسرين فيه قولان أحدهما أنه لامراء بالسباب والإغصاب على وجه اللجاج والثاني أنه لا جدال في أن الحج قداستدار لأنهم أنسوا المشهور فقدموا وأخروا فالآن قد رجع إلى حاله والجidal المخاصمة . و لارفت إن خرج مخرج النفي والإخبار فالمراد به النهي و ما تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ أَى يجازيكم عليه لأنه عالم به . - قرآن- ٩-٣١- قرآن- ٣٥٤-٣٩٤

فصل

وقوله تعالى وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى أى تزودوا من الطعام و لا- تلقوا كلكم على الناس كما يفعل العامة وخير الزاد مع ذلك التقوى وقيل تزودوا من الأفعال الصالحة فإن الاستكثار من أعمال البر أحق شىء بالحج والعموم يتناول التأويلين . ثم قال لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ و هذاتصريح بالإذن بالتجارة و هو المروى عن أئمتناع أى لستم تأثمون فى أن تبتغوا و تطلبوا الرزق فإنهم كانوا يتأثمون بالتجارة فى الحج فرفع الله الإثم بهذه اللفظة عمن يتجر فى الحج . وقيل كان فى الحج إجراء ومكارون و كان الناس يقولون إنه لا حج لهم فبين تعالى أنه لا إثم على الحاج فى أن يكون أجيرا لغيره أو مكاريا . وقيل معناه لا جناح أن تطلبوا المغفرة من ربكم رواه جابر عن أبى جعفر - قرآن- ١٦-٥٧- قرآن- ٢٦٦-٣١٩ [صفحة ٢٨٥] ع والعموم يتناول الجميع . فالآية تدل على أن التاجر والحمال والأجير وغيرهم يصح لهم الحج فليس الحج كالصلاة لأن أفعال الصلاة متصلة لا يتخللها غيرها وأفعال الحج بخلافها فلا يمتنع قصد ابتغاء المنافع مع قصد إقامة التبعيد وكذلك لا يمتنع أن يستغفر الله ويصلى على النبى وآله فى خلال ذكر التلبيات وغيرها .

فصل

وقوله تعالى وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ عن ابن عباس و ابن عمر السبيل الذى يلزم بها الحج هى الزاد والراحلة و قال ابن الزبير و الحسن ما يبلغه كائنا ما كان وعندنا هو وجود الزاد والراحلة ونفقته من يلزمه نفقته والرجوع إلى كفاية عندالعود إما من مال أو ضياع أو عقار أو صناعة أو حرفة مع الصحة والسلامة وزوال الموانع وإمكان المسير و لا بيان فى ذلك أبين مما بينه الله بأن يكون مستطيعا إليه السبيل و ذلك عام فى جميع ما ذكرنا و من فى موضع الجبر بدل من الناس المعنى والله على من استطاع من الناس حج البيت . و قوله تعالى وَ مَنْ كَفَرَ أَى من جحد فرض الحج فلم يره واجبا فأما من تركه و هو يعتقد فرضه فإنه لا يكون كافرا و إن كان عاصيا و قال قوم معنى من كفر أى ترك الحج والسبب فى ذلك أنه لما نزل قوله وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا قَالَ

اليهود نحن مسلمون نحن مسلمون فأنزل الله هذه الآية يأمرهم بأمر الحج إن كانوا صادقين فامتنعوا فقال تعالى فمن ترك من هؤلاء الحج فهو كافر. -قرآن- ١٦-٦٥-قرآن- ٥٥٨-٥٧٠-قرآن- ٧٤٩-٧٨٥ [صفحة ٢٨٦] وظاهر الآية خبر ومعناه أمر لأنه إيجاب الحج على الناس و في مورد هذا الإيجاب في صورة الخبر نكتة مليحة يطلع عليها من تدبره و فيها مداراة واستمالة لأن الأمور به ينكسر بالأمر وأكثر كلام الله وكلام رسوله الوارد على لفظ الخبر إما يتضمن الأمر أو النهي.

فصل

ومما يدل على أن الوقوف بالمشعر الحرام واجب و هو ركن من أركان الحج بعد الإجماع المذكور قوله تعالى فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَالْأَمْرُ شَرَعًا عَلَى الْإِيجَابِ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُوجِبَ ذِكْرَ اللَّهِ فِيهِ إِلَّا وَقَدْ أُوجِبَ الْكُونَ فِيهِ وَلِأَنَّ كُلَّ مَنْ أُوجِبَ الذِّكْرَ فِيهِ أُوجِبَ الْوُقُوفَ بِهِ . فَإِنْ قَالُوا نَحْمَلُ ذَلِكَ عَلَى النَّدْبِ قُلْنَا هُوَ خِلَافُ الظَّاهِرِ وَيَحْتَاجُ إِلَى دَلَالَةٍ وَ لِادِّلِيلٍ . فَإِنْ قِيلَ هَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى وَجُوبِ الذِّكْرِ وَأَنْتُمْ لَا تُوَجِّبُونَهُ وَإِنَّمَا تُوَجِّبُونَ الْوُقُوفَ بِهِ كَالْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ قُلْنَا لَا يَمْتَنِعُ أَنْ نَقُولَ بِوَجُوبِ الذِّكْرِ بِظَاهِرِ هَذِهِ الْآيَةِ . وَ بَعْدَ فَإِنَّ الْآيَةَ تَقْتَضِي وَجُوبَ الْكُونَ فِي الْمَكَانِ الْمَخْصُوصِ وَالذِّكْرَ جَمِيعًا فَإِذَا دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الذِّكْرَ مُسْتَحَبٌّ غَيْرُ وَاجِبٍ أَخْرَجْنَاهُ مِنَ الظَّاهِرِ وَبَقِيَ الْآخِرُ يَتَنَاوَلُهُ الظَّاهِرُ وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَكُونُوا بِالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ . فَإِنْ قِيلَ الْكُونَ فِي الْمَكَانِ يَتَّبِعُ الذِّكْرَ فِي وَجُوبِ أَوْاسْتِحْبَابٍ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَرَادُ لَهُ وَ مِنْ أَجْلِهِ فَإِذَا ثَبِتَ أَنَّ الذِّكْرَ مُسْتَحَبٌّ فَكَذَلِكَ الْكُونَ . قُلْنَا لِأَنَّهُ لَانْسَلَمَ أَنَّ الْكُونَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ تَابِعٌ لِلذِّكْرِ لِأَنَّ الْكُونَ بِهِ عِبَادَةٌ -قرآن- ١٠٧-١٧٧ [صفحة ٢٨٧] مفردة عن الذكر والذكر عبادَةٌ أُخْرَى فَلَا يَتَّبِعُ الْكُونَ الذِّكْرَ كَمَا لَا يَتَّبِعُ الذِّكْرَ اللَّهُ فِي عَرَفَاتٍ الْكُونَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ وَالْوُقُوفَ بِهِ لِأَنَّ الذِّكْرَ بِعَرَفَاتٍ مُسْتَحَبٌّ وَالْوُقُوفَ بِهَا وَاجِبٌ بِلَا خِلَافٍ عَلَى أَنَّ الذِّكْرَ لَوْ لَمْ يَكُنْ وَاجِبًا فَالشُّكْرُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَةٍ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يَشْكُرَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْكُونَ بِالْمَشْعَرِ وَاجِبًا . فَإِنْ قِيلَ مَا أَنْكَرْتُمْ مِنْ أَنَّ يَكُونَ الْمَشْعَرُ لَيْسَ بِمَحَلٍّ لِلشُّكْرِ وَ إِنْ كَانَ مَحَلًّا لِلذِّكْرِ وَ إِنْ عَطَفَ الشُّكْرَ عَلَى الذِّكْرِ قُلْنَا الظَّاهِرُ بِخِلَافِ ذَلِكَ عَطَفَ الشُّكْرَ عَلَى الذِّكْرِ يَقْتَضِي تَسَاوِيَّ حَكْمَهُمَا فِي الْمَحَلِّ وَغَيْرِهِ وَ لَيْسَ فِي الْآيَةِ ذِكْرُ الشُّكْرِ صَرِيحًا وَلَكِنْ الذِّكْرُ الْأَوَّلُ عَلَى عَمُومِهِ وَالذِّكْرُ الثَّانِي مَفْسَرٌ بِالشُّكْرِ لِقَرِينَتِهِ قَوْلُهُ كَمَا هَذَا كَمَا هَذَا نِعْمَةٌ وَاجِبُ الشُّكْرِ عَلَيْهَا لِأَنَّ الشُّكْرَ عَلَى كُلِّ نِعْمَةٍ وَاجِبٌ وَ عَلَى هَذَا لِاتِّكَارَرِ مُسْتَقْبِحًا فِي الْكَلَامِ أَيْضًا . -قرآن- ٦١٤-٦٢٥

فصل

ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ فَالتَّفَثُ مَنْاسِكُ الْحَجِّ مِنَ الْوُقُوفِ وَالطَّوَافِ وَالسَّعْيِ وَرَمَى الْجِمَارِ وَالْحَلْقِ بِمَنَى وَالْإِحْرَامِ مِنَ الْمِيقَاتِ . -قرآن- ١-٢٣ عن ابن عباس التَّفَثُ جَمِيعُ الْمَنْاسِكِ -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-٣٩ و قال قوم التَّفَثُ قَشْفُ الْإِحْرَامِ وَقَضَاؤُهُ بِحَلْقِ الرَّأْسِ وَالْإِغْتِسَالِ وَنَحْوِهِ وَ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ فِي كِتَابِ تَهْذِيبِ اللَّغَةِ التَّفَثُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ لَا يَعْلَمُ إِلَّا مِنْ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقِيلَ التَّفَثُ الدَّرْنُ وَمَعْنَى قَوْلِهِ ثُمَّ -قرآن- ١٩٥-١٩٨ وَ قَالَ قَوْمُ التَّفَثِ قَشْفُ الْإِحْرَامِ وَقَضَاؤُهُ بِحَلْقِ الرَّأْسِ وَالْإِغْتِسَالِ وَنَحْوِهِ وَ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ فِي كِتَابِ تَهْذِيبِ اللَّغَةِ التَّفَثُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ لَا يَعْلَمُ إِلَّا مِنْ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقِيلَ التَّفَثُ الدَّرْنُ وَمَعْنَى قَوْلِهِ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ لِيُزِيلُوا أَدْرَانَهُمْ وَقِيلَ هُوَ الْأَخْذُ مِنَ الشَّارِبِ وَقَصُّ الْأَظْفَارِ وَتَنْفِثُ الْإِبْطِ وَحَلْقُ الْعَانَةِ وَ هَذَا عِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الْإِحْرَامِ . وَ قَوْلُهُ وَ لِيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ أَيْ يَفُؤُوا بِمَا نَذَرُوا مِنْ نَحْرِ الْبَدَنِ وَ قَالَ مُجَاهِدٌ كُلُّ مَا نَذَرَ فِي الْحَجِّ فَرُبَّمَا نَذَرَ الْإِنْسَانُ إِنْ رَزَقَ حَجًّا أَنْ يَتَصَدَّقَ وَ إِذَا

كان على الإنسان نذر فالأفضل أن يفى به هناك و لم يقل بنذورهم لأن المراد بالإيفاء الإتمام أى لیتموا نذورهم بقضائها. و قوله وَ لِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ عَمَّ فِي كُلِّ طَوَافٍ وَ سُمِّيَ عَتِيقًا لِأَنَّهُ أَعْتَقَ مِنْ أَنْ يَمْلِكَهُ جِبَارٌ. -قرآن- ١-١٩-قرآن- ١٣٧-١٥٨-قرآن- ٤٠١-

٤٢٤

فصل

وقوله تعالى أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَ طَعَامَهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِلسَّيَّارَةِ وَ حُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمَّتْ حُرْمَتُهُ حُرْمَتُهَا يَقْتَضِي تحريم الصيد في حال الإحرام و تحريم مصاده غيره و منهم من فرق بين ماصيد و هو محرم و بين ماصيد قبل إحرامه و عندنا لافرق بينهما و الكل محرم على المحرم فأما من لم يكن محرما فيجوز أن يأكل من الصيد الذى ذبح وصيد في غير الحرم و إن كان في الحرم . و الصيد يكون عبارة عن الاصطياد فيكون مصدرا و يعبر به عن المصيد فيكون اسما صريحا و يجب أن يحمل ذكره في الآية على الأمرين و تحريم الجميع و المعنى أبيض لكم صيد الماء. و إنما أحل بهذه الآية الطرى من صيد البحر لأن العتيق لاختلاف في كونه -قرآن- ١٦-١٣٣ [صفحہ ٢٨٩] حلالا- و طَعَامُهُ أى طعام البحر يريد المملوح و هو الذى يليق بمذهبنا و إنما سمي طعاما لأنه يدخر ليطعم فيكون المراد بصيد البحر الطرى و بطعامه المملوح و قيل المراد بطعامه ما ينبت من الزرع و الثمار بحباته -قرآن- ٩-

١٦

باب ذكر المناسك و ما يتعلق بها

اشاره

قوله تعالى وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ أَى يثوبون إليه في كل عام يعنى ليس هو مرة في الزمان فقط على الناس . و عن ابن عباس معناه أنه لا ينصرف عنه أحد و هو يرى أنه قد قضى منه و طرا فهم يعودون إليه . -قرآن- ١٤-٥٤ و عن أبى جعفر ع يرجعون إليه لا يقضون و طرا -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٥٠ . و حكى الحارثى أن معناه يحجون إليه فيثابون عليه . و روى أن كل من فرغ من الحج و انصرف و عزم أن لا يعود إليه أبدا مات قبل الحول . و إنما جعل الله أمنا بأن حكم أن من عاذ به و التجأ إليه لا يخاف على نفسه مادام فيه بما جعله في نفوس العرب من تعظيمه و كان من فيه أمنا و يتخطف الناس من حوله . و لعظم حرمة أن من جنى جناية فالتجأ إليه لا يقيم عليه الحد فيه لكن يضيق عليه في المطعم و المشرب حتى يخرج فيحد فإن أحدث فيه ما يوجب الحد أقيم فيه الحد لأنه هتك حرمة الحرم . [صفحہ ٢٩٠]

فصل

وقوله تعالى وَ اتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى. قيل فيه أربعة أقوال قال ابن عباس الحج كله مقام ابراهيم و قال عطاء مقام ابراهيم عرفه و المزدلفة و الجمار و قال مجاهد الحرم كله مقام ابراهيم و قال السدى هو الحجر الذى فيه أثر رجلى ابراهيم و كانت زوجته إسماعيل و وضعته تحت قدميه حتى غسلت رأسه فوضع ابراهيم عليه رجله و هوراكب فغسلت شقه الأيمن ثم رفعت و قد غابت

رجله فيه فوضعت تحت قدمه اليسرى وغسلت الشق الأيسر من رأسه فغابت رجله اليسرى أيضا في الحجر فأمر الله بوضع ذلك الحجر قريبا من الحجر الأسود و أن يصلى عنده بعد الطواف و هو الظاهر في أخبارنا. و قوله وَ عَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا مِرْمَأَهُمَا اللَّهُ أَنْ يَطْهَرَا مِنْ فَرْثٍ وَ دَمٍ كَانَ يَطْرَحُ الْمُشْرِكُونَ قَبْلَ أَنْ صَارَ فِي يَدِ إِبْرَاهِيمَ وَقِيلَ أَرَادَ طَهْرَاهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ وَقِيلَ طَهَّرَا بَيْتِي بِنَائِكُمَا لَهُ عَلَى الطَّهَارَةِ كَقَوْلِهِ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ. ومعنى الطائفين هم الذين أتوه من غربته وقيل هم الطائفون بالبيت والطائف الدائر. والعاكفين قيل إنهم المقيمون بحضرته وقيل هم المجاورون وقيل -قرآن- ١٦-٥٧-قرآن- ٥٩٨-٦٤٨-قرآن- ٨٢١-٨٥٦-قرآن- ٩٤٧-٩٥٧ [صفحة ٢٩١] هم أهل البلد الحرام وقيل هم المصلون وقيل العاكف المعتكف في المسجد. والرَّكْعِ السَّجُودِ هُمُ الَّذِينَ يَصَلُونَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَالطَّوْفِ لِلطَّارِ أَحْسَنُ وَالصَّلَاةُ لِأَهْلِ مَكَّةَ أَفْضَلُ. -قرآن- ٧٨-٩٥

فصل

وقوله تعالى وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا -قرآن- ١٦-٦٧ قال ابن عباس كان الحرم أمنا قبل دعوة ابراهيم لقول النبي ع حين فتح مكة هذه حرم حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-١٣١. وقيل كانت قبل الدعوة ممنوعا من الايتفاك كمالحق غيرها من البلاد فسأل ابراهيم أن يجعلها أمنا من القحط لأنه أسكن أهله بها فأجاب الله . و قال النبي إن ابراهيم حرم مكة وإني حرمت المدينة -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-٥٩. و قال في سورة ابراهيم رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا بتعريف البلد لأن النكرة إذا أعيدت تعرفت .سأل أن يديم أمنه من الجذب والخسف . وقوله رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي الْمَرَادَ بِالذَّرِيَّةِ إِسْمَاعِيلَ أَبُو الْعَرَبِ وَأُمُّهُ هَاجِرٌ أَسْكَنْتُهُمَا مَكَّةَ وَ مِنْ اللَّتَبْعِضِ وَمَفْعُولٌ أَسْكَنْتُ مَحْذُوفٌ . وقيل لما أن بناه ابراهيم سماه بيتا لأنه كان قبل ذلك بيتا وإنما خربته طسم واندرس . -قرآن- ٢٦-٥٧-قرآن- ١٤٧-١٨٣ [صفحة ٢٩٢] فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ هَذَا سَأَلَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ قُلُوبَ الْخَلْقِ تَحَنُّنًا إِلَيْهِ لِيَكُونَ فِي ذَلِكَ مَنَافِعَ ذُرِّيَّتِهِ لِأَنَّهُ وَادٌ غَيْرُ ذِي زَرْعٍ . -قرآن- ١-٤٧

فصل

وقوله وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَبْنِي وَ إِسْمَاعِيلَ يَبْنِي وَ إِنَّمَا رَفَعَا الْبَيْتَ لِلْعِبَادَةِ لِلْمَسْكَنِ لِقَوْلِهِمَا تَقَبَّلْ مِنَّا. وروى أن آدم ع بناه ثم عفى أثره فجدده ابراهيم ع . والمروى في أخبارنا أن أول من حج آدم حج واعتمر ألف مرة على قدميه من الهند. -قرآن- ٩-٩٢-قرآن- ١٨٠-١٩٢ و قال الباقر ع إن الله وضع تحت العرش أربعة أساطين وسماه الضراح و هو البيت المعمور و قال للملائكة طوفوا به ثم بعث ملائكة فقال لهم ابنوا في الأرض بيتا بمثاله وقدره وأمر من في الأرض أن يطوفوا به و قال ولما أهبط الله آدم من الجنة قال إني منزل معك بيتا يطوف حوله كما يطاف حول عرشى ويصلى عنده كما يصلى عند عرشى فلما كان زمن الطوفان رفع فكانت الأنبياء يحجونه ولا يعلمون مكانه حتى تواء الله لإبراهيم فأعلمه مكانه فبناه من خمسة -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-أداه دارد [صفحة ٢٩٣] أجبل من حراء وثبير ولبنان وجبل الطور وجبل الحمر -رواية- از قبل- ٥٥ و قال الطبري و هو جبل بدمشق . وقوله تعالى وَ أَرْنَا مَنَاسِكَنَا أَيَّ مَتَعِبِدْنَا قَالَ الزَّجَاجُ مَتَعِبِدْ مَنْسَكٌ وَقِيلَ الْمَنَاسِكُ هِيَ مَا يَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى اللَّهِ مِنَ الْهَدْيِ وَالذَّبْحِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِ الْحَجِّ وَالْعَمْرَةِ وَقِيلَ مَنَاسِكُنَا مَذَابِحُنَا وَأَرْنَا مِنْ رُؤْيَا الْبَصْرِ وَقِيلَ أَيَّ أَعْلَمْنَا. وقيل أراهما الله الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والإفاضة من عرفات

والإفاضة في جمع حتى رمى الجمار فأكمل الله له الدين وهذا أقوى لأنه هو العرف الشرعي في معنى المناسك . وقال وَ مَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ مِلَّةَ نَبِينَا لِأَنَّ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ دَاخِلَةٌ فِي مِلَّةِ مُحَمَّدٍ مَعَ زِيَادَاتِ هَاهُنَا. وقوله ذَلِكَ وَ مَنْ يُعَظِّمُ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِمْعَنَا والأمر ذلك أى هكذا أمر الحاج المناسك و من يعظم حرمت الله فالتعظيم خير له فى الآخرة يعنى بأن يترك ما حرمه الله والحرمة ما لا يحل انتهاكه . واختار المفسرون فى معنى الحرمات هنا أنها المناسك لدلالة ما يتصل بها من الآيات وقيل هى فى الآية مانهى عنها من الوقوع فيها وتعظيمها ترك ملابسها وقيل معناها البيت الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام . قرآن- ٤٧-٦٦-قرآن- ٤٥٢-٤٨٧-قرآن- ٥٦٢-٦٢٨

فصل

وقوله تعالى وَ أَجَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ أَى الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ فِي حَالِ إِحْرَامِكُمْ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ مِنَ الصَّيْدِ فَإِنَّهُ يَحْرَمُ عَلَى الْمُحِلِّ فِي الْحَرَمِ إِذَا صِيدَ فِي الْحَرَمِ وَ عَلَى الْمُحْرَمِ فِي الْحَلِّ وَالْحَرَمِ فَاجْتَنِبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ كَانُوا - قرآن- ١٦-٤٢-قرآن- ٨٥-١٠٧- قرآن- ١٩٨-٢٣٢ [صفحة ٢٩٤] يُلْطَخُونَ أَصْنَامَهُمْ بِدَمَاءِ قُرْبَانِهِمْ فَسُمِّيَ ذَلِكَ رَجْسًا وَ اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ أَى الْكُذْبِ وَ هُوَ تَلْبِيَةُ الْمُشْرِكِينَ لِيَبْكُ لَشْرِيكَ لَكَ إِشْرِيكَ هُوَ لَكَ تَمَلُّكَ وَ مَمْلُوكٌ . وَ رَوَى أَصْحَابُنَا أَنَّهُ يَدْخُلُ فِيهِ سَائِرُ الْأَقْوَالِ الْمَلْهِيَةِ. ذَلِكَ وَ مَنْ يُعَظِّمُ شَعَائِرَ اللَّهِ الشَّعَائِرُ مَنَاسِكُ الْحَجِّ وَالْمَرَادُ بِالْمَنَافِعِ التِّجَارَةُ. وَ قَوْلُهُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِلَى أَنْ يَعُودَ مِنْ مَكَّةَ. وَ قَوْلُهُ وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسِكًا إِشَارَةٌ إِلَى مَا ذَكَرْنَا مِنْ تَفْصِيلِ الْمُجْمَلِ لِلْمُعْتَمِرِ وَالْحَاجِّ - قرآن- ٤٨-٧٤-قرآن- ٢٠٦-٢٤١-قرآن- ٢٩٧-٣١٥- قرآن- ٣٤٥-٣٧٧

باب الذبح والحلق ورمى الجمار

إشارة

قال تعالى فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ مِنْ حَجِّ مَتَمِّعًا فَالْوَاجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَنْحِرَ بَدَنَهُ أَوْ بَقْرَةً أَوْ فَحْلًا مِنَ الضَّأْنِ أَوْ شَاءَ كَمَا تَيْسَرُ عَلَيْهِ وَيَسْهَلُ وَ لَا يَصْعَبُ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ شَيْئًا مِنْهَا وَ وَجَدَ ثَمَنًا خَلْفَهُ عِنْدَتْقَهُ حَتَّى يَشْتَرِيَ لَهُ هَدْيًا وَيَذْبَحُهُ إِلَى انْقِضَاءِ ذَى الْحِجَّةِ فَإِنْ لَمْ يَصِبْهُ فِي الْعَامِ الْمَقْبَلِ فِي ذَى الْحِجَّةِ. وَ قَوْلُهُ تَعَالَى ذَلِكَ وَ مَنْ يُعَظِّمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ قِيلَ الشَّعَائِرُ الْبُذُنُ إِذَا سَفَرْتَ فِي الْحَجِّ الْقَارِنِ أَى أَعْلَمْتَ عَلَيْهَا أَنَّ يَشُقُّ سَنَامُهَا مِنَ الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ لِيَعْلَمَ أَنَّهَا هَدْيٌ وَ تَعْظِيمُهَا اسْتِسْمَانُهَا وَ اسْتِحْسَانُهَا لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى - قرآن- ١٣-٤١-قرآن- ٣١٤-٣٧٩-قرآن- ٥٢٥-٥٦٤ [صفحة ٢٩٥] مَنَافِعُهَا رُكُوبُ ظُهُورِهَا وَ شَرِبُ آبَانِهَا إِذَا حَتَّجَ إِلَيْهَا وَ هُوَ الْمَرُورِيُّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ . وَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ذَلِكَ مَا لَمْ يَسْمِ هَدْيًا أَوْ بَدَنًا وَ قَالَ عَطَاءٌ مَا لَمْ يَقْلُدْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِلَى أَنْ يَنْحِرَ. وَ قَوْلُهُ ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ مَعْنَاهُ أَنْ يَحِلَّ الْهَدْيُ وَالْبُذُنُ الْكَعْبَةُ وَ عِنْدَ أَصْحَابِنَا إِنْ كَانَ فِي الْعَمْرَةِ الْمَفْرَدَةِ فَمَحَلُّهُ مَكَّةَ قِبَالَةَ الْكَعْبَةِ بِالْحِزْوَةِ وَ إِنْ كَانَ الْهَدْيُ فِي الْحَجِّ فَمَحَلُّهُ مَنَى . ثُمَّ عَادَ إِلَى ذِكْرِ الشَّعَائِرِ فَقَالَ وَ الْبُذُنَ جَعَلْنَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ أَى وَ جَعَلْنَا الْبُذُنَ صَوَافٍ لَكُمْ فِيهَا عِبَادَةٌ لِلَّهِ بِمَا فِي سَوْقِهَا إِلَى الْبَيْتِ وَ تَقْلِيدُهَا بِمَا يَنْبَغُ أَنَّهَا هَدْيٌ ثُمَّ يَنْحَرُهَا لِلْأَكْلِ مِنْهَا وَ إِطْعَامِ الْقَانِعِ وَالْمُعْتَرِ. فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافًا مِنْ اللَّهِ أَنْ يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِذَا أُقِيمَتْ لِلذَّبْحِ صَافَةً أَى مُسْتَمْرَةً فِي وَقُوفِهَا عَلَى مَنَاجٍ وَاحِدٍ وَ التَّسْمِيَةُ إِنَّمَا يَجِبُ عِنْدَ نَحْرِهَا دُونَ حَالِ قِيَامِهَا. وَ الْبُذُنُ الْإِبِلُ الْعِظَامُ الْبَدَنَةُ بِالسَّمَنِ

جمع بدنه وهى إذانحرت فعندهم يعقل لها يد واحدة وكانت على ثلاث و عند أصحابنا يشد يداها إلى إبطيها ويطلق رجلاها والبقر يشد يداها ورجلاها ويطلق ذنبها والغنم تشد ثلاثة أرجل منها ويطلق فرد رجل . -قرآن- ١٨٥-٢٢١-قرآن- ٣٩٩-٤٤٤- قرآن- ٥٨٩-٦٢٥-قرآن- ٧٧٢-٧٧٨ [صفحہ ٢٩٦] وقال أبو عبد الله ع القانع الذى يسأل فيرضى بما أعطى والمعتر الذى يعترى رحلك ممن لا يسأل وقال ينبغى لمن ذبح الهدى أن يعطى القانع والمعتر ثلثه ويهدى لأصدقائه ثلثه ويطعم ثلثه الباقي -روايت- ١-٢-روايت- ٢٧-٢٠٧ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاكُمْ أَى مِثْلِ مَا وَصَفْنَا ذَلِكَ لَكُمْ حَتَّى لَا تَمْتَنَعَ عَمَّا تَرِيدُونَ مِنْهَا مِنَ النَّحْرِ وَالذَّبْحِ بِخِلَافِ السَّبَاعِ الْمَمْتَنِعَةِ وَلِتَنْتَفِعُوا بِرُكُوبِهَا وَحَمْلِهَا وَتَنَاجِهَا نِعْمَةً مِنَّا عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ذَلِكَ . لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا أَى لَنْ يَصْعَدَ إِلَى اللَّهِ تَلْكُمُ وَإِنَّمَا يَصْعَدُ إِلَيْهِ التَّقْوَى وَهَذَا كِنَايَةٌ عَنِ الْقَبُولِ فَإِنَّ مَا يَقْبَلُهُ الْإِنْسَانُ يُقَالُ قَبِلْنَا لَهُ وَوَصَلَ إِلَيْهِ فَخَاطَبَ اللَّهُ عِبَادَهُ بِمَا عَتَادُوهُ فِي مَخَاطِبَاتِهِمْ وَكَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذْ ذَبَحُوا الْهَدْيَ اسْتَقْبَلُوا الْكَعْبَةَ بِالدَّمَاءِ فَضَحَوْهَا حَوْلَ الْبَيْتِ قَرْبَةً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى . وَالْمَعْنَى لَنْ يَتَقَبَلَ اللَّهُ اللَّحْمَ وَالْأَدْمَاءَ لَكِنْ يَتَقَبَلُ التَّقْوَى فِيهَا وَفِي غَيْرِهَا بِأَنَّ يَوْجِبُ فِي مَقَابِلَتِهَا الثَّوَابَ لِتَكْبِيرِ الْوَاللَّهِ تَعَزَّمُوهُ وَتَشْكُرُوهُ فِي حَالِ الْإِحْلَالِ كَمَا يَلِيقُ بِهِ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ وَقِيلَ لِتَسْمُوا اللَّهَ عَلَى الذَّبْحَةِ . إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ أَى مِنْ ذَكَرِ اسْمِ غَيْرِ اللَّهِ عَلَى الذَّبْحَةِ فَهُوَ الْجُحُودُ لِنِعْمِ اللَّهِ . -قرآن- ١-٢٣-قرآن- ١٧٦-١٩٥-قرآن- ٢٠٢-٢٤٣-قرآن- ٦٢٦-٦٤٤-قرآن- ٧٤٠-٧٨١

فصل

وقوله تعالى وَ لَا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ -قرآن- ١٦-٧٢ [صفحہ ٢٩٧] الْحَاجُّ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْلُقَ رَأْسَهُ مِنْ أَوَّلِ ذِي الْقَعْدَةِ إِلَى يَوْمِ النَّحْرِ بِمَنْى فَحِينَئِذٍ يَلْزِمُ الرِّجَالَ أَنْ يَحْلُقُوا رِءُوسَهُمْ . قَالَ تَعَالَى لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ فَإِنَّ الصَّرُورَةَ تَلْزِمُهُ الْحَلْقَ وَغَيْرَ الصَّرُورَةَ تَجْزِيهِ التَّقْصِيرَ وَ لَا يَجِبُ عَلَى النِّسَاءِ الْحَلْقَ وَيَجْزِيهِنَّ التَّقْصِيرَ عَلَى كُلِّ حَالٍ . وَمَحَلُّ الْهَدْيِ مَنْى إِنْ كَانَ فِي الْحَجِّ أَوْ فِي الْعُمْرَةِ الَّتِي يَتَمَتَّعُ بِهَا إِلَى الْحَجِّ يَوْمِ النَّحْرِ وَإِنْ كَانَ فِي الْعُمْرَةِ الْمَبْتُورَةِ فَمَكَّةُ وَالْمَعْنَى لَا تَحْلُقُوا مِنْ إِحْرَامِكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ وَيَنْحَرُ أَوْ يَذْبَحُ . فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَى مِنْ مَرَضٍ مِنْكُمْ مَرَضًا يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى الْحَلْقِ لِلْمَدَاوَةِ أَوْ بِهِ أَدَى مِنْ رَأْسِهِ أَى تَأْذَى بِهَوَامِ رَأْسِهِ أَيْحَ لَهُ الْحَلْقُ بِشَرَطِ الْفِدْيَةِ قَبْلَ يَوْمِ النَّحْرِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ أَوْ فِي تَسْعِ ذِي الْحِجَّةِ فَالْأَدَى الْمَذْكُورُ فِي الْآيَةِ كُلُّ مَا تَأْذَى بِهِ . نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي كَعْبِ بْنِ عَجْرَةَ فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ قَمَلَ رَأْسَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ذَلِكَ وَهِيَ مَحْمُولَةٌ عَلَى جَمِيعِ الْأَدَى . وَقَوْلُهُ تَعَالَى فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكِ فَالَّذِي رَوَاهُ أَصْحَابُنَا أَنَّ مَنْ حَلَقَ لِعَذْرِ الصِّيَامِ عَلَيْهِ ثَلَاثَةٌ أَيَّامٍ أَوْ الصَّدَقَةَ سِتَّةَ مَسَاكِينَ وَرَوَى عَشْرَةَ مَسَاكِينَ وَالنُّسُكُ شَاءَ وَفِيهِ خِلَافٌ بَيْنَ الْمَفْسُرِينَ . وَالْمَعْنَى أَنَّ تَأْذَى بِشَيْءٍ فَحَلَقَ لِذَلِكَ الْعَذْرَ فَعَلِيهِ فِدْيَةٌ أَى بَدَلَ وَجْزَاءٍ يَقُومُ مَقَامَ ذَلِكَ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ مَخِيرٍ فِيهَا . -قرآن- ١٢٣-٢١٤-قرآن- ٥١٥-٥٤٠-قرآن- ٥٩٦-٦٢١-قرآن- ٨٨٨-٩٣١ [صفحہ ٢٩٨] وَ أَمَّا رَمَى الْجِمَارِ فَقَوْلُهُ تَعَالَى وَ إِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاتَمَّهِنَّ يَدِلُّ عَلَيْهِ بِاجْتِمَاعِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَالْعُلَمَاءِ أَى كَلَفَهُ مَنَاسِكَ الْحَجِّ وَ مِنْ جَمَلَتِهَا رَمَى الْجِمَارِ وَ عَلَيْهِ الْمَفْسُرُونَ يَرْمِي جِمْرَةَ الْعَقْبَةِ يَوْمَ النَّحْرِ سَبْعَةً وَ كُلُّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ الثَّلَاثَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ حِصَاةً فِي الْجِمَارَاتِ الثَّلَاثِ يَبْدَأُ بِالْجِمْرَةِ الْأُولَى فَيَرْمِي سَبْعَةً ثُمَّ كَذَا فِي الْوَسْطَى ثُمَّ فِي الْآخِرَى -قرآن- ٣٢-٨٧

باب في ذكر أيام التشريق يكون فيهما رمى الجمرات على ما ذكر

قال الله تعالى فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ أَى إِذَا أَدَيْتُمُوهَا وَفَرَغْتُمْ مِنْهَا قَالَ مُجَاهِدٌ هِيَ الذَّبَائِحُ وَقِيلَ الْمَعْنَى إِذَا قَضَيْتُمْ مَا وَجِبَ عَلَيْكُمْ فِي مَتَعِبَاتِكُمْ إِيقَاعَهُ مِنَ الذَّبْحِ وَالْحَلْقِ وَالرَّمْيِ وَغَيْرِهَا فَادْكُرُوا اللَّهَ فَإِنَّهُ يَسْتَحِبُّ الدُّعَاءَ بَعْدَ رَمَى الْجَمْرَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالذِّكْرِ هَاهُنَا التَّكْبِيرَ أَيَّامَ مَنْى وَقِيلَ إِنَّهُ سَائِرُ الدُّعَاءِ فِي تِلْكَ الْمَوَاطِنِ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ . وَقَوْلُهُ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ -قُرْآن- ١٩-٤٥-قُرْآن- ٣٦٨-٣٨٦ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَنْهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَجْتَمِعُونَ هُنَاكَ وَيَفْتَخِرُونَ بِالْآبَاءِ وَبِمَا تُرِثُهُمْ وَيِيَالِغُونَ فِيهِ -رَوَايَت- ١-٢-رَوَايَت- ٢٠-١٠٢ . [صَفْحَهُ ٢٩٩] وَقَوْلُهُ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا بِمَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنَ النِّعْمَةِ وَإِنَّمَا شَبَّهَ الْأَوْجِبَ بِمَا هُوَ دُونُهُ فِي الْوَجُوبِ لِأَنَّهُ خَرَجَ عَلَى حَالِ لِأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ مَعْتَادُهُ أَنْ يَذْكُرُوا آبَاءَهُمْ بِأَبْلِغِ الذِّكْرِ وَقِيلَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِ الصَّبِيِّ لِأَمِّهِ وَالْأَوَّلِ أَظْهَرَ . ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ مَنْ يَسْأَلُ هُنَاكَ فَمِنْهُمْ مَنْ يَسْأَلُ نَعِيمَ الدُّنْيَا فَقَطْ لِأَنَّهُ غَيْرُ مَوْثُومٍ بِالْقِيَامَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً -قُرْآن- ٩-٢٥-قُرْآن- ٣١٨-٣٧٦ عَنْ الصَّادِقِ ع أَنَّهَا السَّعَةُ فِي الرِّزْقِ وَالْمَعَاشِ وَحَسَنَ الْخَلْقِ فِي الدُّنْيَا وَرِضْوَانَ اللَّهِ وَالْجَنَّةَ فِي الْآخِرَةِ -رَوَايَت- ١-٢-رَوَايَت- ١٧-١٠١ وَقَالَ النَّبِيُّ ص مِنْ أَوْتَى قَلْبًا شَاكِرًا وَزَوْجَةً صَالِحَةً تَعِينَهُ عَلَى أَمْرِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ فَقَدْ أَوْتَى فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَوَقَى عَذَابَ النَّارِ -رَوَايَت- ١-٢-رَوَايَت- ٢٠-١٤٣

فصل

ثم قال تعالى وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ . أمر من الله أن يذكروا الله في هذه الأيام وهي أيام التشريق ثلاثة أيام بعد يوم النحر والأيام المعلومات عشر ذى الحجة وهو قول ابن عباس وجماعة وقال الفراء المعلومات أيام التشريق والمعدودات عشر ذى الحجة وفي النهاية نحوه على خلاف ما في كتبه الأخرى . والصحيح أن المعدودات هي أيام التشريق لا غير والدليل عليه قوله هَاهُنَا فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَالنَّفْرَ الْأَوَّلَ وَالنَّفْرَ الثَّانِي لَا يَكُونَانِ إِلَّا فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ بِلَا -خِلَافٍ . -قُرْآن- ١٧-٥٧-قُرْآن- ٣٩٨-٤٩١ [صَفْحَهُ ٣٠٠] وَالْأَيَّامُ الْمَعْلُومَاتُ يُوَصَفُ بِهَا عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ وَيُوَصَفُ بِهَا أَيَّامُ التَّشْرِيقِ مَعًا وَقَدْ ذَكَرَ فِي تَهْذِيبِ الْأَحْكَامِ أَنَّ الْأَيَّامَ الْمَعْلُومَاتُ هِيَ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ وَيُؤَكِّدُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ فِي سُورَةِ الْحَجِّ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ . وَسَمِيَتْ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ مَعْدُودَاتٍ لِأَنَّهَا قَلَائِلٌ وَهِيَ ثَلَاثَةٌ . وَهَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى وَجُوبِ التَّكْبِيرِ أَوْ اسْتِحْبَابِهِ وَالذِّكْرَ الْمَأْمُورَ بِهِ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهِ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَاللَّهُ الْحَمْدُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا رَزَقَنَا مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ وَالْأَظْهَرُ أَنَّهَا تَجِبُ بِمَنْى وَتَسْتَحِبُّ بِغَيْرِ مَنْى . -قُرْآن- ١٧٢-٢٨٧

فصل

وقوله تعالى فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا -إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلَا -إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى الْمَعْنَى فِي ذَلِكَ الرَّخْصَةِ فِي جَوَازِ النَّفْرِ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنَ التَّشْرِيقِ فَإِنَّ أَقَامَ إِلَى النَّفْرِ الْآخِرِ وَهُوَ الْيَوْمُ الثَّلَاثُ مِنَ التَّشْرِيقِ كَانَ أَفْضَلَ فَإِنَّ النَّفْرَ فِي الْأَوَّلِ نَفْرٌ بَعْدَ الزَّوَالِ إِلَى قَبِيلِ الْغُرُوبِ فَإِنَّ غُرُوبَ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَنْفِرَ إِلَى الْيَوْمِ الثَّلَاثِ بَعْدَ الرَّمْيِ وَ لَيْسَ لِلْإِمَامِ أَنْ يَنْفِرَ فِي النَّفْرِ الْأَوَّلِ . وَقَوْلُهُ فَلَا -إِثْمَ عَلَيْهِ فِيهِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا لَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِتَكْفِيرِ سَيِّئَاتِهِ مِمَّا كَانَ مِنْ حِجَّةِ الْمَبْرُورِ وَبِرُكَّتِهِ تَفْضُلِ اللَّهِ بِالْمَغْفِرَةِ لِدُنُوبِهِ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ الثَّانِي قَالَ الْحَسَنُ لَا إِثْمَ عَلَيْهِ فِي تَعَجُّلِهِ وَ لَا تَأَخُّرِهِ وَإِنَّمَا نَفَى الْإِثْمَ ثَلَاثًا يَتَوَهَّمُ ذَلِكَ مَتَوَهَّمٌ فِي التَّعَجُّلِ وَجَاءَ فِي

التأخير على مزاجه الكلام كما يقول إن -قرآن- ١٦-١٠٩-قرآن-٣٩٩-٤١٦ [صفحة ٣٠١] أظهرت الصدقة فجائز و إن أسرتها فجائز والإسرار أفضل . ويمكن أن يقال إن الأول معناه لاحرج عليه والثاني معناه لم يبق عليه إثم فقد غفر له جميع ذنوبه فيكون جمعا للقولين المتقدمين . وقوله لِمَنْ اتَّقَى فِيهِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا لِمَا قَالَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ دَلَّ عَلَى وَعْدِهِ بِالثَّوَابِ وَعَلَقَهُ بِالتَّقْوَى لِثَلَا يَتَوَهَّمُ أَنَّهُ بِالطَّاعَةِ فِي النَّفْرِ فَقَطِ الثَّانِي أَنَّهُ لَا إِثْمَ عَلَيْهِ فِي تَعَجُّلِهِ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ لِضَرْبِ مَنْ ضَرَبَ مِنَ الضَّرْبِ وَلَكِنْ لَا تَبَاعُ إِذْنُ اللَّهِ فِيهِ . وقيل هو التحذير في الإيكال على ماسلف من أعمال البر في الحج فيبين أن عليهم مع ذلك ملازمة التقوى ومجانبة المعاصي . و قدروى أصحابنا أن قوله لِمَنْ اتَّقَى بِالتَّقْوَى بِالتَّعَجُّلِ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنْ اتَّقَى الصَّيْدَ إِذَا شَاءَ نَفَرَ فِي النَّفْرِ الْأَوَّلِ وَإِنْ شَاءَ وَقَفَ إِلَى انْقِضَاءِ النَّفْرِ الْأَخِيرِ وَمَنْ لَمْ يَتَّقِ الصَّيْدَ فَلَا يَجُوزُ لَهُ النَّفْرُ فِي الْأَوَّلِ وَهُوَ اخْتِيَارُ الْفِرَاءِ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ . -قرآن- ٢٠٠-٢١١-قرآن-٢٣٩-٢٥٦-قرآن-٥٨٢-٥٩٣ وروى عن الصادق ع في قوله فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ أَى مِنْ مَاتَ فِي هَذَيْنِ فَقَدْ كَفَرَ عَنْهُ كُلُّ ذَنْبٍ وَمَنْ تَأَخَّرَ أَى أَنْسَى أَجْلَهُ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ بَعْدَهَا إِذَا اتَّقَى الْكِبَائِرَ -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-١٦٩ والتقدير ذلك لمن اتقى أو جعلناه لمن اتقى وقيل العامل فلا إثم عليه . قوله وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا أَى إِذَا حَلَلْتُمْ مِنْ إِحْرَامِكُمْ وَخَرَجْتُمْ مِنَ الْحَرَمِ فَاصْطَادُوا الصَّيْدَ الَّذِي نَهَيْتُمْ أَنْ تَحْلُوهُ إِذَا شِئْتُمْ فَالسَّبَبُ الْمَحْرَمُ لَهُ زَالٌ وَهُوَ إِبَاحَةُ أَى لَاحْرَجَ عَلَيْكُمْ فِي صَيْدِهِ بَعْدَ ذَلِكَ - قرآن- ٨١-١٠٧ [صفحة ٣٠٢]

باب ما يجب على المحرم اجتنابه

قد تقدم القول في كثير من ذلك و قد عد مشايخنا التروك المفروضة والمكروهة في الحج والعمرة فمحظورات الإحرام ستة وثمانون شيئاً ومحظورات الطواف والسعى والذبح والرمى سبعة وأربعون شيئاً ومكروهات الحج والعمرة ثلاثة وخمسون شيئاً و قد نطق القرآن ببعضها مفصلاً وقوله وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا يَدُلُّ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ جَمَلَةٌ . وقوله فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الرَّفَثَ كِنَايَةٌ عَنِ الْجَمَاعِ فَحُكْمُ الْمَحْرَمِ إِذَا جَمَعَ لَهُ شَرْحٌ طَوِيلٌ لِانْطِيلِ بِهِ الْكِتَابِ . والمراد بالفسوق الكذب فمن كذب مرة فعليه شاة و من كذب مرتين فعليه بقرة و من كذب ثلاثاً فعليه بدنة و قد أشرنا إلى الجدل أنه القسم بالله . -قرآن- ٢٧١-٣٠٠-قرآن-٣٣٣-٣٧٠ [صفحة ٣٠٣] وقوله تَعَالَى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ أَى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَقُوا اللَّهَ فِيمَا أَوْجَبَ عَلَيْهِمْ لَا تَحْلُوا حُرْمَاتِ اللَّهِ وَلَا تَعْدُوا حُدُودَهُ وَلَا تَحْلُوا مَعَالِمَ حُدُودِ اللَّهِ وَأَمْرُهُ وَنَهْيُهُ وَفَرَائِضُهُ وَلَا تَحْلُوا حُرْمَ اللَّهِ وَشَعَائِرَ حُرْمِ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَمَنَاسِكَ الْحَجِّ . عن ابن عباس المعنى لا تحلوا مناسك الحج فتضيعوها و قال مجاهد شعائر الله الصفا والمروة والهدى من البدن وغيرها و قال الفراء كانت عامة العرب لا ترى الصفا والمروة من شعائر الله ولا يطوفون بهما فنهاهم الله عن ذلك و هو قول أبي جعفر و قال قوم لا تحلوا ما حرم الله عليكم في إحرامكم وقيل الشعائر العلامات المنصوبة للفرق بين الحل والحرم نهاهم الله أن يتجاوزوا المواقيت إلى مكة بغير إحرام و قال الحسين بن علي المغربي المعنى لا تحلوا الهدايا المشعرة هديا للبيت وقريب منه ما روى عن ابن عباس أيضا أن المشركين كانوا يحجون البيت ويهدون الهدايا فأراد بعض المسلمين أن يغيروا عليهم فنهاهم الله عنه والعموم يتناول الكل . ثم قال وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ أَى لَا تَسْتَحْلُوا الْأَشْهُرَ الْحَرَامَ كُلَّهَا بِالْقِتَالِ فِيهَا أَعْدَاءُكُمْ هَؤُلَاءِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلَا تَسْتَحْلُوا بِالنِّسَاءِ إِنَّمَا النَّسَاءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ . وقوله تَعَالَى وَلَا الْقَلَائِدَ أَى وَلَا تَحْلُوا الْهَدْيَ الْمُقْلَدَ وَإِنَّمَا كَرَّرَ لِأَنَّهُ أَرَادَ -قرآن- ١٦-١١٠-قرآن-٩٦٨-٩٩٠-قرآن-١١٣١-١١٤٧ [صفحة ٣٠٤] المنع من حل الهدى الذي لا يقلد والهدى الذي قلد وقيل هو نعل يقلد به الإبل والبقر يجب التصديق بها إن كان لها قيمة . وقوله وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ أَنَّهُمْ لَا يَحِلُّ وَيَمْنَعُ مِنْ يَلْتَمَسُ أَرْبَاحًا فِي تِجَارَاتِهِمْ مِنَ اللَّهِ وَأَنْ يَرْضَى عَنْهُمْ بِنَسْكَهِمْ فَأَمَّا مَنْ

باب نهى المحرم من الإخلال والتعدى والتقصير

إشارة

قال الله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَلُوْا نَكْمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ هَذَا خِطَابٌ مِّنَ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَقَسَمَ مِنْهُ تَعَالَى أَى لِيخْتَبِرَنَّ طَاعَتَكُمْ مِنْ مَعْصِيَتِكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ وَأَصْلُهُ إِظْهَارُ بَاطِنِ الْحَالِ وَالْمَعْنَى يَعْرِضُكُمْ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ لِأَن يَظْهَرَ مَا فِي نَفْسِكُمْ وَهُوَ خَافٍ فِي الْحَالِ وَسُمِّيَ ذَلِكَ اخْتِبَارًا لِأَنَّهُ شَبِيهُ فِي الظَّاهِرِ بِاخْتِبَارِ النَّاسِ وَ إِنْ كَانَ الْمُخْتَبِرُ لَا يَعْلَمُ مَا يَكُونُ مِنَ الْمُخْتَبِرِ وَاللَّهُ عَالِمٌ بِمَا يَكُونُ مِنَ الْمُكْلَفِ بِكُلِّ جَلِيٍّ وَخَفِيٍّ وَمُضْمَرٍّ وَمُنَوًى وَالْمَعْنَى لِيَظْهَرَ طَاعَتَكُمْ مِنْ مَعْصِيَتِكُمْ . وَ مِنْ فِي قَوْلِهِ مِّنَ الصَّيْدِ لِلتَّبَعِيضِ وَيَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ عَنِ صَيْدِ الْبَرِّ دُونَ صَيْدِ الْبَحْرِ وَالْآخَرُ أَنْ يَكُونَ لِمَا عَنِ الصَّيْدِ مَا دَامُوا فِي الْإِحْرَامِ أَوْ فِي الْإِحْرَامِ وَالْحَرَمِ كَانَ ذَلِكَ بَعْضَ الصَّيْدِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ لَتَبْيِينِ الْجِنْسِ وَأَرَادَ بِالصَّيْدِ الْمَصِيدَ بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَ رِمَا حُكْمٌ وَ لَوْ كَانَ الصَّيْدُ هُنَا مَصْدَرًا كَانَ حَدِثًا فَلَا يُوصَفُ بِمِثْلِ الْيَدِ وَالرَّمْحِ وَإِنَّمَا يُوصَفُ بِهِ مَا كَانَ عَيْنًا. وَقَالَ أَصْحَابُ الْمَعَانِي امْتَحَنَ اللَّهُ أُمَّةً مُحَمَّدٌ صَ صَيْدِ الْبَرِّ كَمَا امْتَحَنَ أُمَّةً مُوسَى عَ صَيْدِ الْبَحْرِ. -قرآن- ١٩-٩٠-قرآن- ٥٠٠-٥١١-قرآن- ٧٤٨-٧٧٨ [صفحة ٣٠٥] و لما تقدم في أول السورة تحريم الصيد على المحرم مجملا بين سبحانه ذلك هاهنا فقال ليختبرن الله تعالى طاعتكم من معصيتكم بشيء من الصيد أي بتحريم شيء من الصيد وبعض منه . و أَلذِي تَنَالَهُ الْأَيْدِي فَرَاخُ الطَّيْرِ وَصَغَارُ الْوَحْشِ وَالْبَيْضُ وَ أَلذِي تَنَالَهُ الرَّمَا حُ الْكِبَارِ مِنَ الصَّيْدِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ هُوَ الْمَرْوِيُّ عَنِ الصَّادِقِ ع . وَقِيلَ الْمُرَادُ بِهِ صَيْدَ الْحَرَمِ يَنَالُ بِالْأَيْدِي وَالرَّمَا حُ لِأَنَّهُ يَأْنَسُ بِالنَّاسِ وَ لَا يَنْفِرُ مِنْهُمْ كَمَا يَنْفِرُ فِي الْحَلِّ وَ ذَلِكَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ . وَقِيلَ الْمُرَادُ بِهِ مَا قَرَّبَ وَ مَا بَعْدَ مِنَ الصَّيْدِ. وَجَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّهُ يَعْنِي بِهِ حَمَامٌ مَكَّةَ وَهِيَ تَفْرُخُ فِي بُيُوتِ مَكَّةَ فِي السَّقْفِ وَ عَلَى الْحَيْطَانِ فَرَبَّمَا كَانَتْ الْفَرَاخُ بِحَيْثُ تَصِلُ الْيَدَ إِلَيْهَا.

فصل

وبهذه الآية حرم الله صيد الحل على المحرم وصيد الحرم على المحل والمحرم جميعا وقال الزجاج سن النبي ع تحريم صيد الحرم على المحرم وغيره وهذا صحيح وصيد غير الحرم يحرم على المحرم دون المحل وقال أبو علي صيد الحرم هو المحرم بهذه الآية ونحوه قول بعض المفسرين إن الله عنى به كل صيد الحرم لأنه جعل الصيد آمنا بالحرم فهو لا ينفِر من الناس نفا ره إذا خرج من مكة و إذا بمكة أمكن قتله بالرمح وأخذه باليد فأمر الله أن لا يقتلوا هذا الصيد و لا يأخذوه و لا يؤذوه . وَقِيلَ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ بِإِشَارَةٍ إِلَى صَيْدِ الْحَرَمِ لِأَنَّهُ يَكُونُ آنَسٌ مِنْ غَيْرِهِ فَيَمْكُنُ تَنَاوُلَهُ بِالْيَدِ وَقَوْلُهُ وَ رِمَا حُ كَمَا إِشَارَةٌ إِلَى صَيْدِ غَيْرِ الْحَرَمِ لِلْمَحْرَمِ لِأَنَّهُ يَمْكُنُهُ أَخْذَهُ بِالرَّمْحِ وَ هَذَا مِنَ الصَّيْدِ إِلهَامٌ مِنَ اللَّهِ بِخِلَافِ صَيْدِ آخَرَ يَكُونُ فِي أَرْضٍ أُخْرَى . -قرآن- ٤٩٠-٥٠٧-قرآن- ٥٨٢-٥٩٣ [صفحة ٣٠٦] لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ أَى لِيَعْلَمَ مَلَائِكَةُ اللَّهِ مَنْ يَخَافُهُ غَائِبًا لِأَنَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِمَا لَمْ يَزَلْ وَمَعْنَى لِيَعْلَمُوا أَى لِيَعْرِفُوا قَوْمًا يَخَافُونَ صَيْدَ الْحَرَمِ فِي الْعِلَانِيَةِ فَلَا يَعْتَرِضُونَ لَهُ عَلَى حَالٍ . ثُمَّ قَالَ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ أَى مَنْ تَجَاوَزَ حَدَّ اللَّهِ بِمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ وَارْتِكَابِ نَهْيِهِ بِالصَّيْدِ فِي الْحَرَمِ وَ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ فَلَهُ عَذَابُ النَّارِ فِي الْقِيَامَةِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ ذَلِكَ

من الآلام والعقوبات فى الدنيا فقد قال لَأَعَذَّبَنَّ عَذَابًا شَدِيدًا حِكَايَهُ عَنْ سَلِيمَانَ فِي حَقِّ الْهَدْهِدِ وَ لَمْ يَرِدْ عَذَابُ النَّارِ -قرآن- ١-
٣٩-قرآن- ٢٠٧-٢٣١-قرآن- ٤١٢-٤٤٢

باب تفصيل مايجب على هذا الاعتداء من الجزاء

إشارة

قال الله تعالى عقيب ذلك يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ أَخْتَلَفَ فِي الْمَعْنَى بِالصَّيْدِ فَقِيلَ هُوَ كُلُّ الْوَحْشِ أَكْلًا أَوْ لَمْ يُوَكَّلْ وَ هُوَقَوْلُ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَاسْتَدَلُّوا -قرآن- ٢٩-٧٦ بقول على ع -رواية- ١-٢-رواية- ١٦-١٧ صيد الملوك أرانب و ثعالب || و إذا ركبت فصيدي الأبطال . و هو مذهبا و قيل هو كل ما يؤكل لحمة و هو قول الشافعي . و قوله وَ أَنْتُمْ حُرْمٌ فِيهِ ثَلَاثَةٌ أَوْجِهَ أَحَدُهَا وَ أَنْتُمْ مُحْرَمُونَ بِحَجِّ أَوْعِمْرَةَ الثَّانِي وَ أَنْتُمْ فِي الْحَرَمِ الثَّلَاثِ وَ أَنْتُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَ لِاخْتِلَافِ أَنْ هَذَا لَيْسَ بِمَرَادِ الْآيَةِ تَدَلُّ عَلَى تَحْرِيمِ قَتْلِ الصَّيْدِ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ بِالْحَجِّ أَوْ الْعِمْرَةِ سِوَاكَ كَانَ مُحْرَمًا بِالْعِمْرَةِ أَوْ بِالْحَجِّ أَوْ لَمْ يَكُنْ وَ قَالَ الرَّمَانِيُّ تَدَلُّ عَلَى تَحْرِيمِ قَتْلِ الصَّيْدِ عَلَى الْمُحْرَمِ بِالْحَجِّ أَوْ الْعِمْرَةِ وَالْأَوَّلُ أَعْمُ فَائِدَةٌ وَ اخْتَارَهُ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ . -قرآن- ٦٧-٨٢ [صفحة ٣٠٧] وَ قَالَ جَمَاعَةٌ الْأَوَّلَى أَنْ تَكُونَ الْآيَةُ الْأَوَّلَى حَرْمَ فِيهَا الصَّيْدَ بِالْحَرَمِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ وَ الْحَالَاتِ وَ هَذِهِ الْآيَةُ الثَّانِيَةُ حَرْمَ فِيهَا صَيْدُ الْبَرِّ كُلَّهُ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ . وَ وَاحِدَ الْحَرَمِ حَرَامٌ كَسَحَابٍ وَ سَحَبٍ .

فصل

ثم قال تعالى وَ مَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ فَقَوْلُهُ تَعَالَى مِنْ قَتَلَهُ فِيهِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا أَنْ يَتَعَمَّدَ الْقَتْلَ وَيَنْشِئَ الْإِحْرَامَ الثَّانِي الذَّاكِرَ لِإِحْرَامِهِ مَعَ تَعَمَّدِ قَتْلِهِ وَ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ وَ هُوَ عَامٌ فِي النَّاسِ وَ الذَّاكِرَ لِأَنَّ ظَاهِرَهُ عَامٌ وَ لِادْتِمَارِ عَلَى الْخُصُوصِ . وَ قَوْلُهُ مِنْكُمْ مَعْنَى كُلِّ مَنْ يَدِينُ بِدِينِ الْإِسْلَامِ وَ مُتَعَمِّدًا نَصَبَ عَلَى الْحَالِ أَيْ قَاصِدًا غَيْرَ سَاهٍ وَ لِاجْهَلِ بِهِ . وَ الْفَتْوَى أَنْ قَاتَلَ الصَّيْدَ إِذَا كَانَ مُحْرَمًا لَزِمَهُ الْجَزَاءُ عَامِدًا كَانَ فِي الْقَتْلِ أَوْ خَاطِئًا أَوْ نَاسِيًا لِإِحْرَامِهِ أَوْ ذَاكَرًا عَالِمًا كَانَ أَوْ جَاهِلًا وَ عَلَى هَذَا أَكْثَرُ الْفُقَهَاءِ وَ الْعُلَمَاءِ وَ قَالَ جَمَاعَةٌ إِنَّهُ يَلْزِمُهُ إِذَا كَانَ مُتَعَمَّدًا لِقَتْلِهِ ذَاكَرًا لِإِحْرَامِهِ وَ هُوَ أَشْبَهَ بِالظَّاهِرِ وَالْأَوَّلُ يَشْهَدُ بِهِ رَوَايَاتُ أَصْحَابِنَا . -
قرآن- ١٧-٨٩-قرآن- ٢٩٣-٢٩٨-قرآن- ٣٣٤-٣٤٤

فصل

واختلفوا فى مثل المقتول بقوله فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ الْحَسَنُ وَ السُّدِّيُّ وَ الضَّحَّاكُ وَ مُجَاهِدٌ وَ عَطَاءٌ هُوَ أَشْبَهَ الْأَشْيَاءَ بِهِ مِنَ النَّعْمِ إِنْ قَتَلَ نَعْمَةً فَعَلِيهِ بَدَنُهُ حَكْمَ النَّبِيِّ عَ بِذَلِكَ فِي الْبَدَنَةِ وَ إِنْ قَتَلَ أَرَوَى -قرآن- ٣٤-٧١ [صفحة ٣٠٨] فَبَقْرَةٌ وَ إِنْ قَتَلَ غَزَالًا أَوْ رُبَا فِشَاءً وَ هَذَا هُوَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ رَوَايَاتُ أَصْحَابِنَا . وَ قَالَ قَوْمٌ يَقُومُ الصَّيْدَ بِقِيَمَةٍ عَادِلَةٍ ثُمَّ يَشْتَرِي بِثَمَنِهِ مِثْلَهُ مِنَ النَّعْمِ ثُمَّ يَهْدِي إِلَى الْكَعْبَةِ فَإِنْ لَمْ يَبْلُغْ ثَمَنَ هَدَى كَفَرَ أَوْ صَامَ وَ فِيهِ خِلَافٌ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ . وَ قَدْ تَوَاتَرَتْ أَخْبَارُنَا وَ رَوَايَاتُنَا بِأَنَّ كُلَّ مَا يَصِيدُهُ الْمُحِلُّ فِي الْحَرَمِ يَلْزِمُهُ فِيهِ الْقِيَمَةُ وَ مَا يَصِيدُهُ الْمُحْرَمُ فِي الْحِلِّ مِنَ الصَّيْدِ كَانَ عَلَيْهِ الْفِدَاءُ وَ إِنْ أَصَابَهُ الْمُحْرَمُ فِي الْحَرَمِ

كان عليه الفداء والقيمة وما يجب فيه التضعيف هو ما لم يبلغ بدنه فإذا بلغها لها يجب عليه غيرها. قال الزهري نزل القرآن بالعمد وجرت السنة في الخطأ. والفتوى أن الصيد كلما تكرر من المحرم كان عليه كفارة إذا كان ذلك منه نسيانا فإن فعله متعمدا مرة كان عليه الكفارة وإن فعله مرتين فهو ممن ينتقم الله منه وليس عليه الجزاء. فإن قيل بم يعلم المماثلة بين النعم وما يصاد. قلنا لهذا جوابان أحدهما أن الله بين على لسان نبيه ع في قتل النعامة بدنه من الإبل على كل حال في الحل إذا كان محرما وفي الحرم وجعل بدل حمار وحش أو بقر وحش بقره إذا أصابه المحرم في الحل وبدل ظبية شاء هكذا وإن أصاب قطاة فعليه حمل مفطوم وإن أصاب ظبا فعليه جدى وإن أصاب عصفورا فعليه مد من طعام وإن أصاب المحرم في الحل حمامة فعليه دم وإن أصابها وهو محل في الحرم فعليه درهم وإن أصابها وهو محرم في الحرم فعليه دم والقيمة وإن قتل فرخا وهو محرم في الحل فعليه حمل وإن قتله في الحرم وهو محل فعليه نصف درهم وإن قتله وهو محرم في الحرم فعليه الجزاء والقيمة معا وإن أصاب بيض حمام وهو محرم في الحل فعليه درهم وإن أصاب وهو محل في الحرم فعليه ربع درهم وإن أصابه وهو محرم في الحرم فعليه الجزاء والقيمة فإن كان حمام [صفحة ٣٠٩] الحرم يشتري به العلف لحمام الحرم وإن كان حماما أهليا يتصدق به فقد بين جميع ذلك رسول الله ص لقوله وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ. والجواب الثاني أنه اختلف في المكان الذي يقوم فيه الصيد فقال أبو حنيفة وصاحبه يقوم بالمكان الذي أصاب فيه إن كان أصاب بخراسان أو غيره وقال عامر الشعبي يقوم بمكة أو منى. وقوله يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ بِأَنَّهُ جَزَاءٌ مِّمَّا قَتَلَ مِنَ الْبَيْدِ أَى يَحْكُمُ فِي الْبَيْدِ بِالْجَزَاءِ رَجُلَانِ صَالِحَانِ مِنْكُمْ أَى مِنْ أَهْلِ مَلِكِكُمْ وَدِينِكُمْ فَيَنْظُرَانِ إِلَى أَشْبَهِ الْأَشْيَاءِ بِهِ مِنَ النَّعْمِ فَيَحْكُمَانِ بِهِ. وقوله هَدِيًّا أَى يَهْدِيهِ هَدِيًّا وَبِالْعَ كَعَبَّةٍ صَفَةً. والهدى يجب أن يكون صحيحا بالصفة التي تجرى في الأضحية وقال الشافعي يجوز في الهدى ما لا يجوز في الأضحية. وعندنا إن قتل طائرا أو نحوه ففيه دم في الحل على المحرم وعلى المحل في الحرم القيمة وعلى المحرم في الحرم دم والقيمة لما قدمنا والدم لا يكون أقل من دم شاء. وقد تقدم إن كان ذلك الصيد في إحرام الحج أو العمرة التي يتمتع بها يذبح بمنى وإن كان في العمرة المبتولة فمكة وعن ابن عباس إذا أتى مكة ذبحه كله وتصدق به. -قرآن- ١١١-١٧٦-قرآن- ٣٧٠-٣٩٩-قرآن- ٦٠٥-٦١٠-قرآن- ٦٢٨-٦٤٣

فصل

من قرأ فجزءا مثل ما قتل قال أبو على الفارسي رفع مثل لأنه صفة لجزاء والمعنى فعليه جزء من النعم مماثل للمقتول وتقديره فعليه جزء أى فاللازم له أو فالواجب عليه جزء من النعم مماثل ما قتل من الصيد. -قرآن- ٨-٣١ [صفحة ٣١٠] وقوله تعالى مِنَ النَّعْمِ فِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ صَفَةً لِلنَّكَرَةِ الَّتِي هِيَ جَزَاءٌ فِيهِ ذِكْرُهُ وَلا يَنْبَغِي إِضَافَةُ جَزَاءٍ إِلَى مِثْلِ لِأَنَّ عَلَيْهِ جَزَاءَ الْمَقْتُولِ لِأَجْزَاءِ مِثْلِهِ وَلا أَجْزَاءَ عَلَيْهِ لِمِثْلِ الْمَقْتُولِ الَّذِي لَمْ يَقْتُلْهُ وَلا يَجُوزُ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ مِنَ النَّعْمِ مُتَعَلِّقًا بِالمَصْدَرِ كَمَا جَازَ أَنْ يَكُونَ الجَارِ مُتَعَلِّقًا بِهِ فِي قَوْلِهِ جَزَاءٌ سَيِّئَةٌ بِمِثْلِهَا لَأَنَّكَ قَدْ وَصَفْتَ المَوْصُولَ وَإِذَا وَصَفْتَهُ لَمْ يَجْزِ أَنْ تَعْلُقَ بِهِ بَعْدَ الوَصْفِ شَيْئًا كَمَا أَنَّكَ إِذَا عَطَفْتَ عَلَيْهِ أَوْ أَكْرَدْتَهُ لَمْ يَجْزِ أَنْ تَعْلُقَ بِهِ شَيْئًا بَعْدَ العَطْفِ عَلَيْهِ وَالتَّأْكِيدُ لَهُ وَالمِمَّاثِلَةُ فِي القِيَامَةِ أَوْ الخَلْقَةِ عَلَى اخْتِلَافِ الفُقَهَاءِ فِي ذَلِكَ. و أما من قرأ فجزءا مثل ما قتل فأضاف الجزاء إلى المثل فقوله مِنَ النَّعْمِ يَكُونُ صَفَةً لِلْجَزَاءِ كَمَا كَانَ فِي قَوْلِ مَنْ نَوَّنَ لَمْ يَضْفِ صَفَةً لَهُ وَيَجُوزُ فِيهِ وَجْهٌ آخَرٌ مِمَّا يَجُوزُ فِي قَوْلِ مَنْ نَوَّنَ فَيَمْتَنِعُ تَعْلُقُهُ بِهِ لِأَنَّ مَنْ أَضَافَ الجَزَاءَ إِلَى مِثْلِ فَهُوَ كَقَوْلِهِمْ أَنَا أَكْرَمُ مِثْلِكَ أَى أَنَا أَكْرَمُكَ فَالمِرَادُ فَجَزَاءٌ مَاقْتَلُ وَ لَوْ قَدَرْتَ الجَزَاءَ تَقْدِيرَ المَصْدَرِ المَضَافِ إِلَى المَفْعُولِ بِهِ فَالوَاجِبُ عَلَيْهِ فِي الحَقِيقَةِ جَزَاءَ الْمَقْتُولِ لِأَجْزَاءِ مِثْلِ الْمَقْتُولِ لِأَنَّ مَعْنَاهُ مَجَازًا مِثْلُ مَاقْتَلُ. وَنَحْنُ نَعْمَلُ بِظَاهِرِ الْقِرَاءَةِ تَيْنِ فَإِنَّ المَحْرَمَ إِذَا قَتَلَ الصَّيْدَ

الذی له مثل فهو مخیر بین أن یرج مثله من النعم و هو أن یقوم مثله دراهم ویشتري به طعاما ویصدق به أویصوم عن کل مد یوما ولا یجوز إخراج القیمه جمله و إن کان الصيد لاملل له کان مخیرا بین أن یقوم الصيد ویشتري به طعاما ویصدق به و بین أن یصوم عن کل مد یوما. والقراءتان إذا كانتا مجمعا علی صحتهما كانتا کالآیتین یجب العمل بهما وقد تخلصنا أن یتعسف فی النحو والإعراب . -قرآن- ۱۶-۲۸-قرآن- ۲۴۰-۲۵۲-قرآن- ۳۱۰-۳۳۴-قرآن- ۵۶۲-۵۸۵-قرآن- ۶۱۷-۶۲۹ [صفحة ۳۱۱]

فصل

و عن أبی الصباح سألت أباب عبد الله ع عن قول الله عز و جل فی الصيد من قتل من قتل من قتل من قتل من النعم قال فی الطبی شاء و فی الحمامه وأشباهاها و إن کان فراخا فعدتها من الحملان و فی حمار وحش بقره و فی النعامه جزور -روایت- ۱- ۲-روایت- ۲۱-۲۶۰ و عن حریر عن الصادق ع فی قول الله فجزاء مثل ما قتل من النعم فی النعامه بدنه و فی حمار وحش بقره و فی الطبی شاء و فی البقره بقره -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۷-۱۴۹ و عن محمد بن مسلم سألت أباب جعفر ع عن قوله أو عدل ذلك صیاماً قال عدل الهدی مابلغ ثم یتصدق به فإن لم یکن عنده فلیصم بقدر مابلغ لكل طعام مسکین یوما -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۳-۱۷۲ و عن أبی عبیده عن أبی عبد الله ع قال إذا أصاب المحرم الصيد و لم یجد ما یکفر من موضعه أذی أصاب فیہ الصيد قوم جزاءه من النعم دراهم ثم قومت الدرهم طعاما لكل مسکین نصف صاع فإن لم یقدر علی الطعام صام لكل نصف صاع یوما -روایت- ۱-۲-روایت- ۴۶-۲۴۲ و عن الزهری فی قوله تعالی أو عدل ذلك صیاماً قال لی علی بن الحسین ع أوتدری کیف یكون عدل ذلك صیاماً قلت لا قال یقوم الصيد قیمه ثم یفص تلك القیمه علی البر ثم یکال ذلك البر أصواعا فیصوم لكل نصف صاع یوما -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۶-۲۳۰ . [صفحة ۳۱۲] و إذا قتل صیدا فهو مخیر بین ثلاثه أشياء بین أن یرج مثله من النعم و بین أن یقوم مثله دراهم ویشتري به طعاما ویصدق به و بین أن یصوم عن کل مد یوما و إن کان الصيد لاملل له فهو مخیر بین شیئین أن یقوم الصيد ویشتري به طعاما ویصدق به أویصوم عن کل یوم مدا. ولا یجوز إخراج القیمه بحال و به قال الشافعی ووافق مالک فی جمیع ذلك إلا أن عندنا أنه إذا أراد شراء الطعام قوم المثل وعنده قوم الصيد ویشتري به طعاما و فی أصحابنا من قال علی الترتیب دلیلنا علیه قوله فجزاء مثل ما قتل من النعم فأوجب فی الصيد مثلاً موصوفاً من النعم وجزاء الصيد علی التخییر بین إخراج المثل أو بیعه و شراء الطعام والتصدق به و بین الصوم عن کل مد یوما و به قال جمیع الفقهاء. و عن ابن عباس و ابن سیرین أن وجوب الجزاء علی الترتیب و علیه قوم من أصحابنا. دلیلنا قوله تعالی فجزاء مثل ما قتل من النعم یحکم به ذوا عدل منكم إلى قوله أو كفارة طعام مساکین أو عدل ذلك صیاماً و أوللتخییر بلا خلاف بین أهل اللسان فمن ادعی الترتیب فعلیه الدلالة. والمثل أذی یقوم هو الجزاء و به قال الشافعی و عند مالک یقوم الصيد المقتول ودلیلنا الآیه. و ما له مثل یلزم قیمته وقت الإخراج دون حال الإتلاف و ما لاملل له یلزمه قیمته حال الإتلاف دون حال الإخراج . و قال المرتضی إذا قتل المحرم صیدا متعمداً فعليه جزاءان وباقی الفقهاء یخالفون فی ذلك قال ویمكن أن یقال قد ثبت أن من قتل الصيد ناسیا یجب علیه الجزاء والعمد أغلظ من النسیان فی الشریعة فیجب أن یتضاعف الجزاء علیه مع العمد. -قرآن- ۴۸۹-۵۲۶-قرآن- ۷۹۵-۸۶۳-قرآن- ۸۷۵-۹۲۸ [صفحة ۳۱۳]

فصل

أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامٌ مَسَاكِينَ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَسِيُّ مِنْ رَفْعِ طَعَامِ مَسَاكِينَ جَعَلَهُ عَطْفًا عَلَى الْكِفَّارَةِ عَطْفَ بَيَانٍ لِأَنَّ الطَّعَامَ هُوَ الْكِفَّارَةُ وَ لَمْ يُضَفْ الْكِفَّارَةُ إِلَى الطَّعَامِ وَ مِنْ أَضَافِ الْكِفَّارَةِ إِلَى الطَّعَامِ فَلِأَنَّهُ لِمَا خَيْرِ الْمَكْفَرِ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءِ الْهَدْيِ وَالطَّعَامِ وَالصِّيَامِ اسْتِجَازَ الْإِضَافَةِ لِذَلِكَ فَكَأَنَّهُ قَالَ كِفَّارَةُ طَعَامٍ لِكِفَّارَةِ هَدْيٍ أَوْ صِّيَامٍ فَاسْتَقَامَتِ الْإِضَافَةُ. وَأُورِدَ ابْنُ جَنِيٍّ فِي الْمَحْتَسَبِ أَنَّ قِرَاءَةَ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَجَزَاءٌ مَنُونٌ مِثْلُ مَا بِالنَّصْبِ مَعْنَاهَا أَيْ مَجَازِيٌّ مِثْلُ مَا قَتَلَ وَقِرَاءَةُ الْبَاقِرِ وَالصَّادِقِ عَ يَحْكُمُ بِهِ ذُو عَدْلٍ قَالَ وَإِنَّهُ لَمْ يَوْجَدُ ذُو لَانَ الْوَاحِدِ يَكْفِي لَكِنَّهُ أَرَادَ مَعْنَى مِنْ أَيْ يَحْكُمُ بِهِ مِنْ يَعْدِلُ وَ مِنْ يَكُونُ لِلثَّلَاثِينَ كَمَا يَكُونُ لِلوَاحِدِ كَقَوْلِهِ -قُرْآن- ١- ٣٠-قُرْآن- ٣٩١-٣٩٨-قُرْآن- ٤٠٤-٤١١ فَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَأْذُبُ يَصْطَحِبَانِ وَرَوَى عَنْهُمَا عَ أَنَّ الْمُرَادَ بِذِي الْعَدْلِ رَسُولَ اللَّهِ وَأَوْلَى الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ -رَوَايَاتُ- ١-٢-رَوَايَاتُ- ١٨-٧٥ وَكَفَى بِصَاحِبِ الْقِرَاءَةِ خَبْرًا بِمَعْنَى قِرَاءَتِهِ . وَقِيلَ فِي مَعْنَاهُ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا أَنْ يَقُومَ عَدْلُهُ مِنَ النِّعَمِ يَجْعَلُ قِيَمَتَهُ طَعَامًا وَلِيَتَصَدَّقَ بِهِ عَنِ عَطَاءٍ وَالْآخَرُ أَنْ يَقُومَ الصَّيْدَ الْمَقْتُولَ حَيًّا ثُمَّ يَجْعَلُ طَعَامًا عَنِ قِتَادَةٍ. أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا قِيلَ فِيهِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا أَنْ يَصُومَ عَنِ كُلِّ مَدٍّ يَقُومُ مِنَ الطَّعَامِ يَوْمًا عَنِ عَطَاءٍ وَ هُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَالْآخَرُ أَنْ يَصُومَ عَنِ كُلِّ مَدِينٍ يَوْمًا وَ هُوَ الْمَرْوِيُّ عَنِ أَثْمَتَانَ عَ وَ هُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ. -قُرْآن- ١٩٨-٢٢٠ [صَفْحَةُ ٣١٤]

فصل

وَاخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ الْكِفَّارَاتِ الثَّلَاثِ فَقِيلَ إِنَّهَا مَرْتَبَةٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالشَّعْبِيِّ وَالسُّدِيِّ قَالُوا وَإِنَّمَا دَخَلَتْ أَوْلَانَهُ لِأَيُّهَا لَا يَخْرُجُ حُكْمُهُ عَنِ إِحْدَى الثَّلَاثِ وَقِيلَ إِنَّهَا عَلَى التَّخْيِيرِ وَ هُوَ مَذْهَبُ الْفُقَهَاءِ وَاخْتَارَهُ الشَّيْخُ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَى مَا تَقَدَّمَ وَ كَلَّا الْقَوْلَيْنِ رَوَاهُ أَصْحَابُنَا. قَالَ الْمُرْتَضَى الْأَظْهَرُ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى التَّخْيِيرِ لَكِنْ عَلَى التَّرْتِيبِ وَدَخَلَتْ أَوْلَانَهُ لِأَيُّهَا لَا يَخْرُجُ حُكْمُهُ عَنِ أَحَدِ الثَّلَاثَةِ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَجِدِ الْجِزَاءَ فَالْإِطْعَامُ فَإِنَّ لَمْ يَجِدِ الْإِطْعَامَ فَالصِّيَامُ وَ لَيْسَ فِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى الْعَمَلِ بِالْقِيَاسِ لِأَنَّ الرَّجُوعَ إِلَى ذَوِي عَدْلٍ فِي تَقْوِيمِ الْجِزَاءِ مِثْلَ الرَّجُوعِ إِلَى الْمُقَوْمِينَ فِي قِيَمِ الْمُتَلَفَاتِ وَ لَا تَعْلُقُ لِذَلِكَ بِالْقِيَاسِ . وَ قَوْلُهُ لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ أَيْ عَقُوبَةَ مَا فَعَلَهُ فِي الْآخِرَةِ إِنْ لَمْ يَتَّبِعْ وَقِيلَ مَعْنَاهُ لِيَذُوقَ وَخَامَةَ عَاقِبَتِهِ أَمْرَهُ وَثَقَلَهُ بِمَا يَلْزِمُهُ مِنَ الْجِزَاءِ. فَإِنَّ قِيلَ كَيْفَ يَسْمَى الْجِزَاءُ وَبَالًا وَإِنَّمَا هِيَ عِبَادَةٌ وَإِذَا كَانَ عِبَادَةٌ فَهِيَ نِعْمَةٌ وَمُصْلِحَةٌ. فَالْجَوَابُ أَنَّ اللَّهَ شَدَّدَ عَلَيْهِ بِالتَّكْلِيفِ بَعْدَ أَنْ عَصَاهُ فَيَثْقُلُ ذَلِكَ عَلَيْهِ كَمَا حَرَّمَ الشَّحْمَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ لِمَا عَتَدُوا فِي السَّبْتِ فَثَقُلَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَ إِنْ كَانَ مُصْلِحَةً لَهُمْ . قَوْلُهُ وَ مَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ أَيْ مَنْ عَادَ إِلَى قَتْلِ الصَّيْدِ مُحْرَمًا فَاللَّهُ تَعَالَى يَكْفِيهِ عَقُوبَةً بِمَا صَنَعَ . وَاخْتَلَفَ فِي لُزُومِ الْجِزَاءِ بِالْمَعَاوِدَةِ فَقِيلَ إِنَّهُ لِاجْتِزَاءِ عَلَيْهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ الْحَسَنِ وَ هُوَ الظَّاهِرُ فِي رَوَايَاتِنَا وَقِيلَ إِنَّهُ يَلْزِمُهُ الْجِزَاءُ عَنِ جَمَاعَةٍ وَ بِهِ قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا وَالجَمْعُ بَيْنِ الرَّوَايَتَيْنِ أَنَّ فِي مَعَاوِدَةِ قَتْلِ الصَّيْدِ عَمْدًا لِاجْتِزَاءِ عَلَيْهِ وَ فِي النِّسْيَانِ يَكْرُرُ. -قُرْآن- ٥٨٢-٦٠٥-قُرْآن- ٩٦٠-٩٩٥ [صَفْحَةُ ٣١٥] فَإِنَّ قِيلَ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ يَخَالِفُ مَذْهَبَكُمْ لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النِّعَمِ... أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامٌ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا وَ لَفْظُهُ أَوْ يَقْتَضِي التَّخْيِيرَ وَمَذْهَبَكُمْ أَنَّ الْقَاتِلَ لِلصَّيْدِ عَلَيْهِ الْهَدْيُ فَإِنَّ لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ فَالْإِطْعَامُ فَإِنَّ عَجَزَ عَنْهُمَا فَالصِّيَامُ. فَالْجَوَابُ قَلْنَا نَدْعُ الظَّاهِرَ لِلدَّلَالَةِ كَمَا تَرَكْنَا ظَاهِرَ إِجْبَابِ الْوَاوِ لِلْجَمْعِ وَحَمَلْنَاهَا عَلَى التَّخْيِيرِ فِي قَوْلِهِ فَانْكُحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنِيًّا وَ ثَلَاثًا وَ رُبَاعًا وَ يَكُونُ كَذَا إِذَا لَمْ يَجِدِ الْأَوَّلَ . -قُرْآن- ٥٦-٩٣-قُرْآن- ٩٧-١٥٠-قُرْآن- ٣٦٢-٤٢٥

فصل

ثُمَّ قَالَ أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَ طَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِلسِّيَارَةِ وَ حُرْمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا. وَظَاهِرُهُ يَقْتَضِي تَحْرِيمَ الصَّيْدِ

فى حال الإحرام وتحريم كل مصاده غيره و به قال جماعة و قال الحسن لحم الصيد لا يحرم على المحرم إذا صاده غيره ومنهم من فرق ما بين صيد و هو محرم و بين ما صيد قبل إحرامه وعندنا لافرق بينهما فالكل محرم على المحرم . والصيد يعبر به عن الاصطياد فيكون مصدرا ويعبر به عن الصيد فيكون اسما صريحا ويجب أن تحمل الآية على الأمرين وتحريم الجميع . بين الله تعالى ما يحل من الصيد و ما لا يحل فقال **أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ** أى أبيع لكم صيد الماء وإنما أحل بهذه الآية الطبرى من صيد البحر لأن العتيق لا خلاف فى كونه حلالا عن ابن عباس وجماعة. -قرآن- ١٠-١٢٧-قرآن-٥٦٥-٥٩٠ [صفحة ٣١٦] و قوله وَ طَعَامُهُ يَعْنِي طَعَامَ الْبَحْرِ يريد به المملوح عن جماعة و هو الذى يليق بمذهبنا وإنما سمي طعاما لأنه يدخر ليطعم -قرآن- ٩-١٩

باب المحصور والمصدود

إشارة

الحصر عندنا لا يكون إلا بالمرض والصد إنما يكون من جهة العدو وعند الفقهاء كلاهما من جهة العدو والمذهب هو الأول . فإذا أحرم المكلف بحجة أو عمره فحصره عدو من المشركين ومنعوه من الوصول إلى البيت كان له أن يتحلل لعموم الآية هذا فى الحصر العام و أما الحصر الخاص و هو أن يحبس بدين عليه أو غيره فلا يخلو أن يحبس بحق أو بغير حق فإن حبس بحق بأن يكون عليه دين يقدر على قضائه فلم يقضه لم يكن له أن يتحلل لأنه متمكن من الخلاص فهو حابس نفسه باختياره و إن حبس بظلم أو دين لا يقدر على أدائه كان له أن يتحلل لعموم الآية والأخبار بأنه مصدود. و كل من له التحلل فلا يتحلل إلا بهدى و لا يجوز له قبل ذلك . و إذا لم يجد المحصر الهدى أو لا يقدر على ثمنه لا يجوز له أن يتحلل حتى يهدى و لا يجوز له أن ينتقل إلى بدل من الصوم أو الإطعام لأنه لا دليل على ذلك . وأيضا قوله **فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ** يمنع كلاهما من التحلل إلى أن يهدى فيبلغ الهدى محله و هو يوم النحر و لم يذكر البدل . و إذا أراد التحلل من حصر العدو فلا بد من نية التحلل قبل الدخول فيه وكذلك إذا حصر بالمرض . ومتى شرط فى حال الإحرام أن يحله حيث حبسه صح ذلك ويجوز له التحلل -قرآن- ٧٩٥-٨٣٩-قرآن-٨٤٢-٨٩٥ [صفحة ٣١٧] و لابد أن يكون للشرط فائدة مثل أن يقول إن مرضت أو فنى نفقتى أو فاتنى الوقت أو ضاق على أو منعتى عدو أو غيره فأما أن يقول إن خلى حيث شئت فليس له ذلك فإذا حصل ما شرط فلا بد له من الهدى لعموم الآية هذا كلام الشيخ أبى جعفر. و قال المرتضى إذا اشترط المحرم فقال عند دخوله فى الإحرام فإن عرض لى عارض يحبسنى فحلنى حيث حبستنى جاز له أن يتحلل عند العوائق من مرض وغيره بغير دم و هذا أحد قولى الشافعى و ذهب باقى الفقهاء إلى أن وجود هذا الشرط كعدمه فإن احتجوا بعموم قوله **وَ اتَّمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ** قلنا نحمل ذلك على من لم يشترط. -قرآن- ٤٩٦-٥٧٩

فصل

و قوله تعالى **فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فِيهِ خِلاف** قال قوم إن منعكم حابس قاهر و قال آخرون إن منعكم خوف أو عدو أو مرض أو هلاك بوجه من الوجوه فامتنعتم لذلك و هذا قول جماعة و هو المروى عن ابن عباس و هذا أقوى و هو فى أخبارنا ولأن الإحصار هو أن يجعل غيره بحيث يمتنع من الشىء و حصره منعه . و قوله **فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ** أى فليهد ما استيسر من الهدى أو فعليكم ما سهل

وتيسر من الهدى إذ أردتم الإحلال . و فى معنى فَمَا اسْتَيْسَرَ خِلاف فروى عن على ع أنها شاء و عن ابن عمر وعائشه أنه ما كان الإبل والبقر دون غيرهما ووجهها التيسر على ناقه دون ناقه وبقره دون بقرة فالأول هو المعمول عليه عندنا و إن كان الأفضل هو الثانى . و قال الفراء أحصر وحصر بمعنى و قال المبرد والزجاج حصره حبسه وأوقع -قرآن- ١٦-٣٠-قرآن- ٢٩٩-٣٢٧-قرآن- ٤٢٠-٤٣٤ [صفحہ ٣١٨] به الحصر وأحصره عرضه للحصر ونظيره حبسه أى جعله فى الحبس وأحبسه أى عرضه للحبس وأقتله عرضه للقتل وقتله فعل به وقبره وأقبره . و فى أصل الهدى قولان أحدهما أنه من الهدية فعلى هذا إنما يكون هديا لأجل التقرب به إلى الله بإخلاص الطاعة فيه على ما أمر به وواحدة هدية كتمره وتمر وجمع الهدى هدى على فعيل كما يقال عبد وعبيد والقول الآخر أنه من هداه إذ أساقه إلى الرشاد فسمى هديا لأنه يساق إلى الحرم الذى هو موضع الرشاد. والهدى يكون من ثلاثة الأنواع جزور أو بقره أو شاء وأيسرها شاء وبيننا أنه هو الصحيح .

فصل

وقوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَى وهم يصدون فالمعنى و من شأنهم الصد أى إن الذين كفروا فيما مضى وهم الآن يصدون عن الحج والعمرة و عن طاعة الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس منسكا ومتعبدا لم يخص به بعضا دون بعض سِوَاءِ الْعَاكِفِ فِيهِ وَ الْبَادِئِ الْمَعْتَمِرِ فِيهِ وَ الذى ينتابه من غير أهله مستويان فى سكناه والنزول به فليس أحدهما أحق بالنزول فيه من الآخر غير أنه لا يخرج أحد من بيته وقيل إن كراء دور مكة وبيعها حرام . والمراد بالمسجد الحرام الحرم كله لقوله تعالى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لِيَلْمَأَ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ غَيْرُ الْمَسْجِدِ وَ كان المشركون يمنعون المسلمين عن الصلاة -قرآن- ١٦-٩١-قرآن- ٢٩١-٣٢١-قرآن- ٥٥١-٥٩٦ [صفحہ ٣١٩] فى المسجد الحرام والطواف به ويدعون أنهم ولاته . وقيل نزلت الآية فى الذين صدوا عن مكة رسول الله ص عام الحديبية من أبى سفيان وأصحابه . وَ مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يُظَلَمُ أَى من يرد فيه ميلا عن الحق بأن يدخل مكة بغير إحرام إلا الخطابة والرعاة فى وقت دون وقت وقيل هو احتكار الطعام بمكة . وقيل هو كل شىء نهى عنه حتى شتم الخادم لأن الذنوب هناك أعظم وقيل الباء فى قوله تعالى بِالْحَادِ زائدة أى و من يرد فيه إلحادا والباء فى بَطْلُمِ التَّعْدِيَةِ وَ قال الزجاج الباء ليست بملغاة و إليه يذهب أصحابنا والمعنى و من إرادته فيه بأن يلحد بظلم كقوله أريد لأنسى ذكرها أى أريد وأرادنى لهذا. -قرآن- ١٤٧-١٨٢-قرآن- ٤٠٢-٤١٠-قرآن- ٤٥١-٤٥٧

فصل

اعلم أن مجموع فوائد قوله تعالى فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ وَ قَوْلُهُ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَنْ يُقَالَ إِنْ الْمَحْرَمِ الْمَمْنُوعِ عَلَى ضَرِيْبِيْنِ مَحْصُورٍ وَمَصْدُودٍ . فـالمحْصُورُ هُوَ الَّذِي لِحَقِّهِ الْمَرَضُ فَإِنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَبِيعْهُ إِلَى مَنْى إِنْ كَانَ حَاجَا أَوْ مَعْتَمِرَا لِلتَّمَتُّعِ وَ إِلَى مَكَّةَ إِنْ كَانَ مَعْتَمِرَا لِلتَّمَتُّعِ وَيَجْتَنِبُ جَمِيعَ مَا يَجْتَنِبُهُ الْمَحْرَمُ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الْهَدْيَ مَحَلَّهُ ثُمَّ قَصَرَ وَ قَدْ أَحْلَ وَ يَجِبُ عَلَيْهِ الْحَجُّ مِنْ قَابِلٍ إِنْ كَانَ حَجَّةَ الْإِسْلَامِ وَ لَا تَحِلُّ لَهُ النِّسَاءُ إِلَى أَنْ يَحْجَّ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ سَاقِ الْهَدْيِ فَلْيَبِيعْهُ ثَمَنَهُ مَعَ أَصْحَابِهِ لِيَذْبَحُوا عَنْهُ فِي وَقْتِهِ وَيَجْتَنِبُ هُوَ مَا يَجِبُ اجْتِنَابَهُ عَلَى الْمَحْرَمِ فَإِذَا دَخَلَ الْوَقْتُ الْمَعِينُ فَقَدْ أَحْلَ . وَ أَمَّا الْمَصْدُودُ وَ هُوَ الَّذِي يَصُدُّهُ الْعَدُوُّ وَ قَدْ أَحْرَمَ فَإِنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَبِيعْهُ -قرآن- ٣٥-٤٩-قرآن- ٥٨-١١١ [صفحہ ٣٢٠] إِلَى مَكَّةَ أَوْ إِلَى مَنْى عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ لِيَذْبَحَ هُنَاكَ عَنْهُ فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ ذَبَحَ هُنَاكَ وَقَصَرَ وَأَحْلَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ النِّسَاءِ وَغَيْرِهَا فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ

هدى وجب أن يقصر في مكانه ويحل مما أحرم منه . والاشتراط في الإحرام ليس لسقوط فرض الحج فإن من حج حجة الإسلام وأحصر لزمه الحج من قابل فإن كان تطوعا فإنه يستحب

باب العمرة المفردة

إشارة

قال الله تعالى وَ أَتَمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلْهَيْفَا الْعُمْرَةَ وَاجِبَةٌ مِثْلَ الْحَجِّ إِلَّا أَنَّهُ مِنْ تَمَتُّعٍ بِهَا إِلَيْهِ سَقَطَ فَرْضُهَا عَنْهُ مُفْرَدًا وَ مِنْ حَجِّ قَارِنًا أَوْ مُفْرَدًا يَعْتَمِرُ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْحَجِّ . وَأَقْلَبُ مَا بَيْنَ الْعَمْرَتَيْنِ عَشْرَةَ أَيَّامٍ مِنْ آخِرِ انْقِضَاءِ الْعُمْرَةِ الْأُولَى وَقِيلَ شَهْرٌ فَيَجُوزُ أَنْ يَعْتَمِرَ فِي كُلِّ عَشْرَةِ أَيَّامٍ سَنَةً . فَأَمَّا الْمُعْتَمِرُ إِذَا حَصَرَ فَعَلِيهِ الْعُمْرَةُ فَرَضًا فِي الشَّهْرِ الدَّاخِلِ إِذَا كَانَتْ وَاجِبَةً . وَقَوْلُهُ وَ أَتَمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلْهَيْفَا يُتَنَاوَلُ بِعُمُومِهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ وَغَلَبَ بِالذِّكْرِ الذِّكْرَانُ . وَقَوْلُهُ لِلَّهِ أَيُّ اقْصَدُوا بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ التَّقَرُّبَ لِلَّهِ وَ لَا يُوحِشَنَّكَ مَا لَا يَنْفَتِحُ مِنْ حَمْلِ التَّنْزِيلِ مِنَ الْكِتَابِ إِلَّا بِتَفْصِيلِ التَّأْوِيلِ مِنَ السَّنَةِ فَإِنَّ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ أَحَدُهَا الْمُحْكَمُ وَ هُوَ مَا طَابَقَ لِفِظِهِ مَعْنَاهُ وَأَكْثَرُ الْقُرْآنِ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ . وَالثَّانِي هُوَ الْمَجْمَلُ وَ هُوَ مَا لَا يَعْلَمُ بِظَاهِرِهِ مُرَادَ اللَّهِ كُلَّهُ كَقَوْلِهِ وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ فَإِنَّ تَفْصِيلَهُ وَكَيْفِيَّتَهُ وَأَحْكَامَهُ لَا يَعْلَمُ إِلَّا الْبَيِّنَانِ الرَّسُولُ ص . - قرآن- ١٩-٥٦- قرآن- ٣٦٤- ٤٠١- قرآن- ٤٦٩- ٤٧٤- قرآن- ٧٦٣- ٧٩٨ [صفحة ٣٢١] والثالث هو المتشابه وهو ما يشترك لفظه بين معنيين وأكثر وكل واحد منهما يجوز أن يكون مرادا فحكمه أن يحمل على جميع احتمالاته في اللغة إلا أن يمنع دليل من حمله على وجه منها ولا يقطع على مراد الله فيه إلا بنص من رسوله . وأفعال عمرة الإسلام الواجبة ثمانية النية والإحرام والتلبية والطواف والسعي وطواف النساء وركعتا طواف له هذا إذا كانت العمرة غير التي يتمتع بها إلى الحج فإن كانت مما يتمتع بها فليس فيها طواف النساء ولا ركعتاه ويجب بعد السعي فيه التقصير.

فصل

واعلم أن عندنا وعند الشافعي العمرة واجبة كوجوب حجة الإسلام لأن الله قال وَ أَتَمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلْهَيْفَا كَأَنَّهُ قَالَ وَ أَتَمُّوا الْحَجَّ وَ أَتَمُّوا الْعُمْرَةَ . وَ اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى إِتْمَامِهِمَا فَقَالَ مُجَاهِدٌ وَالْمُبْرَدُ وَالْجُبَائِيُّ إِنَّهُ يَجِبُ إِجْرَاءُ أَعْمَالِهِمَا بَعْدَ الدُّخُولِ فِيهِمَا وَقَالَ ابْنُ جَبْرِ وَعَطَاءُ وَالسُّدِّيُّ إِنْ مَعْنَاهُ إِقَامَتُهُمَا إِلَى آخِرِ مَا فِيهِمَا لِأَنَّهَا وَاجِبَانِ وَقَالَ طَاوُسٌ إِتْمَامُهُمَا إِفْرَادَهُمَا . وَقَالَ أَهْلُ الْكُوفَةِ الْعُمْرَةُ مَسْنُونَةٌ فَمَنْ قَالَ إِنَّهَا غَيْرُ وَاجِبَةٌ قَالَ لِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِإِتْمَامِ الْحَجِّ وَإِتْمَامِ الْحَجِّ وَجُوبُ إِتْمَامِهِ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاجِبٌ قَبْلَ ذَلِكَ كَمَا أَنَّ الْحَجَّ الْمَطْوُوعَ بِهِ يَجِبُ إِتْمَامُهُ وَ إِنْ لَمْ يَجِبْ أَوْلَا الدُّخُولِ فِيهِ قَالُوا وَإِنَّمَا عَلِمْنَا وَجُوبَ الْحَجِّ بِقَوْلِهِ وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ الْآيَةَ . وَ إِجْمَاعُ الْفِرْقَةِ الْمُحَقِّقَةِ عَلَى أَنَّ عُمْرَةَ الْإِسْلَامِ وَاجِبَةٌ كَحُجَّةِ الْإِسْلَامِ وَ قَدْ - قرآن- ٨٠- ١١٧- قرآن- ٦١٩- ٦٥٤ [صفحة ٣٢٢] بَيَّنَّا أَنَّ مَعْنَى أَتَمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ أَقِيمُوهُمَا وَ هُوَ الَّذِي رَوَاهُ عَنْ عَلِيِّ وَ زَيْنِ الْعَابِدِينَ ع وَ بِهِ قَالَ مَسْرُوقُ وَالسُّدِّيُّ . وَلِلْمُفَسِّرِينَ فِي التَّمَتُّعِ أَقْوَالٌ - قرآن- ١٤- ٤١ روى أنس بن مالك أن النبي ص أهل بالعمرة وحجه وسماه قارنا -رواية- ١- ٢-رواية- ٢١- ٦٧ وأنكره ابن عمر . والثاني روى عن ابن عباس و ابن عمر و ابن المسيب وعطاء والجبائي هو أن يعتمر في أشهر الحج ثم يدخل مكة فيطوف ويسعى ويقصر ثم يقيم حلالا إلى يوم التروية فيهل فيه بالحج من مكة ثم يحج و هذا كما قلناه سواء وقال البلخي

هذا الضرب كرهه عمر ونهى عنه . والثالث هو الناسخ للحج بالعمرة روى جابر و أبو سعيد الخدرى أن النبي ع أمرهم وقد أهلوا بالحج لا ينوون غيره أن يعتمروا وينقلوا نياتهم إلى العمرة التي يتمتع بها إلى الحج ثم يهلوا إلى وقت الحج -رواية- ١-٢- رواية- ٣٠-١٧٢ و هذا عندنا جائز أن يفعل . وقوله تعالى وَ أَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولُهُ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ قال جماعة هو الحج الذي فيه الوقوف بعرفة والمشعر والنسك بمنى والحج الأصغر العمرة . -قرآن- ٤٢-١١٢ و عن الصادق ع أن يوم الحج الأكبر أنه يوم النحر قال وسمى الحج الأكبر لأنه حج فيه المشركون والمسلمون و لم يحج بعدها مشرك و روى ذلك عن النبي ص و عن علي ع أيضا -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-١٨٠ . [صفحہ ٣٢٣] و قال الحسن هو ثلاثة أيام اجتمعت فيها أعياد المسلمين وأعياد اليهود والنصارى

باب الزيادات

إشارة

سأل عبد الله بن سنان الصادق ع عن قوله تعالى وَ مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا البيت أو الحرم قال من دخل الحرم مستجيرا به فهو آمن و من دخل البيت من المؤمنين مستجيرا به فهو آمن من سخط الله و ما دخل من الوحش والطيور كان آمنا من أن يهاج أو يؤذى حتى يخرج من الحرم و من ألد في الحرم أخذ به في الحرم لأنه لم ير للحرم حرمة -رواية- ١-٢-رواية- ٣-٣٣٨

مسألة

و من أدخل مكة أو الحرم من الصيد طيرا يجب عليه أن يخلي سبيله لأن الله يقول وَ مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا أى أمنوه هذا إذا كان الطير مالكا لجناحه فإن كان مقصوص الجناح يراعيه حتى يصح ثم يخليه و لا يخرج من الحرم . -قرآن- ٨٣-١٠٩

مسألة

و عن أبي عبد الله ع في قوله تعالى وَ مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ قال كل ظلم يظلمه الرجل نفسه بمكة من سرقة أو ظلم أحد أو شيء من الظلم فإنى أراه إلحادا -رواية- ١-٢-رواية- ٢٧-٢٠٠ . [صفحہ ٣٢٤] ولذلك كان يتقى الفقهاء أن يسكنوا مكة.

مسألة

وروى محمد بن مسلم والحلبى عن أبي عبد الله ع أنه قال إن الله تعالى اشترط على الناس شرطا وشرط لهم شرطا فمن وفى لله وفى الله له فقال الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج و أما ما شرط لهم فقال فمن تعجل في يومين فلا -إثم عليه و من تأخر فلا -إثم عليه لمن اتقى قال يرجع و لا ذنب له فقلا له رأيت من ابتلى بالفسوق ما

عليه قال لم يجعل الله له حدا يستغفر الله ويلبى فقالا فمن ابتلى بالجدال ما عليه فقال إذا جادل فوق مرتين فعلى المصيب دم يهرقه
و على المخطئ بقرة -رواية- ١-٢-رواية- ٦٤-٥٩٥

مسألة

قد قدمنا أن الجدال الذي منع المحرم منه بقوله ولا جدال في الحج هو الجدال صادقاً أو كاذباً. فإن قيل ليس في لغة العرب أن
الجدال هو الحلف. قلنا لا ينكر أن يقتضى عرف الشرع ما ليس في اللغة على أن الجدال إذا كان الخصومة والمرء والمنازعة و
هذه أمور تستعمل للدفع والمنع والقسم بالله قد يفعل كذلك ففيه معنى المنازعة والخصومة. -قرآن- ٤٩-٧١ [صفحة ٣٢٥]

مسألة

وقوله تعالى لا أقسم بهذا البلد و أنت حل بهذا البلد خطاب للنبي ص أى حلال لك قتل من رأيت حين أمر بالقتال فقتل ابن
خطل صبرا و هو أخذ بأستار الكعبة و لم يحل لأحد بعده و قال عطاء لم يحل إلا لنيكم ساعة من النهار و قال الحسن أى أقسم
بمكة و أنت حال بهانازل فيها فشرها بك . -قرآن- ١٦-٧١

مسألة

وقوله تعالى ففروا إلى الله أى حجوا إلى بيت الله . -قرآن- ١٦-٣٦ وسئل الصادق ع عن قوله فأصدق و أكن من الصالحين قال
فأصدق من الصدقة و أكن من الصالحين أى أحج -رواية- ١-٢-رواية- ٣-١١٦ و قال ع من قرأ سورة الحج فى كل ثلاثة أيام
لم تخرج سنته حتى يخرج إلى بيت الله الحرام و من قرأ عم يتساءلون لم تخرج سنته إذا كان يدهنها فى كل يوم حتى يزور بيت
الله الحرام -رواية- ١-٢-رواية- ١٣-١٩١ و قال اتق المفاخرة و عليك بورع يحجزك عن معاصي الله فإن الله يقول -رواية-
١-٢-رواية- ١٠-ادامه دارد [صفحة ٣٢٦] ثم ليقتضوا تفنهم و من التفث أن تتكلم فى إحرامك بكلام قبيح فإذا دخلت مكة
فطفت بالبيت تكلمت بكلام طيب فكان ذلك كفارة لذلك -رواية- از قبل- ١٤١

مسألة

وروى محمد بن الفضيل سألت أبا الحسن ع عن قوله تعالى و من كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى و أضل سبيلاً فقال
نزلت فىمن سوف الحج حجة الإسلام وعنده ما يحج به يقول العام أحج العام أحج حتى يموت قبل أن يحج -رواية- ١-٢-
رواية- ٢٥-٢٤٦ و قال معاوية بن عمار سألت الصادق ع عن رجل لم يحج قط و له مال فقال هو ممن قال الله و نحشروه يوم
القيامة أعمى فقلت سبحان الله أعمى فقال أعماه الله عن طريق الخير -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤-١٨٦

مسألة

جاء رجل إلى علي بن الحسين ع فقال قد آثرت الحج على الجهاد وقد قال الله إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ فقال ع فاقراً مابعداً فقال التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ إِلَى آخِرِهَا -رواية- ١-٢-رواية- ٣-ادامه دارد [صفحہ ٣٢٧] فقال إذا رأيت هؤلاء فالجهاد معهم يومئذ أفضل من الحج -رواية- از قبل ٥٩

مسألة

كتب علي ع إلى قثم بن عباس عامله على مكة أقم للناس الحج واجلس لهم العصرين فأفت المستفتي وعلم الجاهل وذاكر العالم ومر أهل مكة أن لا يأخذوا من ساكن أجزا فإن الله سبحانه يقول سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ الْعَاكِفُ الْمَقِيمُ به والبادى الذى يحج إليه من غير أهله -رواية- ١-٢-رواية- ٣-٢٨٣

مسألة

روى عن داود الرقى أن بعض الخوارج سألتني عن هذه الآية من كتاب الله ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ إِلَى قَوْلِهِ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ مَا أَلْذَى أَحَلَّ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ وَمَا أَلْذَى حَرَّمَ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدِي فِيهِ شَيْءٌ فَدَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع وَأَنَا حَاجٌّ فَأَخْبَرْتَهُ بِمَا كَانَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَحَلَّ فِي الْأَضْحِيَّةِ بِمَنَى الضَّأْنَ وَالْمَعَزَ الْأَهْلِيَّةَ وَحَرَّمَ أَنْ يُضْحَى فِيهِ بِالْجَبَلِيَّةِ وَأَمَّا قَوْلُهُ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَحَلَّ فِي الْأَضْحِيَّةِ بِمَنَى مِنَ الْإِبِلِ الْعَرَابَ وَحَرَّمَ مِنْهَا الْبَخَاتِي وَأَحَلَّ مِنَ الْبَقَرِ الْأَهْلِيَّةَ أَنْ يُضْحَى فِيهَا وَحَرَّمَ الْجَبَلِيَّةَ فَانصرفت إلى الرجل الخارجي الذي سألتني عن تلك الآية فأخبرته بهذا الجواب فقال هذا شيء حملته الإبل من الحجاز -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٧٢٢ [صفحہ ٣٢٨]

كتاب الجهاد

اشاره

اعلم أن الجهاد والمجاهدة كلاهما استفراغ الوسع في مدافعة العدو. والشرع خصص لفظ الجهاد بالمقاتلة في سبيل الله لإعلاء كلمة الله وإعزاز الدين وإذلال المشركين وبقي لفظه المجاهدة على عمومها

باب فرض الجهاد و من يجب عليه

اشاره

قال الله تَعَالَى كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ أَي فَرَضَ عَلَيْكُمْ قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمَقَاتِلَةَ مَشَقَّةَ لَكُمْ وَالْقِتَالَ يَشُقُّ عَلَيْكُمْ وَالْأَلْفُ وَاللَّامُ بَدَلٌ مِنَ الْإِضَافَةِ وَالْكَرْهُ وَالْكَرْهُ لَغْتَانٌ وَقِيلَ بِالْفَتْحِ الْمَشَقَّةُ وَبِالضَّمِّ أَنْ يَتَكَلَّفَ الشَّيْءَ فَيَفْعَلُهُ كَارِهًا. وَالْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى وَجُوبِ الْجِهَادِ وَفَرْضِهِ وَبِهِ قَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ غَيْرَ أَنَّهُ فَرَضَ عَلَى الْكَفَايَةِ وَعَنْ عَطَاءٍ أَنَّ ذَلِكَ عَلَى الصَّحَابَةِ وَالصَّحِيحُ

الأول لحصول قرآن-١٩-٦٣ [صفحة ٣٢٩] الإجماع عليه اليوم وقد انقضت خلاف عطاء. ثم قال وَ عَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ. فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ كَرِهَ الْمُؤْمِنُونَ الْجِهَادَ وَ هُوَ طَاعَةُ اللَّهِ. قِيلَ عَنْهُ جَوَابَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُمْ يَكْرَهُونَهُ كِرَاهِيَةَ طَبَاعِ الثَّانِي أَنَّهُ كَرِهَ لَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَكْتُبَ عَلَيْكُمْ وَ عَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ تَكُونُ لَفْظَةُ الْكِرَاهِيَةِ مُجَازًا وَ عَلَى الثَّانِي حَقِيقَةً. وَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى وَجُوبِ الْجِهَادِ أَيْضًا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَ جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْ جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ وَ جَاهِدُوا أَنْفُسَكُمْ وَ هُوَ عَلَى الْعَمُومِ وَ الْخُطَابِ مُتَوَجِّهٌ إِلَى جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ لِقَوْلِهِ قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَ اسْجُدُوا وَ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَ افْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَ جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ فَجَاهِدُوا أَمْرًا بِالْغَزْوِ وَ مُجَاهِدَةُ النَّفْسِ فِيهِ وَ فِي كُلِّ طَاعَةٍ وَ جِهَادِ النَّفْسِ هُوَ الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ. وَ قَوْلُهُ فِي اللَّهِ أَيْ فِي ذَاتِ اللَّهِ وَ مِنْ أَجْلِ تَعَالَى. فَإِنْ قِيلَ مَا وَجَّهَ إِضَافَةً قَوْلُهُ حَقَّ جِهَادِهِ فَالْقِيَاسُ حَقَّ الْجِهَادِ فِيهِ أَوْ حَقَّ جِهَادِكُمْ فِيهِ. قَلْنَا الْإِضَافَةُ تَكُونُ بِأَدْنَى مَلَابَسَةٍ وَأَقْلَ اخْتِصَاصٍ فَلَمَّا كَانَ الْجِهَادُ مُخْتَصِمًا بِاللَّهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مَفْعُولٌ لَوَجْهِهِ وَ مِنْ أَجْلِ صِحَّةِ الْإِضَافَةِ إِلَيْهِ وَ يَجُوزُ أَنْ يَتَّبَعَ فِي الظَّرْفِ وَ كَذَلِكَ خَاطَبَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ وَ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ أَمْرًا بِمِثْلِ الْجِهَادِ وَ يَقْتُلُ الْمُقَاتِلِينَ دُونَ النِّسَاءِ. وَقِيلَ الْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَحْدُهُمْ وَ يَقُولُ -قرآن- ٥٤-١٠١- قرآن- ٣٦٠-٣٩٥- قرآن- ٥٢٠-٦٦٥- قرآن- ٧٥٦-٧٦٥- قرآن- ٨٣١-٨٤٣- قرآن- ١٠٧٥-١١٢٨- قرآن- ١٢٠١-١٢٤٣] صفحہ ٣٣٠] وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ لِأَنَّهُ أُوجِبَ عَلَيْنَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ قِتَالُ الْمُشْرِكِينَ وَ إِنْ لَمْ يَقَاتِلُونَا وَالَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ الَّذِينَ يَنَاجِرُونَكُمْ بِالْقِتَالِ دُونَ الْمُحَاجِزِينَ وَ عَلَى هَذَا يَكُونُ مَنْسُوخًا بِقَوْلِهِ وَ قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً. وَ عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَيْسٍ هِيَ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الْقِتَالِ بِالْمَدِينَةِ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَ يَقَاتِلُ مَنْ قَاتَلَ وَيَكْفِ عَمَّنْ كَفَّ. وَقِيلَ هُمُ الَّذِينَ يَنَاصِبُونَكُمُ الْقِتَالَ دُونَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْمَنَاصِبَةِ مِنَ الشُّيُخِ وَالصَّبِيَّانِ وَالرَّهْبَانِ وَالنِّسَاءِ أَوِ الْكُفْرَةَ كُلَّهَا لِأَنَّهُمْ جَمِيعًا مُضَادُونَ لِلْمُسْلِمِينَ قَاصِدُونَ لِمُقَاتَلَتِهِمْ فَهَمَّ فِي حُكْمِ الْمُقَاتَلَةِ قَاتِلُوا أَوْ لَمْ يَقَاتِلُوا. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ مُجَاهِدٌ وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْآيَةُ غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ وَ هُوَ الْأَقْوَى لِأَنَّهُ لِأَدْلِيلٍ عَلَى كَوْنِهَا مَنْسُوخَةٍ وَ وَجْهَ الْآيَةِ أَنَّهُ أَمْرٌ بِقِتَالِ الْمُقَاتَلَةِ دُونَ النِّسَاءِ. وَقِيلَ إِنْ قَوْلُهُ وَ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ أَمْرٌ بِقِتَالِ أَهْلِ مَكَّةَ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَمَاصِدُوا رَسُولَ اللَّهِ عَامَ الْحَدِيثِ وَ صَالِحُوهُ عَلَى أَنْ يَرْجِعَ مِنْ قَابِلٍ فَيُخَلِّوهُ لِمَكَّةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَارْجِعْ فَخَافَ الْمُسْلِمُونَ أَنْ لَا تَنْفَى لَهُمْ قَرِيشٌ بَلْ يَقَاتِلُونَهُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَ كَرَهُوا ذَلِكَ فَتَزَلَّتْ. وَ الْأَوْلَى حَمْلُ الْآيَةِ عَلَى عَمُومِهَا إِلَّا مَا أَخْرَجَهُ الدَّلِيلُ فَالْجِهَادُ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ إِذَا قَامَ بِهِ مِنْ فِي قِيَامِهِ غِنَاءٌ عَنِ الْبَاقِينَ سَقَطَ عَنِ الْبَاقِينَ فَمَتَى لَمْ يَقُمْ بِهِ أَحَدٌ لَحِقَ الذَّمُّ بِجَمِيعِهِمْ. وَ مِنْ شَرَطٍ وَ جُوبِهِ ظُهُورُ الْإِمَامِ الْعَادِلِ إِذْ لَا يَسُوغُ الْجِهَادَ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ وَ لَا تَعْتَدُوا أَيْ لَا تَعْتَدُوا بِقِتَالِ مَنْ لَمْ تَوْمَرُوا بِقِتَالِهِ وَ لَا تَعْتَدُوا بِالْقِتَالِ -قرآن- ١-٣٨- قرآن- ١٠٦-١٢٨- قرآن- ٢٠١-٢٣٢- قرآن- ٧٢٩-٧٨٢- قرآن- ١٢٧٣- ١٢٨٧] صفحہ ٣٣١] عَلَى غَيْرِ الدِّينِ وَ لَا تَعْتَدُوا إِلَى النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ وَ مِنْ قَدْ أُعْطِيَتْهُمُ الْأَمَانُ وَالْعَمُومُ يَتَنَاوَلُ الْأَقْوَالَ الثَّلَاثَةَ.

فصل

فإن قيل إذا كان قتال من لم يقاتلهم اعتداء فكيف جاز أن يؤمروا به فيما بعد. قلنا إنما كان اعتداء من أجل أنه مجاوزة لما حده الله لهم مما فيه الصلاح للعباد في ذلك الوقت و لم يكن فيما بعد على ذلك فجاز الأمر به فأطلق لهم في الآية الأولى قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم أو في الشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في ذلك ثم قال وَ لَا تَعْتَدُوا بِابْتِدَاءِ الْقِتَالِ أَوْ بِقِتَالِ مَنْ نَهَيْتُمْ عَنْ قِتَالِهِ مِنَ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ وَالَّذِينَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ عَهْدٌ أَوْ بِالْمِثْلَةِ أَوْ بِالْمَفْجَأَةِ مِنْ غَيْرِ دَعْوَةٍ فَإِنَّمَا يَجِبُ الْقِتَالُ عِنْدَ شَرَطٍ وَ هِيَ أَنْ يَكُونَ بِأَمْرِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ. وَ لَا يَجُوزُ قِتَالُ أَحَدٍ مِنَ الْكُفْرَانِ إِلَّا بَعْدَ دَعْوَتِهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَ إِلَى شَرَائِعِهِ فَإِذَا لَمْ يَدْعُوا لَمْ يَجِزْ قِتَالُهُمْ وَ لَا يَجُوزُ قِتَالُ النِّسَاءِ فَإِنْ عَاوَنَ أَزْوَاجَهُنَّ وَ قَاتَلْنَ الْمُسْلِمِينَ أَمْسَكَ عَنْهُنَّ فَإِنْ اضْطَرُّوا إِلَى قَتْلِهِنَّ جَازَ حِينَئِذٍ. وَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سَبِيلِ

اللَّهِعْنَى فِي دِينِ اللَّهِ وَهُوَ الطَّرِيقُ الَّذِي بَيْنَهُ لِلْعِبَادِ لِيَسْلُكُوهُ عَلَى مَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَالْإِعْتِدَاءُ مَجَاوِزُهُ الْحُدُ وَالْحَقُّ . -قرآن-
٧٨٣-٣٤٤-٣٥٨-قرآن-٧٦٦-٧٨٣

فصل

قوله تعالى فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ. يمكن أن يستدل به على أنه إذا داهم المسلمين أمر من قبل العدو يخاف منه وجب حينئذ جهادهم وإن لم يكن ثم إمام عادل ويقصد المجاهد به الدفاع عن -قرآن- ١٤-٨٢ [صفحة ٣٣٢] نفسه وعن الإسلام وأهله ولا يجاهدونهم ليدخلهم في الإسلام مع الإمام الجائر. ويؤكد ذلك قوله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين أي لا عذر لكم ألا تقاتلوا في سبيل الله وعن المستضعفين أي تصرف الأذى عنهم أي مالكم لا تسعون في خلاصهم . وقوله فَمَنْ اعْتَدَى... فَاعْتَدُوا عَلَيْهِمْ عَلَى جِوَّازِ الْمَقَاتَلَةِ مَعَ النِّسَاءِ عِنْدَ الْاضْطِرَارِ إِلَى ذَلِكَ . فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ قَالَ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَالْأَوَّلُ جُورٌ وَالثَّانِي عَدْلٌ . قُلْنَا لِأَنَّهُ مِثْلُهُ فِي الْجِنْسِ وَفِي مِقْدَارِ الْإِسْتِحْقَاقِ لِأَنَّهُ ضَرَرٌ كَمَا أَنَّهُ ضَرَرٌ وَهُوَ عَلَى مِقْدَارِ مَا يُوْجِبُهُ الْحَقُّ كُلُّهُ فِي جَرْمٍ . فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ جَازَ قَوْلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ مَعَ قَوْلِهِ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ . قُلْنَا الثَّانِي لَيْسَ بِإِعْتِدَاءٍ فِي الْحَقِيقَةِ وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى سَبِيلِ الْمَزَاجَةِ وَمَعْنَاهُ الْمَجَازَةُ عَلَى مَاقِلَانِهِ وَالْمُعْتَدَى مَطْلَقًا لَا يَكُونُ إِلَّا ظَالِمًا فَاعِلًا لَضَرَرٍ قَبِيحٍ وَإِذَا كَانَ مُحَارِبًا فَإِنَّمَا يَفْعَلُ ضَرَرًا مُسْتَحَقًّا حَسَنًا -قرآن- ٩٧-١٦٠-قرآن- ٢٨٢-٢٩٤-قرآن- ٢٩٨-٣١٥-قرآن- ٣٩٠-٤١٦-قرآن- ٥٨١-٦١٤-قرآن- ٦٢٥-٦٤٢

باب ذكر المرابطة

قال الله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا اعْلَمُ أَنَّ الْمُرَابِطَةَ نَوْعٌ مِنَ الْجِهَادِ وَهِيَ أَنْ يَحْبَسَ الرَّجُلُ خَيْلَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِيُرْكَبَهَا الْمُجَاهِدُونَ وَأَنْ يَعِينَهُمْ عَلَى الْجِهَادِ بِسَائِرِ أَنْوَاعِ الْإِعَانَةِ وَفِيهَا ثَوَابٌ عَظِيمٌ إِذَا كَانَ هُنَاكَ إِمَامٌ عَادِلٌ . -قرآن- ١٩-٧٨ [صفحة ٣٣٣] ولا يربط اليوم إلا على سبيل الدفاع عن الإسلام والنفس وهي مستحبة بهذا الشرط. وحدها ثلاثة أيام إلى أربعين يوما فإن زاد كان جهادا. والرباط ارتباط الخيل للعدو والربط الشد ثم استعمال في كل مقيم في ثغر يدفع عمن وراءه من أرادهم بسوء. وينبغي أن يحمل قوله تعالى وَرَابِطُوا عَلَى الْمُرَابِطَةِ لِأَنَّهُ الْعَرَفُ وَهُوَ الطَّارِئُ عَلَى أَصْلِ وَضْعِ اللَّغَةِ وَيَحْمَلُ عَلَى انْتِظَارِ الصَّلَوَاتِ لِمَارُورِهَا عَنْ عَلَى ع فِي الْآيَةِ أَي رَابِطُوا الصَّلَوَاتِ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ أَي انْتَظَرُوهَا لِأَنَّ الْمُرَابِطَةَ لَمْ تَكُنْ حِينَئِذٍ وَالْمَعْنَى اصْبِرُوا عَلَى تَكَالِيفِ الدِّينِ فِي الطَّاعَاتِ وَعَنِ الْمَعَاصِي . وَصَابِرُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ فِي الْجِهَادِ أَي غَالِبُوهُمْ فِي الصَّبْرِ عَلَى شِدَائِدِ الْحَرْبِ لَا تَكُونُوا أَقْلَ صَبْرًا مِنْهُمْ وَثَبَاتًا . وَرَابِطُوا أَي أَقِيمُوا فِي الثُّغُورِ رَابِطِينَ خَيْلَكُمْ فِيهَا مُرْتَصِدِينَ مُسْتَعِدِينَ لِلْغَزْوِ . وَقَالَ تَعَالَى وَاعْتَدُوا لَهُمْ مِمَّا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّ كُفْرِهِ مِنْ قُوَّةٍ أَي مِنْ كُلِّ مَا تَقْوَى بِهِ فِي الْحَرْبِ مِنْ عَدَدِهَا . -قرآن- ٢٧٤-٢٨٤-قرآن- ٥٣٥-٥٤٥-قرآن- ٦٤٠-٦٤٧-قرآن- ٧٢٦-٨٣٣-قرآن- ٨٤٠-٨٤٩ و عن عقبه بن عامر سمعت رسول الله ص يقول على المنبر ألا- إن القوة الرمي قالها ثلاثا ومات عقبه عن سبعين قوسا في سبيل الله -رواية- ١-٢-رواية- ٢١-١٣٢ . والرباط اسم للخيل التي ترتبط في سبيل الله تسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة أو يكون جمع رباط كفضيل وفضال ويجوز أن يكون من رباط -قرآن- ١٣٨-١٤٣ . والرباط اسم للخيل التي ترتبط في سبيل الله تسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة أو يكون جمع رباط كفضيل وفضال ويجوز أن يكون من رباط الخيلتخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به

كقوله جبرئيل وميكائيل . والضمير فى به راجع إلى ما استطعتم ترهبون بذلك عدو الله وهم أهل مكة وآخرين من دونهما ليهود وقيل المنافقون أو أهل فارس أو كفرة الجن وروى أن سهيل الخيل يرهب الجن . -قرآن- ١-٨-قرآن- ١٤٥-١٦٥ و قوله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ قال أبو جعفر ع أى خذوا سلاحكم -رواية- ١-٢-رواية- ٣-٩٥ فسمى السلاح حذرا لأن به يقى الحذر وقيل أى احذروا عدوكم بأخذ السلاح كما يقال للإنسان خذ حذرك أى احذر ويقال أخذ حذره أى تيقظ واحترز عن المخوف والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من أنفسكم . وظاهر الآيات وعمومها يدل على أن من ربط اليوم فرسا فى بيته وأعد الأسلحة للدفع عن الإسلام وأهله يكون بمنزلة المرابط

باب حكم من ليس له نهضة إلى الجهاد

قال الله تعالى لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَ نَزَلَتْ جَاءَ عَمْرُو بْنُ أَمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَ أَعْمَى فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ وَأَنَا أَعْمَى فَمَا بَرِحَ حَتَّى نَزَلَ قَوْلُهُ غَيْرِ أَوْلِي الضَّرَرِ أَى إِلا أَهْلَ الضَّرَرِ مِنْهُمْ بَدَهَابِ أَبْصَارِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعِلَلِ الَّتِي لَاسَبِيلَ لَأَهْلِهَا مِنَ الْجِهَادِ لِلضَّرَرِ الَّذِى بِهِمْ . وَيَجُوزُ أَنْ يَسَاوَى أَهْلَ الضَّرَرِ الْمُجَاهِدِينَ بِأَنْ يَفْعَلُوا طَاعَاتٍ أُخْرَى تَقُومُ -قرآن- ١٩-٦٠-قرآن- ١٦٦-١٨٧ [صفحة ٣٣٥] مقام الجهاد فيكون ثوابهم عليه مثل ثواب الجهاد وليس كذلك من ليس بأولى الضرر لأنه قعد عن الجهاد بلا عذر وظاهر الآية يمنع من مساواته على وجهه . فإن قيل كيف قال فى أول الآية فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ثُمَّ قَالَ فى آخِرِهَا فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَهَذَا ظَاهِرُ التَّنَاقُضِ . قُلْنَا إِنَّ أَوْلَى الْآيَةِ فَضَلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ مِنْ أَوْلَى الضَّرَرِ دَرَجَةً وَفى آخِرِهَا فَضَّلَهُمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ غَيْرَ أَوْلَى الضَّرَرِ دَرَجَاتٍ وَلا تَنَاقُضَ فى ذَلِكَ لِأَنَّ قَوْلَهُ وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسَيْنِيَّةَ عَلَى أَنْ الْقَاعِدِينَ لَمْ يَكُونُوا عَاصِينَ وَإِنْ كَانُوا تَارِكِينَ لِلْفَضْلِ . وَقَالَ الْمَغْرِبِيُّ إِنَّمَا كَرَّرَ لَفْظَ التَّفْضِيلِ لِأَنَّ الْأَوْلَى أَرَادَ تَفْضِيلَهُمْ فى الدُّنْيَا عَلَى الْقَاعِدِينَ وَالثَّانِى أَرَادَ تَفْضِيلَهُمْ فى الْآخِرَةِ بِدَرَجَاتِ النِّعَمِ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَانْفِقُوا فى سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ وَلا يَمْكُنُ الْقِيَامَ إِلَى الْحَرْبِ يَجِبُ عَلَيْهِ إِقَامَةُ غَيْرِهِ مَقَامَهُ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَيَنْفِقُ عَلَيْهِ وَيُعِينُ الْمُحَارِبِينَ بِالسَّلَاحِ وَالْمَرْكُوبِ وَالنَّفَقَةِ فَعَمُومُ الْآيَةِ يَتَنَاوَلُ جَمِيعَ ذَلِكَ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ أَى لا تَتَّقَمُوا الْحَرْبَ مِنْ غَيْرِ نَكَايَةِ لِلْعَدُوِّ وَلا قُدْرَةَ عَلَى دِفَاعِهِمْ فَمَنْ وَجِبَ عَلَيْهِ الْجِهَادُ فَإِنَّمَا يَجِبُ عِنْدَ شُرُوطِ سَبْعَةٍ وَهِيَ الذِّكُورَةُ وَالبُلُوغُ وَكَمَالُ الْعَقْلِ وَالحَرِيَّةُ وَالصَّحَّةُ وَأن لا يَكُونَ شَيْخًا لِحِرَاكٍ بِهِ وَيَكُونَ هُنَاكَ إِمَامًا عَادِلًا أَوْ مِنْ نَصَبِهِ الْإِمَامُ لِلجِهَادِ وَالْآيَةُ تَدُلُّ بِظَاهِرِهَا عَلَى أَكْثَرِ ذَلِكَ فَإِذَا اخْتَلَّ وَاحِدٌ مِنْ هَذِهِ الشُّرُوطِ سَقَطَ فَرَضُ الْجِهَادِ . وَالتَّهْلُكَةُ كُلُّ مَا كَانَ عَاقِبَتُهُ إِلَى الْهَلَاكِ . -قرآن- ١٨٦-٢٦٦-قرآن- ٢٨٥-٣٦٠-قرآن- ٥٣٨-٥٦٧-قرآن- ٧٨٧-٨١٧-قرآن- ١٠١٨-١٠٦٠ [صفحة ٣٣٦] وَقَالَ الصَّادِقُ ع لَوْ أَنَّ رَجُلًا أَنْفَقَ مَا فى يَدِهِ فى سَبِيلِ اللَّهِ مَا كَانَ أَحْسَنَ وَلا وَفَّقَ لِقَوْلِهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَ أَحْسَنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ أَى الْمُقْتَصِدِينَ -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-١٩٥ وَتَقْدِيرُهُ وَلا تُلْقُوا أَنْفُسَكُمْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ كَمَا يُقَالُ أَهْلَكَ فُلَانٌ نَفْسَهُ إِذَا سَبَبَ لِهَلَاكِهَا . وَالمَعْنَى النِّهْيُ عَنِ تَرْكِ الْإِنْفَاقِ فى سَبِيلِ اللَّهِ لِأَنَّهُ سَبَبُ الْهَلَاكِ أَوْ عَنِ الْإِسْرَافِ فى النَّفَقَةِ أَوِ الْاسْتِقْلَالِ وَالْإِخْطَارِ بِالنَّفْسِ أَوْ عَنِ تَرْكِ الْغَزْوِ الَّذِى هُوَ تَقْوِيَةٌ لِلْعَدُوِّ وَقِيلَ الْبَاءُ مَزِيدَةٌ وَالمَعْنَى لا تَقْبِضُوا التَّهْلُكَةَ بِأَيْدِيكُمْ أَى لا تَجْعَلُوهَا آخِذَةً بِأَيْدِيكُمْ

باب حكم القتال فى الشهر الحرام

قال الله تعالى وَ الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ نزلت في سبب رجل من الصحابة قتل رجلا من الكفار في الشهر الحرام فعاثوا المؤمنين بذلك فبين الله أن الفتنة في الدين أعظم من قتل المشركين في الشهر الحرام وإن كان محظورا. ثم قال الشهر الحرام بالشهر الحرام قال حسن إن مشركي العرب قالوا للنبي ع أنهيت عن قتالنا في الشهر الحرام قال نعم فأراد المشركون أن يغتروه في الشهر الحرام فيقاتلوه فأنزل الله الآية. فلهذا لا بأس بقتال المشركين في أي وقت كان إلا الأشهر الحرم فإن من يرى منهم لها حرمة لا يبتدئون فيها بالقتال فإن بدءوهم بالقتال جاز حينئذ قتالهم ويجوز قتال من لا يرى للأشهر الحرم حرمة على كل حال. وَ الْحُرْمَاتُ قِصَاصٌ أَى إِنْ اسْتَحَلُّوا مِنْكُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ شَيْئًا فَاسْتَحَلُّوا مِنْهُمْ مِثْلَ مَا اسْتَحَلُّوا مِنْكُمْ . -قرآن- ١٩-٥٠-قرآن- ٢٣٩-٢٧٣-قرآن- ٦٤٢-٦٦١ [صفحة ٣٣٧] قال ابن عباس كان أهل مكة اجتهدوا أن يفتنوا قوما من المؤمنين عن دينهم والأذى لهم وكانوا مستضعفين في أيديهم فقال تعالى مَا لَكُمْ لَا تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ أَى مالكم لاتسعون في خلاصهم -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٢٢٥. ومعنى قوله الشهر الحرام بالشهر الحرام أي هتكه بهتكه يعنى كما هتكوا حرمة عليكم فأنتم تهتكون حرمة عليهم. وَ الْحُرْمَاتُ قِصَاصٌ أَى وَ كُلِّ حَرْمَةٍ يَجْرَى فِيهَا الْقِصَاصُ ثُمَّ أَكَّدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ أَى فَلَا تَعْتَدُوا إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ وَإِنَّمَا جَمَعَ الْحَرَمَاتُ لِأَحَدٍ أَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنْ يَرِيدَ حَرْمَةَ الشَّهْرِ وَ حَرْمَةَ الْبَلَدِ وَ حَرْمَةَ الْإِحْرَامِ الثَّانِي أَنْ كُلِّ حَرْمَةٍ تَسْتَحِلُّ فَلَا يَجُوزُ إِلَّا عَلَى وَجْهِ الْمَجَازَةِ. -قرآن- ١٥-٤٩-قرآن- ١٢٥-١٤٤-قرآن- ١٩٥-٢١٦ وروى عن الأئمة ع أن قوله وَ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ نَاسِخٌ لِقَوْلِهِ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ كَذَّبُوا قَوْلَهُ وَ أَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمْ وَمُنَاسِخٌ لِقَوْلِهِ وَ لَا تُطِيعُوا الْكَافِرِينَ وَ الْمُنَافِقِينَ -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٢١١ وقيل قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ناسخة للآية الأولى التي تضمنت النهي عن القتال عند المسجد الحرام حتى يبدءوا بالقتال لأنه أوجب قتالهم على كل حال حتى يدخلوا في الإسلام. حَيْثُ تَقَفْتُمْ وَمُنَاسِخٌ أَى حَيْثُ وَجَدْتُمْوَهُمْ فِي حَلِّ أَوْ حَرَمٍ . وَ قَوْلُهُ تَعَالَى مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْ أَى مِنْ مَكَّةَ وَ قَدْ فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص لَمَّا لَمْ يَسْلَمْ مِنْهُمْ يَوْمَ الْفَتْحِ . -قرآن- ٧-٤١-قرآن- ١٨٧-٢٠٥-قرآن- ٢٥٤-٢٧٤ [صفحة ٣٣٨]

فصل

وقوله تعالى يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ كَانَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ عَلَى سَرِيَّةٍ فِي جَمَادَى الْآخِرَةِ قَبْلَ قِتَالِ بَدْرِ بِشَهْرَيْنِ لِيَتَرَصَّدَ عَيْرًا لِقَرِيْشٍ فِيهَا عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَضْرَمِيُّ وَثَلَاثَةٌ مَعَهُ فَقَتَلُوهُ وَاسْتَأْسَرُوا اثْنَيْنِ وَاسْتَأْقَوْا الْعَيْرَ وَ فِيهَا مِنْ تِجَارَةِ الطَّائِفِ وَ كَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ وَهُمْ يَظُنُّونَهُ مِنْ جَمَادَى الْآخِرَةِ فَقَالَتْ قَرِيْشٌ قَدِ اسْتَحَلَّ مُحَمَّدُ الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَعَظَمَ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ السَّرِيَّةِ وَقَالُوا مَا نَبْرَحُ حَتَّى تَنْزِلَ تَوْبَتَنَا وَظَنَّ قَوْمٌ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ سَلِمُوا مِنَ الْإِثْمِ فَلَيْسَ لَهُمْ أَجْرٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ إِنَّ الْعٰذِيْنَ آمَنُوا وَ الْعٰذِيْنَ هَاجَرُوا وَ جَاهِدُوا فِي سَبِيْلِ اللَّهِ أَوْلِيَّكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَ اللَّهُ غَفُوْرٌ رَحِيْمٌ وَسَبَّحَ اللَّهُ قِتَالَ الْعَدُوِّ وَيُقَالُ جَاهَدْتَ الْعَدُوَّ إِذَا حَمَلْتَ نَفْسَكَ عَلَى الْمَشَقَّةِ فِي قِتَالِهِ . وَ قَالَ قِتَادَةُ الْقِتَالُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ مَنْسُوخٌ بِقَوْلِهِ وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُوْنَ فِتْنَةٌ وَبِقَوْلِهِ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِيْنَ وَ قَالَ عَطَاءٌ هُوَ بَاقٍ عَلَى التَّحْرِيمِ . وَرَوَى أَصْحَابُنَا أَنَّهُ بَاقٍ عَلَى التَّحْرِيمِ فَيَمُنُّ بِرَى لِهَذِهِ الْأَشْهُرِ حَرْمَةً وَ أَمَا مِنْ لَا يَرَى لَهَا حَرْمَةً فَإِنَّهُ يَجُوزُ قِتَالُهُ أَى وَقْتُ كَانَ أَمَا فِي الْحَرَمِ فَلَا يَبْتَدَأُ بِقِتَالِ أَحَدٍ مِنَ الْكُفَّارِ كَأَنَّمَا مِنْ كَانَ . وَ الْمَعْنَى يَسْأَلُكَ الْكُفَّارُ وَ الْمُؤْمِنُونَ عَنِ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَا فَعَلَ قَرِيْشٌ مِنْ صَدْحِهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ كَفَرَهُمْ -قرآن- ١٦-٦٢-قرآن- ٥١١-٦٤٢-قرآن- ٧٧٥-٨١٢-قرآن- ٨٢١-٨٤٣ [صفحة ٣٣٩] بِاللَّهِ وَ إِخْرَاجِ أَهْلِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ وَ الْمُؤْمِنُونَ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِمَّا فَعَلْتَهُ السَّرِيَّةُ فِي الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ عَلَى سَبِيلِ الْخَطَا وَ الْبِنَاءِ عَلَى الظَّنِّ . قَالَ الْحَسَنُ السَّائِلُونَ هُمْ أَهْلُ الشَّرْكَ عَلَى جِهَةِ الْعَيْبِ لِلْمُسْلِمِينَ بِاسْتِحْلَالِهِمُ الْقِتَالَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَ هَذَا قَوْلٌ أَكْثَرُ

المفسرين و قال البلخي هم أهل الإسلام سألوا عن ذلك ليعلموا كيف الحكم فيه . والفتنة الإخراج أو الشرك

باب في الآيات التي تحض على القتال

إشارة

قال الله تعالى وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَ تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ. الآية. نزلت في أهل أحد لما أصاب المسلمين ما أصابهم ونام المسلمون وبهم الكلوم فنزلت إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلَهُلَأَنَّ اللَّهَ أَمْرَهُمْ عَلَى مَا بِهِمْ مِنَ الْجِرَاحِ أَنْ يَتَّبِعُوا الْمُشْرِكِينَ وَأَرَادَ بِذَلِكَ إِرْهَابَ الْمُشْرِكِينَ فَخَرَجَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى بَعْضِ الطَّرِيقِ وَبَلَغَ الْمُشْرِكِينَ ذَلِكَ فَأَسْرَعُوا حَتَّى دَخَلُوا مَكَّةَ وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَ مَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ ذُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدَّ بَاءً بِعَضْبٍ مِنَ اللَّهِ. و في تناول هذا الوعيد لكل فار من الزحف خلاف قال الحسن إنما كان ذلك يوم بدر خاصة و قال ابن عباس هو عام و هو قول الباقر والصادق ع . -قرآن- ١٩-١٥٤-قرآن- ٢٤٥-٢٩٦-قرآن- ٤٧٥-٥٩٦ [صفحة ٣٤٠] أخبر أن من ولي دبره على غير وجه التحرف للقتال والتحيز إلى الفئدة أنه رجع بسخطه تعالى وتقديره إالرجلا متحرفا يتحرف ليقاتل أو يكون منفردا فينحاز ليكون مع المقاتلة و لا يجوز أن يفر واحد من واحد و لا من اثنين فإن فر منهما كان مأثوما و من فر من أكثر من اثنين لم يكن عليه شيء. و أما قوله تعالى ما كان لأهل المدينة و من حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله فإن الله لما قص في هذه السورة قصة الذين تأخروا عن رسول الله ع والخروج معه إلى تبوك ذكر عقيب ذلك أن ليس لهم أن يتأخروا عن رسول الله و هذه فريضة ألزمها الله إياها. قال قتادة حكم هذه الآية مختص بالنبي ع كان إذا غزا لم يكن لأحد أن يتأخر عنه فأما من بعده من الخلفاء فذلك جائز و قال الأوزاعي و ابن المبارك و جماعته إن هذه الآية لأول الأمة و آخرها من المجاهدين في سبيل الله و قال ابن زيد هذا حين كان المسلمون قليلون فلما كثر نسخ بقوله تعالى و ما كان المؤمنون لينفروا كافة فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين و هذا هو الأقوى لأنه لا خلاف أن الجهاد فرض على الكفاية فلو لزم كل أحد النفر لصار من فروض الأعيان أما من استنهضه الإمام فيجب عليه النهوض و لا يجوز له التأخر. -قرآن- ٣٠٥-٣٩٨-قرآن- ٨٦٨-٩٨٦

فصل

و قد أدب الله بتأديب الحرب و علم بها فقال يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا و اذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون و أطيعوا الله و رسوله و لا تنازعوا فتفشلوا. -قرآن- ٤٦-٢١٥ [صفحة ٣٤١] قال أبو جعفر ع هذه الآية نزلت حين أشار حباب بن المنذر على النبي ع أن ينتقل من جانب مكة حتى ينزل على القلب و يجعلها خلفه فقال بعضهم لا تنقض مصافك يا رسول الله فتنازعوا فنزلت الآية و عمل على قول حباب -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-٢٢١. و قوله تعالى فأنفروا ثبات أو انفروا جميعا أي إذا نفرتم فأنفروا إما ثبات أي جماعات متفرقة سرية بعد سرية و إما جميعا مجتمعين كوكبة واحدة و لا تتخاذلوا و قيل في ثبات أي فرقة بعد فرقة أو فرقة في جهة و فرقة في جهة -قرآن- ١٧-٥٦ و قال الباقر ع الثبات السرايا و الجمع العساكر -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-٥١. ثم قال فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة حثا على الجهاد و لا تلتفتوا إلى تشييط المنافقين و قاتلوا في سبيل الله بائعين الدنيا بالآخرة و من يقاتل جوابه فسوف نؤتيه. و إنما قال أو يغلب لأن الوعد على القتال حتى ينتهي إلى تلك

باب أصناف الكفار الذين يجب جهادهم وحكم الأسارى**إشاره**

قال الله تعالى وَ قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً. و قال يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ. أمر الله نبيه ع أن يجاهدهم والجهاد هو ممارسة الأمر الشاق - قرآن - ١٩ - ٥٠ - قرآن - ٥٩ - ١٢٩ [صفحة ٣٤٢] فيكون بالقلب واللسان واليد فمن أمكنه الجميع وجب عليه جميعه و من لم يقدر باليد فاللسان والقلب و إن لم يقدر باللسان أيضا بالقلب . واختلفوا فى كيفية جهاد الكفار والمنافقين فقال ابن عباس جهاد الكفار بالسيف وجهاد المنافقين باللسان والوعظ والتخويف -روايت- ١- ٢- روايت- ١٩- ٨٢ وقيل جهاد الكفار بالسهم والرمح والسيف وجهاد المنافقين بإقامة الحدود عليهم و قال ابن مسعود هو بالأنواع الثلاثة بحسب الإمكان فإن لم يقدر فليكفهر فى وجوههم و هو الأعم وقيل قتاله مع الكفار ما قام فيه بنفسه وبابن عمه وبسريه كان يبعثها أيام حياته و قتاله مع المنافقين ما وصى به عليا أن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين . و فى قراءة أهل البيت جاهد الكفار بالمنافقين .

فصل

اعلم أن الكفار على ضربين أهل الكتاب وغيرهم فالأولون يقاتلون إلى أن يسلموا أو يقبلوا الجزية وهم ثلاث فرق اليهود والنصارى والمجوس قال تعالى قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صَاغِرُونَ. بين تعالى أن أهل الكتابين والمجوس الذين حكمهم حكم اليهود والنصارى إذا لم يدينوا دين الحق يعنى إذا لم يدخلوا الإسلام يجب علينا أن نقاتلهم حتى - قرآن - ١٥١ - ٣٧٣ [صفحة ٣٤٣] يدخلوا الذمة بإعطاء الجزية وغيرها مما هو من شرائط الذمة على ما قدمناه . ونذكر أيضا لها بيانا فنقول لا يؤخذ الجزية عندنا إلا- من اليهود والنصارى والمجوس و أما غيرهم من الكفار على اختلاف مذاهبهم من عباد الأصنام والأوثان والصابئة وغيرهم فلا يقبل منهم غير الإسلام أو القتل والسبى قال تعالى وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً لِأَيِّ كَفْرٍ. وسميت جزية لأنها شىء وضع على أهل الذمة أن يجزوه أى يقضوه أولاً-نهم يجزون إمام المسلمين بها أذى من عليهم بالإعفاء عن القتل وقيل الجزية عطية عقوبة مما وظفه رسول الله على أهل الذمة وهى على وزن جلسة وقعدة لنوع من الجزاء. وقوله عَنِ يَدٍ أى عن يد متواتية غير ممتنعة ويعطونها عن يد أى نقد غير نسيئة لامبعوثا على يد أحد ولكن عن يد المعطى إلى يد الآخذ هذا إذا أريد به يد المعطى و إن أريد به يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية أو عن إنعام عليهم لأن قبول الجزية منهم وتركهم أحياء نعمة عظيمة عليهم يعنى يؤخذ منهم على الصغار والذل و هو أن يأتى بهاماشيا ويسلمها قائما والمسلم جالس . - قرآن -

فصل

فإن قيل إعطاء الجزية منهم طاعة أم معصية فإن كان طاعةً وجب أن يكونوا مطيعين و إن كان معصيةً فكيف أمر الله بها. قلنا إعطاؤهم ليس بمعصية و أما كونها طاعةً لله فليس كذلك لأنهم إنما يعطونها دفعا لقتل أنفسهم وفدية لاستعباده لهم لاطاعةً لله فإن الطاعة لا تقع من الكافر بحال عندنا وإنما أمر الله تعالى بذلك لما علم فيه من المصلحة وإقرار أهل الكتاب [صفحة ٣٤٤] على طريقتهم ومنع ذلك من غيرهم لأن أهل الكتاب مع كفرهم يقرون بألستهم بالتوحيد و ببعض الأنبياء و إن لم يكونوا على الحقيقة عارفين وغيرهم من الكفار يجحدون ذلك كله و ذلك فرق بين أهل الكتاب وسائر المشركين مما عداهم . والآية تدل على صحة مذهبنا في اليهود والنصارى وأمثالهم أنه لا يجوز أن يكونوا عارفين بالله و إن أقروا بذلك بلسانهم وإنما يجوز أن يكونوا معتقدين لذلك اعتقادا ليس بعلم . والآية صريحة بأن هؤلاء الذين هم أهل الكتاب الذين يؤخذ منهم الجزية لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر و أنه يجب قتالهم حتى يعطوا الجزية. واعتقاد اليهود لشريعة موسى إنما يوصف بأنه غير حق اليوم لأحد أمرين أحدهما أنها نسخت فالعمل بها بعد النسخ باطل غير حق والثاني أن التوراة التي معهم مبدلة مغيرة لقوله تعالى يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ. و أهل الكتاب بلا خلاف هم اليهود والنصارى لقوله تعالى أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا و -قرآن- ٧٣١-٧٦٥-قرآن- ٨٢٦-٨٩١ قول النبي ع في المجوس أجروهم مجرى أهل الكتاب لأن لهم شبه كتاب -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-٧٦ فقد كان للمجوس كتاب فحرفوه على ما ورد في أخبارنا.

فصل

فإن قيل فقد قال تعالى لا إكراه في الدين ثم قال و قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ثُمَّ قَالَ وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ أَيُّ إِكْرَاهٍ أَكْبَرُ مِنْ إِكْرَاهِ اللَّهِ أَمْ إِكْرَاهُ النَّاسِ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وَ هَذِهِ الْمَشْيَةُ أَيْضًا مَشْيَةُ الْقَسْرِ وَالْإِلْجَاءِ وَ حَرَفَ الْإِسْتِفْهَامَ إِنَّمَا أوردته إعلامًا بأن الإكراه ممكن وإنما الشأن في المكره من هو و ما هو إلا هو تعالى وحده لأنه هو القادر على أن يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده إلى الإيمان . و أما قوله وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ أَي شرك و يكون الدين لله خالصا أمر تعالى لعزة الإسلام بإذلال أهل الكفر حتى تجرى الشريعة على ما يرضاه الله ظاهرة و أفعال الجوارح لا مدخل لها في أن تكون من حدود الدين والإيمان وإنما هي رتبة و حلية للمؤمن المتدين على أن الكفار لا يرضون رأسا برأس فإنهم لما عجزوا عن الغلبة بالحجة طلبوا بوار الإسلام والمسلمين بالقهر والغلبة بالقوة فأمر الله بمجاهدتهم ليذعنوا للإسلام فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين والمعنى إن امتنعوا من الكفر وانقادوا فلاقتل إلا على الكافرين المقيمين على الكفر. وسمى القتل عدوانا مجازا من حيث كان عقوبته على العدوان والظلم وسمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكله أي إن تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم و قال في موضع آخر إن يَنْتَهُوا يُعْفَرُ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ. -قرآن- ١-٤٩-قرآن- ١٧٩-٢٠٠-قرآن- ٢٩٧-٤٠٩-قرآن- ٤٤٤-٤٨١-قرآن- ١٠٦٤-١١١٦-قرآن- ١٣٩٦-١٤٣٥ [صفحة ٣٤٦] وشرايط الذمة خمسة قبول الجزية و أن لا يتظاهروا بأكل لحم الخنزير وشرب الخمر ونكاح الزنا و نكاح المحرمات فإن خلفوا شيئا من ذلك خرجوا من الذمة قال تعالى وَ إِن نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَ طَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَانَهُ الْكُفْرِ أَي فقاتلوهم فوضع المظهر موضع إشعارا بأنهم إذ انكثوا فهم ذوو الرئاسة في الكفر. و في الآية دلالة على أن الذمي إذا أظهر الطعن في الإسلام فإنه يجب قتله لأن عهده معقود على أن لا يطعن في الإسلام فإذا طعن فقد نقض عهده

. و من وجبت عليه الدية فأسلم قبل أن يعطيها سقطت منه قال تعالى فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ. -قرآن- ١٦٢-٢٥٩-
قرآن- ٥٦٣-٦١٥

فصل

وقال تعالى فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ أَى إِذَاقِيتُم يامعشر المؤمنين الذين جحدوا ربوبيته من أهل دار الحرب فاضربوهم على الأعناق حَتَّى إِذَا أَثْخَتْتُمُوهُمْ وَأَثْقَلْتُمُوهُمْ بالجراح وظفرتم بهم فَشُدُّوا الوثاقمعاها أحكموا أوثاقهم فى الأسر ثم قال فَإِذَا مَنَّْنَا بَعْدُ وَ إِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا أَى أَثْقَالَهَا والتقدير إما تمنوا منا وإما أن تفدوا فداء. قال ابن جريح وقتادة الآيه منسوخة بقوله فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَقَوْلُهُ فَإِذَا تَثَقَّفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ. و قال ابن عباس والضحاك الفداء منسوخ و قال ابن عمر وجماعه ليست -قرآن- ١٥-٦٥-قرآن- ١٦٠-١٨٤-قرآن- ٢١٩-٢٣٥-قرآن- ٢٧٦-٣٤١-قرآن- ٤٣٨-٤٨٠-قرآن- ٤٨٩-٥٤٧ [صفحة ٣٤٧] بمنسوخة و كان الحسن يكره أن يفادى بالمال و يقول يفادى الرجل بالرجل بالرجل وقيل ليست منسوخة والإمام مخير بين الفداء والمن والقتل بدلالة الآيات . و قوله حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا قال قتادة أى حتى لا يكون شرك و قال الحسن إن شاء الإمام أن يستعبد الأسير من المشركين فله ذلك بالسنة و الذى رواه أصحابنا أن الأسير إذا أخذ قبل انقضاء الحرب والقتال والحرب قائمة والقتال باق فالإمام مخير بين أن يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ويتركهم حتى ينزفوا و ليس له المن والفداء و إن كان الأسير أخذ بعد وضع الحرب أوزارها وانقضاء الحرب والقتال كان مخيرا بين المن والمفاداة إما بالمال أو النفس و بين الاسترقاق بضرب الرقاب فإن أسلموا فى الحالين سقط جميع ذلك وصار حكمه حكم المسلمين لقوله فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ولقوله فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ. -قرآن- ١٥٧-١٨٦-قرآن- ٧١٧-٧٦١-قرآن- ٧٧٠-٨٢٢

فصل

وقوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرِي خَاطَبَ نَبِيَهُ وَأَمْرُهُ أَنْ يَقُولَ لِمَنْ حَصَلَ فِي يَدِهِ مِنَ الْأَسَارَى وَسَمَاهُ فِي يَدِهِ لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ مَا قَبِضَ فِي يَدِهِ بِالْإِسْتِيْلَاءِ عَلَيْهِ وَلِذَلِكَ يُقَالُ لِلْمَلِكِ الْمَتَنَازَعِ فِيهِ لِمَنْ الْيَدِ. و قوله إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا أَى إِسْلَامًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ مِنَ الْفِدَاءِ. -قرآن- ١٦-٧١-قرآن- ٢٤٦-٢٨٥-قرآن- ٢٩٦-٣٣٠ روى عن العباس أنه قال كان معى عشرون أوقية فأخذت منى ثم أعطانى مكانها عشرون عبدا ووعدنى المغفرة قال و فى نزلت و فى أصحابى هذه الآيه -روايت- ١-٢-روايت- ٢٨-١٤٨ [صفحة ٣٤٨] وَ إِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَبْنَقُضِ الْعَهْدَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ أَنْ خَرَجُوا إِلَى بَدْرٍ وَقَاتَلُوا الْمُسْلِمِينَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ فَأَمَكَنَ اللَّهُ مِنْهُمْ أَنْ يَغْلِبُوا وَأَسْرُوا فَإِنْ خَانُوا ثَانِيًا فَسَيَمَكُنُ اللَّهُ مِنْهُمْ مِثْلَ ذَلِكَ . و أما قوله تعالى مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرِي فَا لِمَعْنَى مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَحْتَبِسَ كَافِرًا لِلْفِدَاءِ وَالْمَنْ حَتَّى يَشْخَنَ فِي الْأَرْضِ وَالْإِثْخَانُ فِي الْأَرْضِ تَغْلِيظُ الْحَالِ بِكَثْرَةِ الْقِتَالِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا أَى الْفِدَاءِ سَمِيَ مَتَاعَ الدُّنْيَا عَرَضًا لِقَلَّةِ لَبْثِهِ . و هذه الآيه نزلت فى أسارى بدر قبل أن يكثر أهل الإسلام فلما كثر المسلمون قال تعالى فَإِذَا مَنَّْنَا بَعْدُ وَ إِمَّا فِدَاءً وَ هُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقِتَادَةَ. فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ يَكُونُ الْقِتَالُ فِيهِمْ كَانَ أَصْلَحَ وَقَدْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ وَ مَنْ عَلمَ اللَّهُ مِنْ حَالِهِ أَنَّهُ يَصِيرُ مُسْلِمًا يَجِبُ تَبْقِيَتُهُ. قلنا من يقول إن تبقيته واجبة يقول إن الله أراد أن يأمرهم بأخذ الفداء وإنما عاتبهم على ذلك لأنهم بادروا إليه قبل أن يؤمروا به . -قرآن- ١-٢٧-قرآن- ٣٩-٦٧-

فصل

فإن قيل هل كان الجهاد واجبا على كل أهل الملة أم لا. قلنا الزجاج استدل بقوله تعالى إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَاً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ - قرآن-٩١-٢٦٧ فإن قيل هل كان الجهاد واجبا على كل أهل الملة أم لا. قلنا الزجاج استدل بقوله تعالى إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَاً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ عَلَى أَنْ الْجِهَادَ كَانَ واجبا على أهل كل ملة لعموم اللفظ فيها. ويدل عليه أيضا قوله تعالى وَ لَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَادَمَتِ صَوَامِعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِمَّا يُبَدِّلُ بِهِ أَلْوَانَكُمْ مِنْ جَنَابِ اللَّهِ الَّذِي يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ . ويدل عليه أيضا قوله تعالى أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنِّي عَجِزٌ إِنَّ إِلَهُنَا لَأَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْنَا مَلِكًا فَجَاءَ بِمُوسَى بِآيَاتِنَا فَخَلَّاهَا مِنْ أَصْحَابِ الْمَلَأِ أُولَئِكَ كَانُوا فِي الْيُسُفَى مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَرْسِلْ يَوْمَئِذٍ مَلَكًا وَ هُوَ يُخَفِّرُ وَيَدْعُ بِالْحَبْلِ . ويدل عليه أيضا قوله تعالى وَ لَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ . ويدل عليه أيضا قوله تعالى وَ لَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ . ويدل عليه أيضا قوله تعالى وَ لَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ . ويدل عليه أيضا قوله تعالى وَ لَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ .

[١٠١٨] [صفحة ٣٥٠]

باب حكم ما أخذ من دار الحرب بالقهر وذكر ما يتعلق به

إشارة

قال الله تعالى فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا أَبَاحَ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهَذِهِ الْآيَةِ أَنْ يَأْكُلُوا مِمَّا غَنَمُوهُ مِنْ أَمْوَالِ الْمُشْرِكِينَ بِالْقَهْرِ مِنْ دَارِ الْحَرْبِ وَلَفْظُهُ وَ إِنْ كَانَ لَفْظُ الْأَمْرِ فَالْمُرَادُ بِهِ الْإِبَاحَةُ وَرَفْعُ الْحُظْرِ . وَالْغَنِيمَةُ مَا أُخِذَ بِالْقَهْرِ مِنْ دَارِ الْحَرْبِ . وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْمُبَاحِ أَنَّ الْحَلَالَ مِنْ حُلِّ الْعَقْدِ فِي التَّحْرِيمِ وَالْمُبَاحِ مِنَ التَّوَسُّعِ فِي الْفِعْلِ وَ إِنْ اجْتَمَعَا فِي الْحُلِّ . وَ قَدْ ذَكَرْنَا فِي بَابِ الْخُمْسِ أَنَّ جَمِيعَ مَا يَغْنَمُ مِنْ بِلَادِ الشُّرْكِ يَخْرُجُ مِنْهُ الْخُمْسُ فَيُفْرَقُ فِي أَهْلِ الَّذِينَ ذَكَرْنَاهُمْ هُنَاكَ وَ الْبَاقِي عَلَى ضَرْبَيْنِ فَالْأَرْضُونَ وَالْعَقَارَاتُ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَ مَا يُمْكِنُ نَقْلُهُ لِلْمَقَاتِلَةِ وَلَمَنْ حَضَرَ الْقِتَالَ خَاصَّةً وَ إِنْ لَمْ يِقَاتِلِ لِلْفَارِسِ سَهْمَانٌ وَ لِلرَّاجِلِ سَهْمٌ وَ قَالَ قَوْمٌ لِلْفَارِسِ ثَلَاثَةُ أَسْهُمٍ وَ لِلرَّاجِلِ سَهْمٌ وَ هَذَا عِنْدَنَا إِذَا كَانَ مَعَهُ فَرَسَانٌ أَوْ فَرَسٌ جَمَاعَةً وَقِيلَ إِنَّ النَّبِيَّ ع فَتَحَ مَكَّةَ عَنُودًا وَ لَمْ يَقْسَمْ أَرْضَهَا بَيْنَ الْمَقَاتِلَةِ وَ قَالَ قَوْمٌ فَتَحَهَا سَلَامًا . وَ رَوَى أَنَّ سَرِيَّةً بَعَثَهَا رَسُولُ اللَّهِ ص فَمَرُوا بِرَجُلٍ فَقَالَ إِنِّي مُسْلِمٌ فَلَمْ يَقْبَلْ أَمِيرُهُمْ أَسَامَةَ أَوْ الْمَقْدَادَ ذَلِكَ وَقْتَهُ وَأَخَذَ غَنِيمَةً لَهُ فَأَنْكَرَ النَّبِيُّ - قرآن-١٩-٥٧ [صفحة ٣٥١] ع ذَلِكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَ لَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ . - قرآن-٢١-٢٢٤

فصل

و قال تعالى وَ إِذِ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَ تَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَهِ تَكُونُ لَكُمْ تَقْدِيرَهُ اذْكَرَ يَا مُحَمَّدُ إِذِ يَعِدُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ إِذَا الْعَبْرُ عَيْرِ قَرِيْشٍ وَإِذَا قَرِيْشًا. عَنِ الْحَسَنِ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَرِيدُونَ الْعَبْرَ وَ رَسُولُ اللَّهِ يَرِيدُ ذَاتَ الشُّوْكَهِ لِمَا وَعَدَهُ اللَّهُ - قُرْآن - ١٥-١٢٦ فروى أن النبي ع لما بلغه خروج قريش لحماية العير شاور أصحابه فقال قوم خرجنا غير مستعدين للقتال و قال المقداد امض لما أمرك الله به فوالله لو دخلت بنا الجمر لا تبعناك فجزاه خيرا وأعاد الاستشارة فقالوا امض يا رسول الله لما أردت فسارع ونشطه ذلك ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين و الله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم -روایت- ١-٢-روایت- ٨-٣٧٢. وروى أن أحدا لم يشاهد الملائكة يوم بدر إلا رسول الله. إِذِ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ الداعي رسول الله ولقله عددهم استغاث الله فأمدهم بألف من الملائكة مردفين مثلهم ومعناه على هذا التأويل مع كل ملك ملك ردف فقتلوا سبعين وأسروا سبعين. - قرآن - ٥٩-١٥٤ [صفحة ٣٥٢]

فصل

و أما قوله وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ أَى نصرتها مرة لفرقة ومرة عليها ليمحص الله المؤمنين بذلك من الذنوب ويخلصهم به ويهلك الكافرين بالذنوب. فإن قيل لم جعل الله مداولة الأيام بين الناس وهلا كانت أبدا لأولياء الله. قلنا ذلك تابع للمصلحة و ما تقتضيه الحكمة أن يكونوا تارة فى شدة وتارة فى رخاء فيكون ذلك داعيا لهم إلى فعل الطاعة واحتقار الدنيا الفانية المنتقلة من قوم إلى قوم حتى يصير الغنى فقيرا والفقير غنيا والنبية خاملا والخامل نبيها فتقل الرغبة حينئذ فيها ويقوى الحرص على غيرها مما نعيمه دائم. والمراد بالأيام أوقات الظفر والغلبة نُدَاوِلُهَا أَى نصرتها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء كقوله - قرآن - ١٣-٥٥- قرآن - ٥٧٩-٥٨٨ فيوما علينا ويوما لنا || ويوما نساء ويوما نسر. و فى أمثالهم الحرب سجال. وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا فِيهِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ الْمَعْلَلُ مَحْذُوفًا مَعْنَاهُ وَاسْتَمَرَ التَّائِبُونَ عَلَى الْإِيمَانِ مِنَ الَّذِينَ عَلَى حَرْفٍ فَعَلْنَا ذَلِكَ وَ هُوَ مِنْ بَابِ التَّمْثِيلِ يَعْنِي فَعَلْنَا ذَلِكَ فَعَلٌ مِنْ يَرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ مِنَ الثَّابِتِ عَلَى الْإِيمَانِ مِنْكُمْ مِنْ غَيْرِ الثَّابِتِ وَ إِذَا اللَّهُ لَمْ يَزَلْ عَالِمًا بِالأَشْيَاءِ قَبْلَ كَوْنِهَا. وَالثَّانِي أَنْ تَكُونَ الْعَلَّةُ مَحْذُوفَةً وَ لِيَعْلَمَ عَطْفٌ عَلَيْهِ مَعْنَاهُ وَفَعَلْنَا ذَلِكَ لِيَكُونَ كَيْتٌ وَ كَيْتٌ وَ نَعْلَمُهُمْ عِلْمًا فَتَعْلُقُ بِهِ الْجَزَاءَ وَ هُوَ أَنْ نَعْلَمُهُمْ مَوْجُودًا مِنْهُمْ الثَّبَاتِ - قرآن - ٣٠-٦٥ [صفحة ٣٥٣] وَإِنَّمَا حَذَفَ لِلإِيْذَانِ أَنَّ الْمَصْلِحَةَ فِيمَا فَعَلْ لَيْسَتْ بِوَاحِدَةٍ لَيْسَلِيَهُمْ عَمَّا جَرَى عَلَيْهِمْ وَ لِيَبْصُرَهُمْ أَنَّ الْعَبْدَ يَسُوؤُهُ مَا يَجْرَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَصَائِبِ وَ لَا يَشْعُرُ أَنَّ اللَّهَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَصَالِحِ مَا هُوَ غَافِلٌ عَنْهُ. وَ يَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ أَى وَ لِيَكْرَمَ نَاسًا مِنْهُمْ بِالشَّهَادَةِ يَرِيدُ الْمُسْتَشْهِدِينَ يَوْمَ أَحَدٍ وَ لِيَصْفِيَهُمْ مِنَ الذَّنُوبِ. وَ يَمَحَقُ الْكَافِرِينَ يَعْنِي إِنْ كَانَتِ الدَّوْلَةُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَلِلْإِسْتِشْهَادِ وَ التَّمْحِصِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ أَصْلَحُ لَهُمْ وَ إِنْ كَانَتِ عَلَى الْكُفَّارِ فَلِمَحَقِّهِمْ وَ مَحُوْ آثَارَهُمْ. - قرآن - ١٨٧-٢١٣- قرآن - ٢٩٣-٣١٤

فصل

ثم قال تعالى أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ. أَمْ مَنْقُطَعَةٌ وَمَعْنَى الْهَمْزَةُ فِيهَا الْإِنْكَارُ وَمَعْنَى لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ أَى لِمَا تَجَاهَدُوا لِأَنَّ الْعِلْمَ يَتَعَلَّقُ بِالْمَعْلُومِ فَتَنْزِلُ نَفَى الْعِلْمِ مَنْزِلَةَ نَفَى مَتَعَلِّقَهُ لِأَنَّهُ مَتَّعِفٌ بِانْتِفَائِهِ يَقُولُ الْقَائِلُ مَا عَلَّمَ اللَّهُ فِي فَلَانِ

خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلم . ثم خاطب الذين لم يشهدوا بدرًا فقال وَ لَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتِ فَكَانُوا يَتَمَنُّونَ أَن يَحْضُرُوا مشهدًا مع النبي ع ليصيبوا من كرامة الشهادة مانال شهداء بدر وهم أحوًا على رسول الله فى الخروج إلى المشركين و كان رأيه فى الإقامة بالمدينة للوحى به يعنى وكنتم تتمنون الموت قبل أن تشهدوه و تعرفوا شدة فقد رأيتموه و أنتم تنظرون أى رأيتموه معانيين مشاهدين له حتى قتل من قتل من إخوانكم وأقاربكم و شارفتهم أن تقتلوا و هذا توييخ لهم على تمنيمهم الموت و على ماتسبيوا له من خروج رسول الله بالحاحم عليه ثم انهمامهم عنه وقله ثباتهم عنده . -قرآن- ١٧-١٠٠-قرآن- ١٤٥-١٦٤-قرآن- ٣٧١-٤٠٣-قرآن- ٦٤٣-٦٨١ [صفحه ٣٥٤] فإن قيل كيف يجوز تمنى الشهادة و فى تمنيا تمنى غلبة الكافر على المؤمن . قلنا قصد تمنى الشهادة إلى نيل كرامة الشهداء لا غير فلا يذهب وهمه إلى ذلك المتضمن كما أن من يشرب دواء الطيب النصرانى قاصدا إلى حصول المأمول من الشفاء و لا يخطر بباله أن منه جر منفعة وإحسان إلى عدو الله و تنفيقا لصناعته فإذا ثبت ذلك فتمنيهم الشهادة إنما هو بالصبر على الجهاد إلى أن يقتلوا لا يقتل المشركين لهم وإرادتهم ذلك

باب المهادنة

اشاره

وقوله تعالى إنا الذين عاهدتكم من المشركين ثم لم ينقضوكم شيئا و لم يظهرؤوا عليكم أحدا فأتوا إليهم عهدهم إلى مددتهم. الهدنة والمعاهدة واحدة وهى وضع القتال وترك الحرب إلى مدة من غير عوض و ذلك جائز لقوله تعالى و إن جنتوا للسليم فاجتج لها و قد صالح النبي ع قريشا بالحديبية على ترك القتال عشر سنين . فإذا ثبت جوازه فإن كان فى الهدنة مصلحة للمسلمين ونظر لهم فى أن يرجو الإمام منهم الدخول فى الإسلام أو بذل الجزية فعل ذلك و إذا لم يكن للمسلمين مصلحة بأن يكون العدو ضعيفا قليلا و إذا ترك قتالهم اشتدت شوكتهم وقوا فلاتجوز الهدنة لأن فيها ضررا على المسلمين . و إذا هادنهم فى الموضوع الذى يجوز فيجوز أن يهادنهم أربعة أشهر بنص القرآن و هو قوله فسبحوا فى الأرض أربعة أشهر و لا يجوز الزيادة عليها -قرآن- ١٦-١٦٣-قرآن- ٢٦٣-٢٩٩-قرآن- ٧٢٣-٧٦١ [صفحه ٣٥٥] بلا خلاف لقوله فإذا انس لبح الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فقتلوا ذلك قتلهم بكل حال و خرج قدر الأربعة الأشهر بدليل الآيه الأولى وبقى ماعداه على عمومته . هذا إذا كان الإمام مستظهرا على المشركين فإن كان هم مستظهري لقوتهم وضعف المسلمين و إن كان العدو بالبعد منهم فى قصدهم التزام مؤن كثيرة فيجوز أن يهادنهم إلى عشر سنين لأن النبي ع هادن قريشا إلى عشر سنين ثم نقضها هم من قبل نفوسهم . -قرآن- ١٨-٩٦

فصل

وقوله تعالى أوفوا بالعقود يدل على أن الإمام إذا عقد لعدو من المشركين عقد الهدنة إلى مدة فعليه الوفاء إلى انقضاء تلك المدة فإن خالف جميعهم فى ذلك انقضت الهدنة و إن خالف بعضهم و لم يكن منهم إنكار بقول أوفوا كان نقضا للهدنة فى حق جميعهم و إن كان منهم إنكار لذلك كان الباكون على صلحه دون الناقضين . و إذا خاف الإمام من المهادين خيانة جاز له أن ينقض العهد لقوله و إيا تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء . و لا تنقض الهدنة بنفس الخوف بل للإمام نقضها

فإذ انقضت ردهم إلى مأمئهم لأنهم دخلوا إليه من مأمئهم . وقد أمر الله نبيه ع أنه متى خاف ممن بينه وبينه عهد خيائته أن ينبذ - قرآن-١٦-٣٤-قرآن-٣٩٤-٤٥٨ [صفحه ٣٥٦] إليه عهده إلى سواء أى على عدل وقيل على استواء فى العلم به أنت وهم فى أنكم فى حرب لئلا يتوهم أنك نقضت العهد بنصب الحرب . فإن قيل كيف جاز نبذ العهد ونقضه بالخوف من الخيائته. قلنا إنما فعل ذلك لظهور أمارات الخيائته التى دلت على نقض العهد و لم يشتهر و لو اشتهرت لم يجب النبذ

باب ذكر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

إشارة

قال الله تعالى وَ لَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَتَكُنَّ أُمَّةً لَتَرْضَى لَهَا لَتَسْكُنْ وَ تسكين اللام يؤذن أنه للجزم . و قوله مِنْكُمْ من للتبعيض عند أكثر المفسرين لأن الأمر بإنكار المنكر والأمر بالمعروف متوجه فى فرقة منهم غير معينه لأنه فرض على الكفاية فأى فرقة قامت به سقط عن الباقيين . و قال الزجاج والتقدير وليكن جميعكم و من دخلت ليحضر المخاطبين من بين سائر الأجناس كما قال فَاجْتَبِئُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ فَعَلَى هَذَا الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ من فروض الأعيان لا يسقط بقيام البعض عن الباقيين . والأمة للجماعة والمعروف الفعل الحسن الذى له صفة زائدة على حسنه وربما كان واجبا وربما كان ندبا فإن كان واجبا فالأمر به واجب و إن كان ندبا فالأمر به ندب . والمنكر هو القبيح فالنهي كله واجب والإنكار هو إظهار كراهة الشيء - قرآن-١٩-١١٨-قرآن-١١٩-١٢٧-قرآن-١٩٨-٢٠٣-قرآن-٤٦٢-٤٩٦ [صفحه ٣٥٧] لما فيه من وجه القبح و يقتضيه الإقرار و هو إظهار تقبل الشيء من حيث هو صواب وحكمة وحسن . و لا خلاف أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجبان على ما ذكرناه واختلف المتكلمون أيضا فى وجوبهما فقليل إنه من فروض الكفايات و قال آخرون هو من فروض الأعيان و هو الصحيح و قال بعض أصحابنا إنهما ربما يجبان على التعيين وربما يجبان على الكفاية.

فصل

ويدل على وجوبهما زائدا على ما ذكرناه قوله تعالى الَّذِينَ إِنْ مَكَانُهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوْا الزَّكَاةَ وَ آمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَ ذلك لأن ما رغب الله فيه فقد أراه و كل ما أراه من العبد شرعا فهو واجب إلا أن يقوم دليل على أنه نفل ولأن الاحتياط يقتضى ذلك . والمعروف الحق وسمى به لأنه يعرف صحته وسمى المنكر منكرا لأنه لا يمكن معرفة صحته بل ينكر . و الناس اختلفوا فى ذلك فقال قوم إن طريق إنكار المنكر العقل لأنه كما يجب كراهته و جب المنع منه إذا لم يمكن قيام الدلالة على الكراهية و إلا كان تاركه بمنزلة الراضى به و قال آخرون و هو الصحيح عندنا أن طريق وجوبه السمع و أجمعت الأمة على ذلك . و يكفي المكلف الدلالة على كراهيته من جهة الخبر و ماجرى مجراه . فإن قيل هل يجب فى إنكار المنكر حمل السلاح . قلنا نعم إذا احتيج إليه بحسب الإمكان لأنه تعالى قد أمر به فإذا لم - قرآن-٥٣-١٧٤ [صفحه ٣٥٨] ينبج فيه الوعظ والتخويف و لا التناول باليد و جب حمل السلاح لأن الفريضة لا تسقط مع الإمكان إلا بزوال المنكر الذى لزم به الجهاد إلا أنه لا يجوز أن يقصد القتال إلا و غرضه إنكار المنكر . وأكثر أصحابنا على أن هذا النوع من إنكار المنكر لا يجوز الإقدام عليه إلا بإذن سلطان الوقت و من خالفنا جوز ذلك من غير الإذن مثل الدفاع عن النفس سواء .

أما قوله تعالى كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَقَدْ أوجب الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما تقدم من قوله وَ لَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ ثُمَّ مدح على قبوله والتمسك به كما مدح بالإيمان وهذا يدل على وجوبهما. وقدينا اختلاف المفسرين والمتكلمين في قوله مِنْكُمْ أُمَّةٌ أَنَّهَا للتبعض أو للتبيين والأولى أن يكون للتبيين والمعنى كونوا أمة تأمرون كقوله كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ وَ لا يصح الاستدلال على أنها للتبعض بأن ذلك لا يصح إلا ممن علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الأمر في إقامته وكيف يباشر وأن الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر وربما يغلط في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيد إنكاره إلا تماديا لأن هذا كله من شرائطهما. وشرائط وجوبهما ثلاثة أن يعلم المعروف معروفا والمنكر منكرا وتجوز تأثير إنكاره و لا يكون فيه مفسدة. -قرآن- ١٨-١٠٥-قرآن- ١٧٥-١٩٧-قرآن- ٣٢٠- ٣٣٢-قرآن- ٤١٨-٤٦٥ [صفحہ ٣٥٩] فإن قيل كيف يباشر إنكار المنكر. قلنا يبتدئ بالسهل فإن لم ينفع ترقى إلى الصعب لأن الغرض كف المنكر قال تعالى فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ثُمَّ قَالَ فَفَاتَلَوْا. فإن قيل فمن يباشر. قلنا كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه. وقد أجمعوا أن من رأى غيره تاركاً للصلاة وجب عليه الإنكار لأن قبحه معلوم لكل أحد و أما الإنكار الذي بالقتال فالإمام وخلفاؤه أولى لأنهم أعلم بالسياسة ومعهم عدتها. فإن قيل فمن يؤمر وينهى. قيل كل مكلف وغير المكلف إذا هم بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤخذون بالصلاة ليتمرنوا عليها. فإن قيل هل ينهى عن المنكر من يرتكبه. قيل نعم يجب عليه لأن ترك ارتكابه وإنكاره واجبان عليه فترك أحد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر -قرآن- ١٢٠-١٤٠-قرآن- ١٥٠-١٥٩ و قد قالوا ع مروا بالخير وإن لم تفعلوا -رواية- ١-٢-رواية- ١٦-٤٤. فإن قيل كيف قال تعالى يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ. قلنا الدعاء إلى الخير عام في التكليف من الأفعال والتروك والنهي عن المنكر - قرآن- ٢٨-٧٦ [صفحہ ٣٦٠] فخاص فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص إيدانا بفضل كقوله حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى. -قرآن- ٦٢-١٠٦

وإنما قال تعالى كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ وَ لم يقل أنتم خير أمة لأمر أحدها أن ذلك قد كان في الكتب المتقدمة فذكر كنتم لتقدم البشارة به و يكون التقدير كنتم خير أمة في الكتب الماضية و في اللوح المحفوظ فحققوا ذلك بالأفعال الجميلة. الثاني أنه بمنزلة قوله وَ كَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا لأن مغفرته المستأنفة كالمغفرة الماضية في تحقق الوقوع لا محالة و في كان على هذا تأكيد وقوع الأمر لأنه بمنزلة ما قد كان. الثالث كان تاماً أى حدثتم خير أمة وخير أمة نصب على الحال قال مجاهد ومعناه كنتم خير أمة إذ فعلتم ما تضمنته الآية من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بما أوجبه. فإن قيل لم يقال للحسن المعروف مع أن القبيح معروف أيضاً أنه قبيح و لا يطلق عليه اسم المعروف. قلنا لأن القبيح بمنزلة ما لا يعرف لخموله وسقوطه و الحسن بمنزلة النبيه الذي يعرف بجلالته وعلو قدره و يعرف أيضاً بالملامسة الظاهرة والمشاهدة فأما القبح فلا يستحق هذه المنزلة. و قال أهل التحقيق نزلت هذه الآية فيمن هذه صفته من هذه الأمة وهم من -قرآن- ١٩-٣٧-قرآن- ٢٦١-٢٩٢ [صفحہ ٣٦١] دل الدليل من عصمته لأن هذا الخطاب لا يجوز أن يكون المراد به جميع الأمة لأن أكثرها بخلاف هذه الصفة بل منها من يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف و قد حدث الله عليه بما حكى عن لقمان ووصيته يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَ انْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ اصْبِرْ عَلَى مَا

أَصَايِكَ. ويجوز أن يكون هذا عاماً في كل ما يصيبه من المحن وأن يكون خاصاً بما يصيبه فيما أمر به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فمن يبعثه على الخير وينكر عليه الشر إن ذلك ما عزمه الله من الأمور أى قطعه قطع إيجاب وإلزام وهذا الضرر مثل سب عرض أو ضرب لا يؤدي إلى ضرر في النفس عظيم أو في ماله أو لغيره لأن كل ذلك مفسد. -قرآن- ١٩٥-٢٩٠

فصل

وقوله تعالى وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ -قرآن- ١٦-٧٤ روى عن أمير المؤمنين ع أن المراد بالآية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر -رواية- ١-٢-رواية- ٢٩-٨١ وعن أبي جعفر ع إنما نزلت في علي ع -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٤٥ يشري نفسه يبيعها أى يبذلها في الجهاد ويأمر وينهى حتى يقتل . وقال تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ. -قرآن- ٧٧-١٦٤ [صفحة ٣٦٢] أى إلى إحياء أمركم بجهاد عدوكم مع نصر الله إياكم وَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ بالموت وبالجنون وزوال العقل فلا يمكنه استدراك مافات . ثم قال وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً -قرآن- ٥٤-١٠٩ -قرآن- ١٧٧-٢٤٠ عن ابن عباس أمر الله المؤمنين أن لا يقرؤا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-٩٠ . وقال تعالى لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ بِالْآيَةِ -قرآن- ١٦-٤٨ عن ابن عباس نزلت هذه الآية لما أسلم عبد الله بن سلام وجماعته معه قالت أحبار اليهود ما آمن بمحمد إلا أشرارنا فأنزله الله إلى قوله وَ أَوْلِيكَ مِنَ الصَّالِحِينَ -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-١٧٠ . وقوله يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ يُؤْمِنُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ صفة قوله أُمَّةٌ قَائِمَةٌ . وليس طريق وجوبهما العقل وإنما طريق وجوبهما السمع و عليه إجماع الأمة وإنما الواجب بالعقل كراهة المنكر فقط غير أنه إذا ثبت بالسمع وجوبه فعلينا إزالة المنكر بما يقدر عليه من الأمور الحسنه دون القبيحة لأنه لا يجوز إزالة قبيح بقبيح آخر. وليس لنا أن نترك أحداً يعمل بالمعاصي إذا أمكننا منعه منها سواء كان المعصية من أفعال القلوب مثل إظهار المذاهب الفاسدة أو من أفعال الجوارح . ثم ينظر فإن كان أمكننا إزالته بالقول فلما يزيد عليه وإن لم يمكن إلا بالمنع من غير إضرار لم يزد على ذلك فإن لم يتم دفعه إلا بالحرب فعلناه وإن كان عند أكثر أصحابنا هذا الجنس موقفاً على إذن السلطان فيه . وإنكار المذاهب الفاسدة لا يكون إلا بإقامة الحجج والبراهين والدعاء إلى -قرآن- ١٠-١٠١ -قرآن- ١١١-١٢٥ [صفحة ٣٦٣] الحق وكذا إنكار أهل الذمة. فأما الإنكار باليد فمقصود على من يفعل شيئاً من معاصي الجوارح أو يكون باغياً على إمام الحق فإنه يجب قتاله ودفعه على ما نذكر حتى يفيء إلى الحق وسبيلهم سبيل أهل الحرب فإن الإنكار عليهم باليد والقتال حتى يرجعوا إلى الإسلام أو يدخلوا في الذمة. وقال تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَاراً أمرهم الله بأن يقوا أنفسهم أى يمنعوها ويمنعوا أهلها نارا وإنما يمنعون نفوسهم بأن يعملوا الطاعات ويمنعوا أهلهم بأن يدعوهم إليها ويحثوهم على فعلها وذلك يقتضى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينبغى أن يكون للأقرب فالأقرب -قرآن- ٢٩٥-٣٥٦

باب أحكام أهل البغي

إشارة

قال الله تعالى انْفِرُوا خِفَافاً وَ ثِقَالاً أى شباباً وشيوخاً وأغنياء وفقراء ونشطاء وغير نشطاء وركبانا ومشاء ومشاعيل وغير مشاعيل

وذوى العيال والميسرة وذوى العسرة وقله العيال . وَ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ظَاهِرَ الْآيَةِ يَتَّقِي وَجوب مجاهدة البغاة كما يجب مجاهدة الكفار لأنه جهاد فى سبيل الله . والبغى هو من قاتل إماما عادلا يجب جهاده على كل من يستنهضه الإمام و لا يجوز قتالهم إلا بإذنه وأصل البغى فى اللغة الطلب قال تعالى فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَ لَا عَادٍ . -قرآن- ١٩-٤٥-قرآن- ١٨٠-٢١٧- قرآن- ٤٤٦-٤٨٠ [صفحہ ٣٦٤] قال سعيد بن جبیر ومجاهد غير باغ على إمام المسلمين و لاعاد بالمعصية طريق المحقين و هو المروى عن الباقر والصادق ع -روایت- ١-٢-روایت- ٢٧-١٢٢ . و قال الرمانى إن هذا لا يسوغ قال لأنه تعالى لم يبيح لأحد قتل نفسه بل حظر ذلك عليه و هذا الذى ذكره غير صحيح لأن من بغى على إمام عادل فأدى ذلك إلى تلف نفسه فهو المعرض لقتل نفسه كما لو قتل فى نفس المعركة فإنه المهلك لها فلا يجوز لذلك استباحة ما حرم الله كما لا يجوز له أن يستبقى نفسه بقتل غيره من المسلمين والرخصة تتناول الميتة و إن كانت عند المفسرين بصورة المجاعة فليست لمكان المجاعة على الإطلاق بل يقال إنما ذلك للمجاعة التى لم يكن هو المعرض نفسه لها فأما إذ اعرض نفسه فلا يجوز له استباحة المحرم كما قلناه فى قتل نفس الغير ليدفع عن نفسه القتل .

فصل

و إذ قوتل البغاة فلا يتعدون بالقتال إلا بعد أن يدعو إلى ما ينكرون من أركان الإسلام كما فعل أمير المؤمنين ع بالخوارج قال تعالى ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ يَاتِي هِيَ أَحْسَنُ فَالجدال قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج وحل شبهه . والتى هى أحسن قيل الرفق والوقار والسكينة مع نصره الحق بالحجة والحكمة المقالة الحسنه المحكمة الصحيحة التى تزيل الشبهة وتوضح الحق -قرآن- ١٣٧-٢٣٤ [صفحہ ٣٦٥] والموعظة الحسنه التى أن لا تخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم بها أى ادعهم بالكتاب الذى هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالطريقة التى فيها اللين والرفق من غير فظاظة و لا تعسف والادعى هو الإمام أو من يأمره هو . و لا ينصرف من قاتلهم بأمر الإمام إلا بعد الظفر أو يفيثوا إلى الحق و من رجع عنهم من دون ذلك كان فارا من الزحف -قرآن- ٣-٢٤ و قد أشار إلى هذا كله رسول الله ص بقوله حربك يا على حربى وسلمك سلمى -روایت- ١-٢-روایت- ٤٦-٧٨ أى حكم حربك حكم حربى

باب حكم المحاربين والسيره فيهم

اشاره

قال الله تعالى إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا . فمعنى يُحَارِبُونَ اللَّهَ أى يحاربون أولياء الله و المؤمنين لأنه لو كان المراد مقصورا على محاربة رسول الله ع لكان حكم الآية يسقط بوفاته وأجمع المسلمون على أن هذا الحكم ثابت . ومعنى يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا يسرعون فى الفساد وأصل السعى سرعة المشى . والمحارب عندنا هو الذى يشهر السلاح ويخيف السبيل سواء كان فى المصر أو فى خارج المصر فإن اللص المجاهر فى المصر و غير المصر سواء و به قال الأوزاعى ومالك والليث بن سعيد و ابن الهيعة والشافعى والطبرى و قال قوم هو قاطع الطريق فى غير المصر ذهب إليه أبو حنيفة . ومعنى يُحَارِبُونَ اللَّهَ أى يحاربون أولياء الله ويحاربون رسوله لما ذكرنا -قرآن- ١٩-١١٩-قرآن- ١٢٧-١٤٤-قرآن- ٣١٣-٣٤٠-

قرآن-٦٥٩-٦٧٦ [صفحه ٣٦٦] وَ يَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا هُوَ مَا قَلَنَاهُ فِي إِشْهَارِ السَّيْفِ وَإِخَافَةِ السَّبِيلِ . وَ جَزَاؤُهُمْ عَلَى قَدْرِ
الاستحقاق إن قتل قتل و إن أخذ المال وقتل قتل وصلب و إن أخذ المال و لم يقتل قطعت يده ورجله من خلاف و إن أخاف
السبيل فقط فإنما عليه النفي لا غير هذامذهبنا و هو المروى عنهما ع و هو قول ابن عباس و أبي مجلز وسعيد بن جبیر والسدى
وقتادة والربيع و به قال الجبائي والطبري و قال الشافعي إن أخذ المال جهرا كان للإمام صلبه حيا و إن لم يقتل . و موضع أن
يُقْتَلُوا رُفِعَ وَ تَقْدِيرُهُ إِنَّمَا جَزَاؤُهُمُ الْقَتْلَ أَوْ الصَّلْبَ أَوْ الْقَطْعَ . و معنى إنما ليس جزاؤهم إلا هذا قال الزجاج إذا قال جزاؤك عندي
كذا جاز أن يكون معه غيره فإذا قال إنما جزاؤك كذا كان معناه ما جزاؤك عندي كذا. -قرآن-١-٣١-قرآن-٤٥٨-٤٧١

فصل

واختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقال ابن عباس والضحاك نزلت في قوم كان بينهم و بين النبي ع معاهدة فنقضوا العهد
و أفسدوا في الأرض فخبير الله نبيه فيما ذكر في الآية و قال الحسن وعكرمة نزلت في أهل الشرك و قال قتادة وأنس و ابن جبیر
والسدى إنها نزلت في العرنيين والعكليين حين ارتدوا و أفسدوا في الأرض فأخذهم النبي ع و قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف
و سمل أعينهم و في بعض الأخبار أنه أحرقهم بالنار. ثم اختلفوا في نسخ هذا الحكم الذي فعله بالعرنيين فقال البلخي وغيره نسخ
ذلك بنهيه عن المثلة و منهم من قال حكمه ثابت في نظرائهم لم ينسخ . و قال آخر لم يسمل النبي ع أعينهم وإنما أراد أن
يسمل فأنزل الله آية المحاربة و الذي نقوله إن كان فيهم طائفة ينظرون لهم حتى يقتلوا قوما [صفحه ٣٦٧] سملت أعين الرائية
فأجرى على الباقيين ما ذكرناه و قال قوم الإمام مخير فيه . فمن قال بالأول ذهب إلى أن أو في الآية تقتضى التفصيل و من قال
بالثاني ذهب إلى أنها للتخيير.

فصل

و معنى قوله وَ أَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافِ مَعْنَاهُ أَنْ تَقَطَّعَ الْيَدَ الْيُمْنَى وَ الرَّجْلَ الْيُسْرَى وَ لَوْ كَانَ مَوْضِعُ مَنْ عَلَى أَوِّالِبَاءِ لَكَانَ الْمَعْنَى وَاحِدًا.
و قوله أَوْ يُنْفَوْنَ مِنَ الْأَرْضِ فِي مَعْنَاهُ ثَلَاثَةٌ أَقْوَالٌ أَحَدُهَا أَنَّهُ يُخْرَجُ مِنْ بِلَادِ الْإِسْلَامِ يَنْفَى مِنْ بِلَدٍ إِلَى بِلَدٍ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ وَيَرْجِعَ وَ
هُوَ الَّذِي نَذَرَ إِلَيْهِ وَ قَالَ أَصْحَابُنَا لَا يُمْكِنُ أَيْضًا مِنْ دُخُولِ بِلَدِ الشَّرْكِ وَ يِقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى تَمَكِينِهِمْ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى يَتُوبُوا
و يَرْجِعُوا إِلَى الْحَقِّ . الثَّانِي أَنْ يَنْفَى مِنْ بِلَدٍ إِلَى غَيْرِهِ . الثَّلَاثُ أَنْ النِّفْيَ هُوَ الْحَبْسُ ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو حَنِيفَةَ . وَأَصْلُ النِّفْيِ الْإِهْلَاكُ وَ مِنْهُ
النِّفْيُ وَ الْإِعْدَامُ وَ مِنْهُ النِّفَايَةُ لَرَدِّ الْمَتَاعِ وَ قَالَ الْفَرَاءُ النِّفْيُ أَنْ يَقَالَ مَنْ قَتَلَهُ فِدْمَهُ هَدَرَ . ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ لَهُمْ خَزَى فِي الدُّنْيَا
وَ الْخَزَى الْفُضِيحَةُ أَيْ إِنْ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْأَحْكَامِ لَهُمْ خَزَى فِي الدُّنْيَا وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ زِيَادَةٌ عَلَى ذَلِكَ وَ هَذَا يَبْطُلُ
قَوْلُ مَنْ قَالَ إِقَامَةُ الْحُدُودِ تَكْفِيرٌ لِلْمَعَاصِي لِأَنَّهُ تَعَالَى مَعَ إِقَامَةِ الْحُدُودِ عَلَيْهِمْ بَيْنَ أَنْ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابًا عَظِيمًا أَيْ أَنَّهُمْ
يَسْتَحِقُّونَ ذَلِكَ وَ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى يَفْعَلُ بِهِمْ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا مَحَالَةَ لَهُ أَنْ يَجُوزَ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ . -قرآن-١٤-٣٧-قرآن-١٤٣-١٦٦-
قرآن-٦١٦-٦٤٥

فصل

ثم قال تعالى **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ** أى لكن التائبين من قبل القدرة عليهم فالله غفور رحيم . -قرآن- ١٧-٧٠] صفحہ ٣٦٨] و لما بين الله حكم المحارب على مافصلناه استثنى من جملتهم من يتوب مما ارتكبه قبل أن يؤخذ ويقدر عليه لأن توبته بعد حصوله فى قبضة الإمام وقيام البيئته عليه بذلك لاتنفعه ووجب عليه إقامة الحد. واختلفوا فيمن تدرأ عنه التوبة الحدود هل هوالمشرك أو من كان مسلما من أهل الصلاة. قال الحسن هوالمشرك دون من كان مسلما فأما من أسلم فإنه لم يؤخذ بما جناه إلا أن يكون معه عين مال من أخذ منه قائمه فإنه يجب عليه ردها و ماعدها يسقط. أما على ع فإنه حكم بذلك فيمن كان مسلما و هو حارثه بن زيد لأنه كان خرج محاربا ثم تاب فقبل أمير المؤمنين توبته -روایت- ١-٢-روایت- ٣-١٢٢ . و قال الشافعى يضع بتوبته حد الله عنه الذى وجب عليه لمحاربتة و لايسقط عنه حقوق بنى آدم و هو مذهبنا فعلى هذا إن أسقط الآدمى حق نفسه و يكون ظهرت منه التوبة قبل ذلك فلايقال عليه الحدود و إن لم يكن ظهرت منه التوبة أقيم عليه الحد لأنه محارب فيتحم عليه الحد و هو قول أبى على أيضا و لاخلاف أنه إذا أصيب المال بعينه فى يده أنه يرد إلى أهله. فأما المشرك المحارب فمتى أسلم و تاب سقطت عنه الحدود سواء كان ذلك منه قبل القدرة عليه أو بعدها بلا خلاف. فأما السارق إذا قدر عليه بعد التوبة و تكون التوبة منه بعد إقامة البيئته فإنه لايسقط عنه الحد و إن كان قبل قيام البيئته أسقطت عنه و قال لاتسقط التوبة عن السارق الحد و لم يفعل و ادعى فى ذلك الإجماع . [صفحہ ٣٦٩] وقيل إن الله جعل هذا الحكم للمحارب بالاستثناء بقوله **فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** و لم يكن غير المحارب فى معناه فيقاس عليه لأن ظاهر هذا التفرد و ليس كذلك هو فى المحارب الممتنع نفيه . ثم قال يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ أَي مائتقرب به إلى الله وَ جَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ أَي جاهدوا أعداءكم فى وقت الحاجة إليه و جاهدوا أنفسكم فى كل وقت . أما قوله تعالى **وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا** أى مفسدين لأن سعيهم فى الأرض لما كان على طريق الفساد نزل منزلة و يفسدون فى الأرض فانتصب فسادا على المصدر حالا أو مفعولا له . وقيل النفى أن ينفى من بلده و كانوا ينفونهم إلى بلد فى أقصى تهامة يقال له دهلك و إلى ناصع و هو من بلاد الحبشة و من قال إن النفى من بلد إلى بلد أى لا يزال يطلب و هو هارب فزعا. و قوله **إِلَّا الَّذِينَ اسْتَنَاءُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** و أما حكم القتل والجراح وأخذ المال فى الأولى إن شاءوا عفوا و إن شاءوا استوفوا -قرآن- ٥٨-٩٥-قرآن- ٢١٢-٢٨٥-قرآن- ٣١٤-٣٣٨-قرآن- ٤٢٥-٤٥٥-قرآن- ٧٨٥-٧٩٨

باب حكم المرتدين وكيفية حالهم

إشارة

قال الله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ **الآية**. اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية والصحيح ما روى عن الباقر والصادق ع أنها نزلت فى أهل البصرة و من قاتل عليا ع و الذى يقوى هذا التأويل أن الله وصف من عناه بالآية بأوصاف وجدنا أمير المؤمنين ع -قرآن- ١٩-٧٦ [صفحہ ٣٧٠] مستكملا لها بالإجماع لأنه تعالى قال فى عقبته **فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** و قد شهد النبى ص لعلى ع بما يوافق لفظ الآية فى قوله و قد ندبه لفتح خبير بعد فرار من فر منها لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله و دفعها إلى على فكان من ظفره ماوافق خبر النبى ع . ثم قال **أَذَلَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ** يَفُوصَفُ من عناه بالتواضع للمؤمنين والرفق بهم والعزة للكفار والعزير على الكافرين هو الممتنع فى أن ينالوه مع شدة مكانته منهم وهذه أوصاف أمير المؤمنين . ثم قال **يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ** و لا يخفى قصور كل مجاهد

من منزلته و لم يقارب أحد رتبته و هو الذى ماولى الدبر قط فاختصاصه بالآية أولى . -قرآن- ٥٠-١٠٤-قرآن- ٣٢٨-٣٨١- قرآن- ٥٥٠-٦١٠ وروى أنه ع قال يوم البصرة و الله ما قوتل أهل هذه الآية حتى اليوم وتلايا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه -رواية- ١-٢-رواية- ٩-١٣٩ . ومثل ذلك قال عمار وحذيفة و ابن عباس .

فصل

و قرئمن يرتد و من يرتدد و هو من الكائنات التى أخبر عنها فى القرآن قبل كونها. وقيل كان أهل الردة إحدى عشرة فرقة ثلاث فى عهد رسول الله بنو مدلج و رئيسهم ذو الخمار و هو الأسود العنسى و كان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده وأخرج عمال رسول الله فيته فيروز الديلمى فقتله وأخبر رسول الله بقتله ليلة قتل -قرآن- ٧-١٧ [صفحة ٣٧١] فسر المسلمون وقبض رسول الله من الغد وبنو حنيفة قوم مسيلم الذى تنبأ وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ أيضا ثم أسلم و حسن إسلامه وثمان بعد وفاة رسول الله وكفى الله أمرهم . و قوله فسوف يأتي الله بقوم مقييل هم الأنصار -قرآن- ١٩٠-٢١٩ وقيل ضرب رسول الله يده على متن سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجال من فارس -رواية- ١-٢-رواية- ٩-١٢٥ والتقدير فسوف يأتي الله بقوم مكانهم أو بقوم مقامهم . وإنما لم يقل أذله للمؤمنين لأن الذل يضمن معنى الحنو والعطف كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل .

فصل

وقوله تعالى إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم يعنى بذلك أهل النفاق أنهم أظهروا الإيمان ثم ازدادوا كفرا بموتهم على الكفر. ثم اعلم أن المرتد عندنا على ضربين مرتد عن فطرة الإسلام بين المسلمين متى كفر فإنه يجب قتله و لا يستتاب ويقسم ماله بين ورثته وتعتد منه زوجته عدة المتوفى عنها زوجها من يوم ارتد. والآخر من أسلم من كان أسلم ثم كفر ثم ارتد فهذا يستتاب ثلاثا فإن تاب و إلاوجب عليه القتل و لا يستتاب أكثر من ذلك . والمرأة إذا ارتدت تستتاب على كل حال فإن تابت و إلاحبست حتى تموت و لا تقتل بحال و فيه خلاف . وقال تعالى إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا نزلت فى الوليد بن عقبة لما بعته -قرآن- ١٦-١٣٢-قرآن- ٦٣٧-٦٧٦ [صفحة ٣٧٢] رسول الله فى صدقات بنى المصطلق خرجوا يتلقونه فرحا به فظن أنهم هموا بقتله فرجع إلى النسي ع فقال إنهم منعوا زكواتهم و كان الأمر بخلافه . ثم قال و إن طائفتين من المؤمنين اقتتلوا فقتل بعضهم بعضا أى من كان على ظاهر الإيمان فأصلحوا بينهما حتى يسطلحا فإن بغت إحدى الطائفتين على الأخرى بأن تطلب ما لا يجوز لها وتطالب الأخرى ظالمة لها فقاتلوا الظالمة حتى ترجع إلى طاعة الله فإن رجعت بالقول فلا تملوا على واحدة منهما وأقسطوا قيل نزلت فى قبيلتين من الأنصار وقع بينهما قتال -قرآن- ١٦٠-٢٠٥-قرآن- ٢٥٤-٢٧٤

باب الزيادات

قوله تعالى إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السماوات و الأرض منها أربعة حرّم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم . جعل ضمير الأشهر الحرم الهاء والنون فى فيهن لقلتهن و ضمير شهور السنة الهاء والألف فى منها

لكثرتها ولذلك يقولون لأربع خلون في التاريخ ولعشرين بقيت و على هذا ماجاء في التنزيل وَ قَالُوا لَنْ تَمَسِّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَ قَالَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ كَانَهُمْ قَالُوا أَوْ لَا تَطُولُ الْمُدَّةُ الَّتِي تَمَسَّهُمْ فِيهَا النَّارُ ثُمَّ تَرَاوَعُوا عَنْهُ فَقَصَرُوا تِلْكَ الْمُدَّةَ. -قرآن- ١٤-١٩٩-قرآن- ٣٨٦-٤٤٢-قرآن- ٤٨٤-٥٠٨ [صفحہ ٣٧٣] وقيل الضمير في قوله فِيهَا أَيَّامًا يَرْجِعُ إِلَى الشُّهُورِ وَخَالَفَ فِي الْعِبَارَةِ كِرَاهَةَ التَّكْرَارِ. -قرآن- ٢٤-٣٠

مسألة

إذ انزل الإمام بالجيش في الغزو على أهل بلد هل له حصره والمنع لمن يريد الخروج منه من الكفار. قلنا له ذلك لقوله وَ أَحْضَرُوهُمْ وَ اقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص فَإِنَّهُ حَاصِرُ أَهْلِ الطَّائِفِ . -قرآن- ١٢١-١٦٤

مسألة

فإن قيل لم ترك أمير المؤمنين القتال مع معاوية و قد كان لاح له وجه الظفر ولكن لما رفعوا المصاحف كف عنهم هلا كان يضربهم بالسيف حتى يهلكوا أو يفيئوا إلى أمره كما قال تعالى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ وَ قَالَ وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَ يَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ. الجواب -قرآن- ١٨٢-٢٤٠-قرآن- ٢٤٨-٣١١ أنه لما التقى الجمعان دعا على ع معاوية وأحزابه إلى ما في كتاب الله و قال بيننا وبينكم القرآن اقتداء منه بحكم الله وبدعائه أهل الكتاب إلى ما يجدوا في التوراة والإنجيل من تصديق محمد وصحة نبوته ص فقال في الذين آمنوا منهم بِمُحَمَّدٍ الَّذِي تَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ -روایت- ١-٢-روایت- ٣-ادامه دارد [صفحہ ٣٧٤] الآية و قال في الذين وجدوا ذكره فيهما و لم يؤمنوا به وَ لَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَ كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الْعَذِيبِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ وَ قَالَ وَ لَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الْمَدِينِ أَوْتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ -روایت- از قبل- ٣٦٩ . و لو أن عليا ابتداء بالقتال قبل إزام أهل الشام الحجة من الكتاب دخل في زمرة من قال وَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ إِلَى قَوْلِهِ بَلْ أَوْلَيْتَكَ هُمْ الظَّالِمُونَ. فدعاهم أولا إلى مقاله القرآن ليكون من جملة من قال سبحانه إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا وَ أَوْلَيْتَكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ. فعلى كان المنقاد لأمر الله والعامل به والراضى بحكمه ومعاوية وأصحابه كانوا التاركين لأمر الله والمعرضين عن العدل و لما علموا أنهم متى حاكموا عليا بما في القرآن وأذعنوا للإنصاف وأقروا لذي الفضل بفضل التزموا الظلم والبغى وباءوا بغضب من الله و لم يفيئوا إلى أمر الله فلذلك دافعوا التحكيم بكتاب الله في عنفوان الأمر وأبوا إلا القتال إلى أن ضاق عليهم الأمر وأصابهم وقع السيف ففزعوا إلى رفع المصاحف هنالك فرفعوا على الأسل والتجئوا إلى التحكيم الذي قد كان على ع دعاهم إليه أولا فأبوا. وإنما كان دعاء على ع إياهم إلى ما في كتاب الله أولا ثقة منه بتحقيق -قرآن- ٩٢-١٨١-قرآن- ١٩٣-٢٢٢-قرآن- ٢٨٨-٤٣٧ [صفحہ ٣٧٥] أمره وعلما بأن الكتاب يحكم له عليهم وأنهم لو حاكموا عليا في أول مدعاهم إلى ما في القرآن لوجدوه من السابقين الأولين من المهاجرين ووجدوه من المجاهدين الذين لا يقاس به القاعدون و من المؤمنين بالغيب و من أولياء الله الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة وهم راكعون و من العلماء الذين يتقون الله حق تقاته و من الموفين بالنذر المطعمين على حب الله المسكين واليتيم والأسير ووجدوا أباه أباطال أشد من حامى رسول الله ووجدوا معاوية في الطلقاء وأبناء الطلقاء فلما نابهم حر القتل أمر برفع المصاحف . و كان على ع يقول لأهل العراق حين قالوا له يا أمير المؤمنين قد أنصفك حين دعاك إلى ما في الكتاب فإن لم تجبه إلى ذلك شددنا مع العدو عليك فإن الله

يقول فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ فَمَاذَا قَالَ عَلَى عِ كَلِمَةٍ حَقَّ يَرَادُ بِهَا بَاطِلٌ اصْبِرُوا عَلَى ابْنِ هِنْدٍ سَاعَةً يَفْتَحُ اللَّهُ لَكُمْ -رواية- ١-٢-رواية- ٣-٣١٠. و لما لم ينجع كلامه منهم وأبى الذين فسدت قلوبهم من أصحابه إلا النزول عند حكم معاوية وضع على ع نفسه موضع المستضعفين المعذورين وعمل على قول الله فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَكَانُوا يَشْتَدُونَ عَلَيْهِ لِيَجِيبَ مَعَاوِيَةَ إِلَى مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنَ التَّحْكِيمِ حَتَّى قَالَ لِرَأْيٍ لِمَنْ لَا يَطَاعُ . وَ قَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ عَذْرَ عَلَى عِ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِهِ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَ عَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ الْآيَةَ. فألف من المؤمنين إذ قاتلوا ألفين من الكافرين هم أكفاء بعضهم لبعض فإذا استأمن رجل واحد من المؤمنين مرتدا إلى الكفار وصار الكفار زيادة على الألفين -قرآن- ١٦٢-١٩٢-قرآن- ٣٣٥-٤٤٦ [صفحة ٣٧٦] برجل واحد وانحط المؤمنون إلى تسعمائة وتسعة وتسعين فهم في سعة ورخصه إذ انهزموا و لم يقاتلوا ولا حرج عليهم متى نقص من ألفهم واحد وزاد في ألفي الكفار. فإذا رخص الله للمؤمنين أن ينحجزوا عن قتال الكفار متى نقص واحد من ألف منهم فزاد على ألفي الكفار فلأن يرخص لمولانا أمير المؤمنين أن يمسك عن قتال قوم كانوا في الأصل أضعاف أصحابه ثم وجد بعض أصحابه قد صار أعدى عليه من أعدائه والله تعالى يقول وَ لَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَ يَقُولُ وَ لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ يَقُولُ لِمَنْ كَانُوا أَكْفَاءَ لِأَعْدَائِهِمْ كَالْأَلْفِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ الْأَلْفِينَ مِنَ الْكُفَّارِ سِوَاءَ بَعْضِهَا لِبَعْضٍ يَا أَيُّهَا الْمَدِينِ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ الْآيَةَ -قرآن- ٤٢٠-٤٦٢-قرآن- ٤٧١-٤٩٦-قرآن- ٥٩٠-٦٨٣ [صفحة ٣٧٧]

كتاب الديون والكفالات والحوالات والوكالات

إشارة

نقدم ذكر الدين لأن الثلاثة الآخر على الأغلب تكون من توابعه . ودان من الأضداد يقال دينه أى أقرضه ودان استقرض أيضا

باب أحكام الدين

إشارة

قال الله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ. اعلم أن أخذ الدين قد يكون مباحا ومكروها ومحظورا وواجبا ومستحبا والآية تدل على جواز الدين لمن له مال يقضى به أو من يقضى عنه و مع هذا الشرط عند الاضطرار ربما يكون ندبا أو واجبا. -قرآن- ١٩-١٠١ [صفحة ٣٧٨] وقول النبي ع الدين شين الدين -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-٣٨ يدل على كراهيته فإن لم يكن له ما يقضى به دينه ولاولى يعلم إن مات قضاه عنه فى غيبة الإمام فلا يتعرض للدين .

فصل

قوله تعالى إِذَا تَدَايَنْتُمْ أى إذا دان بعضكم بعضا يقال دانت الرجل إذا عاملته بدين آخذا أو معطيا كما تقول بايعته إذا بيعته أو باعك والمعنى إذا تعاملتم بدين مؤجل فاكْتُبُوهُ . فإن قيل أى حاجة إلى ذكر الدين مع قوله إِذَا تَدَايَنْتُمْ و ما فائدة قوله مُّسَمًّى. قلنا إنما ذكر الدين ليرجع الضمير إليه فى قوله فَاكْتُبُوهُ إذ لو لم يذكر لوجب أن يقال فَاكْتُبُوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولأنه

أبين لتنوع الدين إلى مؤجل وحال وإنما قال مُسَيِّمٌ يَعْلَمُ أن من حق الأجل أن يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والأشهر والأيام و لو قال إلى الحصاد أو الدياس أو رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية. وإنما أمر بكتب الدين لأنه أوثق وآمن من النسيان وأبعد من الجحود والأمر هنا للندب . وعن ابن عباس المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا أباح السلف وقال أشهد أن الله أباح السلم المضمون إلى أجل معلوم في كتابه وأنزل فيه أطول آية. وقيل إنما قال بدين على وجه التأكيد ولا يختص تداينتُم بالدين خاصة دون الدين الذي هو الجزاء وأَجَلٌ مُسَيِّمٌ مَعْلُومٌ . -قرآن- ١٤-٢٨-قرآن- ٢٢٢-٢٣٦-قرآن- ٢٥٣-٢٥٩-قرآن- ٣١١-٣٢١-قرآن- ٤٥٠-٤٥٦-قرآن- ٨٦٥-٨٧١-قرآن- ٨٩٩-٩٠٨-قرآن- ٩٥٠-٩٦٣ [صفحه ٣٧٩] وقوله تعالى فَكُتِبَ عَلَيْكُمُ الْأَقْرَبُ بِالْأَقْرَبِ واختلّفوا في مقتضاه فقال أبو سعيد الخدرى والشعبى والحسن هومندوب إليه وقال الربيع وكعب هوفرض والأول أصح لإجماع أهل عصرنا عليه ولقوله تعالى فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُ كُفْرِكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الْعِلْدَىٰ أَوْثَمًا ومفهومه فإن آمنه فيما له أن يأمنه . وقال الأكثرون حكم الآيه فى كل دين من سلم أو غيره أو تأخير ثمن فى بيع وهو الأقوى لأنه العموم فأما القرض فلا مدخل له فيه لأنه لا يكون مؤجلا والقرض فيه ثواب جزيل وهو أفضل من الصدقه. -قرآن- ١٦-٢٦-قرآن- ٢٠٢-٢٦٦

فصل

ثم قال تعالى وَ لِيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ أى كاتب مأمون على ما يكتبه يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب أن يكتب ولا ينقص فقوله بِالْعَدْلِ مَعْلُومٌ بِكَاتِبٍ صَفَهُ لَهُ . وقيد أن يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلا بالشرع وهو أمر للمبتدئين بتخير الكاتب وأن لا يستكتبوا إلا فقيها دينا ولا يمتنع أحد من الكتاب أن يكتب كتابه الوثائق ولا يغير ولا يبدل . وذكرنا كراهية الدين إلا عند الضرورة. ومن لا يملك شيئا يقضى به دينه فليقبل الصدقة ولا يتعرض للدين لأن الصدقة حق جعلها الله له فى الأموال . وفى هذه الآيه أحد وعشرون حكما إذا تداينتُم محكم فأكتبوه محكم وَ لِيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ مُحْكَمًا بِالْعَدْلِ مُحْكَمًا وَ لَا يَأْتِ كَاتِبُكُمْ وَ لِيَمْلِكَكُمْ وَ لَا يَخْسَحِكُمْ فَإِنْ كَانَ الْعِلْدَىٰ عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا مُحْكَمًا أَوْ ضَعِيفًا مُحْكَمًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ مُحْكَمًا فَلْيَمْلِكْ وَ لِيُهَيِّجْ مُحْكَمًا بِالْعَدْلِ مُحْكَمًا وَ اسْتَشْهِدُوا -قرآن- ١٧-٥٢-قرآن- ١٥٢-١٦٠-قرآن- ٥٧٤-٥٨٨-قرآن- ٥٩٣-٦٠٣-قرآن- ٦٠٨-٦٠٩-قرآن- ٦٢٦-٦٣١-قرآن- ٦٣٩-٦٤٤-قرآن- ٦٤٤-٦٦١-قرآن- ٦٦٦-٦٧٦-قرآن- ٦٨١-٦٩٢-قرآن- ٦٩٧-٧٣٧-قرآن- ٧٤٢-٧٥٣-قرآن- ٧٥٨-٧٧٤-قرآن- ٧٧٩-٧٩٦-قرآن- ٨٠١-٨٠٩-قرآن- ٨١٤-٨٢٧ [صفحه ٣٨٠] حكم شهيد ينحك من رجالكم محكم فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتَانِ مُحْكَمًا مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ مُحْكَمًا وَ لَا يَأْتِ الشَّهَدَاءُ مُحْكَمًا وَ لَا تَسْمُؤُوا مُحْكَمًا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً مُحْكَمًا وَ أَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ مُحْكَمًا وَ لَا يُضَارُّ كَاتِبُكُمْ وَ لَا شَهِيدٌ مُحْكَمٌ . -قرآن- ٥-١٤-قرآن- ١٩-٣١-قرآن- ٣٦-٥٧-قرآن- ٦٢-٩١-قرآن- ٩٦-١١٧-قرآن- ١٢٢-١٣٦-قرآن- ١٤١-١٧٥-قرآن- ١٨٠-٢٠٧-قرآن- ٢١٢-٢٣١-قرآن- ٢٣٦-٢٤٨

فصل

حدث موسى بن بكر قال قال لى أبو الحسن ع من طلب الرزق من حله ليعود به على عياله ونفسه كان كالمجاهد فى سبيل الله فإن غلب عليه فليستدنى على الله وعلى رسوله ما يقوت به عياله فإن مات ولم يقضه كان على الإمام قضاؤه فإن لم يقضه كان عليه وزره إن الله تعالى يقول إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسْكِينِ وَ الْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَ الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَ فِي الرِّقَابِ وَ الْغَارِمِينَ فَهُوَ فَقِيرٌ مَسْكِينٌ مَغْرَمٌ -رواية- ١-٢-رواية- ٢٥-٢٣٧ و عن سلمة قال قلت لأبى عبد الله ع الرجل منا يكون عنده الشيء يتبلغ به و عليه

دين أيطعمه عياله حتى يأتي الله بميسره فيقضى دينه أو يستقرض على ظهره في خبث الزمان وشدة المكاسب أو يقبل الصدقة قال يقضى بما عنده دينه ولا يأكل أموال الناس إلا وعنده ما يؤدى به حقوقهم إن الله تعالى يقول -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-دأمة دارد [صفحه ٣٨١] لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ فلا يستقرض على ظهره إلا وعنده وفاء و لوطاف على أبواب الناس فردوه باللحمه واللمتين والتمرة والتمرتين إلا- أن يكون له ولى يقضى دينه من بعده -رواية-از قبل- ٢٤٢ و هذا مخصص بحال الغيبة فلا ينافى الأول

باب قضاء الدين وحكم المدبر المعسر

اشاره

اعلم أن وجوب قضاء الدين يعلم ضروره ولذلك يعلمه كل عاقل لأنه من الواجبات العقلية و لما كان كذلك بين الله فى كتابه بقوله وَ إِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ فَإِنِ الْمَدِينُ مَتَىٰ كَانَ مَعْسَرًا لَمْ يَجْزِ لِصَاحِبِ الدَّيْنِ مَطَالِبَتَهُ وَالْإِلْحَاحَ عَلَيْهِ بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَرْفُقَ بِهِ وَيَنْظُرَهُ إِلَىٰ أَنْ يَوْسَعَ اللَّهُ عَلَيْهِ . وَأَشَارَ سَبْحَانَهُ مِنْ فَحْوَىٰ آيَةِ إِلَىٰ وَجوب قضاء الدين أيضا إذا طالبه صاحبه إن كان حالا- أو نزل محله لأن معناها و إن وقع غريم من غرمائكم ذو عسره وإعسار فالحكم والأمر نظره وهى من الإنظار إلى ميسره أى إلى يسار ويجوز أن يكون كان ناقصه والتقدير و إن كان ذو عسره غريما لكم أو من غرمائكم إن كان معسرا فعليه نظره. وهل الإنظار واجب فى كل دين أو فى دين الربا فقط قيل فيه ثلاثة أقوال أحدها قال شريح و ابراهيم إنه فى دين الربا خاصة والثانى قال ابن عباس فى كل دين و هو قول أبى جعفر الثالث أن المراد بالآيه يجب فى دين الربا -قرآن- ١٣٣-١٨١ [صفحه ٣٨٢] لأن الكلام متصل بذلك والثانى هو الصحيح لعموم الكلام فى كل دين لأن لكل كلام حكم نفسه و إن نزل فى حكم خاص وسبب مخصوص . واستدل على أنه يجب فى كل دين بأنه لا يخلو إما أن يجب فى ذمته أو فى رقبته أو فى عين ماله فلو كان فى رقبته لكان إذامات بطل وجوبه و لو كان فى عين ماله كان إذاهلك ماله بطل وجوبه فصح أنه فى ذمته و لاسبيل له عليه فى ذلك من جنس أو غيره . والغريم لا يخلو إما أن يكون له شىء أو لا يكون فإن لم يكن له شىء أصلا يجب لصاحب الدين أن لا يلزمه ذلك و لا يحسبه و إن كانت له دار وكانت واسعة كبيرة يستحب لصاحب الدين أن يصبر عليه و إن كان له مال ومطل جاز للحاكم حبسه فإن دافع به أيضا كان له أن يبيع متاعه ويقضى عنه ماوجب عليه . و قوله إلى ميسره معناه إلى أن يوسع الله عليه -قرآن- ٧١٤-٧٢٧ و قال أبو جعفر إلى أن يبلغ خبره الإمام فيقضى عنه من سهم الغارمين إذا كان أنفقه فى معروف و إن كان لا يعلم فى ماذا أنفقه أو علم أنه أنفقه فى معصية لم يجب عليه القضاء عنه بل إذا وسع الله عليه قضى عن نفسه -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٢٢٩ . ويجوز أن يعطى من سهم الفقراء والمساكين شىء ويقضى هو به دينه .

فصل

ثم قال تعالى وَ أَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ مَعْنَاهُ وَ تَصَدَّقُوا عَلَى الْمَعْسَرِ بِمَا عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ خَيْرٌ لَكُمْ . -قرآن- ١٧-٤٥ [صفحه ٣٨٣] وَ أَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ مَعْنَاهُ إِلَىٰ أَنْ يَتَصَدَّقُوا بِرِءُوسِ أَمْوَالِكُمْ وَ بَدْيُونِكُمْ كُلِّهَا عَلَىٰ مَنْ أَعْسَرَ مِنْ غَرْمَائِكُمْ أَوْ بَعْضُهَا لِقَوْلِهِ وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ . وقيل أريد بالتصدق الإنظار -قرآن- ١-٢٩-قرآن- ١٢٢-١٥٢ لقوله ع لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره إلا

كان له بكل يوم صدقته -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٦٩ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ فَعْمَلُوا بِهِ جَعَلَ مِنْ لَا يَعْلَمُ بِهِ وَإِنْ عِلْمُهُ كَانَ لَا يَعْلَمُهُ وَالصَّدَقَةُ أَحْسَنُ لِقَوْلِهِ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثْمَالِهَا وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ -قرآن- ١-٢١-قرآن- ١١٣-١٥٦-قرآن- ١٥٧-١٨٧ وسأل أبا الحسن الرضاع رجل فقال إن الله تعالى يقول وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ أَخْبِرْنِي عَنْ هَذِهِ النَّظِرَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ لَهَا حَدٌّ يَعْرِفُ بِهِ إِذَا صَارَ الْمَعْسَرُ إِلَيْهِ لَا يَبْدُلُهُ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ وَقَدْ أَخَذَ مَالَ هَذَا الرَّجُلِ وَأَنْفَقَهُ عَلَىٰ عِيَالِهِ وَ لَيْسَ لَهُ غَلَةٌ يَنْتَظِرُ إِدْرَاكَهَا وَ لِأَدِينٍ يَنْتَظِرُ مَحَلَّهُ وَ لِأَمَالٍ غَائِبٍ يَنْتَظِرُ قُدُومَهُ قَالَ نَعَمْ يَنْتَظِرُ بِقَدْرِ مَا يَنْتَهَىٰ خَبْرُهُ إِلَىٰ الْإِمَامِ فَيَقْضِي عَنْهُ مَا عَلَيْهِ مِنْ سَهْمِ الْغَارِمِينَ إِذَا كَانَ أَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَ إِنْ كَانَ أَنْفَقَهُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَلَا شَيْءَ لَهُ عَلَىٰ الْإِمَامِ قِيلَ فَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ فِيمَا أَنْفَقَهُ أَوْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ أَمْ فِي مَعْصِيَتِهِ قَالَ يَسْعَىٰ لَهُ فِي مَالِهِ فَيُرَدُّ عَلَيْهِ وَ هُوَ صَاغِرٌ -رواية- ١-٢-رواية- ٣-٦١٧

باب القرض

قال الله تعالى إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ لِكَمَالِ آيَةِ الْقُرْآنِ -١٩-٨٥ [صفحة ٣٨٤] القرض على ماروي بثمانية عشر والآية تدل على زيادة فضله على الصدقة. والمراد إن ترضوا أيها الأغنياء الفقراء الذين هم أولياء الله لأنه تعالى هو الغني على الحقيقة لا يحتاج إلى شيء. وقال الصادق ع في قوله تعالى لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ قَالَ يَعْنِي بِالْمَعْرُوفِ الْقَرْضَ وَإِنَّمَا حَرَّمَ الرَّبُّ لِيَتَقَارَضَ النَّاسَ -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-١٧٢ قال أبو جعفر ع من أقرض قرضا إلى ميسرة كان ماله في زكاة و كان هو في صلاة من الملائكة حتى يقضيه -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-١٠٤ . و إذا أقرض إنسان مالا فرد المستقرض عليه أجود منه من غير شرط لم يكن به بأس وكذلك إن رد عليه زيادة على ما أخذ من غير شرط لقوله تعالى وَ إِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها -قرآن- ١٤١-٢٠٤

باب قضاء الدين عن الميت

قال الله تعالى مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ .يَجِبُ أَنْ يَقْضِيَ الدَّيْنَ عَنِ الْمَيِّتِ مِنْ أَصْلِ تَرْكِهِ وَ هُوَ أَوْلَىٰ مَا يَبْدَأُ بِهِ بَعْدَ الْكُفَنِ ثُمَّ تَلِيهِ الْوَصِيَّةُ . فَإِنْ قِيلَ لَمْ قَدِمَتِ الْوَصِيَّةُ عَلَى الدَّيْنِ فِي الْآيَةِ وَالِدَيْنِ مُقَدَّمٌ عَلَيْهَا فِي الشَّرِيعَةِ . قُلْنَا لِمَا كَانَتِ الْوَصِيَّةُ مُشَبَّهَةً لِلْمِيرَاثِ فِي كَوْنِهَا مَأْخُودَةً مِنْ غَيْرِ عَوْضٍ كَانَ -قرآن- ١٩-٥٩ [صفحة ٣٨٥] إخراجها مما يشق على الورثة ويتعاضدهم فكان أداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فإن نفوسهم مطمئنة إلى أدائه فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة إلى إخراجها بعد الدين . وقضاء الدين عند حلول الأجل إنما يجب مع المطالبة فمن مات و عليه دين مؤجل حل أجل ما عليه ولزم ورثته الخروج عما كان عليه من ماله وتركته وكذلك إن كان له دين مؤجل حل أجل ماله و جاز للورثة المطالبة به في الحال . ومطل الدين ودفعه مع القدرة ظلم فمن عليه دين لا ينوي قضاءه كان بمنزلة السارق و إذا كان عازما على قضائه أعانه الله عليه و كان له بذلك أجر كبير فإن حضرته الوفاة أوصى إلى من يثق به أن يقضى عنه . وإنما قدم الله الوصية على الدين في القرآن في الآيتين في سورة النساء مع وجوب البداية بالدين ثم بالوصية على ما أمر به على لسان رسوله لأن أولا يوجب الترتيب لأنه لأحد الشيين فكأنه قال من بعد أحد هذين مفردا أو مضموما إلى الآخر ولأن وجوب رد الدين يعلم عقلا فقدم الله في اللفظ الوصية عليه إشعارا بأنه أيضا واجب و أن إخراج الدين من أصل التركة وإخراج الوصية من ثلثها على أن الوصية أعم من الدين فحسن تقديمها لفظا فإن الدين يدخل فيها فالمحتضر يوصي بدينه والغالب من أحوال من يحضره الموت الوصية والدين لا يكون إلا نادرا

و هو من توابع الدين وغيره فربما يضطر فيه إليه . قال الله تعالى فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ . -قرآن- [صفحہ ۳۸۶] ۱۳۷-۷۱ و هذا على العموم فالصلح جائز بين المسلمين ما لم يؤدي إلى تحريم حلال أو تحليل حرام . وقال تعالى لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ . فعلى هذا إذا كان لرجلين لكل واحد عند صاحبه شيء معين لهما ذلك أو لم يتعين فاصطلحا على أن يتتاركا ويتحللا كان جائزا وكذلك من كان له دين على غيره آجل فيقضى عنه شيئا وسأل تعجيل الباقي كان سائغا لقوله تعالى إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا . والشريكان إذا تقاسما واصطلحا على أن يكون الربح والخسران على واحد منهما ويرد على الآخر رأس ماله على الكمال أيضا جائز لقوله تعالى فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا . وهذه الآيات كلها بعمومها تدل على كل صلح لا يخالف الشريعة . والصلح ليس بأصل في نفسه وإنما هو فرع على العين و هو على خمسة أضرب -قرآن- ۱۰۳-۲۰۲-قرآن- ۴۲۳-۴۶۸-قرآن- ۶۰۷-۶۲۷

قال تعالى حكاية عن يعقوب لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ وقول ولده ليوست فخذ أهدنا مكانه و ذلك كفالة البدن . واعلم أن الكفالة بالنفس والمال في الشرع جائزة ولا تصح إلا بالأجل و إن -قرآن- ۲۸-۶۸-قرآن- ۸۸-۱۱۰ [صفحہ ۳۸۷] كانت الكفالة ندامة وغرامة قال تعالى وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلٌ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ أى كفيل به وضمن له وأنشد . -قرآن- ۳۹-۹۲ فلست بأمن فيها بسلم || ولكنى على نفسى زعيم . وإنما قال وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ وقوله ذكر جمع قالوا نَفَقْدُ صُوعِ الْمَلِكِ لِأَنَّ زَعِيمَ الْقَوْمِ يَتَكَلَّمُ عَنْهُمْ . -قرآن- ۱۳-۳۳-قرآن- ۵۰-۷۹ وسأل أبا عبد الله ع أبو العباس عن الرجل يكفل بنفس الرجل إلى أجل فإن لم يأت به فعليه كذا وكذا قال إن جاء به إلى أجل فليس عليه مال و هو كفيل بنفسه أبدا إلى أن يبدأ بالدراهم فإن بدأ بالدراهم فهو له ضامن إن لم يأت به إلى الأجل الذى أجله -رواية- ۱-۲-رواية- ۳-۲۶۳ . بيان ذلك أن من ضمن غيره إلى أجل فإن لم آت به كان على كذا وحضر الأجل لم يلزمه إلا إحضار الرجل و إن قال على كذا إلى كذا إن لم أحضر فلانا ثم لم يحضره وجب عليه ما ذكره من المال . و إذا تكفل رجل ببدن رجل لرجل عليه مال أو يدعى عليه مالا ففى الناس من قال يصح ضمانه وفيهم من قال لا يصح ضمانه والأول أقوى للآية التى تقدمت

هى عقد من العقود يجب الوفاء به لقوله تعالى أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ووجوب الوفاء يدل على جوازه . -قرآن- ۴۷-۶۵ [صفحہ ۳۸۸] و قال النبى ص إذا حيل أحدكم على ملى فليحتل -رواية- ۱-۲-رواية- ۲۰-۵۴ . وأجمعت الأمة على جواز الحوالة و إن اختلفوا فى مسائل منها . والحوالة مشتقة من تحويل الحق من ذمة إلى ذمة يقال أحاله بالحق عليه تحيله واحتال قبل الحوالة . والحوالة إنما تصح فى الأموال التى هى ذوات أمثال و لا تصح إلا بشرطين اتفاق الحقين فى الجنس والنوع والصفة و أن يكون الحق مما يصح فيه أخذ البديل قبل قبضه . و قد بينا أن الضمان جائز للكتاب والسنة فالكتاب ماتلوناه من سورة يوسف من قوله وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ . و ليس لأحد أن يقول إن الحمل مجهول لا يصح الكفالة به والضمان فيه و ذلك أن الحمل حمل بعير و هو ستون وسقا عند العرب . وأيضا فإنه مال الجعالة و ذلك عندنا يصح ضمانه لأنه يؤول إلى اللزوم و من لم يجز ضمان مال الجعالة و ضمان مال المجعول

قال أخرج ذلك بدليل والظاهر يقتضيه . -قرآن- ٤١٢-٤٣٢ وخطب النبي ع يوم فتح مكة فقال في خطبته العارئة مؤداة والمنحة مردودة والدين مقضى والزعيم غارم -روایت- ١-٢-٣-١٠٧ يعنى الكفيل يغرّم . فإذا ثبت صحة الضمان فمن شرطه وجود ثلاثة أشخاص ضامن ومضمون له ومضمون عنه و ليس من شرط الضمان معرفتهما والله أعلم

باب الوكالة

إشارة

قال الله تعالى حكاية عن أصحاب الكهف فابعثوا أحدكم بورككم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أركى طعاماً فليأتكم برزق منه أى قال بعضهم لبعض ابعثوا -قرآن- ٤١-١٥٣ [صفحہ ٣٨٩] من يتصرف لكم فى البيع والشراء فلما قبل المبعوث القيام بما وكلوه إليه وضمن ما وكلوه فيه فقد صار وكيلاً لهم ويصح شراؤه وبيعه . وقال تعالى فلما جاوزا قال لفتاة آتنا خداءً لقد لقينا من سفرنا هذا نصيباً . والفتى الرجل الشاب وإنما أضيف موسى لأنه كان يخدمه ويكل هو إليه كثيراً من أموره الدنياوية وموكله فيها والعرب تسمى خادم الرجل ووكيله فتاه وإن كان شيخاً . والوكالة يعتبر فيها شرط الموكل إن شرط فى خاص من الأشياء لم يجوز له فيما عداه ألا ترى إلى قوله فلينظر أيها أركى طعاماً . وقوله أركى طعاماً أى أنمى بأنه طاهر حلال لأن أهل تلك المدينة كان أكثرهم كفاراً وقت خروجهم منها كانوا يذبحون للأوثان وهم أرجاس فأشاروا بأن لا يشتري غير الطعام الطاهر ولا يتلطف فى شرائه وإخفاء أمره ولا يشعرون بكم أحداً وإن ظهر عليه فلا يوقعن إخوانه فيما وقع هو فيه . وإن شرط الموكل أن تكون الوكالة عامة كان هو الوكيل على العموم . -قرآن- ١٥١-٢٣٢ -قرآن- ٤٩٧-٥٢٦ -قرآن- ٥٣٦-٥٤٨ -قرآن- ٧٠٨-٧٢٠ -قرآن- ٧٤٤-٧٧٢ وروى عن جابر أنه قال أردت الخروج إلى حنين فأتيت رسول الله ص وقلت إنى أريد الخروج إلى حنين فقال ع إذا أتيت وكيلى فخذ منه خمسة عشر وسقاً فإن ابتغى منك آية فضع يدك على ترقوته -روایت- ١-٢-روایت- ٢٧-١٩٦ فأثبت ع لنفسه وكيلاً . وكل ع أيضاً حكيم بن حزام فى شراء شاء . و من وكل غيره فى مطالبته أو محاكمته وقبل الغير ذلك منه صار وكيله يجب [صفحہ ٣٩٠] له ما يجب لموكله ويجب عليه ما يجب على موكله إلا ما يقتضيه الإقرار من الحدود والآداب والإيمان .

فصل

و من وكل رجلاً -على إمضاء أمر من الأمور فالوكالة ثابتة أبداً حتى يعلمه بالخروج منه كما أعلمه بالدخول فيه و عن عمر بن حنظلة عن أبى عبد الله ع فى رجل قال لآخر اخطب لى فلانة فما فعلت فى شىء من صداق أو ضمننت من شىء أو شرطت فذلك رضائى و هو لازم لى و لم يشهد على ذلك فذهب فخطب له وبذل عنه الصداق و غير ذلك مما طالبوه وسألوه فلما رجع إليه أنكر هو ذلك كله قال يغرّم لها نصف الصداق عنه و ذلك أنه هو الذى ضيع حقها لما لم يشهد عليه بذلك الذى قال له وحل لها أن تتزوج و لا يحل للأول فيما بينه و بين الله أن يطلقها لأن الله يقول فإمساک بمرعوفٍ أو تسريح بإحسانٍ فإن لم يفعل فإنه مأثوم فيما بينه و بين الله -روایت- ١-٢-روایت- ٤٣-٥٥٠ . و لا يجوز لحاكم أن يسمع من متوكل لغيره إلا بعد أن تقوم له عنده البينة بثبوت وكالته عنه . وسئل ع عن رجل قبض صداق بنته من زوجها ثم مات هل لها أن تطالب زوجها بصداقها أو قبض أביها قبضها فقال ع إن كانت وكلته بقبض صداقها من زوجها فليس لها أن تطالبه و إن لم تكن وكلته فلها ذلك ويرجع الزوج على

ورثه أبيها بذلك إلا- أن تكون صبيته في حجره فيجوز لأبيها أن يقبض عنها -روایت- ۱- ۲- روایت- ۳- ۲۹۴ . [صفحه ۳۹۱]
ومتى طلقها قبل الدخول فعفى عن بعض المهر من له العفو جاز ذلك و ليس له أن يعفو عن جميع المهر و هو الذى بيده عقده
النكاح من أحد ثلاثه و ذلك قوله إلا أن يعفون أو يعفوا الذى بيده عقده النكاح يعنى الأب والجد مع وجود الأب و الذى توكله
المرأة وتولى أمرها من الجد مع عدم الأب أو أخ أو قرابه أو غيرهما . قرآن- ۱۵۷- ۲۲۰

فصل

فإذا ثبت جواز الوكالة بالكلام بعد فى بيان مايجوز التوكيل فيه و ما لايجوز ونأتى به على كتب الفقه . فالطهارة لا يصح التوكيل
فيها و إذا استعان بغيره فى صب الماء عليه على كراهه فيه أو غسل أعضائه على خلاف فيه لأن عندنا لايجوز ذلك مع القدرة
وينوى هوبنفسه رفع الحدث مع الضرورة و ذلك ليس بتوكيل وإنما هو استعانه على فعل عباده . والصلاة لايجوز التوكيل فيها و
لايدخلها النيابة مادام هو حيا إلا ركعتى الطواف تبعا للحج . والزكاة يصح التوكيل فى إخراجها عنه و فى تسليمها إلى أهل
السهمان ويصح من أهل السهمان التوكيل فى قبضها . والصيام لا يصح التوكيل فيه و لايدخله النيابة مادام حيا فإذا مات و عليه
الصوم أطعم عنه و ليه أو صام عنه فى الموضع الذى وجب عليه و فرط فيه وكذا فى الصلاة على بعض الوجوه . والاعتكاف
لا يصح التوكيل فيه بحال و لايدخله النيابة بوجه . [صفحه ۳۹۲] والحج لايدخله النيابة مع القدرة عليه بنفسه فإذا عجز عنه بزمانه
أوموت أو منع دخلته النيابة . والبيع يصح فيه التوكيل مطلقا فى إيجابه وقبوله و تسليم المال فيه و تسلمه . وكذا يصح التوكيل فى
عقد الرهن و فى قبضه . و لا يتصور التوكيل فى التفليس . و أما الحجر فللحاكم أن يحجر بنفسه و له أن يستنيب غيره فيه .
والصلح فى معنى البيع يصح التوكيل فيه . والحواله يصح فيها التوكيل وكذا فى عقد الضمان والشركة . ويصح أيضا التوكيل فى
الوكالة فيوكل رجلا فى توكيل آخر عنه . والإقرار هل يصح فيه التوكيل أم لا فيه خلاف . والعارية يصح فيها التوكيل لأنها هبة
منافع . والغصب لا يصح التوكيل فيه فإذا وكل رجل فى الغصب فغصبه فالحكم يتوجه على الذى باشر الغصب كما يتوجه عليه
بأن لو غصبه بغير أمر أحد . والشفعة يصح التوكيل فى المطالبة بها . وكذا يصح فى القراض والمساقاة والإجارة وإحياء الموات .
وكذا التوكيل فى العطايا والهبات والوقف . و لا يصح التوكيل فى الالتقاط فإذا وكل غيره فى الالتقاط لقطه تعلق الحكم بالملتقط
لا بالآمر و كان الملتقط بها أولى . والميراث لا يصح التوكيل فيه إلا- فى قبضه واستيفائه . والوصايا يصح التوكيل فى عقدها
وقبولها . والوديعة يصح التوكيل فيها أيضا . [صفحه ۳۹۳] وقسم الفىء للإمام أن يتولى قسمته بنفسه و له أن يستنيب غيره فيه .
والصدقات حكمها حكم الزكوات و قد قلناه . والنكاح يصح فيه التوكيل فى الولى والخاطب وكذا التوكيل فى الصدقات يصح
أيضا ويصح التوكيل فى الخلع لأنه عقد بعوض و لا يصح التوكيل فى القسم بين الزوجات لأن الوطاء يدخل فيه فلانباية فيه . و
أما الطلاق فيصح التوكيل فيه يطلق عنه الوكيل مع غيبته والرجعة فيها خلاف و لا يمتنع أن يدخلها التوكيل . والرضاع لا يصح فيه
التوكيل لأنه يختص بالمرضع والمرضع . والنفقات يصح التوكيل فى طرفها إلى من يجب و لا يصح التوكيل فى الإيلاء
والظهار واللعان لأنها أيمان . والعدد لايدخلها النيابة و لا يصح فيها التوكيل والجنايات لا يصح فيها التوكيل فكل من باشر الجناية
تعلق به حكمها . والقصاص يصح فى إثباته التوكيل و لا يصح فى استيفائه يحضره الولى ويصح فى غيبته عندنا . والديات يصح
التوكيل فى تسليمها وتسلمها . والقسامه لا يصح فيها التوكيل لأنها أيمان . والكفارات يصح التوكيل فيها كما يصح فى الزكوات .
وقتل أهل البغى للإمام أن يستنيب فيه . والحدود للإمام أيضا أن يستنيب فى إقامتها و لا يصح التوكيل فى تشييتها لأنه لا تسمع
الدعوى فيها . [صفحه ۳۹۴] و حد القذف حق الآدميين حكمه حكم القصاص يصح التوكيل فيه . والأشربة لا يصح التوكيل

فيها فكل من شرب الخمر فعليه الحد دون غيره . والجهد لا يصح النياية فيه بحال لأن كل من حضر الصف توجه فرض القتال وكيلا كان أو موكلا و قدروى أصحابنا أنه يدخله النياية على بعض الوجوه والأقوى أن لا يدخل الجزية التوكيل . والذبح يصح التوكيل فيه . وكذا السبق والرماية لأنه إجارة أو جعل وكلاهما يدخل فيه التوكيل . والإيمان والنذور لا يصح التوكيل فيها . والقضاء يصح النياية فيه . وكذا في الشهادات يصح الاستنابة فيها فتكون شهادة على شهادة و ليس ذلك بتوكيل . والدعوى يصح التوكيل فيها لأن كل أحد لا يكمل للمخاصمة والمطالبة . والعق والتدبير والكتابة يصح التوكيل فيها

باب اللقطة والضالة

قال الله تعالى وَ الْقُوَّةُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ . والأصل في ذلك السنة ويمكن الاستدلال عليها من القرآن بما تلونهاها وبقوله تعالى فَالْتَقِطْ آلَ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا . و كل ما يلتقط من الآدميين فحكمه أن يكون حرا سواء وجد في دار الإسلام أو في دار الحرب . فأما اللقطة فإنه يجوز أخذ كل ما كان قيمته دون الدرهم منها من غير ضمان -قرآن- ١٩-٧٨- قرآن- ١٦٤-٢٢٣ [صفحہ ٣٩٥] ولا تعريف وكذا ما يوجد في موضوع خرب مدفونا لا من أثر أهل الزمان و على خلافه ما يوجد في الحرم . و ما يجده الإنسان في غير الحرم و كان درهما فما فوقه فإنه يجب تعريفه سنة فإن لم يجئ صاحبه كان كسبيل ماله إلا أنه يكون ضامنا له متى جاء صاحبه . والشاة متى وجدها في بريء فليأخذها و هو ضامن لقيمتها فإن وجدها في العمران حبسها ثلاثة أيام فإن جاء صاحبها و إلتصدق بها عنه

باب الزيادات

اشارة

أما معنى قوله فَالْتَقِطْ في آية المعاملة بالدين أى فكتبوا الدين في صك كىلا يقع فيه جحود أو نسيان وليكون ذلك نظرا للذى عليه الحق وللذى له الحق وللشهود فوجه النظر للذى عليه الحق أن يكون أبعد به من الجحود فلا يستوجب النعمة والعقوبة ووجه النظر للذى له الحق أن يكون حقه موثوقا بالصك والشهود فلا يضيع حقه ووجه النظر للشهود أنه إذا كتب خطه كان ذلك أقوم للشهادة وأبعد من السهو وأقرب إلى الذكر . -قرآن- ١٦-٢٦

مسألة

روى عن أبان عن محمد بن مسلم عن أبى جعفر في الرجل يكون عليه دين إلى أجل مسمى فيأتيه غريمه و يقول أنقذنى من الذى لى كذا وكذا وأضح لك بقيته أو يقول أنقذنى بعضا وأمد لك في الأجل فيما بقى فقال لا أرى بأسا ما لم يزد على رأس ماله شيئا يقول الله تعالى فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ -رواية- ١-٢-رواية- ٥١-٣٣٥ . [صفحہ ٣٩٦]

مسألة

و عن الصادق ع و قد سأله يزيد العجلي أن على ديننا لايتام وأخاف إن بعث ضيعتى بقيت و ما لى شىء فقال لا تبع ضيعتك ولكن أعط بعضاً وأمسك بعضاً -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-١٥٢ و عن سماعة بن مهران فيمن عليه الدين قال يقضى بما عنده دينه و لا يأكل أموال الناس إلا وعنده ما يؤدى إليهم حقوقهم إن الله تعالى يقول وَ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤-١٩٥

مسألة

و عن الصادق ع أفضل ما يستعمله الإنسان فى اللقطة إذا وجدها أن لا يأخذها و لا يتعرض لها فلو أن الناس تركوا ما يجدونه لرجاء صاحبه وأخذه -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-١٤١ وسئل عن الأضحى يوجد فى جوفها جوهر أو غيره من المنافع فقال ع عرفها البائع فإن لم يعرفها فالشئ لك رزقك الله إياه -رواية- ١-٢-رواية- ٣-١٢٥ . و أما ما يكون حكمه حكم اللقطة فقد سئل ع عن أودعه اللص سرقة و لا خوف على المودع فيه فقال لا يردها عليه فإن أمكنه أن يردها على صاحبها فعل و إلا كان فى يده بمنزلة اللقطة يعرفها حولا فإن أصاب صاحبها و إلتصدق بها عنه -رواية- ١-٢-رواية- ٣-٢٠١ [صفحہ ٣٩٧]

كتاب الشهادات

إشارة

لا يجوز للشاهد أن يشهد حتى يكون عالماً بما يشهد به حين التحمل و حين الأداء لقوله تعالى وَ لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ و قال إِيَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ -قرآن- ٩١-١٢٦-قرآن- ١٣٤-١٥٨ و قال ابن عباس سئل رسول الله ع عن الشهادة فقال هل ترى الشمس فقال نعم قال على مثلها فاشهد أودع -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-١٠٩ . و ما يصير به عالماً من وجوه ثلاثة سماعاً أو مشاهدةً أو بهما. أما ما يقع له به مشاهدة فالأفعال كالغصب والسرقة والقتل والقطع والرضاع والولادة واللواط والزنا و شرب الخمر فله أن يشهد إذا علم الشاهد و لا يصير به عالماً بغير مشاهدة. و أما ما يقع العلم به سماعاً فثلاثة أشياء النسب والموت والملك المطلق . و أما ما يحتاج إلى سماع و إلى مشاهدة فهو كالشهادة على العقود كالبيع والسلم والصلح والإجازات والنكاح ونحو ذلك لا بد فيها من مشاهدة المتعاقدين [صفحہ ٣٩٨] و سماع كلام العقد منهما لأنه لا يمكن تحمل الشهادة قطعاً إلا كذلك . و ليس عندنا عقد من العقود من شرطه الشهادة أصلاً عند الفقهاء كذلك إلا النكاح وحده و أما الطلاق فمن شرطه إظهار رجلين عدلين فى مجلس واحد. و قال داود الشهادة واجبة على البيع لقوله تعالى وَ أَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ -قرآن- ٢٦٠-٢٨٧ و لقوله ع ثلاثة لا يستجاب لهم دعوة من باع و لم يشهد و رجل دفع ماله إلى سفيه و رجل له امرأة فيقول اللهم خلصنى منها و لا يطلقها -رواية- ١-٢-رواية- ١٤-١٣٧ . و عندنا الآية والخبر يحملان على الاستحباب

باب تعديل الشهود و من تقبل شهادته

إشارة

قال الله تعالى وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ أى اطلبوا أن يشهد لكم شهيدان من رجالكم من رجال المؤمنين والمعنى بالغوا فى طلب من يعلم بتعاملكم و هو شهيدان أى رجلان من أهل الفضل والعدل لكى إن اختلفتم بينا الحق من الباطل بما عرفاه من قبل . والشهادة العلم والسين للطلب والسؤال و قال شَهِيدَيْنِ و لم يقل رجلين ليستغنى عن ذكر عدلين لأنه تعالى قال وَ اسْتَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ. والشهيد اسم للرجل العدل و هو أبلغ من شاهد والعدل هو من ظاهره ظاهر الإيمان ويعرف باجتنا الكبائر ويعرف بالصلاح والعفاف حافظا على الصلوات . و قال مجاهد فى قوله تعالى مِنْ رِجَالِكُمْ أى من رجالكم الأحرار المسلمين - قرآن-١٩-٥٧-قرآن-٣١٤-٣٢٣-قرآن-٣٨٢-٤١٣-قرآن-٥٩٣-٦٠٥ [صفحہ ٣٩٩] دون الكفار والعبيد و قال شريح والبستي و أبو ثور الحرية ليست شرطا فى قبول الشهادة وعندنا هذا هو الصحيح وإنما الإسلام شرط مع العدالة. و لم يقل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فى ذلك إشعارا بأن الإِشهاد كما يعتبر فى الدين والسلم يراعى فى أشياء كثيرة.

فصل

ثم قال تعالى فَإِنْ لَمْ يَكُنَا رَجُلَيْنِ أى فإن لم يكن الشهدان رجلين يعنى إن لم يحضر من يستأهل أن يكون شهيدا من جملة الرجال رجلين فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتَانِ أى فليشهد رجل وامرأتان . والحكم بالشاهد والمرأتين يختص بما يكون مالا أو المقصود به المال فأما الحدود التى هى حق الله و حقوق الأدميين و ما يوجب القصاص فلا يحكم فيها بشهادة رجل وامرأتين إلا فى الرجم وحد الزناء والدم خاصة لئلا يبطل دم امرئ مسلم فإنه إذا شهد ثلاثة رجال وامرأتان على رجل بالزناء وجب عليه الرجم إن كان محصنا و إن شهد بذلك رجلان وأربع نسوة لا يرمى المشهود عليه بل يحد حد الزانى و إن شهد رجل وست نسوة بذلك جلدوا كلهم حد القذف . ويجوز شهادة رجل وامرأتين على رجل بالجرح أو القتل غير أنه لا يثبت بشهادتين القود ويجب بها الدية على الكمال فأما شهادتهن بذلك على الانفراد فإنها لا تقبل على حال . وتقبل شهادتهن فى الديون ونحوها على ما ذكرناه مع الرجال و على الانفراد. وكذلك عندنا فى الشاهد واليمين حكم الشاهد والمرأتين سواء و هذا فى الدين ونحوه مما القصد به المال خاصة. و من شجون الحديث -قرآن-١٧-٤٣-قرآن-١٤٥-١٦٦ ماروى أن أباحنيفة سأل جعفر بن محمد ع -رواية-١-٢-رواية-١٠-ادامه دارد [صفحہ ٤٠٠] عن شاهد واحد واليمين فقال تقبل شهادة واحد ويحلف مع ذلك صاحب الدين ويقضى له به فقال أبوحنيفة كلام الله وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ وَ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتَانِ فقال ع وهل فيه أنه لا يجوز اليمين مع شاهد واحد فانقطع ثم قال ع و أنت تحير الحكم فيما هو أعظم منه برجل واحد فقط إذ اعرف من يشهد شهودا على نفسه وهم لا يعرفونه فلم يحر جوابا -رواية-از قبل-٣٦٥ . و لا يجوز أن يشهد الإنسان إلا على من يعرفه فإن أشهد على من لا يعرفه فليشهد بتعريف من يتق الله رجلين مسلمين و إذا أقام الشهادة أقامها كذلك وفحوى الآية تدل على ذلك . و قوله فَإِنْ لَمْ يَكُنَا رَجُلَيْنِ التقدير فإن لم يكن رجلين لكنه ثنى لما تقدم ذكر الشهدين و لو قال فإن لم يكونا لكفى من ذكر الرجلين لكنه أعاد ذكر الرجلين توكيدا وتثبيتا. و فى الضمير الذى فى كانا فائدة و هو أن يكون كناية عن شهيدين و لو قال فإن لم يكن لجوز السامع ألا- تكون العدالة معتبرة هاهنا. ونحوه قوله فَإِنْ كَانَا اثْنَيْنِ ثم قال فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتَانِ أى فليكن رجلا وامرأتان و لا بد من تقدير حذف المضاف أى فليحدث شهادة رجلين أو امرأتين أو فليكن قاله أبو على . -قرآن-١٨٦-٢١٢-قرآن-٥٠٤-٥٢٦-قرآن-

وقوله تعالى مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ أَي مِمَّن تعرفون عدالتهم أن تَضِلَّ إحداهما أي أن لا تهتدى إحداهما للشهادة بأن تنسأها من ضل الطريق إذا لم يهتد له وانتصابه على أنه مفعول له أي إرادة أن تضل . فإن قيل كيف يكون ضلالها مراداً لله . -قرآن- ١٦-٤٥-قرآن-٧١-٩٠ [صفحه ٤٠١] قيل لما كان الضلال سبباً للإذكار والإذكار مسبباً عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب بمنزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت إرادة الضلال المسبب عنه الإذكار عنه إرادة للإذكار فكأنه قيل إرادة أن تذكر إحداهما الأخرى أن ضلت ونظيره قولهم أعددت الخشب أن يميل الحائط فأدعمه وأعددت السلاح أن يجيء عدو فأدفعه . وقوله تعالى مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ فِيهِ ذِكْرٌ يَعُودُ إِلَى الموصوفين اللذين همافَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ وَلا يجوز أن يكون فيه ذكر للشهيد المقدم ذكرهما لاختلاف إعراب الموصوفين أ لا ترى أن شَهِيدَيْنِ مَنصُوبَانِ وَفَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ إعرابهما الرفع وإذا كان كذلك علمنا أن الوصف الذي هو ظرف إنما هو وصف لقوله فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ من تقدم ذكرهما من الشهيدين . وقوله أن تَضِلَّ لا يتعلق بقوله وَاسْتَشْهَدُوا ولكن يتعلق أن بفعل مضمير يدل هو عليه أي واستشهدوا رجلاً وامرأتين أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى وقيل تقديره فرجل وامرأتان ويكون يشهدون خبر المبتدأ والمفعول الثاني من ذكر محذوف تقديره فتذكر إحداهما الأخرى شهادةً لهما . وقراءة حمزة على الشرط إن تضل إحداهما فتذكر إحداهما بالرفع والتشديد كقوله وَ مَن عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَالشَّرْطُ وَالْجَزَاءُ وَصَفُ الْمَرَأَتَيْنِ لِأَنَّ الشَّرْطَ وَالْجَزَاءَ جَمْلَةٌ يَوْصَفُ بِهَا كَمَا يَوْصَلُ بِهَا فِي قَوْلِهِ الْمَدِينِ إِنْ مَكَّنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ الْآيَةَ . وقال أبو عبيدة معنى أن تَضِلَّ أن تنسى نظيره فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ أَي نَسِيتُ وَجِهَ الْأَمْرَ . -قرآن- ٣٤٢-٣٧١-قرآن-٤١٢-٤٣٣-قرآن-٥٢٥-٥٣٤-قرآن-٥٤٥-٥٦٦-قرآن-٦٤٦-٦٦٧-قرآن-٧١٠-٧١٩-قرآن-٧٣٦-٧٤٩-قرآن-١٠٦٣-١٠٩٨-قرآن-١١٨٦-١٢٢٠-قرآن-١٢٤٩-١٢٥٨-قرآن-١٢٧٥-١٣١٤ [صفحه ٤٠٢]

فصل

و من بدع التفاسير فَنَدَّكَرُ أَي فَتَجْعَلُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ذِكْرًا يَعْنِي أَنَّهُمَا إِذَا اجْتَمَعَا كَانَتْ بِمَنْزِلَةِ الذِّكْرِ وَالْمَعْنَى إِنْ لَمْ يَحْضُرْ رَجُلَانِ مِنَ الشَّهَدَاءِ الَّذِينَ خَبِرَتْ أَحْوَالَهُمْ فَحَمَدَتْ أَحْوَالَهُمْ بِالْكَفِّ عَنِ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ وَاجْتِنَابِ شَرْبِ الْخَمْرِ وَالزِّنَاءِ وَالرِّبَا وَعُقُوقِ الْوَالِدِينَ وَغَيْرِ ذَلِكَ يَسْتَرُونَ عِيُوبَهُمْ وَيَتَعَاهَدُونَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ وَيَتَوَفَّرُونَ عَلَى حُضُورِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ غَيْرِ مُتَخَلِّفِينَ عَنْهُمْ إِلَّا الْمَرَضَ أَوْ عِلَّةً أَوْ عَذْرًا يَسْتَشْهَدُ رَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِنَ الشَّهَدَاءِ الَّذِينَ وَصَفْنَاهُمْ لَكِي إِنْ نَسِيتُ إِحْدَى الْمَرَأَتَيْنِ ذَكَرْتَهُمَا الْأُخْرَى وَ لَمْ يَوْجِبْ هَذَا الْحُكْمُ فِي الرِّجَالِ لِأَنَّهُمْ مِنَ النِّسْيَانِ أَبْعَدُ وَ إِلَى التَّحْفِظِ وَالتَّقِيظِ أَقْرَبُ . وَ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ فِي أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا إِنْ الْمُرَادُ أَنْ تَنْسَى إِحْدَى الْبَيْنَتَيْنِ تَذَكَّرَهَا شَهَادَةَ الْأُخْرَى فَيَكُونُ الْكَلَامُ عَامًا فِي الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَ هَذَا صَحِيحٌ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقِيمَ الْإِنْسَانُ شَهَادَةَ إِلَّا عَلَى مَا يَعْلَمُ وَ لَا يَعُولُ عَلَى مَا يَجِدُ بِهِ خَطَهَ فَإِنْ وَجَدَ خَطَهَ مَكْتُوبًا وَ لَمْ يَذَكَرْ الشَّهَادَةَ لَمْ يَجِزْ لَهُ إِقَامَتُهَا فَإِنْ لَمْ يَذَكَرْهُ وَ يَشْهَدُ مَعَهُ آخَرَ ثَقَّةً جَازَ لَهُ حِينَئِذٍ إِقَامَةُ الشَّهَادَةِ . وَ يَعْتَبَرُ فِي شَهَادَةِ النِّسَاءِ الْإِيمَانَ وَ السَّرَّ وَ الْعِفَافَ وَ طَاعَةَ الْأَزْوَاجِ وَ تَرْكَ الْبِدْءِ وَ التَّبَرُّجِ إِلَى أُنْدِيَةِ الرِّجَالِ -قرآن- ٢٠-٢٩-قرآن-٥٩٧-٦١٦

باب ذكر ما يلزم الشهود

إشارة

و لما ذكر الله ما يلزم المستشهد من الواجبات والمندوبات ذكر بعده ما يلزم الشهداء فقال وَ لَا يَأْبَ الشَّهَادَةُ إِذَا مَا دُعُوا لِيُقِيمُوا الشَّهَادَةَ فَعَلَى هَذَا يَكُونُ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ مَتَى دَعِيَ الْإِنْسَانُ لِإِقَامَةِ شَهَادَةٍ لَمْ يَجْزْ لَهُ الْإِمْتِنَاعُ مِنْهَا عَلَى حَالٍ إِلَّا إِذَا عَلِمَ -قرآن- ٩٠- ١٢٦ [صفحة ٤٠٣] أن من عليه الدين معسر فإن شهد عليه حبسه فاستضر هو به وعياله . وقيل لا يَأْبُ الشَّهَادَةَ إِذَا مَا دَعُوا لِيُسْتَشْهَدُوا. وإنما قال لهم شهداء قبل التحمل تنزيلاً لما يساق منزلة الكائن وقد أشار سبحانه بهذا إلى أنه لا يجوز أن يمتنع الإنسان من الشهادة إذا دعى إليها ليشهد بها إذا كان من أهلها إلا أن يكون حضوره مضراً لشيء من أمر الدين أو بأحد من المسلمين . و عن قتادة كان الرجل يطوف بين خلق كثير فلا يكتب له أحد فنزل وَ لَا تَسْتَمُوا أَنْ تَكْتُبُوا صَ غَيْراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجْلِهِ كُنِيَ بِالسَّامِ عَنِ الْكَسْلِ لِأَنَّ الْكَسْلَ صِفَةٌ لِلْمَنَافِقِ -قرآن- ٤١٧-٤٨٢ و منه الحديث لا يقول المؤمن كسلت -رواية- ١-٢- روایت- ١٧-٤٠ . ويجوز أن يراد من كثرت مدايناته فاحتاج أن يكتب لكل دين صغير أو كبير كتاباً فربما قل كثرة الكتب . والضمير في تَكْتُبُوا لِلدِّينِ أَوَّلَهُ أَوْ لِحَقِّهِ أَوْ كَبِيراً عَلَى أَى حَالٍ كَانَ الْحَقُّ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ لِلْكِتَابِ وَأَنْ يَكْتُبَهُ مَخْتَصِراً أَوْ مُشْبِعاً. و لا تخلوا بكتابتها إلى أجله أى إلى وقته الذى اتفق الفريقان على تسميته قال الزجاج هذا يؤكد أن الشهادة ابتداء واجب والمعنى لا تساموا أن تكتبوا ماشهدتم عليه و لا حاجة إلى ما يؤكد به وجوب إقامة الشهادة. و قال ابن جريح عذراً للأول لا تَسْتَمُوا خُطَابَ لِلْمُتَدَانِينِ يَقُولُ اكْتُبُوا مَا تَعَامَلُونَ عَلَيْهِ بِدِينِ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ أَدْلِكُمْ إِشَارَةً إِلَى مَا تَكْتُبُوهُ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْمَصْدَرِ أَى ذَلِكَ الْكِتَابِ أَقْسَطُ أَى أَعْدَلُ مِنَ الْقِسْطِ أَوْ قَوْمٌ لِلشَّهَادَةِ وَأَعُونَ عَلَى إِقَامَةِ الشَّهَادَةِ وَ أَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا أَى أَقْرَبُ مِنْ انْتِفَاءِ الرِّيبِ وَإِنَّمَا قَالَ إِنَّهُ أَصُوبٌ لِلشَّهَادَةِ لِأَنَّ الشَّهَادَةَ حِينَئِذٍ أَقْرَبُ إِلَى أَنْ تَأْتُوا بِالْفَاطِ الْمُسْتَدِينِ وَ مَا -قرآن- ١١٥- ١٢٤ -قرآن- ١٣٩-١٥٩ -قرآن- ٤٩٤-٥٠٥ -قرآن- ٥٨٢-٥٨٧ -قرآن- ٦٤٥-٦٥١ -قرآن- ٦٧٠-٦٩١ -قرآن- ٧١٧-٧٤٠ [صفحة ٤٠٤] يقع عليهم غلط النسيان وأنتم مع هذا أقرب إلى أن تشكوا فيما يشهد به الشهود عليكم من الحق والأجل إذا كانا مكتوبين .

فصل

وقد ذكر الله سبحانه في أول هذه الآية قبل الأمر بالاستشهاد النهى عن الامتناع من الكتابة قال وَ لَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ وَالنَّهْيُ يَقْتَضِي تَحْرِيمَ الْإِمْتِنَاعِ وَقَالَ عَامِرُ الشَّعْبِيِّ هُوَ فَرَضَ عَلَى الْكُفَايَةِ كَالْجِهَادِ. وجوز الجبائي أن يأخذ الكاتب والشاهد الأجر على ذلك وعندنا لا يجوز ذلك للشاهد. والورق الذى يكتب فيه على صاحب الدين دون من عليه الدين يكون الكتاب فى يده لأنه له وقال السدى ذلك واجب على الكاتب فى حال فراغه وقال مجاهد هو واجب وقال الضحاك نسخها قوله تعالى وَ لَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَ لَا شَهِيدٌ. وقوله تعالى أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبِ عَنِ الْكَاتِبِ وَ لِيَمْلِلِ أَلْذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ أَمْرٌ لِمَنْ عَلَيْهِ الْحَقُّ بِالْإِمْلَاءِ وَ لِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُمْعَنَاهُ لِيَمْلِلَ إِلَّا أَلْذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَالْمَرَادُ بِالْأَمْرِ أَلْذِي عَلَيْهِ الدِّينُ بِالْإِمْلَاءِ النَّدْبِ دُونَ الْإِجَابِ لِأَنَّهُ لَوْ أَمْلَى غَيْرَهُ وَأَشْهَدَ هُوَ كَانَ جَائِزاً بِلَا خِلَافٍ وَ لَا يَنْقُصُ مِنْهُ شَيْئاً وَ الْبَخْسُ النِّقْصُ ظُلْمًا وَ مِنْهُ قَوْلُهُ وَ لَا تَبَخَّسُوا النَّاسَ أَمْشِيَاءَ هُمْ أَى لَا تَنْقُصُوهُمْ ظَالِمِينَ لَهُمْ وَ الْبَخْسُ فَوْقَ الْغَبْنِ وَ فِى هَذَا إِجْزَازٌ وَ حَذْفٌ لِأَنَّ الْمَدِينِ الْمَمْلَى إِنْ أَرَادَ أَنْ يَحْطَ فِى إِمْلَائِهِ مِنَ الْمَالِ شَيْئاً فَإِنَّ الدَّائِنَ يَمْنَعُهُ ذَلِكَ وَ إِنْ تَمَكَّنَ مِنَ النِّقْصَانِ بَوَاجِهُ مِنَ الْوَجْهِ إِمَّا بِحِيلَةٍ يَحْتَالُهَا وَإِمَّا بِغِبَاوَةٍ يَكُونُ مِنْ صَاحِبِ الدِّينِ فَلَا يَفْعَلَنَّ ذَلِكَ خَشْيَةً مِنْ عِقَابِ اللَّهِ. وَ لَا يَأْبَ كَاتِبٌ إِذْ ذَكَرَ بِتَنْكِيرِ كَاتِبٍ أَى لَا يَمْتَنَعُ أَحَدٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنْ يَكْتُبَ مِثْلَ مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ كِتَابَهُمْ وَقِيلَ هُوَ كَقَوْلِهِ وَ أَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ أَى يَنْفَعُ -قرآن- ٩٨-١٤٨ -قرآن- ٥٠٧-٥٤٠ -قرآن- ٥٥٧- ٥٩٨ -قرآن- ٦١٢-٦٤٤ -قرآن- ٦٧٣-٦٩٦ -قرآن- ٨٩٦-٩٢٩ -قرآن- ١٢١٢-١٢٢٩ -قرآن- ١٣٢٤-١٣٦٠ [صفحة ٤٠٥] الناس بكتابتها كما نفعه الله بتعليمها. وكما علمه الله ليجوز أن يتعلق بأن يكتبه ويقوله فليكتب. فإن قيل أى فرق بين الوجهين. قلنا إن

علفته بأن يكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد و إن علفته بقوله فليكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة على سبيل الإطلاق ثم أمر بهامقيدة و لِيَمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ و لا يكن المملى إلا من وجب عليه الحق لأنه هو المشهود على ثباته في ذمته وإقراره به . والإملاء والإملاء لغتان قد نطق بهما القرآن . -قرآن- ٤٢-٦١-قرآن- ٧٨-٨٨-قرآن- ٩٧-١٠٥-قرآن- ٢٧٦-٢٨٤-قرآن- ٣٥٢-٣٧٧

فصل

ثم قال تعالى فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَدِّ فِيهَا. قال مجاهد السفيه الجاهل لأنه خفيف العقل بنقصه وأصل السفه الخفة. و قوله أو ضعیفاً هو الأحمق عن مجاهد والشعبي. و قوله أو لا- يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْلَلَ هُوَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ هُوَ الْغَبِيُّ وَالْعَاجِزُ عَنِ الْإِمْلَاءِ بِالْعِي أوالخرس . وقيل المراد بالسفيه القوى على الإملاء إلا أنه جاهل لا يعرف موضع صواب ما يمليه من خطاه والضعيف العاجز عن الإملاء و إن كان شديدا رشيدا إما بعي بلسانه أو خرس و الذي لا يستطيع أن يمل الممنوع منه إما بحبس أولغيبه لا يقدر على حضور الكاتب الشاهد فحينئذ يمل عنه وليه . وقيل الأولى أن يكون المراد بالسفيه البذى اللسان الخفيف فى نفسه فلا يوثق بإملائه عليه والضعيف الذى لا يحسن أن يملى و الذى لا يستطيعه من به لكنه أو خرس أو آفه يمنع من الإملاء و هذا أقرب . و قال أكثر المفسرين سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف أو -قرآن- ١٧-٥٧-قرآن- ١٣٩-١٥٠-قرآن- ١٨٨-٢٢٠] صفحه ٤٠٦ [ضعيفا صبيا أو شيئا مخبلا و لا يستطيع أن يمل هو أى غير مستطيع الإملاء بنفسه لعى أو خرس فليمل وليه الذى يلى أمره من وصى إن كان سفيها أو وكيل إن كان غير مستطيع أو ترجمان يمل عنه و هو يصدقه . والهاء فى قوله وَلِيُّهَا عَائِدَةٌ إِلَى السَّفِيهِ فِي قول الضحاك و ابن زيد الذى يقوم مقامه بأمره لأن الله أمر أن لا يؤتى السفهاء أموالهم وأمر أن لا يقام لها بها و قال الربيع يرجع إلى ولى الحق والأول أقوى . و إذا شهد الولى على نفسه فلا يلزمه المال فى ذمته بل يلزم ذلك فى مال المولى عليه . -قرآن- ٢١٨-٢٢٥

فصل

ونعود إلى ما كنا فيه من ذكر ما فى قوله ذَلِكَمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ. اعلم أن أكثر ما يبنى أفعال من الثلاثى وهاهنا بنى من أفعال لأنه من أقسط بمعنى عدل و أزال الجور لا- من قسط أى جار و كذلك فى قوله أَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ لِأَنَّهُ أَفْعَلُ مِنْ أَقَامَهُ إِلَى سِوَاهُ وَقَامَ الشَّيْءُ اسْتَوَى . و قال الجبائى لا تجب الكتابة والإشهاد فإن لم يكن الثمن حاضرا وتسلم المشتري المبيع وأنسأ الثمن كان الكتاب فرضا وكذا الإشهاد لقوله تعالى وَ أَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَ هَذَا أَمْرٌ عَلَى الْوَجُوبِ قَالَ وَ لَادِلِيلٌ لِمَنْ جَعَلَهُ نَدْبًا. وَ هَذَا أَمْرٌ فِيمَا يَتَّبَعُ عَلَيْهِ نَقْدًا كَالرِّبَاعِ وَالْحَيَوَانَ وَقِيلَ مِنْ هَاهُنَا ذَهَبَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ إِلَى أَنَّ الْإِشْهَادَ فِي بَعْضِ السَّاعَاتِ وَاجِبٌ وَ لَيْسَ كَمَا قَدَّرَ لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ الْإِحْتِيَاطِ. فَإِنْ قِيلَ فَمَا مَعْنَى تِجَارَةً حَاضِرَةً وَسِوَاهُ كَانَتِ الْمُبَايَعَةُ بَدِينِ أَوْ بَعِينِ -قرآن- ٤٣-٦٩-قرآن- ٢٠٤-٢٢٢-قرآن- ٤٢١-٤٤٨-قرآن- ٦٨٤-٧٠٠] صفحه ٤٠٧ [والتجارة حاضرة و مامعنى إدارتها بينهم . قيل أريد بالتجارة ما يتجر فيه من الأبدال ومعنى إدارتها بينهم تعاطيهم إياها يدا بيد والمعنى إلا أن يتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا بأس أن لا يكتبوا لأنه لا يتوهم فيه ما يتوهم فى التداين . و أما قوله وَ أَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ فَهُوَ أَمْرٌ بِالْإِشْهَادِ عَلَى التَّبَايَعِ مَطْلَقًا نَاجِزًا وَ كَالْيَا لِأَنَّهُ أَحْوَجُ وَ أَبْعَدُ مِمَّا عَسَى يَقَعُ مِنَ الْإِخْتِلَافِ وَ يَجُوزُ أَنْ يَرَادَ وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ هَذَا التَّبَايَعِ يَعْنِي التِّجَارَةَ الْحَاضِرَةَ عَلَى أَنَّ الْإِشْهَادَ كَانَ فِيهِ دُونَ الْكِتَابَةِ. -قرآن-

فصل

وقوله تعالى وَ لَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَ لَا شَهِيدٌ يُضَارُّ بِالْإِظْهَارِ وَ الْمَعْنَى إِذَا كَانَ عَلَى تَفَاعُلٍ نَهَى الْكَاتِبَ وَالشَّهِيدَ عَنِ التَّرْكِ الْإِجَابَةِ إِلَى مَا يُطْلَبُ مِنْهُمَا وَ عَنِ التَّحْرِيفِ وَ الزِّيَادَةِ وَ النِّقْصَانِ أَيْ لَا يَكْتُبُ الْكَاتِبُ إِلَّا الْحَقَّ وَ لَا يَشْهَدُ الشَّاهِدُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ إِذَا كَانَ عَلَى تَفَاعُلٍ فَمَعْنَاهُ النَّهْيُ عَنِ الضَّرَرِ بِهِمَا بِأَنْ يَعْجَلَا عَنْ مَهْمٍ أَوْ لَمَزٍ أَوْ يَحْمِلَ الشَّهِيدُ مَثُونَةً مَجِيئَةً مِنْ بَلَدٍ أَيْ لَا يَدْعَى إِلْحَاحًا وَ لَا يُؤَدِي إِذَا كَانَ فِي شُغْلٍ . وَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مَبْشَرٍ جَمِيعٌ مَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ كُلِّهَا عَلَى التَّخْيِيرِ إِلَّا حَرْفَيْنِ وَ هُمَا لَا- يُضَارُّ كَاتِبٌ وَ لَا شَهِيدٌ لِقَوْلِهِ وَ إِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَ الثَّانِي وَ لَا- تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَ مَنِ يَكْتُمُهَا فَإِنَّهُ آثَمٌ قَلْبُهُ . وَ مَعْنَى وَ إِنْ تَفَعَّلُوا وَ إِنْ تَضَارُوا فَإِنَّهُ أَيْ فَإِنْ الضَّرَارَ فُسُوقٌ بِكُمْ وَقِيلَ وَ إِنْ تَفَعَّلُوا شَيْئًا مِمَّا نَهَيْتُمْ عَنْهُ - قرآن-١٦-٤٩-قرآن-٥٠-٥٦-قرآن-٦٠٥-٦٣٥- قرآن-٦٤٢-٦٨٠-قرآن-٦٩٠-٧٥٤-قرآن-٧٦٣-٧٧٨-قرآن-٧٩١-٧٩٨-قرآن-٨١٤-٨٢٦] [صفحة ٤٠٨]

باب في تحمل الشهادة و آدابها

إشارة

أما التحمل فإنه فرض في الجملة فمن دعى إلى تحمله في بيع أو نكاح أو غيرهما من عقد أودين لزمه التحمل لقوله وَ لَا يَأْبُ الشَّهَادَةَ إِذَا مَا دُعُوا وَ لَمْ يَفْرُقْ وَ لِقَوْلِهِ وَ لَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَ لَا شَهِيدٌ فَإِنْ أَهْلُ التَّفْسِيرِ تَأَلَّفُوا هَذَا الْكَلَامَ بِثَلَاثِ تَأْوِيلَاتٍ . فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ لَا يُضَارُّ الشَّاهِدُ وَ الْكَاتِبُ لِمَنْ يَدْعُوهُ إِلَى تَحْمِلِهَا وَ لَا يَحْتَجُّ عَلَيْهِ بِأَنْ لِي شُغْلًا أَوْ خَاطِبًا غَيْرِي فِيهَا . وَ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ لَا يُضِرُّ الشَّاهِدَ بِمَنْ يَشْهَدُ لَهُ فَيُؤَدِي غَيْرَ مَا تَحْمِلُ وَ لَا يُضِرُّ الْكَاتِبَ بِمَنْ يَكْتُبُ لَهُ فَلْيَكْتُبْ غَيْرَ مَا قِيلَ لَهُ . وَ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ لَا يُضَارُّ بِالشَّاهِدِ الْكَاتِبُ مَنْ يَسْتَدْعِيهِ فَيَقُولُ لَهُ دَعِ أَشْغَالَكَ وَ اشْتَغَلْ بِشُغْلِي لِحَاجَتِي . فَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ التَّحْمَلَ فَرَضٌ عَلَى الْجَمْلَةِ فَإِنَّهُ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَاتِ إِذَا قَامَ بِهَا بَعْضُ سَقَطَ عَنِ الْبَاقِينَ كَالْجِهَادِ وَ الصَّلَاةِ عَلَى الْمَوْتَى وَ رَدِّ السَّلَامِ . وَ قَدِ تَعَيَّنَ التَّحْمَلُ وَ هُوَ إِذَا دُعِيَ لِتَحْمِلِهَا عَلَى عَقْدِ النِّكَاحِ أَوْ عَلَى دِينٍ أَوْ غَيْرِهِ وَ لَيْسَ هُنَاكَ غَيْرُهُ فَحَيْثُ نَدَّ يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ التَّحْمَلُ كَمَا تَعَيَّنَ فِي الصَّلَاةِ عَلَى الْجَنَائِزِ وَ الدَّفْنِ وَ رَدِّ السَّلَامِ . - قرآن-١١٤-١٥٠-قرآن-١٧٠-٢٠٣

فصل

و أما الأداء فإنه في الجملة أيضا من الفرائض لقوله تعالى وَ لَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَ مَنْ يَكْتُمُهَا فَإِنَّهُ آثَمٌ قَلْبُهُوَ لَا يَأْبُ الشَّهَادَةَ إِذَا مَا دُعُوا . - قرآن-٦٠-١٢٤-قرآن-١٢٥-١٦١] [صفحة ٤٠٩] ويمكن أن يستدل بها على وجوب التحمل و على وجوب الأداء على ما قدمناه و هي بوجوب الأداء أشبه فإنه تعالى سماهم شهداء و نهاهم عن الإباء إذا دعوا إليها و إنما يسمى شاهدا بعد تحمّلها حقيقة . و هو من فروع الكفايات إذا كان هناك خلق و قد عرفوا الحق و صاروا به شاهدين فإذا قام به اثنان سقط الفرض عن الباقي

كالصلاة على الجنائز وقد يتعين الفرض فيه و هو إذا لم يتحمل الشهادة إلا اثنان أو تحملها خلق و لم يبق منهم إلا اثنان تعين عليهما الأبداء كما لو لم يبق من قرابة الميت إلا من يطبق الدفن فإنه يتعين الفرض عليه . فإذا ثبت هذا فالكلام فى بيان فرائض الأعيان والكفائيات وجملة أنه لا فرق ولا فصل بين فرائض الأعيان والكفائيات ابتداء و أن الفرض يتوجه على الكل فى الابتداء لأنه إذا زالت الشمس توجهت صلاة الظهر على الكل و إذامات فى البلد ميت توجه فرض القيام به على الكل وإنما يفترقان فى الثانى و هو إنما كان من فرائض الأعيان لا يتعين وفروض الكفائية إذ اقام بها قوم سقط الفرض عن الباقيين لأن المقصود دفن الميت فإذا دفن لم يبق وجوب دفنه بعد أن دفن على أحد.

فصل

و كل عقد يقع من دون الإشهاد و إن كان فعلى سبيل الاحتياط إلا الطلاق فإنه لا يقع إلا بالإشهاد على ما ذكره فى بابه مع أنه ليس بعقد قال الله تعالى وَ أَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَ أَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ عِنْدَ أَصْحَابِنَا أَنْ الْإِشْهَادُ شَرْطٌ فِي وَقْعِ الطَّلَاقِ لِأَنَّ ظَاهِرَ الْأَمْرِ يَقْتَضِيهِ وَالْأَمْرُ عَلَى الْإِيجَابِ . و قال قوم إن ذلك راجع إلى الرجعة وتقديره وأشهدوا على الإمساك إن أمسكتكم ذوى عدل و هو الرجعة فى قول ابن عباس و قال الشافعى الإشهاد -قرآن- ١٥٧-٢١٩ [صفحة ٤١٠] على الرجعة أولى ويجوز عند أكثرهم بغير إشهاد وإنما ذكر الله الإشهاد كما ذكر فى قوله وَ أَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَ هُوَ عَلَى النَّدْبِ فَأَمَّا فِي الطَّلَاقِ فَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى الْوَجُوبِ . ثم قال وَ أَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ إِذَا طُوبِيتُمْ بِإِقَامَتِهَا وَلَكُمْ مَعَاشِرُ الْمَكْلُفِينَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَإِنَّمَا أَضَافَ الْوَعْظَ إِلَى مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ دُونَ غَيْرِهِ لِأَنَّهُ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِهِ دُونَ الْكَافِرِ الْجَاهِدِ لِذَلِكَ -قرآن- ٨٦-١١٣ -قرآن- ١٧٩-٢٠٨ -قرآن- ٢٥١-٣٠٧

باب شهادة كل ذى قرابة لمن يقرب منه و عليه و ذكر من تقبل شهادته منهم

إشاره

كل من كان عدلاً فشهادته جائزة إلا ما يشينه وكذلك إقرار العاقل على نفسه فيما يوجب حكماً فى الشرع سواء كان مسلماً أو كافراً مطيعاً أو عاصياً أو فاسقاً و على كل حال إلا أن يكون عبداً و يمكن أن يستدل عليه من الآيات المتقدمة فليتأملها. فأما شهادة ذوى الأرحام والقربان بعضهم لبعض فبجائز إذا كانوا عدولاً من غير استثناء أحد لأنه تعالى شرط العدالة فى قوله وَ أَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ و لم يشترط سواها ويدخل فى عموم هذا القول ذوى القربان كلهم وكذلك قوله وَ اسْتَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمُ يَدُلُّ عَلَيْهِ . و الذى يدل على جواز شهادة الإنسان على أقربائه خاصة قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَ لَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَ الْأَقْرَبِينَ فَإِنَّ اللَّهَ لَمَاحِكٍ عَنِ الَّذِينَ سَعَوْا إِلَى الرَّسُولِ ص فى أمر بنى أبيرق و قيامهم بالعدل و ذبهم عنهم من حيث كانوا أصحاب فقر و فاقة -قرآن- ٣٥٨-٣٨٩ -قرآن- ٤٦٦-٥٠٤ -قرآن- ٥٨٨-٧١٥ [صفحة ٤١١] أمر بعده المؤمنين بهذه الآية أن يلزموا العدل و أن يكونوا قوامين بالقسط أى العدل شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَ لَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ يَعْنِي وَ لَوْ كَانَتْ شَهَادَتُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوْ عَلَىٰ آبَائِكُمْ وَأُمَّهَاتِكُمْ أَوْ عَلَىٰ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْكُمْ وَقَوْمُوا فِيهَا بِالْعَدْلِ وَأَقِيمُوا عَلَىٰ صِحَّتِهَا وَقُولُوا فِيهَا بِالْحَقِّ وَ لَا تَمِيلُوا فِيهَا إِلَى الْغِنَى غَنَى وَ لَا فُقْرَ فَقِيرٍ فَتَجُورُوا فَإِنَّ اللَّهَ سَاوِيٌّ بَيْنَ الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ فِيمَا أَلْزَمَكُمْ مِنْ إِقَامَةِ

الشهادة لكل واحد منهما في ذلك و في غيره من الأمور كلها منكم فلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى فِي الْمِيل فِي شَهَادَتِكُمْ إِذَا قُمْتُمْ بِهَا الْغَنَى أَوْ فَقِيرَ إِلَى أَحَدِهِمَا فَتَعَدَّلُوا عَنِ الْحَقِّ أَى تَجُورُوا عَنْهُ وَتَضَلُّوا وَلَكِنْ قَوْمُوا بِالْقِسْطِ وَأَدُوا الشَّهَادَةَ عَلَى مَا أَمَرَكَمُ اللَّهُ بِأَدَائِهَا بِالْعَدْلِ لِمَنْ شَهِدْتُمْ عَلَيْهِ وَ لَهُ . وَنُصِبَ شَهَدَاءٌ عَلَى الْحَالِ مِنَ الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ قَوَّامِينَ وَ هُوَ ضَمِيرُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَبْرًا ثَانِيًا لِكُونِهَا كَقَوْلِهِمْ هَذَا حَلُّو حَامِضٌ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صِفَةً لِلْقَوَّامِينَ وَالْمَعْنَى كُونُوا قَوَّامِينَ بِصِفَتِهِ مِنْ يَصْلِحُ أَنْ يَكُونَ شَهِيدًا عَلَى سَائِرِ عِبَادِهِ . -قرآن- ٨٦-١٢٣-قرآن- ٤٣٥-٤٥٦-قرآن- ٦٩٠-٦٩٩-قرآن- ٧٠٩-٧٢٤

فصل

فإن قيل كيف تكون شهادة الإنسان على نفسه حتى يأمر الله بذلك. قلنا بأن يكون عليه حق لغيره فيقر له به ولا يجحده فأدب الله المؤمنين أن لا يفعلوا ما فعله الذين عذروا بنى أبيرق في سرقتهم ماسرقوا أو خيانتهم ما خانوا وإضافتهم ذلك إلى غيرهم فهذا الذى اختاره الطبرى ونذكر فى باب القضايا. وقال السدى إنما نزلت وقد اختصم رجلان إلى عند رسول الله ص غنى وفقير فكان مع الفقير لظنه أن الفقير لا يظلم الغنى فأبى سبحانه إلا القيام بالقسط فى أمر الغنى والفقير فقال تعالى إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا. -قرآن- ٤٩٦-٥٤٧ [صفحة ٤١٢] وهذا الوجه فيه بعد لأن النبى لا يجوز فى الحكم ولا يميل إلى أحد الخصمين سواء كان غنيا أو فقيرا لأن ذلك ينافى عصمته. فعلى هذا لأبأس بشهادة الأخ لأخيه و عليه وشهادة الوالد لولده و عليه وشهادة الرجل لزوجته و عليها وكذا لأبأس بشهادتها له و عليه فيما يجوز قبول شهادة النساء فيه إذا كان مع كل واحد منهم غيره من أهل الشهادة. ولا تقبل شهادة واحد منهم لصاحبه مع يمينه كما جاز مع الأجنبى فأما شهادة الولد لوالده و عليه فالمرضى يجيزها أيضا على كل حال و إذا كان معه غيره من أهل الشهادات فظاهر الآية معه و إن كانت شهادة الإنسان على نفسه مجازا لأنها إقرار على نفسه وشهادته على أقربائه والوالدين حقيقة فإن الكلمة الواحدة تذكر ويراد بها الحقيقة والمجاز معا إذ لا مانع وجمهور فقهاءنا أيضا على ذلك لعموم الآيتين اللتين قدمناهما لإشهادة الولد على والده فإنهم لا يجوزونها لخبر يروونه . وعذرهم فى تأويل هذه الآية ماروى عن ابن عباس أنه قال إن الله تعالى أمر المؤمنين بهذه الآية أن يقولوا الحق على أنفسهم أو آبائهم أو أبنائهم لا يميلون إلى غنى لغناه ولا إلى فقره لفقره -رواية- ١-٢-رواية- ٣٤-١٧٢ قالوا وهذا أولى لأنه أليق بالظاهر على كل وجه من غير عدول عنه و هو أمر بقبول الحق وفعله وملازمة العدل والأمر به .

فصل

ومما يؤكد القول الأول ماروى عن الحسن أنه قال يعنى بالآية الشهادة خاصة وقوله وَ لَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَى و لو كانت شهادتكم تضر فى الحال أنفسكم فى الحال أو المال لأن على يقتضى ذلك . ومعنى كونوا شهداء لله أى ليكن شهادتكم لأجل رضاء الله و لما أمر الله به و هو القسط. -قرآن- ٨٦-١٠٧-قرآن- ٢٠٧-٢٢١ [صفحة ٤١٣] وقال ابن شهاب كان سلف المؤمنين على جواز شهادة كل ذى قرابة لمن تقرب منه و عليه حتى دخل الناس فيما بعدهم وظهرت منهم أمور حملت الولاية على اتهامهم فتركت شهادة من يتهم إذا كان من أقربائهم . والاعتماد فى المنع من شهادة الأقارب على التهمة التى تلحق لأجل النسب غير صحيح لأنه يلزم على ذلك أن لا تقبل شهادة الصديق لصديقه و لا الجار لجاره لأن التهمة متطرفة على أن العدالة مانعة من التهمة وحاجزة عنها. و ماروى عن النبى ع من أنه لا يجوز قبول شهادة المتهم والخصم والخائن والأجير له ما لم يفارقه ولا شهادة من خالف من

أهل البدع و إن كان على ظاهر السنن والعفاف -رواية- ١-٢-رواية-٣-١٤٤ فليس ذلك مستخرجا من اجتهاد أو عفاف وإنما هو أيضا نص إلهي به ويمكن أن يستدل من الآيات المتقدمة على ذلك وقال تعالى وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ فَيَعْلَمَ اللَّهُ تَعَالَى . -قرآن- ١٢٤-١٨٩

فصل

أما شهادات القربان بعضهم لبعض إذا كانوا عدولا فقد ذكرنا أن دليلنا قوله تعالى وَ أَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنْكُمْ فشرط كما ترى العدالة و أن يكون من جملة المؤمنين بقوله مِنْكُمْ لا أن يكون عدلا عندنحلتة و أهل ملته و لم يشترط سواها ويدخل في عموم هذاذو القربان كلهم . و قوله وَ اسْتَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ أَيْضًا عَلَىٰ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ . و ما يقول المخالف الولد جزء من أبيه فكأنه شهد لنفسه إذا شهد لما هو بعضه فهذا غير محصل لأن الولد و إن كان مخلوقا من نطفة أبيه ليس ببعض له على الحقيقة بل لكل واحد منهما حكم يخالف حكم صاحبه وكذلك يسترق -قرآن- ٨٣-١١٤-قرآن- ١٧١-١٧٦-قرآن- ٢٨٠-٣٠٤ [صفحہ ٤١٤] الولد برق أمه و إن كان الأب جزءا على بعض الوجوه ويحرر بحرية الأم و إن كان الأب عبدا كذلك و إلا لم يسر حكم واحد منهما إلى صاحبه هنا ولذلك تقبل شهادة العبيد لساداتهم إذا كان العبيد عدولا ويقتل أيضا على غيرهم وبهم ولا يقتل على ساداتهم العبيد و إن كان العبيد عدولا ودليلنا عليه إجماع الفرقة. ويمكن أن يستدل من القرآن على ذلك أيضا و لو كنا ممن يثبت الأحكام بالأقيسة لكان لنا أن نقول إذا كان العبد العدل بلا خلاف تقبل شهادته على رسوله و على آله في روايته عنه وعنهم فلأن تقبل شهادته على غيره أولى على أن العبيد العدول داخلون في عموم الآية ويحتاج في إخراجهم منها إلى دليل . و لا يعترض على هذا بالنساء لأنهن داخلات في الظواهر التي ذكرناها مثل قوله ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنْكُمْ و قوله شَهِيدَيْنِ مِّن رِّجَالِكُمْ فأخرجن النساء من هذه الظواهر لأنهن ما دخلن فيها. وكذلك شهادة الأعمى مقبولة إذا كان عدلا لأن الأعمى داخل في ظواهر الآيات و لا يمنع عماه من كونها متناولة له . و معول من خالفنا في هذه المسألة على أن الأعمى تشبته عليه الأصوات و هذا غلط فاحش لأن الضرير يعرف زوجته ووالديه وأولاده ضرورة و لا يدخل عليه شك في ذلك كله و لو كان لا سبيل له إلى ذلك لم يحل له وطء زوجته لتجويزه أن تكون غير من عقد عليها. و إن استدل المخالف بقوله وَ مَا يَسْتَتَوِي الْأَعْمَىٰ وَ الْبَصِيرَةُ فإلجواب عنه أن الآية مجمله لم تذكر ما يستتون فيه و ادعاء العموم فيما لم يذكر غير صحيح و ظواهر آيات الشهادة تتناول الأعمى كتناولها البصير إذا كان عدلا لأن قوله وَ أَشْهَدُوا ذَوَىٰ -قرآن- ٦٩٣-٧١١-قرآن- ٧٢٠-٧٤٣-قرآن- ١١٩٤-١٢٢٩-قرآن- ١٣٩٥-١٤١٣ الولد برق أمه و إن كان الأب جزءا على بعض الوجوه ويحرر بحرية الأم و إن كان الأب عبدا كذلك و إلا لم يسر حكم واحد منهما إلى صاحبه هنا ولذلك تقبل شهادة العبيد لساداتهم إذا كان العبيد عدولا ويقتل أيضا على غيرهم وبهم ولا يقتل على ساداتهم العبيد و إن كان العبيد عدولا ودليلنا عليه إجماع الفرقة. ويمكن أن يستدل من القرآن على ذلك أيضا و لو كنا ممن يثبت الأحكام بالأقيسة لكان لنا أن نقول إذا كان العبد العدل بلا خلاف تقبل شهادته على رسوله و على آله في روايته عنه وعنهم فلأن تقبل شهادته على غيره أولى على أن العبيد العدول داخلون في عموم الآية ويحتاج في إخراجهم منها إلى دليل . و لا يعترض على هذا بالنساء لأنهن داخلات في الظواهر التي ذكرناها مثل قوله ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنْكُمْ و قوله شَهِيدَيْنِ مِّن رِّجَالِكُمْ فأخرجن النساء من هذه الظواهر لأنهن ما دخلن فيها. وكذلك شهادة الأعمى مقبولة إذا كان عدلا لأن الأعمى داخل في ظواهر الآيات و لا يمنع عماه من كونها متناولة له . و معول من خالفنا في هذه المسألة على أن الأعمى تشبته عليه الأصوات و هذا غلط فاحش لأن الضرير يعرف زوجته ووالديه وأولاده ضرورة و لا يدخل عليه شك في ذلك كله و لو كان لا سبيل له إلى

ذلك لم يحل له وطء زوجته لتجوزيه أن تكون غير من عقد عليها. وإن استدلت المخالف بقوله وما يسيء توي الأعمى والبصير يُفالجواب عنه أن الآية مجمله لم تذكر ما يستون فيه وادعاء العموم فيما لم يذكر غير صحيح وظواهر آيات الشهادة تناول الأعمى كتناولها البصير إذا كان عدلا لأن قوله وَأَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَسْتَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِّن رِّجَالِكُمِ دَخَلَ فِيهِ الْأَعْمَى كدخول البصير فإن كان ألدَى يشهد عليه يحتاج فيه إلى الرؤية حتى تصح الشهادة فيه فلا تقبل حينئذ شهادة الأعمى فيه فإن كان في وقت إسهاد الأعمى كان صحيحا ثم عمى فشهادته مقبولة في ذلك أيضا. قرآن-١-١٣-قرآن-١٦-٥١

فصل

وقدمت الحاجة هاهنا وفي مواضع كثيرة من كتابنا هذا إلى أن يفرق بين العموم والمجمل لتمشى تلك الاستدلالات التي أوردناها اعلم أن الفرق بين العموم والمجمل هو أن كل لفظ فعل لأجل ما يريد به فهو عموم و كل لفظ فعل لأجل ما يريد و ما لم يرد فهو مجمل. مثال الأول قوله تعالى فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ. فلو خلدنا وتلك الآية لقلنا اليهودى والنصرانى مثل الوثنى و كل من تناوله هذا الاسم وكنا فاعلين بموجب اللفظ وهو العموم. و أمثال الثانى فهو قوله أَقِيمُوا الصَّلاةَ فلو فعلنا كل صلاة لكنا فاعلين ما لم يرد منا وكذلك قوله خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً فَإِنَّه لا يجب أن يؤخذ كل صدقة بل صدقة مخصوصة. - قرآن-٢٨٨-٣٣٠-قرآن-٤٨٧-٥٠٤-قرآن-٥٦٢-٥٨٨ و عن داود بن الحصين قال سمعت أبا عبد الله ع يقول أقيموا الشهادة على الوالد والولد و لا تقيموها على الأخ فى الدين للصبر قلت و ما الصبر قال إذا تعدى فيه صاحب الحق ألدَى يدعيه قبله خلاف ما أمر الله -رواية-١-٢-رواية-٥٧-ادامه دارد [صفحة ٤١٦] به ورسوله -رواية-از قبل-١٥. و مثال ذلك أن يكون لأحد على آخر دين و هو معسر و قد أمر الله بإنظاره حتى يتيسر قال فَنَظَرُهُ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَيَسْأَلُكَ أَنْ تَقِيمَ الشَّهَادَةَ لَهُ وَأَنْتَ تَعْرِفُهُ بِالْعَسْرِ فَلَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَقِيمَ الشَّهَادَةَ فِي حَالِ الْعَسْرِ وَقَالَ لَا تَشْهَدُ بِشَهَادَةٍ حَتَّى تَعْرِفَهَا كَمَا تَعْرِفُ كَفَكَ. وكلام الشيخ أبى جعفر الطوسى أن شهادة الولد لوالده جائزة و لا تجوز عليه فدليلة الحديث النبوى ألدَى رواه المعصومون من أهل بيته فهو بيان لما أجمله الله فى كتابه ويخصص به كثير من عموم القرآن. و أما الآية التى يرى أنها دالة على خلاف هذا وهى قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَ لَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ فَهَىٰ وَقَوْلُهُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا فإلخطاب للولاء أى كونوا قوامين لأجل طاعة الله بالعدل والحكم فى حال كونكم شهداء أى وسائط بين الخالق والخلق أو بين النبى وأمه كما قال وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسِيًّا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَالقيام بتنفيذ أحكام الله بين خلقه إذا وفى بما عليه من حقه فهو شهيد لله على من وليه والرسول شهيد عليه بما نقله إليه. والباء فى قوله بِالْقِسْطِ متعلقة بقوامين أى كونوا قوامين بالقسط -قرآن-٨٧-١١١-قرآن-٥١٨-٦٢٩-قرآن-٦٤٢-٧٦٧-قرآن-٩١٣-٩٨٣-قرآن-١١٢٩-١١٣٧-قرآن-١١٤٦-١١٥٥ [صفحة ٤١٧] شهداء بالعدل لله يعنى دوموا على فعل العدل والحق وليكن ذلك منكم لله للأمر آخر. و قال أبو مسلم يجوز أن تكون الشهادة هاهنا بمعنى الحضور فيكونوا مأمورين بإقامة الحق والعدل وتحضروا المواضع التى تحضرونها لذلك لا تدعون فى وقت و لاحال أى شاهدوا من شاهدتم بالحق دون غيره و لا تزولوا عنه أبدا. و فى تغاير ترتيب الآيتين مع الاتفاق فى الألفاظ خبيثة لطيفة فليأتملها يقف عليها إن شاء الله

و لما بين الله تعالى في آي كثيرة أنه لا يجوز قبول شهادة من خالف الإسلام على المسلمين في حال الاختيار أجاز تعالى قبول شهادتهم في حال الضرورة في الوصية خاصة قال تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَكُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَاللَّذَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ فَمِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ وَأَمْسَأْتُمُوهُمْ وَأَتَى تَأْمِينَهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ . و قد قرئت شهادة بينكم أي ليقم شهادة بينكم اثنان كما أن من رفع فون أو لم ينون فهو على نحو من هذا أي مقيم شهادة بينكم أو شهادة بينكم اثنان ذوا عدل منكم أي ينبغي أن تكون الشهادة المعتمدة هكذا. وقرئ ولا يكتم شهادة الله الله على الوجهين فالقصر بالجر حذف منه حرف القسم وبالمد عوض منه همزة الاستفهام كأنه قال القسم بالله أنا إذالمن -قرآن- ١٨٠-٣٢٢-قرآن- ٣٩٧-٤١٣-قرآن- ٥٣٥- ٥٥٨ [صفحة ٤١٨] الظالمين و في مجيء القسم وحرف الاستفهام قبله تهيب . وذكر أبو جعفر ع أن سبب نزول هذه الآية ما قال أسامة بن زيد عن أبيه قال كان تميم الداري وأخوه عدى نصرانيين و كان متجرهما إلى مكة فلما هاجر رسول الله ص إلى المدينة قدم ابن أبي مارية مولى عمرو بن العاص المدينة و هو يريد الشام تاجرا فخرج هو وتميم الداري وأخوه عدى حتى إذا كانوا ببعض الطرق مرض ابن أبي مارية فكتب وصية بيده بحيث لا يدري بها أحد ودسها في متاعه ودفع المال إليهما وأوصى إليهما و قال أبلغا هذا أهلي فلما مات فتحا المتاع وأخذوا ما أعجبهما منه ثم رجعا بباقي المال إلى الورثة فلما فتش القوم المال نظروا إلى الوصية وفقدوا بعض ما كان فيها و لم يجدوا المال تاما فكلموا تميما وصاحبه فقالا لا علم لنا به و مادفعه إلينا أبلغناه كما هو فرفعوا أمرهم إلى النبي ع فنزلت هذه الآية -رواية ١-٢-رواية ٢٠-٧٢٦ ومثله ذكر الواقدي. وقيل في معنى الشهادة هاهنا ثلاثة أقوال أحدها الشهادة التي تقام بها الحقوق عند الحكام مصدر شهد يشهد إذا ظهر ما عنده من العلم بالشئ المتنازع فيه لإبانه حق عند حاكم أو غيره. الثاني شهادة الحضور لوصيين. الثالث شهادة إيمان بالله إذا ارتاب الورثة بالوصيين من قول القائل أشهد الله إنى لمن الصادقين . والأولى أقوى وأليق بالقصة. و في كيفية الشهادة قولان أحدهما أن يقول صحيحا كان أو مريضا إذا حضرني الموت فافعلوا كذا [صفحة ٤١٩] وكذا ذكره الزجاج. الثاني إذا حضر أسباب الموت من المرض .

فصل

و قوله تعالى شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ قِيلَ فِي رَفْعِهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ بِالْإِبْتِدَاءِ وَتَقْدِيرِهِ شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ شَهَادَةٌ اثْنَيْنِ وَيَرْتَفِعُ اثْنَانِ بِأَنَّهُ خَبَرَ الْإِبْتِدَاءَ ثُمَّ حَذَفَ الْمُضَافَ وَأَقِيمَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَسِيُّ وَاتَّسَعَ فِي بَيْنِ وَأَضْيَفَ إِلَيْهِ الْمَصْدَرَ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى قَوْلٍ مِنْ يَقُولُ إِنْ الظَّرْفُ الَّذِي يَسْتَعْمَلُ اسْمًا يَجُوزُ أَنْ يَسْتَعْمَلَ اسْمًا فِي غَيْرِ الشَّعْرِ كَمَا قَالَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ فِيمَنْ رَفَعَ الثَّانِي عَلَى تَقْدِيرِ مَحذُوفٍ وَهُوَ عَلَيْكُمْ شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ أَوْ مِمَّا فَرَضَ عَلَيْكُمْ شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ وَيَرْتَفِعُ اثْنَانِ بِالْمَصْدَرِ ارْتِفَاعَ الْفَاعِلِ بِفِعْلِهِ وَتَقْدِيرِهِ أَنْ يَشْهَدَ اثْنَانِ. الثَّلَاثُ أَنْ يَكُونَ الْخَبَرُ إِذَا حَضَرَ فَعَلَى هَذَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَرْتَفِعَ اثْنَانِ بِالْمَصْدَرِ لِأَنَّهُ خَارِجٌ عَنِ الصَّلَةِ بِكَوْنِهِ بَعْدَ الْخَبَرِ لَكِنْ عَلَى تَقْدِيرِ لِيَشْهَدَ اثْنَانِ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ إِذَا حَضَرَ بِالْوَصِيَّةِ لِأَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّ الْمُضَافَ إِلَيْهِ لَا يَعْمَلُ فِيمَا قَبْلَ الْمُضَافِ لِأَنَّهُ لَوْ عَمِلَ فِيمَا قَبْلَهُ لَلَزِمَ أَنْ يَقْدَرَ وَقَوْعُهُ فِي مَوْضِعِهِ فَإِذَا قَدَّرَ ذَلِكَ لَزِمَ تَقْدِيمَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ عَلَى الْمُضَافِ وَ مِنْ ثَمَّ لَمْ يَجْزِ الْقَالَ زَيْدٌ حِينَ يَأْتِي وَالْآخَرُ أَنَّ الْوَصِيَّةَ مَصْدَرٌ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مَا تَقَدَّمَ عَلَيْهِ . وَقَوْلُهُ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ قَرَبَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ كَمَا قَالَ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَقَالَ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ -قرآن- ١٦-٣٢-قرآن- ٩٦٤-٩٩٣-قرآن- ١٠٢٧-١٠٨٦-قرآن- ١٠٩٤-١١٢٧ وَقَوْلُهُ تَعَالَى شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ قِيلَ فِي رَفْعِهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ

بالابتداء وتقديره شهادة بينكم شهادة اثنين ويرتفع اثنان بأنه خبر الابتداء ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه و قال أبو على الفارسي واتسع في بين وأضيف إليه المصدر و ذلك يدل على قول من يقول إن الظرف الذي يستعمل اسما يجوز أن يستعمل اسما في غير الشعر كما قال لقد تقطع بينكم فيمن رفع. الثاني على تقدير محذوف و هو عليكم شهادة بينكم أو مما فرض عليكم شهادة بينكم ويرتفع اثنان بالمصدر ارتفاع الفاعل بفعله وتقديره أن يشهد اثنان. الثالث أن يكون الخبر إذا حضر فعلى هذا لا يجوز أن يرتفع اثنان بالمصدر لأنه خارج عن الصلة بكونه بعد الخبر لكن على تقدير ليشهد اثنان و لا يجوز أن يتعلق إذا حضر بالوصية لأمرين أحدهما أن المضاف إليه لا يعمل فيما قبل المضاف لأنه لو عمل فيما قبله للزم أن يقدر وقوعه في موضعه فإذا قدر ذلك لزم تقديم المضاف إليه على المضاف و من ثم لم يجر القول زيد حين يأتي والآخر أن الوصية مصدر لا يتعلق به ماتقدم عليه . و قوله إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ يَعْنِي قَرَبَ أَحَدِكُمُ الْمَوْتَ كَمَا قَالَ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَ قَالَ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَ قَالَ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ فكل ذلك يريد المقاربة و لو لا ذلك لما أسند إليه القول بعد الموت . -قرآن- ١-١٩-قرآن- ٢٧-٨٠

فصل

و أما قوله حِينَ الْوَصِيَّةِ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَحْمَلَ عَلَى الشَّهَادَةِ لِأَنَّهَا إِذَا عَمِلَتْ فِي ظَرْفٍ مِنَ الزَّمَانِ لَمْ يَعْمَلْ فِي ظَرْفٍ آخَرَ مِنْهُ وَيُمْكِنُ حَمْلَهُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ أَحَدُهَا أَنْ تَعْلُقَهُ بِالْمَوْتِ كَأَنَّهُ قَالَ وَالْمَوْتُ فِي ذَلِكَ الْحِينِ بِمَعْنَى قَرَبٍ مِنْهُ الثَّانِي عَلَى حَضَرٍ أَيْ إِذَا حَضَرَ فِي هَذَا الْحِينِ الثَّلَاثُ أَنْ يَحْمَلَ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ إِذْ أَلَانَ ذَلِكَ الزَّمَانَ فِي الْمَعْنَى هُوَ ذَلِكَ الزَّمَانَ فَيَبْدُلُهُ مِنْهُ فَيَكُونُ بَدَلَ الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ إِذَا كَانَ إِيَّاهُ . وَ قَوْلُهُ ائْتَانِ ذَوَا عَدَلٍ مِنْكُمْ خَيْرُ الْمَبْتَدِئِ الَّذِي هُوَ شَهَادَةٌ وَتَقْدِيرُهُ شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ شَهَادَةٌ ائْتَيْنِ عَلَى مَا قَدَّمْنَاهُ لِأَنَّ شَهَادَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ ائْتَيْنِ عَلَى الْغَالِبِ . وَ قَوْلُهُ مِنْكُمْ صَفْهُ لِقَوْلِهِ ائْتَانِ كَمَا أَنَّ ذَوِي عَدَلٍ صَفْهُ لِهَمَا وَ فِي الظَّرْفِ ضَمِيرٌ وَ فِي مِنْكُمْ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا مَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَ هُوَ قَوْلُ الْبَاقِرِ وَالصَّادِقِ عِ الْثَّانِي قَالَ عِكْرَمَةُ مِنْ حَى الْمَوْصَى وَالْأَوَّلُ ظَاهِرٌ وَاضِحٌ وَ هُوَ اخْتِيَارُ الرَّمَانِيِّ لِأَنَّهُ لَا حَذْفَ فِيهِ . وَ قَوْلُهُ تَعَالَى أَوْ آخِرَانِ مِنْ غَيْرِ كُتْمَقْدِيرِهِ أَوْ شَهَادَةَ آخِرِينَ مِنْ غَيْرِكُمْ وَ حَذْفُ الْمُضَافِ وَأَقَامَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ وَمِنْ غَيْرِ كُتْمَصْفُهِ لِلآخِرِينَ أَيْ آخِرَانِ كَأَنَّ مِنْ غَيْرِكُمْ . وَقِيلَ فِي مَعْنَى غَيْرِكُمْ قَوْلَانِ أَيْضًا أَحَدُهُمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَجَمَاعَةٌ إِنْهُمَا مِنْ غَيْرِ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ وَ هُوَ قَوْلُهُمَا عِ الْثَّانِي قَالَ الْحَسَنُ أَيْ مِنْ غَيْرِ -قرآن- ١٣-٢٨-قرآن- ٤٠٥-٤٢٨-قرآن- ٥٥٨-٥٦٣-قرآن- ٥٧٤-٥٧٩-قرآن- ٦٢٩-٦٣٤-قرآن- ٨١٦-٨٣٩-قرآن- ٩١٥-٩٢٦ [صفحة ٤٢١] عشيرتكم لأن عشيرة الموصى أعلم بأحواله من غيرهم و هو اختيار الزجاج قال لأنه لا يجوز قبول شهادة الكافرين مع كفرهم و فسقهم و كذبهم على الله . و معنى أول التفصيل لالتخيير لأن المعنى و آخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ لَمْ تَجِدُوا مِنْكُمْ وَ هُوَ قَوْلُ أَبِي جَعْفَرٍ وَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عِ وَجَمَاعَةٌ وَ قَالَ قَوْمٌ هُوَ بِمَعْنَى التَّخْيِيرِ ضَمِنَ ائْتَمَنَهُ الْمَوْصَى مِنْ مُؤْمِنٍ أَوْ كَافِرٍ . وَ قَوْلُهُ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ بِمَعْنَى إِنْ أَنْتُمْ سَافَرْتُمْ كَمَا قَالَ وَ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ . -قرآن- ٣٤٧-٣٤٥-قرآن- ٣٩٨-٤٧٧

فصل

و قوله تعالى فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ مِمَّا نَبَأْتُمُ بِهَا وَ تَقْدِيرُهُ وَ قَدْ أُسْنِدْتُمْ الْوَصِيَّةَ إِلَيْهِمَا فَارْتَابَ الْوَرِثَةُ بِهِمَا . وَ قَوْلُهُ تَحْسِبُونَهُمَا خَطَابًا لِلْوَرِثَةِ وَالْهَاءُ فِيهِ بِه تَعُودُ إِلَى الْقِسْمِ بِاللَّهِ . وَالصَّلَاةُ الْمَذْكُورَةُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قِيلَ فِيهَا ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ أَحَدُهَا أَنَّهَا

صلاة العصر و هو قول أبي جعفر الباقر الثاني قال الحسن هي الظهر أو العصر و كل هذا التعظيم حرمة وقت الصلاة على غيره من الأوقات وقيل لكثرة اجتماع الناس كان بعد صلاة العصر الثالث قال ابن عباس صلاة أصل دينهما يعني في الذميين لأنهم لا يعظمون أوقات صلواتنا. و قوله فَيُقَسِّمَانِ بِاللَّهِ الْفَاءِ دَخَلَتْ لِعُطْفِ جَمَلُهُ عَلَى جَمَلِهِ إِنْ ارْتَبْتُمْ فِي قَوْلِ الْآخِرِينَ الَّذِينَ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ أَوْ مِنْ غَيْرِ قَبِيلَةِ الْمَيْتِ فَعَلِبَ فِي ظَنِّكُمْ خِيَانَتَهُمْ وَ لِاخْتِلَافِ أَنَّ الشَّاهِدَ لَا يَلْزِمُهُ الْيَمِينَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ شَاهِدِينَ عَلَى وَصِيَّةٍ مَسْنُودَةٍ إِلَيْهِمَا فَيَلْزِمُهُمَا الْيَمِينَ لِأَنَّهُمَا مَدْعِيَانِ . -قرآن- ١٦-٦٠-قرآن- ١٣٦-١٤٩-قرآن- ٥٣٩-٥٥٨-قرآن- ٥٩٠-٦٠٢ [صفحة ٤٢٢] و قوله تعالى لا نَشْتَرِي بِهِ تَمَنَّا لَنَشْتَرِي بِهِ تَمَنَّا لَا نَشْتَرِي جَوَابَ مَا يَقْتَضِيهِ قَوْلُهُ فَيُقَسِّمَانِ لِأَنَّ أَقْسَمَ وَنَحْوَهُ يَتَلَقَى بِمَا يَتَلَقَى بِهِ الْإِيمَانُ . ومعنى لا نَشْتَرِي بِهِ تَمَنَّا لَنَشْتَرِي بِتَحْرِيفِ شَهَادَتِنَا ثَمْنَا فَحَذَفَ الْمُضَافَ وَذَكَرَ الشَّهَادَةَ لِأَنَّ الشَّهَادَةَ قَوْلٌ كَمَا قَالَ وَ إِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُؤَلُّوا الْقُرْبَى ثُمَّ قَالَ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَإِنَّمَا يَرْزُقُ مِنَ التَّرَكَّةِ وَتَقْدِيرُهُ لَنَشْتَرِي بِهِ ثَمْنَا لَنَشْتَرِي بِهِ ذَا ثَمْنٍ أَلَا تَرَى أَنَّ الثَّمْنَ لَا يَشْتَرِي وَإِنَّمَا الَّذِي يَشْتَرِي الْمَيْبِيعَ دُونَ ثَمْنِهِ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا أَى ذَا ثَمْنٍ وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ آثَرُوا الشَّيْءَ الْقَلِيلَ وَانْقَادَ لَهُ مِنَ ابْتِغَاءِ وَ لَيْسَ الْمَعْنَى هُنَا عَلَى الْإِنْقِيَادِ وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى التَّمَسُّكِ بِهِ وَالْإِيثَارَ لَهُ عَلَى الْحَقِّ . و قوله وَ لَوْ كَانَ ذَا قُرْبَيْتَقْدِيرُهُ وَ لَوْ كَانَ الْمَشْهُودَ لَهُ ذَا قُرْبَى وَخَصَّ ذَا الْقُرْبَى بِالذِّكْرِ لِمْيَلِ النَّاسِ إِلَى قَرَابَاتِهِمْ وَ مِنْ يَنَاسِبُونَهُ . و قوله وَ لَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ وَإِنَّمَا أَضَافَ الشَّهَادَةَ إِلَى اللَّهِ فِي قَوْلِهِ شَهَادَةَ اللَّهِ لِأَنَّهَا بِهَا وَيُقَامَتُهَا وَنَهَى عَنْ كِتْمَانِهَا فِي قَوْلِهِ وَ مَنْ يَكْتُمُهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَ قَوْلُهُ أَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ . -قرآن- ١٦-٤٠-قرآن- ٤١-٥٢-قرآن- ٧٤-٨٤-قرآن- ١٤٠-١٦٤-قرآن- ٢٤٩-٢٨٨-قرآن- ٢٩٨-٣١٥-قرآن- ٤٦٢-٥٠١-قرآن- ٦٥٨-٦٧٧-قرآن- ٧٨٨-٨٤٦-قرآن- ٨٨٨-٩٠٢-قرآن- ٩٥٢-٩٨٩-قرآن- ٩٩٨-١٠٢٤

فصل

و قوله تعالى فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخِرَانِ قَدْ ذَكَرْنَا سَبَبَ نَزُولِ -قرآن- ١٦-٦٩ [صفحة ٤٢٣] هذه الآية روى أنها لما نزلت أمر رسول الله ص أن يستحلفوهما بأن يقولوا- و الله ما قبضنا له غير هذا و لا كتماننا ثم ظهر على إنياء من فضة منقوش مذهب معهما فقالوا هذا من متاعه فقالا اشتريناه منه فارتفعوا إلى رسول الله فتزل قوله فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخِرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْمَيْتِ أَنْ يَحْلِفَا عَلَى مَا كَتَمَا وَغِيَا فَحَلَفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو وَالمطلب بن أبي وداعة فاستحقا ثم إن تميما أسلم وبيع رسول الله فكان يقول صدق رسول الله وبلغ رسول الله أنا أخذت الإنياء. ومعنى عشر ظهر عليه تقول عشرت على خيانتته وأعشرت غيرى على خيانتته أى أطلعتته و منه قوله وَ كَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَلَيْهِمْ وَأَصْلُهُ الْوُقُوعُ بِالشَّيْءِ . و قوله عَلَى أَنَّهُمَا يَعْنِي أَنَّ الْوَصِيَّيْنَ الْمَذْكُورَيْنِ أَوْلَا فِي قَوْلِهِ إِثْمَانِ فِي قَوْلِ ابْنِ جَبْرِ وَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَى الشَّاهِدِينَ اسْتَحَقَّا إِثْمًا بِمَعْنَى خَانَ وَظَهَرَ وَعَلِمَ مِنْهُمَا ذَلِكَ فَآخِرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا يَعْنِي مِنَ الْوَرِثَةِ فِي قَوْلِ ابْنِ جَبْرِ مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْوَلِيَّانِ . وقيل في قوله الْأَوْلِيَّانِ ثَلَاثَةٌ أَقْوَالٌ أَحَدُهَا الْأَوْلِيَّانِ بِالْمَيْتِ عَنْ ابْنِ جَبْرِ الثَّانِي قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْأَوْلِيَّانِ بِالشَّهَادَةِ وَهِيَ شَهَادَةُ الْإِيمَانِ الثَّلَاثُ قَالَ الرَّجَالُ الْأَوْلِيَّانِ أَنْ يَحْلِفَا مِنْ غَيْرِهِمَا وَهُمَا النَّصْرَانِيَّانِ وَيُقَالُ هُوَ الْأَوْلَى بِفُلَانٍ ثُمَّ حَذَفَ بِفُلَانٍ فَيُقَالُ هُوَ الْأَوْلَى وَهَذَا الْأَوْلَى كَمَا يُقَالُ هُوَ الْأَكْبَرُ بِمَعْنَى الْكَبِيرِ وَهَذَا الْأَكْبَرَانِ . -قرآن- ٢٣٤-٣٣١-قرآن- ٦٧١-٦٩٨-قرآن- ٧٣١-٧٤٤-قرآن- ٧٨٨-٧٩٣-قرآن- ٨٨٨-٩١٧-قرآن- ٩٥٠-٩٩٣-قرآن- ١٠١١-١٠٢١ [صفحة ٤٢٤]

فصل

وقوله الأوليان في رفعه ثلاثه أقوال أحدها بأنه اسم ما لم يسم فاعله المعنى استحق عليهم إثم الأولين أى استحق منهم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. الثانى بأنه بدل من الضمير فى يَقُومانِ على معنى فليقم الأوليان من الذين استحق عليهم الوصية و هو اختيار الزجاج. الثالث بدل من قوله فَأَخْرانِ وزعم الكوفيون أنه لا يجوز إبداله من آخرين لتأخير العطف فى قوله فَيُقْسِمَانِ لأنه يصير بمنزلة مررت برجل قام زيد وقعد وقال الرمانى يجوز على العطف بالفاء جملة على جملة وقال الفارسى يجوز أن يكون رفعا بالابتداء وقد أخر وتقديره فالأوليان بأمر الميت آخران من أهله أو من أهل دينه يقومان مقام الخائنين اللذين من عثر عليهما كقولك تميمى أنا. ويجوز أن يكون خبرا لابتداء محذوف وتقديره آخران يقومان مقامهما هما الأوليان. واختار الأخص أن يكون الأوليان نصفه لقوله فَأَخْرانِ لأنه لما وصف اختص فوصف لأجل الاختصاص بما وصف به المعارف. فأما الجمع على اتباع اللذين وموضعه الجر وتقديره من الأولين الذين استحق عليهم الإيضاء والإثم. وإنما قيل هم الأولين من حيث كانوا الأولين فى الذكر ألاترى أنه قد تقدم -قرآن- ٩-١٩-قرآن- ٢٠٣-٢١١-قرآن- ٣١٢-٣٢٠-قرآن- ٣٩١-٤٠١-قرآن- ٧٨٦-٧٩٦-قرآن- ٨٠٧-٨١٥ [صفحة ٤٢٥] يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهِادَةٌ بَيْنَكُمْ وَكَذَلِكَ اثْنانِ ذَوا عَدَلٍ مِّنْكُمْ ذَكَرنا فى اللفظ قبل قوله أو أَخْرانِ مِنْ غَيْرِكُمْ وحجتهم فى ذلك أن قالوا أرأيت إن كان الأوليان صغيرين أراد بهما إذا كانا صغيرين لم يقوما مقام الكبيرين فى الشهادة و لم يكونا لصغرهما أولى بالميت و إن كانا لو كانا كبيرين كانا أولى به. وإنما قال استحقا إثمًا لأن أخذه يأخذ آثم فسمى إثمًا كما يسمى ما يؤخذ منك مظلمة قال سيويه المظلمة اسم ما يؤخذ منك فكذلك يسمى هذا المأخوذ باسم المصدر. - قرآن- ١-٤٥-قرآن- ٥٣-٧٦-قرآن- ١٠١-١٢٤-قرآن- ٣٣١-٣٤٦

فصل

وقيل فى معناه استحقا عذاب إثم فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه كقوله تعالى إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ أى بعقاب إثمى وعقاب إثمك. وقيل فى معنى عليهم ثلاثه أقوال أحدها أن يكون على بمعنى من كأنه قال من الذين استحق منهم الإثم كما قال إذا اکتالوا على الناس يَسْتَوْفُونَ ومعناه من الناس. الثانى أن يكون المعنى كما يقول استحق على زيد مال الشهادة أى لزمه ووجب عليه الخروج منه لأن الشاهدين كما عثر على حياتهما استحق عليهما بأولياء من آخر الشهادة والقيام بها ووجب عليهما الخروج مما وجب عليه. الثالث أن يكون على بمنزلة فى كأنه استحق فيهم وقام على مقام فى -قرآن- ٩٠-١٣٦-قرآن- ٢٨٢-٣٢١ [صفحة ٤٢٦] والمعنى من الذين استحق عليهم بشهادة الآخرين اللذين هما من غيرنا. فإن قيل هو يجوز أن يسند استحق فيه إلى الأوليان. قلنا لا يجوز ذلك لأن المستحق إنما تكون الوصية أو شيئًا منها ولا يجوز أن يستحق الأوليان وهما الأوليان بالميت فالأوليان بالميت لا يجوز أن يستحقا فيسند استحق عليهما. وقوله فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ أى يحلفان بالله. وقوله لَشَهِادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِادَتِهِمَا جواب القسم التى فى قوله فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ و ما اعتدنا فيما قلنا إن شهادتنا أحق من شهادتهما إنا إن اعتدنا لمن الظالمين لنفوسنا وهذه أصعب آية إعرابا. فإن قيل كيف يجوز أن يقف أولياء الميت على كذب الشاهدين وخيانتهم حتى يحل أن يحلفا. قيل يجوز ذلك لوجه أحدها أن يسمعوا إقرارهما بالخيانة من حيث لا يعلمان أو يشهد عندهم شهود عدول بأنهم سمعوهما يقران بأنهما كذبا أو خانا وتقوم البينة عندهما على أنه أوصى بغير ذلك أو أن هذين لم يحضرا الوصية وإنما حضرا بغير ذلك من الأسباب. -قرآن- ٢٩٩-٣١٨-قرآن- ٣٤٦-٣٨١-قرآن- ٤١٠-٤٢٩

فصل

قال تعالى ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا مَعَهَا وَالْحَالِاقِ أَوْ ذَلِكِ الْحَكْمِ أَقْرَبُ أَنْ تَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَىٰ حَقِّهَا وَصَدَّقَهَا لِأَنَّ الْيَمِينَ تَرَدُّعٌ عَنْ أَمْرِ كَثِيرٍ لَأَيُّرْتَدَعُ عَنْهَا مَعَ عَدَمِ الْيَمِينِ . واختلفوا فى أن اليمين هل تجب على كل شاهدين أم لا قال ابن عباس إنما قرآن-١٣-٦١ [صفحة ٤٢٧] هى على الكافر خاصةً و هو الصحيح و قال غيره هى على كل شاهدين وصيين إذا أربب بهما. واختلفوا فى نسخ حكم الآيتين المتقدمتين مع هذه على قولين فقال ابن عباس هى منسوخة الحكم و قال الحسن هى غير منسوخة و هو الذى يقتضيه مذهبنا وأخبارنا و قال البلخى أكثر أهل العلم على أنه غير منسوخ لأنه لم ينسخ من سورة المائدة شىء لأنها آخر ما نزلت . ووجه قول من قال هى منسوخة أن اليمين اليوم لا تجب على الشاهدين بالحقوق وإنما كان قبل الأمر بإشهاد العدول فى قوله وَ أَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ فَنَسَخْتُ بِذَلِكَ هَذِهِ الْآيَةَ وَدَلَّتْ عَلَىٰ أَنْ شَهَادَةَ الذَّمِّ لَا تَقْبَلُ عَلَىٰ الذَّمِّ إِذَا رَفَعْنَا إِلَىٰ حُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ لِأَنَّ الذَّمَّ لَيْسَ بِعَدْلِ وَ لَا مَن يَرْضَىٰ مِنَ الشَّهَادَةِ . و من ذهب إلى أنها غير منسوخة جعلها بمعنى شهادة الأيمان على الوصيين فإذا ظهر على خيانه منهما فما وجد فى أيديهما صاروا مدعيين و صار الورثة فى معنى المنكرين فوجب عليهما اليمين من حيث صاروا مدعيين . و قوله تعالى أَوْ يَخَافُوا أَنْ تَزُدَّ آيْمَانُ بَعْدَ آيْمَانِهِمْ يَعْنِي أَهْلَ الذَّمِّ يَخَافُونَ أَنْ يَرِدَ آيْمَانٌ عَلَىٰ أَوْلِيَاءِ الْمَيِّتِ فَيَحْلِفُوا عَلَىٰ خِيَانَتِهِمْ فَيَفْتَضِحُوا وَيَغْرَمُوا وَيُنْكَشِفُ لِلنَّاسِ بِذَلِكَ بَطْلَانَ شَهَادَتِهِمْ وَيَسْتَرِدُّ مِنْهُمْ مَا أَخَذُوهُ بِغَيْرِ حَقِّ حِينَئِذٍ أَدَّوْا الشَّهَادَةَ عَلَىٰ وَجْهِهَا وَتَحْرُزُوا مِنَ الْكُذْبِ . وقرئ استحق بفتح التاء وضم التاء وكسر الحاء وقرئ الأولين بتشديد الواو وكسر اللام وفتح النون على الجمع وبسكون الواو وفتح اللام وكسر النون على التثنية - قرآن-٤٧٢-٥٠٣-قرآن-٨٦٦-٩١٣ [صفحة ٤٢٨]

باب الزيادات

إشارة

ذكر الله الشهادة فى القرآن فى ثلاثة مواضع منها قوله وَ اسْتَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتَانِ ثُمَّ أَمَرَ بِالْإِشْهَادِ عَلَىٰ التَّبَاعِ وَقَالَ وَ أَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ثُمَّ أَوْعَدَ عَلَىٰ كِتْمَانِهَا فَقَالَ وَ لَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَ مَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آتَمُّ قَلْبُهُمْ لَهَا وَأَنْهَا وَاجِبَةٌ مَا تَوَعَّدَ عَلَىٰ كِتْمَانِهَا. الثانى قال وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ إِلَىٰ قَوْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ فَأَمَرَ بِجَلْدِ الْقَاذِفِ ثُمَّ رَفَعَ عَنْهُ الْجِلْدَ بِتَحْقِيقِ قَذْفِهِ بِالشَّهَادَةِ فِى ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ وَ لَا- تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا عَلَىٰ أَنْ يَكُونُوا فَاسِقِينَ مَقْبُولِ الشَّهَادَةِ ثُمَّ قَالَ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا يَعْنِي تَقَبَّلْ شَهَادَتَهُمْ. الثالث قال تعالى يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ إِلَىٰ قَوْلِهِ وَ أَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِنْكُمْ. ومعنى قوله فَإِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ يَعْنِي قَارِبِينَ الْبُلُوغِ لِأَنَّهُ لَا رَجْعَ بَعْدَ بُلُوغِ الْأَجْلِ . وجملة أن الحقوق ضربان حق الله وحق آدمى. فأما حق آدمى فإنه ينقسم فى باب الشهادة ثلاثة أقسام أحدها لا تثبت إلا بشاهدين ذكرين كالفقاص والثانى ما يثبت بشاهدين وشاهد وامرأتين وشاهد ويمين و هو كل ما كان مالا أو المقصود منه المال والثالث ما يثبت بشاهدين وشاهد وامرأتين أو أربعة نسوة و هو الولادة والاستهلال والعيوب تحت الثياب . و أما حقوق الله فجميعها لا تدخل للنساء وللشاهد مع اليمين فيها وهى ثلاثة أضرب ما لا يثبت إلا بأربعة و هو الزنا واللواط إذا كانا بالأحياء فإن كانا بالأموات قرآن-٥٥-١٤٤-قرآن-١٨١-٢٠٨-قرآن-٢٣٥-٢٩٩-قرآن-٣٤٨-٤١٧-قرآن-٤٢٩-٤٥٧-قرآن-٥٣٤-٥٧١-قرآن-٦١٩-٦٦٨-قرآن-٧٠٩-٧٥١-قرآن-٧٦٣-٧٩٤-قرآن-٨٠٩-٨٣٣ [صفحة ٤٢٩] فيكفى فى ذلك شاهدان وإتيان البهائم والثانى ما لا يثبت إلا بشاهدين و هو السرقة وحد الخمر والثالث ما اختلف فيه و هو الإقرار بالزنا قال قوم لا يثبت إلا بأربعة كالزنا و

قال آخرون يثبت بشاهدين كسائر الإقرارات و هو أقوى .

مسألة

وقوله تعالى وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ مَعْنَاهُ الَّذِينَ يَقْذِفُونَ الْعِفَائِفَ بِالزِّنَاءِ فَحُذِفَ بِالزِّنَاءِ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ وَ لَمْ يَقِيمُوا عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ مِنَ الشُّهُودِ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ثَمَانُونَ جَلْدَةً إِذَا كَانَ أَعْجَبِيًّا مِنْهَا لِأَزْوَاجِهَا ثُمَّ نَهَى سَبْحَانَهُ عَنْ قَبُولِ شَهَادَةِ الْقَاذِفِينَ عَلَى التَّأْيِيدِ وَحُكْمِ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ فَسَاقُ بَقَوْلِهِ وَ لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَ أَوْلَيْكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ثُمَّ اسْتَشْنَى مِنْهُمْ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ. وَ اخْتَلَفُوا فِي الْاسْتِثْنَاءِ إِلَى مَنْ يَرْجِعُ فَقَالَ قَوْمٌ هُوَ مِنَ الْفَسَاقِ فَإِذَا تَابَ قَبِلَتْ شَهَادَتُهُ حُدَّ أَوْ لَمْ يَحُدَّ وَ هُوَ قَوْلُ ابْنِ الْمَسِيْبِ . -قرآن- ١٦-٤٧-قرآن- ٣١٠-٣٧٦-قرآن- ٣٩٤-٤٣٠

مسألة

وسئل أبو عبد الله ع عن الذي يقذف المحصنات تقبل شهادته إذا تاب قال نعم قيل و ماتوبته قال فيجىء و يكذب نفسه عند الإمام و يقول قدا فترت على فلانة و يتوب مما قال -رواية- ١-٢-رواية- ٣-١٧٨ . و قال ابن عمر لأبى بكره إن تبت قبلت شهادتك فأبى أبو بكره أن يكذب نفسه و به قال الشافعى و هو مذهبهنا. [صفحة ٤٣٠] و قال الحسن الاستثناء من الفاسقين دون قوله و لا تقبلوا لهم شهادة أبداً و به قال أهل العراق قالوا فلا يجوز شهادة القاذف أبداً. و لاختلاف أنه إذا لم يحد بأن تموت المقدوفة و لم يكن هناك مطالب ثم تاب أنه يجوز قبول شهادته و هذا يقتضى الاستثناء من المعتدين على تقدير وأولئك هم الفاسقون مع امتناع قبول شهادتهم إلا للتائبين منهم والحد حق المقدوفة لا يزول بالتوبة. ثم قال إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا و إن نزلت في سبب لم يجب قصرها عليه و على هذا أكثر المحصلين كآية القذف وآية اللعان وآية الظهار وغيرها. يوم تشهد عليهم ألسنتهم يجوز أن يكون المعنى أى يشهدون يعنى هؤلاء على أنفسهم بألسنتهم وقيل شهادة الأيدي والأرجل تكون بأن يبينها الله بينه مخصوصه يمكنها النطق أو يفعل الله فى هذه البيئه كلاما يتضمن الشهادة فكأنها هى الناطقة أو يجعل فيها علامه تقوم مقام النطق و ذلك إذا جحدوا معاصيهم . -قرآن- ٤٨-٨٥-قرآن- ٤٠٠-٤٧٧-قرآن- ٥٨٧-٦٢١

مسألة

المفعول الثانى فى قوله فتذكر إحداهما الأخرى محذوف و كذا إذا قرئ بالتخفيف فتذكر بالقراءتين محذوف والمعنى فتذكر إحداهما الأخرى الشهادة التى تحملتها لأن ذكرت فعل يتعدى إلى مفعول واحد فإذا نقلته بالهمزة أو خفت العين منه تعدى إلى مفعول آخر. و ما بعد الفاء فى قوله فتذكر مبتدأ محذوف و لو أظهرته لكان فهما تذكر إحداهما الأخرى فالذكر العائد إلى المبتدأ المحذوف الضمير فى قوله إحداهما. -قرآن- ٢٧-٥٥-قرآن- ٢٨٧-٢٩٦-قرآن- ٤٠٥-٤١٣ [صفحة ٤٣١]

مسألة

فإن قيل إن الشهادة إنما وقعت للذكر والحفظ للضلال الذي هو النسيان. فجوابه أن سيويوه قد قال أمر بالإشهاد لأن تذكر إحداهما الأخرى وإنما ذكر أن تضل لأنه سبب الإذكار. وقوله فْتَذَكَّرْ مَعطوف على الفعل المنصوب ووجه كونه مرفوعاً قد ذكرناه . -قرآن- ١٨٣-١٩٢

مسألة

وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ لَلشُّهُودِ وَنَهَى لَهُمْ عَنْ كِتْمَانِ الشَّهَادَةِ إِذَا دَعُوا إِلَى إِقَامَتِهَا وَمَنْ يَكْتُمُهَا أَى مِنْ يَكْتُمُ الشَّهَادَةَ مَعَ عِلْمِهِ بِالشُّهُودِ بِهِ وَعَدَمِ ارْتِيَابِهِ فِيهِ وَتَمَكُّنِهِ مِنْ أَدَائِهَا مِنْ غَيْرِ ضَرَرٍ بَعْدَ مَا دَعَى إِلَى إِقَامَتِهَا فَإِنَّهُ آثَمُ قَلْبُهُ أَضَافَ الْإِثْمَ إِلَى الْقَلْبِ وَإِنْ كَانَ الْإِثْمَ هُوَ الْحَمْلَةُ لِأَنَّ اكْتِسَابَ الْإِثْمِ إِلَى الْقَلْبِ أَبْلَغُ فِي الذَّمِّ كَمَا أَنَّ إِضَافَةَ الْإِيمَانِ إِلَى الْقَلْبِ أَبْلَغُ فِي الْمَدْحِ قَالَ تَعَالَى أَوْلَيْكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ -قرآن- ١-٢٦-قرآن- ٨٨-١٠٢-قرآن- ٣٩٢-٤٣٢ و قال النبي ص لا ينقضى كلام شاهد زور بين يدي الحاكم حتى يتبوا مقعده من النار -روایت- ١-٢-روایت- ٢٠-٨٨

مسألة

وقوله وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ أَى إِنْ تَظَهَرُوا الشَّهَادَةَ أَوْ تَكْتُمُوهَا فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ذَلِكَ وَيَجَازِيكُمْ بِهِ . وقيل إنها عامه في الأحكام التي ذكرها الله تعالى من أول البقرة و فيها خمسمائة -قرآن- ٩-٧٦ [صفحہ ٤٣٢] حكم ونيف على ما ذكره على بن ابراهيم بن هاشم خوف الله عباده من العمل بخلافها بهذه الآية و بين أنه لما أمر بتلك الوثائق ويعتد بها إنما هو لأمر يرجع إلى المكلفين للأمر يرجع إليه تعالى فإن له ما في السماوات و ما في الأرض . و من قال إنها منسوخة بقوله لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا فَإِنَّهُ لَا يَصِحُّ لِأَنَّ تَكْلِيفَ مَا لَيْسَ فِي الْوَسْعِ غَيْرَ جَائِزٍ -قرآن- ٢٧١-٣٠٩

فقه القرآن جلد ٢

الجزء الثاني

اشاره

تأليف الفقيه المحدث المفسر الأديب قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله الراوندى المتوفى سنة ٥٧٣هـ-

كتاب القضايا

اشاره

قال الله تعالى يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ. أخبر الله بأنه نادى داود أن افضل بين المختلفين من الناس والمنتازعين بالحقوق موضع الأشياء مواضعها على ما أمرك الله به . والخليفة هو المدبر للأمر من قبل غيره بدلا من تدبيره . وقيل معناه جعلناك خليفة لمن كان قبلك من رسلنا ثم أمره فالآية تدل على أن القضاء جائز بين المسلمين وربما كان واجبا فإن

لم يكن واجبا فربما كان مستحبا وتدل عليه آيات كثيرة - قرآن- ١٩-٩٦- قرآن- ١٧٢-١٧٩

باب الحث على الحكم بالعدل والمدح عليه وذكر عقوبته من يكون بخلافه

إشاره

قال الله سبحانه و أن احكم بينهم بما أنزل الله و قال تعالى فإن جاؤك - قرآن- ١٩-٦٠- قرآن- ٧٥-٨٦ قال الله سبحانه و أن احكم بينهم بما أنزل الله و قال تعالى فإن جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم و قال تعالى و داود و سليمان إذ يحكمان في الحرب و قال تعالى فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم. و قد ذم الله من دعى إلى الحكم فأعرض عنه فقال و إذا دعوا إلى الله و رسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون. و مدح قوما دعوا إليه فأجابوا فقال إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله و رسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا و أطعنا و قال تعالى إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها و إذا حكمتكم بين الناس أن تحكموا بالعدل و قال تعالى و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون و في موضع آخر و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون و في موضع آخر و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون. و قال الحسن هي عامه في بنى إسرائيل وغيرهم من المسلمين . - قرآن- ١-٣٥- قرآن- ٥٠-٩٧- قرآن- ١١٢-١٧٩- قرآن- ٢٣٢-٣٢١- قرآن- ٣٥٨-٤٧٧- قرآن- ٤٩٢-٦٠٥- قرآن- ٦٢٠-٦٨٤- قرآن- ٧٠٠-٧٦٥- قرآن- ٧٨١-٨٤٥ و روى البراء بن عازب عن النبي ص أن هذه الآيات الثلاث في الكفار خاصة - رواية- ١-٢- رواية- ٣٩-٧٩. و قال الشعبي نزل الكافرون في هذه الأمة و الظالمون في اليهود و الفاسقون في النصارى . [صفحة ٧] و الأولى أن يقال هي عامه في من حكم بغير ما أنزل الله فإن كان مستحلا لذلك معتقدا أنه هو الحق فإنه يكون كافرا بلا خلاف فأما من لم يكن كذلك و هو يحكم بغير ما أنزل الله فإنه يدخل تحت الآيتين الأخيرين .

فصل

و قال أبو جعفر الحكم حكمان حكم الله و حكم الجاهليته و قال الله عز و جل و من أحسن من الله حكما لقوم يوقنون و أشهد على زيد بن ثابت لقد حكم في الفرائض بحكم الجاهلية ثم قال قال النبي ص من حكم في الدرهمين بحكم جور ثم أجبر عليه كان من أهل هذه الآية و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون و قيل كيف يجبر عليه قال يكون له سوط و سجن فيحكم عليه فإن دخل بحكومته و إضربه بسوطه و حبسه في سجنه - رواية- ١-٢- رواية- ٢٢-٤٦٢ و قال أبو عبد الله ع إياكم أن يحاكم بعضكم بعضا إلى أهل الجور ولكن انظروا إلى رجل منكم يعلم شيئا من قضائنا فاجعلوه بينكم فإني جعلته قاضيا فتحاكموا إليه - رواية- ١-٢- رواية- ٢٧-١٧٠ [صفحة ٨]

فصل

و عن أبي بصير قلت لأبي عبد الله ع قول الله في كتابه و لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل و تدلوا بها إلى الحكام قال يا أبابصير إن الله عز و جل قد علم أن في هذه الأمة حكاما يجورون أما إنه لم يعن حكام العدل ولكنه عنى حكام الجور يا أبا محمد إنه لو

كان لك على رجل حق فدعوته إلى حاكم أهل العدل فأبى عليك إلا أن يرافحك إلى حكام أهل الجور ليقضوا له كان ممن حاكم إلى الطاغوت وهو قول الله عز وجل ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا بها الآية -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٦٣٢ وقال إياكم أن يحاكم بعضكم بعضا إلى أهل الجور -رواية- ١-٢-رواية- ١٠-٥٤ وقال لماولى أمير المؤمنين ع شريحا القضاء اشترط عليه أن لا ينفذ القضاء حتى يعرضه عليه وقال له قد جلست مجلسا لا يجلسه إلا نبي أو وصى نبي أو شقى -رواية- ١-٢-رواية- ١٠-١٥٧ ثم قال إن عليا ع اشتكى عينه فعاده رسول الله ص فإذا على يصيح فقال له النبي أجزعا أم وجعا يا على فقال يا رسول الله ما وجعت وجعا قط أشد منه قال يا على إن ملك الموت إذ انزل ليقبض -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-ادامه دارد [صفحة ٩] روح الفاجر أنزل معه سفودا من نار فينزع روحه به فتضج جهنم فاستوى على جالسا فقال يا رسول الله أعد على حديثك فقد أنساني وجعى ما قلت فهل يصيب ذلك أحدا من أمتك قال نعم حكاما جائرين وآكل مال اليتيم وشاهد الزور -رواية- از قبل ٢٢٨

باب ما يجب أن يكون القاضى عليه

إشارة

قال الله تعالى إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ. أمر تعالى الحكام بين الناس أن يحكموا بالعدل لا بالجور ونعم الشىء شيئا يعظكم الله به من أداء الأمانة. -قرآن- ١٩-١٣٢ وروى عن المعلى بن خنيس قال سألت أبا عبد الله ع عن هذه الآية فقال على الإمام أن يدفع ما عنده إلى الإمام الذى بعده وأمرت الأئمة بالعدل وأمرت الناس أن يتبعوهم -رواية- ١-٢-رواية- ٣٤-١٧٧. وقال تعالى وَ اذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ إِلى قَوْلِهِ وَ آتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَ فَصَّلَ الْخِطَابِ أَى أَعْطَيْنَاهُ إِصَابَةَ الْحُكْمِ بِالْحَقِّ وَ فَصَلَ الْخِطَابِ هُوَ قَوْلُهُ الْبَيْنَةُ عَلَى الْمُدْعَى وَ الْيَمِينُ عَلَى الْمُدْعَى عَلَيْهِ . -قرآن- ١٦-٣٨-قرآن- ٥٠-٨٨ [صفحة ١٠] ثم قال وَ هَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ هَذَا خِطَابِ مِنْ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ ع وَ صَوْرَتُهُ صَوْرَةُ الْاِسْتِفْهَامِ وَ مَعْنَاهُ الْاِخْبَارُ بِمَا كَانَ مِنْ قِصَّةِ دَاوُدَ مِنْ الْحُكْمَةِ بَيْنَ الْخَصْمَيْنِ وَ تَنْبِيهِهِ عَلَى مَوْضِعِ تَرْكِهِ بَعْضَ مَا يَسْتَحِبُّ لَهُ أَنْ يَفْعَلَهُ . وَ النَّبَأُ الْخَبْرُ بِمَا يَعْظُمُ حَالَهُ وَ الْخَصْمُ هُوَ الْمُدْعَى عَلَى غَيْرِهِ حَقًّا مِنْ الْحُقُوقِ الْمْتَنَازِعِ لَهُ فِيهِ وَ يَعْبَرُ بِهِ عَنِ الْوَاحِدِ وَ الْاِثْنَيْنِ وَ الْجَمْعِ بِلَفْظِ وَاحِدٍ لِأَنَّ أَصْلَهُ الْمَصْدَرُ وَ لِذَلِكَ قَالَ إِذْ تَسَيَّرُوا وَ الرَّوَّابِلَ أَنَّهُ أَرَادَ الْمُدْعَى وَ الْمُدْعَى عَلَيْهِ وَ مِنْ مَعَهُمَا فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِهِ فِى أَنْ أَقْلَ الْجَمْعِ اِثْنَانِ لَمَّا قَالَ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضِائِهِ أَرَادَ بِذَلِكَ الْفَرِيقَيْنِ أَى نَحْنُ فَرِيقَانِ خَصْمَانِ أَى يَقُولُ مَا يَقُولُ خَصْمَانِ لِأَنَّهُمَا كَانَ مَلَكَيْنِ وَ لَمْ يَكُونَا خَصْمَيْنِ وَ لَا بَغَى أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ وَ إِنَّمَا هُوَ عَلَى الْمَثَلِ . فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَ لَا تَشْطِطْ مَعْنَاهُ وَ لَا تَجَاوِزِ الْحَقَّ وَ لَا تَجْرُ وَ لَا تَسْرِفْ فِى حُكْمِكَ بِالْمِيلِ مَعَ أَحَدِنَا عَلَى صَاحِبِهِ وَ أَرْشَدْنَا إِلَى قِصْدِ الطَّرِيقِ أَلَّذِى هُوَ طَرِيقُ الْحَقِّ وَ وَسْطُهُ . -قرآن- ١٠-٣٧-قرآن- ٣٧٤-٣٩٧-قرآن- ٥٠٠-٥٣٠-قرآن- ٦٨٨-٧٢٤

فصل

ثم حكى سبحانه ما قال أحد الخصمين لصاحبه فقال إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعَجَةً وَ لِي نَعَجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا قَالَ وَ هَبْ يَعْنِي أَخِي فِى دِينِي وَ قَالَ الْمَفْسُرُونَ إِنَّهُ كُنِيَ بِالنَّعَاجِ عَنْ تِسْعٍ وَ تِسْعِينَ امْرَأَةً كَانَتْ لَهُ وَ أَنَّ الْآخَرَ لَهُ امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ وَ قَالَ

الحسن لم يكن له تسع وتسعون نعجة وإنما هو على وجه المثل وقال أبو مسلم أراد النعاج بأعيانها وهو الظاهر غير أنه خلاف أقوال المفسرين . -قرآن- ٥١-١٤٠ [صفحة ١١] وقال هما خصمان من ولد آدم ولم يكونا ملكين وإنما فرغ منهما لأنهما دخلا عليه في غير الوقت المعتاد وهو الظاهر. ومعنى أَكْفَلْنِيهَا قال ابن عباس أنزل لي عنها وقال أبو عبيدة ضمها إلى وقال آخرون أى اجعلنى كفيلا- بها أى ضامنا لأمرها ومنه قوله وَ كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا. ثم قال وَ عَزَّنِي فِي الْخِطَابِ أى غلبنى فى المخاطبة وقهرنى وقال أبو عبيدة صار أعز منى. فقال له داود لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ومعناه إن كان الأمر على ماتدعيه لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه فأضاف السؤال إلى المفعول به . وقال أصحابنا موضع الخطيئة أنه قال للخصم لَقَدْ ظَلَمَكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْأَلَ خَصْمَهُ عَنْ دَعْوَاهُ وَفِي أَدَبِ الْقَضَاءِ أَنْ لَا يَحْكُمَ بِشَيْءٍ وَلَا يَقُولَ حَتَّى يَسْأَلَ خَصْمَهُ مِنْ دَعْوَى خَصْمِهِ فَمَا أَجَابَ بِهِ حَكْمَ بِذَلِكَ وَهَذَا تَرَكَ النَّدْبَ . والشروط الذى ذكرناه لا بد منه لأنه لا يجوز أن يخبر النبى ع أن الخصم ظلم صاحبه قبل العلم بذلك على وجه القطع وإنما يجوز مع تقدير وبالشرط الذى ذكرناه فروى أن الملكين غابا من بين يديه فظن داود أن الله تعالى اختبره بهذه الحكومة ومعنى الظن هنا العلم كأنه قال وعلم داود وقيل إنما ظن ظنا قويا وهو الظاهر. وَفَتَنَاهُ أى بحق أضافه الله إلى نفسه أى اختبرناه وقرئ فتناه بالتخفيف أى الملكين فتناه بهما. وقيل إنه كان خطب امرأة كان أوريا بن حنان خطبها ولم يعلم ذلك فكان دخل فى سومه فاختراره عليه فعاتبه الله على ذلك . -قرآن- ١٢٤-١٣٤-قرآن-٢٥٣-٢٧٣-قرآن-٢٨٤-٣٠٧-قرآن-٣٨٢-٤٩١-قرآن-٤٤٠-٤٥٣-قرآن-١١٣٢-١١٤٠ [صفحة ١٢] وأولى الوجوه أنه ترك الندب فيما يتعلق بأدب القضاء. وقرأ ابن مسعود ولى نعجة أنثى واحدة ووصفها بأنثى إشعارا بأنها ضعيفة مهينة. يسأل في قوله لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَى نِعَاجِهِ كَيْفَ يَكُونُ السَّائِلُ ظَالِمًا. الجواب أنه لم يسأله سؤال خضوع إنما غالبه فمعنى السؤال هاهنا حمل على سؤال مطالبة و لوسأله التفضل ماعازه عليها وقد بينا أن الحكمة فى قوله وَ آتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ اسْمَ تَقَعِ عَلَى الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ وَصَوَابِ الرَّأْيِ وَصِحَّةِ الْعَزْمِ وَالْحَزْمِ . وَفَصَلَ الْخِطَابِ قَطْعَ الْأُمُورِ بَيْنَ الْمُتَخَاصِمِينَ وَالْخِطَابِ نَزَاعَ فِي الْخُطُوبِ وَهُوَ يَفْصَلُ ذَلِكَ لِحِكْمَتِهِ . وقيل إنما كان كناية عن قوله البيئنة على المدعى واليمين على من أنكر لأن بذلك يقع الفصل بين الخصوم . -قرآن- ١٥٧-٢٠٣-قرآن-٣٧٨-٣٩٨-قرآن-٤٦٤-٤٧٧

فصل

وقوله تعالى وَ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ إِذِ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذِ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ فَقَالَ الْجِبَائِي إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى سُلَيْمَانَ بِمَا نَسَخَ بِهِ حُكْمَ دَاوُدَ الَّذِي كَانَ يَحْكُمُ بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَنْ اجْتِهَادٍ. وَ هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَنَا وَيَقْوَى ذَلِكَ قَوْلُهُ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ يَعْنِي عَلِمْنَا الْحُكْمَ فِي ذَلِكَ الَّتِي هِيَ مَصْلَحَةُ الْوَقْتِ سُلَيْمَانَ . -قرآن- ١٦-١٤٨-قرآن-٣٠٩-٣٢٩ [صفحة ١٣] وقوله إِذِ يَحْكُمَانِ أى طلبا الحكم فى ذلك ولم يبتدئا بعد. وقصته -قرآن- ٩-٢١ أن زرعاً أوكرما وقعت فيه الغنم ليلا فأكلته فحكم داود بالغنم لصاحب الكرم لأن الشرع كان ورد بذلك إليه من قبل ولم يثبت الحكم فقال سليمان لأبيه إن الله أوحى إلى الآن بغير هذا يابى الله قال و ماذا قال يدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان ويدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها حتى إذا عاد الكرم كما كان دفع كل واحد إلى صاحبه حقه ذكره ابن مسعود وهو المروى عنهما ع -رواية- ١-٢-رواية- ٣-٤٢٢. فعلى هذا ينبغي أن يكون الحاكم حكيما عالما بالناسخ والمنسوخ عارفا بالكتاب والسنة عاقلا بصيرا بوجوه الإعراب يثق من نفسه يتولى القضاء والفصل بين الناس

قد ذكرنا من قبل كثيرا مما يتعلق بهذا الباب وها هنا نذكر ما يكون تفصيلا لتلك الجملة أو جملة لذلك التفصيل اعلم أن الله تعالى خاطب نبيه ص فقال وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَ مُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ التَّقْدِيرَ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْ احْكُم بَيْنَهُمْ وَإِنَّمَا كَرَّرَ الْأَمْرَ بِالْحُكْمِ بَيْنَهُمْ لِأَمْرَيْنِ -قرآن- ١٥١-٢٨٩ [صفحة ١٤] أحدهما أنهما حكمان أمر بهما جميعا لأن اليهود احتكموا إليه في زنا المحصن ثم احتكموا إليه في قتل كان منهم ذكره أبو علي و هو المروى عن أبي جعفر . الثاني أن الأمر الأول مطلق والثاني دل على أنه منزل . قال ابن عباس و الحسن تدل الآية على أن أهل الكتاب إذا ترفعوا إلى الحكام المسلمين يجب أن يحكموا بينهم بحكم القرآن و شريعة الإسلام لأنه أمر من الله بالحكم بينهم والأمر يقتضى الإيجاب -رواية ١-٢-رواية ٢٧-٢٠١ . و قال أبو علي نسخ ذلك التخيير بالحكم بين أهل الكتاب أو الإعراض عنهم والترك قال تعالى فَإِنْ جَاؤُكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ . والكتاب في قوله وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ المراد به القرآن مُصَدِّقًا نَصَبَ عَلَى الْحَالِ مُصَدِّقًا مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ يَعْنِي التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَ مَا فِيهِمَا مِنَ التَّوْحِيدِ لِلَّهِ وَعَدْلِهِ وَ الدَّلَالَةِ عَلَى نُبُوَّتِكَ وَ الْحُكْمِ بِالرَّجْمِ وَ الْقَوْدِ وَ غَيْرِهِمَا وَ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ مَا حَكَى اللَّهُ أَنَّهُ كَتَبَهُ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَةِ حُكْمٌ يَلْزِمُنَا الْعَمَلَ بِهِ لِأَنَّهُ جَعَلَ الْقُرْآنَ مُصَدِّقًا لِذَلِكَ وَ شَاهِدًا . وَ قَالَ مُجَاهِدٌ مُهَيِّمًا صَفَّهُ لِلنَّبِيِّ عِ وَالْأَوَّلُ أَقْوَى لِأَجْلِ حَرْفِ الْعَطْفِ وَ لَوْ قَالَ بَلَا وَ أَوْ لَجَازَ . وَ لَا- تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمُوعًا- عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ وَ لَا يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ عِ اتَّبَعَ أَهْوَاءَهُمْ لِأَنَّهُ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَا يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الشَّرْكَ كَانَ وَقَعَ مِنْهُ . -قرآن- ٩٦-١٤٢-قرآن- ١٦٣-١٩٠-قرآن- ٢٠٨-٢١٦-قرآن- ٥٠٥-٥١٤-قرآن- ٥٨٥-٦٠٥-قرآن- ٦٩٥-٧٢٩ [صفحة ١٥] لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مَنَاجِيًا قَالَ مُجَاهِدٌ شَرِيعَةُ الْقُرْآنِ لِجَمِيعِ النَّاسِ لَوْ آمَنُوا بِهِ وَ قَالَ آخَرُونَ إِنَّهُ شَرِيعَةُ التَّوْرَةِ وَ شَرِيعَةُ الْإِنْجِيلِ وَ شَرِيعَةُ الْقُرْآنِ وَ الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ مِنْكُمْ أُمَّةٌ نَبِيْنَا وَ أُمَّةٌ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ عَلَى تَغْلِيْبِ الْمُخَاطَبِ عَلَى الْغَائِبِ فَبَيْنَ تَعَالَى أَنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ شَرِيعَةٌ غَيْرُ شَرِيعَةِ الْآخَرِينَ لِأَنَّهَا تَابِعَةٌ لِلْمَصَالِحِ فَلَا يُمْكِنُ حَمْلُ النَّاسِ عَلَى شَرِيعَةٍ وَاحِدَةٍ مَعَ اخْتِلَافِ الْمَصَالِحِ قَالَ تَعَالَى وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً . -قرآن- ١-٤١-قرآن- ١٧١-١٧٦-قرآن- ٣٧٨-٤٢٣

ثم قال تعالى أ فَحْكُمِ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ قَالَ مُجَاهِدٌ إِنَّهَا كُنَايَةٌ عَنِ الْيَهُودِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا وَجِبَ الْحُكْمُ عَلَى ضَعْفَائِهِمْ أَلْزَمُوهُمْ إِيَّاهُ وَ إِذَا وَجِبَ عَلَى أَقْوِيَائِهِمْ لَمْ يَأْخُذُوهُمْ بِهِ . وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا أَى فَصْلًا بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ مِنْ غَيْرِ مُحَابَاةٍ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْحَاكِمِ أَنْ يَحَابِيَ فِي الْحُكْمِ بَأَنَّ يَعْمَلَ عَلَى مَا يَهْوَاهُ بَدَلًا مِمَّا يُوْجِبُهُ الْعَدْلُ وَ قَدْ يَكُونُ حُكْمٌ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمٍ بَأَنَّ يَكُونُ أَوْلَى مِنْهُ وَ أَفْضَلُ وَ كَذَا لَوْ حُكِمَ بِحَقِّ يُوَافِقُ هَوَاهُ كَانَ مَا يَخَالِفُ هَوَاهُ أَحْسَنُ مِمَّا يُوَافِقُهُ . وَ قَالَ تَعَالَى فِي وَصْفِ الْيَهُودِ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْأَلُونَ لِلْسَّيِّئَاتِ فَإِنْ جَاؤُكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ أَى هُوَ لَا يَقْبَلُونَ الْكَذِبَ وَ يَكْثُرُ أَكْلُهُمُ السَّحْتِ وَ هُوَ الْحَرَامُ . فَخَيْرُ اللَّهِ نَبِيَهُ عِ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ الْيَهُودِ فِي زِنَا الْمُحْصَنِ وَ فِي قَتْلِ قَتْلٍ مِنَ الْيَهُودِ . -قرآن- ١٧-٤٨-قرآن- ١٧٧-٢٠٩-قرآن- ٤٩٥-٥٨٢ [صفحة ١٦] وَ فِي اخْتِيَارِ الْحُكَّامِ وَ الْأَنْمَةِ الْحُكْمِ بَيْنَ أَهْلِ الذَّمَّةِ إِذَا احْتَكَمُوا إِلَيْهِمْ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ حُكْمٌ ثَابِتٌ وَ التَّخْيِيرُ حَاصِلٌ

ذهب إليه جماعة و هو المروى عندهم عن علي ع والظاهر في رواياتنا و قال الحسن إنه منسوخ بقوله وَ أَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَسَخَّ بِالاختيار وأوجب الحكم بينهم بالقسط. وَ كَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَ عِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ أَى الْحُكْمُ بِالرَّجْمِ وَالْقَوْدِ. ثم قال تعالى إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَ لَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً يَمْنَهُ اللهُ نَبِيَهُ ع أَنْ يَكُونَ خَصِيماً لِمَنْ كَانَ مُسْلِماً أَوْ مَعَاهِداً فِي نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ أَى لِاتِّخَاصِمٍ عَنْهُ . وَالْخَطَابُ وَ إِنْ تَوَجَّهَ إِلَى النَّبِيِّ ص فَالمراد به أمته -قرآن- ٥١٩-٢١٢-٢٥٣-قرآن-٢٩٧-٣٦٠-قرآن-٤٠٣-٥١٩

باب نواذر من الأحكام

إشارة

قال محمد بن حكيم سألت أبا الحسن ع عن شيء فقال لي كل مجهول فيه القرعة فقلت له إن القرعة تخطئ وتصيب فقال كل ما حكم الله به فليس بمخطئ قال تعالى فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ -رواية-١-٢-رواية-٢٢-٢٠٠ [صفحة ١٧] و عن عبد الله بن الحجاج قال دخل الحكم بن عيينة وسلمه بن كهيل على أبي جعفر فساله عن شاهد ويمين قال قضى به رسول الله ص وقضى به علي ع عندكم بالكوفة فقالا هذا خلاف القرآن قال وأين وجدتموه خلاف القرآن فقالا إن الله تعالى يقول وَ أَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنْكُمْ فقال لهما أبو جعفر فقله وَ أَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنْكُمْ هو أن لا تقبلوا شهادة واحد ويمينا قال لا -رواية-١-٢-رواية-٣٥-٣٩١ و قال الرضا ع إن أبا حنيفة قال لجعفر بن محمد ع كيف تقضون باليمين مع الشاهد الواحد و هو يضحك فقال جعفر أنتم تقضون بشهادة واحد شهادة مائة قال بل يشهد مائة لا يعرف فترسلون واحدا يسأل عنهم ثم تجيزون شهادتهم بقوله ثم قال أبو حنيفة القتل أشد من الزنا فكيف يجوز في القتل شاهدان والزنا لا يجوز فيه إلا أربعة شهود فقال الصادق لأن القتل فعل واحد والزنا فعلان فمن ثم لانجوز إلا أربعة شهود على الرجل شاهدان و على المرأة شاهدان -رواية-١-٢-رواية-١٨-٤٦٣ وسئل ع عن البيعة إذا أقيمت على الحق أيحل للقاضي أن يقضى بقول البيعة من غير مسألة إذا لم يعرفهم قال خمسة أشياء يجب على الناس الأخذ بها بظاهر الحكم الولايات والتناكح والمواريث والذبايح والشهادات فإذا كان ظاهره ظاهرا مأمونا جازت شهادته و لا يسأل عن باطنه فقد اختصم -رواية-١-٢-رواية-٣-١٨٠-١٨٠ [صفحة ١٨] رجلا إلى داود ع في بقرة فجاء هذابينه على أنها له وجاء هذابينه على أنها له قال فدخل داود المحراب فقال يارب إنه قد أعيانى أن أحكم بين هذين فكن أنت ألدى تحكم فأوحى الله إليه أخرج فخذ البقرة من أذى في يده فادفعها إلى الآخر واضرب عنقه قال فضجت بنو إسرائيل من ذلك وقالوا جاء هذابينه وجاء هذابينه و كان أحقهما بإعطائه أذى في يديه فأخذها منه وضرب عنقه فأعطاه هذا فقال داود يارب إن بنى إسرائيل ضجوا مما حكمت فأوحى الله إليه أن أذى كانت البقرة في يده لقي أبا الآخر فقتله وأخذ البقرة منه فإذا جاءك مثل هذا فاحكم بينهم بما ترى و لا تسألنى أن أحكم حتى يوم الحساب -رواية-١-٢-٦١٢

فصل

و عن داود بن الحصين قال لي أبو عبد الله ع ما يقول في النكاح فقهاؤكم قلت يقولون لا يجوز إلا بشهادة رجلين عدلين فقال كذبوا لعنهم الله هونوا واستخفوا بعزائم الله وفرائضه وشددوا وعظموا ماهون الله إن الله أمر في الطلاق بشهادة رجلين عدلين

فأجازوا الطلاق بلا شاهد والشهادة في النكاح لم يجئ عن الله في عزيمة فقد ندب في عقده النكاح ويستحل الفرج وإن لم يشهدوا وإنما سن رسول الله في ذلك الشاهدين تأديبا ونظرا لثلاثينكر الولد والميراث -رواية-1-2-رواية-24-463. ولا يَأْبُ الشَّهَدَاءُ قَبْلَ الشَّهَادَةِ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثَمُ قَلْبُهُ بَعْدَ الشَّهَادَةِ -قرآن-2-23-قرآن-36-73 [صفحة 19]

باب الزيادات

إشارة

ذكر ابن عباس أن أهل الكتاب اختصموا إلى رسول الله ص فيما اختلفوا بينهم من دين إبراهيم فكل فرقة زعمت أنهم أولى بدينه فقال ع كلا الفريقين برىء من دين إبراهيم فغضبوا وقالوا مانرضى لقضائك فأنزل الله أ فغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ أَى أَفْبَعْدَ هَذِهِ آيَاتِ وَالْحَجَجِ تَطْلُبُونَ دِينَا غَيْرَ دِينِ اللَّهِ وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعًا وَ كَرْهًا فَالطَّوْعُ لِأَهْلِ السَّمَاوَاتِ خَاصَّةً وَ أَمَا أَهْلُ الْأَرْضِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَسْلَمَ طَوْعًا وَمِنْهُمْ مَنْ اسْتَسْلَمَ كَرَاهًا أَى فَرَقًا مِنَ السَّيْفِ -رواية-1-2-رواية-16-476

مسألة

وقال ابن عباس إن الله خير نبيه ع بقوله تعالى فَإِنِ جَاؤُكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ هَذَا التَّخْيِيرُ ثَابِتٌ فِي الشَّرْعِ لِلْأُمَّةِ وَ الْحُكْمِ -رواية-1-2-رواية-20-148. وقول من قال إنه منسوخ بقوله تعالى وَ إِنِ احْكُم بَيْنَهُمْ لَا يَصِحْ لِأَمْنِ الْمَعْنَى وَ إِنِ تُعْرِضْ عَنِ الْحُكْمِ بَيْنَهُمْ فَلَنْ يُضْرَبَ وَ كَ شَيْنًا فِدَعِ النَّظَرَ بَيْنَهُمْ إِنِ شِئْتَ وَ إِنِ حَكَمْتَ أَى وَ إِنِ اخْتَرْتَ أَنْ تَحْكُمَ بَيْنَهُمْ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ مَا فِي الْقُرْآنِ وَ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ . ثم قرع اليهود بقوله وَ كَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَ يَرْضُونَ بِكَ حَكْمًا وَ هُمْ -قرآن-42-63-قرآن-84-96-قرآن-114-135-قرآن-161-174-قرآن-207-232-قرآن-286-307 [صفحة 20] تركوا الحكم بالتوراة جرأة على الله وإنما طلبوا بذلك الرخصة و ما هم بمؤمنين بحكمك أنه من عند الله .

مسألة

وقوله تعالى إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَ نُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنْ نَبِيْنَا ص كَانَ مَتَعْبِدًا بِشَرْعِ مُوسَى ع لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَوْجَبَ ذَلِكَ بُوْحَى أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ لِأَبَالرَّجُوعِ إِلَى التَّوْرَةِ فَصَارَ ذَلِكَ شَرْعًا لَهُ وَ إِنِ وَا فِقَ مَا فِي التَّوْرَةِ. وَ نَبَهُ بِذَلِكَ الْيَهُودَ عَلَى صِحَّةِ نُبُوْتِهِ مِنْ حَيْثُ أَخْبَرَ عَمَّا فِي التَّوْرَةِ مِنْ غَوَامِضِ الْعِلْمِ مَا التَّبَسُّ عَلَى كَثِيرٍ مِنْهُمْ وَ قَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ لَمْ يَقْرَأْ كِتَابَهُمْ . وَ قَوْلُهُ تَعَالَى لِلْعَذِيْبِيْنَ هَادُوا أَى تَابُوا مِنَ الْكُفْرِ وَقِيلَ لِلْيَهُودِ وَاللَّامِ فِيهِ يَتَعَلَّقُ بِحُكْمِ أَى يَقْضَى بِإِقَامَةِ التَّوْرَةِ النَّبِيُّونَ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ وَقْتِ مُوسَى إِلَى وَقْتِ عِيسَى ع لَهُمْ وَفِي مَا بَيْنَهُمْ -قرآن-16-87-قرآن-404-419 [صفحة 21]

كتاب المكاسب

إشارة

قال الله تعالى وَ الْأَرْضَ مَدَدْنَا وَ أَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَ أُنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ وَ جَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ
بِرَازِقِينَ. فقد جعل الله لخلقه من المعيشة ما يتمكنون به من التقدير وأمرهم بالتصرف في ذلك من وجوه الحلال دون الحرام
فليس لأحد أن يتكسب بما حظره الله ولا يطلب رزقه من حيث حرمه . والمعاش جمع معيشة وهي طلب أسباب الرزق مدة
الحياة فقد يطلبها الإنسان لنفسه بالتصرف والتكسب وقد يطلب له فإن أتاه أسباب الرزق من غير طلب فذلك العيش الهنيء -
قرآن- ١٩-١٧١

باب في تفصيل ما أجملناه

إشارة

قوله تعالى وَ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ من في موضع نصب عطفًا على قوله -قرآن- ١٤-٤٣ [صفحة ٢٢] مَعَايِشَ والمراد به العبيد
والإماء والدواب والأنعام والعرب لاتجعل من إلا في الناس خاصة وغيرهم من العلماء فلما كان مع الدواب المماليك حسن
حينئذ. ويجوز أن يكون من في موضع خفض نسقا على الكاف والميم في لكم وإن كان الظاهر المخفوض قلما يعطف على
المضمر المخفوض . ويجوز أن يكون في موضع رفع لأن الكلام قدمت قبله و يكون التقدير ولكم فيها من لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ وَ إِن
مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ أَى ليس شيء إلا و هو قادر من جنسه على ما لانهاية له ولست أنزل من ذلك الشيء إلا ما هو مصلحته
لهم في الدين وينفعهم دون ما يكون مفسده لهم ويضرهم . و صدر الآية إشارة إلى -قرآن- ١-٨-قرآن- ٣٦١-٤٢٩ قوله ع اطلبوا
الرزق في خبايا الأرض فإنه تعالى بسطها وجعل لها طولًا وعرضًا وطرح فيها جبالًا ثابتة وأعلامًا يهتدى بها وأخرج منها النبات
فيها من كل شيء بقدر معلوم و من الأشياء التي توزن من الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-
٢٣٥

فصل

وقال الصادق ع في قوله تعالى رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً أَى سعة في الرزق والمعاش وحسن الخلق في الدنيا والآخرة
حَسَنَةً رضوان الله والجنة في الآخرة -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-١٧٤ [صفحة ٢٣] وقال تعالى وَ لَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَ جَعَلْنَا
لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ أخبر تعالى على وجه الامتنان على خلقه بأصناف نعمه أنه مكن عباده في الأرض من التصرف فيها من سكنائها
وزراعتها وجعل لهم فيها ما يعيشون به مما أنبت لهم من الحبوب والثمرات وغيرها والمعيشة وصلته من جهة مكسب المطعم
والمشرب والملبس إلى ما فيه الحياة. والتمكين إعطاء ما يصح معه الفعل مع ارتفاع المنع لأن الفعل كما يحتاج إلى القدرة فقد
يحتاج إلى آله و إلى دلالة و إلى سبب كما يحتاج إلى رفع المنع والتمكين عبارة عن جميع ذلك . وقال تعالى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ
مَا رَزَقْنَاكُمْ المراد به الإباحة لأنه تعالى لا يريد المباحات من الأكل والشرب وغيرهما. وَ لَا تَطْغَوْا فِيهِ أَى لاتتعدوا فيه فتأكلوه على
وجه حرمه الله فمتى طغيتم فيه وأكلتموه على وجه الحرام نزل عليكم غضبي. -قرآن- ١٥-٧٧-قرآن- ٥٣٨-٥٧٠-قرآن- ٦٤٥-

وقال بعض المفسرين إن قوله تعالى يا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا إشارة إلى ما ذكره النبي ع تفصيلا لتلك الجملة و هو قوله إذامر الإنسان بالثمره جاز له أن يأكل منها بقدر كفايته و لا يحمل منها شيئا على حال ولذلك قال تعالى بعده وَ لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ. -قرآن- ٣٩-٩٧-قرآن-٢٦٧-٣٠١ [صفحه ٢٤] و كان لموسى بن جعفر ع ضيعه فيها كروم و فواكه فأتاه آت وقت الإدراك ليشتريها فقال ع إنى أبيعها مشروطه أن تجعل من أربع جوانب الحائط مدخلا ليأكل كل من يمر عليها مقدار ما يشتهيه فإنى لا يمكننى أن أبيع القدر الذى يأكله من يمر عليها فاشتراها على ما يريد بهذا الشرط وأحفظه لثلاثي حمل شيئا ويخرج -روایت- ١-٢-روایت- ٣-٣٠٩. و قد بين الله الحلال فقال وَ نَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَ حَبَّ الْحَصِيدِ وَ النَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ يعنى بحب الحصيد حب البر والشعير و كل ما يحصد لأن من شأنه أن يحصد أى خلقنا ما ذكرناه من حب التبت الحصيد والطلع النضيد رزقا لهم وغذاء و كل رزق فهو من الله إما بفعلنا أو فعل سببه . و لما كانت المكاسب و ما يجرى مجراها تنقسم إلى المباحات والمكروهات والمحظورات لم يكن بد من تميزها -قرآن- ٣١-١٦٧

باب المكاسب المحظورة والمكروهة

إشارة

اعلم أن تقلد الأمر من قبل السلطان الجائر إذا تمكن معه من إيصال الحق إلى مستحقه جائز. يدل عليه بعد الإجماع المتردد والسنة الصحيحة قول الله تعالى حكاية عن يوسف ع قال اجعلنى على خزائن الأرض إني حفيظٌ عليهم -قرآن- ١٧٢-٢٣٠ [صفحه ٢٥] طلب ذلك إليه ليحفظه عمن لا يستحقه ويوصله إلى الوجوه التى يجب صرف الأموال إليها ولذلك رغب إلى الملك فيه لأن الأنبياء لا يجوز أن يرغبوا فى جمع أموال الدنيا إلا لما قلناه فقله حفيظٌ أى حافظ للمال عمن لا يستحقه عليهم بالوجوه التى يجب صرفه إليها. ومتى علم الإنسان أو غلب على ظنه أنه لا يتمكن من جميع ذلك فلا يجوز له التعرض له على حال . -قرآن- ١٩٠-١٩٦ و عن أبى بصير سألت أبا عبد الله ع عن كسب المغنيات قال التى تدعى إلى العرائس ليس به بأس التى يدخل عليها الرجال حرام و هو قول الله تعالى وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهَوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ -روایت- ١-٢-روایت- ١٨-٢٢٩ و عن ابن سنان قال سألت أبا الحسن ع عن الإجارة قال صالح لا بأس به إذا نصح قدر طاقته فقد آجر موسى ع نفسه واشترط فقال إن شئت ثمانيا و إن شئت عشرا فأنزل الله فيه على أن تأجرني ثمانيا حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك -روایت- ١-٢-روایت- ٢٤-٢٥١ و عن عمار الساباطى قال سألت أبا عبد الله ع الرجل يتجر فإن هو آجر نفسه أعطى ما يصيب فى تجارة فقال لا يؤاجر نفسه ولكن سيرزق الله تعالى ويتجر فإنه إذا آجر نفسه فقد حضر على نفسه الرزق -روایت- ١-٢-روایت- ٢٨-١٩٨ . و لانتافى بينهما لأن الخبر الأول محمول على ضرب من الكراهية والوجه فى كراهه ذلك أنه لا يأمن أن لا ينصح فى عمله فيكون مأثوما و قدنبه على ذلك فى الخبر الأول بقوله لا بأس إذا نصح قدر طاقته . [صفحه ٢٦]

و عن عمار بن مروان سألت أبا جعفر عن الغلول فقال كل شئ غل من الإمام فهو سحت وأكل مال اليتيم وشبهه سحت والسحت أنواع كثيرة منها أجور الفواجر و ثمن الخمر والنيذ المسكر والربا بعد البينة و أما الرشا في الحكم فإن ذلك الكفر بالله العظيم وبرسوله -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٢٤٣ وروى عن النبي ص في قوله تعالى أَكَّالُونَ لِلسَّيِّئَاتِ قال السحت الرشوة في الحكم -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٨٨ و عن أمير المؤمنين ع أنه قال السحت الرشوة في الحكم ومهر البغي وعسيب الفحل وكسب الحجام و ثمن الكلب و ثمن الخمر و ثمن الميتة و حلوان الكاهن وروى عن أبي هريرة -رواية- ١-٢-رواية- ٣٧-١٧٥ مثله و قال مسروق سألت أبا عبد الله ع عن الجور في الحكم قال -رواية- ١-٢-رواية- ١٦-ادامه دارد [صفحه ٢٧] ذلك الكفر و عن السحت فقال الرجل يقضى لغيره الحاجة فيهدى له الهدية قال الله تعالى وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ هذا إذا كان مستحلا لذلك -رواية- از قبل ١٨٢ . و قال الخليل السحت القبيح الذي فيه العار نحو ثمن الكلب والخمر وأصل السحت الاستيصال . و عن الصادق ع في قوله أَكَّالُونَ لِلسَّيِّئَاتِ أنه قال ثمن العذرة من السحت -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-٨٠ و قال أربعة لا تجوز في أربعة الخيانة والغلول والسرقة والربا لا تجوز في حج و لاعمره و لاجهاد و لاصدقة -رواية- ١-٢-رواية- ١٠-١٠٥ و قال لا تصلح السرقة والخيانة إذا عرفت -رواية- ١-٢-رواية- ١٠-٤٤ . والآية تدل على جميع ذلك بعمومها.

فصل

أما قوله تعالى وَلَا تَكْرِهُوا قِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّيْنَ فهو نهى عن إكراه الأمة على الزنا إنها نزلت على سبب وقوع النهى عن المعين على تلك الصفة. -قرآن- ١٨-٨١ [صفحه ٢٨] قال جابر بن عبد الله نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول حين أكره أمته مسيكة على هذا -رواية- ١-٢-رواية- ٢٦-٩٦ . و هذان هما لكل مكلف أن يكره أمته على الزنا طلبا لكسبها بالزنا. و قوله إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّيْنَ صورته الشرط و ليس بشرط وإنما ذكر لعظم الإفحاش في الإكراه على ذلك . و مهوور البغايا محرمة كرهن أو لم يكرهن . و قوله تعالى وَ مَنْ يُكْرِهْهُنَّ يُكْرِهْهُنَّ عَلَى الْفَاحِشَةِ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ أَى لهنَّ عَفْوٌ رَحِيمٌ إن وقع منها مكرهة في ذلك الوزر على المكره . -قرآن- ٨٣-١٠٣-قرآن- ٢٣٥-٢٥١-قرآن- ٢٦٩-٣٠٣-قرآن- ٣١٢-٣٢٦ و قال أبو جعفر لما أنزل الله على رسوله ص إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصَابُ وَ الْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمَيْسِرُ فَقَالَ كُلُّ مَا يَقَامِرُ بِهِ حَتَّى الْكِعَابِ وَالْجُوزُ قِيلَ فَمَا الْأَنْصَابُ قَالَ مَا ذَبَحُوهُ لِأَهْتَمُّ قِيلَ فَمَا الْأَزْلَامُ قَالَ قَدَّاحُهُمُ الَّتِي كَانُوا يَسْتَقْسِمُونَ بِهَا -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٣١٣ ونهى ع أن يؤكل ماتحمل النملة بفيها وقوائمها -رواية- ١-٢-رواية- ٣-٥٢ . و قال تعالى وَ كَاتِبِينَ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ أَى لاتحمل رزقها للادخار وقيل أى لاتدخره لغد. -قرآن- ١٦-٨٦ [صفحه ٢٩] وروى أن الحيوان أجمع من البهائم والطيور ونحوها لاتدخر القوت لغدها إلا ابن آدم والنملة والفأرة بل تأكل منها كفايتها فقط. ونزلت الآية من أولها يا عبادي الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ أَرْضِي وَإِسْبَعَهُ فَأَيُّ فَاعِلٍ يُدُونِ إِلَى هَاهُنَا فِي أَهْلِ مَكَّةِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ فَإِنَّهُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ لَنَا بِالْمَدِينَةِ أَمْوَالٌ وَ لَا مَنَازِلُ فَمَنْ أَيْنَ الْمَعَاشُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ. -قرآن- ١٥٠-٢٢٣

فصل

و قوله تعالى لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ مَعْنَاهُ لَتَخْتَبِرَنَّ مَا يَفْعَلُ بِكُمْ مِنَ الْفَقْرِ وَ شِدَّةِ الْعُسْرِ وَبِمَا تَوْمَرُونَ مِنَ الزُّكُوتِ وَ الْإِنْفَاقِ

فى سبيل الله فى أموالكم كما تختبرون بالعبادات فى أنفسكم وإنما فعله لتصبروا فسماء بلوى مجازاً لأن حقيقته لا تجوز على الله . وكفى للمكلفين واعظاً بقوله تعالى لَقَدْ كَانَ لِسِيَّ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَ شِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَ اشْكُرُوا لَهُ فإِن أَرْضَ سِيَّ كَانَتْ مِن أَطْيَبِ البَقَاعِ لم يجعل الله فيها شيئاً من هوام الأرض نحو البق والبراغيث ولا العقرب ولا غيرها من المؤذيات و كان الغريب إذا دخل أرضهم و فى ثيابه قمل مات . فهذه آية والآية الثانية أن المرأة كانت تأخذ على رأسها مكيلاً فتملاً بالفواكه من غير أن تمس بيدها شيئاً . -قرآن- ١٦-٥٥-قرآن- ٣٠٧-٤١٩ [صفحہ ٣٠] ثم فسر الآية فقال جَنَّتانِ أى هى جنتان من عن يمين الوادى وشماله ثم قال كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ المراد به الإباحة و إن كان لفظه لفظ الأمر ببلدة طَيِّبَةٌ ليس فيها سبخة فأعرضوا عن ذلك فلم يشكروا الله فجازاهم تعالى على ذلك بأن سلبهم نعمه كانت بها وأرسل عليهم سيل العرم و قد كانت تجتمع مياه وسيول فى هذا الوادى وسدوه بالحجارة والقارين الجبلين فجعلوا له أبواباً يأخذون الماء منه بمقدار الحاجة ماشاءوا فلما تركوا أمر الله بعث عليهم جرذا فنقبته فأغرق عليهم جنتهم وأفسد أرضهم . ثم قال وَ يَدَلُّنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ وَإِنَّمَا سَمَاهُمَا بَعْدَ ذَلِكَ أَيْضاً جَنَّتَيْنِ ازدوجا للكلام ذواتى أَكُلٍ خَمِطاً لَأَكُلَ جِنَاءَ الثمر الذى يؤكل والخمط شجر له ثمر مر . ثم قال ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا ثم من الله تعالى عليهم بما يذكر بعد فظهر فيما بينهم المحاسدة فكان كما قال فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ أى أهلكتناهم وأهلطنا الناس أحاديثهم ليعتبروا بها -قرآن- ٢٠-٢٧-قرآن- ٨٠-١٠٣-قرآن- ١٤٧-١٦٢-قرآن- ٥١٥-٥٥٠-قرآن- ٦٠٠-٦٢٠-قرآن- ٦٨١-٧١٠-قرآن- ٧٩١-٨١٢

باب المكاسب المباحة

إشارة

قال أبو عبد الله ع إن قوما من الصحابة لمانزل و من يتقى الله يجعل له مخرجاً و يرزقه من حيث لا يحسب بأغلقوا الأبواب وأقبلوا على العبادة وقالوا قد كفيينا فبلغ ذلك النبى ص فأرسل إليهم فقال ما حملكم على ما صنعتم فقالوا يا رسول الله تكفل الله لنا بأرزاقنا فأقبلنا على العبادة فقال ع إنه من فعل ذلك لم يستجب الله له عليكم بالطلب -رواية- ١-٢-رواية- ٢٥-٢٥-رواية- ٢١-٢-رواية- ٣١ [صفحہ ٣١] طلب الحلال فريضة بعد الفريضة -رواية- از قبل ٣٣ و قال ملعون من ألقى كله على الناس -رواية- ١-٢-رواية- ١٠-٤٣ . و قال الله تعالى وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَ هُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَى ثقل على وليه هل يسيتوى هو و من يأمر بالعدل -قرآن- ٢٢-١٢٢-قرآن- ١٤١-١٨٣ و عن سعيد بن يسار قلت لأبى عبد الله ع امرأة دفعت إلى زوجها مالا- من مالها ليعمل به وقالت له حين دفعته إليه أنفق منه فإن حدث بك حدث فما أنفقت منه لك حلال طيب و إن حدث بى حدث فهو لك حلال فقال أعد على ياسعيد المسألة فلما ذهبت أعيد المسألة عليه اعترض فيها صاحبها و كان صاحبها معى فقال له يا هذا إن كنت تعلم أنها قد أوصت بذلك إليك فيما بينك وبينها و بين الله فحلال طيب ثم قال يقول الله تعالى فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا يعنى بذلك أموالهن التى فى أيديهن مما يملكن -رواية- ١-٢-رواية- ٢١-٥٤٧ و عن أبى جعفر ع قال رسول الله ص لرجل أنت ومالك لأبيك ثم قال أبو جعفر ع و قال رسول الله لا يجب أن يأخذ من مال ابنه إلا ما احتاج إليه مما لا بد منه إن الله لا يحب الفساد -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-١٩٢ . و قال تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاطِرِينَ إِنَّا هُنَا . -قرآن- ١٦-١٣١ [صفحہ ٣٢] نهاهم عن دخول دار النبى ع بغير إذن إلى طعام غير منتظرين بلوغ الطعام و غير نصب على الحال و إن الطعام إذا بلغ حال النضج ثم قال وَ لَكِنِ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا

أى إذادعيتم إلى الطعام فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا أى تفرقوا و لا تستأنسوا بطول الحديث وإنما منعوا من الاستيناس لأجل طول الجلوس ثم بين أن الاستيناس بطول الجلوس يؤذى النبى و أنه يستحى من الحاضرين فيسكت على مضض ومشقه. -قرآن- ١٣٨-١٦٩-قرآن-٢٠٤-٢٣١

فصل

أما قوله تعالى لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَ لَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَ لَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَ لَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. فقد قال ابن عباس ليس فى مؤاكلتهم حرج لأنهم كانوا يتخرجون من ذلك . قال الفراء كانت الأنصار تتخرج من ذلك لأنهم كانوا يقولون الأعمى لا يبصر فىأكل جيد الطعام دونه والأعرج لا يتمكن من الجلوس والمريض يضعف عن المأكل . و قال مجاهد أى ليس عليكم فى الأكل من بيوت من سمى على جهه حمل قراباتكم إليهم تستبعونهم فى ذلك حرج . و قال الزهري ليس عليهم حرج فى أكلهم من بيوت الغزاة إذا خلفوهم فيها بإذنه . و قيل كان المخلف فى المنزل المأذون له فى الأكل فيجوز لثلا يزيد -قرآن- ١٨-١٧٣ [صفحه ٣٣] على مقدار المأذون له فيها . و قال الجبائى الآيه منسوخه بقوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاطِرِينَ إِنَاهُ -قرآن- ٧٢-١٨٧ و يقول النبى ع لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفسه -رواية- ١-٢-رواية- ٢١-٦٤ . و الذى روى عن أهل البيت ع أنه لا بأس بالأكل لهؤلاء من بيوت من ذكره الله بغير إذنه قدر حاجتهم من غير إسراف وهم عشرة . و قوله وَ لَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ قال الفراء لمانزل قوله تعالى لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة ترك الناس مؤاكله الصغير والكبير ممن أذن الله فى الأكل معه فقال تعالى و ليس عليكم فى أنفسكم و فى عيالكم أن تأكلوا معهم إلى قوله أَوْ صَدِيقِكُمْ أى بيوت صديقكم أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أى بيوت عبيدكم وأموالهم . -قرآن- ١٣٩-١٨٨-قرآن- ٢٢١-٢٩٠-قرآن- ٤٣١-٤٤٤-قرآن- ٤٦٢-٤٨٧ و قال ابن عباس معنى ما مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ هو الوكيل و من جرى مجراه -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-٧٥ . و قال مجاهد والضحاك هو ماملكه الرجل نفسه فى بيته . و قال قتاده معنى قوله أَوْ صَدِيقِكُمْ لأنه لا بأس فى الأكل من بيت صديقه بغير إذن . و قوله تعالى لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتًا قِيلَ يَدْخُلُ فِيهِ أَصْحَابُ الْآفَاتِ عَلَى التَّغْلِبِ لِلْمُخَاطَبِ كَقَوْلِهِمْ أَنْتَ وَ زَيْدٌ قَمْتَا وَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ لَا بَأْسَ أَنْ يَأْكُلَ الْغَنِيُّ مَعَ الْفَقِيرِ فِي بَيْتِهِ وَ قَالَ الضَّحَّاكُ -قرآن- ٨٠-٩٣-قرآن- ١٥٧-٢١٣ [صفحه ٣٤] هم قوم من العرب كان الرجل منهم يتخرج أن يأكل وحده و كانوا من كنانة . و قال أبو صالح كانوا إذا نزل بهم ضيف تخرجوا أن يأكلوا إلامعه فأباح الله الأكل مفردا ومجتعما . والأولى حمل ذلك على عمومه و أنه يجوز الأكل وحدانا وجماعا

باب التصرف فى أموال اليتامى

قال الله عز و جل وَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَ إِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ. معنى الآيه الأذن لهم فيما كانوا يتخرجون منه من مخالطة الأيتام فى الأموال من المأكل والمشرب والمسكن ونحو ذلك فأذن الله لهم فى ذلك إذا تحروا الإصلاح بالتوفير على الأيتام فى قول الحسن وغيره و هو المروى فى أخبارنا . و قوله فَاِخْوَانُكُمْ أى فهم إخوانكم خالطتموهم أو لم تخالطوهم و لو شاء الله لَأَعْتَبْتُمْ الإعنات الحمل على مشقه لاتطاق ثقلا ومعناه التذكر بالنعمة فى التوسعة على ماتوجه الحكمة مع القدرة على التصديق الذى فيه أعظم المشقه. -قرآن- ٢١-١٨١-قرآن- ٤١٩-

٤٣٠-قرآن-٤٧٥-٥٠٥ وقال أحمد بن محمد بن أبي نصر سألت أبا الحسن ع عن رجل يكون في يده مال لأيتام فيحتاج إليه فيمد يده فيأخذه وينوي أن يرده قال لا ينبغي له أن يأكل منه إلا القصد ولا يسرف فإن كان من نيته أن لا يرده عليهم -رواية- ١-
٢-رواية-٣٦-إداهه دارد [صفحه ٣٥] فهو بالمنزل الذي قال الله عز وجل إِنَّ الْعَالَمِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا -رواية-از قبل-٩٠ و عن سماعة عن الصادق ع في قوله تعالى وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ قال من كان يلي شيئا من أموال اليتامى و هو محتاج إلى ما يقيمه فهو يتقاضى أموالهم ويقوم في ضيعتهم فليأكل بقدر ولا يسرف فإن كان ضيعتهم لا تشغله عما يعالج لنفسه فلا يرزأن من أموالهم شيئا -رواية- ١-٢-رواية-٢٨-٢٨٩ وسئل ع عن قوله تعالى وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ قال يعنى اليتامى إذا كان الرجل يلي الأيتام في حجره فليخرج من ماله على قدر ما يحتاج إليه على قدر ما تخرج لكل إنسان منهم فيخالطهم ويأكلون جميعا ولا يرزأن من أموالهم شيئا إنما هي النار -رواية- ١-٢-رواية-٣-٢٦١ وقال ع في قوله تعالى فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ المعروف هو القوت وإنما عنى الوصى والقيم فى أموالهم بما يصلحهم -رواية- ١-٢-رواية-١٣-١٢٠ و عن أبى الصباح الكنانى عن أبى عبد الله ع فى قوله تعالى وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فقال ذلك رجل يحبس نفسه عن المعيشة فلا بأس أن يأكل بالمعروف إذا كان يصلح لهم أموالهم فإن كان المال قليلا فلا يأكل منه شيئا قال قلت أرأيت قول الله عز وجل وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ قال تخرج من أموالهم بقدر ما يكفيهم وتخرج من مالك قدر ما يكفيك ثم تنفقه قلت أرأيت إن كانوا يتامى صغارا وكبارا وبعضهم أعلى كسوة من بعض وبعضهم آكل من بعض ومالهم جميعا فقال أما الكسوة فعلى كل إنسان منهم -رواية- ١-٢-رواية-٥٢-إداهه دارد [صفحه ٣٦] ثمن كسوته و أما الطعام فاجعلوه جميعا فإن الصغير يوشك أن يأكل مثل الكبير -رواية-از قبل-٨١

باب من يجبر الإنسان على نفقته

الذين يجب لهم النفقة بنص القرآن منهم الولد لقوله تعالى وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ عَنِي خَشِيَةَ الْفَقْرِ فلو لا أن على الوالد نفقة الولد ما قتله خشيته الفقر. وهذا الخطاب متوجه إلى الأغنياء الذين يخافون الفقر أن أنفقوا على أولادهم أموالهم فقال تعالى لهم لا تقتلوا أولادكم فإنى أرزقهم كما رزقتكم وخاطب الفقراء بالآية الأخرى فقال تعالى وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ إِنِّي أَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ. فصح أن نفقة الولد على الوالد واجبة سواء كان له مال أو حرفه وصناعه أو أى حيلة يحصل بها ما يقوته ويتبلغ هو به . وقول الله لا تَضَارَّ وَالِدَهُ بِوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِمْ مَنَعٌ مِنَ الْإِضْرَارِ بِهِ . أما قوله تعالى فَإِنْ أَرْضَعْنَا لَكُمْ فَاتَّوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَإِنَّهُنَّ عَلَى أَرَادَ بِهِ الْمَطْلَقَاتِ دُونَ الزَّوْجَاتِ بِدَلَالَةٍ أَنَّهُ تَعَالَى أَوْجِبَ الْأَجْرَةَ بِشَرَطِ الرِّضَاعِ إِلَّا إِذَا كَانَتْ نَاشِرًا لَا تَسْتَحِقُّ مِنْهُ النِّفْقَةَ وَلَئِنَّ تَعَالَى سَمَاهُ أَجْرَةَ وَالنِّفْقَةَ لَا تَسْمَى بِذَلِكَ . و أما وجوب نفقة الوالد على الولد فعلى كل ولد أن ينفق على والده فى - قرآن-٦٣-١٠٤-قرآن-٣٦٣-٤٠٠-قرآن-٥٤٨-٦٠٨-قرآن-٦٤٧-٦٨٩ [صفحه ٣٧] الجملة و على الوالدة أيضا هذا إذا كان له يسار و ما يجرى مجراه والدليل على هذا قوله تعالى وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا فَعَلَى هَذَا إِنْ أَحْتَاجَ الْوَالِدُ وَ لَا يَنْفِقُ الْوَالِدُ عَلَيْهِ يَجُوزُ لِلْوَالِدِ حِينَئِذٍ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ مَالِ وَلَدِهِ قَدْرَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ بَلْ عَلَى طَرِيقِ الْقَصْدِ. فأما من كان له أولاد صغار فلا يجوز له أن يأخذ شيئا من أموالهم إلا قرضا على نفسه و أما الوالدة فلا يجوز لها أن تأخذ من ولدها شيئا على حال إلا على سبيل القرض على نفسها. والمرأة لا يجوز لها أن تأخذ من بيت زوجها من غير إذنه إلا المأدوم فإن ذلك مباح لها أن تتصرف فيه ما لم يؤد إلى ضرر. ويجبر الرجل على نفقة سته ولده ووالديه وجده وجدته من الطرفين وزوجته والمملوك أيضا. ويستحب له النفقة على الآخرين من ذوى أرحامه . و إذا كان للولد مال و لم يكن لوالده شىء جاز له أن يأخذ منه ما يحج به حجة الإسلام

باب السبق والرمية

قال الله تعالى وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَ عَدُوَّكُمْ . -قرآن- ١٩-١٢٦ فقال النبي ص
 ألا إن القوة الرمي ثلاثا -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-٤٥ . ووجه الدلالة أن الله أمر بإعداد الرمي ورباط الخيل للحرب ولقاء العدو
 [صفحة ٣٨] والإعداد لا يكون إلا بالتعلم والنهاية في التعلم المسابقة في ذلك ليكد كل واحد نفسه في بلوغ النهاية والحذف
 فيه فكان في ضمن الآية دليل على ما قلناه . و قال تعالى حكاية عن ولد يعقوب يا أبانا إنا ذهبنا نستيقفأخبر بالمسابقة. -قرآن-
 ١٩٠-٢٢٢ وقال النبي ص لاسبق إلا- في نصل أوخف أوحافر -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-٥٣ بسكون الباء وفتحها فالسكون
 مصدر وبالفتح الفرض المخرج في المسابقة فأحل ع السبق وأباحه في هذه الثلاثة. وسئل أنس هل كنتم تراهنون فقال نعم -
 رواية- ١-٢-رواية- ٣-٤٤ . و لاخلاف في جوازه وإنما الخلاف في أعيان المسائل . فإذا تقرر جواز ذلك في الجملة فالكلام
 فيما يجوز المسابقة عليه و ما لا يجوز. فما تضمنه الخبر من النصل والحافر والخف ضربان أحدهما نشابة وهى للعجم والآخر
 السهم و هوللعرب والمزاريق وهى الردينيات والرماح والسيوف كل ذلك من النصل ويجوز المسابقة عليه بعوض لقوله تعالى وَ
 أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ آيَةً . و أما الخف فالإبل يجوز المسابقة عليها لقوله فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَ لَا رِكَابٍ الْإِبِلَ وَ كَذَا
 المسابقة على الخيل فجائز لقوله و من رباط الخيل و قوله مِنْ خَيْلٍ وَ لَا رِكَابٍ و عليه الإجماع -قرآن- ٣٣٤-٣٦٥-قرآن- ٤١٨-
 ٤٦٢-قرآن- ٥٤١-٥٦٢ [صفحة ٣٩]

باب الزيادات

قوله تعالى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَ لَا تَطْغَوْا فِيهِ . -قرآن- ١٤-٦٦ ركب على ع يوما دلل ليخرج إلى موضع فأتى مسجد
 الكوفة ليصلى فيه ركعتين ثم يخرج و كان منفردا فلما وصل إلى باب المسجد رأى رجلا هناك فقال احفظها لأدخل المسجد
 فإذا خرجت أعطيتك شيئا فأخذ الرجل اللجام من رأس البغلة ومضى فلما خرج ع من الصلاة فإذا بقنبر وجماعة من الناس حول
 البغلة و لم يكن عليها اللجام فقال ع سبحان الله إني أخذت درهمين لأدفعهما إليه فدفعهما إلى قنبر ليشتري بهما لجاما فلما دخل
 قنبر أول السوق فإذا الرجل باعه بدرهمين قراضة فلما عاد أقبل أمير المؤمنين على الناس و قال لاتعرضوا للحرام و لاتأكلوا مال
 غيركم غصبا فتحرموا فى يومكم مقدار ذلك من رزقكم و كل من أمكنه أن يأخذ مال غيره على وجه الحرام و لا يأخذ فالله
 يرزقه فى ذلك اليوم مقدار ذلك من حيث لا يحتسب حلالا طيبا قال تعالى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَ لَا تَطْغَوْا فِيهِ -رواية-
 ١-٢-رواية- ٣-٧٩٥ [صفحة ٤٠]

كتاب المتاجر

إشارة

قال الله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنِ تَرَاضٍ مِنْكُمْ . نهى الله عن أكل الأموال
 بالباطل واستثنى المتاجر من ذلك وجعلها حقا يخرج به مستعملها من الباطل . وقيل فى معناه قولان أحدهما -قرآن- ١٩-١٣٤

قال السدي لا-تكلوا أموالكم بينكم بالربا والقمار والبخس والظلم و هوالمروى عن أبي جعفر -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۴-۹۹. الثاني قال الحسن بغير استحقاق من طريق الأعواض . و كان الرجل يتحرج أن يأكل عندأحد من الناس بعد ماأنزلت هذه الآية إلى أن نسخ ذلك بقوله تعالى في سورة النورليس على الأعمى حرجٌ ولا على الأعرج حرجٌ ولا على المريض حرجٌ ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم -قرآن- ۱۶۸-۳۰۲ [صفحة ۴۱] إلى قوله تعالى ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً. والأول أقوى لأن ماأكل على وجه مكارم الأخلاق فليس هوأكلا بالباطل وقيل معناه التجاوز والأخذ من غيروجهه ولذلك قال تعالى بينكم. وقوله تعالى إلما أن تكون تجارةً فيه دلالة على بطلان من حرم الكسب لأن الله حرم أكل الأموال بالباطل وأحله بالتجارة على طريق المكاسب ومثله قوله وَأَحْبَلَ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا. وقوله تعالى عَن تَرَاضٍ مِنْكُمْ قِيلَ فِي مَعْنَى التَّرَاضَى بِالتَّجَارَةِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا إِمْضَاءُ الْبَيْعِ بِالتَّفَرُّقِ أَوِ التَّخَايُرِ بَعْدَ الْعَقْدِ فِي قَوْلِ شَرِيحِ وَ الشَّعْبِيِّ وَ ابْنِ سِيرِينَ -قرآن- ۱۹-۷۵-قرآن- ۲۱۰-۲۱۷-قرآن- ۲۳۴-۲۵۹-قرآن- ۳۸۲-۴۲۲-قرآن- ۴۳۹-۴۵۵ لقوله ع البيعان بالخيار ما لم يفترقا -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۲-۴۲ أو يكون بيع خيار وربما قالوا أو يقول أحدهما للآخر اختر و هو مذهبنا. الثاني إمضاء البيع بالعقد على قول مالك بن أنس و أبي حنيفة بعله رده إلى عقد النكاح و لاخلاف أنه لاخيار فيه بعدالافتراق وقيل معناه إذاتغابنوا فيه مع التراضي فإنه جائز. ثم قال تعالى وَ لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَي لَا تَهْلِكُوهَا بِتَرْكِ التَّجَارَةِ وَ بَارْتِكَابِ الْآثَامِ وَ الْعُدْوَانِ فِي أَكْلِ الْأَمْوَالِ بِالْبَاطِلِ وَ غَيْرِهِ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَ ظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا الْإِشَارَةُ إِلَى أَكْلِ الْأَمْوَالِ بِالْبَاطِلِ . وقوله تعالى إلما أن تكون تجارةً من رفع فالمعنى إلا أن يقع و من نصب فمعناه إلا أن تكون الأموال تجارةً أى أموال تجارةً وحذف المضاف و يكون الاستثناء منقطعاً ويجوز أن يكون التقدير إلا- أن تكون التجارة تجارةً والرفع أقوى لأنه أدل على الاستثناء فإن التحريم لأكل المال بالباطل على الإطلاق - قرآن- ۲۶۶-۲۹۱-قرآن- ۳۸۱-۴۴۱-قرآن- ۴۹۲-۵۱۷ [صفحة ۴۲]

باب آداب التجارة

إشارة

قال الله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ لَا تَيْمَمُوا الْخَيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ فندب تعالى إلى الإنفاق من طيب الاكتساب ونهى عن طلب الخيث للمعيشة به والإنفاق فمن لم يتفقه لم يميز بين العقود الصحيحة والفاصلة و لم يعرف فرق ما بين الحلال والحرام من الكسب فلم يكن مجتنباً للخيث من الأعمال . وينبغي للتاجر إذاعامله مؤمن ألا يربح عليه إلا في حال الضرورة ويقنع بما لا بد له من اليسير مع الاضطرار أيضا. قال تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهليينأمر الله نبيه ع أن يأخذ مع الناس بالعفو و هو التساهل فيما بينه وبينهم و أن يترك الاستقصاء عليهم في ذلك و هذا يكون في مطالبه الحقوق الواجبة لله وللناس و في غيرها و هو في معنى الخبر -قرآن- ۱۹-۱۶۱-قرآن- ۵۱۵-۵۷۱ عن النبي ع رحم الله سهل القضاء سهل الاقتضاء بائعاً ومشترياً -روایت- ۱-۲-روایت- ۱۷-۶۷ . و لاينافي ذلك أن لصاحب الحق والديون وغيرها استيفاء الحق وملازمة صاحبه حتى يستوفيه لأن ذلك مندوب إليه دون أن يكون واجبا. و أمر بالعرف أى المعروف و هو كل ماحسن في العقل فعله أو في الشرع و أعرض عن الجاهليينأمر بالإعراض عن السفه أذى إن بايعه -قرآن- ۱۳۴-۱۵۰-قرآن- ۲۰۸-۲۳۳ [صفحة ۴۳] أوشاراه سفه عليه وآذاه و إلى هذاأشار أمير المؤمنين ع بقوله لأهل السوق كل بكرة يغتدى إليهم تبركوا بالسهولة واقربوا من المتبايعين وتناهوا عن اليمين وجانبوا الكذب والظلم و لا-تقربوا الربا وأوفوا المكيال والميزان و

لاتبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين وإياكم ومخالطة السفلة و هو الذى لايبالى بما قال و ما قيل له و لاتعاملوا
إلا من يشاء فى خير قال تعالى وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ -رواية-1-2-رواية-3-391

فصل

قال الله تعالى وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَ لا يكون الوفاء حتى يميل الميزان . -قرآن-19-48 و كان ع يقول زن ياوزان وأرجح -
رواية-1-2-رواية-19-38 فلهذا أمرنا أن لا نأخذ إلا ناقصا و أن لا نعطي إلا راجحا. و قال النبي ص من باع واشترى فليحفظ
خمس خصال و إلا فلا يشتري و لا يبيع الربا والحلف و كتمان العيب والمدح إذ باع و الذم إذا اشترى -رواية-1-2-رواية-20-
143. قال الله تعالى أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا وَ قال وَ لا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ. -قرآن-20-57-قرآن-65-107 [صفحہ
44] و قال يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَ الرُّسُولَ وَ تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ فلا ينبغي تزيين متاعه بأن يرى جيده
و يكتف رديه و لقوله تعالى وَ ما كَانَ لِتَيْبٍ أَنْ يُغْلَّ وَ مَنْ يُغْلَلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَالْغُلُولُ الخيانة لأنه يجرى فى الملك على
خفى من غير الوجه الذى يحل كالغلول و هو دخول الماء فى خلل الشجر وإنما خصت الخيانة بالصفة دون السرقة لأنه يجرى إليها
بسهولة لأنها مع عقد الأمانة. -قرآن-8-113-قرآن-182-259 و قال النبي ع حين مر على رجل يبيع التمر و كان يخلط الردىء
بالجيد من غشنا فليس منا -رواية-1-2-رواية-3-93. و لا يجوز أن يشوب اللبن بالماء لأن العيب لا يتبين فيه . و عن إسحاق
سألت أبا عبد الله ع عن الرجل يبعث إلى الرجل يقول له اتبع لى ثوبا فيطلب له فى السوق فيكون عنده مثل ما يجد له فى السوق
فيعطيه من عنده قال لا يقربن هذا و لا يدنس نفسه إن الله عز و جل يقول إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبَالِ
فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَ أَسْفَقْنَ مِنْهَا وَ حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا و إن كان ما عنده خيرا مما يجد له فى السوق فلا يعطيه من
عنده إلا بإعلامه ذلك -رواية-1-2-رواية-15-467. و كذلك من باع لغيره شيئا فلا يشتريه لنفسه و إن زاد فى ثمنه على
ما يطلب فى الحال إلا بعلم من صاحبه و إذن من جهته . [صفحہ 45] و لا يجوز للرجل أن يدخل فى سوم أخيه فقد عاتب الله نبيه
داود فقال إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعَجَةً وَ لِي نَعَجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا آيَةً. و إذ اتعسر عليه نوع من التجارة فليتحول منه
إلى غيره -قرآن-72-161

باب أحكام الربا

إشارة

قال الله تعالى الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ. أصل الربا الزيادة من قولهم ربا الشيء
يربو إذا زاد و الربا هو الزيادة على رأس المال فى جنسه أو مماثله و ذلك كالزيادة على مقدار الدين للزيادة فى الأجل أو كإعطاء
درهم بدرهمين أو دينار بدينارين . و المنصوص عليه تحريم التفاضل فى ستة أشياء الذهب و الفضة و الحنطة و الشعير و التمر
و الملح و قيل الزبيب -قرآن-17-117 فقال رسول الله ص فيها مثلا- بمثل يدا بيد من زاد و استتراد فقد أربى -رواية-1-2-
رواية-3-73. فهذه الستة أشياء لا خلاف بينهم فى حصول الربا فيها و باقى الأشياء عند الفقهاء مقيس عليها و فيها خلاف بينهم .
و عندنا أن الربا فى كل ما يؤكل و يوزن إذا كان الجنس واحدا منصوصا عليه و العموم يتناول كل ذلك و لا يحتاج إلى قياس .

والربا محرم متوعده عليه كبيرة موبقة بلا خلاف بهذه الآية وبقوله يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا وبقوله فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا - قرآن - ٢٩٩-٣٧٣- قرآن - ٣٨٢-٤١٠. فهذه الستة أشياء لاخلاف بينهم فى حصول الربا فيها وباقى الأشياء عند الفقهاء مقيس عليها و فيها خلاف بينهم . وعندنا أن الربا فى كل ما يؤكل ويوزن إذا كان الجنس واحدا منصوصا عليه والعموم يتناول كل ذلك ولا يحتاج إلى قياس . والربا محرم متوعده عليه كبيرة موبقة بلا خلاف بهذه الآية وبقوله يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا وبقوله فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. أما قوله لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ قال ابن عباس إن قيامهم على هذه الصفة يكون يوم القيامة إذا قاموا من قبورهم ويكون ذلك أمانة على أنهم آكله الربا. وقوله يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ لاجتياز ما كان عند سوسسته . ثم قال ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا معناه ذلك العقاب لهم بسبب قولهم إنما البيع الذى لاربا فيه مثل البيع الذى فيه الربا. - قرآن - ١-٣٣- قرآن - ٤٥-١١٨- قرآن - ٢٤٦-٢٧٩- قرآن - ٤٢٢-٤٧٢ قال ابن عباس كان الرجل منهم إذا حل دينه على غريمه يطالبه به قال المطلوب منه له زدنى فى الأجل وأزيدك فى المال فيتراضيان عليه ويعملان به فإذا قيل لهم هذاربا قالوا هما سواء يعنون به أن الزيادة فى الثمن حال البيع والزيادة فيه بسبب الأجل عند محل الدين سواء فذمهم الله وأوعدهم وخطأهم -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٣١٣ . وقال بعضهم إنهم قالوا الزيادة على رأس المال بعد تصديره على جهة الدين كالزيادة عليه فى ابتداء البيع وذلك خطأ لأن أحدهما محرم والآخر مباح وهو أيضا منفصل منه فى العقد لأن الزيادة فى أحدهما لتأخير الدين وفى الآخر لأجل البيع . والفرق بين البيع والربا أن البيع يبدل لأن الثمن فيه بدل المثل والربا ليس كذلك وإنما هو زيادة من غير بدل للتأخير فى الأجل أو زيادة فى الجنس . وقد أحل الله البيع وَ حَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ - قرآن - ٣٩٨-٤٩٥ [صفحہ ٤٧] أى له ما أكل وليس عليه رد ما سلف إذا لم يكن علم أنه حرام . قال أبو جعفر من أدرك الإسلام وتاب مما كان عمله فى الجاهلية وضع الله عنه ما سلف فمن ارتكب ربا بجهالة ولم يعلم أن ذلك محظور فليستغفر الله فى المستقبل وليس عليه فيما مضى شىء ومتى علم أن ذلك محرم وتمكن من عمله فكل ما يحصل له من ذلك محرم عليه ويجب عليه رده إلى صاحبه -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-٣٠١ . وقال السدى فى معنى قوله فَلَهُ مَا سَلَفَ له ما أكله وليس عليه رد ما سلف فأما من لم يقبض بعد فلا يجوز له أخذه وله رأس المال . ويحتمل أن يكون أراد فله ما سلف يعنى من الربا المأخوذ دون العقاب الذى استحقه . وقوله وَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ معناه فى جواز العفو عنه إن لم يتب وَ مَنْ عَادَ لَأَكْلِ الرِّبَا بَعْدَ التَّحْرِيمِ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ لَأَنْ ذَلِكَ لَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنِ الْكَاْفِرِ لَأَنَّ مَسْتَحِلَّ الرِّبَا كَاْفِرٌ بِالْإِجْمَاعِ . - قرآن - ٣٠-٤٥- قرآن - ١٥٩-١٧٤- قرآن - ٢٣٢-٢٥٤- قرآن - ٢٩٢-٣٠٢- قرآن - ٣٢٦-٣٥١

فصل

والوعيد فى الآية متوجهة إلى من أربى وإن لم يأكله وإنما ذكر الله الذين يأكلون الربا لأنها نزلت فى قوم كانوا يأكلونه فوصفهم بصفتهم فحكمها ثابت فى جميع من أربى والآية الأخرى التى ذكرناها تبيين ما قلناه و عليه أيضا الإجماع . وقيل الوجه فى تحريم الربا أن فيه تعطيل المعاش والأجلا ب فالتاجر إذا وجد المربى و من يعطيه دراهم فضلا بدراهم لا يقرض وقد قال أبو عبد الله ع إنما شدد فى تحريم الربا لثلاثى تمتنع الناس من اصطناع المعروف -رواية- ١-٢-رواية- ٣٠-٣٠١-ادامه دارد [صفحہ ٤٨] قرضا أوردوا -رواية- از قبل ١٥ . ثم قال تعالى يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّيِّئَاتِ لِمَحَقِّ نَقْصَانِ الشَّيْءِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ قَالَ الْبَلْخِي مُحَقِّقٌ فى الدنيا بسقوط عدالته والحكم بفسقه وتسميته به . وقال تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً قِيلَ فى

تحريم الربا خاصة مع ما فى قوله **أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا** و غير ذلك قولان أحدهما التصريح بالنهاى عنه بعد الإخبار بتحريمه لما فى ذلك من تصريح الحظر له و شدة التحذير منه . الثانى لتأكيد النهاى عن هذا الضرب منه الذى يجرى على الأضعاف المضاعفة و قيل فى معناه هاهنا قولان أحدهما للمضاعفة بالتأخير أجلا بعد أجل كما أصر أجلا عن أجل إلى غيره زيد عليه زيادة على المال الثانى أى تضاعفون به أموالكم . والربا المنهى عنه قال عطا و مجاهد هوربا الجاهلية و هو الزيادة على أصل المال للتأخير عن الأجل الحال و يدخل فيه كل زيادة محرمة فى المعاملة من جهة المضاعفة . ووجه تحريم الربا هو المصلحة التى علم الله تعالى فى ذلك يدعو إلى العدل و يحض عليه و يدعو أيضا إلى مكارم الأخلاق بالإقراض و إنظار المعسر من غير زيادة . - قرآن- ١٨- ٦٠- قرآن- ١٧٩- ٢٤٧- قرآن- ٢٩٠- ٣٢٧ [صفحه ٤٩] و معنى لا- تأكلوا الربوا لا تزيدوا على رأس المال و ليس المراد النهاى عن الأكل فقط و إنما جاز ذلك لأنه معلوم المراد . و قوله تعالى **أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً** حال للربا و الأضعاف جمع ضعف و الربا مصدر كأنه قال لا تزيدوا زيادة متكررة . و قد بين رسول الله ص أن قليل الربا حرام ككثيره . - قرآن- ٨- ٢٨- قرآن- ١٣٨- ١٥٦ و سئل الصادق ع عن قوله **يَمَحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَ يُرْبِي الصِّدَقَاتِ** و قيل قد أربى من يأكل الربا يربو ماله قال أى محق أمحق من درهم ربا يمحق الدين و إن تاب منه ذهب ماله و افتقر -رواية- ١- ٢- رواية- ٣- ١٩١

باب البيع بالنقد والنسيئة والشرط فى العقود

إشارة

البيع نقدا و نسيئة جائز لأن قول الله عز و جل **وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ** تناوله على كل الوجوه فمن باع شيئا و لم يذكر فيه ثمنه نقدا و لانسيئة كان الثمن حالا- فإن ذكر أن يكون الثمن آجلا فلا يخلو إما أن يكون آجلا مجهولا مثل قدوم الحاج و إدراك الغلات فالبيع باطل على هذا و إن كان الأجل معيناً كان البيع صحيحا و الأجل على ما ذكر و الذى يدل على هذا الفصل و التفصيل قوله تعالى **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى** . و كذلك إذ باع بنسيئة و لم يذكر الأجل أصلا كان البيع أيضا باطلا لأن الله اعتبر فى هذه الآية الأجل و أن يكون ذلك الأجل مسمى معيناً . - قرآن- ٤٩- ٧٢- قرآن- ٣٩٢- ٤٦٢ [صفحه ٥٠] و الآية تدل على صحة اشتراء السلف و صحة بيع النسيئة بشرط تعيين أجلهما . و لا بد من حضور الثمن و المثل و لا يجوز تأخير الثمن عن وقت وجوبه لزيادة فيه لأنه ربا على ما ذكرناه و لأبأس بتعجيله بنقصان شىء منه لقوله تعالى **فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصَلِحَا** . - قرآن- ٢٢٥- ٢٥٧

فصل

و قوله تعالى **وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ** فى كل بيع شرعى . ثم اعلم أن البيع هو انتقال عين مملوكة من شخص إلى غيره بعوض مقدر على وجه التراضى على ما يقتضيه الشرع . و هو على ثلاثة أضرب بيع عين مرئية و بيع موصوف فى الذمة و بيع خيار الرؤية . فأما بيع الأعيان المرئية فهو أن يبيع إنسان عبدا حاضرا أو ثوبا حاضرا أو عينا من الأعيان حاضرة فيشاهد البائع و المشتري ذلك فهذا بيع صحيح بلا خلاف . و أما بيع الموصوف فى الذمة فهو أن يسلمه فى شىء موصوف إلى أجل معلوم و يذكر الصفات المقصودة فهذا أيضا صحيح بلا خلاف . و أما بيع خيار الرؤية فهو بيع الأعيان الغائبة و هو أن يتناع شيئا لم يره مثل أن يقول بعثك

هذا الثوب الذى فى كمى أو الثوب الذى فى الصندوق و ما أشبه ذلك فيذكر جنس المبيع فيتميز من غير جنسه ويذكر الصفة و لا يفرق بين أن يكون البائع رآه والمشتري لم يره أو يكون المشتري رآه والبائع لم يره -قرآن- ١٦-٣٩ [صفحه ٥١] يره أو لم يرياه معا فإذا عقد البيع ثم رأى المبيع فوجده على ما وصفه كان البيع ماضيا و إن وجده بخلافه كان له رده وفسخ العقد. و لا بد من ذكر الجنس والصفة فمتى لم يذكرهما أو واحدا منهما لم يصح البيع ومتى شرط المشتري خيار الرؤية لنفسه كان جائزا فإذا رآه بالصفة التى ذكرها لم يكن له الخيار و إن وجده مخالفا كان له الخيار هذا إذا لم يكن رآه و إن كان قد رآه فلا وجه لشرط الرؤية لأنه عالم به قبل الرؤية. و قوله تعالى إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ يَدُلُّ أَيْضًا عَلَى أَكْثَرِ مَا ذَكَرْنَاهُ . -قرآن- ٤٣٨-

٤٨١

فصل

و قوله تعالى إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى يَدُلُّ عَلَىٰ صِحَّةِ السَّلْفِ فِي جَمِيعِ الْمَبِيعَاتِ وَإِنَّمَا يَجُوزُ ذَلِكَ إِذَا جُمِعَ شَرْطَيْنِ تَمِيزُ الْجِنْسِ مِنْ غَيْرِهِ مَعَ تَحْدِيدِهِ بِالْوَصْفِ وَالثَّانِي ذِكْرُ الْأَجْلِ فِيهِ فَإِذَا اخْتَلَفَتْ شَيْءٌ مِنْهُمَا لَمْ يَصِحَّ السَّلْفُ وَهُوَ بَيْعٌ مَخْصُوصٌ . وَكُلُّ شَيْءٍ لَا يَتَّحَدُّ بِالْوَصْفِ مِثْلُ رَوَايَا الْمَاءِ وَالْخَبْزِ وَاللَّحْمِ لَمْ يَصِحَّ السَّلْفُ فِيهِ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُمْكِنُ تَحْدِيدُهُ بِوَصْفٍ لَا يَخْتَلِطُ بِهِ سِوَاهُ وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا إِنَّهُ جَائِزٌ وَالْأَوَّلُ أَظْهَرَ . وَكُلُّ شَرْطٍ يُوَافِقُ شَرِيْعَةَ الْإِسْلَامِ اعْتَبَرَهُ الْمَشْتَرِي فَإِنَّهُ يَلْزَمُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى أَوْفُوا بِالْعُقُودِ -قرآن- ١٦-٥٨ -قرآن- ٤٨٧-٥٠٥ ولقول رسول الله ص المؤمنون عند شروطهم -رواية- ١-٢-رواية- ٢٥-٤٦ و عن فضيل قلت لأبي عبد الله ع ما الشرط فى الحيوان قال ثلاثة أيام شرط ذلك فى ضمن العقد أو لم يشرط و يكون الخيار للمبتاع خاصة فى هذه المدة ما لم يحدث فيه حدثا قلت فما الشرط فى غير الحيوان قال -رواية- ١-٢-رواية- ١٤-ادامه دارد [صفحه ٥٢] البيعان فى الخيار ما لم يفترقا فإذا افترقا فلا خيار بعد الرضا منهما إلا أن يشترطا إلى مدة معينة -رواية- از قبل ٩٦ و قال ع لا بأس بالسلم فى المتاع إذا وصفت الطول والعرض إلى أجل معلوم و فى الحيوان إذا وصفت أسنانها -رواية- ١-٢-رواية- ١٣-١١١ . و قوله تعالى وَ أَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ يَخْتَصِمُ بِهَذَا النُّوعِ مِنَ الْمَبَايَعَةِ -قرآن- ١٧-٤٤

باب فى أشياء تتعلق بالمبايعة ونحوها

إشارة

الاحتكار يكون فى ستة أشياء الحنطة والشعير والتمر والزبيب والسمن والملح . و هو حبسها من البيع و لا يجوز ذلك وبالناس حاجة و لا يوجد غيره فى البلد فإذا ضاق الطعام و لا يوجد إلا عند من احتكره كان للسلطان أن يجبره على بيعه و لم يكرهه على سعر بعينه إذا باع هو على التقريب من سعر الوقت فإن كان سعر الغلة مثلا عشرين منا بدينار فلا يمكن أن يبيع خمسة أمان بدينار و يجبره على ما هو مقاربة للعشرين . و قد بينها رسول الله ص لقوله تعالى وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ -قرآن- ٤٤٣-٥٠٨ و قال ع علامة رضا الله فى خلقه عدل سلطانهم و رخص أسعارهم -رواية- ١-٢-رواية- ١٣-ادامه دارد [صفحه ٥٣] و علامة غضب الله على خلقه جور سلطانهم و غلاء أسعارهم -رواية- از قبل ٥٩ . و على هذا قوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف ع له يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسِينَا وَ أَهْلْنَا الضَّرَّ وَ جِئْنَا بِبِضَاعِنَا مَزْجَاءً فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ . -قرآن- ٥٢-١٤٧ و أتى رسول الله ص قوما

فشكوا إليه سرعة نفاذ طعامهم فقال تكيلون أم تهيلون فقالوا نهيل يا رسول الله يعنون الجزاف فقال ع لهم كيلوا ولا تهيلوا فإنه أعظم للبركة -رواية- ١-٢-رواية- ٣-١٧٤ وروى أن من أهان بالمأكل أصابه المجاعة -رواية- ١-٢-رواية- ٩-٤٨ و قال أبو عبد الله ع إذا أصابتكم مجاعة فأعينوا بالزبيب -رواية- ١-٢-رواية- ٢٧-٦٣ . وقوله تعالى وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ مَعْنَاهُ لَوْ كُنْتُ عَالِمًا بِمَا يَكُونُ مِنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَأَشْتَرَيْتُ فِي الرِّخْصِ وَبَعْتُ فِي الْغَلَاءِ مَا مَسَّنِيَ السُّوءُ أَيْ الْفَقْرَ . فَإِنْ قِيلَ فَهَلْ اطَّلَعَ عَلَى الْغَيْبِ . قُلْنَا عَلَى الْإِطْلَاقِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُطَّلِعَ عَلَيْكَ الْغَيْبِ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ وَ الْمَعْنَى وَلَكِنَّ اللَّهَ اجْتَبَى رَسُولَهُ بِأَعْلَامِهِ كَثِيرًا مِنَ الْغَائِبَاتِ . -قرآن- ١٧-٧٠-قرآن- ١٥٢-١٧٤-قرآن- ٢٦٦-٣٥٩] [صفحة ٥٤] و قال أبو جعفر ع إذا حدثتكم بشيء فسلوني من كتاب الله ثم قال في حديثه إن الله نهى عن القيل والقال وفساد المال وكثرة السؤال فقالوا يا ابن رسول الله أين هذا من كتاب الله فقال إن الله يقول في كتابه لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدق أو معروف أو إصلاح بين الناس و قال وَ لَا تُؤْتُوا السِّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَ قَالَ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدِّلَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ ثُمَّ قَالَ لَا تَمَانَعُوا قَرْضَ الْخَمِيرِ وَالْجِبْنَ فَإِنْ مَنَعَهُ يورث الفقر -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٥٢٠ و قال على ع من باع الطعام نزعته منه الرحمة -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٥٢ و قال أبو الحسن ع من اشترى الحنطة زاد ماله و من اشترى الدقيق ذهب نصف ماله و من اشترى الخبز ذهب ماله و ذلك لمن يقدر ولا يفعل -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤-١٤٣

فصل

وقوله تعالى أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ لَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَ زِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ الْمَعْنَى أَعْطُوا الْوَاجِبَ وَافِيًا غَيْرَ نَاقِصٍ وَ يَدْخُلُ الْوَفَاءُ فِي الْكَيْلِ وَالذَّرْعِ وَالْعَدَدِ وَالْمُخْسِرِ الْمَعْرُضِ لِلْخُسْرَانِ فِي رَأْسِ الْمَالِ يُقَالُ أَخْسَرَ يَخْسِرُ إِذَا جَعَلَهُ يَخْسِرُ فِي مَالِهِ وَ هُوَ نَقِيضُ أَرْبَحِهِ وَالْقِسْطُ الْمِيزَانُ نَهَاهُمْ -قرآن- ١٦-٩٩ [صفحة ٥٥] اللَّهُ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ . وَ قَالَ تَعَالَى وَ لَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَ الْمِيزَانَ إِنْ أَرَأَيْتُمْ بِخَيْرِنَاهُمْ أَنْ يَبْخَسُوا النَّاسَ فِيمَا يَكِيلُونَهُ أَوْ يَزْنُونَهُ وَ قَالَ لَهُمْ إِنْ أَرَأَيْتُمْ بِخَيْرِ أَيْ بِرِخْصِ السَّعْرِ وَ حَذَرَهُمُ الْغَلَاءَ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ . وَ قَالَ تَعَالَى وَ يَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ هَدَدَ اللَّهِ بِهَذَا الْخَطَابِ كُلِّ مَنْ بَخَسَ غَيْرَهُ حَقَّهُ وَ نَقَصَهُ مَالَهُ مِنْ مَكِيلٍ وَ مَوْزُونٍ فَالْبَائِعُ وَالْمَشْتَرِي مَخَاطَبَانِ بِهَذَا لِأَنَّ الْكَيْلَ وَوزن المتاع على البائع فتوفية ذلك عليه ووزن الثمن على المشتري فإن لم يحسن ذلك لم يتعرض له وليول كل واحد منهما ما عليه غيره وأجرته عليه والكيل ووزن الأمتعة يعينان البائع فأجرتهما عليه والناقد ووزن الذهب والفضة يعينان المشتري فأجرتهما عليه . والتطفيف التنقيص على وجه الخيانة في الكيل أو الوزن ولفظة المطففين صفة ذم لا يطلق على من طفف شيئًا يسيرًا إلى أن يصير إلى حال يتفاحش و في الناس من قال لا يطلق حتى يطفف أقل ما يجب فيه القطع في السرقة لأن ما يقطع فيه فهو كثير . -قرآن- ٤٥-١٠٥-قرآن- ١٦٣-١٨٤-قرآن- ٢٤٨-٢٦٧ قال ابن عباس كان أهل المدينة من أحبب الناس كيلا إلى أن أنزل الله هذه الآية فأحسنوا الكيل -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-١٠١ . ثم قال تعالى الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ أَى أَخَذُوا مَا عَلَيْهِمْ إِذَا كَالُوهُمْ أَوْ زَنَوْهُمْ فَإِنَّ بَعْضَ الْمَفْسِرِينَ يَجْعَلُهُمْ فَعْلًا فِي مَوْضِعٍ رَفَعَ بِمَعْنَى الْفَاعِلِ وَالْباقُونَ يَجْعَلُونَهُ فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ وَ هُوَ الصَّحِيحُ . -قرآن- ١٨-٥٤-قرآن- ٧٣-١٠٣] [صفحة ٥٦]

فصل

وقوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ وَ تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ إِيَّاهُ إِذَا كَانَتْ لِرَجُلٍ مَالٌ فِيهِ عَيْبٌ وَ أَرَادَ بَيْعَهُ

وجب عليه أن يبين للمشتري عيبه ولا يكتمه أو يتبرأ إليه من العيوب والأحوط الأول . قال تعالى وَ تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ أَيْ و لا تخونوا أماناتكم وعمومه يدل على أكثر مسائل البيع فإن لم يبين البائع العيب الذى فى المبيع واشتراه إنسان فوجد به العيب كان المشتري بالخيار إن شاء رضى به و إن شاء رده بالعيب واسترجع الثمن و إن شاء أخذ الأرش . و إن اختار فسخ البيع ورد المبيع فإن لم يكن حصل من جهة المبيع نماء رده واسترجع الثمن و إن حصل نماء وفائدة فلا يخلو أن يكون كسبا من جهته أو نتاجا و ثمره فإن كان كسبا مثل أن كسب بعمله أو بتجارته أو يوهب له شىء أو يصطاد أو يحتطب فإنه يرد المعيب و لا يرد الكسب - قرآن - ١٦ - ١٠٠ - قرآن - ٢٥٤ - ٢٧٧ لقول النبى ع الخراج بالضمان - رواية - ١ - ٢ - رواية - ١٨ - ٣٥ والخراج اسم للفائدة والغلة التى تحصل من جهة المبيع ومعنى الخبر أن الخراج لمن يكون المال يتلف من ملكه و لما كان المبيع إن تلف يتلف من ملك المشتري لأن الضمان انتقل إليه كان الخراج له والنتاج والثمره أيضا للمشتري و إن حصل من المبيع نماء قبل القبض كان ذلك للبائع إذا أراد الرد بالعيب لأن ضمانه على الظاهر من الخبر على البائع هاهنا . و لا يجوز لكافر أن يشتري عبدا مسلما و لا يثبت ملكه عليه لقوله تعالى وَ لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا . قرآن - ٤٣٣ - ٤٩٤ [صفحه ٥٧] و لا يجوز بيع ربا مع مكة و لا إجارتها لقوله تعالى سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ - قرآن - ٥١ - ٨١ و قال أبو عبد الله ع اشتروا و إن كان غالبا فإن الرزق ينزل مع الشراء - رواية - ١ - ٢ - رواية - ٢٧ - ٧٧ و قال إن رسول الله ص لم يأذن لحكيم بن حزام فى تجارته حتى ضمن له إقاله النادم و إنظار المعسر و أخذ الحق و إعطاء الحق - رواية - ١ - ٢ - رواية - ١٠ - ١٢٨ . و قيل فى قوله تعالى أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا يَحْتَمِلُ إِحْلَالَ اللَّهِ الْبَيْعَ مَعْنِيَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ إِحْلَالَ بَيْعٍ يَعْقِدُهُ الْبَيْعَانِ عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَ كَانَا جَائِزِي الْأَمْرِ وَ هَذَا لَا يَصِحُّ لِأَنَّ اللَّهَ لَمَّا أَحَلَّ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا وَ قَدِ تَرَاضِيَانِ بِمَا يُؤَدَّى إِلَى الرِّبَا وَ لَا يَصِحُّ ذَلِكَ . وَ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ الْمَشْرُوعَ فَيَكُونُ مِنَ الْعَامِ الَّذِي أَرَادَ بِهِ الْخَاصَّ فَبَيْنَ النَّبِيِّ ص مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ وَ مَا حَرَّمَهُ أَوْ يَكُونُ دَاخِلًا فِيهِمَا فَأَصْلُ الْبَيْعِ كُلُّهُ مَبَاحٌ إِلَّا مَا نَهَى النَّبِيُّ ع وَ مَا فَارَقَ ذَلِكَ مِنَ الْبَيْعِ الَّتِي لَارِبَا فِيهَا أَبْحَاهُ بِمَا وَصَفْنَا مِنْ إِبَاحَةِ اللَّهِ الْبَيْعَ . وَ نَظِيرُهُ قَوْلُنَا إِنْ السَّلْمُ مَخْصُوصٌ مِنْ خَيْرِ النَّهْيِ عَنِ بَيْعِ مَا لَيْسَ عِنْدَ الْإِنْسَانِ وَ لَا يَكُونُ دَاخِلًا فِي عَمُومِهِ . وَ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً وَ قَوْلِهِ تَعَالَى حَتَّى - قرآن - ٢٥ - ٦٢ - قرآن - ٧١٣ - ٧١٧ . وَ قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا يَحْتَمِلُ إِحْلَالَ اللَّهِ الْبَيْعَ مَعْنِيَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ إِحْلَالَ بَيْعٍ يَعْقِدُهُ الْبَيْعَانِ عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَ كَانَا جَائِزِي الْأَمْرِ وَ هَذَا لَا يَصِحُّ لِأَنَّ اللَّهَ لَمَّا أَحَلَّ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا وَ قَدِ تَرَاضِيَانِ بِمَا يُؤَدَّى إِلَى الرِّبَا وَ لَا يَصِحُّ ذَلِكَ . وَ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ الْمَشْرُوعَ فَيَكُونُ مِنَ الْعَامِ الَّذِي أَرَادَ بِهِ الْخَاصَّ فَبَيْنَ النَّبِيِّ ص مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ وَ مَا حَرَّمَهُ أَوْ يَكُونُ دَاخِلًا فِيهِمَا فَأَصْلُ الْبَيْعِ كُلُّهُ مَبَاحٌ إِلَّا مَا نَهَى النَّبِيُّ ع وَ مَا فَارَقَ ذَلِكَ مِنَ الْبَيْعِ الَّتِي لَارِبَا فِيهَا أَبْحَاهُ بِمَا وَصَفْنَا مِنْ إِبَاحَةِ اللَّهِ الْبَيْعَ . وَ نَظِيرُهُ قَوْلُنَا إِنْ السَّلْمُ مَخْصُوصٌ مِنْ خَيْرِ النَّهْيِ عَنِ بَيْعِ مَا لَيْسَ عِنْدَ الْإِنْسَانِ وَ لَا يَكُونُ دَاخِلًا فِي عَمُومِهِ . وَ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً وَ قَوْلِهِ تَعَالَى حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صَاغِرُونَ فَلَمْ يَدْخُلْ أَهْلُ الْكِتَابِ فِي عَمُومِ النَّهْيِ أَمْرًا فِيهَا بَقِيَ الْمُشْرِكِينَ - قرآن - ١ - ٤٤ فلما قال رسول الله ع يا حكيم بن حزام لا تبع ما ليس عندك - رواية - ١ - ٢ - رواية - ٢٦ - ٦٤ و أذن فى السلف علمنا أن هذا لا يدخل فى عموم الأول

باب الرهن وأحكامه

إشارة

قال الله تعالى وَ إِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَيِّئٍ وَ لَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانًا مَقْبُوضَةً الرهن فى اللغة الثبات والدوام و فى الشريعة اسم لما يجعل

وثيقه في دين و هو جائز بالإجماع والسنة والكتاب . قال الله تعالى فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ تَقْدِيرُهُ وَالْوَثِيقَةُ رَهْنٌ وَيَجُوزُ فَعْلِيهِ رَهْنٌ مَّقْبُوضَةٌ. -قرآن- ١٩-٨٧-قرآن- ٢١٥-٢٣٣ و قال أبو عبد الله ع إن النبي ص رهن درعه عند أبي الشحم اليهودي على شعير أخذه لأهله -رواية- ١-٢-رواية- ٢٧-٩٨. قيل وإنما عدل عن أصحابه إلى يهودى لثلا- يلزمه منه بالإبراء فإنه لم يأمن أن استقرض من بعضهم إن يبرئه منه و ذلك يدل على أن الإبراء يصح من غير قبول المبرئ. وعقد الرهن يحتاج إلى إيجاب وقبول وقبض برضا الراهن . و ليس الرهن بواجب وإنما هو وثيقه جعلت إلى رضا المتعاقدين ويجوز في السفر والحضر. والدين الذي يجوز أخذ الرهن به هو كل دين ثابت في الذمة مثل الثمن [صفحة ٥٩] والأجرة والمهر والعوض في الخلع وأرش الجناية وقيمة المتلف كل ذلك يجوز أخذ الرهن به . و في الدية على العاقلة يجوز بعد الحول وقبل الحول لا يجوز فإن لم يقبض المرهون لم ينقذ الرهن لأن الله جعل من شرط صحة الرهن أن تكون مقبوضة قال تعالى فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ. والرهن والرهن كلاهما جمع واحدهما رهن كجبل وجبال وسقف وسقف ولا يعرف في الأسماء فعل وفعل غير هذين و لو قلنا الرهن جمع الجمع لأن فعلا وفعالا- كثير لكان أقيس . ويجوز أخذ الرهن في الحضر مع وجود الكاتب لما قدمنا أن النبي ص اشترى طعاما نسيته ورهن فيه درعا. و لما أمر تعالى بالإشهاد في السلم بقوله وَ أَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ سِنَةً وَاحْتِيَاطًا أَمْرًا بِالرَّهْنِ أَيْضًا إِذَا لَمْ يَوْجَدْ كَاتِبٌ وَ لَاشْهِيدٌ. وإنما أورد ذكر كون السفر فيه و شرط الكلام به إما لأن تلك الحال التي نزلت الآية فيها كانت على تلك الصفة وإما لأن فقدان البينة على الأغلب في حال السفر لأنه شرط في صحته . -قرآن- ٢٤٩-٢٦٧-قرآن- ٥٨١-٦٠٨

فصل

ثم قال تعالى فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الْأَمْدَى أَوْ تَمَنَّيْنَا سَبْحَانَهُ بِهَذَا أَنْ الْإِشْهَادَ وَالْكِتَابَةَ فِي الْمَدَائِنِ وَالرَّهْنَ لَيْسَ بِوَاجِبٍ عَلَى مَا ذَكَرْنَا وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى جِهَةِ الْإِحْتِيَاطِ مَعْنَاهُ إِنْ ائْتَمَنَهُ فَلَمْ يَقْبِضْ مِنْهُ رَهْنًا فَلْيُؤَدِّ الْأَمْدَى -قرآن- ١٧-٨١ [صفحة ٦٠] أو تمن الأمانة يعنى على الذي عليه الدين بأن يؤدي إليه حقه في محله ويؤدي الأمانة كما وثق به واعتقد فيه أى ليقض دينه الذي أمنه عليه والائتمان افتعال من الأمن يقال أمنه وائتمنه . وَ لَيَتَّقِ اللَّهُ رَبَّهُ أَنْ يَظْلِمَهُ أَوْ يَخُونَهُ وَ هُوَ وَثِقٌ بِهِ وَ ائْتَمَنَهُ وَ لَمْ يَرْتَهِنْ مِنْهُ شَيْئًا. وقرأ ابن عباس ومجاهد و لم تجدوا كتابا يعنى ماتكتبون فيه من طرس وغيره . و إذا رتهن صاحب الدين وأشهد فقد أكد الاحتياط و لا بأس أن يكون الرهن أكثر قيمة من المال الذي عليه أو أقل ثمنا منه أو مساويا له لأن عموم اللفظ يتناول على الأحوال . وإنما قلنا إن الأحوط هو الإشهاد مع التمكن و إن استوثق من ماله رهنا لأن إن اختلفا في مقدار المبلغ الذي الرهن لأجله كان على المرتهن البينة فإن لم يكن له بينة فعلى صاحب الرهن اليمين وكذا إذا اختلفا في متاع فقال الذي عنده إنه رهن و قال صاحب المتاع إنه وديعه كان على المدعى لكونه رهنا البينة بأنه رهن و قدروى أن القول قول المرتهن مع يمينه لأنه أمينه والبينة على الراهن ما لم يستغرق الرهن ثمنه . و من أدل الدليل على أن الإشهاد والارتهان يصح اجتماعهما قوله تعالى بعد هذا وَ لَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ يَعْنِي بَعْدَ تَحْمِلِهَا وَ مَنْ يَكْتُمُهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ إِنَّمَا أَضَافَ إِلَى الْقَلْبِ مَجَازًا لِأَنَّهُ عَلَى الْكُتْمَانِ وَ الْإِفَالِائِمِ هُوَ الْحَى وَقَالَتْ عَائِشَةُ الصَّامِتُ عَنِ الْحَقِّ كَالنَّاطِقِ بِالْبَاطِلِ وَ كَاتِمِ الشَّهَادَةِ كَشَاهِدِ الزُّورِ . وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ يَعْنِي بِمَا تَسْتُرُونَهُ وَ بِمَا تَكْتُمُونَهُ . وَإِنَّمَا ذَكَرَ تَعَالَى بَعْدَ ذَلِكَ وَ إِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْنَ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ لَئِنْ كُنْتُمْ مِنَ الشَّاهِدَةِ وَ يَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ جَمِيعَ الْأَحْكَامِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ خَوْفَهُمْ اللَّهُ مِنَ الْعَمَلِ بِخِلَافِهِ -قرآن- ١٩٦-٢١٩-قرآن- ١٠٤٠-١٠٦٥-قرآن- ١٠٨١-١١١٨-قرآن- ١٢٦٢-١٢٩٤-قرآن- ١٣٥٤-١٤٢١ [صفحة ٦١]

باب الوديعه

اعلم أن الوديعه حكم في الشريعه لقوله تعالى إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَقَالَ تَعَالَىٰ فَإِنِ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الْعُدَىٰ أَوْ تَمِنَ أَمَانَتَهُ. والوديعه مشتقه من ودع يدع إذا استقر وسكن يقال أودعته أودعه إذا قررته وأسكنته . -قرآن- ٤٧-١٠٥-قرآن- ١٢٠-١٨٤ وروى أن النبي ص كانت عنده ودائع بمكئه فلما أراد أن يهاجر أودعها أم أيمن وأمر عليا ع بردها على أصحابها -روايه- ١-٢-روايه- ٩-١١٣ . فإذا ثبت ذلك فالوديعه أمانه لاضمان على المودع ما لم يفرط وقال النبي ص ليس على المودع ضمان -روايه- ١-٢-روايه- ٢٠-٤٤ . فأما قوله تعالى وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنِ إِن تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ عِنَىٰ بِهِ النَّصَارَىٰ لِأَنَّهُمْ لَا يَسْتَحْلُونَ أَمْوَالَ مَن خَالَفَهُمْ وَمِنْهُمْ مَنِ إِن تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ عِنَىٰ الْيَهُودَ لِأَنَّهُمْ يَسْتَحْلُونَ مَالَ كُلِّ مَن خَالَفَهُمْ فِي حَلِّ السَّبْتِ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا عَلَىٰ رَأْسِهِ بِالتَّقَاضَىٰ وَالْمَطَالِبَةُ قَائِمًا بِالإِجْمَاعِ وَالْمَلَاذِمَةُ وَالْفِرْقُ بَيْنَ تَأْمَنِهِ بِقِنطَارٍ وَعَلَىٰ قِنطَارٍ أَن مَعْنَىٰ الْبَاءِ إِصْطِقَ الْأَمَانَةَ وَمَعْنَىٰ عَلَىٰ اسْتِعْلَاءِ الْأَمَانَةِ وَهِيَ مُتَعَقِبَانِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لِتَقَارُبِ الْمَعْنَىٰ كَمَا يُقَالُ مَرَرْتُ بِهِ وَعَلَيْهِ . -قرآن- ١٩-٨٣-قرآن- ١٣٧-١٩٢-قرآن- ٢٥٥-٢٨٤ [صفحه ٦٢] ويمكن أن تكون الفائده أن هؤلاء لا يؤدون الأمانه لاستحلالهم ذلك لقوله ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيْنَ سَبِيلٌ وَسَائِرُ الْفِرْقِ وَإِن كَانَ مِنْهُمْ مَن لَا يُؤَدِي الْأَمَانَةَ لِأَسْتَحْلَاهَا. وقال جماعة قالت اليهود ليس علينا فيما أصبنا من أموال العرب سبيل لأنهم مشركون وادعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم وهم يعلمون أن هذا هو الكذب على الله . فإذا ثبت ذلك فالوديعه جائزه من الطرفين من جهه المودع متى شاء أن يستردها فعل ومن جهه المودع متى شاء أن يردها فعل فإذا ردها على المودع أو على وكيله فلا شىء عليه وإن ردها على الحاكم أو على ثقته مع القدره على الدفع إلى المودع أو إلى وكيله فعليه الضمان . فإن لم يقدر على المودع ولا على وكيله فلا يخلو إما أن يكون له عذر أو لم يكن له عذر فإن لم يكن له عذر برده فعليه الضمان وإن كان له عذر برده على الحاكم أو على ثقته فلا ضمان عليه . -قرآن- ٧٤-١٣٣ وقال أبو عبد الله ع صاحب الوديعه وصاحب البضاعه مؤتمنان -روايه- ١-٢-روايه- ٢٧-٦٥ . وكل ما كان من وديعه ولم تكن مضمونه فلا تلزم . ورد الوديعه واجب متى طلبها صاحبها وهو متمكن من ردها وليس عليه في ردها ضرر يؤدي إلى تلف النفس أو المال سواء كان المودع كافرا أو مسلما

باب العاربه

هي أيضا جائزه بدليل الكتاب والسنة فالكتاب قوله تعالى تَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَالْعَارِيَةُ مِنَ الْبِرِّ. ويدل عليه أيضا قوله تعالى وَ يَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ -قرآن- ١-١٨-قرآن- ٦٦-٨٨ فقد قال ابن عباس و هو ترجمان القرآن إن الماعون العواري -روايه- ١-٢-روايه- ٤١-٦٣ وروى عن صفوان بن أميه أن النبي ص استعار منه أدرعا فقال أغصبا يا محمد فقال ع لابل عاربه مضمونه مؤداه -روايه- ١-٢-روايه- ٢٧-١١٢ . و لاختلاف بين الأمة في جواز ذلك وإنما اختلفوا في مسائل منها. و إذا ثبت جواز العاربه فاعلم أنها أمانه غير مضمونه إلا أن يشرط صاحبها فإن شرط ضمانها كانت مضمونه. والذهب والفضه إذا استعيرا فهما مضمونان شرط فيهما ذلك أم لم يشرط. ومتى تعدى المستعير في العواري كانت مضمونه سواء شرط أو لم يشرط

باب الإجازات

قوله تعالى قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ عَلَى صِحِّهِ الْإِجَارَةُ زَائِدًا عَلَى السَّنَةِ وَالْإِجْمَاعِ مِنْ أَنْ كُلَّ مَا يَسْتَبَاحُ بِعَقْدِ الْعَارِيَةِ يَجُوزُ أَنْ يَسْتَبَاحَ بِعَقْدِ الْإِجَارَةِ مِنْ إِجَارَةِ الرَّجُلِ نَفْسَهُ وَعَبِيدَهُ وَدَارَهُ وَعَقَارَهُ بِلَا خِلَافٍ . وَالِاسْتِجَارُ طَلَبُ الْإِجَارَةِ وَهِيَ الْعَقْدُ عَلَى مَا أَمَرَ بِالْمَعَاوِضَةِ . حَكَى اللَّهُ مَا قَالَ أَبُو الْمَرَاتِينِ شَعِيبٌ لِمُوسَى إِنْ أُرِيدَ أَنْ أَنْكَحَكَ إِحْدَى - قُرْآن - ١٤ - ٩٦ [صَفْحَةُ ٦٤] ابْنَتِي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَجْعَلَ أَجْرَ رِعَى مَا شِئْتِي ثَمَانِي سِنِينَ صِدَاقَ ابْنَتِي ثُمَّ جَعَلَ لِمُوسَى كُلَّ سِخْلَةٍ تَلْدُ عَلَى خِلَافٍ شَيْءٌ أَمَهَا فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ أَلْقَ عَصَاكَ فِي الْمَاءِ إِذَا شَرِينِ فَوَلَدَنِ كُلَّهِنَّ خِلَافٍ شِئْتِهِنَّ وَجَعَلَ الزِّيَادَةَ عَلَى الْمُدَّةِ الْخِيَارَ فَإِنْ أَتَمَّتْ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ أَى هَبَةٌ مِنْكَ غَيْرُ وَاجِبَةٍ عَلَيْكَ فَقَضَى مُوسَى أْتَمَّ الْأَجْلِينَ وَأَوْفَاهُمَا . فَإِذَا ثَبِتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الْإِجَارَةَ عَقْدٌ مَعَاوِضَةٌ وَهِيَ مِنْ عَقُودِ الْمَعَاوِضَاتِ اللَّازِمَةُ كَالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ . وَالْإِجَارَةُ عَلَى ضَرِيحَيْنِ أَحَدُهُمَا مَا تَكُونُ الْمُدَّةُ مَعْلُومَةٌ وَالْعَمَلُ مَجْهُولًا مِثْلَ أَنْ يَقُولَ آجَرْتُكَ لَتَبْنِي هَذِهِ الدَّارَ وَتَخِيطُ هَذَا الثُّوبَ فَأَمَّا إِذَا كَانَتِ الْمُدَّةُ مَعْلُومَةٌ وَالْعَمَلُ مَعْلُومًا هُنَا فَلَا يَصِحُّ فَإِنَّهُ إِذَا قَالَ اسْتَأْجَرْتُ الْيَوْمَ لِتَخِيطِ قَمِيصِي هَذَا كَانَتِ الْإِجَارَةُ بَاطِلَةً لِأَنَّهُ رُبَّمَا يَخِيطُ قَبْلَ مَضَى النَّهَارِ فَيَبْقَى بَعْضُ الْمُدَّةِ بِلَا عَمَلٍ وَرُبَّمَا لَا يَفْرُغُ مِنْهُ يَوْمًا وَيَحْتَاجُ إِلَى مُدَّةٍ أُخْرَى وَيَحْصُلُ الْعَمَلُ بِلَا مُدَّةٍ . وَالبَهَائِمُ وَالْحَيَوَانَ تَكْتَرِي لِلرُّكُوبِ وَلِلْحَمُولَةِ وَلِلْعَمَلِ عَلَيْهَا بِدَلَالَةٍ قَوْلُهُ تَعَالَى وَ الْخَيْلَ وَ الْبِغَالَ وَ الْحَمِيرَ لَتَرْكَبُوهَا وَ زِينَةً - قُرْآن - ٢٢٦ - ٢٦٠ - قُرْآن - ٩٣٧ - ٩٩٥ وَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَقَالَ الْمَعْنَى لِاجْتِنَاحِ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحْجُوا أَوْ تَكْرَهُوا الْجَمَالَ لِلرُّكُوبِ وَالْعَمَلِ - رَوَايَاتُ - ١ - ٢ - رَوَايَاتُ - ٣ - ١٦١ . [صَفْحَةُ ٦٥] فَإِنْ آجَرَهَا لِيَرْكَبَ عَلَيْهَا فَلَا يَبْدُ مِنْ أَنْ يَكُونَ الْمَحْمُولُ مَعْلُومًا وَالْمَحْمُولُ لَهُ وَ أَنْ يَكُونَ الْمَرْكُوبُ مَعْلُومًا وَالرَّاكِبُ مَعْلُومًا أَمَّا الْمَرْكُوبُ فَيَصِيرُ مَعْلُومًا إِمَّا بِالمَشَاهِدَةِ أَوْ بِالصَّفَةِ فَالمَشَاهِدَةُ أَنْ يَقُولَ اكْتَرَيْتَ مِنْكَ هَذَا الْجَمَلَ شَهْرًا أَوْ اكْتَرَيْتَ مِنْكَ هَذَا الْجَمَلَ لِأَرْكَبَهُ إِلَى مَكَّةَ . فَأَمَّا إِذَا كَانَ مَعْلُومًا بِالصَّفَةِ فَلَا يَبْدُ مِنْ ذِكْرِ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءِ الْجِنْسِ وَالنَّوْعِ وَالدُّكُورِيَّةِ وَالأُنْثَوِيَّةِ أَمَّا الْجِنْسُ فَأَنْ يَقُولَ جَمَلَ حِمَارٍ بَغْلٍ دَابَّةٍ وَالنَّوْعُ أَنْ يَذْكَرَ حِمَارَ مِصْرِي جَمَلَ بَخْتِي أَوْ عَرَابِيٍّ وَ يَقُولُ نَاقَةً أَوْ جَمَلَ لِأَنَّ السَّيْرَ عَلَى النَّوْقِ أَطْيَبُ مِنْهُ عَلَى الْجَمَلِ . وَ أَمَّا الرَّاكِبُ فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَعْلُومًا وَ لَا يَمْكُنُ ذَلِكَ إِلَّا بِالمَشَاهِدَةِ لِأَنَّهُ لَا يَوْزَنُ ثُمَّ هُوَ بِالْخِيَارِ إِنْ شَاءَ رَكَبَهُ هُوَ أَوْ يَرْكَبُ مِنْ يَوْزَنِهِ وَ يَكُونُ فِي مَعْنَاهُ هَذَا إِذَا كَرَاهَا مُطْلَقًا

باب الشركة والمضاربة

إشارة

أما الشركة فجائزته لقوله تعالى وَ اعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ الْآيَةَ فَجَعَلَ سَبْحَانَهُ الْغَنِيمَةَ مَشْرُوكَةً بَيْنَ الْغَنَامِيِّينَ وَ بَيْنَ أَهْلِ الْخُمْسِ وَ جَعَلَ الْخُمْسَ مَشْرُوكًا بَيْنَ أَهْلِهِ . وَ قَالَ تَعَالَى يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَى فَجَعَلَ سَبْحَانَهُ التَّرْكَةَ مَشْرُوكَةً بَيْنَ الْوَرَثَةِ . وَ قَالَ تَعَالَى إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسَاكِينِ الْآيَةَ فَجَعَلَ تَعَالَى - قُرْآن - ٣٢ - ١٠٥ - قُرْآن - ٢١٧ - ٢٨٢ - قُرْآن - ٣٣٦ - ٣٨٠ [صَفْحَةُ ٦٦] الصَّدَقَاتُ مَشْرُوكَةً بَيْنَ أَهْلِهَا لِأَنَّ الْوَاوَ لِلشَّرِيكِ فَجَعَلَهَا مَشْرُوكَةً بَيْنَ الثَّمَانِيَةِ الْأَصْنَافِ . وَ قَالَ سَبْحَانَهُ وَ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُطَاةِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ - قُرْآن - ٩٧ - ١٥٨ وَ قَالَ النَّبِيُّ صَ يَدُ اللَّهِ عَلَى الشَّرِيكِينَ مَا لَمْ يَتَخَاوُنَا - رَوَايَاتُ - ١ - ٢ - رَوَايَاتُ - ٢٠ - ٥٧ وَ رَوَى عَنِ السَّائِبِ بْنِ أَبِي السَّائِبِ أَنَّهُ قَالَ كُنْتُ شَرِيكًا لِلنَّبِيِّ عَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا قَدِمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ قَالَ أَتَعْرِفُنِي قُلْتَ نَعَمْ كُنْتُ شَرِيكِي وَ كُنْتُ خَيْرَ شَرِيكِ لِاتْوَارِي وَ لِاتْمَارِي - رَوَايَاتُ - ١ - ٢ - رَوَايَاتُ - ٩ - ١٧٣ . وَ لِاخْتِلَافِ فِي جَوَازِ الشَّرْكَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَ إِنْ اخْتَلَفُوا فِي مَسَائِلَ مِنْ تَفْصِيلِهَا وَ فُرُوعِهَا . وَ إِذَا ثَبِتَ هَذَا فَالشَّرْكَةُ

على ثلاثة أضرب شركة في الأعيان وشركة في المنافع وشركة في الحقوق .فأما الشركة في الأعيان فمن ثلاثة أوجه أحدها بالميراث كاشتراك الورثة في التركة والثاني بالعقد وهو أن يملك جماعة عينا يبيع أو هبته أو صدقة أو وصية مشتركة والثالث بالحيازة وهو أن يشتركوا في الاحتطاب والاصطياد فإذا صار محوزا كان بينهم . و أما الاشتراك في المنافع كالاشتراك في منفعة الوقف ومنفعة العين المستأجرة وغيرها. و أما الاشتراك في الحقوق فمثل الاشتراك في حق القصاص وحد القذف وما أشبه ذلك . والآيات التي تلونها تدل بعمومها على جميع ذلك . [صفحہ ۶۷]

فصل

و أما ما جرى مجرى الشركة فهو المضاربة يدل على صحتها قوله تعالى وَ آخِرُونَ يَصْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ و لم يفصل . والمضاربة والقراض بمعنى وهو أن يدفع الإنسان إلى غيره مالا ليتجر فيه على أن ما يرزق الله من ربح كان بينهما على ما يشترطه والقراض لغه أهل الحجاز والمضاربة لغه أهل العراق واشتقاقها من الضرب في المال والتقليب له واشتقاق القراض من القرض وهو القسط ومعناه هاهنا أن رب المال قطع قطعة من ماله فسلمها إلى العامل وقطع له قطعة من الربح . والمضارب بكسر الراء العامل لأنه هو الذي يضرب فيه ويقبله وليس لرب المال منه اشتقاق يدل على ذلك -قرآن- ۶۹-۱۳۰ مارواه الحسن عن علي ع أنه قال إذا خالف المضارب فلا ضمان هما على ما شرطاه -رواية- ۱-۲-رواية- ۴۰-۸۶ والظاهر أنه أراد العامل لأنه إذا كان الخلاف منه فالضمان بالتعدي عليه . و على جوازه دليل الكتاب والسنة والإجماع فالكتاب ما تلونه و قوله تعالى فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ و أما الإجماع فلا خلاف فيه والصحابة كانوا يستعملونه . فإذا ثبت جواز القراض فاعلم أنه لا يجوز إلا بالأثمان من الدراهم والدينار و كان أمير المؤمنين ع كره مشاركة اليهودي والنصراني والمجوسي إلا أن تكون تجارة حاضرة لا يغيب عنها المسلم . -قرآن- ۱۵۵-۲۳۲ [صفحہ ۶۸] وقال أبو عبد الله ع لا ينبغي للرجل المسلم أن يشارك الذمي ولا يبيعه ببياعة ولا يودعه وديعة ولا يضيفه مودة لقوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ -رواية- ۱-۲-رواية- ۲۷-۲۰۶ فإنه عام في جميع ذلك . وقد أشار سبحانه إلى جواز الشركة على جميع ضروبها بقوله ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ -قرآن- ۸۳-۱۸۴

باب الشفعة

قال الله تعالى وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ و قد بين مسائل الشفعة وغيرها رسول الله ص -قرآن- ۱۹-۸۴ و قد قال الشفعة فيما لم يقسم فإذا وقعت الحدود فلا شفعة -رواية- ۱-۲-رواية- ۱۳-۵۹ والكافر لا شفعة له على المسلم . والدليل عليه قوله لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ و معلوم أنه تعالى إنما أراد أنهم لا يستون في الأحكام والظاهر يقتضى العموم إلا ما أخرجه دليل قاهر . فإن قيل أراد في النعيم والعذاب بدلالة قوله تعالى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ . قلنا معلوم في أصول الفقه أن تخصيص إحدى الجملتين لا يقتضى تخصيص الأخرى و إن كانت متعقبه لها . والشفعة جائزة في كل شيء من حيوان أو أرض أو متاع إذا كان الشيء -قرآن- ۵۴-۱۰۱ -قرآن- ۲۶۱-۲۹۳ [صفحہ ۶۹] بين شريكين فباع أحدهما نصيبه فشريكه أحق به من غيره و إن زاد على الاثنين فلا شفعة لأحد منهم هذا قول المرتضى رضي الله عنه . و قال الشيخ أبو جعفر رضي الله عنه الأشياء في الشركة على ثلاثة أضرب ما يجب فيه الشفعة متبوعا و ما لا يجب فيه تابعا و لا يجب فيه متبوعا و ما يجب فيه تابعا و

لا يجب متبوعا فأما ما يجب فيه مقصورا متبوعا فالعراض والأراضى والراح لقوله ع الشفعة فيما لم يقسم -رواية 1-2-رواية-
12-33 و أما ما لا يجب فيه تابعا ومتبوعا بحال فكل ما ينقل ويحول غير متصل كالحیوان والنبات والحبوب ونحو ذلك لاشفعة و
فى أصحابنا من أوجب الشفعة فى ذلك و أما ما يجب فيه تابعا ولا يجب فيه متبوعا فكل ما كان فى الأرض من بناء وأصل و
هو البناء والشجر فإن أفرد بالبيع دون الأرض فلاشفعة فيه . و إن بيعت الأرض تبعها هذاالأصل من حيث الشفعة فى الأرض أصلا
و فى هذه على وجه التبعية على خلاف فأما ما لم يكن أصلا ثابتا كالزراع والثمار فإذا دخلت فى البيع بالشرط كانت الشفعة واجبة
فى الأصل دونها. و لا تثبت الشفعة إلا للشریک مخالط فأما الشفعة بالجوار فلا تثبت إلا إذا اشتركا فى الطريق أو النهر و لا يشركهما
فيه ثالث

باب المزارعة والمساقاة

المزارعة والمخايرة اسمان لعقد واحد و هو استكراء الأرض ببعض ما يخرج منها والدليل عليه الإجماع والسنة ويمكن الاستدلال
عليه أيضا من القرآن بالآيات التى استدللنا بها على صحة الشركة. فإذا ثبت ذلك فالمعاملة على الأصل ببعض ما خرج من نمائها
على ثلاثة [صفحة 70] أضرب معارضة ومزارعة ومساقاة فالمعارضة تصح بلا خلاف بين الأمة والمساقاة أيضا جائزة إلا عند
أبى حنيفة وحده والمزارعة على ضربين ضرب باطل بلا خلاف وضرب مختلف فيه . فالباطل هو أن يشترط لأحدهما شيئا بعينه و
لم يجعله مشاعا مثل أن يعقد المزارعة على أن يكون لأحدهما ما يدرك أولا- وللآخر ما يتأخر إدراكه أو على أن الشئ
لأحدهما والضيفى للآخر فهذا باطل بلا خلاف لأنه قد ينمى أحدهما ويهلك الآخر. والضرب المختلف فيه هو أن يزارعه على
سهم مشاع مثل أن يجعل له النصف أو الثلث أو أقل أو أكثر كان ذلك جائزا عندنا و فيه خلاف للفقهاء و إن قال لى منها النصف
علم أنه ترك الباقي للعامل كقوله تعالى وَ وِرثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمَّهِ التُّثْلُومُ أن ما بقى للأب . والمساقاة هى أن يدفع الإنسان نخله أو كرمه
إلى غيره على أن يصلحه ويسقيه و ما يرزق الله من ثمره كانت بينهما على ما يشترطانه وهى جائزة بشرطين مدة معلومة كالإجارة
و يكون قدر نصيب العامل معلوما كالقراض . وهى من العقود اللازمة لأنها كالإجارة وتفرق القراض لأنها لا تحتاج إلى مدة
وهى تحتاج إليها والمدة فيها كالمدة فى الإجارة فما يجوز هناك يجوز هاهنا سواء كان سنة أو سنتين و من خالف هناك خالف
هاهنا. و قد ذكرنا أن الآية المتقدمة تدل على جميع ذلك -قرآن- 616-655

باب الإفلاس والحجر

إشارة

المفلس فى الشريعة هو الذى ركبته الديون وماله لا يفي بقضاها فإذا [صفحة 71] جاء غرماؤه إلى الحاكم وسأله الحجر عليه
لثلا ينفق بقيه ماله فإنه يجب على الحاكم أن يحجر عليه إذا ثبت عنده ديونهم وأنها حالة غير مؤجلة و أن صاحبهم مفلس لا يفي
ماله بقضاء دينهم . فإذا فعل ذلك تعلق بحجره ثلاثة أحكام أحدها أن يتعلق ديونهم بعين المال الذى فى يده والثانى أنه يمنع
من التصرف فى ماله عنده والثالث أن كل من وجد من غرمائه عين ماله عنده كان أحق به من غيره . ويمكن أن يستدل من
القرآن على أصل الباب على الجملة. والمحجور عليه إنما سمي بذلك لأنه يمنع ماله من التصرف فيه . والحجر على ضربين
أحدهما حجر على الإنسان لحق غيره والثانى حجر عليه لحق نفسه فأما المحجور عليه لحق غيره فهو المفلس لحق الغرماء

والمريض محجور عليه في ماله لحق ورثته وفيه خلاف والمكاتب محجور عليه فيما في يده لحق سيده و أما المحجور عليه لحق نفسه فهو الصبي والمجنون والسفيه . والأصل في الحجر على الصبي قوله تعالى وَ ابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ . واليتيم من مات أبوه قبل بلوغه ولا يتم بعد حلم وقوله فَإِنْ آنَسْتُمْ أى علمتم فوضع الإيناس موضع العلم وهو إجماع لاخلاف فيه . وقيل في قوله تعالى وَ لِيُمِلَّ الَّذِينَ عَلَيْهِ الْحَقُّ إِلَى قَوْلِهِ فَإِنْ كَانَ الَّذِينَ -قرآن- ٨٥٧-٩٦٤-قرآن ١٠٢٦-١٠٣٨-قرآن-١١٢٥-١١٥٧-قرآن-١١٦٩-١١٨٥ جاء غرماؤه إلى الحاكم وسأله الحجر عليه لثلاثين بقية ماله فإنه يجب على الحاكم أن يحجر عليه إذا ثبت عنده ديونهم وأنها حالة غير مؤجلة و أن صاحبهم مفلس لايفى ماله بقضاء دينهم . فإذا فعل ذلك تعلق بحجره ثلاثة أحكام أحدها أن يتعلق ديونهم بعين المال الذي في يده والثاني أنه يمنع من التصرف في ماله عنده والثالث أن كل من وجد من غرمائه عين ماله عنده كان أحق به من غيره . ويمكن أن يستدل من القرآن على أصل الباب على الجملة . والمحجور عليه إنما سمي بذلك لأنه يمنع ماله من التصرف فيه . والحجر على ضربين أحدهما حجر على الإنسان لحق غيره والثاني حجر عليه لحق نفسه فأما المحجور عليه لحق غيره فهو المفلس لحق الغرماء والمريض محجور عليه في ماله لحق ورثته وفيه خلاف والمكاتب محجور عليه فيما في يده لحق سيده و أما المحجور عليه لحق نفسه فهو الصبي والمجنون والسفيه . والأصل في الحجر على الصبي قوله تعالى وَ ابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ . واليتيم من مات أبوه قبل بلوغه ولا يتم بعد حلم وقوله فَإِنْ آنَسْتُمْ أى علمتم فوضع الإيناس موضع العلم وهو إجماع لاخلاف فيه . وقيل في قوله تعالى وَ لِيُمِلَّ الَّذِينَ عَلَيْهِ الْحَقُّ إِلَى قَوْلِهِ فَإِنْ كَانَ الَّذِينَ عَلَيْهِ الْحَقُّ سَيِّفِيهَا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمِلَّ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ إِيَّاهُ دَلَالَةٌ عَلَى تَثْبِيتِ الْحَجْرِ لِنَفْسِهِ وَقِيلَ إِنَّمَا دَلَّ ذَلِكَ عَلَى الْحَجْرِ لَوْ قَالَ وَلِيُّ الْمَطْلُوبِ وَكِلَاهُمَا عَلَى الْإِطْلَاقِ لَا يَصِحُّ وَقَالَ الْفَرَاءُ يَحْتَمَلُ غَيْرَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ فَلْيُمِلَّ وَلِيُّ الدِّينِ الْكِتَابَ بِالْعَدْلِ لَا بِخُسْرَانٍ . -قرآن- ١-١٠٠

فصل

فإن قيل كيف يقبل قول المدعى على مبلغ حقه . قلنا أما إذا أكذبه المطلوب فلا ولكن إذا صدقه جاز له أن يمل الكتاب الذي يقع فيه الشهادة بالحق . والآية إنما نزلت في الدين عند وقوع الديون لا عند تجاهاها .

فصل

اعلم أن الصبي محجور عليه ما لم يبلغ والبلوغ يكون بأحد خمسة أشياء خروج المنى والحيض والحمل والإنبات والسن فإثنان منهما ينفرد بهما الإناث وهما الحيض والحمل والثلاثة الأخر يشترك فيها الرجال والنساء . والحمل ليس ببلوغ حقيقة وإنما هو علم على البلوغ لأن الله أجرى العادة أن المرأة لا تحبل حتى يتقدم حيض والحمل لا يمكن إلا بعد أن ترى المرأة المنى لأن الله أخبر أن الولد مخلوق من ماء الرجل وماء المرأة لقوله تعالى يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصَّلْبِ وَ التَّرَائِبِ وَأَرَادَ مِنْ صَلْبِ الرَّجُلِ وَ تَرَائِبِ الْمَرْأَةِ وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ أَى أَخْلَاطٍ . -قرآن- ٤٣٦-٤٧٤-قرآن-٥٢٦-٥٤٤ [صفحہ ٧٣] والإنبات دليل على البلوغ والاعتبار بإنبات العانة على وجه الخشونة التي تحتاج إلى الحلق دون ما كان مثل الزغب . فأما السن فحده خمس عشرة سنة في الذكور وتسع سنين في الإناث . وقد ذكرنا أن الصبي لا يدفع إليه ماله حتى يبلغ فإذا بلغ وأونس منه الرشد يسلم إليه ماله وإيناس الرشد منه مجموع أمرين أن يكون مصلحا لماله عدلا في دينه ومتى كان غير رشيد لايفك حجره وإن بلغ وصار شيخا .

ووقت الاختبار يجب أن يكون قبل البلوغ لقوله تعالى وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا فَاذْبَلْغُوا الصَّبِيَّ فَأَمَّا أَنْ يَسْلَمَ إِلَيْهِ مَالَهُ أَوْ يَحْجَرَ
وكيفية اختبار مذكورة في كتب الفقه من أرادها فليطلبها منها -قرآن- ٤٦١-٥٠٠

باب الغصب

تحريم الغصب معلوم بالكتاب والسنة والإجماع قال الله تعالى لا- تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ
مِنْكُمْ وَالْغُصْبُ لَيْسَ عَنْ تَرَاضٍ . و قال تعالى إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ مِنْ غُصْبِ مَالِ
الْيَتِيمِ فَقَدْ ظَلَمَهُ . و قال تعالى وَيَلِّ لِلْمُطَفِّينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ. والإجماع
ثابت على أن الغصب حرام . -قرآن- ٦٥-١٥٢-قرآن- ١٩٠-٢٧٦-قرآن- ٣٢٥-٤٣٧ [صفحہ ٧٤] و قال النبي ص لا يحل مال
امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه -روایت- ١-٢-روایت- ٢٠-٦٧ و قال حرمة مال المسلم كحرمة دمه -روایت- ١-٢-روایت-
١٠-٣٩ . فإذا ثبت تحريم الغصب فالأموال على ضربين حيوان و غير حيوان و كلاهما إذا كان قائما يجب رده . و قال النبي ص
على اليد ما أخذت حتى تؤدي -روایت- ١-٢-روایت- ٢٠-٤٨ و قال لا يأخذن أحدكم متاع أخيه جادا ولا لاعبا من أخذ عصا
أخيه فليردها -روایت- ١-٢-روایت- ١٠-٧٩ . و إن كان تألفا فعليه مثله لقوله تعالى فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا
اعْتَدَى عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ لَهُ مِثْلٌ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِثْلٌ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا
بَرَدَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ فَوَجَبَ عَلَيْهِ قِيَمَتُهُ إِذَا تَعَذَّرَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ -قرآن- ٤٥-١١٣ [صفحہ ٧٥]

كتاب النكاح

إشارة

قال الله تعالى وَ أَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَ إِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ . هذا خطاب من الله
تعالى للمكلفين من الرجال والنساء يأمرهم أن يزوجوا الأيامي اللواتي لهم عليهن ولاية و أن يزوجوا الصالحين المستورين الذين
يفعلون الطاعات من المماليك والإماء إذا كانوا ملكا لهم . والأيامى جمع أيم وهى المرأة التى لازوج لها سواء كانت بكرا أو ثيبا
و قال قوم الأيم التى مات زوجها و على هذا -قرآن- ١٩-١٤١ قوله ع الأيم أحق بنفسها أعنى الثيب -روایت- ١-٢-روایت- ١٢-
٤٤ وقيل إن الأمر بتزويج الأيامي إذا اردن ذلك أمر فرض والأمر بتزويج الأمة إذا اردت ندب و كذلك العبد. ومعنى قوله إن
يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ أى لا يمنعوا من النكاح المرأة أو الرجل إذا كانا صالحين لأجل فقرهما وقله ذات أيديهما فإنهم
و إن -قرآن- ١١٨-١٦٨ [صفحہ ٧٦] كانوا كذلك فإن الله يغنيهم من فضله و قال قوم معناه إن يكونوا فقراء إلى النكاح يغنيهم
الله بذلك عن الحرام . فعلى الأول تكون الآية خاصة فى الأحرار و على الثانى عامة فى الأحرار والمماليك فالنكاح فيه فضل
كبير لأنه طريق التناسل و باب التواصل و سبب الألفة والمعونة على العفة و من سنن الإسلام النكاح وترك التعزب فمن دعت
الحاجة إلى النكاح و وجد له طولا فلم يتزوج فقد خالف سنة رسول الله ص . و قد ذكرنا ما حث الله به عباده ودعاه إليه فقال وَ
أَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ لِأَيِّهِ ثُمَّ قَالَ وَ لَيْسَتْ عَفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ أَمْرٌ تَعَالَى مِنْ لَا يَجِدُ السَّبِيلَ إِلَى
أَنْ يَتَزَوَّجَ بِأَنْ لَا يَجِدَ طَوْلًا- من المهر و لا يقدر على القيام بما يلزمه لها من النفقة والكسوة أن يتعفف و لا يدخل فى الفاحشة
و يصبر حتى يغنيه الله من فضله -قرآن- ٤٦٤-٤٩١-قرآن- ٥٠٦-٥٨٦

قال الله تعالى وَ لَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَ لِأُمَّةٍ مُّؤْمِنَةٍ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَ لَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَ لَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَ لَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَ لَوْ أَعْجَبَكُمْ. هذه الآية على عمومها عندنا فى تحريم مناهضة جميع الكفار وليست منسوخة و لامخصوصة قال ابن عباس فرق عمر ابن طلحة و حذيفة امرأتيهما اللتين كانتا تحتها كتابيتين و قال الحسن إنها عامة إلا أنها نسخت بقوله -قرآن- ١٩-٢٢٠ [صفحة ٧٧] تعالى وَ الْمُحْصِنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَ قَالَ ابن جبير هى على الخصوص . ونحن إنما اخترنا ما قلناه أولاً لأنه لا دليل على نسخها و لا على خصوصها وسنين وجه ذلك بعد هذا إن شاء الله تعالى . و أما المجوسية فلا يجوز نكاحها إجماعاً والذمي لا يجوز أن يتزوج مسلمة إجماعاً أيضاً و قرآناً وأخباراً. والأمة المملوكة والجارية تكون مملوكة و غير مملوكة. والإعجاب يكون بالجمال و يكون بخصال يرغب لها فيها ومعنى أعجبنى الشئ فرحت به ورضيته والفرق بين لو أعجبكم و إن أعجبكم أن لوللماضى و إن للمستقبل وكلاهما يصح فى معنى الماضى. و لا يجوز نكاح الوثنية إجماعاً لأنها تدعو إلى النار كما حكاها الله تعالى . و هذه العلة قائمة فى الذمية من اليهود والنصارى فيجب أن لا يجوز نكاحها. و قال السدى فى قوله تعالى قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَ لَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ الْخَبِيثُ الْخَبِيثُ الْكَاْفِرُ وَالطَّيِّبُ الْمُؤْمِنُ وَ هُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ وَ قَالَ جَمَاعَةُ الْآيَةِ عَامَةً أَى لَا يَسْتَوِي أَهْلُ الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ لَا فِى الْمَكَانِ وَ لَا فِى الْمَقْدَارِ وَ لَا فِى الْإِنْفَاقِ وَ لَا فِى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْوُجُوهِ . وَ فِى الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى جَوَازِ نِكَاحِ الْأُمَّةِ الْمُؤْمِنَةِ مَعَ وَجُودِ الطُّوْلِ لِقَوْلِهِ وَ لِأُمَّةٍ مُّؤْمِنَةٍ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ فَكُلٌّ مِّنْ عَقْدِ عَلَى أُمَّةٍ الْغَيْرِ وَأَعْطَى سَيِّدَهَا الْمَهْرَ كَانَ الْعَقْدُ مَاضِيًا غَيْرَ أَنَّهُ يَكُونُ تَارِكًا لِلْأَفْضَلِ . وَ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَعْقِدَ عَلَى أُمَّةٍ وَعِنْدَهُ حُرَّةٌ إِلَّا بِرِضَاهَا فَإِنْ عَقِدَ عَلَيْهَا مِنْ -قرآن- ٨-٦٥-قرآن- ٧٣٠-٨٠٢-قرآن- ١٠٥٥-١٠٩٥ [صفحة ٧٨] غَيْرِ رِضَاهَا كَانَ الْعَقْدُ بَاطِلًا وَ إِنْ أَمْضَتْ الْحُرَّةُ الْعَقْدَ مَضَى الْعَقْدُ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ اخْتِيَارٌ. فَأَمَّا الْآيَةُ الَّتِي فِى النِّسَاءِ وَ هِيَ قَوْلُهُ وَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصِنَاتِ فَإِنَّمَا هِيَ عَلَى التَّنْزِيهِ دُونَ التَّحْرِيمِ . -قرآن- ١٢٧-١٨٣

و قال بعض المفسرين لا يقع اسم المشركات على نساء أهل الكتاب فقد فصل الله تعالى بينهما فى قوله لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ فِى قَوْلِهِ مَا يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ لَمَّا الْمُشْرِكِينَ إذ عطف أحدهما على الآخر. و هذا التعليل من هذا الوجه غير صحيح فالمشرك يطلق على الكل لأن من جحد نبوه محمد ص فقد أنكر معجزه فأضافه إلى غير الله و هذا هو الشرك بعينه و هذا ورد للتفخيم كما عطف على الفاكهة النخيل والرمان مع كونهما منها تخصيصاً فى قوله تعالى فِيهِمَا فَاكِحَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رُْمْيَانٌ. و متى أسلم الزوجان بنيا على النكاح الذى كان جرى بينهما و لا يحتاج إلى تجديده بلا خلاف و إن أسلمت قبله طرفه عين فعند كثير من الفقهاء وقعت الفرقة و عندنا تنتظر عدتها فإن أسلم الزوج تبين أن الفرقة لم تحصل -قرآن- ١٠٣-١٦٥-قرآن- ١٧٨-٢٤٣-قرآن- ٥١٠-٥٤٥ [صفحة ٧٩] ورجعت إليه و إن لم يسلم تبين أن الفرقة وقعت حين الإسلام غير أنه لا يمكن من الخلو بها فإن أسلم الزوج وكانت ذمية استباح وطؤها بلا خلاف و إن كانت وثنية انتظر إسلامها مادامت فى العدة فإن أسلمت ثبت عقده عليها و إن لم تسلم بانت منه . فإن قيل كيف يقال للكافر الذى يوحد الله مشرك . الجواب فيه

قولان أحدهما أن كفره نعمة الله هي الإسلام وجحده لدين محمد ع كالشرك في عظم الجرم . والآخر أنه إذا كفر بالنبى ع فقد أشرك فيما لا يكون إلا من عند الله و هو القرآن فزعم أنه من عند غير الله ذكره الزجاج و هذا أقوى . فالمحرمات من النساء على ضربين ضرب منهن يحرم بالنسب وضرب منهن يحرم بالسبب و ماعدهما فمباح . وبيان ذلك في الآيات من سورة النساء في قوله تعالى وَ لَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَ مَقْتًا وَ سَاءَ سَبِيلًا ثم قال حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ إِلَى آخِرِهَا . والحكمة في هذا الترتيب ظاهرة ونحن نذكر تفصيلها في فصول -قرآن- ٦٩٦-٨١١-قرآن-٨٢١-٨٤٨]
[صفحة ٨٠]

فصل

اعلم أن الله تعالى ابتداءً بتحريم مانكح الآباء في سورة النساء بقوله تعالى وَ لَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ثم فصل المحرمات . ومعنى الآية الأولى قيل فيه قولان أحدهما قال ابن عباس إنه حرم عليهم ما كان أهل الجاهلية يفعلونه من نكاح امرأة الأب إذا لم تكن الأم . الثاني أن يكون ما نكحتمزلة المصدر والتقرير و لا تنكحوا نكاح آبائكم فعلى هذا يدخل فيه النهى عن حلل الآباء و كل نكاح لهم فاسد في الجاهلية و هو اختيار الطبرى و قال إن هذا الوجه أجود لأنه لو أراد حلل الآباء لقال لا تنكحوا مانكح آبائكم . و هذا ليس بطعن لأنه ذهب به مذهب الجنس كما يقول القائل لا تأخذ ما أخذ أبوك من الإماء فيذهب مذهب الجنس ثم يفسره بمن . و قوله إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ يعنى يالا لكن وكذا استثناء منقطع كقولهم لا تبع متاعى إلا ما بعت أى لكن ما بعت فلا جناح عليك فيه وقيل فى معناه قولان أحدهما إلا ما قد سلف فإنكم لا تؤاخذون به و إن كان منه ولد فليس الولد بولد زنا و قال قطرب معناه لكن ما سلف فاجتنبوه ودعوه إنه فاحشة . الثاني حكاة بعض المفسرين إلا ما قد سلف فدعوه فهو جائز لكم و هذا لا يجوز بالإجماع . والهاء فى قوله تعالى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً يحتمل أن تكون عائده إلى النكاح بعد النهى ويحتمل أن تكون عائده إلى النكاح الذى عليه أهل الجاهلية قيل -قرآن- ٧٩-١٢٦-قرآن-٣٠٩-٣١٧-قرآن-٦٧٧-٦٩٥-قرآن-١٠٧٦-١٠٩٥]
[صفحة ٨١] و لا يكون ذلك إلا . و قد قامت عليهم الحجة بتحريمه من جهة الرسل فالأول اختاره الجبائى و هو الأقوى قال وتكون السلامة مما قد سلف فى الإقلاع عنه وقيل إنما استثنى ما قد مضى ليعلم أنه لم يكن مباحا لهم . إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً أى زناء وَ مَقْتًا أى بغضا أى يورث بغض الله ويسمى ولد الرجل من امرأة أبيه المقتى ومنهم الأشعث بن قيس و أبو معيط جد الوليد بن عتبة . قال البلخى ليس كل نكاح حرمه الله تعالى زنا لأن الزنا هو فعل مخصوص لا يجرى على طريقة لازمة وسنة جارية لذلك لا يقال للمشركين فى الجاهلية أولاد زنا و للأهل الذمة والمعاهدين أولاد زنا إذا كان عقدا بينهم يتعارفونه . إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً دخلت كان لتدل على أنه كان قبل تلك الحال كذا كان كذا فاحشة . وقول المبرد إن كان زائدة غير صحيح لأنها لو كانت زائدة لم تعمل معناه أنه كان فيما مضى أيضا فاحشة ومقتا و كان قد قامت الحجة عليهم بذلك فى كل من عقد عليها الأب من النساء أنه يحرم على الابن دخل بها أو لم يدخل بلا . خلاف . فإن دخل بها الأب على وجه السفاح فهل يحرم على الابن فيه خلاف وعموم الآية يقتضى أنها تحرم عليه لأن النكاح يعبر به عن الوطى كما يعبر به عن العقد فيجب أن يحمل عليهما . وامرأة الأب و إن علا تحرم على الابن و إن نزل بلا خلاف -قرآن- ٢١٣-٢٣٢-قرآن-٢٤١-٢٤٩-قرآن-٥٩٤-٦١٣] [صفحة ٨٢]

فصل

ثم قال تعالى حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ أَلَيْسَ بِمَا جَرَى مَجْرَاهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ مَجْمُوعَةٌ لَا يُمْكِنُ التَّعَلُّقُ بِظَاهِرِهَا فِي تَحْرِيمِ شَيْءٍ وَإِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى بَيَانٍ قَالُوا لِأَنَّ الْأَعْيَانَ لَا تَحْرَمُ وَلَا تَحِلُّ وَإِنَّمَا يَحْرَمُ التَّصَرُّفُ فِيهَا وَالتَّصَرُّفُ مُخْتَلَفٌ فَيَحْتَاجُ إِلَى بَيَانٍ التَّصَرُّفِ الْمَحْرَمِ دُونَ التَّصَرُّفِ الْمُبَاحِ . وَالْأَقْوَى أَنَّهَا لَيْسَتْ مَجْمُوعَةٌ لِأَنَّ الْمَجْمُوعَ هُوَ مَا لَا يَفْهَمُ الْمُرَادُ بَعَيْنَهُ بِظَاهِرِهِ وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْآيَةُ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَفْهُومَ مِنْ ظَاهِرِهَا تَحْرِيمَ الْعَقْدِ عَلَيْهِنَ وَالْوَطَى دُونَ غَيْرِهِمَا مِنْ أَنْوَاعِ الْفِعْلِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى الْبَيَانِ مَعَ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ الْمَفْهُومُ مِنْهُ الْأَكْلُ وَالْبَيْعُ دُونَ النَّظَرِ إِلَيْهَا أَوْ مَا جَرَى مَجْرَاهُ . كَيْفَ وَقَدْتَقَدَّمَ هَذِهِ الْآيَةُ مَا يَكْشِفُ عَنْ أَنَّ الْمُرَادَ هَاهُنَا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ فَلَمَّا قَالَ بَعْدَهُ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ كَانَ الْمَفْهُومُ أَيْضًا تَحْرِيمَ نِكَاحِهِنَّ وَيَطْلُبُ الْكَلَامُ فِيهِ مِنْ أَصُولِ الْفِقْهِ . -قرآن- ١٧-٥٧-قرآن-١٣٨-١٧٤-قرآن-٥٩٨-٦٢٤-قرآن-٧٥٦-٧٨٩-قرآن-٨٠٦-٨٣٣

فصل

قال ابن عباس حرم الله في هذه الآية سبعا بالنسب وسبعا بالسبب . فالمحرمات من النسب الأمهات ويدخل في ذلك أمهات الأمهات وإن علون وأمهات الآباء كذلك البنات ويدخل في ذلك بنات الأولاد أولاد البنين وأولاد [صفحة ٨٣] البنات وإن نزلن والأخوات سواء كن لأب أو لأب وأم وكذا العمات والخالات وإن علون من جهة الأب كن أو من جهة الأم وبنات الأخ وبنات الأخت وإن نزلن وكل من يقع عليه اسم بنت حقيقة أو مجازا تحرم لقوله تعالى وَبَنَاتُكُمْ وكذا من يقع عليه اسم العمه لقوله تعالى وَعَمَّاتُكُمْ وكذلك كل من كان خالته حقيقة وهي أخت أمه أو مجازا وهي أخت جدته أي جدته كانت من قبل أمها فأختها خالته وتحرم عليه لقوله تعالى وَخَالَاتُكُمْ . والمحرمات بالسبب الأمهات من الرضاعة والأخوات أيضا من الرضاعة وكل من يحرم بالنسب يحرم مثله بالرضاع فنص الله من جملةهن على الأمهات والأخوات بظاهر اللفظ ودل بفحواه على أن من عدهما ممن تحرم بالنسب كهما لأن تلك إذا صارت بالرضاع أما وهذه أختا فالعمه والخالته يصيران عمه وخالته وكذلك من سواهما - قرآن-٢٢٤-٢٣٥-قرآن-٢٧٩-٢٩١-قرآن-٤٢٩-٤٤٠ ولذلك قال ع يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب -روايت-١-٢-روايت-١٨-٥٣

فصل

ثم قال تعالى وَ أُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ فَأُمَّهَاتُ النِّسَاءِ يَحْرَمُ بِنَفْسِ الْعَقْدِ وَإِنْ لَمْ يَدْخُلْ بِالْبِنْتِ عَلَى رَأْيِ أَكْثَرِ الْفُقَهَاءِ وَبِهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ الْحَسَنُ وَعَطَاءٌ وَقَالُوا هِيَ مَبْهَمَةٌ وَخَصُوا التَّقْيِيدَ بِقَوْلِهِ وَرَبَائِبِكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ - قرآن-١٧-٣٧-قرآن-١٩٠-٢٧٠ ورووا عن علي ع وزيد بن ثابت أنه يجوز العقد على الأم ما لم يدخل بالبنت -روايت-١-٢-روايت-٣٥-٨١ ولم يجعلوا قوله مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ رَجْعًا إِلَى أُمَّهَاتِ النِّسَاءِ وَقَالُوا تَقْدِيرُ الْكَلَامِ حَرَمَتْ عَلَيْكُمْ نِسَائِكُمْ مطلقا وحرمت عليكم ربائبيكم اللاتي في حجوركم من نسائكم -قرآن-١٩-٥٨ [صفحة ٨٤] اللاتي دخلتم بهن وقالوا أم المرأة تحرم بالعقد مجردا والربيبة تحرم بشرط الدخول بالأُم وهذا هو الصحيح وقال قوم هي من صلبها جميعا فإن المرأة لا تحرم أمها ما لم يدخل بها أيضا . والصحيح أن الجملة المقيدة إذا عطف على الجملة المطلقة لا يجب أن يسرى ذلك التقيد إلى الجملة الأولى أيضا ويتحقق هذا من النحو أيضا فقال الزجاج وهو قول سيبويه والمحققين إن الصحيح هو الأول وذلك أن

الموصوفين و إن اتفقا في الإعراب فإنهما إذا اختلف العامل فيهما لم يجز أن يوصفا بصفة جامعة والمثال يجيء من بعد. والربائب جمع ربيبة وهي بنت الزوجه من غيره ويدخل فيه أولادها و إن نزلن وسميت بذلك لتربيته إياها ومعناها مربوبة ويجوز أن تسمى ربيبة سواء تولى تربيتها وكانت في حجره أو لم تكن لأنه إذا تزوج بأماها سمي هوربيبا وهي ربيته . والعرب تسمى الفاعلين والمفعولين بما يقع بهم ويوقعونه يقولون هدامقتول و هذاذبيح و إن لم يقتل بعد و لم يذبح إذا كان يراد قتله أو ذبحه وكذلك يقولون هذاأضحيه لما أعد للتضحيه فمن قال لا تحرم بنت الزوجه إلا إذا تربت في حجره فقد أخطأ على ما قلناه . و قوله تعالى من نسائكُم اللاتي دخلتم بهن قال المبرد اللاتي دخلتم بهنعت للنساء اللواتي من أمهات الربائب لا غير قال لإجماع الناس أن الربيبة تحل إذا لم يدخل بأماها و إن من أجاز أن يكون قوله تعالى من نسائكُم اللاتي دخلتم بهن هولا أمهات نسائكُم فيكون معناه أمهات نسائكُم من نسائكُم اللاتي دخلتم بهن فيخرج أن يكون اللاتي دخلتم بهن لأمهات الربائب . قال الزجاج لأن الخبرين إذا اختلفا لم يكن نعتهما واحدا لا يجيز - قرآن- ١٠١٧-١٠٥٦- قرآن- ١٠٦٨-١٠٩٢- قرآن- ١٢٣٠-١٢٦٩ [صفحہ ٨٥]
النحويون مررت بنسائك وهربت من نساء زيد الظريفات على أن تكون الظريفات نعتا لهؤلاء النساء وهؤلاء النساء لأن الأولى جر بالباء والثانية بالإضافة فكذلك النساء الأولى في الآية جر بإضافة الأمهات إليها والثانية جر بمن فلا يجوز أن يكون اللاتي دخلتم بهن نصفه للنساء الأولى والثانية. وقيل أيضا لوجاز أن يكون اللاتي دخلتم بهن نصفه للأولى والثانية لجاز أن يكون قوله إلا ما ملكت أيمانكم استثناء من جميع المحرمات و في إجماع الجميع على أنه استثناء مما يليه و هوالمحصنات من النساء دلالة على أن اللاتي دخلتم بهن نصفه للنساء اللاتي تليها والدليل الأول أقوى و قال من اعتبر الدخول بالنساء لتحريم أمهاتهن يحتاج أن يقدر أعنى فيكون التقدير وأمهات نسائك أعنى اللاتي دخلتم بهن و ليس بنا إلى ذلك حاجة. والدخول المذكور في الآية قيل فيه قولان أحدهما قال ابن عباس هو الجماع واختاره الطبري الثاني قال عطا هو الجماع و مايجرى مجراه من المسيس و هو مذهبنا و له تفصيل فإن كان المسيس من شهوة فهو كالجماع فيكون محظورا و إن كان من غير شهوة فنكاح بنتها مكروه و فيه خلاف بين الفقهاء. - قرآن- ٢٤٣-٢٦٧- قرآن- ٣٢٣-٣٤٧- قرآن- ٣٨٩-٤١٥- قرآن- ٤٩٤-٥١٨- قرآن- ٥٣٣-٥٥٧

فصل

ثم قال تعالى وَ حَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ عَنِ نِسَاءِ الْبَنِينَ لِلصِّبْيِ لِلصِّبْيِ دَخَلَ بَهْنِ الْبَنُونَ أَوْ لَمْ يَدْخُلُوا وَ زَوْجَاتُ أَوْلَادِ الْأَوْلَادِ مِنَ الْبَنِينَ وَ الْبَنَاتُ دَاخِلُونَ فِي ذَلِكَ وَ إِنَّمَا قَالَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ لِئَلَّا يَظُنَّ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ يَتِيمِي بِهِ تَحْرِمُ عَلَيْهِ . وَ قَالَ عَطَا نَزَلَتِ الْآيَةُ حِينَ نَكَحَ النَّبِيُّ عِ امْرَأَةَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ - قرآن- ١٧-٦٣- قرآن- ١٩٠-٢٠٣ [صفحہ ٨٦] فقال المشركون في ذلك فتزل و حلائل أبنائكم العذير من أصلابكم. فأما حلائل الأبناء من الرضاع فمحرمات - قرآن- ٣٠-٧٦ لقوله ع يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب -روایت- ١-٢-روایت- ١٢-٤٧ . وإنما سميت المرأة حليلة لأمرين لأنها تحل معه في الفراش ولأنه يحل له وطؤها.

فصل

ثم عطف عليه فقال تعالى وَ أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ أَى وَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْجَمْعَ بَيْنَهُمَا لِأَنَّ مَعَ صَلَاتِهَا فِي حَكْمِ الْمَصْدَرِ وَ هَذَا يَقْتَضِي تَحْرِيمَ الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا فِي عَقْدٍ وَاحِدٍ وَ تَحْرِيمَ الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا فِي الْوَطَى سِيَمَا بِمَلِكِ الْيَمِينِ فَإِذَا وَطِئَ إِحْدَاهُمَا لَمْ يَحِلَّ لَهُ الْآخَرَى حَتَّى تَخْرُجَ تِلْكَ مِنْ مَلِكِهِ وَ هُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ وَ أَكْثَرَ الْمَفْسَرِينَ وَ الْفُقَهَاءِ . وَ مِنْ أَجَازِ الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا فِي الْوَطَى عَلَى مَا ذَهَبَ

إليه داود وقوم من أهل الظاهر فقد أخطأ في الأختين وكذا في الربيبة وأم الزوجه لأن قوله وَ أُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ دَخَلَ فِيهِ الْمَمْلُوكَةُ والمعقود عليها وكذا قوله مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ تَنَاوَلُ الْجَمِيعَ وكذا قوله وَ أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ فِي الْجَمِيعِ عَلَى كُلِّ حَالٍ فِي الْعَقْدِ وَالْوَطَى وَإِنَّمَا أَخْرَجْنَا جَوَازَ مَلَكَهَا بِدَلَالَةِ الْإِجْمَاعِ . ولا يعارض ذلك قوله تعالى أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ لَأَنْ الْغَرَضُ بِهِذِهِ الْآيَةُ مَدْحٌ مِنْ يَحْفَظُ فَرْجَهُ إِلَّا عَنِ الزَّوْجِ أَوْ مَا مَلَكَتِ الْأَيْمَانَ فَأَمَّا كَيْفِيَّةُ ذَلِكَ فَلَيْسَ فِيهِ . ويمكن الجمع بينهما بأن يقال أَوْ مَا مَلَكَتِ أَيْمَانَهُمْ إِلَّا . على وجه الجمع بين الأم والبنت أو الأختين . -قرآن- ٢٨-٦٠-قرآن- ٤٥٩-٤٧٩-قرآن- ٥٢٤-٥٦٣-قرآن- ٥٩٠-٦٢٢-قرآن- ٧٣٨-٧٦٢ [صفحة ٨٧] وقوله تعالى إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ اسْتِثْنَاءٌ مَنْقُوعٌ لَكِنْ مَا قَدْ سَلَفَ لَا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِهِ الْآنَ وَقَدْ دَخَلْتُمْ فِي الْإِسْلَامِ وَتَرَكْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَ لَيْسَ الْمُرَادُ أَنْ مَا سَلَفَ حَالُ النَّهْيِ يَجُوزُ اسْتِدَامَتُهُ بِلَا خِلَافٍ . وقيل إنَّ الْإِبْمَاعِيَّ سَوَى وَمَوْضِعُ أَنْ تَجْمَعُوا رَفَعُ تَقْدِيرِهِ حَرَمَتْ عَلَيْكُمْ الْأَشْيَاءَ وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ فَإِنَّهُمَا يَحْرَمَانِ عَلَى وَجْهِ الْجَمْعِ دُونَ الْإِنْفِرَادِ سِوَا اجْتِمَاعِ الْعَقْدَانِ أَوْافَتْقَا وَ كَانَ ذَلِكَ لِبْنِي إِسْرَائِيلَ حَلَالًا فَإِنْ خَلَفَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى جَازَ . ويمكن الاستدلال بهذه الآية على أنه لا يصح أن يملك واحدة من ذوات الأنساب المحرمات و من الرضاع أيضا لأن التحريم عام -قرآن- ١٦-٣٤-قرآن- ٢٣٦-٢٤٨ بقوله ع يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٤٧ فهو دليل على أنه لا يصح ملكهن من جهة الرضاع وإن كان فيه خلاف . و أما المرأة التي وطئها بلا تزويج و لا ملك فليس في الآية ما يدل على أنه يحرم وطئ أمها و بنتها لأن قوله تعالى وَ أُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَ قوله مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ يَتَضَمَّنُ إِضَافَةَ الْمَلِكِ إِمَّا بِالْعَقْدِ أَوْ بِمَلَكَتِ الْيَمِينِ فَلَا يَدْخُلُ فِيهِ مِنْ وَطِئٍ مِنْ لَا يَمْلِكُ وَ طَوَّهَا غَيْرَ أَنْ قَوْمًا مِنْ أَصْحَابِنَا أَحَقُّوا ذَلِكَ بِالْمُطَوَّءَةِ بِالْعَقْدِ وَالْمَلِكِ بِالسَّنَةِ وَالْأَخْبَارِ الْمَرْوِيَّةِ فِي ذَلِكَ وَ فِيهِ خِلَافٌ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ . ثم قال إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ كَانَ غَفُورًا حَيْثُ لَمْ يُؤَاخِذْهُمْ بِمَا فَعَلُوهُ مِنْ نِكَاحِ الْمُحْرَمَاتِ وَإِنَّمَا عَفَا لَهُمْ عَمَّا سَلَفَ . -قرآن- ١٨٦-٢٠٦-قرآن- ٢١٥-٢٥٤-قرآن- ٤٦٧-٥٠٠

فصل

ثم قال تعالى وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ -قرآن- ١٧-٩٥ [صفحة ٨٨] قيل في معناه ثلاثة أقوال أحدها وهو الأقوى أن المراد به ذوات الأزواج إلا ما ملكت أيمانكم من سبي من كان لها زوج لأن بيعها طلاقها قال ابن عباس طلاق الأمة ست سببها وبيعها وعتقها وهبتها وميراثها وطلاق زوجها -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٨٣. الثالث أن المحصنات العفائف إلا ما ملكت أيمانكم بالنكاح أو اليمين ملك استمتاع بالمهر أو ملك استخدام بثمن الأمة وأصل الإحصان المنع . والإحصان على أربعة أقسام أحدها بالزوجة كقوله وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ الثَّانِي بِالْإِسْلَامِ كقوله فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَيْتَانَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفٌ مِمَّا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ الثَّلَاثُ بِالْعَقْدِ كقوله وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ الرَّابِعُ يَكُونُ بِالْجَزِيَّةِ كقوله وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ . قال البلخي والآية دالة على أن نكاح المشركين ليس بزنى لأن قوله تعالى وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِذَا كَانَ الْمُرَادُ بِهِ ذَوَاتُ الْأَزْوَاجِ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ إِلَّا مَا مَلَكَتِ أَيْمَانُكُمْ سَبَبِي فَلَا خِلَافَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ وَطِئُ الْمَسِيئَةِ بَعْدَ اسْتِبْرَائِهَا بِحَيْضَةٍ . وقوله كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ نَصَبٌ عَلَى جِهَةِ الْأَمْرِ وَ يَكُونُ عَلَيْكُمْ مَفْسُورًا وَالْمَعْنَى الزَّمُوا كِتَابَ اللَّهِ وَ عَلَى الْإِسْرَاءِ -قرآن- ١٩٢-٢١٩-قرآن- ٢٤٤-٣٣٥-قرآن- ٣٥٧-٤٢٦-قرآن- ٤٥٤-٥١١-قرآن- ٥٨٩-٦١٦-قرآن- ٦٧٨-٧٠٤-قرآن- ٧٧٢-٧٩٣-قرآن- ٩٣٣-٩٤٠ [صفحة ٨٩] والعامل محذوف لأن عليكم لا يعمل فيما قبله . وقد صرح عن ابن عباس أنه قال حرم الله من النساء سبعا بالنسب وسبعا بالسبب وتلا الآية ثم قال والسابعة من محرمات السبب قوله وَ لَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ

آبَاؤُكُمْ وَهِيَ امْرَأَةُ الْأَبِ سِوَاءِ دَخَلَ بِهَا أَوْ لَمْ يَدْخُلْ وَتَدْخُلْ فِي ذَلِكَ زَوْجَاتِ الْأَجْدَادِ وَإِنْ عَلُوا مِنَ الطَّرْفَيْنِ -رَوَايَتُ- ١-٢-
رَوَايَتُ- ٣٥-٢٦٥

باب مقدار ما يحرم من الرضاع وأحكامه ما وراء ذوات المحارم القرابية

إشارة

أما الرضاع فإن الله سمي بقوله تعالى وَ أُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُم مَّهَاتٍ لِلْحَرَمِ . و لا يحرم عندنا الرضاع إلا ما نبت اللحم و شد العظم وإنما يعتبر أقل ذلك بخمس عشرة رضعة متواليه لا يفصل بينهما برضاع امرأة أخرى أو برضاع يوم و ليلة لا يفصل بينهما برضاع امرأة أخرى . و فى أصحابنا من روى تحريم ذلك بعشر رضعات و ذلك محمول على شدة الكراهة فى ذلك . و متى دخل من الرضاع رضاع امرأة أخرى بطل حكم ما تقدم و حرم الشافعى بخمس رضعات و لم يعتبر التوالى وإنما اختار خمس الرضعات -قرآن- ٤١-٧٧ لما روت عائشة أن عشر رضعات كانت محرمة فسنخ بخمس -رَوَايَتُ- ١-٢-رَوَايَتُ- ١٧-٥٧ و هذا يدل على ما ذهب إليه من خمس عشرة رضعة لأن النسخ كما توهم الشافعى أنه بالنقصان فإنه يكون بالزيادة وإنما ذهبنا إلى الزيادة للتفصيل الوارد عن الصادق ع [صفحة ٩٠] و حرم أبو حنيفة بقليله و كثيره و فى أصحابنا من ذهب إليه والمراد به الكراهية . و اللبن عندنا للفحل لأنه بفعله ثار و نزل و معناه إذا أرضعت امرأة بلبن فحل لها صبيانا كثيرين من أمهات شتى فإنهم جميعهم يصيرون أولاد الفحل و يحرمون على جميع أولاده الذين ينتسبون إليه و لادته و رضاعا و يحرمون على أولاد المرضعة الذين ولدتهم فأما من أرضعته بلبن غير هذا الفحل فإنهم لا يحرمون عليهم . ثم اعلم أن كل أنثى انتسبت إليها باللبن فهى أمك لقوله تعالى وَ أُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُم مَّهَاتٍ أَرْضَعْتَكَ أَوْ أَرْضَعْتَ امْرَأَةً أَرْضَعْتَكَ أَوْ رَجُلًا أَرْضَعْتَ بِلَبَانِهِ مِنْ زَوْجَتِهِ أَوْ أُمٍّ وَلَدَهُ كُلُّهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ فَهِيَ أُمُّكَ مِنَ الرِّضَاعِ وَ كَذَا كُلُّ امْرَأَةٍ و ولدت امرأة أرضعتك أو ولدت رجلا- أرضعت بلبنه فهى أمك من الرضاعة. -قرآن- ٤٦١-٤٩٧

فصل

و قوله تعالى وَ أَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعِ يَعْنِي بَنَاتِ الرِّضَاعِ وَ هُنَّ ثَلَاثَا الصَّغِيرَةُ الْأَجْنِيَّةُ الَّتِي أَرْضَعْتَهَا أُمُّكَ بِلَبَانِ أَبِيكَ سِوَاءِ أَرْضَعْتَهَا مَعَكَ أَوْ مَعَ وَلَدٍ قَبْلَكَ أَوْ بَعْدَكَ وَ الثَّانِيَةُ أَخْتُكَ لِأُمِّكَ دُونَ أَبِيكَ وَ هِيَ الَّتِي أَرْضَعْتَهَا أُمُّكَ بِلَبَانِ رَجُلٍ غَيْرِ أَبِيكَ وَ الثَّلَاثَةُ أَخِيكَ لِأَبِيكَ دُونَ أُمِّكَ وَ هِيَ الَّتِي أَرْضَعْتَهَا زَوْجَةُ أَبِيكَ بِلَبَانِ أَبِيكَ وَ أُمُّ الرِّضَاعِ وَ أخت الرضاعة لو لا الرضاعة لم تحرم فالرضاعة سبب تحريمهما . و كل من تحرم بالنسب من اللاتي مضى ذكرهن تحرم أمثالهن بالرضاع -قرآن- ١٦-٤٥ [صفحة ٩١] لقول النبي ص إن الله حرم من الرضاعة ما حرم من النسب -رَوَايَتُ- ١-٢-رَوَايَتُ- ١٨-٦١ فثبت بهذا الخبر أن السبع المحرمات بالنسب على التفصيل الذى ذكره الله محرمات بالرضاع . و الكلام فى الرضاع فى ثلاثة فصول أحدها مدة الرضاع و قد اختلف فيها فقال أكثر أهل العلم لا يحرم إلا ما كان فى مدة الحولين فأما ما كان بعده فلا يحرم بحال و هو مذهبنا و به قال الشافعى و محمد و أبو يوسف . و ثانيها قدر الرضاع الذى يحرم و قد ذكرناه الآن . و ثالثها كيفية الرضاع فعند أصحابنا لا يحرم إلا ما وصل إلى الجوف من الثدي فى المجرى المعتاد الذى هو الفم و أما ما يؤجر أو يسقط أو يحقن به فلا يحرم بحال .

ثم اعلم أن هذه الجملة على ضربين تحريم أعيان وتحريم جمع. فأما تحريم الأعيان فنسب وسبب فالنسب قدمضى ذكره والسبب على ضربين رضاع ومصاهرة فالرضاع بيناه أيضا وتحريم المصاهرة وإن قدمنا الكلام عليه فنذكرها هنا أيضا مجموعا مفصلا. فاعلم أنهن أربع أمهات الزوجات و كل من يقع عليها اسم أم حقيقة أو مجازا وإن علون فالكل يحرم لقوله تعالى **أُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ**. والثانية الربيبة وهي كل من كان نسلها وكذا ولد الربيب ونسله فإنه يحرم بالعقد تحريم جمع فإن دخل بها حرم من عليه كهن تحريم تأييد لقوله قرآن- ٣٥٩-٣٧٦ [صفحة ٩٢] **وَ رَبَائِبِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ إِلَى قَوْلِهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ**. والثالثة حلائل الأبناء فإذا تزوج امرأة حرمت على والده بنفس العقد وحدها دون أمهاتها وبناتها لقوله **وَ حَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ** وأمهاتها وأولادها ليس حلائله. والرابعة زوجات الآباء يحرم من دون أمهاتهن ودون نسلهن من غيره ولقوله تعالى **وَ لَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ**. -قرآن- ١-٤٠-قرآن- ٥٢-٧١-قرآن- ١٧٦-١٩٨-قرآن- ٣١١-٣٤٤

ثم قال سبحانه **كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ** كتب الله تحريم محرم وتحليل ما حلل عليكم كتابا فلا تخالفوه وتمسكوا به. فإذا ثبت من الكتاب على سبيل التفصيل تحريم اللواتي ذكرناهن فاعلم أن ست عشرة امرأة أخرى يعلم تحريمهن من القرآن جملة و من السنة تفصيلا بين رسول الله ص ذلك بقوله تعالى **وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** كما علمه الله تعالى. وهن الملائنة والمطلقة تسع تطليقات للعدة والمعقود عليها في العدة مع العلم بذلك والمدخول بها في العدة على كل حال والمنكوحه في الإحرام والمفجور بابنها والمفجور بأبيها والمفجور بأخيها والمفجور بها وهي ذات بعل والمفضأة بالدخول بها قبل بلوغها تسع سنين والتي تقذفها زوجها وهي صماء والتي تقذفها زوجها وهي خرساء وبنت العمه على ابن الخال إذا كان فجر بأمها وبنت الخالة أيضا إذا فجر بأمها والمفجور بأمها على الفاجر وكذا المفجور بابنتها. وقد خالفنا فقهاء العامة في قولنا إن من زنى بامرأة ولها بعل حرم عليها نكاحها أبدا وإن فارقتها زوجها والدليل على صحته وصحة مجموع ما ذكرناه -قرآن- ١٧-٣٨-قرآن- ٣٠٣-٣٦٨ [صفحة ٩٣] من أخوات هذه المسألة إجماع الطائفة فإنه مفض إلى العلم. وإنما قلنا إن إجماعهم حجة لأن في إجماع الإمامية قول الإمام الذي دلت العقول على أن كل زمان لا يخلو من رئيس معصوم لا يجوز عليه الخطأ في قول ولا فعل فمن هذا الوجه كان إجماعهم حجة ودلالة قاطعة وهذه الطريقة واضحة مشروحة في غير موضع من كتبنا. فإن استدلت المخالف بظواهر آيات القرآن مثل قوله تعالى **فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ** وقوله تعالى **وَ أَجَلٌ لَكُمْ** ما وراء ذلكم بعد ذكر المحرمات. قلنا هذه الظواهر يجوز أن يرجع عنها بالأدلة كما رجعتم أنتم عنها في تحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها مع جواز ذلك عندنا على بعض الوجوه على ما ذكره. على أن النساء اللاتي يعلم تحريمهن بالسنة إنما حرمت كل واحد منهن على رجل بعينه بسبب من قبله وأمر من أموره وإلا كانت هي قبل ذلك على أصل الإباحة ولو لاحصول ما حصل لما حرمت البتة فسقط سؤالهم. فأما إذا زنى رجل بامرأة حرمت على ابنه والدليل عليه قوله تعالى **وَ لَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ** ولفظ النكاح يقع على الوطى والعقد معا على ما ذكرناه فكأنه قال لا تعقدوا على من عقد عليه آباؤكم ولا تطئوا من وطئوهن. والدليل على جواز نكاح العمه والخالة وعنده بنت الأخ وبنت الأخت إجماع الطائفة وكذا نكاح المرأة وعنده عمتها وخالتها إذا رضيتا فإنه يدل عليه عموم قوله تعالى **وَ أَجَلٌ لَكُمْ** ما وراء ذلكم لأنه عام في جميعهن ومن ادعى نسخه فعلية للدلالة وخبر الواحد لا ينسخ به القرآن -قرآن-

باب ضروب النكاح

قال الله تعالى وَ أَجَلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ وَقَالَ تَعَالَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَ ثُلَاثَ وَ رُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ. أما الآية الأولى فقد قيل في معناه أربعة أقوال أحدها أحل لكم مادون الخمس أن تبتغوا بأموالكم على وجه النكاح. الثاني أحل لكم ما وراء ذوات المحارم من أقاربكم ونحوها من المحرمات بالسبب. الثالث ما وراء ذلك مما ملكت أيمانكم. الرابع ما وراء ذوات المحارم إلى الأربع أن تبتغوا بأموالكم نكاحاً أو ملكك يمين. وهذا الوجه أولى لأنه حمل الآية على عمومها في جميع ما ذكره الله في كتابه أو على لسان نبيه. ثم اعلم أن أحكام النكاح تشتمل على ذكر أقسامه وشروطه وما يلزم بالعقد وما يلزم بالفرقة. فأقسامه على ثلاثة أقسام نكاح دوام وهو غير مؤجل ونكاح متعة وهو مؤجل ونكاح بملك اليمين. و أما شرائط الأنكحة الواجبة فالإيجاب والقبول والمهر أو الأجر أو الثمن أو ما يقوم مقامها وكون المتعاقدين متكافئين في الدين في نكاح الدوام -قرآن- ١٩-٥٠-قرآن-٦٥-١٩٤ [صفحة ٩٥] و أن تكون الزوجة والأمة من غير ذوات المحارم ونحو ذلك مما لا يصح مع عدمه من الشروط. و ما يلزم بالعقد فهي المهر والقسمه والنفقات ولحوق الأولاد و ما يلزم بالفرقة نذكره. و ماروى من تحليل الرجل جاريته لمؤمن لا يخرج عن تلك الأقسام الثلاثة التي هي من ضروب النكاح. و جارية الغير إذا تزوجت بإذن سيدها فنكاحها صحيح قال الله تعالى وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَمَمْدَحٌ مِنْ حِفْظِ فِرْجِهِ إِلَّا عَنِ زَوْجَتِهِ أَوْ مَلَكَتِ الْيَمِينَ. والنكاح يستحب لقوله تعالى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ فعلق النكاح باستطابتها و ما هذه صورته فهو غير واجب خلافاً لداود. و الناس ضربان ضرب مشته للجماع وقادر على النكاح وضرب لا يشتهي فالمشتهي يستحب له أن يتزوج و ألدى لا يشتهي فالمستحب أن لا يتزوج لقوله تعالى وَ سَيِّدًا وَ حَصُورًا فممدحه على كونه حصورا و هو ألدى لا يشتهي النساء لأنه لا يجعل سبب ذلك و لا يجيء شهوته بل يميته بكثرة الصوم و قال قوم ألدى يمكنه أن يأتي النساء ولكن لا يفعل - قرآن- ٣٤٣-٤٢٨-قرآن-٥٠٧-٥٣٠-قرآن-٧٥٠-٧٧١

باب ذكر النكاح الدائم

إشارة

قال الله تعالى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ فندب تعالى عباده إلى -قرآن- ١٩-٥٦ [صفحة ٩٦] التزويج وأجمع المسلمون على أن التزويج مندوب إليه لجميع الأمة و إن اختلفوا في وجوبه لمحمدص. و أما قوله وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَ ثُلَاثَ وَ رُبَاعًا فختلف المفسرون في سبب نزوله على ستة أقوال أحدها -قرآن- ١١٣-٢١٩ ماروى عن عائشة أنها نزلت في حق اليتيمه التي تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد أن ينكحها بدون صداق مثلها فنها أن ينكحهن إلا أن يقسطوا لها صداق مهر مثلها وأمروا أن ينكحوا ما طاب مما سواهن من النساء إلى أربع فإن خفتن أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً مِنْ سِوَاهُنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ -روایت- ١-٢-روایت- ١٩-٣٠٩. ومثل هذا ذكر في تفسير أصحابنا وقالوا إنها متصله بقوله وَ يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَ مَا يَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّوَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ الآية و به قال الحسن

والمبرد. الثاني -قرآن- ٥٧-٢٤٤-قرآن- ٢٤٥-٣٢٥ قال ابن عباس إن الرجل منهم كان يتزوج الأربع والخمس والست والعشر و يقول ما يمنعني أن أتزوج كما تزوج فلان فيأذني ماله مال على مال اليتيمه فأنفقه فنهاهم الله تعالى أن يتجاوزوا الأربع لثلاث يحتاجوا إلى أخذ مال اليتيمه و إن خافوا ذلك مع الأربع أيضا أن يقتصروا على واحدة -روایت- ١-٢-روایت- ١٨-٢٩٢. الثالث قال جماعة كانوا يشددون في أموال اليتامى ولا يشددون في أموال النساء ينكح أحدهم النسوة ولا يعدل بينهن فقال تعالى كما تخافون أن لاتعدلوا في اليتامى فخافوا في النساء فانكحوا واحدة إلى الأربع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة. [صفحة ٩٧] الرابع قال مجاهد إن خفتم ألا تُقسِطُوا في اليتاميمعناه إن تخرجتم من ولاية اليتامى وأكل أموالهم إيماناً وتصديقا فكذاك تخرجوا من الزنا و انكحوا النكاح المباح من واحدة إلى أربع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة. الخامس قال الحسن إن خفتم ألا تُقسِطُوا في اليتيمه المرباة في حجركم فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مما أحل لكم من يتامى قراباتكم مثنى و ثلاثا لآيه و به قال الجبائي و قال الخطاب متوجه إلى ولي اليتيمه إذا أراد أن يتزوجها فإنه إذا كان هو وليها كان له أن يزوجه قبل البلوغ و له أن يزوجه. السادس قال الفراء المعنى إن كنتم تتخرجون من مؤاكلة اليتامى فتخرجوا من جمعكم بين اليتائم ثم لاتعدلون بينهن . - قرآن- ١٨-٥٦-قرآن- ٢٣٧-٢٦٢-قرآن- ٢٩٢-٣٢٩-قرآن- ٣٦٣-٣٧٧

فصل

أما قوله تعالى فأنكحوا ما طاب لكم فهو جواب لقوله و إن خفتم ألا تُقسِطُوا على ما روى عن عائشه و أبي جعفر ع . و من قال إن تقديره إن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فكذاك تخافوا في النساء الجواب قوله فأنكحوا والتقدير فإن خفتم ألا تقسطوا فخافوا في أموال اليتامى فتعدلوا فيها فكذاك فخافوا ألا تقسطوا في حقوق النساء فلا تتزوجوا منهن إلا من تأمنون معه الجور مثنى و ثلاث و رباع فإن خفتم أيضا من ذلك فواحدة فإن خفتم من الواحدة فمما ملكت أيما نكم فنزل ذكر فلذلك فخافوا ألا تقسطوا في حقوق النساء لدلالة الكلام عليه و هو قوله فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة. ومعنى ألا تُقسِطُوا أى ألا تعدلوا و لاتقسطوا و الإقساط العدل و اليتامى -قرآن- ١٨-٤١-قرآن- ٥٨-٨٦-قرآن- ٢١٦-٢٢٥-قرآن- ٥٥٢-٥٩٠-قرآن- ٥٩٩-٦١٣ [صفحة ٩٨] جمع لذكران الأيتام و إناثهم في هذا المعنى . و قال الحسين بن على المغربي معنى ما طاب أى ما بلغ من النساء كما يقال طابت الثمرة أى بلغت والمراد المنع من تزويج اليتيمه قبل البلوغ لثلاث يجرى عليها الظلم فإن البالغة تختار لنفسها. وقيل معنى ما طاب لكم ما حل لكم من النساء و من أحل لكم منهن دون من حرم عليكم و إنما قال ما طاب لأن ما صدرية و قيل إن ماها هنا للجنس كقولك ما عندك فالجواب رجل وامرأة وقيل لما كان المكان مكان إبهام جاءت ما لما فيها من الإبهام و لم يقل من طاب و إن كان من العقلاء ونحوهم من العلماء و مالغير العقلاء لأن المعنى انكحوا الطيب أى الحلال لأنه ليس كل النساء حلالا لأن الله حرم كثيرا منهن بقوله حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ كَمَا لآيَهُ هَذَا قَوْلُ الْفَرَاءِ و قال مجاهد فانكحوا النساء نكاحا طيبا و قال المبرد ماها هنا للجنس وكذا قوله أو ما ملكت أيما نكممعناه أى ملك أيما نكم . ومعنى فأنكحوا ما طاب لكم أى فلينكح كل واحد منكم مثنى و ثلاث و رباع لما قال و العذيرين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلده معناه فاجلدوا كل واحد منهم ثمانين جلده. و قوله تعالى مثنى و ثلاث و رباععدل من ما طاب و موضعه النصب و تقديره اثنتين اثنتين و ثلاثا ثلاثا و أربعا أربعا و الواو على هذا بمعنى أو و قد تقع هذه الألفاظ على الذكر والأنثى فوقوعها على الأنثى مثل الآية التى نحن فى تفسيرها و وقوعها على الذكر قوله أولي أجنحة مثنى و ثلاث و رباعلأن المراد به الجناح و هو مذكر. -قرآن- ٨٦-٩٢-قرآن- ٢٥٣-٢٦٥-قرآن- ٣٣٩-٣٤٥-قرآن- ٦٦٠-٦٨٧-قرآن- ٧٨٥-٨٠٩-قرآن- ٨٤١-٨٦٤-قرآن- ٩١٩-١٠١٩-قرآن- ١٠٧٧-١١٠١-قرآن- ١١١٠-١١١٦-قرآن-

١٣٢٥-١٣٦٧] صفحہ ٩٩] و قوله مثنى وَ ثَلَاثٌ وَ رُبَاعَمَعْنَاهُ اثْنَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ وَ ثَلَاثًا ثَلَاثًا وَأَرْبَعًا أَرْبَعًا فَلَا يُقَالُ إِنْ هَذَا يُؤَدَى إِلَى جَوَازِ نِكَاحٍ تَسَعٌ كَمَا تَوَهَّمَهُ بَعْضُ الزَّيْدِيَّةِ فَإِنَّ اثْنَيْنِ وَ ثَلَاثًا وَأَرْبَعًا تَسَعٌ لِمَا ذَكَرْنَا فِيهِ مِنْ قَوْلِ دَخَلَ الْقَوْمُ الْبَلَدَ مَثْنَى وَ ثَلَاثًا وَ رُبَاعًا لَا يَقْتَضِي الْأَعْدَادُ فِي الدَّخُولِ وَلَكِنْ لِهَذَا الْعَدَدُ لَفْظًا مَوْضُوعًا وَ هُوَ تَسَعٌ فَالْعَدُولُ عَنْهُ إِلَى مَثْنَى وَ ثَلَاثًا وَ رُبَاعًا نَوْعٌ مِنَ الْعَمَلِ جَلَّ كَلَامُهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ . -قرآن- ٩-٣٣ و قال الصادق ع لا يحل لماء الرجل أن يجرى في أكثر من أربعة أرحام من الحرائر -روایت- ١-٢-روایت- ٢٠-٨٤ ولعمومه بقوله إن الاقتصار في نكاح المتعة على أربعة أولى وإن ورد أنهم بمنزلة الإماء وفي الإماء يجوز الجمع بين أكثر من أربع في ملك اليمين .

فصل

و قوله فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ أَى فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فِي مَا زَادَ عَلَى الْوَاحِدَةِ فَانكحوا واحدة. وقرأ أبو جعفر المدني بالرفع وتقديره فواحدة كافية كما قال تعالى فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتَانِ . و من استدل من الزيدية بهذه الآية على أن نكاح التسع جائز فقد أخطأ لأن المعنى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى إن أمتم الجور و أمثال ذلك إن لم تخافوا ذلك و أمارباع إن أمتم ذلك فيهن بدلالة قوله تعالى فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتَانِ . و من استدل من الزيدية بهذه الآية على أن نكاح التسع جائز فقد أخطأ لأن المعنى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى إن أمتم الجور و أمثال ذلك إن لم تخافوا ذلك و أمارباع إن أمتم ذلك فيهن بدلالة قوله تعالى فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً لِأَنَّ مَعْنَاهُ فَإِنْ خِفْتُمْ فِي الثَّانِيَةِ فَانكحوا واحدة ثم قال فَإِنْ خِفْتُمْ فِي الْوَاحِدَةِ أَيْضًا فَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ عَلَى أَنْ مَثْنَى لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِاثْنَيْنِ اثْنَيْنِ عَلَى التَّفْرِيقِ فِي قَوْلِ الزَّجَاجِ فَتَقْدِيرُ الْآيَةِ فَانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى و ثلاث بدلا من مثنى و رباع من ثلاث فلا حاجة إلى أن يقال الواو بمعنى أو و لو قال أولظن أنه ليس لصاحب مثنى ثلاث و لاصحاب الثلاث رباع . و قال الفارسي إن مثنى و ثلاث و رباع حال من قوله ما طاب لكم مِنَ النِّسَاءِ فَهُوَ كَقَوْلِكَ جِئْتُكَ رَاكِبًا وَمَاشِيًا وَرَاكِبًا وَمُنْحَدِرًا تَرِيدُ أَنْتَ جِئْتَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ وَلَسْتَ تَرِيدُ أَنْتَ جِئْتَهُ وَ هَذِهِ الْأَحْوَالُ لَكَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ . و من استدل بقوله تعالى فَانكحوا على وجوب التزويج من حيث إن الأمر شرعا يقتضى الوجوب فقد أخطأ لأن ظاهر الأمر و إن اقتضى الإيجاب في الشرع فقد ينصرف عنه بدليل و قد قام الدليل على أن التزويج ليس بواجب على أن الغرض بهذه الآية النهى عن العقد على من يخاف أن لا يعدل بينهما . -قرآن- ١-٣٤-قرآن- ٤٥٣-٤٧٩-قرآن- ٦٥٠-٦٥٩

فصل

ثم قال تعالى ذَلِكُمْ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا فَأشار بهذا إلى العقد على الواحدة مع الخوف من الجور فيما زاد عليها والاقتصار على ما ملكت أيمانكم أى هو أقرب إلى أن لا تجوروا و لا تميلوا يقال منه عال يعول إذ مال و جار . و مقاله قوم من أن معناه أن لا يفتروا فهو خطأ وكذا قول من زعم أن معناه أن لا يكثر عيالكم لأنه يقال عال يعيل إذا احتاج و عال يعيل إذا كثر عياله . على أنه لو كان المراد القول الثالث لما أباح الواحدة و ماشاء من ملك -قرآن- ١٧-٤٣] صفحہ ١٠١] اليمين لأنه أريد في العيال من أربع حرائر والصحيح أن عال الرجل عياله يعولهم أى مانهم و منه قوله ع ابدأ بمن تعول -روایت- ١-٢-روایت- ١٢-٢٨

قال الله تعالى وَآتُوا النِّسَاءَ صِدْقَاتِهِنَّ نِحْلَةً أَى أعطوهن مهورهن ديانةً وهبةً من الله لهن ونحلته نصب على المصدر. -قرآن- ١٩-٥٦ عن ابن عباس المخاطب به الأزواج أمرهم بإعطاء المهر كاملاً إذا دخل بها لمن سمي لها فأما غير المدخول بها فإنها إذا طلقت فإن لها نصف المسمى إذا طلقتها وإن لم يكن سمي لها المهر فلها المتعة فإن لم يطلقها ولم يسم لها مهراً فلها مهر المثل ما لم يتجاوز خمسمائة درهم -رواية- ١-٢-رواية- ١٧-٢٧١. وقال أبو صالح هذا خطاب للأولياء لأن الرجل منهم كان إذا زوج ابنته أخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك وأنزل هذه الآية. وذكر المعتمر بن سليمان أن أناساً كان أحدهم يعطى هذا الرجل منهم أخته ويأخذ أخت الرجل ولا يكون بينهما المهر فيشير بهذا إلى نكاح الشغار فنهى الله عن ذلك. والظاهر يدل على الأول. ثم خاطب الله الأزواج بقوله تعالى فَإِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِينًا مَرِيئًا لأن أناساً كانوا يتأثمون أن يرجع أحدهم فى شىء مما ساق إلى امرأته فأنزل الله هذه الآية عن ابن عباس. وقال أبو صالح المعنى به الأولياء والمعنى إن طابت لكم أنفسهن بشىء -قرآن- ٣٥٦-٤٢٣ [صفحة ١٠٢] من المهر ومن لتبيين الجنس فلو وهبت له المهر نحلته لجاز وكان حلالاً بلا خلاف.

والأصل فى الصداق كتاب الله وسنة رسوله ص فالكتاب قوله تعالى وَآتُوا النِّسَاءَ صِدْقَاتِهِنَّ نِحْلَةً وقوله فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَقَالَ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ. -قرآن- ٦٨-١٠٥ -قرآن- ١١٤-١٧٦ -قرآن- ١٨٤-٢٨٣ وقال النبى ص أدوا العلائق قيل يا رسول الله ما العلائق قال ما تراضى به الأهلون -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-٩١. و عليه الإجماع ويسمى المهر صداقاً وأجره وفريضة. فإن قيل كيف سماه الله نحلته وهو عوض عن النكاح. فالجواب أنه مشتق من الانتحال الذى هو التدين يقال فلان ينتحل مذهب كذا فكان قوله تعالى نحلته معناه تديننا. وقيل إنه فى الحقيقة نحلته من الله لها لأن حظ الاستمتاع لكل واحد منهما بصاحبه كحظ الآخر. وقيل وجه ثالث وهو أن الصداق كان للأولياء فى شرع من قبلنا بدلالة قول شعيب حين زوج موسى ابنته على أن تأجرني ثمانى حجج فإن أتممت -قرآن- ١٩٧-٢٠٣ -قرآن- ٤١٤-٤٦٥. و عليه الإجماع ويسمى المهر صداقاً وأجره وفريضة. فإن قيل كيف سماه الله نحلته وهو عوض عن النكاح. فالجواب أنه مشتق من الانتحال الذى هو التدين يقال فلان ينتحل مذهب كذا فكان قوله تعالى نحلته معناه تديننا. وقيل إنه فى الحقيقة نحلته من الله لها لأن حظ الاستمتاع لكل واحد منهما بصاحبه كحظ الآخر. وقيل وجه ثالث وهو أن الصداق كان للأولياء فى شرع من قبلنا بدلالة قول شعيب حين زوج موسى ابنته على أن تأجرني ثمانى حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك فكان معنى قوله تعالى نحلته أى إن الله أعطاهن هذا فى شريعته محمد ع. فإذا ثبت هذا فالمستحب أن لا يعرى نكاح عن ذكر مهر لأنه إذا عقد مطلقاً ضارحاً الموهوبة وذلك يختص بالنبى ص فلذلك يستحب ذكره ولئلا يرى الجاهل فيظن أنه يعرى عن المهر ولأن فيه قطعاً لمواد الخصومة. ومتى ترك ذكر المهر وعقد النكاح بغير ذلك فالنكاح صحيح إجماعاً لقوله تعالى لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضةً تقديره ولم تفرضوا لهن فريضةً لأنه معطوف على قوله ما لم تمسوهن بدلالة قوله وَتَمَّوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرَهُ. وهذه المتعة واجبة للمرأة التى طلقها قبل الدخول ولم يسم

لها مهرا. ثم قال متاعاً بالمعروفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ فَإِنْ كَانَ الْمَهْرُ مَسْمُومًا وَأَعْطَاهَا الْمَهْرَ ثُمَّ طَلَّقَهَا فَالْمَتْعَةُ مُسْتَحَبَّةٌ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى
وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ. -قرآن- ١-٢١-قرآن- ٤٦-٥٢-قرآن- ٣٧٦-٤٦٦-قرآن- ٥٢١-٥٣٨-قرآن- ٥٥١-
٦١٧-قرآن- ٦٩٩-٧٤٣-قرآن- ٨٢١-٨٨٠

فصل

والصداق عندنا غير مقدر فكل ما يصح أن يكون ثمنًا لمبيع أو أجره لمكتر صح أن يكون صداقًا قليلا كان أو كثيرا وفيه خلاف .
والكثير أيضا لاحد له عندنا لقوله تعالى وَ إِنْ... آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا والقنطار ملء مسك ثور ذهبا أو سبعون
ألفا وهو إجماع لقصة عمر مع المرأة التي حجته فقال كل أحد أفقه من عمر حتى النساء أفقه من عمر. -قرآن- ١٦٢-١٦٧-
قرآن- ١٧١-٢٢٤ [صفحة ١٠٤] وكل ما له قيمة في الإسلام وتراضى عليه الزوجان ينعقد به النكاح ويصير به مهرا إلا أن السنة
المحمدية خمس مائة درهم قيمتها خمسون دينارا. وروى أصحابنا أن الإجارة مدة لا يجوز أن يكون صداقا لأنه كان يختص
بموسى ع ويجوز أن يكون المهر تعليم شيء من القرآن

باب المتعة وأحكامها

إشارة

قال الله تعالى فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً قَالَ الْحَسَنُ هُوَ النِّكَاحُ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالسَّدى هُوَ الْمَتْعَةُ إِلَى أَجْلِ
مَسْمُومٍ وَ هُوَ مَذْهَبُنَا لِأَنَّ لَفْظَ الْاسْتِمْتَاعِ إِذَا أُطْلِقَ لَا يَسْتَفَادُ بِهِ فِي الشَّرْعِ إِلَّا الْعَقْدَ الْمُؤَجَّلَ وَ إِنْ كَانَ فِي أَصْلِ الْوَضْعِ مَعْنَاهُ الْانْتِفَاعُ وَ
لَا خِلَافَ أَنَّ الشَّيْءَ إِذَا كَانَ لَهُ وَضْعٌ وَعَرَفَ شَرْعِيًّا يَجِبُ حَمْلُهُ عَلَى الْعَرَفِ دُونَ الْوَضْعِ لِأَنَّهُ صَارَ حَقِيقَةً وَالْوَضْعُ مَجَازًا وَالْحَكْمُ
لِلطَّارِئِ أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ يَقُولُونَ فَلَانَ يَقُولُ بِالْمَتْعَةِ وَفَلَانَ لَا يَقُولُ بِالْمَتْعَةِ وَ لَا يَرِيدُونَ إِلَّا الْعَقْدَ الْمَخْصُوصَ . وَ لَا يَنَافِي ذَلِكَ قَوْلُهُ
تَعَالَى وَ الْمَدِينِ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِأَنَّ نَقْلَ هَذِهِ زَوْجَةً وَ لَا يَلِيزُ أَنَّ يَلْحَقُهَا جَمِيعُ
أَحْكَامِ الزَّوْجَاتِ مِنَ الْمِيرَاثِ وَالطَّلَاقِ وَالْإِيْلَاءِ وَالظَّهَارِ وَاللِّعَانِ لِأَنَّ أَحْكَامَ الزَّوْجَاتِ تَخْتَلِفُ أَلَا تَرَى أَنَّ الْمَرْتَدَةَ تَبِينُ بِغَيْرِ طَّلَاقٍ
وَ كَذَا الْمَرْتَدَةُ عِنْدَنَا وَ الْكِتَابِيَّةُ لِاتْرَثَ وَ أَمَّا الْعِدَّةُ فَإِنَّهَا يَلْحَقُهَا عِنْدَنَا وَيَلْحَقُ بِهِ الْوَلَدُ أَيْضًا فِي هَذَا النِّكَاحِ فَلَا شَنْعَهُ بِذَلِكَ . -قرآن-
١٩-٨١-قرآن- ٥٣٠-٦١٥ [صفحة ١٠٥] وَ لَوْ لَمْ تَكُنْ زَوْجَةً لِمَا جَازَ أَنْ يَضُمَّ مَا ذَكَرَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ إِلَى مَا فِي تِلْكَ الْآيَةِ وَ إِنْ
ذَلِكَ جَائِزٌ لِأَنَّهُ لَا تَنَافِي بَيْنَهُمَا فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانَهُمْ أَوْ مَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ وَ قَدْ اسْتَقَامَ الْكَلَامُ .

فصل

وقد روى عن ابن مسعود و ابن عباس و أبي بن كعب وسعيد بن جبير أنهم قرءوا فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى و ذلك
صريح بما قلناه على أنه لو كان المراد به عقد النكاح الدائم لوجب لها جميع المهر بنفس العقد لأنه قال تعالى فآتوهنَّ
أجورهنَّ يعنى مهورهن عند أكثر المفسرين و ذلك غير واجب بلا خلاف وإنما يجب الأجر بكامله في عقد المتعة بنفس العقد.

لا يعترض هذا بقوله تعالى وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً لَأَنْ آيَهُ الصَّدَقَةُ مَطْلَقَةٌ وَ هَذِهِ مَقِيدَةٌ بِمَا قَبْلَهَا مَعَ أَنَّهُ فَصَّلَ سَبْحَانَهُ فَقَالَ وَ إِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ. وَ فِي أَصْحَابِنَا مَنْ قَالَ قَوْلُهُ أُجُورَهُنَّ يُبَدِّلُ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى أَرَادَ الْمَتْعَةَ لِأَنَّ الْمَهْرَ لَا يُسْمَى أَجْرًا بَلْ سَمَاهُ اللَّهُ تَعَالَى صَدَقَةً وَنِحْلَةً. وَ هَذَا ضَعِيفٌ لِأَنَّ اللَّهَ سَمَى الْمَهْرَ أَجْرًا فِي قَوْلِهِ فَانكِحُوهُنَّ بِأَذْنِ أَهْلِهِنَّ وَ آتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَ فِي قَوْلِهِ وَ الْمُحْصِنَاتُ مِنَ الْمَدِينِ أُوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَ مِنْ حَمَلِ ذَلِكَ كُلَّهُ عَلَى الْمَتْعَةِ كَانَ مَرْتَكِبًا لِمَا يَعْلَمُ خِلَافَهُ . -قرآن- ٢٣٧-٢٥٨-قرآن- ٣٩٦-٤٣٣-قرآن- ٥٠٤-٦٠٣-قرآن- ٦٣٣-٦٤٣-قرآن- ٧٨١-٨٣٥-قرآن- ٨٤٨-٩٣٦ [صفحة ١٠٦] وَ مِنْ حَمَلِ لَفْظِ الْاسْتِمْتَاعِ عَلَى الْإِنْتِفَاعِ فَقَدْ أَبْعَدَ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَوَجِبَ أَنْ لَا يَلْزَمَ مِنْ لَا يَنْتَفِعُ بِهَا شَيْءٌ مِنَ الْمَهْرِ فَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّهُ لَوْ طَلَّقَهَا قَبْلَ الدُّخُولِ لِلزَّمَةِ نِصْفَ الْمَهْرِ فَإِنْ خَلَا بِهَا خَلْوَةٌ تَامَةً لَزِمَهُ جَمِيعُ الْمَهْرِ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَ إِنْ لَمْ يَلْتَذِ وَ لَمْ يَنْتَفِعْ .

فصل

وَ أَمَّا الْخَبْرُ الَّذِي يَرَوْنَهُ أَنَّ النَّبِيَّ عَ نَهَى عَنِ الْمَتْعَةِ -رواية- ١-٢-رواية- ٢٧-٥٦ فهو خبر واحد لا يترك له ظاهر القرآن و مع ذلك يختلف لفظه و روايته فتارة يروون أنه نهى عنها في عام خيبر و تارة يروون أنه نهى عنها في عام الفتح و قد طعن أيضا في طريقه بما هو معروف . و أدل دليل على ضعفه قول عمر متعتان كانتا على عهد رسول الله أنا أنهى عنهما و معاقب عليهما -رواية- ١-٢-رواية- ١١-٧٥ فأخبر أن هذه المتعة كانت على عهد رسول الله ص و أنه هو الذي نهى عنها لضرب من الرأي. فإن قالوا إنما نهى لأن النبي ع كان نهى عنها قلنا لو كان كذلك لكان يقول متعتان كانتا على عهد رسول الله فنهى عنهما و أنا أنهى عنهما أيضا فكان يكون أكد في باب المنع فلما لم يقل ذلك دل على أن التحريم لم يكن صدر عن النبي ص و صح ما قلناه . و قال الحكم بن عيينة قال على ع لو لا أن عمر نهى عن المتعة مازنى إلا شقى -رواية- ١-٢-رواية- ٣٨-٨٢ . [صفحة ١٠٧] و ذكر البلخي عن وكيع عن إسماعيل بن خالد عن قيس بن أبي حازم عن ابن مسعود قال كنا مع النبي ع و نحن شباب فقلنا يا رسول الله أ لا نستخصي قال لا ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل -رواية- ١-٢-رواية- ٨٦-٢٠٢ . و قوله تعالى وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ قَالَ السُّدِّيُّ وَ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِنَا مَعْنَاهُ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ اسْتِثْنَاءِ عَقْدِ آخِرِ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْمُدَّةِ الَّتِي تَرَاضَيْتُمْ عَلَيْهَا فَتَرِيدُهَا فِي الْأَجْرِ وَ تَزِيدُكَ فِي الْمُدَّةِ. -قرآن- ١٧-٨١

فصل

فإذا ثبت أن النكاح المتعة جائز و هو النكاح المؤجل و قد سبق إلى القول بإباحة ذلك جماعة معروفة الأحوال عند المخالفين و قد أثبتوا في كتبهم منهم أمير المؤمنين ع و ابن مسعود و مجاهد و عطاء و قدروا عن جابر و سلمة بن الأكوع و أبي سعيد الخدري و المغيرة بن شعبه و ابن جبير و ابن جريح أنهم كانوا يفتنون بها و ادعأوهم الاتفاق على حظر المتعة باطل . و قد ذكرنا أن الحجة لنا بعد الإجماع من القرآن قوله تعالى فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَ لَفْظُ الْاسْتِمْتَاعِ وَ التَّمَتُّعِ وَ إِنْ كَانَ وَقَعَا - قرآن- ٤٠٥-٤٦٧ [صفحة ١٠٨] على الالتذاذ و الانتفاع في أصل اللغة فقد صار يعرف الشرع مخصوصا بهذا العقد المعين لاسيما إذا ضيف إلى النساء و لا يفهم من قول القائل متعة النساء إلا هذا العقد المخصوص كما أن لفظ الظهار اختص في عرف الشرع بهذا الحكم المخصوص و إن كانت في اللغة مشتركة فكأنه قال إذا عقدتم عليهن هذا العقد المخصوص فآتوهن أجورهن .

ولفظه استمتعتم لاتعدو وجهين إما أن يراد بها الانتفاع والالتذاذ الذى هو أصل موضوع اللغه أو العقد المؤجل المخصوص الذى اقتضاه عرف الشرع فلا يجوز أن يكون هو الوجه الأول لأمرين أحدهما أنه لاخلاف بين محصلى من تكلم فى أصول الفقه فى أن لفظ القرآن إذاورد وهو محتمل لأمرين أحدهما أصل اللغه والآخر عرف الشرع أنه يجب حمله على عرف الشرع ولهذا حملوا كلهم لفظ صلاة وزكاة وصيام وحج على العرف الشرعى دون اللغوى. والأمر الآخر أنه لاخلاف فى أن المهر لا يجب بالالتذاذ لأن رجلا لو وطئ امرأته و لم يلتذ لوطنها لأن نفسه عافتها وكرهتها أولغير ذلك من الأسباب لكان دفع جميع المهر واجبا وإن كان الالتذاذ مرتفعا فعلمنا أن الاستمتاع فى الآية إنما أريد به العقد المخصوص دون غيره . -قرآن- ٣٣٠-٣٤٠

فصل

ومما يبين ذلك ويقويه قوله تعالى وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ وَمَعْنَاهُ عَلَى مَا رَوَى عَنْ آلِ مُحَمَّدٍ أَنَّ تَزِيدَهَا أَنْتَ فِي الْأَجْرِ وَتَزِيدُكَ هِيَ فِي الْأَجْلِ . -قرآن- ٣٨-١٠٢ [صفحہ ١٠٩] و ما يقوله مخالفونا من أن المراد به رفع الجناح فى الإبراء والنقصان أو الزيادة فى المهر أو ما يستقر بتراضيهما من النفقة ليس بصحيح لأننا نعلم أن العفو والإبراء مسقط للحقوق بالعقول و من الشرع ضرورة لابهذه الآية والزيادة فى المهر كالهبة والهبة أيضا معلومة لا من هذه الآية و أن التراضى مؤثر فى النفقات و ما أشبهها فحمل الآية والاستفادة بها ما ليس بمستفاد قبلها و لا معلوم هو الأولى فالحكم الذى ذكرناه مستفاد بالآية غير معلوم قبلها فيجب أن يكون أولى .

فصل

فإن قيل كيف يصح حمل لفظه استمتعتم على النكاح المخصوص و قد أباح الله بقوله وَ أَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النِّكَاحِ الْمُؤَبَّدِ بِلَا خِلَافٍ فَمَنْ خَصَّ ذَلِكَ بِعَقْدِ الْمُتَعَةِ فَهُوَ خَارِجٌ عَنِ الْإِجْمَاعِ . قلنا قوله تعالى بعد ذكر المحرمات من النساء وَ أَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحَصَّةً نَبِيْنَ غَيْرِ مُسَافِحِينَ عَلَى الْعَقْدِ عَلَى النِّسَاءِ وَالتَّوَصَّلُ بِالْمَالِ إِلَى اسْتِبَاحَتِهِنَّ وَيَعْمُ ذَلِكَ الْعَقْدُ الْمُؤَبَّدُ وَالمُؤَجَّلُ ثُمَّ خَصَّ الْمُؤَجَّلُ بِالذِّكْرِ فَقَالَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَالْمَعْنَى فَمَنْ نَكَحْتُمُوهُنَّ مِنْهُنَّ نِكَاحَ الْمُتَعَةِ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَ لِاجْتِنَاحِ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ لِأَنَّ الزِّيَادَةَ فِي الْأَجْرِ وَالأَجْلَ لَا يَلِيْقُ إِلَّا بِالْعَقْدِ الْمُؤَجَّلِ . فإن قيل الآية مجمله لقوله تعالى مُحَصَّةً نَبِيْنَ غَيْرِ مُسَافِحِينَ وَلِظَنِّهِ الْإِحْصَانِ تَقَعُ عَلَى أَشْيَاءٍ مُخْتَلَفَةٍ مِنَ الْعَقْدِ وَالتَّرْوِيجِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ . قلنا الأولى أن تكون لفظه مُحَصَّةً نَبِيْنَ مَحْمُولَةً عَلَى الْعَقْدِ وَالتَّنْزِيهِ مِنَ الزَّوْنِ لِأَنَّهُ فِي مَقَابَلَةِ قَوْلِهِ غَيْرِ مُسَافِحِينَ وَالسَّفَاحُ الزَّوْنُ بِغَيْرِ شَبْهَةٍ وَ لَوْ حَمَلْتِ -قرآن- ٣٠-٤٠-قرآن- ٨٤-١١٥-قرآن- ٢٣٣-٣٢٠-قرآن- ٤٣٥-٤٦٤-قرآن- ٦٧٠-٦٩٧-قرآن- ٧٩٢-٨٠١-قرآن- ٨٦٠-٨٧٦] صفحہ ١١٠ [اللفظة على الأمرين من العفة والإحصان الذى يتعلق به الرجم لم يكن بعيدا. فإن قيل كيف يحمل لفظه الإحصان فى الآية على ما يقتضى الرجم وعندكم أن المتعة لا تحصى. قلنا قد ذهب أكثر أصحابنا إلى أنها تحصى وإنما لا تحصى إذا كانت المتمتع بها يغيب عنها فى أكثر الأوقات والغائب عن زوجته فى النكاح الدائم لا يكون بحكم المحصى فى الرجم . و بعد فإذا كانت لفظه مُحَصَّةً نَبِيْنَ تَلِيْقُ بِالنِّكَاحِ الدَّائِمِ الْمُؤَبَّدِ رَدَدْنَا ذَلِكَ إِلَيْهِ كَمَا أَنْزَلْنَا لَفْظَهُ اسْتِمْتَاعَ إِلَى النِّكَاحِ الْمُؤَجَّلِ لِمَا كَانَتْ تَلِيْقُ بِهِ فَكَانَهُ تَعَالَى أَحْلَى النِّكَاحِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَابْتِغَاءَهُ بِالْأَمْوَالِ ثُمَّ فَصَلَ مِنْهُ الْمُؤَبَّدَ بِذِكْرِ الْإِحْصَانِ وَالمُؤَجَّلَ بِذِكْرِ اسْتِمْتَاعِ . وَ مَوْضِعُ أَنْ تَبْتَغُوا نَصَبَ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ مَا أَوْ عَلَى حَذْفِ اللَّامِ بِأَنَّ يَكُونُ تَقْدِيرُهُ لِأَنَّ تَبْتَغُوا وَ مِنْ قَرَأَ أَوْ أَحْلَبَ الضَّمُّ جَازٍ فِي مَحَلِّ أَنْ الرَّفْعُ

والنصب ومعنى أن تَبْتُغُوا أن تطلبوا وتلتمسوا بأموالكم إما شراء بثمان أونكاحا مؤجلا- أو مؤبدا عن ابن عباس . مُحَصِّينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ أى متزوجين غير زانين وأعفؤه غير زناة و قال الزجاج المسافح والمسافحة الزانيان غير ممتنعين من أحد فإذا كانت تزنى بواحد فهي ذات خدن فحرم الله الزناء على وجه السفاح الذى ذكرناه واتخاذ الصديق الذى بيناه -قرآن- ٣٦٢-٣٧١-قرآن- ٦١٠-٦٢٢-قرآن- ٧٠٣-٧١١-قرآن- ٧٥٥-٧٦٧-قرآن- ٨٤٩-٨٧٦

باب العقد على الإمام وأحكامه

إشارة

قال الله تعالى وَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكَحَ الْمُحَصَّيْنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ -قرآن- ١٩-٨٧ قال الله تعالى وَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكَحَ الْمُحَصَّيْنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ مَعْنَاهُ وَ مَنْ لَمْ يَجِدْ مِنْكُمْ طَوْلاً وَالطَّوْلُ هُوَ الْغِنَى مَأخُذٌ مِنَ الطَّوْلِ فَشَبَّهَ الْغِنَى بِهِ لِأَنَّ بِهِ يَنَالُ مَعَالَى الْأُمُورِ وَقِيلَ الطَّوْلُ هُوَ الْهُوَى قَالَ جَابِرٌ إِذَا هَوَى الْأُمَّةَ الَّتِي لِلْغَيْرِ فَلَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا بِأَنْ كَانَ ذَا يَسَارٍ وَالْأَوَّلُ هُوَ الصَّحِيحُ وَ هُوَ الْمَرْوِيُّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ . الْمَعْنَى مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ زِيَادَةَ فِي الْمَالِ وَسَعَةً يَبْلُغُ بِهَانِكَاحِ الْحُرَّةِ فَلْيَنْكَحْ أُمَّةً أَى مَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا يَصْلُحُ لِنِكَاحِ الْحَرَائِرِ مِنَ الْمَهْرِ وَالنَّفَقَةِ فَلْيَنْكَحْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانَكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ أَى مِنْ فِتْيَانِ الْمُسْلِمِينَ لَا- مِنْ فِتْيَانِ غَيْرِكُمْ وَ هُمُ الْمُخَالَفُونَ فِي الدِّينِ كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ وَغَيْرِهِمْ فَإِنَّ مَهْوَرِ الْإِمَاءِ أَقْلٌ وَمَثُونَتُهُنَّ أَحْفَى فِي الْعَادَةِ . وَالْمُرَادُ بِهِ إِمَاءُ الْغَيْرِ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَزَوَّجَ الرَّجُلُ بِأُمَّةٍ نَفْسَهُ إِجْمَاعًا وَطَوْلاً مَفْعُولٌ بِهِ وَ عَلَى قَوْلِ جَابِرٍ مَنْ أَنَّهُ مِنَ الْهُوَى مَفْعُولٌ لَهُ . وَالْعَنْتُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى لِمَنْ خَشِيَ الْعَنْتَ مِنْكُمْ عَلَى هَذَا الْمُرَادِ بِهِ الْحُدُّ لِأَنَّهُ إِذَا هَوَاهَا خَشِيَ أَنْ يَوَاقِعَهَا فَيُحَدُّ فَيَتَزَوَّجُهَا . وَالْفِتَاءُ الشَّابُّ وَالْفِتَاءُ الْأُمَّةُ وَ إِنْ كَانَتْ عَجُوزًا لِأَنَّهَا كَالصَّغِيرَةِ فِي أَنَّهَا لَا تَتَوَقَّرُ تَوْقِيرَ الْحُرَّةِ وَالْفِتْوَةُ حَالَةُ الْحَدَاثَةِ يُقَالُ أَتَيْتُ الْفَقِيهَ لِأَنَّهُ فِي مَسْأَلَةٍ حَادِثَةٌ . -قرآن- ١-٥٧-قرآن- ٨٠٣-٨٣١

فصل

و فى الآية دلالة على أنه لا يجوز نكاح الأمة الكتابية لأنه قيد جواز العقد على الإمام بكونهن مؤمنات و قال أبو حنيفة يجوز ذلك لأن التقييد هو على [صفحة ١١٢] جهة الندب دون التحريم والأول أقوى لأنه الظاهر و ماقاله عدول عن الظاهر . ومنهم من قال إن تأويل من فتياتكم المؤمنات الكتابيات دون المشركات من عبدة الأوثان بدلالة الآية فى المائدة وهى قوله تعالى وَ الْمُحَصَّنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ هَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ لِأَنَّ الْكِتَابِيَّةَ لَا تَسْمَى مُؤْمِنَةً . وَ مِنْ أَجَازِ الْعَقْدِ عَلَى الْكِتَابِيَّةِ لَهُ أَنْ يَقُولَ آيَةُ الْمَائِدَةِ مَخْصُوصَةٌ بِالْحَرَائِرِ مِنْهُنَّ دُونَ الْإِمَاءِ . وَظَاهِرُ الْآيَةِ يَقْتَضِي أَنْ مَنْ وَجَدَ الْمَهْرَ لِلْحُرَّةِ وَنَفَقَتَهَا وَ لَا يَخَافُ الْعَنْتَ لَا يَجُوزُ لَهُ تَزْوِيجُ الْأُمَّةِ وَ إِنَّمَا يَجُوزُ الْعَقْدُ عَلَيْهَا مَعَ عَدَمِ الطَّوْلِ وَالْخَوْفِ مِنَ الْعَنْتِ وَ هُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ غَيْرَ أَنْ أَكْثَرَ أَصْحَابِنَا قَالُوا ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الْأَفْضَلِ لِأَنَّهُ لَوْ عَقِدَ عَلَيْهَا وَ هُوَ غَنَى كَانَ الْعَقْدُ بَاطِلًا وَ هُوَ قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ وَقَوُوا ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى وَ لَأُمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ . إِلَّا أَنْ مِنْ شَرَطِ صِحَّةِ الْعَقْدِ عَلَى الْأُمَّةِ عِنْدَ أَكْثَرِ الْفُقَهَاءِ أَلَّا يَكُونَ عِنْدَهُ حُرَّةٌ وَ هُوَ مَذْهَبُنَا إِلَّا أَنْ تَرْضَى الْحُرَّةُ بِأَنْ يَتَزَوَّجَ عَلَيْهَا أُمَّةً فَإِنْ أَذِنَتْ كَانَ الْعَقْدُ صَاحِحًا عِنْدَنَا وَ مَتَى عَقِدَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنِ الْحُرَّةِ كَانَ الْعَقْدُ بَاطِلًا وَ رَوَى أَصْحَابُنَا أَنَّ الْحُرَّةَ تَكُونُ بِالْخِيَارِ بَيْنَ أَنْ تَفْسَخَ عَقْدَ الْأُمَّةِ كَمَا يَكُونُ لَهَا الْخِيَارُ أَنْ تَفْسَخَ عَقْدَ نَفْسِهَا وَالْأَوَّلُ أَظْهَرَ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ الْعَقْدُ بَاطِلًا لَا يَحْتَاجُ

إلى فسخه. فأما تزويج الحره على الأمه فلا يجوز إلا بإذن الحره فإن لم تعلم الحره بذلك كان لها أن تفسخ نكاح نفسها أو نكاح الأمه و فى الناس من قال فى عقده على الحره طلاق الأمه -قرآن- ٢١٢-٢٦٩-قرآن- ٧٠٥-٧٤٥ و عن النبى ع الحرائر صلاح البيت -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-ادامه دارد [صفحه ١١٣] والإمام هلاک البيت -رواية- از قبل- ٢٤

فصل

ثم قال تعالى وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا كَلِمَةٌ عَلَى الْإِيمَانِ . وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْأُمَّةُ أَفْضَلَ مِنَ الْحَرَّةِ وَأَكْثَرُ ثَوَابًا عِنْدَ اللَّهِ وَ فِي ذَلِكَ تَسْلِيَةٌ لِمَنْ يَعْقِدُ عَلَى الْأُمَّةِ إِذَا جُوزَ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرُ ثَوَابًا عِنْدَ اللَّهِ مَعَ اشْتِرَاكِهِمْ بِأَنْهَمُ وَلِدَ آدَمَ وَ فِي ذَلِكَ صَرْفٌ عَنِ التَّعَايِيرِ فِي الْأَنْسَابِ . وَ مِنْ كَرِهٍ نِكَاحِ الْأُمَّةِ قَالَ إِنْ الْوَلَدُ مِنْهَا يَكُونُ مَمْلُوكًا وَلِذَلِكَ أَنْكَرَ وَعِنْدَنَا أَنْ هَذَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ لِأَنَّ الْوَلَدَ عِنْدَنَا يَلْحَقُ بِالْحَرِيَّةِ فِي كِلَا الطَّرْفَيْنِ إِلَّا أَنْ يَشْتَرَطَ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ أَيْ اعْقُدُوا عَلَيْهِنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَ فِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ نِكَاحُ الْأُمَّةِ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلِهَا الَّذِي هُوَ مَالِكُهَا . وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَ آتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مِمَّا عَمِلْنَ عَلَيْهِنَّ مِمَّا كَسَبْنَ لَأَنَّ مَهْرَ الْأُمَّةِ لِسَيِّدِهَا وَقِيلَ تَقْدِيرُهُ فَآتُوا مَوَالِيَهُنَّ فَحُذَفَ الْمُضَافُ وَقِيلَ إِنَّمَا قَالَ وَ آتُوهُنَّ لِأَنَّهِنَّ وَ مَا فِي أَيْدِيَهُنَّ لِمَوَالِيَهُنَّ فَيَكُونُ الْأَدَاءُ إِلَيْهِنَّ بِحُضُورِ مَوَالِيَهُنَّ أَدَاءً إِلَى الْمَوَالِي . وَقَوْلُهُ تَعَالَى بِالْمَعْرُوفِ وَ هُوَ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ الْعَقْدُ وَالتَّرَاضَى . وَقَوْلُهُ تَعَالَى مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ يَعْنِي بِالْعَقْدِ عَلَيْهِنَّ دُونَ السَّفَاحِ مَعَهُنَّ وَ لَا مُتَّخِذَاتٍ أَخْدَانِ فَالْخَدْنُ الصَّدِيقُ يَكُونُ لِلْمَرْأَةِ يَزْنِي بِهَاسِرًا وَالسَّفَاحُ مَا ظَهَرَ مِنَ الزَّوْنِ أَيْ غَيْرِ زَانِيَاتٍ جَهْرًا وَ لَاسِرًا وَ لَا يَحْرَمُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَا خَفِيَ مِنَ الزَّوْنِ وَإِنَّمَا يَحْرَمُ مَا ظَهَرَ مِنْهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَ لَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ -قرآن- ١٧-٦٥-قرآن- ٤٩٧-٥٢٧-قرآن- ٦٥٦-٦٧٨-قرآن- ٨٩٩-٩١٠-قرآن- ٩٦٠-٩٨٥-قرآن- ١٠٢٤-١٠٤٧-قرآن- ١٢٢١-١٢٤٦ ثم قال تعالى وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا كَلِمَةٌ عَلَى الْإِيمَانِ . وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْأُمَّةُ أَفْضَلَ مِنَ الْحَرَّةِ وَأَكْثَرُ ثَوَابًا عِنْدَ اللَّهِ وَ فِي ذَلِكَ تَسْلِيَةٌ لِمَنْ يَعْقِدُ عَلَى الْأُمَّةِ إِذَا جُوزَ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرُ ثَوَابًا عِنْدَ اللَّهِ مَعَ اشْتِرَاكِهِمْ بِأَنْهَمُ وَلِدَ آدَمَ وَ فِي ذَلِكَ صَرْفٌ عَنِ التَّعَايِيرِ فِي الْأَنْسَابِ . وَ مِنْ كَرِهٍ نِكَاحِ الْأُمَّةِ قَالَ إِنْ الْوَلَدُ مِنْهَا يَكُونُ مَمْلُوكًا وَلِذَلِكَ أَنْكَرَ وَعِنْدَنَا أَنْ هَذَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ لِأَنَّ الْوَلَدَ عِنْدَنَا يَلْحَقُ بِالْحَرِيَّةِ فِي كِلَا الطَّرْفَيْنِ إِلَّا أَنْ يَشْتَرَطَ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ أَيْ اعْقُدُوا عَلَيْهِنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَ فِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ نِكَاحُ الْأُمَّةِ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلِهَا الَّذِي هُوَ مَالِكُهَا . وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَ آتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مِمَّا كَسَبْنَ لَأَنَّ مَهْرَ الْأُمَّةِ لِسَيِّدِهَا وَقِيلَ تَقْدِيرُهُ فَآتُوا مَوَالِيَهُنَّ فَحُذَفَ الْمُضَافُ وَقِيلَ إِنَّمَا قَالَ وَ آتُوهُنَّ لِأَنَّهِنَّ وَ مَا فِي أَيْدِيَهُنَّ لِمَوَالِيَهُنَّ فَيَكُونُ الْأَدَاءُ إِلَيْهِنَّ بِحُضُورِ مَوَالِيَهُنَّ أَدَاءً إِلَى الْمَوَالِي . وَقَوْلُهُ تَعَالَى بِالْمَعْرُوفِ وَ هُوَ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ الْعَقْدُ وَالتَّرَاضَى . وَقَوْلُهُ تَعَالَى مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ يَعْنِي بِالْعَقْدِ عَلَيْهِنَّ دُونَ السَّفَاحِ مَعَهُنَّ وَ لَا مُتَّخِذَاتٍ أَخْدَانِ فَالْخَدْنُ الصَّدِيقُ يَكُونُ لِلْمَرْأَةِ يَزْنِي بِهَاسِرًا وَالسَّفَاحُ مَا ظَهَرَ مِنَ الزَّوْنِ أَيْ غَيْرِ زَانِيَاتٍ جَهْرًا وَ لَاسِرًا وَ لَا يَحْرَمُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَا خَفِيَ مِنَ الزَّوْنِ وَإِنَّمَا يَحْرَمُ مَا ظَهَرَ مِنْهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَ لَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ أَيْ حَرَّمَ الزَّوْنُ سِرًّا وَعِلَانِيَةً . -قرآن- ١-٢٩

فصل

قوله تعالى فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ مِنْ قُرْبَى مَا بَلَغَ مِنْهُنَّ عِتْقَ أَنْفُسِكُمْ فَأُولَئِكَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي نِكَاحِ أُولَئِكَ مَا مَسَّكُمُ الْمَسْأَلَةُ مِنْ قَبْلِهَا وَأُولَئِكَ سَوَاءٌ لَكُمْ أَمْ لَا وَإِنْ تَسَاءَلْتُمْ عَنْهُنَّ أُولَئِكَ خَفِيَّاتٌ لَكُمْ فِي سُرَّتِهِنَّ وَإِنَّمَا كَانَ لِقَآؤُهُمْ لِيُشْفِقَ عَلَيْكُمْ فِي مَا نَفَسْتُمْ مِنْ عَنَانٍ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذَكِيٍّ أَعْلَمُ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى إِذَا زَوَّجْتُمْ يَتَامَى الْيَتَامَى فَاجْلِسْ لَهُمْ فَإِنَّكُمْ أَكْثَرُ مُنْكَرٍ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى إِذَا زَوَّجْتُمْ يَتَامَى الْيَتَامَى فَاجْلِسْ لَهُمْ فَإِنَّكُمْ أَكْثَرُ مُنْكَرٍ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى إِذَا زَوَّجْتُمْ يَتَامَى الْيَتَامَى فَاجْلِسْ لَهُمْ فَإِنَّكُمْ أَكْثَرُ مُنْكَرٍ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى إِذَا زَوَّجْتُمْ يَتَامَى الْيَتَامَى فَاجْلِسْ لَهُمْ فَإِنَّكُمْ أَكْثَرُ مُنْكَرٍ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ .

عَذَابُهُمَا وَيَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ. و لارجم على الإمام لأن الرجم لا ينتصف . و قوله ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ إشارة إلى نكاح الأمة عند عدم الطول لمن خشى العنت أى الزناء والمشقة والضرر لغلبة الشهوة. وَ أَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ مَعْنَاهُ وَ صَبِرْكُمْ عَنْ نِكَاحِ الْإِمَاءِ وَ عَنِ الزَّانِئِ خَيْرٌ لَكُمْ . و يدل على أن الإحصان يعبر به عن الخيرية قوله تعالى فى أول الآية وَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ وَ لَأَشْكُ أَنْ أُرَادَ بِهَا الْحَرَائِرَ وَ الْعَفَائِفَ لِأَنَّ اللَّاتِي لِهِنَّ أَزْوَاجٌ لَا يُمْكِنُ الْعَقْدُ عَلَيْهِنَّ عَلَى أَنْ فِى النَّاسِ مَنْ قَالَ إِنْ الْمُحْصَنَاتُ هُنَا الْمُرَادُ بِهَا الْحَرَائِرُ دُونَ الْعَفَائِفِ لِأَنَّ الْعَقْدَ عَلَى الْمَرْأَةِ الْفَاجِرَةِ يَنْعَقِدُ وَ إِنْ كَانَ مَكْرُوهًا لِأَنَّ قَوْلَهُ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً - قرآن- ١٤-٢٧- قرآن- ٢١٠-٢٢٢- قرآن- ٢٤٢-٢٤٢- قرآن- ٢٦٥-٢٦٥- قرآن- ٣٤٠-٣٧٤- قرآن- ٤٦٧- ٤٩٤- قرآن- ٦١٧-٦٨٥- قرآن- ٩١٢-٩٤٦ قوله تعالى فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ مِنْ قُرْبَىٰ بِالضَّمِّ مَعْنَاهُ تَزَوُّجًا وَ مِنْ فَتْحِ الْهَمْزَةِ مَعْنَاهُ أَسْلَمْنَا وَ قَالَ الْحَسَنُ يَحْصِنُهَا الْإِسْلَامُ وَ الزَّوْجُ . وَ لِخِلَافِ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهَا نِصْفُ الْحَدِّ إِذَا زَانَتْ سِوَاهُ كَانَتْ ذَاتَ زَوْجٍ أَوْ لَمْ تَكُنْ . وَ قَوْلُهُ مِنَ الْعَذَابِ أَى مِنَ الْحَدِّ لِقَوْلِهِ وَ لِيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا وَيَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ. و لارجم على الإمام لأن الرجم لا ينتصف . و قوله ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ إشارة إلى نكاح الأمة عند عدم الطول لمن خشى العنت أى الزناء والمشقة والضرر لغلبة الشهوة. وَ أَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ مَعْنَاهُ وَ صَبِرْكُمْ عَنْ نِكَاحِ الْإِمَاءِ وَ عَنِ الزَّانِئِ خَيْرٌ لَكُمْ . و يدل على أن الإحصان يعبر به عن الخيرية قوله تعالى فى أول الآية وَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ وَ لَأَشْكُ أَنْ أُرَادَ بِهَا الْحَرَائِرَ وَ الْعَفَائِفَ لِأَنَّ اللَّاتِي لِهِنَّ أَزْوَاجٌ لَا يُمْكِنُ الْعَقْدُ عَلَيْهِنَّ عَلَى أَنْ فِى النَّاسِ مَنْ قَالَ إِنْ الْمُحْصَنَاتُ هُنَا الْمُرَادُ بِهَا الْحَرَائِرُ دُونَ الْعَفَائِفِ لِأَنَّ الْعَقْدَ عَلَى الْمَرْأَةِ الْفَاجِرَةِ يَنْعَقِدُ وَ إِنْ كَانَ مَكْرُوهًا لِأَنَّ قَوْلَهُ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً مَنْسُوخًا بِالْإِجْمَاعِ وَ يُمْكِنُ أَنْ يَخْصُ بِالْعَفَائِفِ عَلَى الْأَفْضَلِ دُونَ الْوَجُوبِ . وَ ذَكَرَ الطَّبْرِيُّ أَنَّ فِى الْآيَةِ تَقْدِيمًا وَ تَأْخِيرًا لِأَنَّ التَّقْدِيرَ وَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ أَى فَلْيَنْكِحْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَيْمَانِكُمْ وَ هُوَ مَوْلِيحٌ . - قرآن- ١-١٤

فصل

ثم قال تعالى يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَجْمَعًا وَيُطَهِّرَ الْبَاطِنَ كَمَا ظَهَرَ وَ يَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ الْمَعْرُوفِ وَ الْقَبِيلَ مِنَ الْجَبَائِثِ فِى الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ مَا ذَكَرَ فِى الْآيَتَيْنِ مِنْ تَحْرِيمِ النِّكَاحِ وَ تَحْلِيلِهِ قَدْ كَانَ عَلَى مَنْ قَبْلَنَا مِنَ الْأُمَّمِ لِقَوْلِهِ وَ يَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ الْمَعْرُوفِ مِنَ الْقَبِيلِ أَى فِى الْحَلَالِ وَ الْحَرَامِ . وَ قَالَ الرَّمَانِيُّ لَا يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى اتِّفَاقِ الشَّرِيعَةِ وَ إِنْ كُنَّا عَلَى طَرِيقَتِهِمْ فِى الْحَلَالِ وَ الْحَرَامِ كَمَا لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ وَ إِنْ كُنَّا عَلَى طَرِيقَتِهِمْ فِى الْإِسْلَامِ وَ هَذَا أَقْوَى وَ مِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ اللَّامُ فِى لِيُذْهِبَ الرِّجْسَ أَجْمَعًا وَ الْأَصْلُ أَنَّ يَبِينُ كَمَا زِيدَتْ فِى لَا أَبَا لَكَ لِتَأْكِيدِ الْإِضَافَةِ. وَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُتَوَبَّ عَلَيْكُمْ أَى يَقْبَلُ تَوْبَتَكُمْ مِنْ اسْتِحْلَالِهِمْ مَا هُوَ حَرَامٌ عَلَيْهِمْ مِنْ حَلَالِ الْأَبَاءِ وَ الْأَبْنَاءِ وَ يُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ قِيلَ هُمُ الْيَهُودُ - قرآن- ١٧-٩٠- قرآن- ٢١٢-٢٥٣- قرآن- ٤٤٩-٥١٣- قرآن- ٥٢٦-٥٣٥- قرآن- ٦٠٧-٦٤٤- قرآن- ٧٢٠-٧٦١ [صفحة ١١٦] لِأَنَّهُمْ يَحْلُونَ نِكَاحَ الْأَخْتِ مِنَ الْأَبِّ وَ قِيلَ الْمَجُوسُ أَى يَرِيدُونَ أَنْ يَعْدِلُوا عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ وَ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ فِى نِكَاحِ الْإِمَاءِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ خَلَقَ ضَعِيفًا فِى أَمْرِ النِّسَاءِ - قرآن- ٨٧-١٢٠

باب نفقات الزوجات والمرضعات وأحكامها

قال الله تعالى وَ لَا تُوْتُوا السِّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ أَي لَاتُعْطُوا النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي تَمْلِكُونَهَا فَتَسْلُطُونَهَا عَلَيْهِمْ فَيُفْسِدُوهَا وَيُضَيِّعُوهَا وَلَكِنْ ارْزُقُوهُمْ أَنْتُمْ مِنْهَا إِنْ كَانُوا مِمَّنْ يَلْزِمُكُمْ نَفَقَتَهُمْ وَكَسْوَهُمْ . وَ قَالَ تَعَالَى الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَ بِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَ فِيهِ دَلِيلَانِ عَلَى وَجُوبِ ذَلِكَ أَحَدُهُمَا قَوْلُهُ قَوَّامُونَ وَ الْقَوَامُ عَلَى الْغَيْرِ هُوَ الْمَتَكْفُلُ بِأَمْرِهِ مِنْ نَفَقَةٍ وَ كَسْوَةٍ وَ غَيْرِ ذَلِكَ وَ الثَّانِي قَوْلُهُ وَ بِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ يَعْنِي أَنْفَقُوا عَلَيْهِنَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ . وَ قَالَ تَعَالَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَ ثُلَاثَ وَ رُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا أَي فِي النِّفَقَةِ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ يَعْنِي لَاتَكْتَرُوا مِنْ تَمُونِنِهِ فَلَوْ لَا . أَنْ النِّفَقَةُ وَاجِبَةٌ وَالثَّمُونَةُ عَلَيْهِ مَا حَذَرَهُ بِكَثْرَتِهَا عَلَيْهِ . وَ قَالَ تَعَالَى قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ يَعْنِي مِنَ الْحَقُوقِ الَّتِي لهنَ عَلَى الْأَزْوَاجِ مِنَ الْكَسْوَةِ وَ النِّفَقَةِ وَ الْمَهْرِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ . -قرآن- ١٩-٥٤-قرآن- ٢٢٣-٣٢٨-قرآن- ٣٧٠-٣٧٩-قرآن- ٤٥٧-٤٨٨-قرآن- ٥٣٥-٦٢٧-قرآن- ٦٤٢-٦٧٧-قرآن- ٧٧٩-٨٢٤ [صفحة ١١٧] وَ قَالَ تَعَالَى وَ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَ كِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَ الْمَوْلُودُ لَهُ الزَّوْجُ فَقَدْ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنْ عَلَيْهِ رِزْقُهَا وَ كِسْوَتُهَا . -قرآن- ١٥-٧٦

فصل

وَ قَوْلُهُ تَعَالَى قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ قَالَ قَوْمٌ مَعْنَاهُ قَدْ عَلِمْنَا مَصْلِحَةَ مَا أَخَذْنَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَ مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ مَصْلِحَةَ لَهُمْ فِي أَدْيَانِهِمْ مِنَ الْمَهْرِ وَ الْحَصْرِ بَعْدَ مَحْضُورٍ مِنَ النِّفَقَةِ وَ الْكَسْوَةِ وَ الْقِسْمَةِ بَيْنَ الْأَزْوَاجِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحَقُوقِ وَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ أَنْ لَا يَقَعَ لَهُمُ الْمَلِكُ إِلَّا بِوَجْهِهِ مَعْلُومَةٌ وَ وَضَعْنَا أَكْثَرَ ذَلِكَ مِنْكَ وَ أَبْحَنَّا لَكَ أَمْرَهُ وَ هَبْتَ نَفْسَهَا لَكَ وَ إِنَّمَا خَصَصْنَاكَ عَلَى عِلْمٍ مِنَّا بِالْمَصْلِحَةِ فِيهِ مِنْ غَيْرِ مُحَابَاةٍ . وَ عِنْدَنَا أَنَّ النِّكَاحَ بِلَفْظِ الْهَبَةِ لَا يَصِحُّ وَ إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ عَ خَاصَّةً وَ قَالَ قَوْمٌ يَصِحُّ غَيْرُ أَنَّهُ يَلْزِمُ الْمَهْرَ إِذَا دَخَلَ بِهَا وَ إِنَّمَا جَازَ بِلَا مَهْرٍ لِلنَّبِيِّ عَ خَاصَّةً وَ الَّذِي يَبِينُ صِحَّةَ مَا قَلْنَا قَوْلُهُ تَعَالَى إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لِمَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ هَذَا الضَّرْبُ مِنَ النِّكَاحِ خَاصٌّ لَهُ عَ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . وَ مَتَى اجْتَمَعَ عِنْدَ الرَّجُلِ حُرَّةٌ وَ أَمَةٌ بِالزَّوْجِيَّةِ كَانَ لِلْحُرَّةِ يَوْمَانٌ وَ لِلْأَمَةِ يَوْمٌ وَ فِي رِوَايَةٍ لِلْحُرَّةِ لَيْلَتَانِ وَ لِلْأَمَةِ الْمَرْجُوعَةُ لَيْلَةٌ إِنْ كَانَتْ مَلِكًا يَمِينًا فَلَا قِسْمَةَ لَهَا وَ التَّسْوِيَةُ بَيْنَهُنَّ فِي النِّفَقَةِ وَ الْكَسْوَةِ أَفْضَلُ وَ لَا بَأْسَ أَنْ يَفْضَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِيهِمَا . وَ إِذَا كَانَ لَهُ زَوْجَةٌ بَيْتٌ عِنْدَهَا لَيْلَةٌ فِي كُلِّ أَرْبَعٍ لِيَالِي وَ إِنْ كَانَتْ عِنْدَهُ حَرَّتَانِ جَازَ أَنْ يَبِيْتَ عِنْدَ وَاحِدَةٍ ثَلَاثَ لِيَالِي وَ عِنْدَ الْآخَرَى لَيْلَةً . -قرآن- ١٦-٦١-قرآن- ٦١٠-٦٨٢ [صفحة ١١٨]

فصل

وَ قَوْلُهُ تَعَالَى يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا الْآيَةَ فَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ صَ أَنْ يَخِيرَ نِسَاءَهُ بَيْنَ الْمَقَامِ مَعَهُ عَلَى مَا يَكُونُ مِنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا وَ بَيْنَ مَفَارِقَتِهِ بِالطَّلَاقِ وَ تَعَجِيلِ الْمَنَافِعِ فَقَدْ رَوَى فِي سَبِيهِ أَنْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْ نِسَائِهِ طَلِبَتْ شَيْئًا مِنْهُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ لِأَنَّهُ لِمَا خِيرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَلِكِ الدُّنْيَا فَاخْتَارَ الْآخِرَةَ فَأَمَرَ اللَّهُ بِتَخْيِيرِ النِّسَاءِ فَاخْتَرْنَا اللَّهُ وَرَسُولَهُ . وَ رَوَى فِي سَبَبِ ذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ نِسَائِهِ طَلِبَتْ مِنْهُ حَلْقَةً مِنْ ذَهَبٍ فَصَاغَ لَهَا حَلْقَةً مِنْ فِضَّةٍ وَ طَلَاهَا بِالزَّرْعِفَرَانِ فَقَالَتْ لَا أُرِيدُ إِلَّا مِنْ ذَهَبٍ فَاعْتَمَ لَذَلِكَ النَّبِيُّ عَ فَتَزَلَّتْ الْآيَةُ فَصَبِرَ عَلَى الْفَاقَةِ وَ الضَّرِّ فَأَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَكْفِئَهُنَّ فِي الْحَالِ فَأَنْزَلَ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَ لَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ الْآيَةَ ثُمَّ نَسَخَتْ بَعْدَ مَدَّةٍ بِقَوْلِهِ إِنْ أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتُ أُجُورَهُنَّ يَعْنِي أُعْطِيَتْ مَهْرَهُنَّ لِأَنَّ النِّكَاحَ لَا يَنْفَكُ مِنَ الْمَهْرِ . وَ الْإِيْتَاءُ قَدْ يَكُونُ بِالْأَدَاءِ وَ قَدْ يَكُونُ بِالِاتِّزَامِ وَ أَحَلَّلْنَا لَكَ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِنَ الْإِمَاءِ أَنْ تَجْمَعَ مِنْهُنَّ

ماشئت وأحللنا لك بنات عمك أن تعقد عليهن وتعطينهن مهرهن ثم قال وَامْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ يُعْنَى وَأَحْلَلْنَا لَكَ الْمَرْأَةَ إِذَا وَهَبْتَ نَفْسَهَا لَكَ إِذَا أَرَدْتَهَا وَرَغِبْتَ فِيهَا. -قرآن- ١٦-٨٧-قرآن- ٦٣٦-٧٠٦-قرآن- ٧٣٥-٧٩٢-قرآن- ١٠١١-١٠٦٢ عن ابن عباس لا تحل لك امرأة بغير مهر وإن وهبت نفسها لإلنبي ع خاصة -روایت- ١-٢-روایت- ١٧-٧٧. [صفحة ١١٩]

فصل

وقوله تعالى وَ الْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلِينَ كَامِلِينَ هُوَ أَمْرٌ وَرَدَ فِي صُورَةِ الْخَبَرِ كَقَوْلِهِ وَ مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا. وإنما قلنا ذلك لأمرين أحدهما أن تقديره والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين في حكم الله الذي أوجبه على عباده فحذف للدلالة عليه. والثاني أنه وقع موقع ليرضعن تصرفاً في الكلام مع دفع الإشكال ولو كان خبراً لكان كذباً لوجودنا والوالدات يرضعن أكثر من حولين وأقل منهما وقال بعضهم هو على ظاهره خبر. فإن قيل إن الخبر يوجب... والإجماع أن الوالدة بالخيار. الجواب أنه في تقدير حق للوالدات أن يرضعن حولين. وقال الأصم ذلك في المطلقات لوروده عقيبه ولقوله وَ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَالزَّوْجَةُ يَلْزَمُ لَهَا النِّفْقَةُ إِذَا كَانَتْ تَطِيعَ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَ لَا التَّبَاسَ عَلَى أَنَّهَا عَامَةٌ وَ لَا يَمْتَنَعُ أَنْ يَبِينَنَّ لِلرِّضَاعِ زِيَادَةٌ حَقَّ عَلَى حَقِّ الزَّوْجِيَّةِ. وقال أبو مسلم هو أمر وحكم من الله على النساء يارضعن أولادهن وعلى أزواجهن إقامة رزقهن وكسوتهن. وقال الزجاج في قوله تعالى بِالْمَعْرُوفِ أَي بِمَا تَعْرِفُونَ أَنَّهُ عَدْلٌ عَلَى -قرآن- ١٦-٦٨-قرآن- ١٠٠-١٢٦-قرآن- ٦١٠-٦٤٣-قرآن- ٩١٣-٩٢٤ [صفحة ١٢٠] قدر الإمكان ويدل على هذا التأويل قوله تعالى لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَأنَّهُ خَبَرٌ فِي تَقْدِيرِ النَّهْيِ وَبَدَلُ أَي لَا يَكْلِفُ الزَّوْجُ مِنَ النِّفْقَةِ أَكْثَرَ مِنَ الْإِمْكَانِ عَلَى قَدْرِ حَالِهِ وَ مَا يَتَسَعُّ لَهُ لِأَنَّ الْوَسْعَ مَا يَتَسَعُّ لَهُ الرَّجُلُ وَ لَا يَتَحَرَّجُ بِهِ وَيَصِيرُ إِلَى الضِّيقِ مِنْ أَجْلِهِ. -قرآن- ٤٩-٧٩ ونظر الصادق ع إلى أم إسحاق ترضع أحد ابنيها فقال لا ترضعيه من ثدى واحد وأرضعيه من كليهما يكون أحدهما طعاماً والآخر شراباً -روایت- ١-٢-روایت- ٣-١٣١

فصل

وفي الآية بيان لأمرين أحدهما مندوب والآخر فرض. فالمندوب هو أن يجعل الرضاع تمام الحولين لأن مانقص عنه يدخل به الضرر على المرتضع. والفرض أن مدة الحولين التي تستحق المرضعة الأجر فيها ولا تستحق فيما زاد عليه وهو الذي بينه الله تعالى بقوله فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فثبتت المدة التي يستحق فيها الأجر على ما أوجبه الله تعالى في هذه الآية. وإنما قال تعالى حَوْلِينَ كَامِلِينَ وَإِنْ كَانَتْ التَّنْيَةُ تَأْتِي عَلَى اسْتِيفَاءِ السَّنَتَيْنِ لَوْ قَعِ التَّوَهُمُ مِنْ أَنَّهُ عَلَى طَرِيقَةِ التَّغْلِيْبِ كَقَوْلِهِمْ سَرْنَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَإِنْ كَانَ السَّيْرُ فِي بَعْضِهِ وَقَدْ يُقَالُ أَقْمْنَا حَوْلِينَ وَإِنْ كَانَتْ الْإِقَامَةُ فِي حَوْلٍ وَبَعْضُ مِنَ الْحَوْلِ الثَّانِي فَهُوَ لِرَفْعِ الْإِبْهَامِ الَّذِي يَعْضُ فِي الْكَلَامِ. فَإِنْ قِيلَ هَلْ يَلْزَمُ الْحَوْلِينَ فِي كُلِّ مَوْلُودٍ قِيلَ فِيهِ خِلَافٌ -قرآن- ٢٥٩-٣٠١-قرآن- ٣٩٨-٤١٥ [صفحة ١٢١] قال ابن عباس لأنه يعتبر ذلك بقوله وَ حَمْلُهُ وَ فَصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا فَإِنْ وَلَدَتِ الْمَرْأَةُ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ فَحَوْلِينَ كَامِلِينَ وَإِنْ وَلَدَتِ لِسَبْعَةِ أَشْهُرٍ فَثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ شَهْرًا وَإِنْ وَلَدَتِ لِسَعَةِ أَشْهُرٍ وَاحِدٍ وَعِشْرُونَ شَهْرًا يَطْلُبُ لِذَلِكَ التَّكْمِلَةَ لِثَلَاثِينَ شَهْرًا فِي الْحَمْلِ وَالْفَصَالِ الَّذِي يَسْقُطُ بِهِ الْفَرْضُ وَ عَلَى هَذَا يَدُلُّ أَخْبَارُنَا لِأَنَّهُمْ رَوَوْا أَنَّ مَانَقَصَ عَنْ أَحَدٍ وَعِشْرِينَ شَهْرًا فَهُوَ جُورٌ عَلَى الصَّبِيِّ. وقال الثوري هو لازم في كل ولد إذا اختلف والداه رجعا إلى الحولين من غير نقصان ولا زيادة لا يجوز لهما غير ذلك. والرضاع بعد الحولين لا حكم له في التحريم عندنا و به قال ابن عباس وأكثر العلماء. وقوله وَ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ يَجِبُ عَلَى

فصل

أما قوله تعالى لا تُضَارَّ وَالِدَةُ بَوْلِدِهَا فَهَلْ تَقْدِيرَانِ أَحَدُهُمَا لَا تَضَارُّرٌ مَا لَمْ يَسْمِ فَاعِلُهُ أَيْ لَا يَنْزِعُ الْوَلَدُ مِنْهَا وَيَسْتَرْضِعُ امْرَأَةً أُخْرَى مَعَ إِجَابَتِهَا إِلَى الرِّضَاعِ بِأَجْرَةِ الْمَثَلِ وَلَا مَوْلُودَ لَهُ وَهُوَ الْوَالِدُ أَيْ لَا تَضَارُّرٌ وَالِدَةٌ بِأَنْ لَا تَمْتَنِعَ هِيَ مِنَ الْإِرْضَاعِ بِأَجْرَةِ الْمَثَلِ . وَالثَّانِي أَنْ وَزَنَهُ تَفَاعُلٌ أَيْ لَا تَضَارُّرٌ وَالِدَةٌ بَوْلِدِهَا أَيْ لَا تَتْرَكَ الْمَطْلُوقَةُ إِرْضَاعَ وَلِدِهَا غِيضًا عَلَى أَبِيهِ فَتَضُرُّ بَوْلِدِهَا لِأَنَّ الْوَالِدَةَ أَشْفَقَ عَلَى وَلِدِهَا مِنَ الْأَجْنِيَّةِ وَهُوَ اخْتِيَارُ الزَّجَاجِ قَالَ لَا تَضُرُّ بَوْلِدِهَا فِي رِضَاعٍ وَلَا غِذَاءٍ وَلَا حِفْظٍ -قرآن- ١٨-٤٧ [صفحة ١٢٢] فَيَكُونُ ضَارٌّ بِمَعْنَى أَضَرَ وَمَعْنَى وَلَا مَوْلُودَ لَهُ بَوْلِدُهُ أَيْ لَا يَضُرُّ الْوَالِدَ عَلَى أُمِّ الْوَلَدِ مِنْ جِهَةِ النِّفْقَةِ وَتَفْقِدِهِ وَحِفْظِهِ . وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْمَضَارَّةُ مِنَ الْوَالِدِينَ بِسَبَبِ الْوَلَدِ وَنَهْيًا عَنْهُ لِأَنَّ فِي تَضَارُّرِهِمَا إِضْرَارًا بِالْوَلَدِ وَقَالَ أَبُو مُسْلِمٍ الْمَضَارَّةُ وَالْمَعَاسِرَةُ وَاحِدَةٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى وَتَعَاَسَرْتُمَا أَنْ تَعْلُو الْمَرْأَةُ فِي التَّمَاسِ النِّفْقَةِ وَمَنْعِهَا الْوَالِدَ أَوْسَطَ مَا يَكْفِيهَا كَأَنَّهُ قِيلَ لَا تَضُرُّ وَالِدَةَ الزَّوْجِ بَوْلِدِهَا وَكَذَا فَرَضَ الْوَالِدَ -قرآن- ٢٥٣-٢٩٢ وَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عِ أَيْ لَا يَتْرَكَ جَمَاعَهَا خَوْفَ الْحَمْلِ لِأَجْلِ وَلِدِهَا الْمَرْتَضِعِ وَلَا تَمْنَعُ نَفْسَهَا مِنَ الْأَبِّ خَوْفَ الْحَمْلِ فَيَضُرُّ ذَلِكَ بِالْأَبِّ -رواية- ١-٢-رواية- ٣٩-١٤٥ . وَ إِذَا قَرِئَا لَا تُضَارُّ بِالرَّفْعِ فَهُوَ فِي لَفْظِ الْخَبَرِ وَمَعْنَاهُ الْأَمْرُ وَالْمَعْنَى لَا تَضَارُّرٌ وَوَالِدَةٌ عَلَى هَذَا فَاعِلَةٌ لَا غَيْرَ وَ إِذَا قَرِئَ بِفَتْحِ الرَّاءِ فَهُوَ نَهْيٌ مَجْزُومٌ اللَّفْظِ وَالتَّقْدِيرُ لَا يَضَارُّهُ أَوْ لَا تَضَارُّرُهُ . -قرآن- ١٢-٢١

فصل

وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَ عَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ مَعْنَاهُ عَلَيْهِ كَمَا ذَكَرَ مِنْ قَبْلِ مِنَ النِّفْقَةِ وَ مِنْ تَرَكَ الْمَضَارَّةَ وَقِيلَ الْوَارِثُ الْوَلَدُ وَقِيلَ الْوَالِدَةُ وَالْأُولَى أَقْوَى . وَرَوَى فِي أَخْبَارِنَا أَنَّ عَلَى الْوَارِثِ كَاتِنًا مِنْ كَانَ النِّفْقَةُ وَهُوَ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ وَ بِهِ قَالَ جَمَاعَةٌ وَقَالَ بَعْضُ الْمَفْسُرِينَ إِنَّ عَلَى كُلِّ وَارِثٍ نَفْقَةُ الرِّضَاعِ الْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبُ يُوْخَذُ بِهِ وَ أَمَّا نَفْقَةُ مَا بَعْدَ الرِّضَاعِ فَعِنْدَنَا تَلْزِمُ الْوَالِدِينَ وَ إِنَّ عَلِيَا النِّفْقَةَ عَلَى الْوَلَدِ وَ إِنَّ نَزَلَ وَ لَا تَلْزِمُ غَيْرَهُمْ وَقَالَ قَوْمٌ تَلْزِمُ الْعَصْبَةَ دُونَ الْأُمِّ وَالْإِخْوَةَ -قرآن- ١٦-٤٤ [صفحة ١٢٣] مِنَ الْأُمِّ وَقِيلَ عَلَى الْوَارِثِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ عَلَى قَدْرِ النَّصِيبِ مِنَ الْمِيرَاثِ وَعَمُومِ الْآيَةِ يَقْتَضِيهِ غَيْرُ أَنْ يَخْصِنَاهُ بِدَلِيلٍ . وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ عَلَى الْوَارِثِ مِمَّنْ كَانَ ذَا رَحِمٍ مَحْرَمٍ دُونَ مَنْ كَانَ ذَا رَحِمٍ لَيْسَ مِنَ الْمَحْرَمِ كَابْنِ الْعَمِّ وَ ابْنِ الْأَخْتِ فَأَوْجِبُوا عَلَى ابْنِ الْأَخْتِ وَ لَمْ يَوْجِبُوا عَلَى ابْنِ الْعَمِّ وَ إِنَّ كَانَ وَارِثُهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ وَ كَذَا الْعَمِّ وَ ابْنِ الْعَمِّ وَقَالَ سَفِيَانٌ وَ عَلَى الْوَارِثِ أَيْ الْبَاقِي مِنْ أَبَوَيْهِ وَ هَذَا مِثْلُ مَا قَلْنَا .

فصل

وَقَوْلُهُ تَعَالَى فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَ تَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا الْفِصَالُ الْفِطَامُ لِانْفِصَالِ الْمَوْلُودِ عَنِ الْإِغْتِذَاءِ بِشَدَى أُمِّهِ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَقْوَاتِ وَ هَذَا الْفِصَالُ فِي الْآيَةِ الْمُرَادُ بِهِ فِصَالُ قَبْلِ الْحَوْلِينَ لِأَنَّ الْمُدَّةَ الَّتِي هِيَ تَمَامُ الْحَوْلِينَ مَعْلُومَةٌ إِذَا تَنَازَعَا رَجَعَا

إليه فأما بعد الحولين فلا يجب على واحد منهما اتباع الآخر في دعائه . و قال ابن مهر إيزد في تفسيره إذا اتفق الوالد والمرضعة على أن يريا الصواب فطام المولود قبل انقضاء الحولين واستشارا غيرهما كيلا- يقع عليهما غلط فيضرا به إن فطماه فجاز أن يفعلاه والظاهر أنه مع شرط الفصال قبل الحولين تراضى الوالدين واستشارة الغير فيه وجوز أبو مسلم أن يكون المراد بالفصال مفصاله بين الوالد والوالدة أن تراضيا بالافتراق وتسليم الولد حتى تسترضعه من يختار و هو بعيد. و قد قال تعالى وَ حَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ومعناه منعنا موسى ع من قبل رده إلى أمه وبغضناهن إليه كان ذلك كالمنع بالنهي لا أن هناك -قرآن- ١٦- ٨٨-قرآن- ٧٦١-٧٩٩ [صفحہ ١٢٤] نهيا بالفعل فلما أحضر فرعون أمه سألتها كيف ارتضع منك و لم يرتضع من غيرك فقالت لأنى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أكاد أوتى صبيا إلا ارتضع منى يدل هذا على أن لبن الأم أنفع بالولد من لبن غيرها. و عن ابن عباس أنه إذا تراضيا على انفصال فلا حرج إذا سلمت أجره الأم أو الظئر -روایت- ١-٢-روایت- ١٩-٨٤ و قال مجاهد أجره الأم بمقدار ما ارتضعت أجره المثل و قال سفيان أجره المسترضعة. وعندنا أن الأب متى وجد من ترضع الولد بأربعة دراهم وقالت الأم لا أرضعه إلا بخمسة دراهم فإن له أن ينزعه منها قال تعالى وَ إِنْ تَعَايَرْتُمْ فَسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى إِلَّا أَنْ الْأَصْلَحَ لَهُ أَنْ يَتْرَكَ مع أمه . و آتيت بالمد من الإعطاء و آتيت بالقصر من الإتيان والتقدير إذا سلمت ما آتيتم نقده فحذف المضاف ثم المضاف إليه وبالمعروف فيتعلق بآتيتم أو بسلمتكم والآية تدل على أنه تعالى أتاها إذا ضمن أن يعطيه فإذا سلم قيل سلم ما آتاها والعامل فى إذا معنى لاجناح عليكم أى إذا استرضعتكم و آتيتم الأجره أمتتم فإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم أى لأولادكم . و فى الآية دلالة على أن الولادة بستة أشهر تصح لأنه إذا ضم إلى الحولين كان ثلاثين شهرا وروى ذلك عن على ع و عن ابن عباس . -قرآن- ٢١٠- ٢٤٩-قرآن- ٤٠٦-٤١٧

فصل

وقوله تعالى وَ مَا كُنْتَ لِمَدْيِهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيَمَ فِيهِ دَلَالَةٌ -قرآن- ١٦-٨٣ [صفحہ ١٢٥] على أنهم حين ولادتها تشاحوا فى الذى تحضنها وتكفل تربيتها فقال زكريا أنا أولى لأن خالتي عندي و قال القوم نحن أولى لأنها بنت إمامنا و كان عمران إمام الجماعة فألقوا الأقلام أيهم أولى بكفالتها فألقوها بالماء تلقاء الجرية فاستقبلت عصا زكريا جرية الماء مصعدة وانحدرت أقلام الباقين فقرعهم زكريا. فإذا ثبت ذلك فاعلم أن الأم أولى بالولد من الأب مدة الرضاع فإذا خرج عن حد الرضاع كان الوالد أحق به منها إذا كان حرا و كان الولد ذكرا فإن كان أنثى فهى أحق بها إلى سبع سنين ما لم تتزوج فإذا تزوجت كان الوالد أحق بها إلا- أن تكون مملوكا. و لا تسترضع كافرة و لا زانية لقوله تعالى وَ أَلْمَدَى خَبْثٌ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا فَإِنْ كَانَ الْوَالِدُ مَاتَ كَانَتِ الْأُمُّ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْوَصِيِّ سِوَاءَ كَانَ الْوَلَدُ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى إِلَى أَنْ يَبْلُغَ . و قال تعالى وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ وَ فِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَى إِنَّهَا تَضَعُ ضَعْفًا بِحَمْلِهَا الْوَلَدَ إِلَى أَنْ تَضَعَهُ فَلَا تَزَالُ تَزِدُّهُ ضَعْفًا عَلَى حَسَبِ تَزَايُدِهِ فِي بَطْنِهَا وَ فِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَى فِي انْقِضَاءِ عَامَيْنِ بَعْدَ الْوَضْعِ وَ ظَاهِرُ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ أَحَدٍ وَعَشْرِينَ شَهْرًا فَإِنَّهَا فِي عَامَيْنِ . و قوله تعالى وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَ وَضَعَتْهُ كُرْهًا وَ حَمَلُهُ وَ فِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا أَى أَمْرَانَهُ أَنْ يَحْسَنَ إِلَى وَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا أَى كَانَتْ تَحْمِلُهُ لِمَشَقَّةٍ فِي بَطْنِهَا مَدَّةَ الْحَمْلِ وَ وَضَعَتْهُ بِمَشَقَّةٍ فِي حَالِ الْوِلَادَةِ وَ أَرْضَعَتْهُ مَدَّةَ الرِّضَاعِ . -قرآن- ٦٠١-٦٤١-قرآن- ٧٥١-٨٤٢-قرآن- ٩٣٥-٩٥٧-قرآن- ١٠٦٤-١١٨٩-قرآن- ١٢٣١-١٢٥٣ [صفحہ ١٢٦] ثم تبين أن أقل مدة الحمل وكمال مدة الرضاع ثلاثون شهرا فبذلك الآية على ما يستحقه الوالدان من حيث إنهما يكفلاونه ويربيانه

باب في ذكر ملك الأيمان

قال الله تعالى وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ. اعلم أن الإمام يستباح وطؤه بإحدى ثلاثة أشياء العقد عليهن بإذن أهلهن وبتحليل مالكن الرجل من وطئهن وإباحته له وإن لم يكن هناك عقد وبأن يملكهن فيستباح وطأهن بملك الأيمان . وإنما يملكهن بوجوه معلومة من الشرى والهبة والإرث والسبي ولا بأس أن يجمع الرجل بين أختين في الملك لكنه لا يجمع بينهما في الوطء لأن حكم الجمع بينهما في الوطء حكم الجمع بينهما في العقد فمتى ملك أختين ووطئ منهما واحدة لم يجز له وطئ الأخرى حتى تخرج تلك من ملكه بالبيع أو الهبة أو غيرهما. ويجوز أن يملك أمه وأمهها فمتى وطئ إحداها حرمت الأخرى عليه أبدا. وقوله تعالى قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ قد تكلمنا عليه من قبل وكذلك في قوله تعالى إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ. وملك اليمين في الآيات المراد به الإمام لأن الذكور من المماليك لا خلاف - قرآن- ١٩-١٠٤- قرآن- ٦٩٠-٧٦٠- قرآن- ٨٠٨-٨٨٩ [صفحة ١٢٧] في وجوب حفظ الفرج منهم لأن الله عنى بالفروج في قوله وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ففروج الرجال خاصة بدلالة قوله إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ استثنى من الحافظين لفروجهم من لا يحفظ فرجه عن زوجته أو ما ملكت يمينه من الإمام على ما أباحه الله له . و كل ما لم يجز الجمع بينهما في العقد فلا يجوز الجمع بينهما في الوطء بملك اليمين . وإنما قيل للجارية ملك يمين و لم يقل في الدار ملك يمين لأن ملك الجارية أخص من ملك الدار إذ له نقض بنية الدار و ليس له نقض بنية الجارية و له عارية الدار و ليس له عارية الجارية فلذلك خص الملك في الأمة - قرآن- ٦١-٩٨- قرآن- ١٣٠-١٧٦

باب ما يحرم النظر إليه منهن و ما يحل

إشاره

خاطب الله نبيه ع فقال يا محمد قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ عَنِ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَ مَا يَحْرَمُ النَّظَرَ إِلَيْهِ أَى قَل لِهَمْ يَغْضُوا مِنْ نَظَرِهِمْ فَلَا يَنْظُرُوا إِلَى مَا يَحْرَمُ فَوْجِبَ الْغَضُّ عَلَى الْعُمُومِ حَيْثُ حُذِفَ الْمَفْعُولُ ثُمَّ خَصَّ مِنْ وَجْهِ آخِرٍ بِإِيرَادٍ مِنْ فَمَنْ لِلتَّبَعِيضِ لِأَنَّ غَضَّ الْبَصْرِ إِنَّمَا يَجِبُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ . وَ كُلُّ مَوْضِعٍ ذَكَرَ فِي الْقُرْآنِ حِفْظَ الْفُرُوجِ فَهُوَ الزَّانَاءُ إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ السُّتْرَ حَتَّى لَا يَنْظُرَ إِلَيْهَا أَحَدٌ - قرآن- ٣٤-٧٤ قال الصادق ع لا يحل للرجل أن ينظر إلى فرج أخته و لا يحل للمرأة أن تنظر إلى فرج أخيها -روایت- ١-٢-روایت- ١٨-٩٥ . و قال قوم من المفسرين العورة من النساء ما عدا الوجه والكفين فأمرُوا [صفحة ١٢٨] بغض البصر عن عوراتهن وقيل العورة من الرجل العانة إلى مستغظ الفخذ من أعلى الركبة و هو العورة من الإمام والحره عورة من قرننها إلى قدمها قالوا ويدل على أن الوجه والكفين والقدمين كلها ليست بعورة من الحره أن لها كشف ذلك في الصلاة. وقوله تعالى وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ مِنْهُ تَعَالَى أَنْ يَحْفَظَ الرَّجُلُ فُرُوجَهُمْ عَنِ الْحَرَامِ وَأَنْ يَحْفَظُوهَا عَنْ إِبْدَائِهَا. ثُمَّ أَمَرَ الْمُؤْمِنَاتِ أَيْضًا بِغَضِّ أَبْصَارِهِنَّ عَنِ عَوْرَاتِ الرَّجَالِ وَ مَا لَا يَحِلُّ لِهِنَّ النَّظَرَ إِلَيْهِ وَأَمْرَهُنَّ أَنْ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ إِلَّا مِنْ أَزْوَاجِهِنَّ عَلَى مَا أَبَاحَهُ اللَّهُ وَيَحْفَظْنَ أَيْضًا إِظْهَارَهَا بِحَيْثُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَنَهَايَهُنَّ عَنِ إِبْدَاءِ زِينَتِهِنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا. - قرآن- ٢٥٤-٢٧٦ قال ابن عباس يعنى القرطين والقلادة والسوار والخلخال والمعصده والنحر فإنه يجوز إظهار ذلك فأما الشعر فلا يجوز أن تبديه إلا للزوجها -روایت- ١-٢-روایت- ١٨-١٣٥ . والزينة المنهى عن إبدائها زينتَانِ فَالظَاهِرَةُ الْتِيَابُ وَالْخَفِيَّةُ الْخَلْخَالَانُ وَالسُّوَارَانُ فِي قَوْلِ ابْنِ

مسعود و قال ابراهيم الظاهر الذى أبيض الثياب فقط و قال الحسن الوجه والثياب و قال قوم كل ما ليس بعورة يجوز إظهاره والأحوط قول ابن مسعود.

فصل

ثم قال تعالى وَ لِيُضْرِبَنَّ بِخُمْرِهِنَّ وَ هِيَ الْمُقَانِعُ عَلَى جُبُوبِهِنَّ. ثم كرر النهى عن إظهار الزينة تأكيداً وتغليظاً واستثنى من ذلك الأزواج وآباء النساء و إن علوا وآباء الأزواج وأبناءهم أو إخوانهنَّ أو بنى إخوانهنَّ أو بنى أخواتهنَّ أو نسائهنَّ يعنى النساء المؤمنات لا المشركات وقيل يعنى قرآن-١٧-٤١-قرآن-٥٦-٧١-قرآن-١٩٢-٢٦٨ [صفحة ١٢٩] نساء المؤمنين دون نساء المشركين سواء كن ذميات أو غيرهن فإنهن يصفن ذلك لأزواجهن إلا إذا كانت أمه. وقوله أو ما مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ يعنى الإمام فإنه لا بأس بإظهار الزينة لهؤلاء المذكورين لأنهم محارم . وقوله تعالى أوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ قال ابن عباس هو الذى يتبعك ليصيب من طعامك و لا حاجة له فى النساء و هو الأبله وقيل هو العين وقيل هو المجنون و قال مجاهد هو الطفل الذى لأرب له فى النساء وقيل هو الشيخ الهم والإربة الحاجة. وقوله تعالى أوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ يعنى الصغار الذين لم يراهقوا فإنه يجوز إبداء الزينة لهم إذا لم يطلعوا بعد على الاستلذاذ والتمتع بهن و لم يروا العورات عورات لصغرهم . و لم يقل أو أعمامهن أو إخوانهن لأن أولادهن ليسوا ذوى محرم لهن فلعلمهم إذا رآوا زينتهن بأن يظهرنها لهم يصفونها لبنينهم فيفتنوا. -قرآن-١١٣-١٣٨-قرآن-٢٢٦-٢٨٠-قرآن-٤٩٦-٥٥٢

فصل

اعلم أن قوله تعالى قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ يُدْرِكُوا عَلَى أَنَّهُ لَا يَحِلُّ لِلْأَجْنِبِيِّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أجنبية لغير حاجة و سبب فنظرة إلى ما هو عورة منها محظور و إلى ما ليس بعورة كالثياب فقط مكروه . والمراد إذا مَلَكَتْ فحلاً أو خصياً هل يجوز لها أن تخلو به أو تسافر معه قال قوم إنه يكون محرماً لها لقوله تعالى وَ لَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ إِلَى قوله أو ما مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ فهن عن إظهار زينتهن لأحد إلا من استثنى واستثنى ملك اليمين قالوا و هذا ظاهر القرآن و عندنا أنه لا يكون محرماً -قرآن-٢٣-٦٣-قرآن-٣١٢-٣٥٩-قرآن-٣٧١-٣٩٦ [صفحة ١٣٠] فإن أصحابنا رووا فى تفسير الآية أن المراد به الإمام دون الذكران من المماليك على ما تقدم . ويجوز للرجل إذا أراد أن يتزوج بامرأة أن ينظر إلى محاسنها و إذا اشترى جارية جاز له أن ينظر إليها ويمكن الاستدلال عليه بقوله تعالى وَ كَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرِيحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرٍ و روى أنه نظر إلى ساقها و كان عليه الشعر فسأه ذلك فعلم له النورة والزنيخ . -قرآن-٢٢٩-٢٩١

فصل

وقوله تعالى لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا هِىَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْخُلُوا بُيُوتًا لَا يَمْلِكُونَهَا وَ هِيَ مَلِكٌ غَيْرُهُمْ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَسْتَأْذِنُوا وَالْإِذَانُ الْمَعْنَى حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا بِالْإِذْنِ وَ قَالَ مُجَاهِدٌ حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا بِالتَّحْنُحِ وَ الْكَلَامُ الَّذِى يَقُومُ مَقَامَ الْإِسْتِذَانِ وَ قَدْ بَيَّنَّ تَعَالَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ وَ إِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا قَالَ عَطَاءٌ وَ هُوَ وَاجِبٌ فِي أُمِّهِ وَ أُخْتِهِ وَ سَائِرِ أَهْلِهِ

لثلاثا يهجم على عورتهم . و قوله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَقُولُ اللَّهُ مَرُوا عِيْدَكُمْ وَإِمَاءَكُمْ أَنْ يَسْتَأْذِنُوا عَلَيْكُمْ إِذَا أَرَادُوا الدَّخُولَ إِلَىٰ مَوَاضِعِ خُلُواتِكُمْ . قال ابن عباس الآية في النساء والرجال من العييد و قال غيره الاستئذان واجب على كل بالغ - قرآن- ١٦-٧٢- قرآن- ٣٠٨-٣٦٤- قرآن- ٤٥٠-٥٧٧ [صفحہ ١٣١] في كل حال و على الأطفال في هذه الأوقات الثلاثة بظاهر الآية ففي ذلك دلالة على أنه يجوز أن يؤمر الصبي الذي يعقل لأنه أمره بالاستئذان و قال آخرون ذلك أمر للآباء أن يأخذوا الأولاد بذلك . وفسر تعالى الأوقات فقال من قَبْلِ صِيَةِ الْفَجْرِ وَ حِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَ مِنْ بَعْدِ صِيَةِ الْعِشَاءِ لِأَنَّ الْغَالِبَ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَتَعَرَّوْا فِي خُلُواتِهِمْ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ . ثم بين أنه ليس عليكم و لاعليهم أن يدخلوا عليكم من غير إذن يعنى الذين لم يبلغوا الحلم و هو المراد بقوله طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ أى هم طوافون ثم قال وَ إِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا فَقَدْ صَارَ حُكْمُهُمْ حُكْمَ الرِّجَالِ . و قوله تعالى وَ الْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ يَعْنِي الْمَسْنَاتِ اللَّاتِي يَقْعُدْنَ عَنِ الْحَيْضِ وَ عَنِ التَّرْوِيحِ وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْقَوَاعِدَ لِأَنَّ الشَّابَةَ يَلْزِمُهَا مِنَ السُّتْرِ أَكْثَرَ مِمَّا يَلْزِمُ الْعَجُوزَ وَالْعَجُوزَ لَا يَجُوزُ لَهَا أَنْ تَبْدِيَ عَوْرَةَ لِغَيْرِ مُحْرَمٍ كَالسَّاقِ وَالشَّعْرِ وَالذَّرَاعِ - قرآن- ٢٢٣-٣٢١- قرآن- ٤٩٩-٥١٧- قرآن- ٥٤٢-٥٩٨- قرآن- ٦٤٢-٦٤٨

باب اختيار الأزواج و من يتولى العقد عليهن

إشارة

قال الله تعالى يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَ أَكْرَمُ هَذَا يدل على أن المؤمنين أكفاء في عقد النكاح كما أنهم متكافئون في الدماء فمتى خطب المؤمن إلى غيره بنته وبذل لها من الصداق السنة المحمدية و كان - قرآن- ١٩-١٥٩ [صفحہ ١٣٢] عنده يسار بقدر ما يقول بأمرها والإنفاق عليها و كان مرضيا غير مرتكب لجور فلم يزوجه كان عاصيا لله ويكره أن يتزوج متظاهرا بالفسق . واستدل المرتضى على أن الرجل إذا أراد أن يتزوج ينبغي أن يطلب ذوات الدين والأبوات والأصول الكريمة ويجتنب من لأصل له بقوله تعالى وَ ثِيَابَكَ فَطَهَّرْ فقال يجوز أن يكون للثياب هاهنا معنى آخر غير ما قالوه و هو أن الله سمي الأزواج لباسا فقال تعالى هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ وَاللِّبَاسُ وَالثِّيَابُ هُنَا بِمَعْنَىٰ وَاحِدٍ فَكَأَنَّهُ سَبَّحَانَهُ أَمْرٌ أَنْ يَسْتَطَهَّرَ النِّسَاءُ أَى يَخْتَارَهُنَّ طَاهِرَاتٍ مِنْ دَنَسِ الْكُفْرِ وَدَرَنِ الْعَيْبِ لِأَنَّهُنَّ مِطَاطُ الْاِسْتِيلَادِ وَمِطَاطُ الْأَوْلَادِ . - قرآن- ٢٧٨-٢٩٦- قرآن- ٤٠٠-٤٤٠ و عن الصادق ع زوجوا الأحق و لاتزوجوا الحمقاء فإن الأحق قد ينجب والحمقاء لاتنجب -روایت- ١-٢-روایت- ١٩-٨٩ وَ الْبَلْمُدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ الْمَذَى خَبْثٌ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكَدًا . - قرآن- ٩٤-١

فصل

و قال تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ إِلَى قَوْلِهِ وَ لَا- جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَ لَا- تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفِرِ . - قرآن- ١٥-٩٤- قرآن- ١٠٦-٢١٠ [صفحہ ١٣٣] سبب نزول هذه الآية أن المهادنة لما وقعت بين النبي ع و بين قريش بالحديبية فرت بعدها امرأه من المشركين و خرجت إلى رسول الله مسلمة فجاء زوجها و قال ردها على فتزلت فلا تَرَجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ . و ماجرى للنساء ذكر وإنما ضمن أن يرد الرجال فأمر الله أن تمتحن المهاجرة

بالشهادتين فإن كانت مؤمنة رد صداقها ولا ترد هي عليه إذ هي لا تحل له ولا هو يحل لها وهذا في القرآن للتوكيد ولا تُمسكوا بعصم الكوافر حكم آخر أي كما ليس للمؤمنة أن تكون مع الكافر فكذلك أنتم أيها المؤمنون لا تبغوا نكاح الكافرات إن لم يؤمن . ثم قال تعالى وَ سَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَ لَيْسَ لَكُمْ مَا أَنْفَقُوا أَي إن ارتدت مسلمة فلاحقت بأهل المعاهدة فلکم أن تطالبوا أهلها أو وليها من الكفار أو يردوا عليكم ما أنفقتم في صداقها ولهم أن يطالبوكم بمثل ذلك فأما رد المؤمنة على الكافر فلم يجز البتة في حكم الله تعالى . وفي هذه الآية أحكام كثيرة منها ما هو باق ومنها ما قد سقط وكثير من الناس يدعون النسخ فيما قد سقط كما تحان المهاجرة ورد الصداق على الكافر وليس في شيء من ذلك نسخ وإنما هي أحكام تبعت الهجرة والهدنة التي كانت فلما انقضت زالت تلك الأحكام وما كان كذلك لم يكن نسخا . وقال الحسن معنى قوله تعالى وَ لَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ اقطعوا عصم الكفار ولا تمسكوا بها قال كان في صدر الإسلام تكون المسلمة تحت الكافر والكافرة تحت المسلم فنسخت هذه الآية ذلك وهذا ليس بنسخ على الحقيقة لأن الله لم يأمر بالأول فيكون نهي عنه نسخا وإنما كان للأول بقاء على الحالة - قرآن - ١٧١ - ٢٠٣ - قرآن - ٣٩٥ - ٤٢٩ - قرآن - ٥٥٩ - ٦٠٨ - قرآن - ١١٣٢ - ١١٦٦ [صفحہ ١٣٤] الأولى غيرته الشريعة بحكم هذه الآية كما غيرت كثيرا من سنن الجاهلية.

فصل

أما قوله تعالى اليوم أجل لكم الطيبات وطعام المدين أو تواتر الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات ولا يدل المحصنات من المدين أو تواتر الكتاب فمعناه أحل لكم العقد على المحصنات يعني العفاف من المؤمنات والحرائر منهن ولا يدل على تحريم من ليس بعفيفة ولا أمه لأن ذلك دليل الخطاب وقد تقدم أنه لو عقد على أمه أو من ليست بعفيفة صح العقد والأولى تجنبه وآخر الآية ينطق بأن المراد الحرائر وهو قوله إذا آتيتموهن أجورهن لأن ذلك يتأتى في الحرائر ومهور الإماء يعطى أربابهن كما قدمنا . فإن قيل كيف قال اليوم أحل لكم تلك النساء أترأهن قبل ذلك اليوم كن محررات . قلنا المراد استقرار الشرع وانتهاء التحريم وإعلام الأمن من أن تحرم محصنة بعد اليوم وعندنا لا يجوز العقد على الكتابية نكاح الدوام لقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن على ما قدمناه ولقوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر . فإذا ثبت ذلك قلنا في قوله والمحصنات من اللذين أو تواتر الكتاب وأبلا أن أحدهما أن يكون المراد بذلك اللاتي أسلمن منهن والمراد بقوله والمحصنات من المؤمنات من كن في الأصل مؤمنات وولدن على الإسلام . - قرآن - ١٨ - ١٩٨ - قرآن - ٤٦٨ - ٤٩٧ - قرآن - ٧٩٤ - ٨٣٤ - قرآن - ٨٥٨ - ٨٩٢ - قرآن - ٩٢٢ - ٩٦٦ - قرآن - ١٠٤٠ - ١٠٧٠ [صفحہ ١٣٥] وقيل إن قوما كانوا يتخرجون من العقد على الكافرة إذا أسلمت فبين تعالى أنه لا حرج في ذلك ولذا أفردهن بالذكر . والثاني أن يختص ذلك بنكاح المتعة أو ملك اليمين لأن وطأهما بعقد المتعة جائز عندنا على أنه روى أبو الجارود عن الباقر أنه منسوخ بالآيتين المتقدمتين من قوله ولا تنكحوا المشركات ولا تمسكوا بعصم الكوافر - رويت - ١ - ٢ - رويت - ٤١ - ١٤٦

باب في النهي عن خطبة النساء المعتدات بالتصريح وجوازها بالتعريض

إشاره

اعلم أن المرأة إذا كانت في عده زوجها يجب عليها الامتناع من التزويج بغيره فإذا انقضت عدتها حلت للخطاب قال تعالى فإذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ أى إذا بَلَغْنَ آخر العدة بانقضائها فلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ قِيلَ إِنَّهُ خَطَابٌ لِلأُولِيَاءِ وَقِيلَ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ لِأَنَّهُ يَلْزِمُهُمْ مَنَعُهَا عَنِ التَّزْوِيجِ فِي الْعِدَّةِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ لِأَجْنَحِ عَلَيْكُمْ وَ عَلَى النِّسَاءِ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنَ النِّكَاحِ وَاسْتِعْمَالِ الزَّيْنَةِ الَّتِي لَا يَنْكُرُ مِثْلَهَا. وَ هَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ بِالمَعْرُوفِ وَقِيلَ مَعْنَى قَوْلِهِ بِالمَعْرُوفِ مَا يَكُونُ جَائِزًا وَقِيلَ مَعْنَاهُ النِّكَاحُ الْحَلَالُ عَنِ الْمَجَاهِدِ وَيُحَقِّقُ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَإِذَا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم أيها الأئمة في ما فعلن في أنفسهن من التعرض للخطاب بالمعروف أي بالوجه الذي لا ينكره الشرع والمعنى أنهم لو فعلن ما هو منكر كان على جماعة المسلمين أن يكفوهن و إن فرطوا كان عليهم الجناح عن بعض المفسرين . -قرآن- ١٢٠-١٤٤-قرآن- ١٧٨-١٩٧-قرآن- ٤١٤-٤٢٥-قرآن- ٤٤٤-٤٥٥-قرآن- ٥٣٤-٥٥٨] [صفحة ١٣٦] و لما تقدم ذكر عده النساء وجواز الرجعة فيها للأزواج عقبه بيان حال غير الأزواج فقال وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أى لا حرج ولا ضيق عليكم يا معشر الرجال فيما عرضتم به من خطبة النساء المعتدات ولا تصرحوا به وذلك بأن تذكروا ما يدل على رغبتكم فيها. وقوله تعالى فيما عرضتم به فهو كلام يوهم أنه يريد نكاحها فكأنه إحالة الكلام إلى عرض يدل على الغرض فالتعريض أن يذكر شيئاً يدل به على شيء لم يذكره كما يقول المحتاج للمحتاج إليه جئتك لأسلم عليك وأنظر إلى وجهك الكريم والكناية أن يذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له ويسمى التلويح لأنه يلوح فيه ما يريد. والمستدرك بقوله وَ لَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا مَضْمُرٌ تَقْدِيرُهُ عِلْمُ اللَّهِ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُوهُنَّ فَادْكُرُوهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا وَالسَّرُّ وَقَعُ كُنْيَاةً عَنِ النِّكَاحِ وَحَرْفُ الِاسْتِثْنَاءِ يَتَعَلَّقُ بِلا- تُؤَاعِدُوهُنَّ أى لا تؤاعدوهن مواعدة قط إلا مواعدة معروفة غير منكورة أى لا تؤاعدوهن إلا بالتعريض أو لا تؤاعدوهن إلا بأن تغفوا ولا يجوز أن يكون استثناء منقطعاً من سِرِّ الأَدَائِهِ إِلَى قَوْلِكَ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ إِلَّا التَّعْرِيزُ وَقِيلَ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ فِي السَّرِّ فَالْمُؤَاعِدَةُ فِي السَّرِّ عِبَارَةٌ عَنِ الْمُؤَاعِدَةِ بِمَا يَسْتَهْجَنُ . وَذَكَرَ الْعَزْمُ مَبَالِغَةً فِي النِّهْيِ عَنِ عَقْدِ النِّكَاحِ فِي الْعِدَّةِ لِأَنَّ الْعَزْمَ عَلَى الْفِعْلِ يَتَقَدَّمُهُ فَإِذَا نَهَى عَنْهُ كَانَ عَنِ الْفِعْلِ أَنْهَى وَمَعْنَاهُ وَلَا تَعَزَّمُوا عَقْدَ الْعِدَّةِ النِّكَاحِ مِنْ عَزْمِ الْأَمْرِ وَعَزْمٌ عَلَيْهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ مِنَ الْعَزْمِ عَلَى مَا يَجُوزُ فَاحْذَرُوهُ وَلَا تَعَزَّمُوا عَلَيْهِ . فَإِنَّ عَزْمَ إِنْسَانٍ عَلَى خُطْبَةِ امْرَأَةٍ مُعْتَدَةٍ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ وَوَاعِدَهَا بِالتَّصْرِيحِ فَقَدْ فَعَلَ مَكْرُوهًا وَ لَا يَحْرَمُ الْعَقْدُ عَلَيْهَا بَعْدَ الْعِدَّةِ فَرُخِّصَ لَهُ التَّعْرِيزُ بِذَلِكَ وَ لَا كَرَاهَةَ فِيهِ . -قرآن- ٨٩-١٠٩-قرآن- ٢٦٦-٢٨٤-قرآن- ٥٩٧-٦٢٦-قرآن- ٧٥٠-٧٦٥-قرآن- ٩١٣-٩١٧] [صفحة ١٣٧]

فصل

واختلف في معناه فقيل التعريض وهو أن يقول الرجل للمعتدة إنى أريد النكاح فإنى أريد امرأة من صفتها كذا وكذا فيذكر بعض الصفات التي هي عليها عن ابن عباس وقيل هو أن يقول إنك لنا فقه وإنك لموافقة لى وإنك لمعجبة جميلة وإن قضى الله شيئاً كان عن القاسم بن محمد وعن الشعبي وقيل هو كل ما كان من الكلام دون عقد النكاح عن ابن زيد. أو أكنتم في أنفسكم أى أسررتهم وأضمرتهم فى أنفسكم من نكاحهن بعدمضى عدتهن وقيل هو إسرار العزم دون إظهاره والتعريض إظهاره عن مجاهد وابن زيد. عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَيَتَذَكَّرُونَ نَهْبَرِغْتِكُمْ فِيهِنَّ خَوْفًا مِنْكُمْ أَنْ يَسْبِقَكُمْ إِلَيْهِنَّ غَيْرَكُمْ فَأَبَاحَ لَكُمْ ذَلِكَ وَ لَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا فِيهِ أَقْوَالٌ أَحَدُهَا أَنَّ مَعْنَاهُ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ فِي السَّرِّ لِأَنَّهَا أَجْنَبِيَّةٌ وَالْمُؤَاعِدَةُ فِي السَّرِّ تَدْعُو إِلَى مَا لَا يَحِلُّ . وَثَانِيهَا أَنَّ مَعْنَاهُ الزَّيْنَةَ عَنِ الْحَسَنِ وَ إِبْرَاهِيمَ وَقَتَادَةَ فَقَالُوا كَانَ الرَّجُلُ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ أَجْلِ الزَّيْنَةِ وَهُوَ مُعْرِضٌ بِالنِّكَاحِ فَهِيَ عَنْ ذَلِكَ . وَثَالِثُهَا أَنَّهُ الْعَهْدُ عَلَى الْاِمْتِنَاعِ مِنَ التَّزْوِيجِ غَيْرِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ ابْنِ جَبْرِ . وَرَابِعُهَا هُوَ أَنْ يَقُولَ لَهَا إِنِّي نَاكِحُكَ فَلَا تَفُوتِيْنِي بِنَفْسِكَ عَنِ مَجَاهِدٍ . وَخَامِسُهَا أَنَّ السَّرَّ هُوَ الْجَمَاعُ وَمَعْنَاهُ لَا تَنْصَفُوا أَنْفُسَكُمْ بِكَثْرَةِ الْجَمَاعِ وَ لَا تَذْكُرُوهُ عَنِ جَمَاعَةٍ . وَسَادِسُهَا أَنَّهُ

إسرار عقد النكاح في السر عن عبدالرحمن بن زيد. -قرآن- ٣٥٢-٣٧٩-قرآن- ٥٠٩-٥٤٦-قرآن- ٦١٤-٦٤٣ [صفحة ١٣٨] ويجمع هذه الأقوال ماروي عن الصادق ع لاتصروا لهن النكاح والتزويج قال و من السر أن يقول لها موعدك بيت فلان -روايت- ١-٢-روايت- ٢٤-١٠٣ إلهما أن تقولوا قولاً معروفاً يعنى التعريض الذى أباحه الله تعالى و إلا بمعنى لكن لأن ما قبله هو المنهى عنه و ما بعده هو المأذون فيه و تقديره ولكن قولوا قولاً معروفاً. و لا تعزموا عقدة النكاح أى لا تبتئوا النكاح و لاتعقدوا عقد النكاح فى العدة و لم يرد به النهى عن العزم على النكاح بعد العدة لأنه أباحه بقوله أو أكنتم حتى يبلغ الكتاب أجله أى حتى تنقضى العدة. -قرآن- ١-٣٦-قرآن- ١٨١-٢١٢-قرآن- ٣٣٦-٣٤٨-قرآن- ٣٤٩-٣٧٩

فصل

وقوله تعالى الذى بيده عقدة النكاح الأب و الجد مع وجود الأب إذا كانت البنت صغيرة لم تبلغ مبلغ النساء أو بلغت وكانت بكرًا فلكل واحد منهما أن يعقد على كل واحدة منهما و لاتكون للصغيرة إذا بلغت خيار و كذلك إن أبت التزويج البكر و أظهرت كراهية بما عقد عليها أبوها أو جدها مع وجود الأب فلا يلتفت إلى كراهيتها. فأما الثيب إذا كانت غير مولى عليها لفساد عقلها مع وجود الأب أو الجد أو البكر البالغة إذا لم يكن لها أب فلا أحد بيده عقدة النكاح لواحدة منهما على الإطلاق فإذا جعلت الثيب أمرها إلى أبيها أو جدها أو أخيها كما هو الأصل لها أو وكتلت إنسانا فى أمرها فهو من بيده عقدة النكاح . وكذا حال البالغة البكر التى لا واد لها و الثيب إذا كانت مولى عليها كان الأمر إلى وليها فى تولى العقد عليها. -قرآن- ١٦-٤٧ [صفحة ١٣٩] و لا يجوز لها العقد على نفسها وكذا البكر لا يجوز لها أن تعقد على نفسها إلا بإذن أبيها فإن عقدت كان العقد موقوفاً على رضا الأب فإن عضلها أبوها و هو أن لا يزوج بنته البكر بالأكفاء إذا خاطبها كان لها العقد على نفسها و إن لم يرض بذلك الأب . و قال المرتضى يجوز عقد المرأة التى تملك أمرها على نفسها بغير ولى قال و الدليل عليه قوله تعالى فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره فاضاف عقد النكاح إليها و الظاهر أنها تتولاها و أيضا قوله فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا فاضاف تعالى التراجع و هو عقد مستقل إليهما و الظاهر أنهما يتوليانه و أيضا قوله فإذا بلغت أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف فأباح فعلها فى نفسها من غير اشتراط الولى قال و لا يجوز أن يحمل اشتراط المعروف على تزويج الولى لها و ذلك أنه تعالى إنما رفع الجناح عنها فى فعلها بنفسها بالمعروف و عقد الولى عليها لا يكون فعلا منها فى نفسها و أيضا فقوله فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف فاضاف العقد إليهن و نهى الأولياء عن معارضتهن قال و الظاهر أنهن يتولينه فأما من ذهب إلى الأول فيمكنه أن يخص هذه الآيات كلها و يحملها على بعض ما قدمناه و يكون معه إجماع الطائفة و الأخبار التى رووها عنهم ع -قرآن- ٣٤٥-٣٩٩-قرآن- ٤٥٧-٥٠٧-قرآن- ٥٨٧-٦٧٥-قرآن- ٩٠٤-٩٨١

باب ما يستحب فعله

إشارة

يستحب أن يستخير الله تعالى من أراد عقدة النكاح فإن الله تعالى يقول [صفحة ١٤٠] وَ سَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ. و أن يتابع المراسم الشرعية فى ذلك و قد قال تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم و قدّموا لأنفسكم -قرآن- ١-٢٩-قرآن- ٨٦-١٦١

قال ابن عباس معنى قوله حَرْتُ لَكُمْ مَزْدَرَعٌ أَوْلَادَكُمْ كَأَنَّهُ قِيلَ مُحْتَرْتُ لَكُمْ وَإِنَّمَا الْحَرْثُ الزَّرْعُ فِي الْأَصْلِ -روايت- ١-٢-
 روايت- ١٨-١٠٩- وقال الزجاج أى نساؤكم ذات حرث لكم فأتوا لموضع حرثكم أنى شئتم وقيل الحرث كناية عن النكاح على
 وجه التشبيه . ومعنى أُنَى شِئْتُمْ من أين شئتم فى قول قتادة والربيع وقال مجاهد معناه كيف شئتم وقال الضحاك معناه متى شئتم
 فخطأه جميع أهل التفسير وأهل اللغة بأن قالوا أنى لا يكون إلا بمعنى من أين كما قال تعالى أَنَى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
 وقال بعضهم معناه من أى وجه واستشهد بيت الكميث -قرآن- ١٢٨-١٣٩-قرآن- ٣٣٥-٣٧٦- أنى ومن أين أبك طرب || من
 حيث لاصبوه ولا ريب . وهذا لا شاهد فيه لأنه يجوز أن يكون أتى به لاختلاف اللفظين كما يقولون متى كان هذا وأى وقت
 كان ويجوز أن يكون بمعنى كيف . وتأول مالك وقال أنى شِئْتُمْ جواز إتيان النساء فى الدبر ورواه عن نافع عن ابن عمر و
 به قال بعض أصحابنا وخالف فى ذلك جميع الفقهاء والمفسرين وقالوا هذا لا يجوز من وجوه أحدها أن الدبر ليس بحرث لأنه
 لا يكون منه الولد وهذا ليس بشيء لأنه لا يمتنع أن تسمى النساء حرثا لأنه يكون منهن الولد ثم يبيح الوطء -قرآن- ١٥٣-١٦٤ [
 صفحہ ١٤١] فيما لا يكون منه الولد وهذا ليس بدليل لأنه لا خلاف أنه يجوز الوطء بين الفخذين وإن لم يكن هناك ولد.
 وثانيها قالوا قال الله فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ وَهُوَ الْفَرْجُ وَهَذَا أَيْضًا لِدَلَالَةِ فِيهِ لِأَنَّ قَوْلَهُ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ مَعْنَاهُ مِنْ حَيْثُ
 أَبَاحَ اللَّهُ لَكُمْ أَوْ مِنَ الْجِهَةِ الَّتِي شَرَعَهَا اللَّهُ لَكُمْ عَلَى مَا حَكَمْنَا عَنْ الزَّجَاجِ وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعَانِ عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى
 أَنَّ الْآيَةَ الثَّانِيَةَ لَيْسَتْ بِنَاسِخَةٍ لِلْأُولَى . وَثَالِثُهَا قَالُوا إِنَّ مَعْنَاهُ مِنْ أَيْنَ شِئْتُمْ أَيْ اتَّوَا الْفَرْجَ مِنْ أَيْنَ شِئْتُمْ وَ لَيْسَ فِي ذَلِكَ إِبَاحَةٌ
 لِعَبْرِ الْفَرْجِ وَ هَذَا أَيْضًا ضَعِيفٌ لِأَنَّ مِنْ ذَهَبَ إِلَى كِرَاهِيَتِهِ دُونَ حَظْرِهِ لَا يَسْلَمُ أَنَّ مَعْنَاهُ اتَّوَا الْفَرْجَ بَلْ مَعْنَاهُ عِنْدَهُ اتَّوَا النَّسَاءَ وَ اتَّوَا
 الْحَرْثَ مِنْ أَيْنَ شِئْتُمْ وَيَدْخُلُ فِيهِ جَمِيعٌ ذَلِكَ . وَرَابِعُهَا قَالُوا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَى فَاغْتَرَبُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ
 فَإِذَا حَرَّمَ لِلأَذَى بِالْأَذَى بِالنَّجْوَى أَعْظَمَ مِنْهُ وَ هَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ لِأَنَّ هَذَا حَمَلَ الشَّيْءِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ عَلَى أَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ أَنَّ
 يَكُونُ الْمَرَادُ بِقَوْلِهِ قُلْ هُوَ أَدْنَى غَيْرِ النَّجَاسَةِ بَلْ الْمَرَادُ أَنَّ فِي ذَلِكَ مَفْسَدَةٌ وَ لَا يَجِبُ أَنْ يَحْمَلَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بِدَلِيلٍ مُوجِبٍ لِلْعِلْمِ
 عَلَى أَنَّ الأَذَى بِمَعْنَى النَّجَاسَةِ حَاصِلٌ فِي الْبَوْلِ وَ دَمِ الْاسْتِحَاضَةِ وَ مَعَ هَذَا فَلَيْسَ بِمَنْهَى عَنِ الْوَطْءِ فِي الْفَرْجِ . -قرآن- ١٣٤-١٧١-
 قرآن- ٢١٦-٢٤٢-قرآن- ٧٢٥-٧٧٤-قرآن- ٩٢٣-٩٣٦

فصل

ويقال إن هذه الآية نزلت ردا على اليهود فإنهم يقولون إذا أتى الرجل المرأة من خلف فى قبلها خرج الولد أحول فأكذبهم الله
 تعالى فى ذلك ذكره ابن عباس وجابر ورواه أصحابنا أيضا وقال الحسن أنكرت اليهود [صفحہ ١٤٢] إتيان المرأة قائمة وباركة
 فأنزل الله إباحته بعد أن يكون فى الفرج . ومع هذا السبب الذى روى لا يمتنع أن يكون ذلك أيضا مباحا لأن غاية ما فى السبب
 أن يطابقه الآية فأما أن لا يفيد غيره فلا يجب عند أكثر المحصلين . وقوله تعالى وَ قَدَّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ أى سمو الله فى أنفسكم
 عند الجماع وسلوه أن يرزقكم ولدا ذكرا سويا ليس فى خلقه زيادة ولا نقصان وقيل اتوا النساء فى موضع الولادة لا- فى
 أحشاشهن وقيل هذا على العموم أى قدموا الأعمال الصالحة التى أمر الله بهاعباده ورغبهم فيها لتكون ذخرا عند الله . فإذا وجه
 اتصال قوله وَ قَدَّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ قبله أنه لما قدم الأمر بعده أشياء قال قدموا لأنفسكم بالطاعة فيما أمرتم به واتقوا مجاوزة الحد
 فيما بين لكم وفى ذلك الحث على العمل بالواجب الذى عرفوه والتحذير من مخالفة ما أزموه . -قرآن- ٢٣٧-٢٦٠-قرآن-

وقد خاطب الله نبيه ع بقوله تعالى تَرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ - قرآن - ٣٨-٩٣ قال ابن عباس خيره الله بين طلاقهن وإمساكهن - روایت-١-٢-روایت-١٨-٥٢ وقال مجاهد معناه تعزل من شئت من نسائك فلا تأتيها وتأتي من شئت من نسائك . و ليس هدامسقطا للقسم بينهما لأنه إذا كان عند الرجل أربع نسوة يجب عليه أن يبيت عند كل واحدة ليلة ويسوى بينهما في القسمة ولا يلزمه إذابات عند كل واحدة أن يجامعها بل هو مخير في ذلك وعلى هذا قوله تعالى وَ لَن - قرآن - ٢٩٥-٣٠٠ وقال مجاهد معناه تعزل من شئت من نسائك فلا تأتيها وتأتي من شئت من نسائك . و ليس هدامسقطا للقسم بينهما لأنه إذا كان عند الرجل أربع نسوة يجب عليه أن يبيت عند كل واحدة ليلة ويسوى بينهما في القسمة ولا يلزمه إذابات عند كل واحدة أن يجامعها بل هو مخير في ذلك وعلى هذا قوله تعالى وَ لَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ فَإِن هَذَا فِي الْمودَّةِ وَالْمحبةِ وَقوله تعالى فَإِن خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِشَةً فِي الْقِسْمَةِ . وَقوله تعالى وَ مَن ابْتَغَيْتَ مِمَّن عَزَلْتَ قَالَ قِتَادَةٌ كَانَ نَبِي اللَّهِ ص يَقْسِمُ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ فَأَحْلَى اللَّهُ لَهُ تَرَكَ ذَلِكَ وَقِيلَ وَ مَن طَلَبَتْ إِصَابَتَهُ مِمَّن كُنْتَ عَزَلْتَ عَنْ ذَلِكَ مِنْ نِسَائِكَ . وَقوله تعالى وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ لَا يَخْرُجُ مِنَ الْآيَةِ وَ طءَ الْمُتَمَتِّعِ بِهَا لِأَنَّهَا زَوْجَةٌ عِنْدَنَا وَ إِن خَالَفَ حَكْمَهَا حَكْمَ الْمَرْجُوعَةِ عَلَى الدَّوَامِ فِي أَحْكَامٍ كَثِيرَةٍ كَمَا أَنَّ حَكْمَ الزَّوْجَاتِ عَلَى الدَّوَامِ أَيْضًا مُخْتَلَفٌ . وَ ذَكَرَهُ تَعَالَى هَذِهِ الْأَوْصَافَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ وَ مَدَحَهُ عَلَيْهَا يَكْفِي وَيَغْنَى عَنِ الْأَمْرِ بِهَا فِيهَا مِنَ التَّرْغِيبِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ مَعَ تَحْرِيمِ وَطئِهَا عَلَى وَجْهِ تَحْرِيمِ وَ طءِ الزَّوْجَةِ وَالْأُمَةِ فِي حَالِ الْحَيْضِ وَ وَطئِ زَيْدٍ جَارِيَتِهِ إِذَا كَانَ قَدْ زَوَّجَهَا مِنْ عَمْرٍ أَوْ كَانَتْ فِي عَدَّةٍ مِنْ زَوْجٍ وَ تَحْرِيمِ وَ طءِ الْمَظَاهِرَةِ غَيْرِ الْمَشْرُوطَةِ بِالوَطءِ قَبْلَ الْكُفَّارَةِ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ عَلَى مَا يَصِحُّ مِمَّا بَيْنَهُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ وَ حَذَفَ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ وَ هِيَ مِنَ الْأُمُورِ الْعَارِضَةِ فِي هَذِهِ الْوُجُوهِ . وَأَيْضًا فَإِن مِنْ وَطئِ الزَّوْجَةِ أَوْ الْأُمَةِ فِي حَالِ الْحَيْضِ وَالنَّفَاسِ فَلَا - قرآن - ١-٤٢-قرآن - ٨٥-١٢٣-قرآن - ١٥٠-١٨٠-قرآن - ٣٢٧-٣٨٦-قرآن - ٥٨٥-٦٠٨-قرآن - ٦٨٧-٧٦٠ [صفحة ١٤٤] يلزمه اللوم من حيث كانت زوجة أو ملك يمين وإنما يستحق اللوم على وجه آخر. ووراء بمعنى غير أى من طلب سوى الزوجة والأمة فهو عاد والعادون الذين يتعدون الحلال إلى الحرام . والاستمناء باليد محرم إجماعاً لقوله تعالى إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَ هَذَا وَرَاءَ ذَلِكَ وَ عَنْهُ ع مَلْعُونٌ سَبْعَةٌ وَ ذَكَرَ فِيهَا النَّاكِحُ كَفَهُ - قرآن - ٢٢٦-٣٥٢

باب الزيادات

سئل الصادق ع عن الرجل يواقع أهله أينام على ذلك قال قال الله يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ التِّي لَمْ تُمِتْ فِي مَنَامِهَا فَلَا يَدْرِي مَا يَطْرُقُهُ مِنَ الْبَلِيَّةِ إِذَا فَرَّغَ فليغتسل - روایت-١-٢-روایت-٣-١٨٨ وقال من نظر إلى امرأة فرفع بصره إلى السماء أو غمض بصره لم يرتد إليه بصره حتى يزوجه الله من الحور العين - روایت-١-٢-روایت-١٠-١١٦ وقيل له ع هل يمتع رسول الله ص قال نعم وقرأ هذه الآية وَ إِذْ أَسْرَى النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا إِلَى قَوْلِهِ تَبَيَّاتٍ وَ أَبْكَارًا - روایت-١-٢-روایت-٣-١٤٨ و كان على ع يكره أن يسلم على الشابة من النساء وقال أتخوف - روایت-١-٢-روایت-٣-ادامه دارد [صفحة ١٤٥] أن يعجبني صوتها فيدخل على من الإثم أكثر مما أطلب من الأجر - روایت-١-٢-از قبل-٦٦ وقال النبي ص من سعادة الرجل أن لا تحيض ابنته في بيته و في رواية أن تحيض ابنته في بيت زوجها - روایت-١-٢-روایت-٢٠-١٠٦ وروى صفوان بن يحيى عن أبي الحسن ع في قوله

تعالى حكاية عن ابنه شعيب يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين قال لها شعيب هذا قوي قد عرفته برفع الصخرة الأمين من أين عرفته قالت يا أبت إنني مشيت قدماه فقال امشي من خلفي فإن ضللت فأرشدني إلى الطريق فإنما قوم لانظر في أدبار النساء -رواية- 1-2-رواية- 44-338 . وأعلم أن بنت الربيب و هو ابن الزوجة لا يصح لزوج أمه أن ينكح ابنته وليس هذا حملا على الربيبة بل الدلالة عليه من الكتاب هو أن الله تعالى ذكر في جملة المحرمات وَ رَبَائِكُم اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُم اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَأَجْمَعَتِ الْأُمَمُ عَلَى أَن قَوْلَهُ وَ رَبَائِكُم إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ بَنَاتِ نِسَائِكُمْ وَ هَذَا يَقْتَضِي تَحْرِيمَ كُلِّ مَنْ يَتَنَاوَلُهُ هَذَا الْأَسْمُ مِنْ بَنَاتِهِنَّ وَ إِن سَفَلْنَ وَ بَعَدْنَ وَ قَد عَلِمْنَا أَنَّ بِنْتَ ابْنِ الزَّوْجَةِ وَ لَدَهَا فَإِن بَنَاتِ الصُّلْبِ وَ بَنَاتِ الْبَنِينَ وَ الْبَنَاتِ أَوْلَادِ فَتَقْتَضِي هَذِهِ الْجُمْلَةُ تَحْرِيمَ مَنْ يَقَعُ عَلَيْهِ اسْمُ بِنْتِ لَزَوْجَةِ الرَّجُلِ -قرآن- [172-309-قرآن-339-353] [صفحہ 146]

كتاب الطلاق

اشاره

كل آية من القرآن فيها ذكر الطلاق وهي كثيرة يعلم منها جواز الطلاق . ومعنى الطلاق حل عقدة النكاح لأن المرأة تكون في حظر من النكاح فإذا طلقت تطلقت . وللطلاق أقسام وشرائط لا بد من معرفتها لئتم الغرض ونحن نذكر جميع ذلك على سبيل الجملة أولا ثم نتبع الأدلة من الكتاب والسنة على التفصيل إن شاء الله تعالى ثم نذكر ما يلحق بالطلاق وما يؤثر في بعض أنواع الطلاق وما يكون كالسبب للطلاق ونبين جميع ذلك في أبواب بعون الله تعالى [صفحہ 147]

باب أقسام الطلاق وشرائطه

اشاره

وجوه الطلاق عشرة وهي على ضربين ثلاثة منها لا تحتاج إلى العدة وهي طلاق التي لم يدخل بها والتي دخل بها ولم تبلغ المحيض ولا في سنها من تحيض والآيسة من المحيض ولا يكون في سنها من تحيض . والسبعة الباقية لا بد من اعتبار العدة بعدها وهي الطلاق التي لم تبلغ المحيض وفي سنها من تحيض وطلاق الآيسة من المحيض وفي سنها من تحيض والمستقيمة الحيض والحامل المستتبه حملها والمستحاضة وطلاق الغائب عن زوجته وطلاق الغلام والعبد . وأما شرائطه فعلى ضربين عام في سائر أنواعه وخاص في بعضه فالعام خمسة أن يكون الرجل غير زائل العقل ويكون مريدا للطلاق غير مكره عليه ولا مجبر ويكون طلاقه بمحضر من شاهدين مسلمين ويتلفظ بلفظ مخصوص أو ما يقوم مقامه عند العجز . والخاص يراعى في المدخول بها غير غائب عنها مدة مخصوصة وهوانان أن لا تكون المرأة حائضا أو في طهر لم يقربها فيه إذا لم يكن بها حبل . ونحن نتكلم على هذه الأصول فصلا فصلا إن شاء الله تعالى

فصل في طلاق التي لم يدخل بها

قال الله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ -قرآن- ١٩-٩٦ قال الله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ. خاطب الله تعالى بهذه الآية المؤمنين بأنه إذا نكح واحد منهم مؤمنة نكاحاً صحيحاً ثم طلقها قبل أن يمسه يعني قبل أن يدخل بها فإنه لا عدة عليها منه ويجوز لها أن تتزوج بغيره في الحال وأمرهم أن يمتعوها ويسرحوها سراحاً جميلاً إلى بيت أهلها و أن يخليها تخلياً حسناً إن كانت في بيت أهلها. وهذه المتعة واجبة إن كان لم يسم لها مهراً و إن كان سمي مهراً لزمه نصف المهر و إن لم يبين لها صداقاً متعها على قدر عسره ويسره و هو السراح الجميل و هذامثل قولنا سواء. وروى أصحابنا أنه يمتعها إن كان موسراً فبدابة أو مملوك و إن كان متوسطاً فثوب و ما أشبهه و إن كان فقيراً فبخاتم و ما أشبهه . و قال سعيد بن المسيب إن هذه الآية نسخت بإيجاب نصف المهر المذكور في البقرة والصحيح الأول أنه لا نسخ و لا منسوخ في ذلك و لكل آية من هذه الآية حكم ثابت لأننا اتفقنا على أن بضع حرة لا تحل بغير مهر أو عوض و النكاح من دون ذكر المهر ينعقد و يصح فإن طلقها قبل أن يجامعها فإنه لا يخلو من أن يكون سمي لها مهراً أو لم يسم فإن لم يسم لها مهراً و جب عليه أن يمتعها على ما ذكرناه بالآية التي قدمناها و بقوله تعالى وَ لِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ. و يمكن أن يقال إن الإشارة بهذه الآية إلى المتعة الواجبة التي قدمناها أو بما قبل هذه الآية من قوله حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ إلى المتعة المستحبة على ما ذكرنا. -قرآن- ١-٨١-قرآن- ١٠٩٩-١١٥٨-قرآن- ١٢٦٣-١٢٨٦ [صفحہ ١٤٩] والمراد بالقراءتين تماسوهن أو تمسوهن بالجماع بلا خلاف وإنما قال تَعْتَدُونَهَا فخطب الرجال لأن العدة حق للزوج ربما استبرأ من أن يلحق به من ليس من صلبه أو يلحق بغيره من هو من صلبه قال الجرجاني أصله أنهم كانوا يقولون فيما توفر عدداً عدده فاعتد أي وفترته عليه فاسترفاه كما يقال كلته فاكتال وزنته فاترن . ومما يوضح ما ذكرناه قوله تعالى لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَ مَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَ عَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ المفروض من صداقها داخل في دلالة الآية و إن لم يذكر لأن التقدير ما لم تمسوهن ممن قد فرضتم لهن أو لم تفرضوا لهن فريضة لأن أوتئبى عنه إذ لو كان على الجمع لكان بالواو. والفريضة المذكورة في الآية الصداق بلا خلاف لأنه يجب بالعقد للمرأة فهو فرض بوجوبه بالعقد و متعة التي لم يدخل بها و قدروى أيضاً أنها لكل مطلقة و ذلك على وجه الاستحباب . و متاعاً حال من قوله قَدَرُهُ و العامل فيه الظرف و يجوز أن يكون مصدراً و العامل وَ مَتَّعُوهُنَّ. و يحتمل نصب حَقًّا أيضاً على وجهين أحدهما أن يكون حالاً- من قوله بِالْمَعْرُوفِ و العامل فيه معنى عرف حقا الثاني على التأكيد لجمله الخبر كأنه قيل أخبركم به حقا. وإنما خص التي لم يدخل بها بالذكر في رفع الجناح دون المدخول بها في الذكر و إن كان حكمها واحداً لأمرين أحدهما لإزالة الشك في الحرج على هذا المطلق والثاني لأن له أن يطلق أي وقت شاء و ليس كذلك حكم المدخول - قرآن- ٣٣-٤٣-قرآن- ٧٢-٨٣-قرآن- ٣٦٣-٥٦٧-قرآن- ٩٢٣-٩٢٩-قرآن- ٩٤٤-٩٥١-قرآن- ١٠٠٢-١٠١٥-قرآن- ١٠٣٠-١٠٣٤- قرآن- ١٠٨١-١٠٩٢ [صفحہ ١٥٠] بهالأنه يجب أن يطلقها للعدة على ما ذكره . و في الآية دلالة على أن هذا العقد بغير مهر صحيح لأنه لو لم يصح لما جاز فيه الطلاق و لا وجبت فيه المتعة. ثم قال و إن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن الآية و قد قدمنا أن الآية الأولى متضمنة حكم من لم يدخل بها و لم يسم لها مهراً إذ اطلقها و هذه تضمنت حكم التي فرض لها صداق إذ اطلقت قبل الدخول و أحد الحكمين غير الآخر. و قال جميع أهل التأويل إنه إذ اطلق الرجل من سمي لها مهراً معلوماً قبل أن يدخل بها فإنه يستقر لها نصف المهر فإن كانت ما قبضت شيئاً و جب على الزوج تسليم نصف المهر فإن كانت تسلمت جميع المهر و جب عليها رد نصفه و يستقر لها النصف الآخر. إلا أن يَعْفُونَ معناه من يصح عفوها من الحرائر البالغات غير المولى عليها لفساد عقلها فيتترك ما يجب لها من نصف الصداق . و قوله تعالى أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ قال مجاهد و حسن و علقمة إنه الولي و هو المروى عن أبي جعفر و أبي عبد الله ع غير أنه لا ولاية لأحد عندنا إلا للآب أو الجد مع وجود الأب على البكر و غير البالغة و أما من

عداهما فلا ولاية إلا بتوليئه من المرأة وروى عن علي ع أنه الزوج والأول هو المذهب وهو أظهر فمن جعل العقد للزوج قال تقديره الذى بيده عقدة نكاحه و من جعله للولى قال تقديره الذى بيده عقدة نكاحها و من جعل العفو للزوج قال له أن يعفو عن جميع نصفه و من جعله للولى قال -قرآن- ٦١٧-٦٣٤-قرآن- ٧٥٥-٧٩٩ [صفحة ١٥١] أصحابنا له أن يعفو عن بعضه و ليس له أن يعفو عن جميعه فإن امتنعت المرأة لم يكن لها ذلك إذا اقتضت المصلحة ذلك عن أبى عبد الله ع واختار الجبائى أن يكون المراد به الزوج قال لأنه ليس للولى أن يهب مال المرأة. و قوله تعالى وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوِيخَطَابِ لِلزَّوْجِ وَالْمَرْأَةِ جَمِيعًا فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقِيلَ لِلزَّوْجِ وَحْدَهُ وَإِنَّمَا جَمَعَ لِأَنَّهُ لِكُلِّ زَوْجٍ وَقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَقْوَى لِأَنَّهُ الْعَمُومُ . وَإِنَّمَا كَانَ الْعَفْوُ أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى مِنْ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا لِاتِّقَاءِ ظَلَمِ كُلِّ وَاحِدٍ صَاحِبِهِ مَا يَجِبُ مِنْ حَقِّهِ الثَّانِي أَنَّهُ أَدْعَى إِلَى اتِّقَاءِ مَعَاصِي اللَّهِ لِلرَّغْبَةِ فِيهَا رَغْبٌ فِيهِ بِالْعَفْوِ عَمَّا لَهُ وَتَقْدِيرُ فَرَضْتُ مَا فَرَضْتُمْ أَي فَعَلِيكُمْ نِصْفَ مَا فَارَضْتُمْ -قرآن- ٢٣٨-٢٦٨-قرآن- ٥٦٨-٥٨٦

فصل فى طلاق التى دخل بها و لم تبلغ المحيض و لاتكون فى سنها من تحيض

قال الله تعالى وَ اللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ بَعْدَ قَوْلِهِ وَ اللَّائِي يَتَسَّنَّ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعَدَّتْهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَ اللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ لِلصَّغَارِ وَتقديره واللأئي لم يحضن لاعدة عليهن وحذف لدلالة الكلام عليه و هذا التقدير أولى من أن يقال تقديره واللأئي لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر لأن قوله إِنْ ارْتَبْتُمْ فِي الْأُولَى يَخْرُجُ مِنَ الْفَائِدَةِ. فعلى هذا إذا أراد الرجل أن يطلق امرأة قد دخل بها و لم تكن قد بلغت -قرآن- ١٩-٤٢-قرآن- ٥٣-١٧٠-قرآن- ٣٣٢-٣٤٤ [صفحة ١٥٢] مبلغ النساء و لامثلها فى السن قد بلغ ذلك و حد ذلك دون تسع سنين فليطلقها أى وقت شاء فإذا طلقها فقد بانت منه فى الحال و لاعدة عليها وحكم الآيسه من المحيض ومثلها لا تحيض حكم التى لم تبلغ مبلغ النساء فى أنه متى طلقها لاعدة عليها و قد بانت منه فى الحال و يطلقها أى وقت شاء و حد ذلك للهاشمية ستون سنه وللأجنيبة خمسون سنه فصاعدا. و قال المرتضى على الآيسه من المحيض و الذى لم يبلغه العدة على كل حال من غير مراعاة الشرط الذى حكيناه عن أصحابنا قال و الذى يدل على صحة هذا القول قوله وَ اللَّائِي يَتَسَّنَّ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعَدَّتْهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَ اللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَ هَذَا صَرِيحٌ فِي الْآيَاتِ مِنَ الْمَحِيضِ وَاللَّائِي لَمْ يَبْلُغْنَ عَدَّتَهُنَّ الْأَشْهُرَ عَلَى كُلِّ حَالٍ لِأَنَّ قَوْلَهُ وَ اللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ عِنْدَهُنَّ كَذَلِكَ قَالَ وَ إِذَا كَانَتْ هَذِهِ عَدَّةَ الْمَرْتَابِ بِهَا فَغَيْرِ الْمَرْتَابِ بِهَا أَوْلَى بِذَلِكَ . ثُمَّ قَالَ فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ يَدْعُونَ أَنْ الظَّاهِرُ يَقْتَضِي إِجْبَابَ الْعَدَّةِ عَلَى مَنْ ذَكَرْتُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَ فِي الْآيَةِ شَرْطٌ وَ هُوَ قَوْلُهُ إِنْ ارْتَبْتُمْ الْجَوَابُ أَوْلَى مَانْقُولُهُ أَنَّ الشَّرْطَ الْمَذْكُورَ فِي الْآيَةِ لَا يَنْفَعُ مَنْ خَالَفَ مِنْ أَصْحَابِنَا لِأَنَّهُ غَيْرُ مُطَابِقٍ لِمَا يَشْرُطُونَهُ وَإِنَّمَا يَكُونُ نَافِعًا لَهُمُ الشَّرْطُ لَوْ قَالَ تَعَالَى إِنْ مَثَلَهُنَّ لِاتِّحِيزِ فِي الْآيَاتِ وَ فِي اللَّائِي لَمْ يَبْلُغْنَ الْمَحِيضَ إِذَا كَانَ مَثَلَهُنَّ تَحِيضَ وَ إِذَا لَمْ يَقُلْ تَعَالَى ذَلِكَ وَ قَالَ إِنْ ارْتَبْتُمْ وَ هُوَ غَيْرُ الشَّرْطِ الَّذِي يَشْرُطُهُ أَصْحَابِنَا فَلَا مَنَفَعَةَ لَهُمْ فِيهِ . وَ لَيْسَ يَخْلُو قَوْلُهُ تَعَالَى إِنْ ارْتَبْتُمْ مَنْ أَنْ يَرِيدَ بِهِ مَقَالَهُ جَمُوهُورِ الْمَفْسَّرِينَ وَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالتَّأْوِيلِ مِنْ أَنَّهُ تَعَالَى أَرَادَ بِهِ إِنْ كُنْتُمْ مَرْتَابِينَ فِي عَدَّةِ هَؤُلَاءِ النِّسَاءِ وَ غَيْرِ الْعَالَمِينَ بِمَبْلَغِهَا فَقَدْ رَوَوْا مَا يَقْوَى ذَلِكَ مِنْ أَنْ سَبَبَ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ -قرآن- ٥٠٢-٦١٩-قرآن- ٧١١-٧٣٤-قرآن- ٩٤٥-٩٥٧-قرآن- ١٢١٩-١٢٣١-قرآن- ١٣١٠-١٣٢٢ [صفحة ١٥٣] ما ذكرناه من فقد العلم فروى مطرف عن عمرو بن سالم قال قال أبى بن كعب يا رسول الله إن عددا من عدد النساء لم يذكر في الكتاب الصغار والكبار وأولات الأحمال فأنزل الله تعالى وَ اللَّائِي يَتَسَّنَّ مِنَ الْمَحِيضِ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَ أَوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ . وَ كَانَ سَبَبَ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ الْارْتِيَابُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْارْتِيَابُ بِأَنَّهَا آيسه أَوْ غَيْرِ آيسه لِأَنَّهُ تَعَالَى قَدَقَطَعَ فِي الْآيَةِ عَلَى النَّاسِ مِنَ الْمَحِيضِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى وَ اللَّائِي يَتَسَّنَّ وَ الْمَشْكُوكِ فِي حَالِهَا وَ الْمَرْتَابِ فِي أَنَّهَا تَحِيضُ أَوْ لَا تَحِيضُ لِاتِّكُونِ آيسه

والمرجع فى وقوع الحيض منها أوارتفاعه إليها وهى المصدقة على ماتخبر به فإذا أخبرت بأن حيضها قد ارتفع قطع عليه و لا معنى للارتياح مع ذلك . و إذا كان المرجع فى الحيض إلى النساء ومعرفة الرجال به مبنية على إخبار النساء وكانت الريبة المذكورة فى الآية منصرفه إلى اليأس من المحيض فكان يجب أن يقول تعالى إن ارتبتم أوارتبتم لأنه حكم يرجع إلى النساء ويتعلق بهن فهن المخاطبات به فلما قال تعالى إن ارتبتم فخاطب الرجال دون النساء علم أن المراد هو الارتياح فى العدة ومبلغها. ثم قال فإن قيل ما أنكرتم أن يكون الارتياح هاهنا إنما هو بمن تحيض أو لا تحيض ممن هو فى سنها على ما يشرطه بعض أصحابكم قلنا هذا يبطل بأنه لا يرب فى سن من تحيض مثلها من النساء أو لا تحيض لأن المرجع فيه إلى العادة. ثم إذا كان الكلام مشروطا فالأولى أن يعلق الشرط بما لا خلاف فيه دون ما فيه -قرآن- ١٨٥-٢١٩-قرآن- ٢٣٨-٢٩٠-قرآن- ٤٥٨-٤٧٧-قرآن- ٩٦١-٩٧٣] [صفحة ١٥٤] الخلاف و قد علمنا أن من شرط وجوب الإعلام بالشىء والاطلاع عليه فقد العلم و وقوع الريب فمن يعلم بذلك و يطلع عليه فلا بد إذا من أن يكون معلقنا نحن الشرط به وجعلنا الريبة واقعة فيه مرادا. و إذا ثبت ذلك لم يجوز أن يعلق الشرط بشىء آخر مما ذكره أو غيره لأن الكلام مستقل بتعلق الشرط بما ذكرناه أنه لا خلاف فيه و لا حاجة به بعد الاستقلال إلى أمر آخر ألا ترى أنه لو استقل بنفسه لما جاز اشتراطه وكذلك إذا استقل مشروطا بشىء لا خلاف فيه و لا يجب تجاوزه و لا تخطيه إلى غيره . و قد سلم الشيخ أبو جعفر الطوسى رض أن الآية لا تدل على صحة هذا الباب بظاهرها وإنما تبين الأخبار الواردة عن آل محمد ذلك منها ما روى عن عبد الرحمن بن الحجاج قال أبو عبد الله ع ثلاث يتزوجن على كل حال التى لم تحض ومثلها لا تحيض قال قلت و ما حدها قال إذا أتى لها أقل من تسع سنين والثى لم يدخل بها والثى قد ينست من المحيض ومثلها لا تحيض قال قلت و ما حدها قال إذا كان لها خمسون سنة -رواية- ١-٢-رواية- ٥٨-٢٧٧ . و قد تقدم أن قوله و اللآئى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر محمول على الآية من المحيض و فى سنها من تحيض و فى التى لم تحض و فى سنها من تحيض لأن الله تعالى شرط فيه ذلك و قيده بالريبة. و لما كان الخطاب بقوله من نسائكم مع الرجال قال أيضا إن ارتبتم لأن النساء يرجعن فى تعرف أحوالهن إلى العلماء و قد ذكرنا تقدير قوله و اللآئى لم يحضن من قبل . -قرآن- ٢٢-١١٤-قرآن- ٢٧٢-٢٨٤-قرآن- ٣٠٥-٣١٧-قرآن- ٣٨٨-٤١١] [صفحة ١٥٥] و إذا كانت الآية مجملة فتفصيل ذلك يعلم من أهل التنزيل والتأويل وهم الأئمة المعصومون بعد رسول الله ع و قال تعالى خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ -قرآن- ١٢٥-١٥٨

فصل فى طلاق الآية من المحيض و فى سنها من تحيض

بين الله كيفية العدد باختلاف أحوال النساء فقال و اللآئى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر يعنى أن الآية من المحيض إذا كانت ترتب بنفسها و لا تدرى أنقطع حيضها لكبر أوعارض و لا تدرى أنتم أيضا مقدار سنها فعدتها ثلاثة أشهر وهى التى قلنا إن مثلها تحيض لأنها لو كانت فى سن من لا تحيض لم يكن معنى للارتياح فى سنها فإذا أراد زوجها طلاقها فليصبر عليها ثلاثة أشهر ثم يطلقها بعد ذلك إن شاء. و حكم التى لم تبلغ المحيض و فى سنها من تحيض وهى التى كان لها تسع سنين فصاعدا و لم تكن حاضت حكم الآية و فى سنها من تحيض فى جميع ما ذكرناه . و قال قتادة اللآئى يئسن الكبار و اللآئى لم يحضن الصغار. و قد ذكرنا أن قوله و اللآئى لم يحضن تقديره واللآئى لم يحضن إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر وحذف لدلالة الكلام الأول عليه . و قال بعض المفسرين إن الله سبحانه لما بين هذه المسائل الأربع على لسان نبيه ص و رواها أهل بيته المعصومون ع و كان قد أشار بهذه الآية إلى مسألة من هذا الفصل وهى الأولى و إلى مسألة من الفصل -قرآن- ٥٢-١٤٤-قرآن- ٦١٥-٦٣١-قرآن- ٦٣٨-٦٦١-قرآن- ٦٨٩-٧١٢] [صفحة ١٥٦] الأولى وهى الثانية كان من أعجب الحكم الإلهية و من لطيف

الفصاحة وغريب البراعة فعلى هذا لا يكون قوله وَ اللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ مشروطا مقيدا بجميع ما قيدت الجملة الأولى به بل يقدر خبر المبتدأ فيه على ماوردت به الأحاديث الصحيحة -قرآن- ١٠٩-١٣٢

فصل فى طلاق المستقيمة الحيض

قال الله تعالى وَ الْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ أمر سبحانه بذلك أنه إذا أراد الرجل أن يطلق امرأته التى دخل بها و هو غير غائب عنها وهى ممن تحيض حيضا مستقيما فيطلقها وهى طاهر طهرا لم يقربها فيه بجماع وشهد على ذلك شاهدين تطليقة واحدة ولتعدت هى ثلاثة أقراء وهى الأطهار فإذا رأت الدم من الحيضة الثالثة فقد ملكت نفسها و لم يكن له عليها سبيل . فالقرء الطهر عندنا و به قال أكثر الصحابة والتابعين والفقهاء والمفسرين وأصل القرء فى اللغة يحتمل وجهين أحدهما الاجتماع و منه قرأت القرآن لاجتماع حروفه فعلى هذا يقال قرأت المرأة إذا حاضت فى قول الأصمعى والكسائى فتأويل ذلك اجتماع -قرآن- ١٩-٧٦ [صفحة ١٥٧] الدم فى الرحم ويجىء على هذا الأصل أن يكون القرء الطهر لاجتماع الدم فى جملة البدن هذا قول الزجاج . والوجه الثانى أن يكون أصل القرء وقت الفعل الذى يجرى على عادة فى قول أبى عمرو بن العلاء و قال هو يصلح للحيض والطهر يقال هذا قارئ الرياح أى وقت هبوبها فعلى هذا يكون القرء الحيض لأنه وقت اجتماع الدم فى الرحم على العادة المعروفة فيه و يكون الطهر لأنه وقت ارتفاعه على عادة جارية فيه . واستشهد أهل العراق بأشياء على أن المراد الحيض منها قوله ع فى مستحاضة سألته دعى الصلاة أيام أقرائك -رواية ١-٢-رواية ١٢-٥٧ واستشهد أهل المدينة بقوله تعالى فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ أى طهر لم تجامع فيه كما يقال جئت لغرة الشهر وتأوله غيرهم لاستقبال عدتهن و هو الحيض وتدل الآية على ذلك لأن معناه فى طهر لم يجامعها فيه و هو اختيار ابن جرير . و قال أبو مسلم لما أوجب الله على من أراد تطليق امرأته أن يطلقها طاهرة غير مجامعة وأوجب عليها التربص إلى أن ترى ثلاثة قروء نظرنا فكان المراد ثلاثة أطهار لأنه لا خلاف أن السنة فى الطلاق أن يكون عند الطهر . فإن قيل الظرف إما مكان أو زمان والقرء ليس واحدا منهما . قلنا الظرف هنا زمان والتقدير مدة انقضاء ثلاثة قروء والقرء جمع القرء . فإن قيل كيف أضاف الثلاثة إلى قروء وهى جمع الكثرة و لم يضيفها إلى أقراء وهى جمع القلة . فالجواب عنه أن المعنى فى قوله تعالى وَ الْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ أى ليتربص كل واحدة من المطلقات ثلاثة أقراء فلما أسند ثلاثة إلى جماعتهم والواجب على كل واحدة منهن ثلاثة أتى بلفظة قروء ليدل على الكثرة المرادة . -قرآن- ٣٥-٦٠-قرآن- ٧٠٧-٧٦٤ [صفحة ١٥٨] فإن قيل لو كان المراد بالأقراء فى الآية الأطهار لوجب استيفاء ثلاثة الأطهار بكمالها كما أن من كانت عدتها بالأشهر وجب عليها ثلاثة أشهر على الكمال وقد أجمعنا على أنه لو طلقها فى آخر الطهر الذى ما قربها فيه أنه لا يلزمها أكثر من طهرين آخرين و ذلك دليل على فساد ما قلتموه . قلنا يسمى القرآن الكاملان وبعض الثالث ثلاثة أقراء كما يسمى الشهران وبعض الثالث ثلاثة أشهر فى قوله تعالى الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ وإنما هو شوال وذو القعدة وبعض ذى الحجة . و قال بعض الفقهاء إن لفظ الخبر فى قوله يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ فى تقدير الأمر لأن المعنى فرض عليهن أن يتربصن والأولى أن يحمل على معنى الخبر لأنه مما لا بد منه و ما حل هذا المحل فالخبر به أولى من الأمر لأن المأمور قد يفعل و قد لا يفعل والمخبر عنه لا بد من كونه و هذا التربص لا بد منه . و هذا لا يحتاج فيه إلى نية وعزم فالمطلقة ربما انقضت عدتها و لم تعدت و ذلك أن تطلق و لا يبلغها الطلاق إلا و قد مضت أيام الأقراء لأن ابتداء عدتها وقت طلاقها من غير صنع منها ولهذا قال قوم ابتداء عدتها وقت سماعها و هذا ليس بصحيح فى الطلاق وإنما هو العدة بعد الوفاة إذا سمعت بها لأنها و إن لم تسمع فهى مطلقة وأوجب الله عليها العدة بسبب الطلاق . و كل مطلقة يلزمها هذا التربص إلا من لم يدخل بها ماعدا الآيسة من المحيض و لا يكون فى سنه من تحيض و ماعدا التى لم

فصل في طلاق الحامل المستبين حملها

قال الله تعالى وَ أَوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعَ عَنْ حَمْلِهِنَّ. اعلم أن الرجل إذا أراد أن يطلق امرأته وهي حبلى مستبين حملها فليطلقها أى وقت شاء وعدتها أن تضع حملها وإن كان بعد الطلاق بلا- فصل وحلت للأزواج سواء كان ما وضعت سقطا أو غير سقط تاما أو غير تام فقد بين الله تعالى بقوله أَنْ يَضَعَ عَنْ حَمْلِهِنَّ أن عدة الحامل من الطلاق وضع الحمل الذى معها فإن وضعت عقب الطلاق فقد ملكت نفسها ويجوز لها أن تعقد لغيره على نفسها غير أنه لا يجوز له وطؤها لأن نفاسها كالحيض سواء فإذا ظهرت من نفاسها حل له ذلك . وإن كانت حاملا باثنين ووضعت واحدا لم تحل للأزواج حتى تضع جميع الحمل لقوله تعالى أَنْ يَضَعَ عَنْ حَمْلِهِنَّ. فأما انقطاع الرجعة فقد روى أصحابنا أنها إذا وضعت واحدا انقطع عصمتها من الأول ولا يجوز لها العقد لغيره حتى تضع الآخر. فأما المطلق فإنه إن كان طلقها أول مرة ووضعت واحدا وهي حامل بآخر فليس له أن يراجعها وإنما كانت الرجعة له من غير رضاها قبل الوضع فأما إن أراد أن يعقدا بمهر جديد قبل وضع الثانى فإنه يجوز ذلك وكذلك بعد التطلقين إذا كانت المرأة حرة. وقال ابن عباس هذه الآية فى المطلقة خاصة لما قلناه - قرآن- ١٩-٧١- قرآن- ٣٠٥-٣٢٥- قرآن- ٦٢٤-٦٤٤ [صفحة ١٦٠]

فصل فى طلاق المستحاضة وطلاق الغائب عن زوجته وطلاق الغلام والعبد

قال الله تعالى يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ هَذِهِ الْآيَةُ بعمومها يتناولها كما يتناول غيرها مما نذكره . و أما المستحاضة إذا كانت مطلقه وتعرف أيام حيضها فلتعتد بالأقراء فإن لم تعرف أيام حيضها اعتبرت صفة الدم واعتدت أيضا بالأقراء فإن اشتبه عليها دم الحيض بدم الاستحاضة ولم يكن لها سبيل إلى الفرق بينهما اعتبرت عادة نساءها فى الحيض فتعتد على عادتھن فى الأقراء فإن لم يكن لها نساء أو كن مختلفات العادة اعتدت بثلاثة أشهر وقديانت منه . و أما طلاق الغائب عن زوجته فإن خرج إلى السفر وهي فى طهر لم يقربها فيه بجماع طلقها أى وقت شاء ومتى كانت طاهرا طهرا قد قربها فيه فلا يطلقها حتى يمضى ما بين شهر إلى ثلاثة أشهر ثم يطلقها ويكون عدتها ثلاثة أشهر. والغلام إذا طلق و كان ممن يحسن الطلاق وقد أتى عليه عشر سنين فصاعدا جاز طلاقه فإن لم يحسن الطلاق فإنه لا يجوز طلاقه ولا يجوز لوليه أن يطلق عنه إلا أن يكون قد بلغ و كان فاسد العقل فإنه والحال على ما ذكرناه جاز طلاق الولي عنه . والعبد إذا تزوج فلا يخلو إما أن يكون مولاه زوجته جاريتها فالفراق بينهما بيده وليس للزوج طلاق على حال ومتى عقد الرجل لعبد على أمه غيره يأذنه - قرآن- ١٩-١٠٨ [صفحة ١٦١] كان الطلاق بيد العبد وكذلك إن عقد على حرة. وهذا كله مما بينه رسول الله ص لقوله تعالى وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ - قرآن- ٩٤-١٤٠

باب بيان شرائط الطلاق

فأول ما نقول في ذلك أن تعليق الطلاق بجزء من أجزاء المرأة أى جزء كان لا يقع به طلاق ودليلنا بعد الإجماع قوله تعالى يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَجَعَلِ الطَّلَاقَ وَاقْعًا بِمَا يَتَنَاوَلُهُ اسْمُ النِّسَاءِ وَالْيَدِ وَالرَّجُلِ لَا يَتَنَاوَلُهُمَا هَذَا اسْمٌ بغير شبهة. ولا يطعن على ما ذكرنا بقوله تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَبِقَوْلِهِ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَإِنْ عَبْرَ بِهَا عَنْ جَمِيعِ الْبَدَنِ لِأَنَّ ذَلِكَ مُجَازٌ وَكَلَامُنَا عَلَى الْحَقَائِقِ لِقَوْلِ اللَّهِ مُخَاطَبًا لِنَبِيِّهِ ع وَالْمُرَادُ بِهِ أُمَّتُهُ وَمَعْنَاهُ إِذَا أُرِدْتُمْ طَلَاقَ النِّسَاءِ كَمَا قَالَ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ وَالنَّبِيُّ ع دَاخِلٌ تَحْتَ هَذَا الْخُطَابِ وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ فِيهَا خِلَافٌ . وَقَالَ قَوْمٌ تَقْدِيرُهُ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأُمَّتِكَ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَعَلَى هَذَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ع خَارِجًا مِنَ الْحُكْمِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حُكْمُهُمْ كَخُطَابِ الرَّئِيسِ الَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ الْأَتْبَاعُ وَأَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ أَنَّ حُكْمَ النَّبِيِّ ع حُكْمٌ - قُرْآن - ١٢٣ - ١٦٥ - قُرْآن - ٢٨٨ - ٣١٠ - قُرْآن - ٣١٩ - ٣٤٢ - قُرْآن - ٤٩٢ - ٥١٧ [صفحہ ١٦٢] أُمَّتُهُ فِي الطَّلَاقِ . وَالطَّلَاقُ فِي الشَّرْعِ قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهُ عِبَارَةٌ عَنْ تَخْلِيَةِ الْمَرْأَةِ عَلَى عَقْدِهِ مِنْ عَقْدِ النِّكَاحِ بِأَنَّ يَقُولُ أَنْتَ طَالِقٌ يَخَاطَبُهَا أَوْ يَقُولُ هَذِهِ طَالِقٌ وَيَشِيرُ إِلَيْهَا أَوْ يَقُولُ فَلَانَةُ بِنْتُ فَلَانٍ طَالِقٌ . وَعِنْدَنَا لَا يَلْقَى الطَّلَاقُ إِلَّا بِهَذَا اللَّفْظِ الْمَخْصُوصِ وَلَا يَلْقَى الطَّلَاقُ بِشَيْءٍ مِنْ كُنَايَاتِ الطَّلَاقِ أَرَادَ بِهِ الطَّلَاقِ أَوْ لَمْ يَرِدْ فِيهِ خِلَافٌ . وَ مِنْ شَرَطِ وَقُوعِ الطَّلَاقِ عِنْدَنَا أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ ثَابِتَ الْعَقْلَ مَرِيدًا لِلطَّلَاقِ غَيْرَ مَكْرَهٍ عَلَيْهِ وَيَتَلَفَّظُ بِمَا قَدَّمَاهُ وَفَحْوَى قَوْلِهِ تَعَالَى إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ يَدِلُّ عَلَى جَمِيلِ ذَلِكَ وَ يَكُونُ بِمَحْضَرٍ مِنْ شَاهِدٍ عَدْلٍ لِقَوْلِهِ وَ أَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ عَلَى مَا نَذَرَهُ . وَإِنْ كَانَتْ مَدْخُولًا بِهَا غَيْرَ حَامِلٍ وَ يَكُونُ الزَّوْجُ حَاضِرًا غَيْرَ غَائِبٍ فَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ طَاهِرًا طَاهِرًا لَمْ يَقْرَبْهَا فِيهِ بِجَمَاعٍ لِقَوْلِهِ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَمَعْنَاهُ أَنْ يَطْلُقَهَا وَهِيَ طَاهِرَةٌ فِي طَهْرِ لَاجْمَاعٍ فِيهِ مَعَهَا وَيَسْتَوْفَى بَاقِيَ الشَّرُوطِ أَى طَلَّقُوهُنَّ مُسْتَقْبَلَاتٍ لِعَدَّتِهِنَّ كَقَوْلِكَ أَتَيْتَهُ لِلَّيْلَةِ بَقِيَّتٍ مِنَ الْمَحْرَمِ أَى مُسْتَقْبَلًا لَهَا . - قُرْآن - ٤٤٠ - ٤٦٢ - قُرْآن - ٥١٧ - ٥٤٨ - قُرْآن - ٦٨٢ - ٧٠٧

فصل

و في قراءة رسول الله ص في قبل عدتهن و إذا طلقت المرأة في الطهر الذي ذكرناه طلقت مستقبلة لعدتها والمراد أن يطلقن في طهر لم يجامعهن فيه ثم يخلين حتى تنقضى عدتهن قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وابن سيرين وقتادة والضحاك والسدي. فمتى طلقها وقصد به إيقاع الطلاق على ما ذكرناه وقع تطليقة واحدة وهو أملك برجعتها ما لم تخرج من العدة فإن خرجت قبل أن يراجعها كان كواحد من الخطاب . [صفحہ ١٦٣] ومتى تلفظ بثلاث تطليقات مع الشرائط كلها وقعت واحدة وخالف جميع الفقهاء في ذلك وقالوا يقع الثلاث و في أصحابنا من يقول متى تلفظ بالثلاث لا يقع شيء و ذلك محمول على أنه إذا لم يحصل جميع شرائط الطلاق والعمل على ما قدمناه . ومتى طلقها في الحيض والحال ما ذكرناه فلا يقع طلاقها لأنه خلاف المأمور به وهو منهي عنه والنهي يدل على فساد المنهي عنه وعند الفقهاء أنه يقع الطلاق وإن كان بدعة. و لم يبين المفسرون معنى اللام في قوله لِعَدَّتِهِنَّ وكيف صار هذا اللفظ عبارة عما فسروه به من أن المراد طاهر من غير جماع والقول في ذلك أن اللام لام العلة والسبب . فإن قيل علة الفعل ما يولد عنه يعنى الفعل يتولد من العلة و لم يتولد الطلاق من العدة وإنما تولد من إثارة الزوج مفارقة المرأة. والجواب أن ذلك يحتاج إلى بيان لأن في الكلام حذفًا وإيجازًا كأنه قال تعهدوا بطلاقهن هذه الحالة لأجل عدتهن أى ليعتددن في الوقت لأن ابتداء عدتها الطهر الذي طلق فيه ثم أحصوا عدتها أى احتفظوا أقرءها و إن مضت الثلاثة منها و لم تراجعوهن فلا سييل إلى المراجعة من بعد. ومثل هذا اللام قوله أقيم الصلاة لِدُلُوكِ الشَّمْسِ - قُرْآن - ٤٥٧ - ٤٦٨ - قُرْآن - ١٠١٥ - ١٠٤٧ و لقول النبي ع صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته - روايت - ١ - ٢ - روايت - ٢٠ - ٥٠ . وقال أبو علي المرزوقي اللام في قوله لِعَدَّتِهِنَّ ظرف للطلاق بمنزلة - قُرْآن - ٤٤ - ٥٥ [صفحہ ١٦٤] وقت له والدليل عليه قوله تعالى لِأَوَّلِ الْحَشْرِ فَجَعَلَ لَهُ

أولاً- وقيل العدة هنا الحيض والمعنى فطلقوهن قبل الحيض . وإحصاء العدة حفظ وقت الطلاق ثم أيام الطهر والحيض إلى أن يقع البيونته. -قرآن- ٣٨-٥٣

فصل

ثم قال تعالى وَ اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجَنَّ اللَّهُ أَمْرَ الْمُطْلَقِينَ بِالْوَعِيدِ أَى لَا تَخْرُجُوهُنَّ زَمَانَ الْعِدَّةِ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ إِخْرَاجُهَا مِنْ بَيْتِهَا وَأَمْرَ الْمُطْلَقَاتِ أَلَا يَخْرُجْنَ بِاخْتِيَارِ أَنْفُسِهِنَّ قَبْلَ انْقِضَاءِ عِدَّتِهِنَّ . وعندنا وعند جميع الفقهاء يجب عليه السكنى والنفقة والكسوة إذا كانت المطلقة رجعية وإن كانت بئنة فلانفقة لها ولأسكنى وقال عطا والضحاك وقتادة لا يجوز أن تخرج من بيتها حتى تنقضى عدتها إلا عند الفاحشة وقال الحسن وعامر والشعبي ومجاهد وابن زيد الفاحشة هاهنا الزنا تخرج لإقامة الحد وقال ابن عباس الفاحشة البذاء على أهله وهو المروى عن أبى جعفر وأبى عبد الله ع . وقال قتادة الفاحشة هو النشوز وقال ابن عمر هو خروجها قبل انقضاء العدة وفى رواية عن ابن عباس أن كل معصية لله ظاهرة فهى فاحشة . وقوله تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يَعْنِي مَا تَقْدَمُ ذِكْرُهُ مِنْ كَيْفِيَةِ الطَّلَاقِ وَالْعِدَّةِ وَتَرْكُ إِخْرَاجِهَا مِنْ بَيْتِهَا إِلَّا عِنْدَ الْفَاحِشَةِ حُدُودُ اللَّهِ فَالْحُدُودُ نَهَايَاتُ تَمْنَعُ أَنْ يَدْخُلَ فِي الشَّيْءِ مَا لَيْسَ مِنْهُ أَوْ يَخْرُجَ عَنْهُ مَا هُوَ مِنْهُ فَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ الْحُدُودَ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ أَى مِنْ يَتَجَاوَزُ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ فَعَلَ مَا يَسْتَحِقُّ بِهِ الْعِقَابَ وَيَحْرَمُ مَعَهُ الثَّوَابَ . -قرآن- ١٧-٨٨-قرآن- ٧٥٧-٧٧٦-قرآن- ٩٨١-١٠١٠] [صفحة ١٦٥] ثم قال لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا أَى يَغْيِرُ رَأْيَ الزَّوْجِ فِي مَحَبَّةِ الطَّلَاقِ فَيَكُونُ تَطْلِيْقُهُ عَلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ يَمْلِكُ الرَّجْعَةَ فِيمَا بَيْنَ الْوَاحِدَةِ وَالثَّانِيَةِ وَمَا بَيْنَ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثَةِ إِذَا لَمْ يَكُنْ خَلْعًا عَلَى الْحَرَّةِ الْمُطْلَقَةِ الَّتِي دَخَلَ بِهَا وَقَدْ ذَكَرْنَاهَا . وقال الضحاك أى لعل الله يحدث بعد ذلك أمر الرجعة فى العدة وقيل معناه لعل الله يحدث بعد ذلك شهوة المراجعة فإذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ قِيلَ أَى إِذَا بَلَغْنَ إِلَى الْقَرَأِ الثَّلَاثِ وَ ذَلِكَ قَرَبَ انْقِضَاءِ عِدَّتِهِنَّ وَمَعْنَاهُ إِذَا قَرَبْنَ أَجَلَهُنَّ الَّذِي هُوَ الْخُرُوجُ مِنْ عِدَّتِهِنَّ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ إِذَا انْقَضَى أَجَلُهُنَّ لِأَنَّهُ عِنْدَ انْقِضَاءِ أَجَلَهُنَّ لَا يَمْلِكُ رَجْعَتَهَا وَقَدْ مَلَكَتْ نَفْسُهَا وَقَدْ بَانَ مِنْهُ بِوَاحِدَةٍ ثُمَّ تَزَوَّجَ مِنْ أُوْغَيْرِهِ وَإِنَّمَا الْمَعْنَى إِذَا قَرَبْنَ الْخُرُوجَ مِنْ عِدَّتِهِنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِأَنْ تَرَاجِعُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ بِمَا يَجِبُ لَهَا مِنَ النِّفْقَةِ وَالْكَسْوَةِ وَالْمَسْكَنِ وَحَسَنَ الصَّحْبَةِ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ بِأَنْ تَتْرَكُوهُنَّ حَتَّى يَخْرُجْنَ مِنَ الْعِدَّةِ وَالْمَعْرُوفِ عِنْدَ الْفِرَاقِ الصِّدَاقِ أَوْ الْمَتْعَةِ وَحَسَنَ النَّثَاءِ . -قرآن- ١٠-٦٠-قرآن- ٣٧٣-٤٥٠

فصل

ثم قال تعالى وَ أَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ لِإِشْهَادِ عِدْنَا شَرْطُ فِي وَقُوعِ الطَّلَاقِ لِأَنَّ ظَاهِرَ الْأَمْرِ بِذَلِكَ يَقْتَضِيهِ وَالْأَمْرُ شَرْعًا عَلَى الْإِجْبَابِ إِلَّا- إِذَا دَلَّ دَلِيلٌ عَلَى كَوْنِهِ نَدْبًا فَمَتَى طَلَّقَ الرَّجُلُ وَلَمْ يَشْهَدْ شَاهِدَيْنِ مِمَّنْ ظَاهِرُهُ الْإِسْلَامُ كَانَ طَلَّاقَهُ غَيْرَ وَاقِعٍ وَإِنْ أَشْهَدَ رَجُلًا بَعْدَ آخَرَ وَلَمْ يَشْهَدْهُمَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ لَمْ يَقَعْ أَيْضًا طَلَّاقٌ فَإِنْ طَلَّقَ بِمَحْضَرِ رَجُلَيْنِ مُسْلِمَيْنِ وَلَمْ يَقُلْ لِهَمَا أَشْهَدَا وَقَعَ طَلَّاقُهُ -قرآن- ١٧-٤٨] [صفحة ١٦٦] وَجَازَ لِهَمَا أَنْ يَشْهَدَا بِذَلِكَ . وَشَهَادَةُ النِّسَاءِ لَا تَقْبَلُ فِي الطَّلَاقِ وَمَتَى فَقَدَا لَمْ يَقَعْ الطَّلَاقُ . فَإِنْ قِيلَ مَا الدَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ جَمِيعِ مَا ذَكَرْتُمْ . قُلْنَا الْحُجَّةُ لَنَا بَعْدَ الْإِجْمَاعِ قَوْلُهُ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ إِلَى قَوْلِهِ وَ أَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ فَأَمْرُ تَعَالَى فِيهِ بِالْإِشْهَادِ وَظَاهِرُ الْأَمْرِ فِي عَرَفِ الشَّرْعِ كَمَا قَدَّمْنَا يَقْتَضِي الْوَجُوبَ فَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَحْمِلُوا ذَلِكَ هَاهُنَا عَلَى الْإِسْتِحْبَابِ لِفَقْدِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ . وَ لَا يَخْلُو قَوْلُهُ وَ أَشْهَدُوا مِنْ أَنْ يَكُونَ رَاجِعًا إِلَى الطَّلَاقِ

كأنه قال إذاطلقتن النساء فطلقهن لعدتهن وأشهدوا أو أن يكون راجعا إلى الفرقة أو إلى الرجعة التي عبر تعالى عنها بالإمساك . ولا يجوز أن يرجع ذلك إلى الفرقة التي ليست هاهنا شيئا يوقع ويفعل وإنما هو العدول عن الرجعة وإنما يكون مفارقا لها بأن لا يراجعها فتبين بالطلاق السابق على أن أحدا لا يوجب في هذه الفرقة الشهادة وظاهر الأمر في الشرع يقتضى الوجوب . ولا يجوز أن يرجع الأمر بالشهادة إلى الرجعة لأن أحدا لا يوجب فيها الإشهاد وإنما هو يستحب فيها ثبت أن الأمر بالإشهاد راجع إلى الطلاق . فإن قيل كيف يرجع إلى الطلاق مع بعد ما بينهما قلنا إذا لم يلتق إلا بالطلاق وجب عوده إليه مع قرب و بعد . فإن قيل أى فرق بينكم فى حملكم هذا الشرط على الطلاق وهو بعيد منه فى اللفظ وهو مجاز وعدول عن الحقيقة وبيننا إذا حملنا الأمر بالإشهاد هاهنا على الاستحباب ليعود إلى الرجعة القريبة منه فى ترتيب الكلام . قلنا حمل مآثره الوجوب على الاستحباب خروج عن عرف الشرع - قرآن - ١٦٣ - ٢٣٢ - قرآن - ٢٤٤ - ٢٧٥ - قرآن - ٤٣٢ - ٤٤٣ [صفحه ١٦٧] بلا دليل ورد الشرط إلى ما بعد عنه إذا لم يلتق بما قرب ليس بعدول عن الحقيقة ولا استعمال التوسع والتجوز فى القرآن والخطاب كله مملوء من ذلك قال الله تعالى إِنَّا أَرَسْنَا لِمَا نَأْتِيكَ بِشَاهِدَاتٍ وَمُبَشِّرَاتٍ وَنَذِيرَاتٍ لِيَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ وَالتَّسْبِيحُ وهو متأخر فى اللفظ لا يليق إلا بالله دون رسوله . ثم قال وَ أَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ أَى لوجه الله خالصا للمشهد له وللمشهد عليه وللاغراض من الأغراض سوى إقامة الحق ودفع الظلم . ذَلِكَم يُوعِظُ بِهِ أَى ذلكم الحث على إقامة الشهادة لوجه الله ولأجل القيام بالقسط يوعظ به وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ جُمْلَةً اعْتَرَضِيَةً . - قرآن - ١٦٧ - ٢٩٤ - قرآن - ٣٦٤ - ٣٩٣ - قرآن - ٤٩٩ - ٥١٧ - قرآن - ٥٩٤ - ٦١٣

فصل

وقد فرسنا الآيات المتصلة بها إلى قوله تعالى أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ يقول الله مخاطبا لمن طلق زوجته بأمره أن يسكنها حيث يسكن هو وقد بينا أن السكنى والنفقة يجبان للرجعية بلا - خلاف أما البينونة فلا سكنى لها ولا نفقة عندنا إلا إذا كانت حبلى وهو مذهب الحسن - قرآن - ٤٩ - ٩٢ و قد روت فاطمة بنت قيس عن النبي ص أنه قال لا نفقة للمبتوتة - روايت - ١ - ٢ - روايت - ٥٢ - ٦٩ . وقال الشافعى ومالك لها السكنى بلا نفقة وقال أهل العراق لها السكنى [صفحه ١٦٨] والنفقة معا وبه قال ابن مسعود وعمر . وقوله مِنْ وُجْدِكُمْ أَى ملككم قاله السدى وقال ابن زيد هو إذا قال صاحب المسكن لا أنزل هذه فى بيتى وليس من وجده ويجوز له حينئذ أن ينقلها إلى غيره . والوجد ملك ما يجده المالك له وذلك أنه قديم ملك المالك ما يغيب عنه وقديم ملك ما هو حاضر له فذلك وجده . ويحتمل وجها آخر وهو أن يكون أسكنوهن أمرا بالإنفاق عليهن أى نزلوهن منزلة أنفسكم من وجدكم ولينفق كل واحد عليهن على قدر غناه وفقره . ولفظ الإسكان والإحلال والإنزال على ما قلنا يستعمل كثيرا فى هذا المعنى يقال أحلنى فلان من نعمته محل نفسه أى أشركنى فيها حتى شاطرنىها وذلك أولى لأن الأمر بالسكنى قد تقدم من قوله لا - تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَ لا يَخْرُجْنَ . ثم قال وَ لا تُضَارَّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ معناه لا تدخلوا الضرر عليهن بالتقصير فى النفقة والسكنى والكسوة وحسن العشرة وتضييقوا عليهن فى السكنى والنفقة ليخرجن أى لا تؤذوهن فتحوجوهن إلى الخروج أمر الله بالسعة . وقد تكون المضارة من واحد كما يقال طارقت النعل ويمكن أن يكون هاهنا من كل واحد منهما لصاحبه . والتضييق قد يكون فى الرزق وفى المكان وفى الأمر . وَإِنْ كُنَّ أَوْلِيَاتٍ حَمَلٌ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ أمر من الله بالإنفاق على الحامل المطلقة إذا كانت مبتوتة ولا خلاف فى ذلك وإنما يجب أن ينفق عليها بسبب ما فى بطنها وإنما يسقط نفقتها بالوضع - قرآن - ٤٨ - ٥٩ - قرآن - ٦٤٢ - ٦٨٧ - قرآن - ٦٩٨ - ٧٣٧ - قرآن - ١٠٦٢ - ١١٣٢ [صفحه ١٦٩]

عَشْرًا وإنما العدة بالأيام والليالي ولذلك لم يجز أن يقول عشرا من الرجال والنساء. قيل لتغليب الليالي على الأيام إذا اجتمعت في التاريخ وغيره لأن ابتداء -قرآن- ٩-١٦-قرآن- ٣٣-٥٠-قرآن- ٦٣-٨٠-قرآن- ٧١٥-٧٣٢-قرآن- ٧٦٥-٧٧٣ [صفحہ ١٧١] شهور الأهله الليالي عند طلوع الهلال فلما كانت أوائل غلبت لأن الأوائل أقوى من الثواني ولا يقدر هذا في قولهم إذا اختلف الذكر والأنثى كان الغلب للذكر. قال ابن المسيب وأبو العالية إنما زاد الله تعالى هذه العشرة على أربعة أشهر لأن فيها ينفخ الروح على الولد. ومعنى التبرص أن تحبس نفسها عن الأزواج وترك الزينة والطيب .

فصل

و هذه الآية التي قدمناها ناسخه لقوله تعالى وَ الَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنكُمْ وَ يَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ وإن كانت هذه مقدمه عليها في التلاوة. ولا خلاف في نسخ العدة سنة كاملة إلا أن أباحديفه قال العدة أربعة أشهر وعشرا و ما زاد على الحول يثبت بالوصية والنفقة فإن امتنع الورثة من ذلك كان لها أن تتصرف في نفسها. و أماحكم الوصية عندنا فباق لم ينسخ و إن كان على وجه الاستحباب وحكى عن الحسن أنها منسوخة بآية الميراث فلا وصية لوارث و هذا فاسد لأن آية الميراث لا تنافي الوصية فلا يجوز أن تكون ناسخه لها. فمن نصب وَصِيَّةً فَالْتَقْدِيرِ فليوصوا وصية والرفع أى فعلهم وصية أولأزواجهم وصية وقيل لا يجوز غير الرفع لأنه لا يمكن الوصية بعد الوفاة ولأن الفرض كان لهن وصوا أو لم يوصوا قال الرمانى و هذا غلط لأن المعنى والذين يحضرهم الوفاة منكم ولذلك قال تعالى يَتُوفُونَ عَلَى لَفْظِ الْحَالِ الَّذِي يَتَطَاوَلُ . -قرآن- ٤٧-١٥٦-قرآن- ٥٧٧-٥٨٤-قرآن- ٨٢٣-٨٣٣ [صفحہ ١٧٢] و أما قوله الفرض كان لهن و إن لم يوصوا فقد قال قتاده والسدى إنما كان لهن بالوصية على أنه لو كان على ما زعم لم ينكر أن يوجب الله على الورثة إن فرط الزوج في الوصية. و متاعاً إلى الحول غير إِخْرَاجِكُمْ أَنَّهُ قَالَ مَتَّعَهُنَّ مَتَاعًا فِي مَسَاكِنِهِنَّ لَا إِخْرَاجًا وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْإِقَامَةُ فِي مَسَاكِنِهِنَّ . قال الحسن فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ لِذَلِكَ عَلَى سِقُوطِ النَّفْقَةِ وَالسُّكْنَى بِالْخُرُوجِ لِأَنَّهُ إِنَّمَا جَعَلَ لِهِنَّ ذَلِكَ بِالْإِقَامَةِ إِلَى الْحَوْلِ فَإِنْ خَرَجْنَ قَبْلَهُ بَطُلَ الْحَقُّ الَّذِي وَجِبَ بِالْإِقَامَةِ. وإنما احتاج إلى هذا الترخيع من يوجب النفقة للمعتدة عن الوفاة فأما من قال لانفقة لها و لاسكنى فلا يحتاج إلى ذلك و هو مذهبنا لأن المتوفى عنها زوجها لانفقة لها فإن كانت حاملاً أنفق عليها من نصيب ولدها الذى فى بطنها. و قد قدمنا أن الرجل إذا طلق زوجته قبل الدخول بها ما لم يكن عليها منه عدة و كذلك التى لم تبلغ المحيض ومثلها لا تحيض إذا طلقها وحد ذلك مادون تسع السنين لم يكن عليها منه عدة و إن دخل بها وكذلك إن كانت آيسة ومثلها لا تحيض فليس عليها من عدة إذا طلقها إن كانت مدخولا بها والدليل على هاتين المسألتين من القرآن ما ذكرناه من قبل . ويمكن أن يستدل بقوله تعالى وَ إِنِ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ أَلَيْهَ عَلَى أَنْ لَا عِدَّةَ عَلَيْهِ مِنْ لَمْ يَدْخُلَ بِهَا وَ قَدْ صرَّحَ تَعَالَى بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمَنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَّاسُوهُنَّ -قرآن- ١٧٩-٢١٣-قرآن- ٣٠٦-٣٨٣-قرآن- ١١١٣-١١٥٩ [صفحہ ١٧٣] فما لكم عليهن من عدة تعتدونها. فأما من طلق من تحيض حيا مستقيما فعدتها ثلاثة أطهار لقوله تعالى وَ الْمَطْلُوقَاتُ يُتْرِصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَإِنَّمَا أُطْلِقَ سَبْحَانَهُ الْكَلَامَ هَاهُنَا إِطْلَاقًا وَ لَمْ يَقْبَلْ لِأَنَّ الْأَغْلِبَ فِي الْعَادَةِ أَنَّ تَكُونَ الْمَرْأَةُ مُسْتَقِيمَةً الْحَيْضِ وَ مَاسُوِي هَذِهِ الْحَالَةَ يَكُونُ نَادِرًا. و إذا طلقها وهى حامل فعدتها أن تضع حملها لقوله تعالى وَ أَوْلَادُ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعَ عَنْ حَمْلُهُنَّ. والآيسة من المحيض و فى سنها من تحيض و التى لا تحيض و فى سنها من تحيض فعدة كل واحدة منهما إذا كانت حرة ثلاثة أشهر إذا طلقها زوجها و قد بينا حكمها من قبل يدل عليه قوله وَ اللَّائِي يَيْسُنَ مِنَ الْمُحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ أَلَيْهَ. والحررة إذا كانت تحت مملوك فعدتها مثل عدتها إذا كانت تحت حر لا يختلف الحكم فيه

لأن الله تعالى لم يفصل في كتابه بين الحالتين . والأمة إذا كانت تحت حر وطلقها فعدتها قرءان إن كانت ممن تحيض و إن كانت لا تحيض ومثلها تحيض فعدتها خمسة وأربعون يوماً واستدل عليه بعض المفسرين بقوله فَإِذَا أَحْصِنَ فَإِنْ أَتَيْتَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ وَقَالَ هَذَا عَلَى الْعَموم . هذا كله إذا كانت الحرة والأمة مدخولاً بها. والأمة إذا كانت أم ولد وتوفى عنها زوجها فعدتها مثل عدة الحرة و إن قرآن- ١٠١-١٥٨-قرآن-٣٥٣-٤٠٥-قرآن-٥٧٨-٦٤٠-قرآن-٩٤٠-١٠٣١ [صفحہ ١٧٤] كانت مملوكه ليست أم ولد فعدتها شهران وخمسة أيام . والتي لم يدخل بها إدامات عنها الزوج فعدتها أربعة أشهر وعشراً لعموم قوله تعالى وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ويجب على ورثته أن يعطوها المهر كاملاً ويستحب لها أن تترك نصف المهر و إن لم تفعل كان لها المهر كله قرآن-١٣٨-٢٤٣

باب كيفية الطلاق الثلاث وحكم المراجعة والتراجع والعضل

إشاره

قوله تعالى الطَّلَاقُ مَرَّتَيْنِ عَلَى صِحَّةٍ قَوْلِنَا الطَّلَاقُ الثَّلَاثُ لَا يَقَعُ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ فَإِنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَرِدْ بِذَلِكَ الْخَبْرَ لِأَنَّهُ لَوْ أَرَادَهُ لَكَانَ كَذِبًا وَإِنَّمَا أَرَادَ الْأَمْرَ فَكَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ طَلَّقُوهُنَّ مَرَّتَيْنِ وَيَجْرَى مَجْرَى قَوْلِهِ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَتْ آمِنًا وَالْمُرَادُ يَجِبُ أَنْ تُؤْمِنُوهُ وَالْمَرَّتَانِ لَا تَكُونُ إِلَّا وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ وَمَنْ جَمَعَ الطَّلَاقَيْنِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ لَا يَكُونُ مَطْلُوقًا مَرَّتَيْنِ كَمَا أَنَّ مَنْ أَعْطَى دَرَهْمِينَ مَرَّةً وَاحِدَةً لَمْ يَعْطُهَا مَرَّتَيْنِ . فَإِنْ قِيلَ الْعَدَدُ إِذَا ذَكَرَ عَقِيبَ الْأَسْمِ لَمْ يَقْتَضِ التَّفْرِيقَ مِثَالَهُ إِذَا قَالَ لَهُ عَلَى مَائَةِ دَرَهْمٍ مَرَّتَانِ وَإِذَا ذَكَرَ الْعَدَدَ عَقِيبَ فِعْلٍ اقْتَضَى التَّفْرِيقَ مِثَالَهُ إِذَا دَخَلَ الدَّارَ مَرَّتَيْنِ فَاضْرَبَهُ ضَرْبَتَيْنِ وَالْعَدَدُ فِي الْآيَةِ عَقِيبَ اسْمٍ لِأَفْعَلِ . قرآن-١٤-٣٠-قرآن-٢٠٩-٢٣٥ [صفحہ ١٧٥] قلنا قد بينا أن قوله الطَّلَاقُ مَرَّتَيْنِ مَعْنَاهُ طَلَّقُوا مَرَّتَيْنِ وَالْعَدَدُ عَقِيبَ فِعْلٍ لِاسْمٍ صَرِيحٍ . فَإِنْ قِيلَ إِذَا كَانَ الثَّلَاثُ لَا تَقَعُ فَأَيُّ مَعْنَى لِقَوْلِهِ تَعَالَى لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَنْكَ إِذَا خَالَفْتَ السَّنَةَ فِي الطَّلَاقِ وَجَمَعْتَ بَيْنَ الثَّلَاثِ وَتَعَدَيْتَ مَا حُدَّ اللَّهُ تَعَالَى لَمْ تَأْمَنَ أَنْ تَتَوَقَّعَ نَفْسَكَ إِلَى الْمَرَاجَعَةِ فَلَا تَمْكُنُ مِنْهَا. قلنا قوله لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا مَجْمَلٌ غَيْرُ مَبِينٍ فَمَنْ أَيْنَ أَنَّهُ أَرَادَ مَا ذَكَرْتُمْ وَالظَّاهِرُ غَيْرُ دَالٍ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ أَلَّذِي يُحْدِثُهُ اللَّهُ وَالْأَشْبَهُ بِالظَّاهِرِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْأَمْرَ الَّذِي يُحْدِثُهُ اللَّهُ مُتَعَلِّقًا بِقَوْلِهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَيَكُونُ عَذَابُ اللَّهِ قَدْرَ مَا تَعَدَّى نَفْسُهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا فَيُشْبِهُهُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ لَا تَدْرِي مَا يُحْدِثُهُ اللَّهُ مِنْ عِقَابٍ يَعْجَلُهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا عَلَى مَنْ تَعَدَّى حُدُودَهُ وَهَذَا أَشْبَهُهُ مِمَّا ذَكَرْتُمْ وَأَقْلُّ الْأَحْوَالِ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ يَحْتَمِلُهُ فَسَقَطَ تَعَلُّقُهُمْ . وَقِيلَ يَتَعَلَّقُ قَوْلُهُ لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا بِالنَّهْيِ عَنْ إِخْرَاجِهِنَّ مِنْ بَيُوتِهِنَّ لَعَلَّ يَبْدُو لَهُ فِي الْمَرَاجَعَةِ وَهَذَا أَيْضًا يَحْتَمِلُ فَمَنْ أَيْنَ أَنَّ الْمُرَادَ مَا ذَكَرَهُ . قرآن-٢٢-٣٨-قرآن-١٤٧-١٩٧-قرآن-٣٥٣-٤٠٣-قرآن-٥٦٢-٥٩١-قرآن-٦٠٢-٧٢٥-قرآن-٩١٩-٩٥٨

فصل

وأبان سبحانه بقوله الطَّلَاقُ مَرَّتَيْنِ عَدَدَ الطَّلَاقِ لِأَنَّهُ كَانَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ بِغَيْرِ عَدَدٍ قَالَ قَتَادَةُ كَانَ الرَّجُلُ يَطْلُقُ امْرَأَتَهُ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ مَا شَاءَ مِنْ وَاحِدَةٍ إِلَى عَشْرٍ وَيَرَاجِعُهَا فِي الْعِدَّةِ فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى الطَّلَاقُ مَرَّتَيْنِ مَعْنَى طَلَّقْتِنِ . فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ فَيَبِينُ أَنَّ عَدَدَ الطَّلَاقِ ثَلَاثَةٌ فَقَوْلُهُ مَرَّتَيْنِ إِخْبَارٌ عَنْ طَلَّقْتِنِ بِلَا خِلَافٍ وَاخْتَلَفُوا فِي الثَّلَاثِ قرآن-٢٣-٣٩-قرآن-١٩٨-٢١٤-

قرآن-٢٢٩-٢٧١-قرآن-٣٠٥-٣١٢ فقال ابن عباس -روایت-١-٢-روایت-١٩-ادامه دارد [صفحه ١٧٦] أو تَسْرِیحٌ بِإِحْسَانٍ بِالطَّلَاقِ
الثالثة -روایت- از قبل-٣٩ و قال غيره فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ التَّلْطِيقَةُ الثالثة و هو الأقوى . وقيل في
قوله الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا مَقَالُهُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ أَنَّ مَعْنَاهُ الْبَيَانُ عَنِ تَفْصِيلِ الطَّلَاقِ فِي السَّنَةِ وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ طَلَّاقَهَا
يَنْبَغِي أَنْ يَطْلُقَهَا فِي طَهْرٍ لَمْ يَقْرَبْهَا فِيهِ بِجَمَاعٍ تَطْلِيقُهُ وَاحِدَةً ثُمَّ يَتْرُكُهَا حَتَّى تَخْرُجَ مِنَ الْعِدَّةِ . وَالثَّانِي مَقَالُهُ عُرْوَةُ وَقَتَادَةُ أَنَّ مَعْنَاهُ
الْبَيَانُ عَنِ عَدَدِ الطَّلَاقِ الَّذِي يُوجِبُ الْبَيْنُونَةَ مِمَّا لَا يُوجِبُهَا . وَفِي الْآيَةِ بَيَانٌ أَنَّهُ لَيْسَ بَعْدَ التَّطْلِيقَتَيْنِ إِلَّا الْفَرْقَةُ الْبَائِنَةُ وَقَالَ الزَّجَّاجُ فِي
الْآيَةِ حَذَفَ لِأَنَّ التَّقْدِيرَ عَدَدُ الطَّلَاقِ الَّذِي يَمْلِكُ فِيهَا الرَّجْعَةُ مَرَّتَانِ بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِیحٌ بِإِحْسَانٍ وَالْمَرَّتَانِ
هُمَا دَفْعَتَانِ . وَمَعْنَى قَوْلِهِ فَإِمْسَاكٌ أَيْ فَالْوَجِبُ عَلَيْهِ إِمْسَاكُ وَالْإِمْسَاكُ خِلَافُ الْإِطْلَاقِ قَالَ الزَّجَّاجُ ظَاهِرُهُ خَبْرٌ وَمَعْنَاهُ أَمْرٌ كَأَنَّهُ
قَالَ فَلْيَمْسِكْهَا بَعْدَ ذَلِكَ بِمَعْرُوفٍ أَيْ بِمَا يَعْرِفُ بِهِ إِقَامَةَ الْحَقِّ فِي إِمْسَاكِ الْمَرْأَةِ أَوْ تَخْلِيَةَ سَبِيلِهَا بِوَجْهِ حَسَنٍ . وَقَوْلُهُ بِمَعْرُوفٍ
أَيْ عَلَى وَجْهِ جَمِيلٍ سَائِغٍ فِي الشَّرِيعَةِ لَا عَلَى وَجْهِ الْإِضْرَارِ بَعْنٍ . وَقَوْلُهُ أَوْ تَسْرِیحٌ بِإِحْسَانٍ قِيلَ فِيهِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّهَا الطَّلَاقُ
الثالثة -قرآن-١٣-٨٢-قرآن-١٢٨-١٤٤-قرآن-٥٩٢-٦٣٤-قرآن-٦٧١-٦٧٩-قرآن-٨٧٩-٨٨٨-قرآن-٩٥٩-٩٨٠ وروى أن
رجلا- سأل النبي ص فقال الطلاق مرتان فأين الثالثة فأجابه ع أو تسريح يا حسان -روایت-١-٢-روایت-٩-٩٥ . و قال السدي
والضحاك هو ترك المعتدة حتى تبين بانقضاء العدة و هو المروي [صفحة ١٧٧] عن أبي جعفر و أبي عبد الله ع . والتسريح
مأخوذ من السرح و هو الانطلاق . و قد ذكرنا أن أصحابنا استدلوا بهذه الآية على أن الطلاق الثلاث لا تقع بمرة لأنه تعالى قال
الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ثُمَّ ذَكَرَ الثَّلَاثَةَ عَلَى الْخِلَافِ فِي أَنَّهُ قَوْلُهُ أَوْ تَسْرِیحٌ بِإِحْسَانٍ أَوْ قَوْلُهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ . وَ مِنْ طَلَّقَ بِلَفْظٍ
وَاحِدٍ فَلَا يَكُونُ أَتَى بِالْمَرَّتَيْنِ وَلَا بِالثَّلَاثَةِ كَمَا أَنَّهُ لَمَّا أَوْجِبَ فِي اللَّعَانِ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ فَلَوْ أَتَى بِلَفْظٍ وَاحِدٍ لِمَا وَقَعَ مَوْقَعَهُ وَ كَمَا
لُورِمَى بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ فِي الْجِمَارِ دَفْعَةً وَاحِدَةً لَمْ يَكُنْ مُجْزِئًا لَهُ فَكَذَا الطَّلَاقُ وَمَتَى ادَّعَا فِي ذَلِكَ خَبْرًا فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَذْكُرُوهُ
لِتَتَكَلَّمَ عَلَيْهِ . -قرآن-١٧٢-١٨٨-قرآن-٢٣١-٢٥٢-قرآن-٢٦٢-٣٠٢

فصل

أما قوله فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَمَا لَمَعْنَى فِيهِ التَّطْلِيقَةُ الثَّلَاثَةُ عَلَى مَارُورِيٍّ عَنِ أَبِي جَعْفَرٍ وَ بِهِ قَالَ
الضَّحَّاكُ وَالسَّديُّ وَالْجَبَائِيُّ وَالنَّظَّامُ وَغَيْرُهُمْ . وَقَالَ مُجَاهِدٌ هُوَ تَفْسِيرٌ لِقَوْلِهِ أَوْ تَسْرِیحٌ بِإِحْسَانٍ فَإِنَّهُ التَّطْلِيقَةُ الثَّلَاثَةُ وَ هُوَ اخْتِيَارُ
الطَّبْرِيِّ . وَقَوْلُهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا يَعْنِي الزَّوْجَ إِنْ بَانَتْ مِنْهُ بِأَنْ يَخْتَارَ أَنْ يَرِاجِعَهَا فِي الثَّلَاثِ فَلَا تَحِلُّ لَهُ أَيْ فَلَا يَجُوزُ نِكَاحُهَا وَ
لِاجْمَاعِهَا حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ أَيْ حَتَّى تَتَزَوَّجَ زَوْجًا آخَرَ فَيَطُوعُهَا ذَلِكَ الزَّوْجَ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالنِّكَاحِ التَّزْوِيجَ هَاهُنَا الْجَمَاعُ
لِالتَّزْوِيجِ وَ إِنْ كَانَ الْأَصْلُ فِي النِّكَاحِ التَّزْوِيجَ لِأَنَّهُمْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ -قرآن-١١-٨٠-قرآن-٢٢٠-٢٤١-قرآن-٢٩٢-٣٠٥-قرآن-
٣٦٤-٣٧٩-قرآن-٤١٠-٤٣٧ [صفحة ١٧٨] إِنْ تَزَوَّجَتْ وَ لَمْ تَجْمَعْ لَمْ تَحِلَّ لِنِكَاحِ الزَّوْجِ الْأَوَّلِ . وَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ اخْتَلَفُوا فِي
النِّكَاحِ أَصْلُهُ الْجَمَاعُ أَمْ التَّزْوِيجُ وَ عِنْدَ أَكْثَرِ الْكُوفِيِّينَ أَنَّ أَصْلَهُ الْجَمَاعُ وَ تَسْمِيَةُ التَّزْوِيجِ بِهِ كَمَا يَسْمَى الشَّيْءُ بِاسْمِ مَا هُوَ مِنْ سَبَبِهِ .
وَ صِفَةُ الزَّوْجِ الَّذِي تَحِلُّ الْمَرْأَةُ لِلزَّوْجِ الْأَوَّلِ أَنْ يَكُونَ بِالْغَا وَ يَعْقِدُ عَلَيْهَا عَقْدًا صَحِيحًا دَائِمًا وَ يَذُوقُ عَسِيلَتَهَا بِأَنْ يَطَّأَهَا وَ تَذُوقُ
عَسِيلَتِهِ بِلَا خِلَافٍ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ . وَ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا فِي الْعِدَّةِ فَأَمَّا الْعُقُودُ الْفَاسِدَةُ أَوْ عَقُودُ الشَّبَهَةِ فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِلزَّوْجِ
الْأَوَّلِ وَمَتَى وَطَّأَهَا بَعْقِدَ صَحِيحٍ فِي زَمَانٍ يَحْرَمُ فِيهِ وَطُوعُهَا مِثْلَ أَنْ تَكُونَ حَائِضًا أَوْ مُحْرَمَةً أَوْ مَعْتَكِفَةً فَإِنَّهَا تَحِلُّ لِلأَوَّلِ لِأَنَّ الْوَطْءَ
يَدْخُلُ فِي نِكَاحٍ صَحِيحٍ وَإِنَّمَا حَرَّمَ الْوَطْءَ لِأَمْرٍ طَارِئٍ عَلَيْهِ . هَذَا عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَقَالَ مَالِكٌ الْوَطْءُ فِي الْحَيْضِ لَا يَحِلُّ
لِلأَوَّلِ وَ إِنْ وَجِبَ بِهِ الْمَهْرُ كُلُّهُ وَالْعِدَّةُ . ثُمَّ قَالَ تَعَالَى فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ بَيْنَ

سبحانه أن الزوج الثاني إن طلقها فلا حرج على الزوج الأول إذا خرجت هي من عدة الزوج الثاني ورأيا أمارة الخير بينهما وظنا الصلاح لأنفسهما بعد ذلك في التزويج أن يتراجعا بعقد مستأنف . -قرآن- ٧٤٢-٨٢٩ [صفحہ ١٧٩] وموضع أن يتراجعا خفض عند الخليل وتقديره في أن يتراجعا وقال الزجاج موضعه النصب وموضع إن الثانية نصب بلا خلاف يظن وإنما جاز حذف في من أن يتراجعا طولها بالصلة و لو كان مصدرا لم يجز. وقوله تعالى فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْوَطْءَ فِي عَقْدِ الشَّبْهَةِ لَا يَحِلُّ لِلزَّوْجِ الْأَوَّلِ لِأَنَّ الطَّلَاقَ لَا يَلْحَقُ نِكَاحَ الشَّبْهَةِ وَإِنَّمَا جَعَلَ الظَّنَّ شَرْطًا لِأَنَّهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَلَا يَحْصُلُ الْعِلْمُ بِهِ وَمَعْنَاهُ إِنْ عَرَفَا مِنْ أَخْلَاقِهِمَا وَطَرَائِقِهِمَا مَا يَقْوَى فِي ظَنُونِهِمَا أَنَّهُمَا يَقُومَانِ بِحُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى . -قرآن- ٨-٢١-قرآن- ١٥٠-١٦٣-قرآن- ٢١٥-٢٦٥

فصل

وقوله تعالى الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ الْمَرَاجَعَةِ بَعْدَ التَّلْطِيقَةِ الْأُولَى وَقَبْلَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ وَكَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ الْمَرَاجَعَةِ بَعْدَ التَّلْطِيقَةِ الثَّانِيَةِ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارِ رِضَا الْمَرْأَةِ إِذَا لَمْ يَكُنْ خَلْعًا لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ وَهُوَ الْمَرَاجَعَةُ وَلَمْ يَعْتَبَرِ رِضَاهَا. وَالتَّرَاجُعُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا هُوَ أَنْ يَتَعَاقِدَا بَعْدَ الْعِدَّةِ مِنْ مَوْتِ الزَّوْجِ الثَّانِي أَوْ طَلَاقِهِ بِمَهْرٍ جَدِيدٍ وَعَقْدٍ مُسْتَأْنَفٍ وَرِضَاهَا لَا يَدُّ مِنْهَا هَاهُنَا لِأَنَّهُ الْآنَ خَاطِبٌ مِنَ الْخَطَابِ وَهِيَ أَجْنَبِيَّةٌ وَقَدْ أُشِيرَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ أَنْ يَتَرَاجَعَا وَاعْتَبِرْ هَاهُنَا فِي التَّرَاجُعِ فَعَلِيهِمَا وَمَا عَتَبَرُ فِي التَّرَاجُعِ هُنَاكَ بِقَوْلِهِ فَإِمْسَاكٌ لِإِفْعَلِهِ . ثُمَّ قَالَ تَعَالَى وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا لَتَعْتَدُوا وَالْمَعْنَى إِذَا بَلَغْنَ قُرْبَ انْقِضَاءِ -قرآن- ١٦-٥٣-قرآن- ٢٤١-٢٦٠-قرآن- ٣٣٦-٣٨٦-قرآن- ٥٤٩-٥٦٢-قرآن- ٦٣١-٦٣٩-قرآن- ٦٦٦-٨٠٤ [صفحہ ١٨٠] عِدَّتِهِنَّ لِأَنَّ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ لَيْسَ لَهُ إِمْسَاكٌ وَالْإِمْسَاكُ أَيْضًا هَاهُنَا هُوَ الْمَرَاجَعَةُ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ وَبِهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَعَلَى هَذَا يُقَالُ لِمَنْ دَنَا مِنَ الْبَلَدِ فَلَانَ بَلَغَ الْبَلَدَ. وَالْمُرَادُ بِالْمَعْرُوفِ هَاهُنَا الْحَقُّ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ الْعَقْلُ أَوَّلَ الشَّرْعِ لِلْمَعْرِفَةِ بِصِحَّتِهِ خِلَافَ الْمُنْكَرِ الَّذِي يَزْجُرُ عَنْهُ الْعَقْلُ أَوَّلَ السَّمْعِ لِاسْتِحَالَةِ الْمَعْرِفَةِ بِصِحَّتِهِ فَمَا يَجُوزُ الْمَعْرِفَةُ بِصِحَّتِهِ مَعْرُوفٌ وَمَا لَا يَجُوزُ الْمَعْرِفَةُ بِصِحَّتِهِ مُنْكَرٌ وَالْمُرَادُ بِهِ هَاهُنَا أَنْ يُمْسِكَهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَبَاحَ لَهُ مِنَ الْقِيَامِ بِمَا يَجِبُ لَهَا مِنَ النِّفْقَةِ وَحَسَنِ الْعِشْرَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَلَا يَقْصَدُ الْإِضْرَارَ بِهَا.

فصل

وقوله تعالى وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا لَتَعْتَدُوا وَمَعْنَاهُ لَا تَرَاجَعُوهُنَّ لِالرَّغْبَةِ فِيهِنَّ بَلْ لَطَبُ الْإِضْرَارِ بِهِنَّ إِمَّا فِي تَطْوِيلِ الْعِدَّةِ أَوْ طَلَبِ الْمَعَادَاةِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ غَيْرُ جَائِزٍ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْمَضَارَةِ التَّضْيِيقِ عَلَيْهَا فِي الْعِدَّةِ فِي النِّفْقَةِ وَالْمَسْكَنِ كَمَا قَالَ أَسْكِنُوهُنَّ مِمَّنْ حَيْثُ سَاءَ كُنْتُمْ مِمَّنْ وَجَدْتُمْ وَلَا تُضَارَّوهُنَّ لِيُضَيَّقُوا عَلَيْهِنَّ مِمَّنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ أَي الْمَرَاجَعَةُ لِلضَّرَرِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ هَذَا لِإِشَارَةِ إِلَى الْإِمْسَاكِ ضَرَارًا. وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا يَعْنِي مَا ذَكَرَهُ مِنَ الْأَحْكَامِ فِي النِّكَاحِ وَالطَّلَاقِ مِمَّا يَجُوزُ فِيهِ الْمَرَاجَعَةُ وَمَالَهُمْ عَلَى النِّسَاءِ مِنَ التَّرْبِصِ حَتَّى يَفِيثُوا أَوْ يُوَقِعُوهُ مِمَّا لَيْسَ لَهُمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ أَي لَا يَتَرَكَوا الْعَمَلَ بِحُدُودِ اللَّهِ فَيَكُونُوا مَقْصُرِينَ كَمَا يَقُولُ لِلرَّجُلِ الَّذِي لَا يَقُومُ بِمَا يَكْلِفُهُ وَيَتَوَانَى فِيهِ إِنَّمَا أَنْتَ لَاعِبٌ . -قرآن- ١٦-٥٣-قرآن- ٢٥٥-٣٣٩-قرآن- ٣٤٠-٣٥٨-قرآن- ٣٧٧-٣٩٦-قرآن- ٤٢٥-٤٦١ [صفحہ ١٨١] وَرَوَى عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَأَبِي مُوسَى كَانَ الرَّجُلُ يَطْلُقُ أَوْ يَعْتَقُ ثُمَّ يَقُولُ

إنما كنت لاعبا فأعلم الله أن فرائضه لا يجوز اللعب فيها ولذلك قال النبي ص من طلق لاعبا أو أعتق لاعبا فقد جاز عليه -رواية-
١-٢-رواية-٢٥-٦٨ لأن الحاكم يجب عليه الحكم على ظاهر الشرع إذا شهد البيئه. والأولى أن يكون المراد لاستخفوا بآيات
الله وفروضه ولا تتخذوا آيات الله هزوا أى ذات استهزاء بها وهذا يؤكد كأنه قال اعملوا عليها ولا تستهينوا بها.

فصل

ثم قال تعالى وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَابْلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ. قال قتادة والحسن
إن هذه الآية نزلت في معقل بن يسار حين عضل أخته أن ترجع إلى الزوج الأول فإنه كان طلقها وخرجت من العدة ثم أراد أن
يجتمعها بعقد آخر على نكاح آخر فمنعه من ذلك فنزلت الآية فيه و قال السدى نزلت في جابر بن عبد الله عضل بنت عم له .
والوجهان لا يصحان على مذهبن لأن عندنا أنه لا ولاية للأخ و لا لابن العم عليها وإنما هي وليه نفسها فلا تأثير لعضلها والوجه في
ذلك أن تحمل الآية على المطلقين لأنه خطاب لهم بقوله تعالى وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَكَأَنَّهُ قَالَ لا تعضلوهن بأن تراجعوهن عند قرب
انقضاء عدتهن و لا رغبة لكم فيهن وإنما تريدون الإضرار بهن فإن ذلك مما لا يسوغ في الدين والشرع كما قال في الأولى -
قرآن-١٧-١٤٢-قرآن-٦٠٧-٦٣٢ [صفحة ١٨٢] وَلا تُمَسِّكُوهُنَّ مِنْ رَأْسٍ لَنْ تَكُنَّ لَهُنَّ سُلُوكٌ مِنْكُمْ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَكَأَنَّهُ قَالَ لا تعضلوهن لأن بعد انقضاء العدة لا يكون
أزواجهن لأن المعنى فيه من يصير أزواجهن كما أنهم لا بد لهم من ذلك إذا حملوا على الزوج الأول لأن بعد انقضاء العدة لا يكون
زوجا و يكون المراد من كان أزواجهن فما لهم إلا مثل ما عليهم . ويجوز أن يحمل العضل في الآية على الجبر والحيلولة بينهما و
بين التزويج دون ما يتعلق بالولاية لأن العضل هو الحبس والمنع والضيق وهذا الوجه حسن وتقدير أن ينكح من أن ينكح
فمحل أن جر عند الخليل ونصب عند سيبويه . وإنما قال ذلك و لم يقل ذلكم كما تقدم من قوله طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَكَأَنَّهُ قَالَ لا تعضلوهن
أو يأيتها القبيل . يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ وَإِنَّمَا خَصَّ الْمُؤْمِنَ بِالْوَعِظِ لِأَنَّهُ يَنْتَفِعُ بِهِ فَنَسَبَ إِلَيْهِ كَمَا قَالَ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ وَلِأَنَّهُ
أولى بالاعتاظ. -قرآن-١-٣٨-قرآن-٦٦-٨٩-قرآن-٥٤٤-٥٥٢-قرآن-٥٩٧-٦٣٢-قرآن-٦٩٥-٧١٢

فصل

قال الله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَ لَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَذَهُنَّ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ. اختلفوا في معنى
ذلك -قرآن-١٩-١٤٦ [صفحة ١٨٣] فقال الزهري والجبائي وغيرهما هو أن يحبس الرجل المرأة عنده لا حاجة له إليها و ينتظر
موتها حتى يرثها فهي الله عن ذلك و هو المروي عن أبي جعفر ع . و قال الحسن ومجاهد معناه ما كان يعمله أهل الجاهلية من
أن الرجل إذا مات وترك امرأته قال ابنه من غيرها أو وليه ورث امرأته كما ورثت ماله فألقى عليها رداءه أنها امرأته على العقد
الذي كان مع أبيها و لا يعطيها شيئا و إن شاء زوجها وأخذ صداقها روى ذلك أبو الجارود عن الباقر ع قال أبو مجلث ثم كان
هو بالميراث أولى بها من ولي نفسها. أما قوله تعالى وَ لَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَذَهُنَّ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ فِيمَنْ عَنِ بِهَذَا النِّهْيِ أَرْبَعَةٌ
أقوال أحدها قال ابن عباس هو الزوج أمره الله بتخليه سبيلها إذا لم يكن لها فيه حاجة و لا يمسكها إضرارا بها حتى تفتدى ببعض
مالها. الثاني قال الحسن هو الوارث نهى عن منع المرأة من التزويج كما يفعل الجاهلية على ما بيناه. الثالث قال مجاهد المراد الولي
الرابع قال ابن يزيد المطلق يمنعها من التزويج كما كانت قريش تفعل في الجاهلية ينكح الرجل منهم المرأة الشريفة فإذا لم توافقه
فارقها أن لا تتزوج إلا بإذنه ويشهد عليها بذلك و يكتب كتابا فإذا خطبها خاطب فإن أعطته وأرضته أذن لها و إن لم تعطه عضلها

فنهى الله عن ذلك . والأول أظهر الأفاويل والعصل هو التضييق بالمنع من التزويج . -قرآن- ٥١٨-٥٧٢ [صفحة ١٨٤] و قوله تعالى إِنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ قِيلَ فِيهِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا مَا قَالَ الْحَسَنُ أَنَّهُ يَعْنِي بِهِ الزَّوْجَ وَقَالَ إِنَّهُ إِذَا اطَّلَعَ مِنْهَا عَلَى رَيْبَةٍ فَلَهُ أَخْذُ الْفَدْيَةِ الثَّانِي قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ هُوَ النَّشُوزُ وَالْأُولَى حَمَلُ الْآيَةِ عَلَى كُلِّ مَعْصِيَةٍ لِأَنَّ الْعَمُومَ يَقْتَضِي ذَلِكَ وَهُوَ الْمَرْوِيُّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع . وَقَوْلُهُ لَا تَعْصُمُوهُنَّ يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ جُزْأً بِالنِّهْيِ وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ نَصْبًا بِالْعَطْفِ عَلَى أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَهًا وَيُقْرَأُ بِهَذَا التَّقْدِيرِ عَبْدُ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَعْصُمُوهُنَّ بِإِثْبَاتِ أَنْ . وَقِيلَ فِي سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ -قرآن- ١٦-٥٥-قرآن- ٢٩٢-٣٠٦-قرآن- ٣٧٠-٣٩٧- إن أباقيس بن الأسلت لماتت عن زوجها كيشة بنت معن بن عاصم أراد ابنه أن يتزوجها فجاءت إلى النبي ص فقالت يا نبي الله لا أناورثت زوجي ولا أناتركك فأنكح فزلت هذه الآية ذكره أبو جعفر وغيره -رواية- ١-٢-رواية- ٣-٢١٢

فصل

ثم أمر الله سبحانه المؤمنين بأداء حقوقهن التي أوجبها عليهم من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان فقال وَ عَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ أَي خَالطوهن وخالقوهن من العشرة التي هي المصاحبة فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً وَيَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا يعني في إمساكهن على كره منكم خير كثيرا من ولد يرزقكم أو عطفكم عليهن بعد الكراهية والهاء في فيه يحتمل أن - قرآن- ١٠٥-١٣١-قرآن- ١٨٣-٢٧٠ [صفحة ١٨٥] يرجع إلى قوله شيئاً ويحتمل أن يعود إلى الذي تكرهونه . وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجِكُمْ لِمَا عَطَىٰ مِنْ حَيْثُ إِنْ الثَّانِيَةُ تَقُومُ مَقَامَ الْأُولَىٰ فَيَكُونُ لَهَا مَا عَطَاهُ الْأُولَىٰ فَيُبَيِّنُ اللَّهُ إِنْ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ . وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَىٰ وَ آتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا لَيْسَ مَا عَطَيْتُمُوهُنَّ مَوْقُوفًا عَلَى التَّمَسُّكِ بَهْنِ دُونَ تَخْلِيْتِهِنَّ فَيَكُونُ إِذَا أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ جَازٍ لَكُمْ أَخْذَهُ بَلْ هُوَ تَمْلِكُ صَحِيحٌ لَا يَجُوزُ الرَّجُوعُ فِيهِ وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ مَا عَطَىٰ الْمَرْأَةَ مَهْرًا لَهَا وَيَكُونُ دَخَلَ بِهَا فَمَا إِذَا لَمْ يَدْخُلْ بِهَا وَطَلَّقَهَا جَازَ لَهُ أَنْ يَسْتَرْجِعَ نِصْفَ مَا عَطَاها فَمَا مَا عَطَاها عَلَى وَجْهِ الْهَبَةِ فَظَاهِرُ الْآيَةِ يَقْتَضِي أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الرَّجُوعُ فِي شَيْءٍ مِنْهُ لَكِنْ عَلِمْنَا بِالسَّنَةِ أَنَّ ذَلِكَ سَائِغٌ لَهُ وَ لَوْ كَانَ مَكْرُوهًا . وَالْقِنطَارُ الْمَالُ الْكَثِيرُ قِيلَ هُوَ دِيَّةُ الْإِنْسَانِ وَقِيلَ هُوَ مِلَّةٌ جَلْدٌ ثَوْرٌ ذَهَابًا . وَ كَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالَ السُّدِّيُّ وَ ابْنُ زَيْدٍ هَذِهِ الْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ الْآيَةُ وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا مُحْكَمَةٌ لَيْسَتْ مَنْسُوخَةٌ إِذْ لَا يَتَنَافَىٰ حُكْمَا الْآيَتَيْنِ لِأَنَّ الزَّوْجَ يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ الْفَدْيَةَ مِنَ الْمُخْتَلَعَةِ لِأَنَّ النَّشُوزَ فِيهَا هُوَ فِي حُكْمِ الْمَكْرِهِ وَ فِي الْآيَةِ الْآخَرَىٰ الزَّوْجُ مُخْتَارٌ لِلْإِسْتِبْدَالِ فَالْحَاجَةُ إِلَى نَسْخِ إِحْدَاهُمَا بِالْآخَرَى . وَالْإِفْضَاءُ فِي الْآيَةِ كُنَايَةٌ عَنِ الْجَمَاعِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَالسُّدِّيُّ وَقِيلَ إِنَّهُ الْخُلُوعُ وَ إِنْ لَمْ يَجْمَعْ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَسْتَرْجِعَ نِصْفَ الْمَهْرِ مَعَ الْجَمَاعِ وَ مَعَ الدَّخُولِ فِي الثَّيْبِ وَ أَمَّا الْبُكَرُ فَإِنَّ خَلَا بِهَا وَ وَجَدَتْ بِخَاتَمِ رَبِّهَا مِنْ بَعْدِهَا نِصْفَ الْمَهْرِ وَ كَلَّتَا الرَّوَائِطِ رَوَاهُمَا أَصْحَابُنَا وَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَالْأُولَىٰ أَقْوَى -قرآن- ١٧-٢٢-قرآن- ٥٩-١٠٣-قرآن- ٣٧٣-٤٠١-قرآن- ٨٥٨-٩١١- قرآن- ٩٥٧-١٠٠١ [صفحة ١٨٦] لِأَنَّ الْإِفْضَاءَ كُنَايَةٌ عَنِ الْجَمَاعِ . وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ وَ أَخْذَنْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا قِيلَ هَذَا الْمِيثَاقُ قَوْلُهُ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَهُوَ الْمَرْوِيُّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع وَ قَالَ مُجَاهِدٌ هُوَ كَلِمَةُ النِّكَاحِ الَّتِي يَسْتَحِلُّ بِهَا الْفَرْجَ وَ هَذَا الْكَلَامُ وَ إِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ اسْتِفْهَامٌ فَالْمُرَادُ بِهِ التَّهْدِيدُ وَالتَّوْبِيخُ -قرآن- ٤٦-٨٠-قرآن- ١٠٣-١٤٥

باب ما يجب على المرأة في عدتها

نستدل أولاً على أن عدة الحامل وضعها ثم نشرع في ذكره . إن قيل ما حجتكم على أن عدة المطلقة إذا كانت حاملاً هي وضعها الحمل دون الأقراء فإن احتججتم بقوله و أولات الأحمال أجلهن أن يصن عن حملهن عورضتم بعموم قوله و المطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء. الجواب عنه أنه لا خلاف بين العلماء في أن آية وضع الحمل عامة في المطلقة وغيرها وأنها ناسخة لما تقدمها ومما يكشف عن ذلك أن قوله و المطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إنما هو في عدة غير الحامل فإن من استبان حملها لا يقال فيها لا يحل لها أن تكتن ما خلق الله في رحمها وإذا كانت هذه خاصة في غير الحوامل لم يعارض أنه الوضع وهي عامة في كل حامل من مطلقة وغيرها. -قرآن- ١٥٩-٢١١-قرآن- ٢٣٢-٢٨٩-قرآن- ٤٢٦-٥٤٩ [صفحة ١٨٧] وقيل في معنى قوله تعالى ولا يحل لهن أن يكتن ما خلق الله في أرحامهن ثلاثة أقوال أحدها قال ابراهيم الحيز و ثانيها قال قتادة الحبل و ثالثها قال ابن عمر هو الحبل والحيز و به قال الحسن و هو الأقوى لأنه أعم و إنما لم يحل لهن الكتمان لظلم الزوج بمنعه المراجعة في قول ابن عباس و قال قتادة لنسبة الولد إلى غير والده كفعل الجاهلية. ثم شرط بقوله إن كن يؤمن بالله و اليوم الآخر أي من كانت مؤمنة فهذه صفتها لا- أنه يلزم المؤمنة دون غيرها و خرج ذلك مخرج التهديد. ثم قال و بعولتهن أحق بردهن يعني أزواجهن أحق برجعتهن و ذلك يختص الرجعات و إن كان أول الآية عاماً في جميع المطلقات الرجعية و البائنة و يسمى الزوج بعلاً لأنه عال على المرأة بملكه لزوجيتها. و قوله تعالى و لهن مثل الذي عليهن بالمعروف قال الضحاك لهن من حسن العشرة المعروف على أزواجهن مثل ما عليهن من الطاعة فيما أوجبه عليهن لهم و قال ابن عباس لهن على أزواجهن من التصنيع و البر بهن مثل ما لأزواجهن عليهن و قال الطبري على أزواجهن ترك مضارتهن كما أن ذلك عليهن لأزواجهن . ثم قال و للرجال عليهن درجة أي فضيلة منها الطاعة و منها أنه يملك التولية و منها زيادة الميراث على قسم المرأة و الجهاد هذا قول مجاهد و قتادة و قال ابن عباس منزله في الأخذ عليها بالعضل في المعاملة حتى قال ما أحب أن أستوفى منها جميع حتى ليكون لي عليها الفضيلة و الدرجة و المنزلة. و قيل إن في الآية نسخاً لأن التي لم يدخل بها لعدة عليها بلا خلاف إذا طلقت قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات إلى قوله فما لكم -قرآن- ٢٩-٩٣-قرآن- ٣٨٠-٤٢٣-قرآن- ٥٢١-٥٥٤-قرآن- ٧٤٠-٧٨٤-قرآن- ١٠٤٩-١٠٧٩-قرآن- ١٤٣٢-١٤٨٥-قرآن- ١٤٩٧-١٥٠٦ وقيل في معنى قوله تعالى و لا يحل لهن أن يكتن ما خلق الله في أرحامهن ثلاثة أقوال أحدها قال ابراهيم الحيز و ثانيها قال قتادة الحبل و ثالثها قال ابن عمر هو الحبل والحيز و به قال الحسن و هو الأقوى لأنه أعم و إنما لم يحل لهن الكتمان لظلم الزوج بمنعه المراجعة في قول ابن عباس و قال قتادة لنسبة الولد إلى غير والده كفعل الجاهلية. ثم شرط بقوله إن كن يؤمن بالله و اليوم الآخر أي من كانت مؤمنة فهذه صفتها لا- أنه يلزم المؤمنة دون غيرها و خرج ذلك مخرج التهديد. ثم قال و بعولتهن أحق بردهن يعني أزواجهن أحق برجعتهن و ذلك يختص الرجعات و إن كان أول الآية عاماً في جميع المطلقات الرجعية و البائنة و يسمى الزوج بعلاً لأنه عال على المرأة بملكه لزوجيتها. و قوله تعالى و لهن مثل الذي عليهن بالمعروف قال الضحاك لهن من حسن العشرة المعروف على أزواجهن مثل ما عليهن من الطاعة فيما أوجبه عليهن لهم و قال ابن عباس لهن على أزواجهن من التصنيع و البر بهن مثل ما لأزواجهن عليهن و قال الطبري على أزواجهن ترك مضارتهن كما أن ذلك عليهن لأزواجهن . ثم قال و للرجال عليهن درجة أي فضيلة منها الطاعة و منها أنه يملك التولية و منها زيادة الميراث على قسم المرأة و الجهاد هذا قول مجاهد و قتادة و قال ابن عباس منزله في الأخذ عليها بالعضل في المعاملة حتى قال ما أحب أن أستوفى منها جميع حتى ليكون لي عليها الفضيلة و الدرجة و المنزلة. و قيل إن في الآية نسخاً لأن التي لم يدخل بها لعدة عليها بلا خلاف إذا طلقت قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا

نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ إِلَى قَوْلِهِ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا وَلِأَنَّ الْحَامِلَ عِدَّتُهَا وَضَعُ مَا فِي بطنِهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى وَ أَوْلَاتِ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ. -قرآن- ١-٣٤-قرآن-٨٦-١٣٨

فصل

وجاء في التفسير أن الذي حرم على المرأة كتمانها مما خلق الله في رحمها هو الولد و هو أن تكون حبلية فتكتم الحبل لتطلق فتزوج زوجها وتؤثره ونهيت عن ذلك لأمرين أحدهما أنها تلحق الولد بغير والده كما ذكرناه . والثاني أنها تمنع الزوج فسخره في المراجعة لأن عدة الحوامل وضع الحمل فهي أبعد مدى من مدة القراء ويقويه قوله هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ وأنكر أبو علي على ابراهيم قوله إنه المحيض و قال لا يكون إلا الحبل لأن الدم لا يكون حيضاً حتى يخرج من الرحم و إذا خرج فليس في الرحم وأمر الله تعالى أن لا يكتمن ما خلق الله في أرحامهن . و قال محمد بن جرير المراد الحبل والحيض هاهنا و لا معنى لصرف المعنى إلى أحدهما كأن الغرض نهيهن عما يكون سبباً لمنع حق الزوج من مراجعتها في العدة إن أراد و كل واحد منهما كالآخر لأن بوضع الحمل تنقضى العدة كما تنقضى بانقضاء القراء. الثالث قال علي بن عيسى أن كتمت الحبل محبة لفراقه ثم علم به ردها صاغرة عقوبة لما كتمته . و قال عبد الجبار الآية تدل على بقاء الزوجية بعد الطلاق الرجعي مادامت -قرآن- ٣٣١-٣٨٠ [صفحة ١٨٩] في العدة فلهذا سماهم بعولا ولأن للطلاق تأثيراً يزال بالرد ما بقيت العدة. و إن الرجعة تصح من دون الإشهاد وإنما أمر الله فيها بالإشهاد احتياطاً وسنة لأن الرجل كان قد أشهد على طلاقها فإذا راجع قبل انقضاء العدة و لم يشهد فإن أنكرت المرأة المراجعة بعد انقضاء العدة و لم يكن للرجل بينه على المراجعة و كان لها بينه على الطلاق فرق الحاكم بينهما على ظاهر الشرع فالاحتياط هو الإشهاد في المراجعة ويصح من دونه لأنه تعالى جعلها حقاً للبعل . و له أن يراجع بغير رضائها لأنها لأن الله جعله أحق بذلك ويدل الظاهر على أن له الرجعة في كل مطلقه يلزمها العدة و لا يكون تطليقاً ثانياً. و قال تعالى في موضع آخر يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ فَلَمَّا أُمِرَ بِالتَّطْلِيقِ وَأَنْ يَكُونَ بَعْدَ تَحْصِيٍّ بَيْنَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْعِدَّةُ مَا هِيَ فَقَالَ ثَلَاثَةٌ قُرْءٍ وَقَالَ فِي آيَاتٍ أُخْرَى بَيَانَ الْعِدَّةِ كُلِّهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَا . و قد ذكرنا من قبل أنه تعالى إنما قال ثَلَاثَةٌ قُرْءٍ و لم يقل ثَلَاثَةٌ أَقْرَاءٍ عَلَى جَمْعِ الْقَلِيلِ لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ كُلُّ مَطْلُوقَةٍ مُسْتَقِيمَةً الْحَيْضِ عَلَى مَا ذَكَرْنَا يَلْزِمُهَا هَذَا دَخْلُهُ مَعْنَى الْكَثْرَةِ فَاتَى بِنَاءِ الْكَثْرَةِ لِلْإِشْعَارِ بِذَلِكَ فَالْقُرْءُ كَثِيرَةٌ لِأَنَّهَا ثَلَاثَةٌ ثَلَاثَةٌ فِي الْقِسْمَةِ -قرآن- ١٠-٦١٠-٦٩٩-قرآن-٧٨٥-٨٠٠-قرآن-٨٩٣-

٩٠٨

باب ما يكون كالسبب للطلاق

إشارة

و هو على ضربين النشوز والشقاق ولكل واحد منهما حكم دون حكم الآخر. أما النشوز فقد قال الله تعالى وَ إِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً -قرآن- ١٠٤-١٥٩ و هو على ضربين النشوز والشقاق ولكل واحد منهما حكم دون حكم الآخر. أما النشوز فقد قال الله تعالى وَ إِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصَلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ و هو أن يكره الرجل المرأة وتريد المرأة المقام معه وتكره مفارقتها ويريد الرجل طلاقها فتقول له لا تفعل إني أكره أن يشمت بي فكل

ما يلزمك من نفقه وغيرها لى فهو لك وأعطيك أيضا من مالى شيئا معلوما ودعنى على حالتى فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما على هذا الصلح . ومعنى الآية إن امرأة علمت من زوجها كراهة بنفسه عنها إلى غيرها وارتفاعا بها عنها إما لبغضه وإما لكرهية منه شيئا منها إما دمايتها وإما سننها وكبرها أو غير ذلك . أو إعراضا يعنى انصرافا بوجهه أن يبغض منافعه التى كانت لها منه فلا جناح ولا حرج عليهما أن يصطلحا بينهما صلحا بأن تترك المرأة له يومها أو تضع عنه بعض ما يجب لها من نفقه أو كسوة أو غير ذلك تستعطفه بذلك وتستديم المقام فى حباله والتمسك بالعقد الذى بينه وبينها من النكاح . ثم قال تعالى وَ الصِّلْحُ خَيْرٌ ومعناه الصلح بترك بعض الحق استدامة للخدمة وتمسكا بعقد النكاح خير من طلب الفرقة وقال بعض المفسرين الصلح خير من النشوز والإعراض والأول أشبه . هذا إذا كان بطيئة من نفسها فإن لم يكن كذلك فلا يجوز له إلا ما يسوغ فى الشرع من القيام بالكسوة والنفقة والقسمة والإطلاق ونحو هذه الجملة روى مخالفا عن على ع وعن عمر و ابن عباس وعائشة و ابن جبير وجماعة . -قرآن- ١-٦٨-قرآن-٥٠٣-٥١٤-قرآن-٥٧٣-٥٨٣-قرآن-٨٠٦-٨٢١ [صفحة ١٩١] وقال ابن عباس خشيت سودة بنت زمعة أن يطلقها رسول الله ص قالت لا تطلقني وأجلسنى مع نساءك ولا تقسم لى فنزلت وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-١٧٦ قال أبو جعفر ع هى بنت محمد بن مسلمة فتزوج عليها شابة فأثر الشابة عليها فأبت الأولى أن تقر على ذلك فطلقها تطليقة حتى إذ بقى من أجلها يسيرا قال إن شئت راجعتك وصبرت على الأثرة وإن شئت تركتك حتى يخلو أجلك ثم طلقها الثانية وفعل بهامثل ما فعله أولا فقالت راجعنى وأصبر على الأثرة فراجعها فذلك الصلح الذى بلغنا أنزل الله فيه وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-٣٩٠ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسَ الشَّحَّ أَى أَحْضِرَتِ أَنْفُسَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ الشَّحَّ بِحَقِّهِ قَبْلَ صَاحِبِهِ فَشَحَّ الْمَرْأَةُ بِتَرْكِ حَقِّهَا مِنَ النِّفْقَةِ وَالْكَسْوَةِ وَالْقِسْمَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَشَحَّ الرَّجُلُ إِنْفَاقَهُ عَلَى التِّى لَا يَرِيدُهَا . وَ إِن قِيلَ وَ إِن امْرَأَةً لَيْسَ فِيهَا أَنَّ الرَّجُلَ نَشَزَ عَلَى امْرَأَةٍ وَالْخَوْفُ لَيْسَ مَعَهُ يَقِينٌ . قَلْنَا عَنْهُ جَوَابَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّ الْخَوْفَ فِي الْآيَةِ بِمَعْنَى الْعِلْمِ تَقْدِيرُهُ وَ إِن امْرَأَةً عَلِمَتْ . وَالثَّانِي أَنَّهَا لَا تَخَافُ النَّشُوزَ مِنَ الرَّجُلِ إِلَّا وَ قَدَبَدَا مِنْهُ مَا يَدُلُّ عَلَى النَّشُوزِ وَالْإِعْرَاضِ مِنْ أَمَارَاتِ ذَلِكَ . ثُمَّ نَفَى اللَّهُ أَنَّ يَقْدِرَ أَحَدٌ عَلَى التَّسْوِيَةِ بَيْنَ النِّسَاءِ فِي حَبْنٍ لِأَنَّ ذَلِكَ تَابِعٌ لِمَا فِيهِ مِنَ الشَّهْوَةِ وَمِيلِ الطَّبَعِ وَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ وَ لَيْسَ بِذَلِكَ نَفَى الْقُدْرَةَ عَلَى التَّسْوِيَةِ وَالنِّفْقَةَ وَالْكَسْوَةَ . -قرآن- ١-٢٩ [صفحة ١٩٢] ثُمَّ قَالَ وَ إِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كَلَّمَا مِنْ سَعْيَتِهِمَا يَعْنِي أَنَّ الزَّوْجَيْنِ اللَّذَيْنِ تَقْدِمُ ذَكَرَهُمَا مَتَى أَبِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَصَالِحُهُ الْآخَرُ بِأَنَّ تَطَالِبَ الْمَرْأَةِ نَصِيحَتَهَا مِنَ النِّفْقَةِ وَالْقِسْمَةِ وَحَسَنَ الْعِشْرَةِ وَيَمْتَنِعُ الزَّوْجُ مِنْ إِجَابَتِهَا إِلَى ذَلِكَ لِمِيلِهِ إِلَى الْآخَرِ وَيَتَفَرَّقَا حَيْثُذُ بِالطَّلَاقِ فَإِنَّ اللَّهَ يُغْنِي كُلَّ وَاحِدٍ بِفَضْلِهِ . -قرآن- ١٠-٥٨

فصل

ثم قال تعالى الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ أَى إِنَّهُمْ يَقُومُونَ بِأَمْرِهِنَّ وَبِتَأْدِيَتِهِنَّ فَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الرَّجُلِ أَنْ يَدْبُرَ أَمْرَ الْمَرْأَةِ وَأَنْ يَنْفِقَ عَلَيْهَا لِأَنَّ فَضْلَهُ وَإِنْفَاقَهُ مَعًا عِلَّةٌ لِكُونِهِ قَائِمًا عَلَيْهَا مُسْتَحَقًّا لَطَاعَتِهَا فَالْمَصَالِحَاتُ مَطِيعَاتٌ لِلَّهِ وَالْأَزْوَاجُ حَافِظَاتٌ لِمَا غَابَ عَنْهُنَّ مِنْ مَالِهِ وَ مَا يَجِبُ مِنْ رِعَايَتِهِ وَحَالِهِ وَ مَا يَلْزَمُ مِنْ صِيَانَتِهَا نَفْسَهَا لِلَّهِ . وَ اللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ النَّشُوزُ هَاهُنَا مَعْصِيَةُ الزَّوْجِ وَأَصْلُهُ الرِّفْعُ عَلَى الزَّوْجِ مِنْ قَوْلِهِمْ هُوَ عَلَى نَشْزٍ مِنَ الْأَرْضِ أَى ارْتِفَاعٍ وَالنَّشُوزُ يَكُونُ مِنْ قَبْلِ الْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا خَاصَّةً وَالشَّقَاقُ بَيْنَهُمَا . فَعِظُوهُنَّ فَإِنْ رَجَعْنَ وَ إِذَا هَجَرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ -قرآن- ١٧-٨٩-قرآن- ٣٩٥-٤٢٨-قرآن-٥٨٣-٥٩٣ و عن الباقع هجر المضاجعة هو أن يحول ظهره إليها -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٥٥ و قال ابن جبير هو هجر الجماع و قال بعضهم هجره هجره أى الهجر بالهجر أى الحبل و هذا تعسف فى التأويل ويضعفه قوله فى

المضاجع ولا يكون الرباط في المضاجع. فأما الضرب فإنه غير مبرح بلا خلاف -قرآن- ١١٧-١٣٠ قال أبو جعفر ع هو -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-أدومه دارد [صفحة ١٩٣] بالسواك -رواية- از قبل- ١١-فإن أظعنكم فلا تطلبوا العلل في ضربهن وسوء معاشرتهن . ثم قال وَ إِن خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا وَيَجْعَلُ الْأَمْرَ إِلَيْهِمَا عَلَى مَا يُرِيدَانِ مِنَ الصَّلَاحِ فَإِن رَأَى مِنَ الصَّلَاحِ الْجَمْعَ بَيْنَهُمَا جَمْعًا وَ لَمْ يَسْتَأْذِنَا وَ لَمْ يَكُنْ لِهَٰمَا مَخَالَفَتُهُمَا وَ إِن رَأَى مِنَ الصَّلَاحِ التَّفْرِيقَ بَيْنَهُمَا لَمْ يَفْرَقَا حَتَّى يَسْتَأْذِنَا فَإِن اسْتَأْذَنَاهُمَا وَ رَضِيَ بِالطَّلَاقِ فَرَقَا بَيْنَهُمَا وَ إِن رَأَى أَحَدَ الْحَكَمِينَ التَّفْرِيقَ وَ الْآخَرَ الْجَمْعَ لَمْ يَكُنْ لَذَٰكَ حَكْمٌ حَتَّى يَصْطَلِحَا عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ إِمَّا جَمْعًا وَ إِمَّا تَفْرِيقًا وَمَعْنَى الْآيَةِ أَي إِن عَلِمْتُمْ وَالْأُولَى وَالْأَصْحَحُ أَنَّ يَحْمَلُ عَلَى خِلَافِ الْأَمْنِ لِأَنَّهُ لَوْ عَلِمَ الشَّقَاقَ يَقِينًا لَمْ يَحْتَجْ إِلَى الْحَكَمِينَ فَإِن أُرِيدَ بِهِ الظن كان قريبا مما قلناه . والشقاق الخلاف والعداوة والحكم السلطان الذي يترافعان إليه قاله جماعة و قال قوم هنا و كيلان و عندنا أنهما حكمان والضمير في بينهما عائد إلى الحكمين أي إذا أرادوا إصلاحا في أمر الزوجين يوفق الله بينهما قاله ابن عباس و ابن جبير -قرآن- ١-١٦-قرآن- ٦٩-١٥٢

باب ما يؤثر في أنواع الطلاق

و هو أيضا على ضربين الخلع والمباراة وهما يؤثران في كيفية الطلاق فإن كل واحد منهما متى حصل مع الطلاق كانت التولية بائنة. أما الخلع فإنه يكون من جهة المرأة خاصة ويجب إذا قالت المرأة لزوجها [صفحة ١٩٤] إن لم تطلقني لأوطن فراشك من تكرهه فمتى سمع منها هذا القول أو علم هذا من حالها و إن لم تنطق به وجب عليه خلعها و قد سمي الله تعالى في كتابه الخلع افتداء فقال فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ وَالْفِدْيَةُ الْعَوْضُ الَّذِي تَبْذُلُهُ الْمَرْأَةُ لِرُجُوعِهَا تَفْتَدِي نَفْسَهَا مِنْهُ بِهِ وَ هَذَا هُوَ الْخُلْعُ فِي الشَّرْعِ وَإِنَّمَا اسْتَعْمَلَ هَذَا فِي الزَّوْجَيْنِ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِبَاسِ لِسَابِهَا . وَالْأَصْلُ فِي الْخُلْعِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ قَالَ تَعَالَى وَ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ الْآيَةُ. فإذا أراد خلعها اقترح عليها شيئا معلوما تعطيه سواء كان ذلك مثل المهر الذي أعطاها أو أكثر منه أو أنقص حسبما يختاره أي ذلك فعل جاز وحل له ما يأخذ منها فإذا تقرر بينهما على شيء معلوم طلقها بعد ذلك وتكون توطئته بائنة لا يملك رجعتها إلا أن ترجع المرأة فيما بذلته من مالها قبل العدة فإن رجعت في شيء من ذلك في العدة كان له الرجوع أيضا في بعضها ما لم تخرج من العدة فإذا خرجت من العدة لم يلتفت إليها إذا رجعت فيما بذلته و لم يكن عليها أيضا رجعة فإن أراد كان بعقد جديد. أما قوله تعالى وَ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَي إِلَّا أَنْ يظننا و من ضم الياء من يخافا فتقديره أن لا يخافا على أن لا يقيما حدود الله و قال أبو على الفارسي خاف يتعدى إلى مفعول واحد و ذلك المفعول يكون تارة أن وصلتها وتارة غيرها و لا يلزم همزة سؤال من قال ينبغي -قرآن- ١٧٣-٢١٣-قرآن- ٤١١-٥١٥-قرآن- ١٠٢١-١٠٩٦ [صفحة ١٩٥] أن يكون فإن خيفا وكذا لا يلزم من خالفه لم لم يقل فإن خافا لأمرين أحدهما أن يكون الصرف من الغيبة إلى الخطاب كما قال الحمد لله ثم قال إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَقَالَ مَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ وَالْآخِرُ يَكُونُ الْخُطَابُ فِي قَوْلِهِ فَإِن خِفْتُمْ مَصْرُوفًا إِلَى الْوَلَاةِ وَالْفُقَهَاءُ الَّذِينَ يَقُومُونَ بِأُمُورِ الْكُفَّةِ. فَإِن قِيلَ كَيْفَ قَالَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنَّمَا الْإِبَاحَةُ لِأَخْذِ الْفِدْيَةِ. قِيلَ لِأَنَّهُ لَوْ خَصَّ بِالذِّكْرِ لِأَوْهَمَ أَنَّهَا عَاصِيَةٌ فَإِن كَانَتِ الْفِدْيَةُ لَهُ جَائِزَةً فَبَيْنَ الْإِذْنِ لَهُمَا لِثَلَاثِ يَوْهَمَ أَنَّهُ كَالرَّبَا الْمَحْرَمِ عَلَى الْأَخْذِ وَالْمَعْطَى. وَذَكَرَ الْفَرَاءُ أَنَّهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْثُ وَ الْمَرْجَانُ وَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الْمَلْحِ دُونَ الْعَذْبِ مَجَازٌ لِلتَّسَاعِ وَ هَذَا هُوَ الَّذِي يَلِيقُ بِمَذْهَبِنَا لِأَنَّ الَّذِي يَبِيحُ الْخُلْعَ عِنْدَنَا هُوَ الْمَالِ الْوَلَاةُ لَكَانَتِ الْمَرْأَةُ بِهِ عَاصِيَةً فَهِيَ اشْتَرَاكَ فِي أَنْ لَا يَكُونُ عَلَيْهِمَا جُنَاحٌ إِذَا كَانَتِ تَعطى مَا قَدِيفَى عَنِ الزَّوْجِ فِيهِ الْإِثْمُ فَاشْتَرَاكَ فِيهِ لِأَنَّهَا إِذَا عَطَتْ مَا يَطْرَحُ الْإِثْمَ احْتَاكَتْ هِيَ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ أَي إِنَّهَا نَفَتْ عَنِ نَفْسِهَا الْإِثْمَ بِأَنَّهَا افْتَدَتْ لِأَنَّهَا لَوْ أَقَامَتِ عَلَى النِّشُوزِ

والإضرار لأثمت و كان عليها فى النشوز جناح فخرجت عنه بالافتداء. و أما المبارءة فهى أن تكون الكراهية من جهة الرجل والمرأة معا من كل واحد منهما لصاحبه و لم يختص ذلك واحد منهما فمتى عرفنا ذلك من حالهما أوقالت المرأة لزوجها أنا أكره المقام معك و أنت تكره المقام معى أيضا فبارينى أو يقول الرجل مثل ذلك على أن تعطينى كيت و كيت و يكون ذلك دون المهر -قرآن- ١٢٦-١٣٩-قرآن- ١٤٩-١٦٣-قرآن- ١٧١-٢٤٤-قرآن- ٢٧٥-٢٨٦-قرآن- ٣٦١-٣٨١-قرآن- ٥٧٤-٦١٢] صفحہ ١٩٦ [فإذا بذلته ذلك من نفسها طلقها حينئذ تطليقة و تكون بانه على ما ذكرناه لأن المبارءة ضرب من الخلع والفرق بينهما ما ذكرناه والآية تدل عليهما. والخلع بالفدية على ثلاثة أوجه أحدها أن تكون المرأة عجزا ودميمة فيضارها لتفتدى به نفسها فهذا لا يحل له الفداء لقوله وَ إِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجِ الْآيَةِ. الثاني أن يرى الرجل امرأته على فاحشة فيضارها لتفتدى فى خلعه فهذا يجوز و هو معنى قوله وَ لَا تَعْضُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضٍ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ. الوجه الثالث أن يخاف ألا يقيما حدود الله لسوء خلق أو قلة نفقة من غير ظلم أو نحو ذلك فتجوز الفدية خلعاً كان أو مبارءة على ما فصلناه -قرآن- ٢٦٩-٣١٣-قرآن- ٤١١-٥٠٦

باب ما يلحق بالطلاق

إشارة

و هو أيضا على ضربين يوجب التحريم و إن لم تقع الفرقة و ضرب يوجب البينونة مثل الطلاق فالقسم الأول الظهار والإيلاء و القسم الثانى اللعان والارتداد ونحن نفرده لكل واحد منهما فصلا مفردا إن شاء الله تعالى

فصل فى الظهار

قال الله تعالى الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ -قرآن- ١٩-٩٥ قال الله تعالى الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَمَدْنَهُمْ هذه الآية نزلت فى خولة بنت ثعلبة و زوجها أوس أخو عبادة بن الصامت فى قول قتادة و كان مجادلته إياه مراجعتها فى أمر زوجها و كان ظاهر منها وهى تقول كبرت سننى و دق عظمى و إن أوسا تزوجنى و أنا شابة غنية فلما علت سننى ظاهر منى و رسول الله ص ساكت لا يجيبها لأنه لم يكن نزل عليه و حى فى ذلك و لاحكم ثم قالت إلى الله أشكو حالى فى صبية إن ضممتهم إلى جاعوا و إن ضمهم إليه ضاعوا فعادت النبى ع فسألته رخصة. إن قيل لم قال وَ اللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُما بعد قوله قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ. قلنا ليس ذلك تكريرا لأن أحد المسموعين غير الآخر والأول ما حكته عن زوجها من الظهار والثانى ما كان يجرى بينهما و بين النبى ع من الكلام فى ذلك . قال ابن عباس هو أول من ظاهر فى الإسلام فكان الرجل فى الجاهلية إذا قال لامرأته أنت على كظهر أمى حرمت عليه كما هو فى الإسلام فأنزل الله فى قصة الظهار الآيات و لاختلاف أن الحكم عام فى جميع من يظاهر و إن نزلت الآية فى سبب . و قال صاحب النظم إن بعض المفسرين قال ليس قولهم أنت على كظهر أمى مأخوذا من الظهر الذى هو العضو لأنه لو كان من ذلك لكان البطن أولى به من الظهر بل إنما هو من قولهم ظهر على كذا إذا ملكه و كما -قرآن- ١-٢٧-قرآن- ٤٧٠-٤٩٩-قرآن- ٥١٠-٥٥١] صفحہ ١٩٨ [يقولون نزل عنها إذا طلقها يقولون ظهر عليها إذا ملكها وعلاها بالزوجة و ملك النكاح فكأنه قال ملكى إياك حرام على

كما أن ملكها على حرام . و كان أهل الجاهلية إذا قال الرجل منهم لامرأته أنت على كظهر أمي بانت منه وطلقت و في شريعة الإسلام لا تبين المرأة إلا- أنه لا يجوز له وطؤها بل يحرم . و هو ينقسم إلى قسمين قسم يجب فيه الكفارة قبل الواقعة و هو أنه إذا تلفظ بالظهار و لا يعلقه بشرط أو علقه بشرط غير الوطى ثم حصل ذلك الشرط . والقسم الثاني أن يقول أنت على كظهر أمي إن واقعتك فإنه لا تجب الكفارة هنا عليه إلا بعد الواقعة . والظهار لا يقع إلا على المدخول بها وشروطه ك شروط الطلاق سواء من كون المرأة في طهر لم يقربها فيه بجماع و يكون بمحضر شاهدين ويقصد التحريم و لا يكون على الغضب و لا على الإيجاب فإن اختلف شيء من ذلك لم يقع بهظهار . ومعنى قوله العذير يظاهرون منكم من نسائهم أي الذين يقولون لنسائهم أنتن على كظهر أمي ومعناه إن ظهر كمن على حرام كظهر أمي فقال الله ما هن أمهاتهم أي ليست أزواجهن أمهاتهم على الحقيقة و ليس أمهاتهم على الحقيقة إلا اللاتي ولدنهم من الأم وجداته و إلا اللاتي أرضعنهم . -قرآن- ٧٨٠-٨٢٠-قرآن- ٩١٨-٩٣٦ [صفحة ١٩٩] ثم أخبر أن القائل لهذا يقول منكرا قبيحا وكذبا . ثم قال و الذين يظاهرون من نسائهم يعني الذين يقولون هذا القول الذي حكيناه ثم يعودون لما قالوا اختلفوا في معنى العود فقال طواوس الذين كانوا يظاهرون في الجاهلية ثم عادوا في الإسلام إلى مثل ذلك فظاهروا و قال قتادة العود هو العزم على عودها و قال قوم فيه تقديم وتأخير وتقديره والذين يظاهرون من نسائهم فتحرير رقبته من قبل أن يتماسا فإن لم يجد فصيام شهرين فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ثم يعودون لما قالوا و قال آخرون معناه ثم يعودون لنقض ما قالوا . و الذي هو مذهبنا أن العود المراد به الوطء أو بعض القول فالذي قاله فإنه لا يجوز له الوطء إلا بعد الكفارة إذا كان الظهار مطلقا . وجعل الأخص لما قالوا من صلة فتحرير رقبته فالمعنى الذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون فتحرير رقبته أي عليهم تحرير رقبته لما قالوا يعني لأجل ما قالوا وهذا أيضا حسن . و قال أحمد بن يحيى معناه الذين يعودون لتحليل ما حرموه فقد عادوا فيه و هو في موضعه لاحاجة إلى تقديم وتأخير . والأقويل كلها متقاربة لأن من عزم على غشيانها فقد عاد . ثم بين تعالى كيفية الكفارة فقال فتحرير رقبته فإن أول ما يلزمه من الكفارة عتق رقبته والتحرير هو أن يجعل الرقبة المملوكة حرة بالعتق بأن يقول المالك إنه حر . والرقبة ينبغي أن تكون مؤمنة أو في حكم المؤمن سواء كان ذكرا أو أنثى صغيرة أو كبيرة إذا كانت صحيحة الأعضاء فإن الإجماع واقع على أنه يقع الإجزاء بها . -قرآن- ٥٨-٩٤-قرآن- ١٣٨-١٦٤-قرآن- ٦٧٧-٦٨٧-قرآن- ٦٩٥-٧١٣-قرآن- ١٠٤٧-١٠٦٥ [صفحة ٢٠٠] وتحرير الرقبة واجب في الظهار المطلق قبل المجامعة أو في المشروط بغير الوطى كأن يقول إن فعلت كذا فأنت على كظهر أمي فإذا فعله وجب عليه الكفارة أيضا قبل الوطى لقوله فتحرير رقبته من قبل أن يتماسا أي من قبل أن يجامعها فيما ساء و هو قول ابن عباس و قال الحسن يكره للمظاهر أن يقبل و الذي يقتضيه الظاهر أن لا يقربها بجماع و لا بمماسه شهوة . فمن لم يجد الرقبة وعجز عنها فصيام شهرين متتابعين والتتابع عند العلماء أن يوالى بين أيام الشهرين الهلالين أو يصوم ستين يوما إن بدأ من نصف شهر ونحوه لا يفطر بينهما فإن أفطر بعد أن صام شهرا و من الثاني بعضه و لو يوما فقد أخطأ إلا أنه يبنى فإن أفطر قبله لعذر بنى أيضا و إن أفطر من غير عذر استأنف . فمن لم يقدر على الصوم فإطعام ستين مسكينا يعطى عندنا لكل مسكين نصف صاع فإن لم يقدر أعطاه مدا . و قال بعض المفسرين التحرير واجب قبل المجامعة لنص القرآن في الظهار المطلق و لم يذكر الله في الطعام ولكن أجمعت الأمة على أنه قبل التماس ويمكن أن يقال إن الآية تدل على جميع ذلك لأن الثاني ها هنا بدل من الأول والثالث من الثاني . ومتى نوى بلفظ الظهار الطلاق لم يقع به طلاق . والإطعام لا يجوز إلا للمسكين

-قرآن- ١٧٥-٢١٨-قرآن- ٣٦٣-٣٧٧-قرآن- ٣٩٤-٤٢٤-قرآن- ٧٠٥-٧٣١

قال الله تعالى لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُ فَإِنَّ اللَّهَ -قرآن- ١٩-١٠٢ قال الله تعالى لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. اعلم أن الإيلاء لا يقع إلا بعد الدخول بها ومتى آلى بغير اسم الله أو حلف بالطلاق أو ما أشبهه أن لا يطأها فليطأها وليس عليه كفارة. ولا خلاف بين أهل التأويل أن معنى يؤلون يحلفون والإيلاء في الآية الحلف على اعتزال النساء وترك جماعهن على وجه الإضرار بهن وكأنه قيل للذين يؤلون أن يعتزلوا النساء تربص أربعة أشهر. فإذا حلف الرجل أن لا يجامع زوجته كانت المرأة بالخيار إن شاءت صبرت عليه أبداً وإن شاءت خاصمته إلى الحاكم فإن استعدت عليه أنظره الحاكم بعد رفعها إليه أربعة أشهر ليرتثي في أمرها فإن كفر وراجع والإخيره الحاكم بعد ذلك بين أن يكفر ويعود أو يطلق فإن أقام على الإضرار بها حبسه الحاكم وضيقت عليه في المطعم والمشرب حتى يفىء إلى أمر الله فيكفر ويرجع أو يطلق. واليمين التي يكون بها الرجل مولياً هي اليمين بالله أو بشيء من صفاته التي لا يشركه فيها غيره على وجه لا يقع موقع اللغو الذي لا فائدة فيه وهو المروى عن علي ع وقال جماعة هو في الجماع وغيره من الإضرار نحو الحلف أن لا يكلمها. وقوله حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ أَي حَتَّى يَرْجِعَ مِنَ الْخَطِإِ إِلَى الصَّوَابِ. فإن قيل ما الذي يكون به المولى فائلاً. قيل عندنا يكون فائلاً بأن يجامع و به قال ابن عباس وقال الحسن يكون فائلاً بالعزم في حال القدرة إلا أنه ينبغي أن يشهد عليه فيه وهذا عندنا يكون للمضطر الذي لا يقدر على الجماع. ويجب عندنا على الفائي كفارة و به قال ابن عباس وجماعة ولا عقبه -قرآن- ١-٧١-قرآن- ١٠٢٣-١٠٥٤ [صفحة ٢٠٢] عليه وهو المروى عنهما ع وقال الحسن لا كفارة عليه لقوله تعالى فَإِنْ فَاءُ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِيهِ أَنْ يَتَّبِعَهُ بِكَفَّارَةٍ. ومتى حلف أنه لا يجامع أقل من أربعة أشهر لا يكون مولياً لأن الإيلاء على أربعة أشهر أو أكثر ولا يجوز له وطؤها في تلك المدة وإن لم يجب عليه أحكام الإيلاء الأخر. ومتى حلف أنه لا يقربها وهي مرضعة خوفاً من أن تحبل فيضرب ذلك بولدها لا يلزمه حكم الإيلاء على ما ذكرناه آنفاً. ويجوز أن يكون في الآية تقديم وتأخير ويكون تقديره للذين يؤلون تربص أربعة أشهر من نسائهم ويجوز أن يكون معناه للذين يؤلون من أجل نسائهم. والفقهاء جعلوا من متعلقه بالإيلاء حتى إذا استعملوها معه قالوا آلى من امرأته إذا حلف الحلف الموصوف وقال أبو مسلم هي متعلقه باللام في الَّذِينَ يُؤْلُونَ كما يقولون لك منى النصره والمعونه والصحيح أن الإيلاء يستغنى عن من والمعروف آلى عن امرأته والأحسن من هذا كله أن يكون من هاهنا للتبويض أى من آلى من جملته نسائه على واحدة أو على بعضهن أو على جميعهن وقال النحويون اللام يفيد الاستحقاق كما يقول اللعن للكفار. وقوله من نِسَائِهِمْ تَعَلَّقَ بِالظَرْفِ كما يقول لك منى نصره ولك منى معونه أى للمولين من نسائهم تربص أربعة أشهر وليس من يتعلق يؤلون لأن اللغه يحكم أن يقال آلى على امرأته وقول القائل آلى فلان من امرأته وهم إنما توهمه من هذه الآية لما سمع الله تعالى يقول لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ أَنْ مَنْ -قرآن- ٦٩-١٠٨-قرآن- ٧١٢-٧٢٩-قرآن- ١٠١٣-١٠٢٥-قرآن- ١٢٨٠-١٣١١ [صفحة ٢٠٣] يتعلق بيؤلون ففكرروا في كتاب الإيلاء آلى من امرأته والصواب ما ذكرته

فصل في اللعان

قال الله تعالى وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ. إذا قذف الرجل امرأته بالفجور وادعى أنه رأى معها رجلاً يفجر بهامشاهدة و لم يقيم به أربعة من الشهود كان عليه ملاعنتها وكذلك إذا انتفى من ولد زوجته له في حباله أو بعد فراقها مدة الحمل ومعنى الآية أن من رمى زوجته بالزنا تلعنا إذا لم تكن صماء أو خرساء إذا لم يكن له شهود أربعة. والملاعنة أن يبدأ الرجل فيحلف بالله أنه صادق فيما رماها به ويحتاج أن يقول أشهد

بالله إنى لصادق لأن شهادته أربع مرات تقوم مقام أربعة شهود فى دفع الحد عنه ثم يشهد الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فيما رماها به و إذا جحدت المرأة ذلك شهدت أربع شهادات إنه لمن الكاذبين فيما رماها به وتشهد الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين . ثم يفرق بينهما ولا يجتمعان أبدا كما فرق رسول الله ص بين هلال بن أمية وزوجته وقضى أن الولد لها ولا يدعى لأب ولا ترمى هى ولا يرمى ولدها. و عند أصحابنا أنه لا لعان بينهما ما لم يدخل بها واللعان عندنا يحصل بتمام اللعان من غير حكم الحاكم وتمام اللعان إنما يكون إذا تلاحن الرجل والمرأة جميعا على ما ذكرنا -قرآن- ١٩-١٦٨ [صفحہ ٢٠٤]

فصل فى الارتداد

قال الله تعالى وَ مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَ هُوَ كَافِرٌ وَ قَالَ سَبْحَانَهُ وَ لَا- تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ. استدل بعض المفسرين بمجموع الآيتين على أن المرتد عن الإسلام تبين عنه امرأته لعموم الآيتين . وعندنا أن المرتد على ضريرين فإن كان مسلما ولد على فطرة الإسلام فقد بانت منه امرأته فى الحال وقسم ماله بين ورثته ووجب عليه القتل من غير أن يستتاب وتعد زوجته عدة المتوفى عنها زوجها. و إن كان المرتد ممن كان أسلم عن كفر ثم ارتد استتيب فإن عاد كان عقد زوجته ثابتا و إن لم يرجع كان عليه القتل و إن هرب إلى دار الحرب تعدت زوجته ثلاثه أشهر. والأولى أن نقول إن هذا الحكم يعلم بالسنة قال الله تعالى وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ قَالَ تَعَالَى مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ هُتَدَلِ الْآيَاتُ عَلَيْهِ جَمَلَةٌ أَوْ مِنْ فَحْوَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْآيَاتِينَ -قرآن- ١٩-٧٥-قرآن- ٩٠-١٣٠-قرآن- ٦٥٥-٧٢٠-قرآن- ٧٣٥-٧٦٤

باب الزيادات

إشارة

إنما خص الله المؤمنات فى قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمْ -قرآن- ٤١-٨٢ إنما خص الله المؤمنات فى قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ لثَلَاثًا يَنْكِحُ الْمُؤْمِنُونَ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنَةٍ عَفِيفَةٍ -قرآن- ١-١٢ كما قال ع تخيروا لنطفكم -رواية- ٢-١-رواية- ١٥-٣٠ فيجب أن يتنزه عن مزاجه الفواسق والفواجر والكوافر. وفائدة ثم فى قوله ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ فَيُتَوَهَّمُ عَمَّنْ عَسَى تَفَاوَتِ الْحُكْمِ بَيْنَ أَنْ يُطَلِّقَهَا وَهِيَ قَرِيبَةُ الْعَهْدِ مِنَ النِّكَاحِ وَبَيْنَ أَنْ يُبْعَدَ عَهْدُهَا مِنَ النِّكَاحِ وَيَتْرَاخَى بِهَا الْمَدَّةُ فِي حِبَالَةِ الزَّوْجِ ثُمَّ يُطَلِّقَهَا. وقرئ تعتدونها مخففا أى تعتدون فيها والمراد بالاعتداء ما فى قوله وَ لَا تُمَسِّكُوهُنَّ ضَرَارًا لَتَعْتَدُوا. والعامل فى الظرف من قوله إِذَا نَكَحْتُمْ ما يتعلق به لكم والتقدير إذا نكحتم المؤمنات ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ لم يثبت لكم عليهن عدة. والسراح الجميل هودفع المتعة بحسب الميسرة والعشرة بغير جفوة ولا أذية. -قرآن- ٧٥-٩٣-قرآن- ٣١٨-٣٥٥-قرآن- ٣٨٦-٣٩٩-قرآن- ٤٤٦-٤٩٠ و عن حبيب بن أبى ثابت قال كنت قاعدا عند على بن الحسين ع فجاء رجل فقال إنى قلت يوم أتزوج فلانة فهى طالق فقال اذهب وتزوجها فإن الله تعالى بدأ بالنكاح قبل الطلاق وقرأ هذه الآية -رواية- ١-٢-رواية- ٣٣-١٩٧

مسألة

إن قيل قد أمر الله بطلاق العدة في قوله تعالى فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ فكيف تقدمون أنتم طلاق السنة على طلاق العدة. قلنا إن طلاق السنة أيضا طلاق العدة الذي ذكره الله إلا أن أصحابنا قد اختلفوا على أن يسموا الطلاق الذي لا يزداد عليه بعد المراجعة طلاق - قرآن - ٥٠-٧٥ [صفحة ٢٠٦] السنة والطلاق الذي يزداد عليه شرط المراجعة طلاق العدة ومما يعضده ماروي بكير بن أعين عن أبي جعفر أنه قال الطلاق أن يطلق الرجل المرأة على طهر من غير جماع ويشهد رجلين عدلين على تطبيقه ثم هو أحق برجعته ما لم تمض ثلاثة قروء فهذا الطلاق الذي أمر الله به في القرآن وأمر به رسول الله في سنته و كل الطلاق لغير العدة فليس بطلاق -رواية-١-٢-رواية-٥١-٢٨٥ و عن حريز سألت أبا عبد الله ع عن طلاق السنة فقال على طهر من غير جماع بشاهدي عدل و لا يجوز الطلاق إلا بشاهدين والعدة و هو قوله فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ الآية -رواية-١-٢-رواية-١٣-١٦٩

مسألة

عن زرارة عن أبي جعفر قال سألته عن رجل قال لامرأته أنت على حرام قال لو كان لي عليه سلطان لأوجعت رأسه و قلت الله أحلها لك فمن حرمها عليك إنه لم يزد على أن كذب فزعم أن ما أحل الله له حرام و لا يدخل عليه طلاق و لا كفارة فقلت يقول الله يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ فجعل عليه فيه الكفارة فقال إنما حرم عليه جاريته ماريه فحلف أن لا يقربها وإنما جعل عليه الكفارة في الحلف و لم يجعل عليه في التحريم -رواية-١-٢-رواية-٣٤-٥٥٧ . و هذا إشارة إلى الإيلاء. [صفحة ٢٠٧]

مسألة

فإن قيل إن أخلعت الزوجة في مرضها بأكثر من مهر مثلها هل يصح ذلك أم لا و إن صح فهل يكون ذلك من صلب مالها أم لا. قلنا الخلع على هذا صحيح لأن المرض لا يبطل المخالعة بمهر المثل أو أكثر منه و يكون ذلك من صلب مالها لقوله تعالى فلا جناح عليهما فيما افتدت به و لم يفرق بين حال المرض وغيره فوجب حمله على عمومه إلا أن يدل دليل . -قرآن-٢٤١-٢٨١

مسألة

فإن قيل كيف عدى قوله لِلَّذِينَ يُؤَلِّبُونَ هُم مَعْدَى بعلی . قلنا قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكأنه قيل يبعدون من نسائهم مؤلین أو مقسمين ويجوز أن يراد لهم من نسائهم تربص أربعة أشهر كقولك لي منك كذا. والإيلاء من المرأة أن يقول و الله لا أقربك أربعة أشهر فصاعدا أو لا أقربك على الإطلاق و لا يكون فيما دون أربعة أشهر. فإن قيل كيف موقع الفاء في قوله تعالى فَإِنْ فَاؤُ. قيل موقع صحيح لأن قوله فَإِنْ فَاؤُ وَإِنْ عَزَمُوا تفصيل لقوله لِلَّذِينَ يُؤَلِّبُونَ والتفصيل يعقب المفصل كما تقول أنا نزيلكم هذا الشهر فإن أحمدتكم أقمتم عندكم إلى آخره و إلا - لم أقم إلا ريثما أتحوّل . -قرآن-٢٦-٤٣-قرآن-٣٩٠-٣٩٩-قرآن-٤٢٨-٤٣٧-قرآن-٤٣٨-٤٥٢-قرآن-٤٦٦-٤٨٣

مسألة

وقوله تعالى وَ الْمُطَّلَقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ أَرَادَ الْمَدْخُولُ - قرآن- ١٦-٧٣ [صفحة ٢٠٨] بهن التي تحيض واللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء في أحد ما يصلح له كالاسم المشترك . وفي ذكر الأنفس هاهنا تهيج لهن على التربص وزيادة بعث وذلك أن أنفس النساء طوامح إلى الرجال فأمرن أن يقمن أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص . وفي قوله تعالى تَرَبَّصُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ لَأَنْهَن يَسْتَنْكِفْنَ هُنَاكَ فَلَمْ يَحْتِجْ إِلَى ذِكْرِ أَنْفُسِهِنَّ . - قرآن- ٢٩٦-٣٢١

مسألة

فإن قيل هل يصح الإيلاء من الذمي قلنا يصح منه ذلك لقوله تعالى لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ وَ هَذَا عَامٌ فِي الذَّمَى وَالْمُسْلِمِ - قرآن- ٧٠-١٠١ [صفحة ٢٠٩]

كتاب العتق وأنواعه

إشارة

قال الله تعالى وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ . هَذِهِ آيَةُ نَزَلَتْ فِي زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَ كَانَ النَّبِيُّ صَ اعْتَقَهُ . وَ إِنْعَامَ اللَّهِ عَلَيْهِ أَلْذَى ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي آيَةِ هُوَ الْإِسْلَامُ وَ قَدِ وَقَفَهُ لَهُ وَ إِنْعَامَ النَّبِيِّ عَ عْتَقَهُ . خَاطَبَ اللَّهُ مُحَمَّدًا فَقَالَ إِذْ ذَكَرَ حِينَ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْهَدَايَةِ إِلَى الْإِيمَانِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ بِالْعِتْقِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ أَوْ أَحْبِسْهَا وَ لَا تَطْلُقْهَا لِأَنَّ زَيْدًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ عَ مَخَاصِمًا زَوْجَتَهُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَلَى أَنْ يَطْلُقَهَا فَوَعظَهُ النَّبِيُّ وَ قَالَ لَهُ لَا تَطْلُقْهَا وَ اتَّقِ اللَّهَ فِي مَفَارِقَتِهَا . وَ تَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا مَيَّ اللَّهُ مُبْدِيهَا لِذِي أَخْفَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ إِنْ طَلَقَهَا زَيْدٌ تَزَوَّجَهَا وَ خَشِيَ مِنْ إِظْهَارِ هَذَا لِلنَّاسِ وَ كَانَ اللَّهُ أَمْرَهُ بِتَزَوُّجِهَا إِذَا طَلَقَهَا زَيْدٌ . فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَ طَرَأَ أَى لِمَا طَلَقَ زَيْدٌ امْرَأَتَهُ أَذِنَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ فِي - قرآن- ١٩-٨٤- قرآن- ٣٤٠-٣٦١- قرآن- ٥١٥-٥٥٦- قرآن- ٦٦٨- ٦٩٩ [صفحة ٢١٠] تَزْوِيجِهَا وَ أَرَادَ بِذَلِكَ نَسْخَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْجَاهِلِيَّةَ مِنْ تَحْرِيمِ زَوْجَةِ الدَّعَى وَ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ . فَهَذِهِ آيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ فِي الْعِتْقِ فَضْلًا كَثِيرًا وَ ثَوَابًا جَزِيلًا أَلَّا تَرَى أَنَّهُ تَعَالَى كُنِيَ عَنْهُ بِقَوْلِهِ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ . وَ يَسْتَحِبُّ عِتْقَ الْمُؤْمِنِ الْمُسْتَبْصِرِ فَإِنَّ الْإِنْعَامَ عَلَيْهِ أَحْسَنُ . وَ لَا عِتْقَ إِلَّا مَا أُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ . وَ الْعِتْقُ لَا يَصِحُّ وَ لَا يَقَعُ بِغَيْرِ نِيَّةٍ . وَ كُلُّ آيَةٍ تَنْطِقُ بِتَحْرِيرِ الرِّقْبَةِ فِي الْكُفْرَاتِ فَإِنَّهَا تَدُلُّ عَلَى جَوَازِ الْعِتْقِ بِلِ عَالِي فَضْلِهِ وَ أَنَّهُ مِنْ أَكْرَمِ الْإِحْسَانِ وَ أَفْضَلِ الْإِنْعَامِ وَ لِاخْتِلَافِ فِي جَوَازِهِ وَ الْفَضْلِ فِيهِ بَيْنَ الْأُمَّةِ . وَ الْعِتْقُ عَلَى ضَرِيْبِينَ وَاجِبٌ وَ نَدْبٌ وَ يَدْخُلُ كَلَا وَجْهِيَّةً تَحْتَ قَوْلِهِ تَعَالَى إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ بِالْأَمْرِ بِالْعَدْلِ عَلَى وَجْهِ الْإِيجَابِ وَ بِالْإِحْسَانِ عَلَى وَجْهِ النَّدْبِ . فَإِنَّ قَالَ كُلُّ عَبْدٍ أَمْلَكَهُ فَهُوَ حُرٌّ لَا يَقَعُ بِهِ عِتْقٌ وَ إِنْ مَلَكَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ نَذْرًا عَلَى نَفْسِهِ . وَ إِذَا قَالَ كُلُّ عَبْدٍ لِي قَدِيمٌ فَهُوَ حُرٌّ فَمَنْ كَانَ أَتَى لَهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ مِنْ مَمَالِكِهِ صَارَ حُرًّا قَضَى بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَ وَ تَلَا قَوْلُهُ تَعَالَى وَ الْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنْزِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ وَ قَدِثَتْ أَنْ الْعُرْجُونُ إِنَّمَا يَنْتَهِي إِلَى الشَّبهِ بِالْهَلَالِ فِي تَقْوِيهِ وَ ضَوْؤَلْتَهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ أَخْذِ الثَّمَرَةِ مِنْهُ - قرآن- ٨٧-١٥٤- قرآن- ٢٥١-٢٦٦- قرآن- ٦٢٧-٦٦٨- قرآن- ٩٥٧-١٠٢٠ [صفحة ٢١١]

باب من إذا ملك العتق في الحال

قال الله تعالى حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ كَمَا لَآئِيَهُ يَسْتَدِلُّ بِذَلِكَ بَعْدَ الْإِجْمَاعِ وَالسُّنَّةُ عَلَى أَنَّهُ مَتَى مَلَكَ الْإِنْسَانَ أَحَدٌ وَالِدِيهِ أَوْ وَلَدَهُ ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى أَوْ أُخْتَهُ أَوْ عَمَّتَهُ أَوْ خَالَتَهُ أَوْ وَاحِدَهُ مِنَ الْمَحْرَمَاتِ عَلَيْهِ فِي النِّكَاحِ مِنْ ذَوَى أَرْحَامِهِ انْعَتَقُوا فِي الْحَالِ وَلَمْ يَثْبِتْ لَهُمْ مَعَهُ اسْتِرْقَاقٌ عَلَى حَالٍ . وَكُلٌّ مِنْ ذِكْرِنَاهُ مِنَ الْمَحْرَمَاتِ مِنْ جِهَةِ النِّسْبِ فَإِنْ اسْتِرْقَقَهُمْ لَا يَثْبِتُ فِيهِمْ إِذَا كَانُوا مِنْ جِهَةِ الرِّضَاعِ لَا يَثْبِتُ اسْتِرْقَاقَهُمْ أَيْضًا لِأَنَّ التَّحْرِيمَ عَامٌ - قُرْآن - ١٩ - ٨٨ لِقَوْلِهِ عَ يَحْرَمُ مِنَ الرِّضَاعِ مَا يَحْرَمُ مِنَ النِّسْبِ - رَوَايَاتُ - ١ - ٢ - رَوَايَاتُ - ١٢ - ٤٧ عَلَى أَنَّهُ لَا يَصِحُّ مَلَكَهُنَّ مِنْ جِهَةِ الرِّضَاعِ . وَقَوْلُهُ وَ أُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَ أَخْوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ يَدُلُّ فَحَوَى هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى تَحْرِيمِ الْبَنَاتِ وَالْعَمَّاتِ وَالْخَالَاتِ وَبَنَاتِ الْأَخِ وَبَنَاتِ الْأُخْتِ مِنَ الرِّضَاعِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي كِتَابِ النِّكَاحِ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَ قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا إِلَى قَوْلِهِ وَ مَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ إِذَا آتَى الرَّحْمَنُ عَبْدًا فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْبِنُوَّةَ وَالْعِبُودِيَّةَ لَا تَجْتَمِعَانِ وَ أَنَّهُ إِذَا مَلَكَ الْإِنْسَانَ ابْنَهُ عَتَقَ عَلَيْهِ . - قُرْآن - ٤٩ - ١١٦ - قُرْآن - ٢٥٩ - ٢٩٢ - قُرْآن - ٣٠٤ - ٤١٦ [صَفْحَةٌ ٢١٢] وَيَسْتَحِبُّ لِلْإِنْسَانِ إِذَا مَلَكَ مِنْ سِوَاهُمْ مِنْ ذَوَى أَرْحَامِهِ أَنْ يَعْتَقَهُ فَإِنْ مَلَكَ أَخَاهُ أَوْ ابْنَ أَخِيهِ وَ ابْنَ أُخْتِهِ أَوْ عَمَّهُ أَوْ خَالَه وَ غَيْرَهُمْ مِنَ الرِّجَالِ فَلَا بَأْسَ وَالْأُولَى عَتَقَهُ

باب من يصح ملكه و من لا يصح

قال الله تعالى وَ لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا يَدُلُّ بِعَمُومِهِ عَلَى أَنَّ الْكَافِرَ إِذَا اشْتَرَى عَبْدًا مُسْلِمًا فَالْبَيْعُ بَاطِلٌ وَكَذَلِكَ إِنْ أَسْلَمَ مَمْلُوكٌ لَدِمَى لَا يَقْرَعُ عِنْدَهُ بِلِ بِيَاعٍ مِنْ مُسْلِمٍ وَيُعْطَى ثَمَنَهُ الذَّمَى . وَ لَا بَأْسَ أَنْ يَشْتَرِيَ الْإِنْسَانَ مَا يَسِيْبُهُ الظَّالِمُونَ إِذَا كَانُوا مُسْتَحِقِّينَ لِلْسَبِيِّ وَ لَا بَأْسَ أَنْ يَشْتَرِيَ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ أَوْلَادَهُمْ وَ يَجُوزُ وَ طءٌ مِنْ هَذِهِ صِفَتِهَا وَ إِنْ كَانَ فِيهِ الْخُمْسُ لِمُسْتَحْقِيهِ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا شَيْعَتَهُمْ مِنْ ذَلِكَ فِي حَلِّ وَسَعَةِ . وَ كُلٌّ مِنْ قَامَتِ الْبَيْنَةُ عَلَى عِبُودِيَّتِهِ سِوَاءَ كَانَ بِالْغَا أَوْ لَمْ يَكُنْ جَازٍ تَمْلِكُهُ وَ كَذَا مِنْ أَقْرَعَى نَفْسَهُ بِالْعِبُودِيَّةِ وَ كَانَ بِالْغَا وَ الدَّلِيلُ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ كُلِّ آيَةٍ تَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ الْإِقْرَارِ وَ الْبَيْنَةِ . وَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ وَجْهِ حِكْمَتِهِ فِي إِبَاحَةِ الْاسْتِرْقَاقِ بِقَوْلِهِ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ بَأَنَّ جَعَلْنَا بَعْضَهُمْ أَغْنِيَاءَ وَ بَعْضَهُمْ فُقَرَاءَ وَ بَعْضَهُمْ مَوَالِي وَ بَعْضَهُمْ عِبِيدًا وَ إِمَاءَ وَ بَعْضَهُمْ مَرْضَى وَ بَعْضَهُمْ أَصْحَاءَ بِحَسَبِ مَا عَلَّمْنَا مِنْ مَصَالِحِهِمْ . - قُرْآن - ١٩ - ٨٠ - قُرْآن - ٦٨٨ - ٧٢٦ [صَفْحَةٌ ٢١٣] وَ لِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ فَذَلِكَ أَوْلَى أَنْ يَرُغَبَ فِيهِ فَقَدْ يَكُونُ كَثِيرٌ مِنَ الْمَمَالِيكِ خَيْرًا مِنْ سَادَاتِهِمْ وَ إِنْ كَانُوا جَمِيعًا مُسْلِمِينَ وَ كَذَا الْفَقِيرَ وَ الْغَنَى جَمِيعَهُ نَوْعٌ مِنَ التَّكْلِيفِ - قُرْآن - ١ - ٣٠

باب بيع أمهات الأولاد

أم الولد هي التي تلد من مولاها سواء كان ما وضعته تاما أو غير تام وإن أسقطت نطفة ويجوز بيعها بعد وفاة أولادها والدليل عليه قول الله تعالى وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا وَ هَذَا عَامٌ فِي أُمَّهَاتِ الْأَوْلَادِ وَ غَيْرِهِنَّ . فَإِنْ قِيلَ قَدْ أُجْمِعْنَا عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ مَشْرُوطٌ بِالْمَلَكَ فَإِنْ بِيَعُ مَا لَا يَمْلِكُهُ لَا يَجُوزُ . قُلْنَا الْمَلَكَ بَاقٍ فِي أُمِّ الْوَلَدِ بِلَا خِلَافٍ لِأَنَّ وَ طَأَهَا مَبَاحٌ لَهُ وَ لَا وَجْهَ لِإِبَاحَتِهِ إِلَّا بِمَلَكَ الْيَمِينِ . وَ يَدُلُّ عَلَيْهِ أَيْضًا أَنَّهُ لَا خِلَافَ فِي جَوَازِ عَتَقِهَا بَعْدَ الْوَلَدِ وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ الْمَلَكَ لِمَا جَازَ الْعَتَقَ وَ كَذَلِكَ أُجْمِعُوا عَلَى أَنَّ قَاتِلَهَا لَا يَجِبُ عَلَيْهِ الدِّيَةُ وَ إِنَّمَا يَجِبُ عَلَيْهِ قِيمَتُهَا إِذَا كَانَتْ دُونَ دِيَةِ الْحُرَّةِ أَوْ مِثْلِهَا وَ كَذَلِكَ يَجُوزُ مَكَاتِبَتُهَا وَ أَنْ يَأْخُذَ سَيِّدُهَا مَا كَاتَبَهَا عَلَيْهِ عَوْضًا عَنْ رِقَبَتِهَا وَ هَذَا كَلَهُ يَدُلُّ عَلَى بَقَاءِ الْمَلَكَ . وَ حَمَلَ ذَلِكَ عَلَى الرَّهْنِ وَ أَنْ مَلَكَ الشَّيْءَ الْمَرْهُونَ هُوَ بَاقٍ لِلرَّاهِنِ وَ إِنْ لَمْ يَجْزِ بَيْعُهُ فَذَلِكَ قِيَاسٌ وَ نَحْنُ لَا نَقُولُ بِهِ . عَلَى أَنَّهُمْ إِذَا سَلَمُوا بَقَاءَ الْمَلَكَ فِي أُمَّهَاتِ الْأَوْلَادِ فَبِقَاؤُهُ يَقْتَضِي اسْتِمْرَارَ أَحْكَامِهِ وَ إِذَا ادَّعُوا فِيهِ النِّقْصَانَ طَوَّلُوا بِالْإِدْلَالَةِ وَ لَمْ يَجِدُوا عَلَى أَنَّهُ لَوْ سَلَمْنَا - قُرْآن - ١٤٦ - ١٨٦ - قُرْآن - ٢٥٧ - ٢٨٠]

صفحة ٢١٤] نقصان الملك تبرعا لجاز أن نحمله على أنه لا يجوز بيعها مع ولدها و هذا ضرب من النقصان . ويدل على ذلك أيضا قوله تعالى وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ وَقَدْ عَلَّمْنَا أَن لِّلْمَوْلَىٰ أَن يَطَّأ أُمَّ وَلَدِهِ وَإِنَّمَا يَطَّوُّهَا بِمَلِكِ الْيَمِينِ لِأَنَّهُ لَا عَقْدَ هَاهُنَا وَإِذَا جَازَ أَن يَطَّأَهَا بِالْمَلِكِ جَازَ أَن يَبِيعَهَا بَعْدَ وِفَاةِ وَلَدِهَا كَمَا جَازَ ذَلِكَ فِي سَائِرِ جَوَارِيهِ - قرآن- ١٢٤-٢٠٩

باب الولاء

قال الله تعالى فَأَخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَ مَوَالِيكُمْ وَالْمَرَادُ بِمَوَالِيكُمْ مَمَالِيكُمْ الَّذِينَ أَنْتُمْ بِهِمْ أَوْلَىٰ وَ هَذَا الْمَعْنَى فِيهِمْ عَلَى الْعَمُومِ فَيَكُونُ الْوَلَاءُ لِلْمَعْتَقِ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِأَن أَعْتَقَهُ تَبْرَعًا لَا فِي وَاجِبٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ زَيْدٍ . وَلِهَذَا نَقُولُ الْوَلَاءُ إِنَّمَا يَثْبُتُ فِي الْعَتَقِ الَّذِي لَيْسَ بِوَاجِبٍ بَلْ يَكُونُ عَلَى سَبِيلِ التَّبْرَعِ وَ أَمَا إِنْ كَانَ الْعَتَقُ فِي أَمْرٍ وَاجِبٍ كَكْفَارَةِ ظَهَارِهِ أَوْ كَفَارَةِ قَتْلِ أَوْ إِفْطَارِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ أَوْ نَذْرِ أَوْ يَمِينٍ أَوْ مَا شَبِهَ ذَلِكَ مِنْ جِهَاتِ الْوَاجِبِ فَإِنَّ الْوَلَاءَ يَرْتَفِعُ مِنْهُ وَالْمَعْتَقُ سَائِبٌ لِأَوْلَاءِ الْمَعْتَقِ عَلَيْهِ فَلَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْآيَةِ لِأَنَّ الْعَتَقَ عَلَى سَبِيلِ التَّبْرَعِ هُوَ الْإِنْعَامُ وَالْإِحْسَانُ عَلَيْهِ وَ إِلَيْهِ وَ إِلَى ذَلِكَ أَشَارَ سَبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ . وَ لَوْ لِالنُّصُوصِ مِنْ أُمَّةِ الْهُدَى ع فِي هَذَا الْمَعْنَى لَمَا كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي مِثْلِهِ مِنَ الْقُرْآنِ . - قرآن- ١٩-٥٦- قرآن- ٦٢٦-٦٤٤]
صفحة ٢١٥] وولاء المعتك في واجب لمن تضمن جريرته خاصة وميراثه له إذا لم يكن له ذو رحم مسلم حر سواء كان المتضمن لحدثه معتقه أو سواه فقوله وَ الَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ فَأَتَوْهُمْ نَصَبَ بَيْنَهُمْ مَنْسُوحٍ فَيَمْنُ لِاقْرَابِهِ لَهُ دُونَ مَنْ لَيْسَ لَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ . وَ إِنْ لَمْ يَتَضَمَّنْ جَرِيرَتَهُ أَحَدٌ فَوَلَاؤُهُ لِلْإِمَامِ وَ حُدُثُهُ الْخَطَأَ الْمُحَضَّ بِالشَّهَادَةِ عَلَيْهِ . وَ لَيْسَ لِلْوَلَاءِ قِسْمٌ آخَرَ سِوَى هَذِهِ الثَّلَاثَةِ فَإِنَّ تَوْفِي هَذَا الْمَعْتَقِ وَ لَهُ زَوْجَةٌ فَلِهَا الرَّبِيعُ وَ الْبَاقِي لِسَيِّدِهِ الَّذِي أَعْتَقَهُ تَطَوُّعًا أَوْ يَرُدُّ إِلَى ضَامِنِ جَرِيرَتِهِ أَوْ إِلَى الْإِمَامِ إِذَا عَتَقَ فِي وَاجِبٍ وَ لَمْ يَضْمَنْ جَرِيرَتَهُ أَحَدٌ - قرآن- ١٤٠-١٩٠

باب أن المملوك لا يملك شيئاً

قال الله تعالى ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْمَمْلُوكَ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا مِنَ الْأَمْوَالِ مَا دَامَ رَقًا لِأَنَّ قَوْلَهُ مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ لَيْسَ الْمَرَادُ بِهِ نَفْيُ الْقُدْرَةِ لِأَنَّهُ قَادِرٌ وَإِنَّمَا الْمَرَادُ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ التَّصَرُّفَ فِي الْأَمْوَالِ وَ ذَلِكَ عَامٌ فِي جَمِيعِ مَا يَمْلِكُ وَيَتَصَرَّفُ فِيهِ . فَإِنَّ مَلِكَةَ مَوْلَاهُ شَيْئًا مَلِكُ التَّصَرُّفِ فِيهِ بِجَمِيعِ مَا أَبَاحَ لَهُ سَيِّدُهُ وَأَرَادَهُ فَإِنَّ أَصِيبَ الْعَبْدِ فِي نَفْسِهِ بِمَا يَسْتَحِقُّ بِهِ الْأَرْضَ كَانَ لَهُ ذَلِكَ وَ حَلُّهُ لِمَنْ تَصَرَّفَ فِيهِ وَ لَيْسَ لَهُ رِقْبَةُ الْمَالِ عَلَى وَجْهِ - قرآن- ١٩-٧٨- قرآن- ١٦٣-١٩٣

باب المكاتبه

اشاره

قال الله تعالى وَ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ - قرآن- ١٩-٩١ قال الله تعالى وَ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَمَعْنَاهُ أَنَّ لِلْإِنْسَانَ إِذَا كَانَ لَهُ أُمَّةٌ أَوْ عَبْدٌ يَطْلُبُ الْمَكَاتِبَةَ وَ هِيَ أَنْ يَقُومَ عَلَى نَفْسِهِ

وينجم عليه ليؤدى قيمته نفسه إليه فإنه يستحب لسيدته أن يجيبه إلى ذلك ويساعده عليه لدلالة قوله فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وهذا أمر ترغيب عند الفقهاء وأما عند الطبري وعمر بن دينار وعطاء هو واجب عليه إذا طلب . والمكاتبه على ضربين مشروط ومطلق . فصورة الكتابة المطلقة أن يقول الإنسان لعبده أو أمته قد كاتبتك على أن تعطيني كذا وكذا ديناراً أو درهماً في نجوم معلومة على أنك إذا أديت ذلك فأنت حر فريض العبد ويكاتبه عليه ويشهد بذلك على نفسه فمتى أدى مال الكتابة في النجوم التي سماها صار حراً فإن عجز عن أداء ذلك ينعتق بحساب ما أدى ويبقى مملوكاً بحساب ما بقى عليه . وإن كانت الكتابة مشروطة وهي أن يقول لعبده في حال الكتابة متى عجزت عن أداء قيمتك فأنت رد في الرق ولى جميع ما أخذت منك فمتى عجز عن ذلك وحد العجز هو أن يؤخر نجماً إلى نجم أو يعلم من حاله أنه لا يقدر على أداء ثمنه فإنه يرجع رقا وجزا لمولاه رده إلى الرق . وقوله تعالى إن علمتم فيهم خيراً الخير الذى يعلم منه هو القوة على التكسب بحيث يحصل به مال الكتابة وقال الحسن معناه إن علمتم منهم صدقا وقال ابن عباس وعطاء إن علمتم لهم مالا وقال ابن عمر إن علمتم فيهم قدرة على التكسب قال لأنه إذا لم يقدر على ذلك أطعمنى أوساخ أيدى الناس - قرآن - ١- ٢٣- قرآن - ٢٠٧- ٢٤٥- قرآن - ٩٩٠- ١٠١٥ [صفحہ ٢١٧]

فصل

ولا يجوز للسيد أن يكاتب عبده حتى يكون عاقلاً فإن كان مجنوناً لم يجز مكاتبته لقوله تعالى فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً والخير الكسب والأمانة لأنه تعالى قال وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ وَالْمَجْنُونَ لَابْتِغَاءَ لَهُ . والمكاتبه مشتقة من الكتب وهو الضم والجمع لأنه ضم أجل إلى أجل فى عقد المعاوضة على ذلك . ودليل جوازها قوله تعالى وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكاتبوهم فأمر بالكتابة . فإذا ثبت هذا فمتى دعا العبد سيده إلى مكاتبته والحال ما ذكرناه فى الآية فالمستحب له أن يجيبه إلى ذلك وليس بواجب سواء دعاه إلى ذلك بقيمة مثله أو أقل أو أكثر . واختلفوا فى الأمر بالكتابة مع طلب المملوك لذلك وعلم مولاه أن فيه خيراً فقال عطا هو فرض وقال مالك والثورى وابن زيد هو على الندب وهو مذهبنا . وقوله تعالى وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ أمر من الله أن يعطى السيد مكاتبه من ماله الذى أنعم الله عليه بأن يحط عنه شيئاً منه - قرآن - ٩٤- ١٣٢- قرآن - ١٧٤- ٢٠٤- قرآن - ٣٥١- ٤١٩- قرآن - ٧٦٦- ٨٠٥ وروى أبو عبد الرحمن السلمى عن أمير المؤمنين ع أنه قال يحط عنه ربع مال الكتابة - رواية - ١- ٢- رواية - ٦٤- ٩٠ . [صفحہ ٢١٨] وقال سفیان أحب أن يعطيه الربع أو أقل وليس بواجب وقال ابن عباس أمره بأن يضع عنه من مال الكتابة شيئاً وقال الحسن حثه الله على معونته وقال قوم المعنى آتوهم سهمهم يارباب الأموال من الصدقة التى ذكرها فى قوله وَفِي الرِّقَابِ وَ يَكُونُ السَّيِّدُ دَاخِلًا تَحْتَ عَمُومِ الْخَطَابِ أَيْضًا وَ هُوَ مَذْهَبُنَا . - قرآن - ٢٣٤- ٢٤٨

فصل

والمسلم إذا كان له عبد كافر فكاتبه لا تصح الكتابة لقوله تعالى إن علمتم فيهم خيراً وهذا لا خير فيه ولقوله وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وهذا ليس من أهلها لأن ذلك من الصدقة وليس الكافر من أهلها . وروى أنه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سأل مولاه أن يكاتبه فأبى فنزلت الآية . ولا تتعقد عندنا إلا بأجل ومتى كانت بغير أجل معلوم كانت باطلة وكذلك لا بد أن يكون العوض معلوماً فإن لم يعين كانت باطلة . وأقل ما يجزى فيه أجل واحد عندنا وعند بعضهم أجلان . فإن قيل يجب أن تكون الكتابة جائزة بمال معجل ومؤجل كما يجوز البيع بمال معجل ومؤجل إذ لم يذكر الله فى واحد منهما

أجلا. قلنا لفظ الكتابة يدل على التأجيل في ذلك إذ لو كانت معجلة لم تكتب ففارقت البيع على أن الكتابة في الآية مجمله لالها من بيان و قد بينها رسول الله ص على ما ذكرنا لقوله وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ -قرآن- ٦٨-٩٣-قرآن- ١١٩-١٥٨-قرآن- ٨٠٩-٨٧٤ [صفحة ٢١٩]

باب التدبير

والقرآن يدل عليه على سبيل العموم من آية العتق لأنه جنس من أجناس العتق مع أنه نوع من الوصية. والتدبير هو أن يقول الرجل لمملوكه عبده أو أمته أنت رق في حياتي وحر بعد وفاتي فإذا نوى وقال ذلك ثبت له التدبير وهو بمنزلة الوصية يجوز للمدبر نقضه مادام فيه الروح فمتى لم ينقضه ومات كان المدبر من الثلث. والتدبير ليس بعتق مشروط لأن العتق بالشرط لا يصح على ما قدمنا وإنما هو وصية بالعتق منصوص عليه مطلق أن يعلقه بموت مطلق فيقول إذا مات فأنت حر والمقيد أن يقيد الموت بشيء يخرج به عن إطلاق فيقول إن مت من مرضي هذا أو في سفرى هذا فأنت حر. وأي تدبير كان فإذا مات السيد نظرت فإذا احتمله الثلث عتق كله فإن لم يكن له سواه عتق ثلثه إذا لم يكن عليه دين ودبره فرارا من الدين فإن دبره و عليه دين فرارا منه لم يصح تدبيره فإن دبره ثم استدان بعد ذلك صح التدبير على ما ذكرنا. وصريح التدبير أن يقول إذا مات فأنت حر أو محرر أو عتق أو معتق غير أنه لا بد فيه من النية لوجه الله تعالى وسمى مدبرا عن العتق عن دبر حياة سيده يقال دبر عبده تدبيرا إذا علق عتقه لو فاته [صفحة ٢٢٠]

باب الزيادات

إشارة

أما قول الله تعالى وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْعَنَّا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَ تَبْتَغِي عَنَّا عِشْرَةَ مِائَةٍ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمَا وَ فَقَكَ اللَّهُ فِيهِ فَهُوَ مَنقَلَبٌ فِي نِعْمَةِ اللَّهِ وَ نِعْمَةُ رَسُولِهِ وَ هُوَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ. وَ فِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمُسْتَحَبَّ أَنْ لَا يَعْتَقَ الْإِنْسَانَ إِلَّا - مِنْ أَعْنَى نَفْسِهِ وَ يَقْدِرُ عَلَى اكْتِسَابِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ. وَ مِنْ أَعْتَقَ صَبِيًّا فَالْأَفْضَلُ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ شَيْئًا يَعِينَهُ بِهِ عَلَى مَعِيشَتِهِ وَ يَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ لِأَنَّ النِّعْمَةَ إِذَا أُنِّمَتْ فَهِيَ نِعْمَةٌ. وَ مِنْ نَذَرَ أَنْ يَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً غَيْرَ مَعِينَةٍ جَازَ لَهُ أَنْ يَعْتَقَ صَبِيًّا لَمْ يَبْلُغِ الْحُلُمَ مَوْلُودًا بَيْنَ مُؤْمِنِينَ أَوْ بِحُكْمِهِ. -قرآن- ٢٢-٦٧-قرآن- ١٤٩-١٦٧

مسألة

وقوله تعالى وَ الْعَذِيبِينَ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمُ الَّذِينَ مَبْتَدَأُوا فَيَكُونُ مَحَلَّهُ رَفْعًا أَوْ يَكُونُ مَنْصُوبًا بِفِعْلِ مَضْمَرٍ يَفْسِرُهُ فَكَاتِبُهُمْ كَقَوْلِكَ زَيْدًا فَاضْرِبْهُ وَ دَخَلَتْ الْفَاءُ فِي ذَلِكَ لِتَضْمِينِهِ مَعْنَى الشَّرْطِ. وَ الْكِتَابُ وَ الْمَكَاتِبَةُ كَالْعِتَابِ وَ الْمَعَاتِبَةُ وَ هُوَ أَنْ يَقُولَ الْإِنْسَانُ لِمَمْلُوكِهِ كَاتِبْتُكَ عَلَى أَلْفِ دَرَاهِمٍ فَإِذَا أَدَاها عَتَقَ عَلَى مَا ذَكَرْنَا وَ مَعْنَاهُ كَتَبْتُ لَكَ عَلَى نَفْسِي أَنْ تَعْتَقَ مِنِّي إِذَا وَفَيْتَ بِالْمَالِ وَ وَفَيْتَهُ فِي أَجَلِهِ وَ كَتَبْتُ عَلَى نَفْسِكَ أَنْ تَفِي لِي بِذَلِكَ أَوْ كَتَبْتُ عَلَيْكَ الْوَفَاءَ بِالْمَالِ وَ كَتَبْتُ عَلَى الْعَتَقِ. -قرآن- ١٦-٧١-قرآن- ١٣٥-١٤٦ [صفحة ٢٢١] ويجوز عقد الكتابة على خدمته في مدة معلومة و على عمل معلوم موقت مثل حفر بئر

فى مكان بعينه معلومه الطول والعرض كما يجوز على مال لعموم قوله تعالى فكاتبوهم إن علمتمفإنه يتناول جميع ذلك إذ لم يخصص سبحانه مقدار الذى يكاتب عليه ولاجنسه -قرآن- ١٥٦-١٨٠ [صفحه ٢٢٢]

كتاب الأيمان والنذور والكفارات

إشارة

اليمين المنعقدة هى أن يحلف الإنسان بالله تعالى أو بشىء من أسمائه أى اسم كان . ولاينعقد إلا بالنية فمتى تجرد عن النية كان لغوا قال الله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم و لكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان. والنية إنما يراعى فيها نية المستحلف إذا كان محققا بالظاهر فإذا كان مبطلا على الحقيقة فيما يقول كانت النية نية الحالف. أخبر تعالى أنه لا يؤاخذ بلغو اليمين ولغو اليمين أن يسبق لسانه بغير عقيدة بقلبه كأنه أراد أن يقول لا والله فقال بلى والله. واختلفوا فى لغو اليمين فى هذه الآية فقال ابن عباس هو ما يجرى على اللسان عادة لا والله وبلى والله من غير عقد على يمين يقطع بها قال أو -قرآن- ١٥٣-٢٤٤ [صفحه ٢٢٣] يظلم بها أحد وهو المروى عنهما ع وقال الحسن هى يمين الظان وهو يرى أنه كما حلف فلا إثم عليه ولا كفارة و عن طاوس أنها يمين الغضب لا يؤاخذ منها بالحنث وقال زيد بن أسلم هو قول الرجل أعمى الله بصرى أو أهلك الله مالى فيدعو على نفسه قال تعالى و لو يُعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم. وأصل اللغو الكلام الذى لا فائدة فيه و كل يمين جرت مجرى ما لا فائدة فيه حتى صارت بمنزلة ما لم يقع فهى لغو ولا شىء فيها يقال لغا يلغو إذا تكلم بما لا فائدة فيه واللغو فى اللغة ما لم يعتد به . والصحيح أن لغو اليمين هو الحلف على وجه الغلط من غير قصد مثل قول القائل لا والله وبلى والله على سبق اللسان . ولا كفارة فى لغو اليمين عند أكثر المفسرين والفقهاء. وقوله تعالى عقدتم وعقدتم بالتخفيف والتشديد المراد بهاتأأكيد الأيمان حتى يكون بمنزلة العقد المؤكد أو يكون المراد أنكم عقدتموها على شىء خلافا لليمين اللغو التى ليست معقودة على شىء لأن الفقهاء يسمون اليمين على المستقبل يمينا معقودة وهى التى يتأتى فيها البر والحنث ويجب فيها الكفارة. واليمين على الماضى عندهم ضربان لغو وغموس فاللغو كقول القائل والله ما فعلت كذا فى شىء يظن أنه لم يفعله أو والله لقد فعلت كذا فى شىء يظن أنه فعله فهذه اليمين لا مؤاخذة فيها وأما الغموس فهى اليمين على -قرآن- ٢٥٨-٣٤٧-قرآن- ٧٣٧-٧٤٥ [صفحه ٢٢٤] الماضى إذا وقعت كذبا كقول القائل والله ما فعلت وهو يعلم أنه قد فعله فهذه اليمين كفارتها الاستغفار بشرطه لا غير

باب فى أقسام الأيمان وأحكامها

إشارة

لما بين سبحانه أنه لا يؤاخذ على لغو اليمين بين بعده بقوله و لكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان أنه يؤاخذ بما عقد عليه قلبه ونوى . وقرئ عاقدتم وعقدتم بلا ألف مع تخفيف القاف وتشديدها. ومنع الطبرى من القراءة بالتشديد قال لأنه لا يكون إلا مع تكرير اليمين والمؤاخذة تلزم من غير تكرير بلا خلاف وهذا غير صحيح لأن تعقيد اليمين أن يعقدها بقلبه ولفظه ولوعقد عليها فى أحدهما دون الآخر لم يكن تعقيدا وهو كالتعظيم الذى يكون تارة بالمضاعفة وتارة بعظم المنزلة. قال أبو على الفارسى من شدد احتمال أمرين أحدهما أن يكون لتكثير الفعل فقوله و لكن يؤاخذكم مخاطب للكثرة فهو مثل و علقت الأبواب والآخر أن

يكون عقد مثل ضعف لأنه أراد به التكثير كما أن ضاعف قد لا يراد به فعل من اثنين و إن كان أصله بين الاثنين . و قال الحسن بن علي المغربي في التشديد فائده وهي أنه إذا كرر اليمين على محلوف واحد فإذا حث لم يلزمه إلا كفارة واحدة و في ذلك بين الفقهاء خلاف و الذي ذكره قوی و من قرأ بالتخفيف جاز أن يريد به الكثير من الفعل والقليل . وعاقدم يراد به عقدم كما يقال عافاه الله ويحتمل أن يكون يقتضى فاعلين كأنه قال يؤخذكم بما عاقدمت عليه اليمين و لما كان عاقدم في المعنى - قرآن-٦٣-١٠٦-قرآن-٥٦٣-٥٨١-قرآن-٦٠٤-٦٢٤ [صفحة ٢٢٥] قريبا من عاهد عداه بعلى كما يعدى بها عاهد قال تعالى وَ مَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهُ وَالتَّقْدِيرَ يُؤَاخِذُكُمْ بِالَّذِي عَاقَدْتُمْ عَلَيْهِ ثُمَّ حَذَفَ الرَّاجِعَ فَقَالَ عَاقَدْتُمْ الْإِيمَانَ . ويجوز أن تكون مامصدرية فيمن قرأ عقدم بالتخفيف والتشديد فلا يقتضى راجعا كما لا يقتضيه في قوله تعالى بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ والقراءات الثلاث يجب العمل بها على الوجوه الثلاثة لأن القراءتين فصاعدا إذا صحت فالعمل بها واجب لأنها بمنزلة الآيتين والآيات على ما ذكرنا في قوله تعالى يَطْهَرْنَ وَيَطْهَرْنَ . -قرآن-٥٦-٩٤-قرآن-٢٨٠-٣٠١-قرآن-٤٦٦-٤٧٣

فصل

واليمين على ثلاثة أقسام أحدها عقدها طاعة وحلها معصية فهذا يتعلق بحثها كفارة بلا خلاف كقوله والله لأشرب خمرا و لأقتل نفسا ظلما. والثاني عقدها معصية وحلها طاعة كقوله والله لأصلي و لأصوم فإذا حث بالصلاة والصوم فلا كفارة عندنا عليه . والثالث أن يكون عقدها مباحا وحلها مباحا كقوله والله لألبس هذا الثوب فمتى حث تعلق به الكفارة إذا لم يكن لبسه أولى وكذا إذا حلف أنه لا يشرب من لبن عتزله و لا يأكل من لحمها و ليس به حاجة إلى ذلك لم يجز له شرب لبنها و لالبن أولادها و لأأكل لحومهن فإن أكل أو شرب مع ارتفاع الحاجة كانت عليه الكفارة و إن أكل أو شرب لحاجة فليس عليه شيء. فعلى هذا تكون الأيمان على ضربين أحدهما ما لا كفارة عليه والثاني [صفحة ٢٢٦] يجب فيها الكفارة فما لا كفارة فيه هو اليمين على الماضي إذا كان كاذبا فيه و إن كان آثما مثل أن يحلف أنه مافعل و كان فعل أو حلف أنه فعل و ما كان فعل فهاتان لا كفارة فيهما عندنا و عند أكثر الفقهاء. وكذلك إذا حلف على مال لتقطيعه فليس له أن يقطع و لا كفارة عليه ويلزمه الخروج مما حلف عليه والتوبة وهي اليمين الغموس . ومنها أن يحلف على أمر فعل أو ترك و كان خلاف ما حلف عليه أولى من المقام عليه فليخالف و لا كفارة عليه عندنا و ما فيه كفارة فهو أن يحلف على أن يفعل أو يترك و كان الوفاء به واجبا أو ندبا أو كان فعله وتركه سواء فمتى حالف كان عليه الكفارة.

فصل

وقوله فَكَفَّارَتُهَا هَاءٌ يحتمل رجوعها إلى أحد ثلاثة أشياء أحدها إلى مامر من قوله بِمَا عَقَدْتُمْ الْإِيمَانَ الثاني إلى اللغو الثالث إلى حث اليمين لأنه مدلول عليه والصحيح الأول . ثم قال إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ وَإِنَّمَا ذَكَرَ بِلَفْظِ التَّذْكَيرِ تَغْلِيْبًا لِلتَّذْكَيرِ فِي كَلَامِهِمْ لِأَنَّهُ لَخِلَافٌ أَنَّهُ لَوْ أُطْعِمَ الْإِنَاثَ لِأَجْزَاهُ . و قد حده أصحابنا بأن يعطى كل واحد مدين أو مدا منفردا أو يجمعهم على ما هذا قدره لياكلوا و لا يجوز أن يعطى خمسة ما يكفي عشرة وهل يجوز إعطاء القيمة فيه خلاف والظاهر أنه لا يجزى والروايات تدل على جوازه . وإنما ذكر الكفارة في الآية لأن التوبة من كل ذنب يعلم وجوبها على الجملة و ليس تجب الكفارة على كل ذنب لأن المعنى فكفارته الشرعية كذا وحكم التوبة معلوم من الشرع فلذلك لم يذكر. -قرآن-٩-٢١-قرآن-٨٧-١١٠-قرآن-١٩٨-٢٢٣]

صفحة ٢٢٧] و قوله من أوسيط ما تطعمون أهليكم فيه قولان أحدهما الخبز واللحم دون الأدم لأن أفضله الخبز واللحم والتمر وأوسطه الخبز والزيت أو السمن وأدونه الخبز والملح. الثاني أوسطه في المقدورات فكنت تشيع أهلكت أو لاتشيعهم بحسب اليسر والعسر فتقدير ذلك هذا قول ابن عباس وعندنا يلزمه أن يعطى كل مسكين مدين وقال قوم يكفيه مد وروى ذلك في أخبارنا فالأول للمغنى الواجد والثاني لمن دونه في الغنى. و قوله أو تحرير رقبته فالرقبة التي تجزى في هذه الكفارة كل رقبة كانت سليمة من عند الضرورة قميص وقال الحسن ثوب. و قوله أو تحرير رقبته جعلها حره وهذه الثلاثة الأشياء بلا خلاف وعندنا أيضا واجبه على التخير وقال قوم الواجب منها واحد لا يعينه. والكفارة قبل الحنث لاتجزى وفيه خلاف. فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام أو كفارته صيام ثلاثة أيام وحده من ليس بواجد هو من ليس عنده ما يفضل عن قوته وقوت عياله يومه وليلته كما ذكرناه في باب الصوم. وصوم هذه الأيام الثلاثة متتابع ويقويه قراءة ابن مسعود وأبي صيام ثلاثة أيام متتابعات. -قرآن- ٩-٤٣-قرآن- ٤٢٧-٤٤٠-قرآن- ٥٤٠-٥٦٠-قرآن- ٩٣٦-٩٧٦ [صفحة ٢٢٨] وعن علي بن أبي حمزة سألت أبا عبد الله ع عن قال والله ثم لم يف به قال كفارته إطعام عشرة مساكين مدا مدا دقيق أو حنطة أو تحرير رقبة أو صيام ثلاثة أيام متوالية إذا لم يجد شيئا قلت ما حد من لم يجد فإن الرجل يسأل في كفه وهو يجد قال إذا لم يكن عنده فضل من قوت عياله فهو لا يجد -رواية- ١-٢-رواية- ٢٧-٢٩٩ و عن ابن عباس كل صيام في القرآن متتابع لإقضاء رمضان -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-٦٣. ثم قال ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم أي حنثتم و احفظوا أيمانكم أي احفظوها من أن تحلفوا بها ومعناه لاتحلفوا وقيل معناه احفظوها من الحنث وهو الأقوى لأن الحلف مباح إلا في معصية بلا خلاف وقيل مكروه في حال الصدق وإنما الواجب ترك الحنث وذلك يدل على أن اليمين في المعصية غير منعقدة لأنها لو انعقدت للزم حفظها وإذا لم تنعقد لم تلزمه كفارة على ما بيناه -قرآن- ١١-٥٠-قرآن- ٦١-٨٢

باب حفظ اليمين

إشارة

اعلم أن من حلف بالله أنه يفعل قبيحا أو يترك واجبا لم تنعقد يمينه و لم تلزمه كفارة إذا فعل ما حلف أنه لا يفعله أو لم يفعل ما حلف أنه يفعله والدليل عليه أن انعقاد اليمين حكم شرعى بغير شبهة وقد علمنا بالإجماع انعقاد اليمين إذا كانت على طاعة أو مباح فإذا تعلقت بمعصية فلا إجماع و لادليل يوجب العلم على انعقادها فوجب نفى انعقادها لانتفاء دليل شرعى عليه. [صفحة ٢٢٩] و الذى يكشف عن صحة ما ذكرناه أن الله تعالى أمرنا بقوله و احفظوا أيمانكم بأن نحفظ أيماننا ونقيم عليها كقوله أو فؤا بالعقود فاليمين المنعقدة هي التي يجب حفظها والوفاء بها و لاخلاف أن اليمين على المعصية بخلافه فيجب أن تكون غير منعقدة و إذا لم تنعقد فلا كفارة فيها. -قرآن- ٦٠-٨١-قرآن- ١١٩-١٣٧ و قال أبو عبد الله الصادق ع لاتحلفوا بالله صادقين و لا كاذبين فإن الله عز و جل قد نهى عن ذلك فقال و لا تجعلوا لله عرضة لأيمانكم ثم قال من حلف بالله فليصدق و من لم يصدق فليس من الله و من حلف له بالله فليرض و من لم يرض فليس من الله -رواية- ١-٢-رواية- ٣٤-٢٧٦. و لو حلف الرجل أن لا يحك أنفه لا يتلى به. فقوله تعالى و لا تجعلوا لله عرضة لأيمانكم يدل على أن الحلف صادقا مكروه و فى حال الكذب محظور لأن اللفظ الواحد يجوز أن يراد به معنيان مختلفان. -قرآن- ٦١-١٠٣

وقوله تعالى وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا أَى لَا تَجْعَلُوا اليمين بالله مبتدلة في كل حق وباطل لأن تبروا في الحلف فيها وتبقوا الإثم - قرآن- ١٦-٧١ [صفحة ٢٣٠] فيها وهو المروى عن عائشة لأنها قالت لا تحلفوا به وإن بررتم و به قال الجبائي وهو المروى عن أئمتنا ع . وأصله على هذا معترض بالبذل لا تبذل يمينك في كل حق وباطل وقيل في معناه قولان آخران أحدهما أن العرضة على أنه قيل لا تجعلوا اليمين بالله على مانعة من البر والتقوى من حيث تعمدوا لتعتلوا بها وتقولوا قد حلفنا بالله ولم تحلفوا به هذا قول الحسن وأصله في هذا الوجه الاعتراض به بينكم وبين البر والتقوى للامتناع منهما لأنه قد يكون المعترض بين شيئين مانعا من وصول أحدهما إلى الآخر فالعلة مانعة لهذا المعترض وقيل العرضة المعترض قال الشاعر فلا تجعليني عرضة للوائم . الثاني عرضة حجة كأنه قيل لا تجعلوا اليمين بالله حجة في المنع أن تبروا وتتقوا بأن تكونوا قد سلف منكم يمين ثم يظهر أن غيرها خير منها فافعلوا الذي هو خير ولا تحتجوا بما سلف من اليمين . والأصل في هذين القولين واحد لأنه منع من جهة الاعتراض بعلة أو حجة . وقيل إن أصل عرضة قوة فكأنه قيل ولا تجعلوا الحلف بالله قوة لأيمانكم في ألا تبروا وعلى هذا يكون الأصل العرض لأين بالقوة يتصرف في العرض والطول فالقوة عرضة لذلك فتقدير أول هذين القولين لا تجعل الله مانعا من [صفحة ٢٣١] البر والتقوى باعتراضك به حالفا وتقدير ثانيهما لا تجعل الله بما تحلف به دائما باعتراضك بالحلف من كل حق وباطل لتكون من البررة والأتقياء . وقيل في معنى قوله أن تبروا وثلاثة أقوال أحدها لأن تبروا على معنى الإثبات الثاني أن يكون على معنى لدفع أن تبروا أولترك أن تبروا الثالث على تقدير ألا- تبروا وحذفت لأنه في معنى القسم كقول امرئ القيس - قرآن- ١٦٥-١٧٦ فقلت يمين الله أبرح قاعدا || و لو قطعوا رأسى لديك وأوصالى . أى لأبرح هذا قول أبى عبيد وأنكر هذا أبو العباس لأنه لما كان معه أن بطل أن يكون جواب القسم . وفي موضع أن تبروا وثلاثة أقوال أحدها أن موضعه الخفض فحذف اللام عن الخليل والكسائي . الثاني موضعه النصب قال سيبويه لما حذف الخافض وصل الفعل وهو القياس . الثالث قال قوم موضعه الرفع على أن يكون التقدير أن تبروا وتتقوا فتصلحوا بين الناس أولى وحذف أولى لأنه معلوم المعنى أجازة الزجاج . وقال بعض المفسرين فعلى هذا إذا حلف أن لا يعطى زيدا من معروفه ثم رأى أن بره خير أعطاه ونقض يمينه . وعندنا لا كفارة عليه وجوبا وإن كفر كان ندبا وإنما جاز ذلك لأنه لا يخلو من أن يكون حلف يميناً جائزة أو غير جائزة فإن كانت جائزة فهي مقيدة بأن لا يرى ما هو خير فليس في هذا مناقضة للجائز وإن كانت غير جائزة فنقضها غير مكروه . ثم قال لا يُؤاخذكمُ اللهُ باللغوِ في أيمانكمُ وَ لَكِن يُؤاخذكمُ بما كَسَبْتُمْ - قرآن- ١١٣-١٢٤- قرآن- ٧٥٤-٨٣٣ . أى لأبرح هذا قول أبى عبيد وأنكر هذا أبو العباس لأنه لما كان معه أن بطل أن يكون جواب القسم . وفي موضع أن تبروا وثلاثة أقوال أحدها أن موضعه الخفض فحذف اللام عن الخليل والكسائي . الثاني موضعه النصب قال سيبويه لما حذف الخافض وصل الفعل وهو القياس . الثالث قال قوم موضعه الرفع على أن يكون التقدير أن تبروا وتتقوا فتصلحوا بين الناس أولى وحذف أولى لأنه معلوم المعنى أجازة الزجاج . وقال بعض المفسرين فعلى هذا إذا حلف أن لا يعطى زيدا من معروفه ثم رأى أن بره خير أعطاه ونقض يمينه . وعندنا لا كفارة عليه وجوبا وإن كفر كان ندبا وإنما جاز ذلك لأنه لا يخلو من أن يكون حلف يميناً جائزة أو غير جائزة فإن كانت جائزة فهي مقيدة بأن لا يرى ما هو خير فليس في هذا مناقضة للجائز وإن كانت غير جائزة فنقضها غير مكروه . ثم قال لا يُؤاخذكمُ اللهُ باللغوِ في أيمانكمُ وَ لَكِن يُؤاخذكمُ بما كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ أَى لا يلزمكم كفارة في الدنيا ولا عقوبة في الآخرة على اليمين التي تقع منكم لغوا على ما ذكرناه . - قرآن- ١-١١

و من حلف أن يؤدب غلامه بالضرب جاز له تركه ولا يلزمه الكفارة قال الله تعالى وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى عَلَى أَنَّهُ يُمْكِنُهُ التَّوْبَةُ وَإِنْ كَانَ حَلْفٌ مِثْلًا أَنْ يَضْرِبَهُ مِائَةً عَلَى مَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَ تَحُدُّ بِيَدَيْكَ ضِعْمًا فَاضْرِبْ بِهِ وَ لَا تَحْنَثْ. و من حلف أن لا يكلم زيدا حيننا وقع على ستة أشهر والدليل عليه بعد إجماع الطائفة قوله تعالى تَوْتِي أَكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ وَ هَذَا مَرُورِيٌّ عَنْ أَيْمُنِ بْنِ عَبَّاسٍ . وَقِيلَ إِنَّ الْإِسْتِدْلَالَ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ أَنْ يُقَالَ إِنَّ اسْمَ الْحَيْنِ يَقَعُ فِي الْقُرْآنِ عَلَى أَشْيَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ يَقَعُ عَلَى الزَّمَانِ كُلِّهِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَ حِينَ تُصْبِحُونَ وَإِنَّمَا أَرَادَ زَمَانَ الصُّبْحِ وَالْمَسَاءِ كُلَّهُ وَمِمَّا يَقَعُ عَلَيْهِ اسْمُ الْحَيْنِ أَيْضًا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى وَ مَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ الْمُرَادُ بِهِ وَقْتُ مَبْهَمٍ - قُرْآن - ٨٥ - ١١٥ - قُرْآن - ٢٠١ - ٢٤٨ - قُرْآن - ٣٤٦ - ٣٨٧ - قُرْآن - ٥٨٦ - ٦٣٦ - قُرْآن - ٧٢٤ - ٧٤٧ [صفحة ٢٣٣] وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى تَوْتِي أَكُلَهَا كُلَّ حِينٍ هُوَ سِتَّةُ أَشْهُرٍ - رَوَايَاتُ - ١ - ٢ - رَوَايَاتُ - ٢٩ - ٨٥ وَمِمَّا يَقَعُ عَلَيْهِ اسْمُ الْحَيْنِ أَيْضًا أَرْبَعُونَ سَنَةً قَالَ اللَّهُ تَعَالَى هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ فَنَذِرٌ مِّنَ الْمَفْسُورِينَ أَنَّهُ تَعَالَى أَرَادَ أَرْبَعِينَ سَنَةً. وَ مَعَ اسْتِرَاكِ اللَّفْظِ لِابْتِدَاءِ دَلَالَةٍ فِي حَمَلِهِ عَلَى الْبَعْضِ لِمَارَاتِ الْإِمَامِيَّةِ عَنْ أَيْمُنِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ سِتَّةُ أَشْهُرٍ وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ كَانَ ذَلِكَ حُجَّةً فِي حَمَلِهِ عَلَى مَا ذَكَرْنَا وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ - قُرْآن - ٦٣ - ١٠٥

باب أقسام النذور والعهود وأحكامها

إشارة

قال الله تعالى وَ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ أَلَيْسَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّذْرَ يَلْزِمُ الشَّيْءَ كَمَا يَلْزِمُ بِالْإِذْنِ لِقَوْلِهِ بِالْإِنْفَاقِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فَقَالَ أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَقَالَ الزَّجَّاجُ يُرِيدُ مَا تَصَدَّقْتُمْ مِنْ فَرَضٍ لِأَنَّهُ فِي ذِكْرِ الزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ بَعْدَهُ وَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ الظَّالِمُ هُنَا مَنْ أَنْفَقَ مَالَهُ رِيَاءً وَ سَمِعَهُ وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالظَّالِمِ هَاهُنَا مَنْ أَنْفَقَ مَالَهُ لَا كَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِوَضْعِ الصَّدَقَةِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ لِأَنَّ الظلم وضع الشيء في غير موضعه والمعتدى في الصدقة كمانعها والوفاء بالنذر واجب إذا كان في طاعة الله . - قُرْآن - ١٩ - ٦٩ - قُرْآن - ١٨٥ - ٢١٨ - قُرْآن - ٣١٠ - ٣٤٠ [صفحة ٢٣٤] وَالنَّذْرُ عَقْدٌ فَعَلَ شَيْءٌ مِنَ الْبِرِّ عَلَى النَّفْسِ بِشَرْطِ كَأَن يَقُولَ إِنْ عَافَى اللَّهُ مَرِيضِي تَصَدَّقْتُ بِكَذَا اللَّهُ وَ هُوَ مِنَ الْخَوْفِ لِأَنَّهُ يَعْقِدُ عَلَى نَفْسِهِ مَخَافَةَ التَّقْصِيرِ فِيهِ وَقَالَ تَعَالَى أَوْفُوا بِالْعُقُودِ. قَالَ الزَّجَّاجُ الْعُقُودُ أَلْبَغُ مِنَ الْعَهْدِ يَكُونُ عَلَى اسْتِثْقَاءٍ وَغَيْرِهِ وَالْعَقْدُ لَا يَكُونُ إِلَّا الْعَهْدُ الَّذِي أَخَذَ عَلَى اسْتِثْقَاءٍ فَكَأَنَّهُ قَالَ الْعُقُودُ الَّتِي أَحْكَمَ عَقْدَهَا أَوْفُوا بِهَا. - قُرْآن - ١٦٣ - ١٨١ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِذَا كَانَ الْعَقْدُ عَلَى طَاعَةٍ وَجِبَ الْوَفَاءُ وَإِنْ كَانَ عَلَى مَعْصِيَةٍ لَمْ يَجْزِ الْوَفَاءُ بِهَا وَ إِذَا كَانَ عَلَى مَبَاحٍ جَازَ الْوَفَاءُ - رَوَايَاتُ - ١ - ٢ - رَوَايَاتُ - ٢٠ - ١٢٧ . وَ لَمْ يَجِبْ عِنْدَنَا أَنْ يَكُونَ كَمَا ذَكَرْنَا فِي بَابِ الْيَمِينِ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْمَبَاحِ وَالْمَعْصِيَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى يُؤْفُونَ بِالنَّذْرِ وَ يَخَافُونَ وَ قَالَ وَ الْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَ قَالَ وَ مِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ وَ قَالَ وَ لَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلُونَ الْأَدْبَارَ وَ كَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا. وَ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو جَعْفَرٍ فِي الْمَبْسُوطِ النَّذْرُ ضَرْبَانِ أَحَدُهُمَا نَذْرٌ لِحَاجٍ وَغَضَبٍ وَصُورَتُهُ صُورَةُ الْيَمِينِ إِذَا أَنْ يَمْنَعُ نَفْسَهُ بِفِعْلٍ أَوْ يَجِبُ عَلَيْهَا فَعَلْ شَيْءٍ فَالْمَنْعُ أَنْ يَقُولَ إِنْ دَخَلْتُ الدَّارَ فَمَالِي صَدَقَةٌ وَ الْإِجَابُ أَنْ يَقُولَ إِنْ لَمْ أَدْخُلِ الدَّارَ فَمَالِي صَدَقَةٌ فَإِذَا وَجَدَ شَرْطَ نَذْرِهِ فَهُوَ بِالْخِيَارِ بَيْنَ الْوَفَاءِ بِهِ وَ بَيْنَ كِفَارَةِ الْيَمِينِ . - قُرْآن - ١٠٠ - ١٣٠ - قُرْآن -

١٣٨-١٧٥-قرآن-١٧٨-٢١٣-قرآن-٢٢١-٢٤٧-قرآن-٢٥٥-٣٤٨ [صفحہ ٢٣٥] والضرب الثاني نذر التبرر والطاعة و هو على ضربين إما أن يعلقه بجزء أو يطلق فالجزء إما إسداء نعمته كقولك إن رزقني الله ولدا فله على أن أتصدق بمالي وإما دفع نعمة مثل أن تقول إن نجاني الله من البحر فله على أن أصوم كذا فإذا وجد شرط نذره لزمه الوفاء. والمطلق أن يقول لله على أن أتصدق بمالي أو أحج أو أصوم ونحو هذا نذر طاعة ابتداء بغير جزء فعندنا أنه يلزمه وقيل لا يتعلق به حكم لأن ثعلبا قال النذر عند العرب وعد بشرط والأول أصح عندنا.

فصل

واعلم أن النذر هو أن تقول إن كان كذا فله على كذا من صوم وغيره أو تعتقد أنه متى كان شيئا فله على كذا وجب عليك الوفاء به عند حصول ذلك الشيء ومتى لم تقل لله و لم تعتقه لله كنت مخيرا في الوفاء به وتركه . والمعاهدة أن تقول عاهدت الله أو تعتقد ذلك أنه متى كان كذا فعلى كذا فمتى حصل شرطه وجب عليك الوفاء به وكذا إن لم تقل لله و لم تعتقه كان مستحبا للوفاء به . وإنما يكون للنذر والعهد تأثير إذا صدر عن نية . و عن محمد بن مسلم أنه سأل الباقر أو الصادق ع عن امرأة جعلت مالها هديا و كل مملوك لها حرا إن كلمت أختها أبدا قال تكلمها و ليس هذا بشيء إن هذا وشبهه من خطوات الشيطان قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان و من يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء و المنكر -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٣٢٨ . [صفحہ ٢٣٦] وقال المرتضى لا ينعقد النذر حتى يكون معقودا بشرط متعلق به كأن يقول لله على أن أصوم أو أتصدق إن قدم فلان و لو قال لله على أن أصوم من غير شرط يتعلق به لم ينعقد نذره قال والدليل عليه أن معنى النذر في القرآن يكون متعلقا بشرط ومتى لم يتعلق بشرط لم يستحق هذا الاسم و إذا لم يكن نادرا إذا لم يشترط لم يلزمه الوفاء لأن الوفاء إنما يلزم متى ثبت الاسم والمعنى . قال فأما استدلالهم بقوله أوفوا بالعقود وبقوله أوفوا بعهد الله إذا عاهدتم فليس بصحيح لأننا لانسلم أنه مع التعرى من الشرط يكون عقدا وعهدا وإنما تناولت الآيتان ما يستحق اسم العقد والعهد فعليهم أن يدلوا عليه . والاحتياط فيما قدمناه من أنه يجب الوفاء و إن كان مطلقا. والقائل إذا نذر فقال لله على أن أصوم كل خميس فإنه يجب عليه صومه أبدا لأنه أيضا في معنى المشروط كأنه قال إن عشت . -قرآن- ٤١٠-٤٢٨-قرآن-٤٣٧-٤٧٢

فصل

و أما قوله تعالى و ما أنفقتم من نفاقه أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه فله معنى الذي و مابعدا صلتها والعائد إليها الهاء في قوله يعلمه. والنذر عقد الشيء على النفس في فعل شيء من البر بشرط أو غيره بأن يقول لله على كذا إن كان كذا والله على كذا. فإن الله يعلمه أى يجازى عليه فدل بذكر العلم على تحقيق الخبر إيجازا للكلام . -قرآن- ٢٠-٩٤-قرآن-١٥٧-١٦٥-قرآن-٢٧٩-٣٠١ [صفحہ ٢٣٧] وقوله أوفوا بالعقود أمرهم بالإتمام بالوفاء لما لزمهم والعقود هى التى يتعاقدها الناس بينهم أو يعقدها المرء على نفسه كعقد الأيمان وعقد النكاح وعقد الشركة وعقد البيع وعقد العهد وعقد الحلف . و قال بعض المفسرين أراد الوفاء بالنذور فيما يجوز الوفاء به أى أوفوا بالعقود الصحيحة لأنه لا يلزم أحدا أن يفى بعقد فاسد كالنذر فى قتل مؤمن ظلما وغصب ماله . وقيل فى قوله تعالى و لا تتبعوا خطوات الشيطانهى النذور فى المعاصى. و قوله يوفون بالنذر الوفاء بالنذر هو أن يفعل ما نذر عليه و قد ذكرنا أن النذر عقد على فعل على وجه البر بوقوع أمر يخاف أن لا يقع . وكفارة النذر مثل كفارة الظهار فإن لم يقدر

كان عليه كفارة اليمين والمعنى به أنه إذا فات الوقت الذي نذر فيه صار بمنزلة الحنث والله أعلم بالصواب -قرآن- ٢٧-٩-قرآن-
٣٨٨-٤٢٢-قرآن-٤٥٤-٤٧١

باب أقسام العهد

قال الله تعالى وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ عَلِمَ أَنْ مِنْ عَاهِدِ اللَّهِ أَنْ يَفْعَلَ وَاجِبًا أَوْ نَدْبًا أَوْ مَا يَكُونُ بِهِ مَطِيعًا وَجِبَ عَلَيْهِ الْوَفَاءُ بِهِ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ كَانَ عَلَيْهِ الْكُفَّارَةُ وَكَذَلِكَ إِنْ عَاهَدَ عَلَى أَنْ لَا يَفْعَلَ قَبِيحًا أَوْ لَا يَتْرَكَ وَاجِبًا أَوْ نَدْبًا ثُمَّ فَعَلَ الْقَبِيحَ أَوْ تَرَكَ الطَّاعَةَ وَجِبَ عَلَيْهِ أَيْضًا الْكُفَّارَةُ. أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِأَنْ يَفُوا بِعَهْدِهِ إِذَا عَاهَدُوا عَلَيْهِ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ وَ أَوْفُوا -قرآن- ١٩-٥٧-قرآن- ٣٦١-٣٧٠ قال الله تعالى وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ عَلِمَ أَنْ مِنْ عَاهِدِ اللَّهِ أَنْ يَفْعَلَ وَاجِبًا أَوْ نَدْبًا أَوْ مَا يَكُونُ بِهِ مَطِيعًا وَجِبَ عَلَيْهِ الْوَفَاءُ بِهِ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ كَانَ عَلَيْهِ الْكُفَّارَةُ وَكَذَلِكَ إِنْ عَاهَدَ عَلَى أَنْ لَا يَفْعَلَ قَبِيحًا أَوْ لَا يَتْرَكَ وَاجِبًا أَوْ نَدْبًا ثُمَّ فَعَلَ الْقَبِيحَ أَوْ تَرَكَ الطَّاعَةَ وَجِبَ عَلَيْهِ أَيْضًا الْكُفَّارَةُ. أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِأَنْ يَفُوا بِعَهْدِهِ إِذَا عَاهَدُوا عَلَيْهِ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنْ الْعَهْدُ كَانَ مَسْئَلًا أَيْ مَسْئُولًا عَنْهُ لِلْجِزَاءِ عَلَيْهِ فَحُذِفَ عَنْهُ لِأَنَّهُ مَفْهُومٌ . وَالآيَةُ أَمَرَ مِنْهُ تَعَالَى بِالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ الَّتِي تَحْسَنُ وَتَمْتَعُ عَقْدَ عَاقِدٍ عَلَى مَا لَا يَجُوزُ نَقْضُ ذَلِكَ الْعَقْدِ الْفَاسِدِ . وَ قَدْ يَجِبُ الشَّيْءُ لِلنَّذْرِ وَالْعَهْدِ وَالْوَعْدِ بِهِ وَإِنَّمَا يَجِبُ عِنْدَ الْعَقْدِ وَالْعَهْدِ الَّذِي يَجِبُ الْوَفَاءُ بِهِ هُوَ كُلُّ فَعَلٍ حَسَنٍ إِذَا عَقِدَ عَلَيْهِ وَعَاهَدَ اللَّهُ لِيَفْعَلَنَّهُ بِالْعَزْمِ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَصِيرُ وَاجِبًا عَلَيْهِ وَ لَا يَجُوزُ لَهُ خِلَافُهُ كَمَا ذَكَرْنَاهُ فَأَمَّا إِذَا رَأَى غَيْرَهُ خَيْرًا مِنْهُ فَلِيَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ فَالْكَفَّارَةُ عَلَيْهِ وَ هَذَا يَجُوزُ فِيمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَشْرَطَ فَأَمَّا إِذَا أَطْلَقَهُ وَ هُوَ لَا يَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَهُ خَيْرًا فَقَدْ أَسَاءَ بِإِطْلَاقِ الْعَقْدِ عَلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ وَ لَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَ هَذَا نَهَى مِنْهُ تَعَالَى عَنْ حُنْثِ الْأَيْمَانِ بَعْدَ عَقْدِهَا وَ تَوْكِيدِهَا وَ فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْيَمِينَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ غَيْرِ مَنْعُودَةٍ لِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَنْعُودَةً لَمَا جَازَ نَقْضُهَا وَاجْتَمَعُوا عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ نَقْضُهَا وَ لَا يَجُوزُ الْوَفَاءُ بِهِ . وَ قَدْ مَدَحَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رَاعُونَ أَيْ مُحَافِظُونَ مَا يَعْهَدُونَ عَلَيْهِ وَ الْمُرَاعَاةَ قِيَامَ الدَّاعِي بِاصْلَاحِ مَا يَتَوَلَّاهُ وَ قَالَ تَعَالَى وَ لَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ وَ قَالَ وَ مِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ . -قرآن- ١-٣٧-قرآن- ٥٧٧-٦١٨-قرآن- ٨٤٥-٨٩٣-قرآن- ٩٧٩-١٠١٩-قرآن- ١٠٢٧-١٠٩٠ [صفحہ ٢٣٩] وَ إِنَّمَا صَحَّ أَنْ يَعْهَدَ اللَّهُ مِنْ لَا يَعْرِفُهُ لِأَنَّهُ إِذَا وَصَفَهُ بِأَخْصِ صِفَاتِهِ جَازَ أَنْ يَعْرِفَ عَهْدَهُ إِلَيْهِ فَلِذَلِكَ جَازَ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ عَارِفٍ وَ قَالَ تَعَالَى وَ بِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا -قرآن- ١٣٥-١٥٩

باب الكفارات

إشارة

أما كفارة اليمين فقد قال الله تعالى فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَّةً يَوْمَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَيْ الثَّلَاثَةَ الَّتِي هِيَ عَتَقَ رَقَبَةً أَوْ إِطْعَامَ عَشْرَةَ مَسَاكِينَ أَوْ كِسْوَتَهُمْ فَعَلَّ فَقَدْ أَجْزَأَ مَخِيرَ فِيهَا وَتَمَّتْ عَجْزٌ عَنْ جَمِيعِهَا كَانَ عَلَيْهِ صِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ . -قرآن- ٤٠-١٩٤ و عن محمد بن مسلم سألت أبا جعفر عن قوله تعالى مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَوْ كِسْوَتُهُمْ قَالَ ثَوْبٌ وَ عَنْ إِطْعَامِ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ أَوْ إِطْعَامِ سِتِينَ مَسْكِينًا الْجَمْعُ لِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ يُعْطَاهُ قَالَ لَا- وَلَكِنْ يُعْطَى إِنْسَانًا إِنْسَانًا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى قَلْتُ يُعْطِيهَا الرَّجُلَ مَرَاتَهُ إِذَا كَانُوا مُحْتَاجِينَ قَالَ نَعَمْ -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٢٩٨ وَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَوْ كِسْوَتُهُمْ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَ هُوَ كَمَا يَكُونُ [إِنَّهُ يَكُونُ] فِي الْبَيْتِ مِنْ يَأْكُلُ أَكْثَرَ مِنْ

المد ومنهم من يأكل أقل من المد بين ذلك و إن شئت جعلت لهم إداما والإدام أذناه الملح وأوسطه الخل والزيت وأرفعه اللحم -روایت- ۱-۲-روایت- ۳-۲۶۴ . والكفارة فعالة من الكفر و هوالستر والتغطية أى الذى يستر هذاالذنب [صفحه ۲۴۰] و هوالحنث فى اليمين المعقود عليها حتى يزول عنه العقاب . والضمير فى قوله فَكَفَّارٌ تُهَيِّعُود إلى الذنب بالحنث بأنه مدلول عنه و قال أبو على الفارسى أى كفارة ماعقدتم عليه لأن الكفارة أوجبت بالتنزيل فيما عقد عليه دون اليمين التى لم يعقد عليها والمعقود عليه دون ما كان موقوفا على الحنث والبر دون ما لم يكن كذلك . و قال الزجاج أى فكفارة المؤاخذه فيه إذاحنث أن يطعم عشرة مساكين ذكورا كانوا أوإناثا أومختلطين . والمراد بالرقبة واحد من المماليك والأصل فى ذلك العنق و ماحولها وأريد هاهنا جملة البدن لأنه شبه المملوك بالأسير الذى يشد رقبته فإذاأطلق فك عن رقبته فكذا المملوك إذاعتق و قال الحسن كل مملوك كالآخر فى الجواز فيجوز الكافر أيضا لأن الآية مبهمه . وخير الله الحالف بين هذه الثلاثة و فيه تفاوت لأن إشباع عشرة لايفى بثمان الرقبة و الله العالم بوجه الحكمة فى تسوية هذاذاك وكذلك الكسوة ثمنها دون الرقبة بكثير و قال الزجاج أكثرها نفعاً أفضلها عند الله فإن كان الناس فى جذب لايقدررون على المأكل فالإطعام أفضل لأن به قوام الحياة و إلافالإعتاق أوالكسوة أفضل . -قرآن- ۷۸-۹۰

فصل

وكفارة قتل الخطأ واجبة سواء أخذ أولياء المقتول الدية من العاقله أو من القاتل أو تصدقوا قال الله تعالى وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقِيَّةٍ مُؤْمِنَةٍ وَسَوَاءٌ كَانَ الْمَقْتُولُ مُؤْمِنًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ مُؤْمِنًا وَقَوْمَهُ كَافِرُونَ وَالْقَاتِلُ لَا يَعْرِفُ إِيمَانَهُ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مَبَاحٌ الدَّمِ أَوْ مُؤْمِنًا وَقَوْمَهُ مَعَاهِدُونَ . -قرآن- ۱۰۸-۱۶۶ [صفحه ۲۴۱] وقيل إن الكفارة أيضا واجبة إذا كان المقتول كافرا بين قوم معاهدين لعموم قوله وَ إِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَ تَحْرِيرُ رَقِيَّةٍ مُؤْمِنَةٍ . واختلفوا فى وجوب الكفارة على القاتل عمدا إذاقبل منه الدية أو عفى عنه فقال قوم عليه الدية و لا كفارة ومنهم من قال عليه كفارة واجبة كوجوبها فى قتل الخطأ لأنها وجبت فى الخطأ بالقتل و هو حاصل فى العمد . وعندنا كفارة قتل العمد عتق رقبة وإطعام ستين مسكينا وصيام شهرين متتابعين بعد رضاء أولياء المقتول بالدية أو العفو عنه . -قرآن- ۸۳-۱۹۶

فصل

فإن قيل ماتقولون فى الكفارة أهى عقوبة. قلنا الصحيح أن يقال الكفارة للظهار والوطء فى نهار شهر رمضان فى الحضر و غير ذلك أنها تقع موقع العقوبة لما ثبت وجوبها إلا فيما يعظم فيه المأثم فأما إن كان عقوبة فيما سواه فكلما و هذا بين لأن تحريم الأكل فى نهار شهر رمضان فى حال الحضر تكليف فإذاأكل وكفر بعده فإنه على التكفير يستحق المثوبة و ما هذاحاله معدود فى النعم فكيف يكون عقوبة و الله أعلم بالصواب

باب الزيادات

إشارة

قوله تعالى بِمَا عَقَّدْتُمُ الْإِيمَانَ أَي بتعقيدكم الأيمان و هو توثيقها بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤخذكم بما عقدتم إذ احشتم فحذف وقت المؤاخذه لأنه كان معلوما عندهم أو ينكت ما عقدتم فحذف المضاف . -قرآن- ١٤-٣٧ [صفحہ ٢٤٢] فَكَفَّارَتُهُ أَي فكفارة حنثه ونكته والكفارة فعلة من شأنها أن تكفر الخطيئة أى تسترها. -قرآن- ١-١٣

مسألة

وقوله تعالى أَوْ كَسَوْتُمْ عِطْفَ عَلَى مَحَلٍ مِنْ أَوْسَطٍ وَوَجْهَهُ أَنْ مِنْ أَوْسَطٍ بَدَلٍ مِنَ الْإِطْعَامِ وَالْبَدَلُ هُوَ الْمَقْصُودُ وَلِذَلِكَ كَانَ الْمَبْدَلُ مِنْهُ فِي حُكْمِ الْمَنْحَى . وَالْكَسْوَةُ ثَوْبٌ يَغْطِي الْعَوْرَةَ وَمَعْنَى أَوْ التَّخْيِيرُ وَإِجَابُ أَحَدِ الْكِفَارَاتِ الثَّلَاثِ عَلَى الْإِطْلَاقِ فَإِنَّهَا كُلُّهَا وَاجِبَةٌ عَلَى سَبِيلِ التَّخْيِيرِ بِأَيْتِهَا أَخَذَ الْمَكْفُرُ فَقَدْ أَصَابَ . وَقَوْلُهُ ذَلِكَ أَي الْمَذْكُورَ كَفَّارَةً أَيْمَانِكُمْ وَلَوْ قِيلَ تِلْكَ كِفَارَةٌ أَيْمَانِكُمْ لَكَانَ صَحِيحًا عَلَى مَعْنَى تِلْكَ الْأَشْيَاءِ أَوْلَتْ أَيْمَانِكُمْ أَيْ لَا تَحْنُثُوا أَرَادَ الْإِيمَانَ اللَّهُ الْحَنْثُ فِيهَا مَعْصِيَةٌ وَقِيلَ أَحْفَظُوهَا كَيْفَ حَلَفْتُمْ بِهَا وَلَا تَنْسُوهَا تَهَاوَنًا بِهَا كَذَلِكَ أَي مِثْلَ ذَلِكَ الْبَيَانِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ أَي أَعْلَامَ شَرِيعَتِهِ . -قرآن- ١٦-٢٩ -قرآن- ٣٠٤-٣٠٨ -قرآن- ٣٢٠-٣٣٩ -قرآن- ٤٢٣-٤٤٤ -قرآن- ٥٤٦-٥٥٢ -قرآن- ٥٧٣-٦٠١

مسألة

قوله تعالى وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِعَرَضِهِ فَعَلُهُ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ كَالغُرْقَةِ وَالْعَرَضَةُ أَيْضًا الْمَعْرُضُ لِلْأَمْرِ وَمَعْنَى الْآيَةِ عَلَى الْأَوَّلِ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَحْلِفُ عَلَى بَعْضِ الْخَيْرَاتِ مِنْ صَلَهِ رَحِمٍ أَوْ إِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنٍ أَوْ إِحْسَانٍ إِلَى أَحَدٍ ثُمَّ يَقُولُ أَخَافُ اللَّهَ أَنْ أَحْنُثَ فِي يَمِينِي فَيَتْرِكُ الْبِرَّ فِي يَمِينِهِ فَقِيلَ لَهُمْ فَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ حَاجِزًا لِمَا حَلَفْتُمْ عَلَيْهِ . -قرآن- ١٤-٤٣ [صفحہ ٢٤٣] وَاسْمُ الْمَحْلُوفِ عَلَيْهِ يَمِينًا لِتَلْبَسَهُ بِالْيَمِينِ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ إِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَاتَّذِرْهُ هُوَ خَيْرٌ -رواية- ١-٢ -رواية- ٣-١٠٧ أَي عَلَى شَيْءٍ مِمَّا يَحْلِفُ عَلَيْهِ . وَقَوْلُهُ أَنْ تَبَرَّوْا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا عِطْفَ بَيَانٍ لِأَيْمَانِكُمْ أَي لِلْأُمُورِ الْمَحْلُوفِ عَلَيْهَا الَّتِي هِيَ الْبِرُّ وَالتَّقْوَى وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ . -قرآن- ٣٨-٧٤

مسألة

فإن قيل بم تعلق اللام في قوله لأيمانكم. قلت بالفعل أى ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم حجازا ويجوز أن يكون اللام للتعليل ويتعلق أن تبروا بالفعل أو بالعرضة أى لا تجعلوا الله لأجل أيمانكم عرضة لأيمانكم فتبتذله بكثرة الحلف به ولذلك ذم من أنزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين أشنع المدام وجعل كونه حلافا مقدماتها وأن تبروا علته للنهي أى إرادته أن تبروا وتتقوا وتصلحوا لأن الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون متقيا ولا يثق به الناس فلا يدخلونه فى وسائطهم وإصلاح ذات بينهم. لا يؤخذكم الله باللغو فى أيمانكم أى لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذى لا قصد معه ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من إثم القصد إلى الكذب فى اليمين و هو أن يحلف على ما يعلم أنه خلاف ما يقوله -قرآن- ٣٨-٤٩ -قرآن- ١٤٣-١٥٤ -قرآن- ٢٧٢-٣٠٣ -قرآن-

إشارة

قال الله تعالى أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا أَبَاحَ سُبْحَانَهُ صَيْدَ الْبَحْرِ مطلقاً لكل أحد وأباح صيد البر إلا في حال الإحرام وفي الحرم . وقال تعالى يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا. وقال إذا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا أَي إِذَا حَلَلْتُمْ مِنْ إِحْرَامِكُمْ فَاصْطَادُوا الصَّيْدَ الَّذِي نَهَيْتُمْ عَنْهُ أَنْ تَحْلُوهُ وَأَنْتُمْ حَرَمٌ بِمَعْنَى لَأُحْرَجَ عَلَيْكُمْ فِي اصْطِيَادِهِ إِنْ شِئْتُمْ حِينَئِذٍ لِأَنَّ السَّبَبَ الْمَحْرَمَ قَدْ زَالَ لِأَنَّ مَعْنَاهُ الْإِبَاحَةُ وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الصُّورَةُ مُشْتَرَكَةً بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَمْرِ وَاللَّهِ أَعْلَمَ -قرآن- ١٩-١٣٦-قرآن- ٢٣٩-٢٩٧-قرآن- ٣٠٦-٣٢٩

باب أحكام الصيد

إشارة

أما الذي أحله بقوله تعالى أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ فهو على ما قاله المفسرون -قرآن- ٣٠-٥٥ [صفحة ٢٤٥] الطرى منه و أما العتيق فلا خلاف في كونه حلالاً. و إذا حل صيد البحر حل صيد الأنهار لأن العرب تسمى النهر بحرا و منه قوله تعالى ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَالْأَغْلَبُ عَلَى الْبَحْرِ هُوَ الَّذِي يَكُونُ مَأْوَهُ مِلْحًا لَكِنْ إِذَا أُطْلِقَ دَخَلَ فِيهِ الْأَنْهَارُ بِلَا- خلاف . و قوله وَ طَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ يَعْنِي طَعَامَ الْبَحْرِ وَ فِي مَعْنَاهُ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا مَا قَذَفَ بِهِ مِيتًا وَالثَّانِي أَنَّهُ الْمَمْلُوحُ وَاخْتَارَ الرَّمَانِي الْأَوَّلَ وَ قَالَ إِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ مَا صِيدَ مِنْهُ وَ مَا لَمْ يَصِدْ مِنْهُ فَعَلَى هَذَا تَصَحُّحُ الْفَائِدَةِ فِي الْكَلَامِ وَ الَّذِي يَقْتَضِيهِ مَذْهَبُنَا وَيَلِيْقُ بِهِ الْقَوْلُ الثَّانِي وَ يَكُونُ قَوْلُهُ صَيْدُ الْبَحْرِ الْمُرَادُ بِهِ مَا أَخَذَ طَرِيًّا. وَ قَوْلُهُ وَ طَعَامُهُ مَا كَانَ مِنْهُ مَمْلُوحًا لِأَنَّ مَا يَقْذِفُ الْبَحْرُ مِيتًا لَا يَجُوزُ عِنْدَنَا أَكْلُهُ لِغَيْرِ الْمَحْرَمِ وَ لَا لِلْمَحْرَمِ إِلَّا إِذَا قَذَفَ بِهِ الْبَحْرُ حَيًّا وَ تَحَضَّرَهُ أَنْتَ فَيَجُوزُ لَكَ أَكْلُهُ وَ إِنْ لَمْ تَكُنْ صَدْتَهُ وَ قَالَ الزَّجَّاجُ مَعْنَى قَوْلِهِ وَ طَعَامُهُ مَا نَبَتَ بِمَائِهِ مِنَ الزَّرْعِ وَ النَّبَاتِ . وَ قَوْلُهُ مَتَاعاً لَكُمْ مَصْدَرٌ بَدَلَ قَوْلِهِ أُحِلَّ لَكُمْ عَلَى أَنَّهُ قَدْ مَتَعَكُمْ مَتَاعًا أَي مَنَعَهُ لِلْمَقِيمِ وَ الْمَسَافِرِ وَ حُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا يَقْتَضِي ظَاهِرَهُ تَحْرِيمَ الصَّيْدِ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ وَأَكْلَ مَا صَادَهُ غَيْرَهُ وَ هُوَ مَذْهَبُنَا. وَ صَيْدُ السَّمَكِ إِخْرَاجُهُ مِنَ الْمَاءِ حَيًّا عَلَى أَيِّ وَجْهِ كَانَ وَ مَا يَصِيدُهُ غَيْرُ الْمُسْلِمِ لَا يُؤْكَلُ إِلَّا مَا شُوْهِدَ وَ لَا يُوثَقُ بِقَوْلِهِ إِنَّهُ صَادَهُ حَيًّا. -قرآن- ١٣٥-١٧١-قرآن- ٢٦٦-٢٩٠-قرآن- ٥٣٣-٥٤٥-قرآن- ٥٧٦-٥٨٦-قرآن- ٧٧٢-٧٨٢-قرآن- ٨٢٦-٨٣٨-قرآن- ٨٥٤-٨٦٥-قرآن- ٩١٨-٩٦٦

فصل

و قوله تعالى يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَ مَا عَلَّمْتُمْ -قرآن- ١٦-٩٠ و قوله تعالى يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَ مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَ اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ. هذه آية في كتاب الله في الاصطياد و أكل الصيد لأنها أفادت جواز تعليم الجوارح للاصطياد و أكل ما يصيد الكلب و يقتل إذا كان معلماً لأنه لو لم يقتله لما جاز أكله حتى يذكر معلماً كان أو غير معلم فمعنى الآية يسألك يا محمد أصحابك أي شيء أحل لهم أكله من المطاعم فقل لهم أحل لكم الطيبات أي ما يستلذ منها و هو حلال و أحل لكم أيضاً مع ذلك صيد

ما علمتم من الجوارح وهي الكواكب من سباع الطير والبهائم . ولا يجوز أن يستباح عندنا أكل شئ مما اصطاده الجوارح والسباع سوى الكلب إلا ما أدرك ذكاته . وقوله وَ مَا عَلَّمْتُمْ قَدِيرَهُ وَ صَيْدَ مَا عَلَّمْتُمْ فَحَذَفْ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ لِأَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا سَأَلُوا النَّبِيَّ صَ حِينَ أَمَرَهُمْ بِقَتْلِ الْكِلَابِ مِمَّا يَحِلُّ لَهُمْ اتِّخَاذَهُ مِنْهَا وَ صَيْدَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا سَأَلُوهُ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَاسْتَشْنَى عَ كِلَابِ الصَّيْدِ وَ كِلَابِ الْمَاشِيَةِ وَ كِلَابِ الْحَرْثِ مِمَّا أَمَرَ بِقَتْلِهِ وَأَذِنَ فِي اتِّخَاذِ ذَلِكَ . -قرآن- ١-١٣٣-قرآن-٦٥٧-٦٧٠

فصل

واختلفوا في الجوارح التي ذكرت في الآية فقال ابن عباس الجوارح التي في قوله وَ مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ هُوَ كُلُّ مَا عَلَّمَ الصَّيْدَ فَيَتَعَلَّمُهُ بِهَيْمَتِهِ كَانَ أَوْ طَائِرًا وَ الْفَهْدَ وَ الْبَازِيَّ مِنَ الْجَوَارِحِ وَ رَوَى ذَلِكَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَ أَبِي جَعْفَرٍ أَيْضًا -روايت- ١-٢-روايت-١٩-٢١٣ . [صفحہ ٢٤٧] وَ قَالَ قَوْمٌ عَنْ ذَلِكَ الْكِلَابِ خَاصَّةً دُونَ غَيْرِهَا مِنَ السَّبَاعِ وَ هُوَ مَا رَوَاهُ أَصْحَابُنَا عَنْهُمَا عَ فَأَمَّا مَا عَدَا الْكِلَابَ مِمَّا أُدْرِكُ ذَكَاتَهُ فَهُوَ مَبَاحٌ وَ إِلَّا فَلَا يَحِلُّ لَهُ أَكْلُهُ وَ بِهَذَا يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّوَايَتَيْنِ وَيَقْوَى قَوْلُنَا قَوْلَهُ سَبْحَانَهُ مُكَلَّبِينَ وَ ذَلِكَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْكِلَابِ أَى فِي هَذِهِ الْحَالِ يُقَالُ رَجُلٌ مَكْلَبٌ وَ كِلَابٌ إِذَا كَانَ صَاحِبَ صَيْدٍ بِالْكِلَابِ وَ فِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ صَيْدَ الْكِلَابِ الَّذِي لَمْ يَعْلَمْ حَرَامًا إِذَا لَمْ يَدْرِكْ ذَكَاتَهُ . وَ قَوْلُهُ تَعَلَّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ مَعْنَاهُ تَوَدَّبُونَ الْجَوَارِحَ فَتَعَلَّمُونَهُنَّ طَلَبَ الصَّيْدِ لَكُمْ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ مِنَ التَّأْدِيبِ الَّذِي أَدْبِكُمْ بِهِ . وَقِيلَ صَفَةُ الْمَعْلَمِ أَنْ يَجْبِيَهُ إِذَا دَعَاهُ وَيَطْلُبُ الصَّيْدَ إِذَا أُرْسِلَ عَلَيْهِ وَ لَا يَفِرُّ مِنْهُ وَ لَا يَأْكُلُ مَا يَصِيدُهُ عَلَى الْعَادَةِ بَلْ يَمْسِكُهُ إِلَى أَنْ يَلْحَقَهُ صَاحِبُهُ فَيَطْعَمُهُ مِنْهُ مَا يَرِيدُهُ فَإِنْ أَكَلَ مِنْهُ عَلَى الْعَادَةِ فَغَيْرُ مَعْلَمٍ وَ صَيْدُهُ حَرَامٌ إِلَّا أَنْ يَذْكَى فَإِنَّهُ إِنَّمَا أَمْسَكَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَ هُوَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ أَخْبَارُنَا غَيْرَ أَنْ نَعْتَبِرَ أَنْ يَكُونَ أَكْلُ الْكِلَابِ لِلصَّيْدِ دَائِمًا فَأَمَّا إِذَا كَانَ نَادِرًا فَلَبَّاسٌ بِأَكْلِ مَا أَكَلَ مِنْهُ . وَ قَالَ قَوْمٌ لِأَحَدٍ لَتَعْلَمَ الْكِلَابُ إِذَا فَعَلَ مَا قَلْنَا فَهُوَ مَعْلَمٌ وَ قَدَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ رِوَايَةُ أَصْحَابِنَا لِأَنَّهُمْ رَوَوْا أَنَّهُ إِذَا أَخَذَ كَلْبٌ مَجُوسِيٌّ فَعَلِمَهُ فِي الْحَالِ فَاصْطَادَ بِهِ جَازَ أَكْلَ مَا يَقْتُلُهُ . وَ قَدِينَا أَنْ صَيْدَ غَيْرِ الْكِلَابِ لَا يَحِلُّ أَكْلُهُ إِلَّا مَا أُدْرِكُ ذَكَاتَهُ فَلَا يَحْتَاجُ أَنْ يَرَاعَى كَيْفَ يَعْلَمُهُ وَ لَا أَكْلَهُ مِنْهُ وَ مِنْ أَجَازِ ذَلِكَ أَجَازَ أَكْلَ مَا أَكَلَ مِنَ الْبَازِيِّ وَ الصَّقْرِ ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ قَالَ يَعْلَمُ الْبَازِيَّ وَ هُوَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى صَاحِبِهِ . وَ قَالَ قَوْمٌ تَعْلِيمُ كُلِّ جَارِحَةٍ مِنَ الْبَهَائِمِ وَ الطَّيْرِ وَاحِدٌ وَ هُوَ أَنْ يَشْلَى عَلَى -قرآن- ٢٠٨-٢١٨-قرآن-٣٩٥-٤٣٣-قرآن-٤٨٤-٥٠٦ [صفحہ ٢٤٨] الصَّيْدَ فَيَسْتَشْلَى وَيَأْخُذُ الصَّيْدَ وَيَدْعُوهُ صَاحِبُهُ فَيَجْبِيهِ فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ مَعْلَمًا وَ إِنْ أَكَلَ ثَلَاثَةَ . وَ قَوْلُهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْتُمْ عَلَيْكُمْ قَوْلٌ مِنْ قَالٍ مَا أَكَلَ مِنَ الْكِلَابِ لَا يَجُوزُ أَكْلُهُ لِأَنَّهُ أَمْسَكَهُ عَلَى نَفْسِهِ . وَ مِنْ شَرَطِ اسْتِبَاحَةِ مَا يَقْتُلُهُ الْكِلَابُ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُهُ سَمِيَ عِنْدَ إِسْرَالِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ عَمْدًا لَمْ يَحِلَّ أَكْلُهُ إِلَّا إِذَا أُدْرِكُ ذَكَاتَهُ وَحْدَهُ أَنْ يَجِدَهُ تَحْرُكُ عَيْنِهِ أَوْ أُذُنُهُ أَوْ ذَنْبُهُ فَيَذْكِيهِ حِينَئِذٍ بِفَرَى الْحَلْقُومِ وَ الْأَوْدَاجِ . فَفَصَّلْ وَ اخْتَلَفُوا فِي مَنْ التَّتِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى مِمَّا أَمْسَكْتُمْ عَلَيْكُمْ فَقَالَ قَوْمٌ هِيَ زَائِدَةٌ لِأَنَّ جَمِيعَ مَا يَمْسِكُهُ فَهُوَ مَبَاحٌ وَ تَقْدِيرُهُ فَكُلُوا مَا أَمْسَكْتُمْ عَلَيْكُمْ وَيَجْرُونَ ذَلِكَ مَجْرَى قَوْلِهِ يُكْفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَأَنْكُرُ قَوْمٌ ذَلِكَ وَقَالُوا مِنَ اللَّتَبْعِيضِ كَمَا يُقَالُ أَكَلْتُ مِنَ الطَّعَامِ تَرِيدُ أَكَلْتُ شَيْئًا مِنَ الطَّعَامِ . وَ الْأَقْوَى أَنْ تَكُونَ مِنَ اللَّتَبْعِيضِ فِي الْآيَةِ لِأَنَّ مَا يَمْسِكُهُ الْكِلَابُ مِنَ الصَّيْدِ لَا يَجُوزُ أَكْلُ جَمِيعِهِ لِأَنَّ فِي جَمَلَتِهِ مَا هُوَ حَرَامٌ مِنَ الدَّمِ وَ الْفَرْثِ وَ الْغَدَدِ وَ الطَّحَالِ وَ الْمَرَارَةِ وَ الْمَشِيمَةَ وَ الْفَرْجَ وَ الْقَضِيبَ وَ الْأَنْثِينَ وَ النَّخَاعَ وَ الْعَلْبَاءَ وَ ذَاتَ الْأَشْجَاعِ وَ الْحَدَقَ وَ الْخَرْزَةَ تَكُونَ فِي الدَّمَاغِ فَإِذَا قَالَ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْتُمْ عَلَيْكُمْ أَفَادَ ذَلِكَ بَعْضَ مَا أَمْسَكْتُمْ وَ هُوَ الَّذِي أَبَاحَ اللَّهُ أَكْلَهُ مِنَ اللَّحْمِ وَ غَيْرِهِ . - قرآن- ١٠٠-١٣١-قرآن-٤٤٩-٤٧١-قرآن-٥٧٧-٦٠٧ [صفحہ ٢٤٩] وَ قَوْلُهُ وَ اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ صَرِيحٌ فِي وَجُوبِ التَّسْمِيَةِ عِنْدَ الْإِسْرَالِ وَ هُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ . وَ قَوْلُهُ أَمْسَكْتُمْ عَلَيْكُمْ عَلَى أَنَّ الْكِلَابَ مَتَى غَابَ عَنِ الْعَيْنِ مَعَ الصَّيْدِ ثُمَّ رَأَاهُ مِيتًا لَا يَجُوزُ أَكْلُهُ لِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَاتَ مِنْ غَيْرِ قَتْلِ الْكِلَابِ لَهُ وَ مَتَى أَخَذَ الْكِلَابُ الصَّيْدَ وَمَاتَ فِي يَدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَجْرَحَهُ لَمْ يَجْزِ أَكْلُهُ

وفحوى الآية يدل على هذا أيضا. وعموم الآية يدل على أن من لا يؤكل ذبيحته من أجناس الكفار لا يؤكل صيده فأما الاصطياد بكلايه المعلمة إذا صاد المسلم بهافجائز - قرآن- ٩-٣٩- قرآن- ١٠٢-١١٨

باب ما يحرم من الصيد

إشارة

يحرم أكل الأرنب والضب و من صيد البحر الجرى والمارماهى و كل ما لافلس له من السمك والدليل عليه الإجماع المتردد. فإن استدل المخالف بقوله تعالى أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَ طَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَ لِلسِّيَّارَةِ وَ حُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَ قَالَ ظاهر الآية يقتضى أن جميع صيد البحر حلال وكذا صيد البر إلا على المحرم خاصة. الجواب أن قوله أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ لا يتناول ظاهره الخلاف فى هذه المسألة لأن الصيد مصدر صدت و هو يجرى مجرى الاصطياد الذى هو فعل الصائد وإنما يسمى الوحش و ماجرى مجراه صيدا مجازا أو على وجه الخلاف لأنه محل للاصطياد سمي باسمه و إذا كان كلامنا فى تحريم لحم الصيد فلا دلالة فى إباحة الصيد لأن الصيد غير المصيد. - قرآن- ١٥٦- ٢٧٣- قرآن- ٣٧٦- ٤٠١ [صفحة ٢٥٠] فإن قيل قوله وَ طَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَ لِلسِّيَّارَةِ يقتضى أنه أراد المصيد دون الصيد لأن لفظة الطعام لاتليق إلا بما ذكرناه دون المصدر. قلنا أ و لا روى عن الحسن البصرى فى قوله وَ طَعَامُهُ أنه أراد به البر والشعير والحبوب التى تسقى بذلك فعلى هذا سقط السؤال ثم لو سلمنا أن لفظة الطعام ترجع إلى لحوم ما يخرج من حيوان البحر لكان لنا أن نقول قوله وَ طَعَامُهُ يقتضى أن يكون ذلك اللحم مستحقا فى الشريعة لا اسم الطعام لأن ما هو محرم فى الشريعة لا يسمى بالإطلاق فيه طعاما كالخنزير والميتة فمن ادعى فى شىء مما عددنا تحريمه أنه طعام فى عرف الشريعة فيلبدل على ذلك و أنه يتعذر عليه . - قرآن- ١٦- ٥٦- قرآن- ١٨٧- ١٩٧- قرآن- ٣٦٤- ٣٧٤

فصل

وصيد أهل الكتاب محرم لا يحل أكله وكذلك ذبائحهم قال الله تعالى وَ لَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ إِنَّهُ لَفِسْقٌ وَ هَذَا نص فى موضع الخلاف لأن من ذكرناه من الكفار لا يرون التسمية على الذبائح فرضا و لاسنئه فهم لا يسمون الله عند إرسال الكلب إلى الصيد و قد أوجب الله بقوله وَ اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ كَذَلِكَ لا يسمون على ذبائحهم و لو سموا لكانوا مسمين لغير الله لأنهم لا يعرفون الله بكفرهم و هذه الجملة تقتضى تحريم ذبائحهم وصيدهم . فإن قيل هذا يقتضى أن لا يحل ذبائحهم لأنهم لا يعرفون الله . قلنا ظاهر الآية يقتضى ذلك وإنما أدخلناه فىمن يجوز ذبائحهم بدليل ولأن الصبى و إن لم يكن عارفا فليس بكافر و لا معتقد أن الله غير مستحق للعبادة على - قرآن- ٧١- ١٤١- قرآن- ٣٠٦- ٣٣٦ [صفحة ٢٥١] الحقيقة وإنما هو خال من المعرفة فجاز أن يجرى مجرى العارف متى ذبح وتلفظ بالتسمية و هذا كله موجود فى الكفار. فإن اعترض علينا بقوله اليوم أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَ طَعَامُ الْمَدِينِ أَوْ تَوَاتُرَ الْكِتَابِ حِلٌّ لَكُمْ وَ طَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ و ادعى أن الطعام يدخل فيه ذبائح أهل الكتاب وصيدهم . فالجواب عن ذلك أن أصحابنا يحملون قوله وَ طَعَامُ الْمَدِينِ أَوْ تَوَاتُرَ الْكِتَابِ على ما يؤكل من حبوب وغيرها و هذا تخصيص لامحالة لأن ما صنعوه طعاما من ذبائحهم يدخل تحت اللفظة و لا يجوز إخراجها إلا بدليل . فإذا قلنا نخصه بقوله وَ لَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ قيل لنا ليس أنتم بأن تخصوا آياتنا بعموم آيتكم بأولى منا إذا خصصنا الآية التى تعلقتم بها العموم ظاهر

الآية التي استدللنا بها. و الذي يجب أن نبينه في الفرق بين الأمرين أنه قد ثبت وجوب التسمية عند إرسال الكلب و عند الذبيحة و أن من تركها عامدا لا يكون مذكيا و لا يجوز أكل صيده و ذبيحته على وجه من الوجوه و كل من ذهب إلى هذا المذهب من الأمة يذهب إلى تخصيص قوله و طَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّ لَكُمْ و إن ذبائحهم لا تدخل تحته و التفرقة بين الأمرين خلاف الإجماع . و لا يلزم على ما ذكرنا أن أصحاب أبي حنيفة يوافقونا على وجوب التسمية لأننا نرى وجوب التسمية مع الذكر على كل حال و عند أصحاب أبي حنيفة أنه جائز أن يترك التسمية من أداه اجتهاده إلى ذلك إذا استفتى هذه حاله و الإمامية يذهبون إلى أن التسمية مع الذكر لا تسقط بحال من الأحوال . فإن قيل على هذه الطريقة التي تعتمدونها من الجمع بين المسألتين ما - قرآن - ١٣٦-٢٣٨- قرآن - ٣٣٧-٣٧١- قرآن - ٥٢٢-٥٧٤- قرآن - ٩٥٣-٩٩٨ [صفحة ٢٥٢] أنكروا من مخالفكم أن يعكس هذه الطريقة عليكم و يقول قد ثبت أن التسمية غير واجبة أو يشير إلى مسألة قد دللنا على صحتها عنده ثم يقول و كل من ذهب إلى هذا الحكم يذهب إلى عموم قوله تعالى و طَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّ لَكُمْ و التفرقة بين الأمرين خلاف الإجماع . قلنا الفرق بيننا ظاهر لأننا إذابنا على مسألة ضمنا عهدنا صحتها ونفى شبهة عنها و مخالفنا إذابنا على مسألة مثل أن التسمية غير واجبة أو غير ذلك من المسائل لا يمكنه أن يصح ما بنى عليه و لا أن يورد حجة قاطعة واضحة بيننا و بين من يتعاطى ذلك و نحن إذابنا على مسألة دللنا على صحتها بما لا يمكن دفعه بهذا على التفصيل يخرج الاعتبار - قرآن - ١٩٨-٢٤٣

باب الذبح

الذكاة حكم شرعى والمذكى إذا استقبل القبلة بتوجه الذبيحة إليها أيضا وسمى الله تعالى يكون مذكيا بيقين فقد صرحوا بأن من ذبح يجب أن يكون مستقبلا و لا يناقضه قولهم ينبغي أن يوجه الذبيحة إلى القبلة فمن لم يستقبل بها القبلة متعمدا لم يجز أكل ذبيحته و إن فعله ناسيا لم يكن به بأس لأن هذا أيضا مما يجب أن يفعل على ما يمكن . و قوله تعالى فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ لم يذكر الله في هذه الآية ذبحا ولكن الأمة أجمعت على أن المراد أنه مباح لكم أكل لحوم ما ذكر اسم الله على تذكيته . و يجب استقبال القبلة عند الذبح مع إمكان ذلك على ما ذكرناه لأن من ذبح غير مستقبل القبلة عامدا قد أتلف الروح وحل الموت في الذبيحة وحلول - قرآن - ٣٥٤-٤٢٦ [صفحة ٢٥٣] الموت يوجب أن يكون ميتة و يدخل تحت قوله تعالى حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ إِذْ لَمْ تَقُمْ دَلَالَةٌ عَلَى حُصُولِ الذَّكَاءِ الْمَشْرُوعَةِ فَيَسْتَحِقُّ هَذَا الْاسْمَ . و لا يجوز أن يتولى الذبائح غير المسلمين لما ذكرناه من الأدلة - قرآن - ٥٣-٧٩ و قال ابن عباس لا ينعف الاسم في الشرك و لا يضر النسيان في الملة - رواية - ١-٢- رواية - ٢٠-٧٢ و هذا إشارة إلى أن ذبائح المشركين و من ضارهم و إن ذكروا اسم الله عليها لا يجوز أكلها و أن تذكيتها أهل الحق العارفين بالله المعترفين بتوحيده وعدله لا بأس بها و إن ترك ذكر اسم الله عليها نسيانا . ومعنى قوله تعالى إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ لا تأكلوا إلا ما ذكر اسم الله عليه إن كنتم مؤمنين على ما ذكرنا و ليس المراد إن كنتم مؤمنين فكلوا مما ذكر اسم الله البتة لأن المؤمن لا يخرج من أن يكون مؤمنا و إن لم يأكل اللحم قط . فإن أن المراد النهي عن أكل ما لم يذكر اسم الله عليه والأمر باعتبار تحليل أكل ما ذكر اسم الله عليه حقيقة يدل على ذلك قوله و ما لكم أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ و هذا كأنه إنكار على من يرى أنه لا يجوز أكل ما ذكر اسم الله عليه فليل ما الذى يمنعكم من أكله و كان المشركون ينكرون على المسلمين أن يأكلوا ما قتلوه ويمتنعوا من أكل ما قتلته الله فأعلم تعالى أنه أحل ما ذكر اسم الله عليه و حرم غيره من الميتة و ذبيحة المشرك و من بحكمه و قد فصل المحرمات من المأكولات في قوله حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ . و إذا ذبحت الذبيحة فلم يخرج الدم و لم يتحرك شئ منها لم يجز أكلها لأنها ميتة ماتت خوفا على ما روى - قرآن - ٢٢٤-٢٥٤- قرآن - ٥٨١-٦٤٠- قرآن - ٩٦٦-٩٩٢]

باب ما يحل أوبكره لحمه

إشارة

قال الله تعالى أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهِيمَةً الْأَنْعَامِ قَالَ قَوْمٌ أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهِيمَةً الْأَنْعَامِ الْوَحْشِيَّةَ مِنَ الضَّبَاءِ وَالْبَقْرِ وَالْحَمْرِ غَيْرِ الْمَسْتَحْلِينَ اصْطِيادَهَا وَأَنْتُمْ حُرْمًا لِمَا مَا يُتَلَى عَلَيْكُمْ مِنْ قَوْلِهِ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَالْأَقْوَى أَنْ يَحْمَلَ عَلَى عَمُومِهِ فِي جَمِيعِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ . وقال قوم أراد بهيمته الأنعام أجنه الأنعام التي توجد في بطون أمهاتها إذا ذكيت الأمهات وهي ميتة وعندنا أنه إذا ذبح شاء أو غيرها ووجد في بطنها جنين فإن كان قد أشعر أو أوبر و لم يلجج الروح فذكاته ذكاه أمه و إن لم يكن تاما لم يجز أكله على حال و إن كان فيه روح وجبت تذكيته ليحل أكله يدل عليه الخبر إذاروى بالنصب ذكاه أمه . والأنعام على الإطلاق مقصورة على الإبل والبقر والغنم لأن الله فصل في سورة الأنعام ثمانية أزواج و لم يذكر إلا هذه الثلاثة. و قال عبد الجبار ما يصاد ليس من الأنعام لأنه تعالى قال فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ فِدْلٌ هَذَا عَلَى أَنْ الْمَقْتُولِ الَّذِي جَعَلَ جَزَاؤَهُ مِثْلَهُ مِنَ النَّعَمِ لَيْسَ - قرآن - ١٩ - ٥١ - قرآن - ١٤٢ - ١٥٧ - قرآن - ١٥٨ - ١٨٠ - قرآن - ١٩١ - ٢٤٧ - قرآن - ٨٤٢ - ٨٧٩] [صفحة ٢٥٥] من النعم ثم عارض نفسه بقوله غَيْرَ مُحْلِي الصَّيْدِ وَأَجَابَ بِأَنْ ذَلِكَ لَيْسَ بِاسْتِثْنَاءٍ وَالْمُرَادُ بِهِ سِوَى الصَّيْدِ الْمَحْرَمِ عَلَى الْمَحْرَمِ فَكَأَنَّهُ تَعَالَى بَيْنَ أَنْ الْمَحْلِلِ وَالْمَحْرَمِ فِيهِ غَيْرُ الْأَمْرِ بِالْإِحْرَامِ وَهُوَ الصَّيْدُ وَهُوَ بَيَانُ أَمْرٍ ثَالِثٍ سِوَى مَا يَحِلُّ مِنَ الْأَنْعَامِ وَيَحْرَمُ . وقال تعالى يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَإِنَّمَا جَمَعَ الْوَصْفَيْنِ لِاخْتِلَافِ الْفَائِدَتَيْنِ إِذْ وَصَفَهُ بِأَنَّهُ حَلَالٌ يَفِيدُ أَنَّهُ طَلِقٌ وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ طَيِّبٌ يَفِيدُ أَنَّهُ مُسْتَلَذٌ إِمَّا فِي الْعَاجِلِ أَوْ الْآجِلِ . وَ لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ أَي آثَارِهِ وَأَعْمَالِهِ نَزَلَ لِمَا حَرَّمَ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ وَالْوَصِيلَةِ فَنَهَى اللَّهُ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ وَأَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِخِلَافِهِ . وَالْإِذْنُ فِي الْحَلَالِ يَدُلُّ عَلَى حُظْرِ الْحَرَامِ عَلَى اخْتِلَافِ ضَرْوَبِهِ وَأَنْوَاعِهِ فَحَمَلَهَا عَلَى الْعَمُومِ أُولَى . وَالْمَأْكَلُ وَالْمَنَافِعُ فِي الْأَصْلِ لِلنَّاسِ فِيهَا ثَلَاثَةٌ أَقْوَالٌ فَقَالَ قَوْمٌ هِيَ عَلَى الْحُظْرِ وَقَالَ آخَرُونَ هِيَ عَلَى الْإِبَاحَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ بَعْضُهَا عَلَى الْحُظْرِ وَبَعْضُهَا عَلَى الْإِبَاحَةِ وَ هَذِهِ الْآيَةُ دَالَّةٌ عَلَى إِبَاحَةِ الْمَأْكَلِ إِلَّا مَا دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى حُظْرِهِ . وَقَالَ تَعَالَى وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفٌّ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَ هِيَ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ أَي خَلَقَهَا لِمَنَافِعِكُمْ . - قرآن - ٣٣ - ٥٤ - قرآن - ٢٦٦ - ٣٢٤ - قرآن - ٤٥٨ - ٤٩٢ - قرآن - ٩٤٨ - ١٠١٩

فصل

واعلم أن لحوم الخيل والبغال والحمير مكروهة غير محرمة وبعضها أشد [صفحة ٢٥٦] كراهية من بعض ويستدل على ذلك بقوله قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحْرَمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهَا الْآيَةُ . وَ حَرَّمَ سَائِرَ الْفُقَهَاءِ لِحُومِ الْحَمْرِ الْأَهْلِيَّةَ وَاحْتَجُّوا عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لَتَرَكَّبُوهَا وَزِينَةً وَ أَنَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّهَا لِلرُّكُوبِ وَالزَّيْنَةِ لِاللَّأْكَلِ وَالْجَوَابُ لَهُمْ أَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ لِلرُّكُوبِ وَالزَّيْنَةِ فَلَا يَمْتَنَعُ أَنْ يَكُونَ لغير ذلك أيضا ألاترى قول القائل أعطيتك هذا الثوب لتلبسه فلا يمنعه من جواز بيعه أو هبته والانتفاع به من وجوه شتى ولأن المقصود بالخييل والحمير الركوب والزينة و ليس أكل لحومها مقصودا منها ثم إنه لا يمنع من الحمل على الحمير والخييل و إن لم يذكر الحمل وإنما خص الركوب والزينة بالذكر . وأكثر الفقهاء يجيزون أكل لحوم الخيل و

لا يعملون بمضمون الآيه ذكر الركوب والزينه خاصه -قرآن- ٤٠-١٠٨-قرآن- ١٨١-٢٣٩ و قدرووا عن ابن عباس إنما نهى عن لحوم الحمير كيلا يقل الظهر -روايه- ١-٢-روايه- ٢٦-٦٨ و ذلك النهى محمول على الكراهه للقرينه

باب ما حلل من الميتة و ما حرم من المذكى

اعلم أن العلم بتحليل ذلك أو تحريمه هو السمع و ليس للعقل فيه مجال فإن وردت العبارة الشرعية بتحريم ما له صفة المباح فى العقل امتنع منه و إن أباحت الشريعة ما كان محظورا قيل به و قد نطق الكتاب بتحريم الميتة قال الله تعالى حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَأُطْلِقَتِ الْأُمَّةُ الْقَوْلُ بِتَحْرِيمِ الْمَيْتَةِ ثُمَّ أَجْمَعَتْ عَلَى أَنْ يُطْلَقَ قَوْلُهَا بِالتَّحْرِيمِ وَ مَا وَرَدَ بِهِ نَصُّ الْكِتَابِ مُخْصِصٌ لِغَيْرِ مَحْمُولٍ عَلَى عَمُومِهِ وَ شَمُولِهِ وَ إِنْ اخْتَلَفُوا فِيهَا هُوَ مَبَاحٌ مِنْهَا. -قرآن- ٢٣٨-٢٦٤ [صفحہ ٢٥٧] والميتة هي كل حيوان صامت مات أو على وجه الذكاه والذكاه مع الإمكان على ثلاثة أضرب الإبل إذ انحرت من غير عمد ترك التسمية والسمك والجراد إذا صطيدا لقوله ع و قد سئل عن ذكاته فقال صيده ذكاته -روايه- ١-٢-روايه- ١٢-٥١ و ما سوى ذلك مما يعمل فيه الذكاه إذا ذبح و لم يعتمد ترك التسمية على ما ذكرناه فى نحر الإبل . فإن قيل ما معنى قولكم مع التمكن من أى شىء تحرزتم به . قلنا نتحرز بذلك من الجمل والبقر و ماجرى مجراهما إذاصال شىء منها أو تردى فى بئر و لم يتمكن من تذكيته فإن الأمر ورد بأن ينفخ بالرمح أو يرمى بالسهم أو يضرب بالسيوف حتى يموت فتلك ذكاته و إن وقع فى غير منحره أو مذبحه وتحرزنا أيضا عما نذكره فأما إذا رمينا صيدا و قد سميْنَا فأصاب السهم فقتله فإنه لا خلاف بين الأمة فى ذكاته و إن لم يقع فى مذبحه وكذا ما يقتله الكلب المعلم . و قد قال أبو عبد الله ع أحل من الميتة عشرة أشياء الصوف والشعر والوبر والبيض والناَب والقرن والظلف والإنفحة واللبن والعظم -روايه- ١-٢-روايه- ٣٠-١٣٤ . فالمباح من الميتة عندنا هذه العشرة والدليل على ذلك إجماع الإمامية على القول بصحته والفتوى به ويدل عليه قوله تعالى قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ لِي مَحْرَمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ الْآيَةُ وَ لَا يَجُوزُ الْحُكْمُ بِتَحْرِيمِ شَيْءٍ سِوَى مَا ذَكَرَ فِي الْآيَةِ الْإِبْدَالِ وَ لِادِّلِيلٍ مُقْطُوعٍ بِهِ عَلَى تَحْرِيمِ شَيْءٍ مِمَّا عَدَدْنَاهُ . وَ أَمَّا الْمَحْظُورُ مِنَ الْمَذَكِيِّ فَالْمَجْمَعُ عَلَيْهِ عَشْرُ أَشْيَاءٍ أَيْضًا الدَّمُ وَالْخَصِيَّتَيْنِ وَالْقَضِيبَ وَالرَّحِمَ وَالْمِثَانَةَ وَالْغَدَدَ وَالطَّحَالَ وَالْمَرَارَةَ وَالنَّخَاعَ وَذَاتَ الْأَشْجَاعِ وَهِيَ مَوْضِعُ الذَّبْحِ وَمَجْمَعُ الْعُرُوقِ وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ إِجْمَاعُ الطَّائِفَةِ وَالْأَخْبَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ عَنْ أُمَّةِ الْهُدَى ع فِي ذَلِكَ . فَأَمَّا -قرآن- ١-١٠٥ ماروى عن أبى الحسن ع أنه قال حرم من الشاة سبعة أشياء الدم والخصيتان والقضيب والمثانة والغدد والطحال والمرارة -روايه- ١-٢-روايه- ٣٩-١٢٤ فإنه لا يبطل التجاوز إلى العشرة و لو كان لازما للزم من يقل بدليل الخطاب لأن عندهم أن الحكم إذا علق بصفة دل انتفاء الصفة عن غيره على انتفاء الحكم . فهذا مذهب فاسد لأنه غير ممتنع أن يتناول دليل التحريم سبعة أشياء ويأتى دليل آخر على زيادة عليها كما قلناه فى مواضع من العبادات الموجب منها والمحظور قال الله تعالى أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ فَأَوْجِبْ بِهَذَا اللَّفْظِ عَلَيْنَا فَعَلَهُمَا وَ لَمْ يَمْنَعْ مِنْ إِجْبَابِ عِبَادَاتٍ أُخْرَ بِأَدْلَةٍ غَيْرِ هَذَا . وَ كَذَا قَالَ تَعَالَى قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ لِي مَحْرَمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ ثُمَّ حَرَّمَ أَشْيَاءَ أُخْرَ بِالْكِتَابِ وَ غَيْرِهِ فَلَمْ يَمْتَنِعْ قَوْلُهُ قُلْ لَا أَجِدُ مِنَ الْقَوْلِ بِتَحْرِيمِ أَشْيَاءٍ أُخْرَ وَ قَدْ وَرَدَ خَبْرٌ بِتَحْرِيمِ أَرْبَعِينَ شَيْئًا مِنَ الْمَذَكِيِّ وَ نَحْنُ نَحْمِلُهَا عَلَى الْكِرَاهِيَةِ الْقَرِينَةِ تَدُلُّ عَلَيْهِ وَ نَعْدِلُ عَنْ تَحْرِيمِهَا لِلْإِجْمَاعِ عَلَى تَحْرِيمِ تِلْكَ الْعَشْرَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فَقَطْ -قرآن- ٣٣١-٣٦٦-قرآن- ٤٦٢-٥٩٥-قرآن- ٦٤٨-٦٦٠ [صفحہ ٢٥٩]

باب الزيادات

قد ذكرنا أنه لا يحل أكل ما قتله غير الكلب المعلم عندنا من ذوات الأربع والطيور قال الله تعالى وَ مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ نَقُلْ مُكَلِّبِينَ لَدَخَلَ فِي الْكَلَامِ كُلِّ جَارِحٍ مِنْ ذِي نَابٍ وَظْفَرٍ وَ لِمَا أَتَى بِلَفْظَةِ مُكَلِّبِينَ وَ هِيَ تَخْصُ الْكِلَابَ بِلَا خِلَافٍ بَيْنَ أَهْلِ اللُّغَةِ عَلِمْنَا أَنَّهُ لَمْ يَرَدْ بِالْجَوَارِحِ جَمِيعَ مَا يَسْتَحِقُّ هَذَا الْاسْمَ وَإِنَّمَا أَرَادَ الْجَوَارِحِ مِنَ الْكِلَابِ خَاصَّةً وَ يَجْرَى ذَلِكَ مَجْرَى قَوْلِهِمْ رَكِبَ الْقَوْمُ نَهَارَهُمْ مَبْقَرِينَ مَحْمَرِينَ فَإِنَّهُ لَا يَحْمَلُ وَ إِنْ كَانَ اللَّفْظُ الْأَوَّلُ عَامَ الظَّاهِرِ إِلَّا عَلَى رُكُوبِ الْبَقْرِ وَ الْحَمِيرِ . وَ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ الْمَكْلَبُ فِي الْآيَةِ الْمَرَادُ بِهِ الْمَفْرَى لِلْجَارِحِ الْمَمْرَنُ لَهُ وَ الْمَغْرَى فَيَدْخُلُ فِيهِ الْكَلْبُ وَ غَيْرُهُ لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ عَنْ أَحَدٍ مِنَ أَهْلِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّ الْمَكْلَبَ هُوَ الْمَغْرَى وَ الْمَفْرَى بَلْ نَصَّوْا فِي كِتَابِهِمْ عَلَى أَنَّ الْمَكْلَبَ صَاحِبُ الْكِلَابِ عَلَى أَنَا لَوْ سَلَّمْنَا أَنَّهَا قَدْ اسْتَعْمَلَتْ فِي التَّعْلِيمِ وَ التَّمْرِينِ فَذَلِكَ مَجَازٌ وَ حَمَلُ الْقُرْآنِ عَلَى الْحَقِيقَةِ أَوْلَى مِنْ حَمَلِهِ عَلَى الْمَجَازِ مَا مُمْكِنٌ . عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى وَ مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ يَعْنِي أَنَّ يَكْرُرُ وَ يَقُولُ مُكَلِّبِينَ لِأَنَّ مِنْ حَمَلِ لَفْظَةِ مُكَلِّبِينَ عَلَى التَّعْلِيمِ لِأَبَدٍ مِنْ أَنَّ يَلْزِمُهُ التَّكْرَارُ وَ إِذَا جَعَلْنَا ذَلِكَ مَخْتَصًا بِالْكِلَابِ أَفَادَ فَائِدَةً أُخْرَى لِأَنَّهُ يَبَيِّنُ أَنَّ هَذَا الْحَكْمَ يَتَعَلَّقُ بِالْكِلَابِ دُونَ غَيْرِهَا . -قرآن- ١٠١-١٤٢-قرآن- ٢٢٦-٢٣٦-قرآن- ٨٨٧-٩١٦

مسألة

روى أن أمير المؤمنين ع مر بسوق القصابين فنهاهم عن بيع أشياء -رواية- ١-٢-رواية- ٧-ادامه دارد [صفحة ٢٦٠] منها الطحال فقيل ما الكبد والطحال إلسواء فقال ع له كذبت ايتنى بتورين من ماء أنبئك بخلاف ماتقول فأتى بطحال وكبد وتورين من ماء فقال شق الكبد من وسطه والطحال من وسطه واجعلهما في الماء جميعا ففعل فلم ينقص من الكبد شيئا وصار الطحال كله دما وهي جلد وعروق فقال هذا لحم و هذا دم -رواية- از قبل- ٣٠٠ . وقال تعالى فيه تبيان لكل شيء وقال وَ مَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ فالقرآن يدل على جميع ذلك جملة والسنة تفصيلا. -قرآن- ٤٣-٧٥

مسألة

قوله وَ مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ جَعَلَ عَلَى الطَّيْبَاتِ إِذَا كَانَتْ مَأْمُوسِلَةً وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَ مَا عَلَّمْتُمْ كَلَامًا مَسْتَأْنِفًا وَ جَعَلَ مَاشْرُطِيَّةً وَ جَعَلَ جَوَابَهَا فَكُلُّوا . وَ الْمَكْلَبُ مَوْدِبُ الْكِلَابِ وَ اشْتَقَّ مِنْ لَفْظِهِ فَإِنْ اسْتَعْمَلَ فِي غَيْرِهِ مِنَ السَّبَاعِ فَهُوَ كَالْمَجَازِ فَالْأَوْلَى حَمَلُهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ -قرآن- ٧-٣٦-قرآن- ٨٨-١٠١-قرآن- ١٤٢-١٤٩ [صفحة ٢٦١]

كتاب الأَطْعَمَةِ وَ الْأَشْرِبَةِ

إشارة

الحلال هو الجائر من الأفعال مأخوذ من أنه طلق لم يعقد بحظر والمباح مثله . و ليس كل حسن حلالا لأن أفعاله تعالى حسنة و لا يقال إنها حلال إذ الحلال إطلاق في الأفعال لمن يجوز عليه المنع . و قد دللنا على إباحة المآكل إلا ما دل الدليل على حظره و

قد استدل بقوله تعالى هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً عَلَىٰ أَنْ الْأَشْيَاءَ الَّتِي يَصِحُّ أَنْ يَنْتَفِعَ بِهَا وَ لَمْ تَجْرَ مَجْرَىٰ
المحظورات من العقل خلقت في الأصل مباحةً قد أطلق لكل أحد أن يتناولها ويستنتفع بها كالماء من البحر والحطب ونحوه من
البر فليست على هذا الوجه على العموم بل هو مخصوص . وقيل معناه خلقها لأجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم بالنظر
إليها - قرآن- ٢٧٧-٣٢٤ [صفحة ٢٤٢]

باب ما أباحه الله من الأطعمة

إشارة

قال الله تعالى يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ الطَّيِّبُ الطَّيِّبُ فِي الْأَصْلِ خِلاف الخبيث وهو على ثلاثة أقسام الطيب
المستلذ والطيب الجائر والطيب الطاهر والأصل واحد وهو المستلذ إلا أنه وصف به الطاهر والجائر تشبيهاً إذ ما يجر عنه العقل
أو الشرع كالذي يتكد هذه النفس في الصرف عنه وما يدعو إليه بخلاف ذلك فالطيب الحلال والطيب النظيف . واختلفوا في
معنى الطيبات في الآية فقال البلخي هو ما يستطاب ويستلذ وقال الطبري وغيره هو الحلال الذي أذن لكم ربكم في أكله من
الذبائح والأول أولى لأن الثاني يؤول تقديرًا إلى ما لافائدة فيه وهو يسألونك ما أذن هو حلال لهم فليل الذي هو حلال لكم
هو الحلال وهذا لا معنى له . وإذا كان المراد بالذي أحل المستلذ حسن أن يقال إن الأشياء التي حرمت غير مستلذة لأنه لا يميل
كل أحد إلى الميتة والدم أيضاً ليس من طيبات الرزق فليل لهم الطيبات من المأكولات محللة لكم . والضمير في
يَسْأَلُونَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ مَا فَصَّلَ فِي الْآيَةِ الْأُولَىٰ مِنْ قَوْلِهِ حُرِّمَتْ عَلَيْكَ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ الْآيَةَ أَي يسألونك
تفصيل المحللات فليل لكم الطيبات قال أبو علي كل ما لم يجر ذكره في آيات التحريم كله حلال . وقال تعالى يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَنَحْوَهُ قَوْلُهُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا إِلَّا أَنْ تَلْكَ الْآيَةَ خِطَاب
لِلْمُؤْمِنِينَ - قرآن- ١٩-٧٨- قرآن- ٨٦٤-٨٧٥- قرآن- ٩٣٨-٩٩٤- قرآن- ١١٣١-١١٩١- قرآن- ١٢٠٥-١٢٦٣ [صفحة ٢٤٣] وهذه
خطاب لجميع الناس يعني أن من آمن بالله لا يحل ولا يحرم إلا بأمره و من امتنع من أكل ما أحل الله فقد خالف أمره والله أحل
المستلذ. فقوله كُلُوا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ إِبَاحَةً وَتَخْيِيرًا وَأَمْرًا عَلَى الْإِجَابِ أَوِ النَّدْبِ فَالْأَمْرُ فِي وَقْتِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ إِذْ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ
يَتْرَكَ ذَلِكَ حَتَّى يَمُوتَ مَخْتَارًا مَعَ إِمْكَانِ تَنَاوُلِهِ . وَالْإِذْنُ عَلَى أَنْ أَكَلَ الْمَسْتَلْذُ مِمَّا مَلَكَتُمْ وَهُوَ الْحَلَالُ مَبَاحٌ لَكُمْ وَفِي الْآيَةِ
دَلَالَةٌ عَلَى النَّهْيِ عَنْ أَكْلِ الْخَبِيثِ فِي قَوْلِ بَعْضِ الْمَفْسَّرِينَ كَأَنَّهُ قِيلَ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبِ دُونَ الْخَبِيثِ كَمَا لَوْ قَالَ كُلُوا مِنَ الْحَلَالِ
لَكَانَ ذَلِكَ دَالًا عَلَى حُظْرِ الْحَرَامِ وَهَذَا صَحِيحٌ فِيمَا لَهُ ضِدٌّ قَبِيحٌ مَفْهُومٌ فَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ فَلَا يَدُلُّ عَلَى قَبْحِ ضِدِّهِ لِأَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ كُلِّ
مِنْ مَالٍ زَيْدٍ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ تَحْرِيمَ مَا عَادَهُ لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ الْغُرْضُ الْبَيَانُ لِهَذَا خَاصَّةً وَذَكَرَ الشَّرْطُ هَاهُنَا إِنَّمَا هُوَ عَلَى وَجْهِ
الْمُظَاهَرَةِ فِي الْحِجَابِ . قَالَ سُبْحَانَهُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَالتَّحْرِيمُ هُوَ الْعَقْدُ عَلَى مَا لَا يَجُوزُ فَعَلَهُ
لِلْعَبْدِ وَالتَّحْلِيلُ حُلُّ ذَلِكَ الْعَقْدِ وَذَلِكَ كِتَابَةُ السَّبَبِ بِالْعَقْدِ عَلَى أَهْلِهِ فَلَا يَجُوزُ لَهُمُ الْعَمَلُ فِيهِ وَتَحْلِيلُهُ تَحْلِيلُ ذَلِكَ الْعَقْدِ وَ
ذَلِكَ يَجُوزُ لَهُمُ الْآنَ الْعَمَلُ فِيهِ . وَلَا تَعْتَدُوا إِلَى مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ وَاعْتَدَاءُ الْحُدِّ مَجَاوِزَةُ الْحِكْمَةِ إِلَى مَا نَهَى عَنْهُ الْحَكِيمُ وَزَجَرَ عَنْهُ
إِمَّا بِالْعَقْلِ أَوْ بِالسَّمْعِ . ثُمَّ قَالَ تَعَالَى وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَالرِّزْقُ هُوَ مَا لَحِيَ الْإِنْتِفَاعُ بِهِ وَ لَيْسَ لِغَيْرِهِ مَعَهُ مِنْهُ . فَإِنْ
قِيلَ إِذَا كَانَ الرِّزْقُ لَا يَكُونُ إِحْلَالًا - فَلَمْ يَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى حَلَالًا طَيِّبًا لِقَوْلِهِ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى
تَكْلِيمًا - قرآن- ١٥٣-١٥٨- قرآن- ٧٨٣-٨٥٥- قرآن- ١٠٤٩-١٠٦٣- قرآن- ١١٨٢-١٢٣٠- قرآن- ١٣٥٣-١٣٦٧- قرآن- ١٤٠٥-١٤٣٦

[صفحہ ۲۶۴] والطيب قد يكون مستلذاً وقد أطلق في موضع آخر فقال وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. ثم اعلم أن الطيب يقع على الحلال كقوله يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَيَقَعِ عَلَى الطَّاهِرِ كقوله تعالى فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا وَيَقَعِ عَلَى مَا لَأَذَى فِيهِ كَمَا يُقَالُ زَمَانَ طَيْبٍ وَمَكَانٌ طَيْبٌ لِلَّذِي لَأَحْرَ فِيهِ وَ لَابْرَدٌ وَيَقَعُ عَلَى مَا يَسْتَطَابُ مِنَ الْمَأْكُولِ يُقَالُ هَذَا طَعَامٌ طَيْبٌ لِمَا تَسْتَطِيبُهُ النَّفْسُ وَ لَا تَنْفَرُ مِنْهُ . -قرآن- ۵۳-۸۲-قرآن- ۱۲۷-۱۶۸-قرآن- ۲۰۰-۲۲۸

فصل

ثم قال تعالى الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ أَي مَا تَسْتَطِيبُونَهُ وَ لَا تَسْتَخْبِثُونَهُ فَرُدَّهُمْ إِلَى عَادَتِهِمْ وَ لَا يَمْنَعُ أَنْ يُقَالَ الْمُرَادُ بِهِ مَا لَأَذَى فِيهِ مِنَ الْمَبَاحِ الَّذِي لَيْسَ بِمَحْرَمٍ فَكَأَنَّهُمْ لِمَا سَأَلُوهُ عَنِ الْحَلَالِ فَقَالَ هُوَ مَا لَا يَسْتَحِقُّ الْمَدْحَ وَالذَّمَّ بِنَتَائِلِهِ وَ ذَلِكَ عَامٌ فِي جَمِيعِ الْمَبَاحَاتِ سِوَا مَا عَلِمْتَ كَذَلِكَ عَقْلًا أَوْ شَرَعًا. وَ مِنْ أَعْتَبَرَ الْعَرَفَ وَالْعَادَةَ أَعْتَبَرَ عَرَفَ أَهْلِ التَّرَفِ وَالْغِنَى وَالْمَكْنَةَ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْقَرْيِ وَالْأَمْصَارِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَ حَالِ الْإِخْبَارِ دُونَ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبُؤَادَى مِنْ جَفَاءِ الْعَرَبِ . فَإِذَا قِيلَ عَادَتُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ قُلْنَا أَعْتَبَرْنَا الْعَامَ الشَّائِعَ دُونَ الشَّاذِّ النَّادِرِ. وَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَ طَعَامُ الْعَدِيَّةِ أَوْ تَوَاتُرُ الْكِتَابِ حَلَّ لَكُمْ مَبْتَدَأٌ وَخَبْرٌ وَ ذَلِكَ يَخْصُ عِنْدَ أَكْثَرِ أَصْحَابِنَا بِالْحُبُوبِ لِأَنَّهَا الْمَبَاحَةُ مِنْ أَطْعَمَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ فَأَمَّا ذُبَائِحُهُمْ وَ كُلُّ مَائِعٍ يَبَاشِرُونَهُ بِأَيْدِيهِمْ فَإِنَّهُ يَنْجَسُ وَ لَا يَحِلُّ اسْتِعْمَالُهُ . وَ تَذَكِّيَّتُهُمْ لَا تَنْصَحُ لِأَنَّ مِنْ شَرَطِ صِحَّتِهَا التَّسْمِيَةَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى وَ لَا تَأْكُلُوا -قرآن- ۱۷-۴۸-قرآن- ۵۶۵-۶۱۰-قرآن- ۸۲۵-۸۳۹ ثم قال تعالى الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ أَي مَا تَسْتَطِيبُونَهُ وَ لَا تَسْتَخْبِثُونَهُ فَرُدَّهُمْ إِلَى عَادَتِهِمْ وَ لَا يَمْنَعُ أَنْ يُقَالَ الْمُرَادُ بِهِ مَا لَأَذَى فِيهِ مِنَ الْمَبَاحِ الَّذِي لَيْسَ بِمَحْرَمٍ فَكَأَنَّهُمْ لِمَا سَأَلُوهُ عَنِ الْحَلَالِ فَقَالَ هُوَ مَا لَا يَسْتَحِقُّ الْمَدْحَ وَالذَّمَّ بِنَتَائِلِهِ وَ ذَلِكَ عَامٌ فِي جَمِيعِ الْمَبَاحَاتِ سِوَا مَا عَلِمْتَ كَذَلِكَ عَقْلًا أَوْ شَرَعًا. وَ مِنْ أَعْتَبَرَ الْعَرَفَ وَالْعَادَةَ أَعْتَبَرَ عَرَفَ أَهْلِ التَّرَفِ وَالْغِنَى وَالْمَكْنَةَ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْقَرْيِ وَالْأَمْصَارِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَ حَالِ الْإِخْبَارِ دُونَ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبُؤَادَى مِنْ جَفَاءِ الْعَرَبِ . فَإِذَا قِيلَ عَادَتُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ قُلْنَا أَعْتَبَرْنَا الْعَامَ الشَّائِعَ دُونَ الشَّاذِّ النَّادِرِ. وَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَ طَعَامُ الْعَدِيَّةِ أَوْ تَوَاتُرُ الْكِتَابِ حَلَّ لَكُمْ مَبْتَدَأٌ وَخَبْرٌ وَ ذَلِكَ يَخْصُ عِنْدَ أَكْثَرِ أَصْحَابِنَا بِالْحُبُوبِ لِأَنَّهَا الْمَبَاحَةُ مِنْ أَطْعَمَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ فَأَمَّا ذُبَائِحُهُمْ وَ كُلُّ مَائِعٍ يَبَاشِرُونَهُ بِأَيْدِيهِمْ فَإِنَّهُ يَنْجَسُ وَ لَا يَحِلُّ اسْتِعْمَالُهُ . وَ تَذَكِّيَّتُهُمْ لَا تَنْصَحُ لِأَنَّ مِنْ شَرَطِ صِحَّتِهَا التَّسْمِيَةَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى وَ لَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَهُوَ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ إِذَا ذَكَّرُوا قَصَدُوا بِذَلِكَ اسْمَ مَنْ أَبَدَ شَرَعَ مُوسَى أَوْ عِيسَى عَ أَوْ اتَّخَذَ عِيسَى أَوْ عَزِيرَا ابْنًا وَ كَذَبَ مُحَمَّدًا عَ وَ ذَلِكَ غَيْرُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ قَدَحَرَمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ وَ مَا أَهْلًا بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ. وَ طَعَامُكُمْ حَلَّ لَكُمْ أَي إِنَّهُ حَلَالٌ لَهُمْ سِوَا قَبْلُوهُ أَوْ لَمْ يَقْبَلُوهُ وَقِيلَ حَلَالٌ لِلْمُسْلِمِ بِذَلِكَ لَهُمْ وَ لَوْ كَانَ مُحْرَمًا لِمَاجَازِ الْمُسْلِمِ بِذَلِكَ إِيَّاهُمْ . وَ قَوْلُهُ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهَا لِذِكْرِ الْمَأْمُورِ بِهِ هُوَ قَوْلُ بِسْمِ اللَّهِ وَقِيلَ كُلُّ اسْمٍ يَخْتَصُّ اللَّهُ بِهِ أَوْ صِفَةٌ تَخْتَصُّهُ كَقَوْلِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ أَوْ بِاسْمِ الْقَادِرِ لِنَفْسِهِ أَوْ بِاسْمِ الْعَالَمِ لِنَفْسِهِ وَ مَا جَرَى مَجْرَى ذَلِكَ فَالْأُولَى مَجْمَعٌ عَلَى جَوَازِهِ وَالظَّاهِرُ يَقْتَضِي جَوَازَ غَيْرِهِ وَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيَّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَ هَذَا يَقْتَضِي مُخَالَفَةَ الْمُشْرِكِينَ فِي أَكْلِهِمْ مَا لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ فَأَمَّا مَا لَمْ يَذْكُرْ عَلَيْهِ اسْمَ اللَّهِ سَهْوًا أَوْ نِسْيَانًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ يَجُوزُ أَكْلُهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ . وَالْاسْمُ إِنَّمَا يَكُونُ لِمَسْمُومٍ مَخْصُوصًا بِالْقَصْدِ وَ ذَلِكَ مُفْتَقِرٌ إِلَى مَعْرِفَتِهِ وَاعْتِقَادِهِ وَ الْكُفَّارِ عَلَى مَذْهَبِنَا لَا يَعْرِفُونَ اللَّهَ فَكَيْفَ يَصِحُّ مِنْهُمْ تَسْمِيَتُهُ تَعَالَى فَلَا يَجُوزُ أَكْلُ ذُبَائِحِ الْكُفَّارِ لِهَذَا. ثُمَّ قَالَ وَ مَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَي لَمْ لَا تَأْكُلُوا وَ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ لِأَنَّ لَمْ لَا تَفْعَلُ أَعْمَمٌ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَكُونُ لِحَالٍ يَرْجِعُ إِلَى غَيْرِهِ -قرآن- ۱-۳۸-قرآن- ۲۱۹-۲۵۰-قرآن- ۲۵۲-۲۷۴-قرآن- ۴۰۳-۴۴۳-قرآن- ۶۹۲-۷۷۲-قرآن- ۱۱۰۹-۱۱۶۸] [صفحہ ۲۶۶] وَ أَمَّا مَا لَكَ لَا تَفْعَلُ فَحَالٌ يَرْجِعُ إِلَيْهِ وَ الْمَعْنَى أَي شَيْءٌ لَكُمْ فِي أَنْ لَا تَأْكُلُوا وَقِيلَ مَا مَنَعَكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا لِأَنَّ مَا لَكَ أَنْ تَفْعَلُ وَ مَا لَكَ لَا تَفْعَلُ

بمعنى واختار الزجاج الأول. وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عَنِ مَذْكَرِهِ فِي مَوَاضِعٍ مِنْ قَوْلِهِ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ الْآيَةُ وَغَيْرُهَا. إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِمْعَنَاهُ إِلَّا إِذَا خَفْتُمْ عَلَىٰ نَفْسِكُمُ الْهَلَكَ مِنَ الْجُوعِ وَتَرَكَ التَّنَاولَ فَحِينَئِذٍ يَجُوزُ لَكُمْ تَنَاوُلُ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ. وَاخْتَلَفُوا فِي مِقْدَارِ مَا يَسُوغُ تَنَاوُلَهُ حِينَئِذٍ لَهُ فَعِنْدَنَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَنَاوَلَ إِلَّا مَا يَمْسُكُ الرَّمَقُ وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ قَالَ يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَشْبَعَ مِنْهُ إِذَا اضْطُرَّ إِلَيْهِ وَ أَنْ يَحْمَلَ مَعَهُ مِنْهَا حَتَّى يَجِدَ مَا يَأْكُلُ . قَالَ وَ فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنْ مَا يَكْرَهُ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْأَجْنَاسِ يَجُوزُ أَكْلُهُ لِأَنَّ الْمَكْرَهُ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مِثْلَ الْمَضْطَرِّ. -قرآن- ١٧١-٢٠٨-قرآن- ٢٤٢-٢٤٨- قرآن- ٢٨٢-٣٠٩-قرآن- ٤٢٢-٤٧٨

فصل

و قال تعالى قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. أمر الله نبيه ع أن يقول لهؤلاء الكفار إنه لا يجد فيما أوحى الله إليه شيئا محرما إلا هذه الثلاثة وقيل إنه خص هذه الأشياء الثلاثة بذكر التحريم مع أن غيرها محرم مما ذكره تعالى في المائدة كالمنخقة والموقوذة -قرآن- ١٥-٢٦٧ [صفحة ٢٦٧] لأن جميع ذلك يقع عليه اسم الميتة و في حكمها فبين هناك بالتفصيل وهنا على الجملة. وأجود من ذلك أن يقال خص الله هذه الثلاثة تعظيما لتحريمها و بين ماعداها في موضع آخر. وقيل إنه تعالى خص هذه الأشياء بنص القرآن و ماعداها بوحى غير القرآن . وقيل إن ماعداه حرم فيما بعد بالمدينة و السورة مكية. و الدم المسفوح هو المصبوب وإنما خص المسفوح بالذكر لأن ما يختلط منه باللحم مما لا يمكن تخليصه منه لقلته معفو مباح و قال قوم إنما قال مسفوحا لأن الكبد يشبه الدم الجامد و إن لم يكن دما فليس بحرام فذكر المسفوح لبيان الحلال من الحرام فأما الطحال فإنه إذا ثقب وطرح في الماء فيسيل كله لأنه دم و هو حرام . و قوله أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فإنه و إن خص لحمه بالذكر هنا فإن جميع ما يكون منه من الشحم والجلد والشعر محرم . فَإِنَّهُ رِجْسٌ يَعْنِي مَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ وَلِذَلِكَ كُنِيَ عَنْهُ بِكُنْيَةِ الذَّكَرِ وَالرَّجْسُ كُلُّ مُسْتَقْدَرٍ مَنْفُورٍ عَنْهُ . و قوله أَوْ فِسْقًا عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ وَالْمُرَادُ بِالْفِسْقِ مَا أَهْلٌ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَ كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَائِشَةُ يَتَعَلَّقَانِ بِظَاهِرِ هَذِهِ الْآيَةِ فِي إِبَاحَةِ لَحْمِ الْحَمِيرِ . وَ ثَمَّ قَالَ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ قِيلَ فِيهِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا غَيْرُ طَالِبٍ بِأَكْلِهِ التَّلَذُّذُ وَالثَّانِي غَيْرُ قَاصِدٍ لِتَحْلِيلِ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَوَى أَصْحَابُنَا أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْخَارِجُ عَلَى الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَقَطَاعِ الطَّرِيقِ فَإِنَّهُمْ لَا يَرِخْصُونَ ذَلِكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ . -قرآن- ٦٣٨-٦٥٥-قرآن- ٧٤٢-٧٥٥-قرآن- ٨٤٢-٨٥١-قرآن- ٨٦٧-٨٨٤-قرآن- ١٠٠٦-١٠٤٠ [صفحة ٢٤٨] وَ لَا عَادٍ أَيْ لَا يَعْتَدِي بِتَجَاوُزِ ذَلِكَ إِلَى مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ وَالضَّرُورَةُ الَّتِي تَبِيحُ أَكْلَ الْمَيْتَةِ هِيَ خَوْفُ التَّلَفِ عَلَى النَّفْسِ مِنَ الْجُوعِ . وَ قَدِ اسْتَدَلَّ قَوْمٌ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى إِبَاحَةِ مَا عَدَا هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الْمَذْكُورَةَ وَ هَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ لِأَنَّ هُنَا مُحْرَمَاتٌ كَثِيرَةٌ غَيْرُهَا كَالسَّبَاعِ وَ كُلِّ ذِي نَابٍ وَ كُلِّ ذِي مَخْلَبٍ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْبَهَائِمِ وَ الْمَسْخُوحِ مِثْلَ الْفَيْلَةِ وَ الْقَرْدَةِ . وَ يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى تَحْرِيمِ الْإِنْتِفَاعِ بِجِلْدِ الْمَيْتَةِ فَإِنَّهُ دَاخِلٌ تَحْتَ التَّعْدِي . -قرآن- ١-١٠

فصل

و قوله تعالى وَ عَلَى الْعَذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَ مِنَ الْبَقَرِ وَ الْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ حَرَّمَ عَلَى الْيَهُودِ فِي أَيَّامِ مُوسَى ع كُلَّ ذِي ظُفْرٍ -قرآن- ١٦-١٩٠ قال ابن عباس إنه كل ما ليس

بمنفرد الأصابع كالإبل والنعام والبط والأوز -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٨١ وأخبر تعالى أيضا أنه كان حرم عليهم شحوم البقر والغنم مما فى أجوافهما واستثنى من ذلك بقوله إلاً ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا فإنه لم يحرمه واستثنى أيضا ما على الحوايا من الشحم فإنه لم يحرمه واستثنى أيضا من جملة ما حرم ما اختلط بعظم و هو شحم الجنب والألية لأنه على العصص . و هذه الأشياء و إن كانت محرمة فى شرع موسى ع فقد نسخ الله تحريمها وأباحها على لسان محمد ص . ثم قال تعالى ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ مَعْنَاهُ أَنَا حَرَمْنَا ذَلِكَ عَلَيْهِمْ عِقَابَهُ لِهِمْ عَلَى بَغْيِهِمْ . -قرآن- ٩٩-١٢٦-قرآن- ٣٩٥-٤٢١ [صفحہ ٢٦٩] فإن قيل كيف يكون التكليف عقابا و هو تابع للمصلحة و مع ذلك فهو تعريض للثواب . قلنا إنما سماه عقوبة لأن عظيم ما أتوه من المعاصى اقتضى تحريم ذلك فيه عقوبة و تعيين المصلحة و حصول اللطف و لو لا جرمهم لما اقتضت المصلحة ذلك . وَ إِنَّا لَصَادِقُونَ عَنِى فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ أَنَّ ذَلِكَ عِقَابُهُمْ لِأَوَائِلِهِمْ وَمَصْلَحَةٌ لِمَنْ بَعَدَهُمْ إِلَى وَقْتِ النِّسْخِ وَالصَّحِيحُ أَنَّ تَحْرِيمَ ذَلِكَ لَمَّا كَانَ مَصْلَحَةٌ عِنْدَ هَذَا الْإِقْدَامِ مِنْهُمْ جَازٌ أَنْ نَقُولَ حَرَمَ عَلَيْهِمْ بِظُلْمِهِمْ لِمَارَوْى أَنَّ الْعَبْدَ لِيَحْرَمَ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يَصِيْبُهُ -قرآن- ٢٣٢-٢٥١

باب الأَطْعَمَةُ الْمَحْظُورَةُ

إشارة

قال الله تعالى حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَ مَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهَآلِآيَةٍ بَيْنَ تَعَالَى فِى هَذِهِ الْآيَةِ مَا اسْتِثْنَاهُ فِى قَوْلِهِ أَهْلَتْ لَكُمْ بِهَيْمَةِ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِهَذَا مِمَّا تَلَاهُ عَلَيْنَا فَقَالَ سَبْحَانَهُ مَخَاطِبًا لِلْمَكْلُفِينَ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ هِىَ كُلُّ مَا فَارَقَتْهُ الْحَيَاةُ مِنْ دَوَابِّ الْبَرِّ وَ طَيْرِهِ بِغَيْرِ تَذْكِيَةٍ -قرآن- ١٩-١٠٨-قرآن- ١٦١-٢١٧-قرآن- ٢٦٨-٢٩٤ واستثنى النبى ص منها السمك و الجراد فقال ميتتان مباحتان -رواية- ١-٢-رواية- ٣-٦٤ . ثم قال تعالى وَ الدَّمُ أَى حَرَمَ عَلَيْكُمُ الدَّمُ فَحَقِيلٌ إِنَّهُمْ كَانُوا يَجْعَلُونَ الدَّمُ فِى الْمَبَاعِرِ وَيَشْوِنُهَا وَيَأْكُلُونَهَا فَأَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّ الدَّمُ الْمَسْفُوحُ أَى -قرآن- ١٨-٢٦ [صفحہ ٢٧٠] الْمَصْبُوبُ حَرَامٌ فَأَمَّا اللَّحْمُ الْمَتَلَطَّخُ بِالدَّمِ وَ مَا يَرَى أَنَّهُ مِنْهُ مِثْلُ الْكَبِدِ فَهُوَ مَبَاحٌ وَ أَمَّا الطَّحَالُ فَهُوَ الدَّمُ الْمَسْفُوحُ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ وَ إِنَّمَا شَرَطْنَا فِى الدَّمِ الْحَرَامِ مَا كَانَ مَسْفُوحًا لِأَنَّهُ تَعَالَى بَيْنَ ذَلِكَ فِى الْآيَةِ الْأُخْرَى فَقَالَ تَعَالَى أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا . ثُمَّ قَالَ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ أَى حَرَمَ عَلَيْكُمْ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ أَهْلِيهِ وَ بَرِيهِ فَالْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ مَخْرَجُهُمَا فِى الظَّاهِرِ مَخْرَجُ الْعُمُومِ وَ الْمَرَادُ بِهِمَا الْخِصُوصُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ مَخْصُوصٌ ظَاهِرُهُ مَعَ أَنَّ كُلَّ مَا كَانَ مِنَ الْخِنْزِيرِ حَرَامٌ كَلْحَمِهِ مِنَ الشَّحْمِ وَ الْجِلْدِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ فَالْمَرَادُ بِهِ الْعُمُومُ . وَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَ مَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ أَى وَ حَرَمَ عَلَيْكُمْ مَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ أَى مَا ذَبَحَ لِلْأَصْنَامِ وَ الْأَوْثَانِ مِمَّا يَقْرَبُ بِهِ مِنَ الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللَّهِ أَوْ رَفَعَ الصَّوْتُ عَلَيْهِ بِغَيْرِ اسْمِ اللَّهِ حَرَامٌ . وَ كُلُّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ مِمَّا عَدَدْنَاهُ يَحْرَمُ بِيَعِهِ وَ مَلِكِهِ وَ التَّصَرُّفِ فِيهِ . وَ الْخِنْزِيرُ يَقَعُ عَلَى الْمَذْكَرِ وَ الْمُوْثِ . وَ فِى الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ ذَبَائِحَ كُلِّ مَنْ لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ حَرَامٌ سِوَاءَ كَانَ كَافِرًا أَوْ مِنْ دَانَ بِالتَّجْسِمِ وَ الصُّورَةِ أَوْ قَالَ بِالْجَبْرِ وَ التَّشْبِيهِ أَوْ خَالَفَ الْحَقَّ فَعِنْدَنَا لَا يَجُوزُ أَكْلُ ذَبِيحَتِهِ . وَ قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ التَّسْمِيَةَ عَلَى الذَّبِيحَةِ وَاجِبَةٌ فَإِنَّ تَرْكَهَا نَاسِيًا لَمْ يَكُنْ بِهِ بَأْسٌ . -قرآن- ٢٢٥-

٢٤٣-قرآن- ٢٥٤-٢٧٢-قرآن- ٥١٧-٥٤٨

فصل

ثم قال تعالى وَ الْمُنْخَنِقَةُ قَالَ السُّدَى هِىَ الَّتِى تَدْخُلُ رَأْسَهَا بَيْنَ شَعْبَتَيْنِ -قرآن- ١٧-٣٢ [صفحہ ٢٧١] مِنْ شَجَرَةٍ فَتَخْتَنِقُ وَ تَمُوتُ

وقال الضحاك هي التي تختنق وتموت وقال قتادة هي التي تموت في خناقها وقال كان أهل الجاهلية يخنقونها ثم يأكلونها. والأولى حمل الآية على عمومها في جميع ذلك سواء كان بشيء من قبلها أو من قبل غيرها لأنه تعالى وصفها بالمنخنقة ولو كان الأمر على ما ذكره قتادة فقط لقال والمخنوقة. وقوله تعالى وَ الْمَوْقُودَةُ يَعْنِي التي تضرب حتى تموت. وَ الْمُتَرَدِّدَةُ التي تقع من جبل أو تقع في بئر فتتموت فإن وقعت في شيء من ذلك ويعلم أنها لم تمت بعد ولم يقدر على موضع ذكاته جاز أن تطعن وتضرب بالسكين في غير المذبح حتى تبرد ثم تؤكل. وَ النَّطِيحَةُ وهي التي تنطح أو ينطح. فإن قيل كيف تكون بمعنى المنطوحة وقد ثبت فيها الهاء وفعيل إذا كان بمعنى مفعول لا يثبت فيه الهاء مثل عين كحيل وكف خضيب. قلنا اختلف في ذلك فقال البصريون أثبت في النطيحة الهاء لأنها جعلت كالاسم مثل الطويلة فوجه التأويل النطيحة أى معنى الناطحة ويكون المعنى حرمت عليكم الناطحة التي تموت من نطاحها وقال بعض الكوفيين إنما يحذف هاء الفعيل بمعنى المفعول إذا كان مع الموصوف فأما إذا كان منفردا فلا بد من إثبات الهاء فيقال رأيت قتيله. والقول بأن النطيحة بمعنى المنطوحة هو قول أكثر المفسرين لأنهم أجمعوا على تحريم الناطحة والمنطوحة إداماتا. وقوله وَ مَا أَكَلَ السَّيِّعِ أى وحرمت عليكم ما أكل السبع بمعنى ماقتله السبع قاله ابن عباس وهو فريسة السبع إلا ما ذكيتم إلا ما أدركتم ذكاته فذكيتموها من هذه الأشياء التي وصفها وموضع مانصب بالاستثناء. -قرآن- ٣٣٠-٣٤٤-قرآن- ٣٧٣-٣٨٩-قرآن- ٥٧٠-٥٨٣-قرآن- ١١٩٣-١٢١٣-قرآن- ١٣٠٠-١٣١٦] صفحہ ٢٧٢ [واختلف في الاستثناء إلى ماذا يرجع فقال قوم يرجع إلى جميع ماتقدم ذكره من قوله حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَ مَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَ الْمُنْخَنِقَةُ وَ الْمَوْقُودَةُ وَ الْمُتَرَدِّدَةُ وَ النَّطِيحَةُ وَ مَا أَكَلَ السَّيِّعِ إلا ما لا يقبل الذكاه من لحم الخنزير والدم وهو الأقوى وهو المروى عن علي ع و ابن عباس قال وهو أن تدركه يتحرك رجله أو ذنبه أو تطرف عينه وهو المروى عنهما ع. وقال آخرون هو استثناء من التحريم لأنه من المحرمات لأن الميتة لا ذكاه لها ولا الخنزير قالوا والمعنى حرمت عليكم الميتة والدم وسائر ما ذكر إلا ما ذكيتم مما أحله الله تعالى له بالتذكية فإنه حلال لكم. وسئل مالك عن الشاة يخرق جوفها السبع حتى يخرج أمعاؤها فقال لأرى أن تذكى ولا تؤكل أى شىء يذكى منها. وقال كثير من الفقهاء إنه يراعى إن يلحق وفيه حياة مستقره فيذكى فيجوز أن يؤكل فأما ما يعلم أنه لا حياة فيه مستقره فلا يجوز بحال. -قرآن- ٨٨-٢٤٥

فصل

فإن قيل فما وجه تكرير قوله تعالى وَ مَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَ الْمُنْخَنِقَةُ وَ الْمَوْقُودَةُ وجميع ما عدهد تحريمه في هذه الآية يعمه قوله تعالى حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ و إن اختلف أسباب موته من خنق أو ترد أو نطح أو إهلال لغير الله أو أكيل سبع وإنما يكون كذلك يعنى قول من يقول إنها و إن كانت فيها حياة إذا كانت غير مستقره فلا يجوز أكلها. قلنا الفائدة في ذلك أن الذين خوطبوا بذلك لم يكونوا يعدون الميت إلا مامات حتف أنفه من دون شىء من هذه الأسباب فأعلمهم الله تعالى أن حكم الجميع واحد و أن وجه الاستباحة هي التذكية الشرعية. -قرآن- ٣٨-١٠٢-قرآن- ١٥٧-١٨٣] صفحہ ٢٧٣ [وقال السدى إن ناسا من العرب كان يأكلون جميع ذلك ولا يعدونه ميتا إنما يعدون الميتة التي تموت من الوجع. فإن قيل قد جاء في البقرة وَ مَا أَهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ وَ فِي الْمَائِدَةِ وَ فِي الْأَنْعَامِ وَ فِي النُّحْلِ وَ مَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فمَا وَجْه ذلك. قلنا الأصل ما جاء في سورة البقرة لأن الباء التي يتعدى بها الفعل بمنزلة جزء منه تقول ذهبت بزيد وأذهبت و ما يتعدى إليه الفعل باللام لا يتنزل منه اللام منزلة الجزء منه فالباء أحق بالتقديم لأن معنى أَهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ذبح لغير الله أى سمي عليه بعض الآلهة إن لم يكن الذابح ممن يعرف الله فيسميه. فالأصل ما هو في البقرة ثم لما كان الإهلال بالمذبح لا يستنكر إلا إذا كان ماعدا الأصل فتقديم المستنكر أولى ألا ترى أنهم يقدمون

المفعول إذا كانوا بيانه أعنى فيقولون ضرب عمرا زيد فلهذا بدئ في البقرة ثم قدم في المواضع الثلاثة الاسم و هو ذكر المستنكر في غير الله . والتذكية هي فرى الأوداج والحلقوم إذا كانت فيه حياة ولا يكون بحكم الميت والذكاة في اللغة تمام الشئ فالمعنى على هذا في قوله تعالى إلاً ما ذكيتم أى ما أدركتم ذبحه على التمام . -قرآن- ١٣٩-١٧٠-قرآن- ٢١٠-٢٤١-قرآن- ٤٦٣-٤٨٨-قرآن- ٩٩٥-١٠١١

فصل

ثم قال تعالى وَ مَا ذَبِحَ عَلَى النَّصِيفِ بِالنَّصِبِ الْحِجَارَةُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا وَهِيَ الْأَوْثَانُ وَاحِدُهَا نَصَابٌ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا وَالْجَمْعُ أَنْصَابٌ . -قرآن- ١٧-٤٣ [صفحة ٢٧٤] والفرق بين هذا وبين ما أهل به لغير الله أن المراد ما يصدق به تقربا إلى الأنصاب والمراد بالأول ما ذبحه الكافر أو من سمي غير الله عند ذبحه على ما ذكرناه لأى شئ ذبحه من بيع أو إضافة أو تصدق . و قال ابن جريح النصب ليست أصناما وإنما كانت حجارة تنصب إذا ذبحوا لآلهتهم جعلوا اللحم على الحجارة ونضجوا الدم على ما قبل من البيت فقال المسلمون عظمت الجاهلية البيت بالدم فنحن أحق أن نعظمه فأنزل الله تعالى لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَ لَا دِمَاؤها الْآيَةَ . وقوله وَ أَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسَقٌ أَى وَ حرم عليكم الاستقسام بالأزلام وهى سهام كانت الجاهلية يطلبون قسم الأرزاق بها ويتفألون بها فى أسفارهم وابتداءات أمورهم و به قال ابن عباس . و قال مجاهد هى سهام العرب وكعاب فارس والروم . والأنصاب الأصنام وإنما قيل لها ذلك لأنها كانت تنصب للعبادة لها قال تعالى إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصَابُ وَ الْأَزْلَامُ . والميسر القمار و عن أبى جعفر ع يدخل فيه الشطرنج والنرد -قرآن- ٢٧-٤٢٧-قرآن- ٤٦٨-٤٢٧-قرآن- ٤٨٣-٥٢٦-قرآن- ٨١٥-٨٦٨ [صفحة ٢٧٥] حتى اللعب بالجوز. وروى عن أمير المؤمنين ع أنه قال الشطرنج ميسر العجم -رواية- ١-٢-رواية- ٤١-٦٢ . والأزلام القداح وهى سهام كانوا يجلبونها للقمار. قال الأصمعى كان الجزور يقسمونه على ثمانية وعشرين جزءا وذكرت أسماؤها مفصلة وهى عشرة منها ذوات الحظوظ سبعة. ثم قال رجس من عمل الشيطان فوصفها بذلك يدل على تحريمها . -قرآن- ١٧٥-٢٠٠

فصل

أما قوله تعالى كُلِّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ فَقَدْ كَانَ سَبَبَ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الْيَهُودَ أَنْكَرُوا تَحْلِيلَ النَّبِيِّ ص لِحُومِ الْإِبْلِ فَبَيَّنَ اللَّهُ أَنَّهَا كَانَتْ مَحَلَّةً لِإِبْرَاهِيمَ وَوَلَدِهِ إِلَى أَنْ حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ وَهُوَ يَعْقُوبُ نَذَرَ أَنْ يَرَى مِنَ النِّسَاءِ أَنْ يَحْرِمَ أَحَبَّ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَيْهِ وَهِيَ لِحُومُ الْإِبْلِ وَأَلْبَانُهَا فَلَمَّا بَرَأَ وَفِي بَنَدَرِهِ فَحَاجَهُمُ النَّبِيُّ ص بِالتَّوْرَةِ فَلَمْ يَجْسُرُوا أَنْ يَحْضُرُوا لِعَلْمِهِمْ بِصَدَقِ مُحَمَّدٍ ص . فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ يَجُوزُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَحْرِمَ شَيْئًا وَهُوَ لَا يَعْلَمُ مَا لَهُ فِيهِ مِنَ الْمَصْلَحَةِ مِمَّا لَهُ فِيهِ الْمَفْسَدَةُ . قُلْنَا يَجُوزُ ذَلِكَ إِذَا أَدَانَ اللَّهُ لَهُ فِي ذَلِكَ وَأَعْلَمَهُ وَكَانَ اللَّهُ أَدَانَ لِإِسْرَائِيلَ فِي هَذَا النَّذْرِ وَلِذَلِكَ نَذَرَ فَأَمَّا غَيْرَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ فَلَا يَجُوزُ لَهُمْ مِثْلُ ذَلِكَ -قرآن- ١٨-١٣٤ [صفحة ٢٧٦]

باب الأشربة المباحة والمحظورة

قال الله تعالى يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ قَالَ أَكْثَرُ الْمَفْسِرِينَ الْخَمْرُ عَصِيرُ الْعَنْبِ النَّبِيُّ إِذَا اشْتَدَّ وَقَالَ جَمْهُورُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ كُلُّ مَا سُكِرَ كَثِيرُهُ فَهُوَ خَمْرٌ وَ هُوَ الظَّاهِرُ فِي رِوَايَاتِنَا. وَ اشْتِقَاقُهُ فِي اللُّغَةِ مِنْ قَوْلِهِمْ خَمَرَتِ الشَّيْءُ أَي سَتَرَتْهُ لِأَنَّهَا تَغْطِي عَلَى الْعَقْلِ . وَ كُلُّ مَا سُكِرَ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ حَرَامٌ قَلِيلُهُ وَ كَثِيرُهُ لِأَشْرَاكِهُمَا فِي الْمَعْنَى إِذْ يَجْرِي عَلَيْهِمَا أَجْمَعُ جَمِيعُ أَحْكَامِ الْخَمْرِ . وَ قَوْلُهُ تَعَالَى قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنَافِعٌ لِلنَّاسِ فَمِنَ الْمَنَافِعِ الَّتِي فِي الْخَمْرِ مَا كَانُوا يَأْخُذُونَ فِي أَثْمَانِهَا وَ رِبْحِ تِجَارَتِهَا وَ مَا فِيهَا مِنَ اللَّذَّةِ بَتَنَاوُلِهَا أَي فَلَا يَغْتَرُّوا بِالْمَنَافِعِ الَّتِي فِيهَا فَضْرَرُهَا أَكْثَرَ مِنْ نَفْعِهَا. قَالَ الْحَسَنُ وَ هَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى تَحْرِيمِ الْخَمْرِ لِأَنَّهُ مَعَ ذِكْرِ أَنَّ فِيهَا إِثْمًا وَ قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ الْإِثْمَ فِي قَوْلِهِ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ وَ الْإِثْمَ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى قَدْ وَصَفَهَا بِأَنَّ فِيهَا إِثْمًا كَبِيرًا وَ الْإِثْمَ الْكَبِيرَ مُحْرَمٌ بِلَا خِلَافٍ . وَ قَالَ قَوْمُ الْمَعْنَى أَنَّ الْإِثْمَ بِشَرْبِ هَذِهِ وَ الْقَمَارِ بِهَذَا أَكْبَرُ وَ أَعْظَمُ لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سُكِرُوا وَ ثَبَّ بِعُضْهِمْ عَلَى بَعْضٍ وَ قَاتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. قَالَ قَتَادَةُ وَ إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى تَحْرِيمِهَا الْآيَةُ الَّتِي فِي الْمَائِدَةِ مِنْ قَوْلِهِ إِنََّّمَا - قُرْآن - ١٩ - ٨٢ - قُرْآن - ٤١٧ - ٤٦٢ - قُرْآن - ٧١٦ - ٧٩١ - قُرْآن - ١٠٦٣ - ١٠٦٩ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ قَالَ أَكْثَرُ الْمَفْسِرِينَ الْخَمْرُ عَصِيرُ الْعَنْبِ النَّبِيُّ إِذَا اشْتَدَّ وَقَالَ جَمْهُورُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ كُلُّ مَا سُكِرَ كَثِيرُهُ فَهُوَ خَمْرٌ وَ هُوَ الظَّاهِرُ فِي رِوَايَاتِنَا. وَ اشْتِقَاقُهُ فِي اللُّغَةِ مِنْ قَوْلِهِمْ خَمَرَتِ الشَّيْءُ أَي سَتَرَتْهُ لِأَنَّهَا تَغْطِي عَلَى الْعَقْلِ . وَ كُلُّ مَا سُكِرَ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ حَرَامٌ قَلِيلُهُ وَ كَثِيرُهُ لِأَشْرَاكِهُمَا فِي الْمَعْنَى إِذْ يَجْرِي عَلَيْهِمَا أَجْمَعُ جَمِيعُ أَحْكَامِ الْخَمْرِ . وَ قَوْلُهُ تَعَالَى قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنَافِعٌ لِلنَّاسِ فَمِنَ الْمَنَافِعِ الَّتِي فِي الْخَمْرِ مَا كَانُوا يَأْخُذُونَ فِي أَثْمَانِهَا وَ رِبْحِ تِجَارَتِهَا وَ مَا فِيهَا مِنَ اللَّذَّةِ بَتَنَاوُلِهَا أَي فَلَا يَغْتَرُّوا بِالْمَنَافِعِ الَّتِي فِيهَا فَضْرَرُهَا أَكْثَرَ مِنْ نَفْعِهَا. قَالَ الْحَسَنُ وَ هَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى تَحْرِيمِ الْخَمْرِ لِأَنَّهُ مَعَ ذِكْرِ أَنَّ فِيهَا إِثْمًا وَ قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ الْإِثْمَ فِي قَوْلِهِ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ وَ الْإِثْمَ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى قَدْ وَصَفَهَا بِأَنَّ فِيهَا إِثْمًا كَبِيرًا وَ الْإِثْمَ الْكَبِيرَ مُحْرَمٌ بِلَا خِلَافٍ . وَ قَالَ قَوْمُ الْمَعْنَى أَنَّ الْإِثْمَ بِشَرْبِ هَذِهِ وَ الْقَمَارِ بِهَذَا أَكْبَرُ وَ أَعْظَمُ لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سُكِرُوا وَ ثَبَّ بِعُضْهِمْ عَلَى بَعْضٍ وَ قَاتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. قَالَ قَتَادَةُ وَ إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى تَحْرِيمِهَا الْآيَةُ الَّتِي فِي الْمَائِدَةِ مِنْ قَوْلِهِ إِنََّّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصَابُ وَ الْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنَ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ثُمَّ أَمَرْنَا بِاجْتِنَابِهَا بِأَنَّ قَالَ فَاجْتَنِبُوهُ أَي كُونُوا عَلَى جَانِبِهَا أَي فِي نَاحِيَةٍ. فَفِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى تَحْرِيمِ الْخَمْرِ وَ عَلَى تَحْرِيمِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مِنْ أَرْبَعَةِ أَوْجِهٍ أَحَدُهَا أَنَّهُ وَصَفَهَا بِأَنَّهَا رِجْسٌ وَ الرِّجْسُ وَ النُّجْسُ بِلَا خِلَافٍ مُحْرَمٌ. الثَّانِي نَسْبُهَا إِلَى عَمَلِ الشَّيْطَانِ وَ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا مُحْرَمًا. الثَّلَاثُ أَنَّهُ تَعَالَى أَمَرْنَا بِاجْتِنَابِهَا وَ الْأَمْرُ يَقْتَضِي الْإِجَابَ شَرْعًا. الرَّابِعُ أَنَّهُ جَعَلَ الْفُوزَ وَ الْفَلَاحَ فِي اجْتِنَابِهَا . وَ الْهَاءُ فِي قَوْلِهِ فَاجْتَنِبُوهُ رَاجِعَةٌ إِلَى عَمَلِ الشَّيْطَانِ . قُرْآن - ١ - ٨٨ - قُرْآن - ١٧٣ - ١٨٥ - قُرْآن - ٥٣٨ - ٥٥٠

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى إِنََّّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَ الْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ وَ يَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ عَنِ الصِّيْلَةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهَوْنَ قِيلَ هَلْ هَاهُنَا مَعَ مَا بَعْدَهَا بِمَنْزِلَةِ الْأَمْرِ أَي انْتَهَوْا. وَ سَبَبُ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ لَاقَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَ قَدْ كَانَ شَرِبَا الْخَمْرَ فَضْرَبَهُ بِلِحْيِ جَمَلٍ . وَ قِيلَ إِنَّهُ لَمَازَلَتْ قَوْلُهُ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصِّيْلَةَ وَ أَنْتُمْ سِيَّكَارَى قَالَ رَجُلٌ أَلْهِمَ بَيْنَ لَنَا فِي هَذِهِ الْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. قُرْآن - ١٧ - ١٨٢ - قُرْآن - ٣٧٠ - ٤٣٥ [صَفْحَةُ ٢٧٨] مَعْنَاهُ الشَّيْطَانُ إِذَا يَرِيدُ إِيقَاعَ الْعَدَاوَةَ وَ الْبَغْضَاءَ بَيْنَهُمْ بِالْإِغْرَاءِ الْمَزِينِ لَهُمْ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا سُكِرُوا زَالَ عَقْلُهُمْ وَ أَقْدَمُوا مِنَ الْمَكَارِهِ وَ الْقَبَائِحِ

ما كانت تمنعهم منه عقولهم . وقال قتادة كان الرجل يقامر في ماله وأهله فيقمر ويبقى سلبيا حزينا فيكسبه ذلك العداوة والبغضاء. وقوله وَ يَصِيْدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَيْ يَمْنَعُكُمْ مِنَ الذِّكْرِ لِلَّهِ بِالتَّعْظِيمِ والشكر على آلائه لما في ذلك من الدعاء إلى الصلاح واستقامة الحال في الدين والدنيا. وقوله تعالى فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُوْنَ نَصِيغَتِهِ الاستفهام ومعناه النهى وإنما جاز ذلك لأنه إذا ظهر قبح الفعل للمخاطب صار في منزلة من نهى عنه فإذا قيل له أتفعله بعد ما قد ظهر من أمره صار في محل من عقد عليه بإقراره . فإن قيل ما الفرق بين انتهوا عن شرب الخمر وبين لا تشربوا الخمر. قلنا الفرق بينهما أنه إذا قال انتهوا دل ذلك على أنه يريد لأمر ينافي شرب الخمر وصيغة النهى تدل على كراهة الشرب لأنه قد ينصرف عن الشرب إلى أحد أشياء مباحة وليس كذلك المأمور به لأنه لا ينصرف عنه إلا إلى محظور والمنهى عنه قد ينصرف عنه إلى غير مفروض . ثم قال وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّما عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ لما أمر سبحانه باجتناّب الخمر والميسر والأنصاب والأزلام أمر بطاعته في ذلك وفي غيره من أوامره ثم أمر بالحدز وهو امتناع القادر من الشيء لما فيه من الضرر والخوف وهو توقع الضرر الذي لا يؤمن كونه . فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ لَوْ عِدًّا فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قَدْ اسْتَحَقَقْتُمُ الْعَذَابَ لِتَوَلِّيْتُمْ عَمَّا أَدَى رَسُولُنَا مِنَ الْبَلَاغِ الْمُبِينِ . قرآن- ٢٧٨-٣٠٦-قرآن-٤٤٥-٤٦٧-قرآن-٩٩١-١١١٤-قرآن-١٣٢٢-١٣٣٧-قرآن-١٣٤٤-١٣٥٣ [صفحه ٢٧٩] والخمر محرمة على لسان كل نبي وفي كل كتاب نزل وأن تحريمها لم يكن متجددا فإذا انقلبت الخمر خلا بنفسها أو بفعل آدمي إذا طرح فيها ما ينقلب إلى الخل حلت . ثم قال لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَ آمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَ أَحْسَنُوا - قرآن- ١٧٠-٣٤٥ قال ابن عباس إنه لما نزل تحريم الخمر قال الصحابة كيف بمن مات من إخواننا وهو يشربها من قبل فأنزل الله الآية وبين أنه ليس عليهم في ذلك شيء إذا لم يكونوا عالمين بتحريمها وقد كانوا مؤمنين عاملين للصالحات ثم يتقون المعاصي وجميع ما حرم الله عليهم -رواية ١-٢-رواية ١٨-٢٦٧ . والصحيح أن معناه ليس على المؤمنين إثم ولا حرج في أكل طيبات الدنيا إذا أكلوها من الحلال ودل على هذا المعنى بقوله إذا مَا اتَّقَوْا وَ آمَنُوا وتكرار الاتقاء إنما حسن لأن الأول المراد به اتقاء المعاصي الثاني الاستمرار على الاتقاء الثالث اتقاء مظالم العباد. -قرآن-١٢٥-١٥١

فصل

أما قوله تعالى وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ إِلَيْهِ قَوْلَهُ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سِكْرًا وَ رِزْقًا حَسِينًا قَالَ قَوْمٌ مِمَّنْ لَا يُؤْبَهُ بِهِمْ اسْتَدَلُّوا بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى تَحْلِيلِ النَّبِيذِ بِأَنَّ قَالُوا امْتَنَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَعَدَدَ مِنْ جَمَلَةِ نِعْمَةِ عَلَيْنَا أَنَّ خَلَقَ اللَّهُ لَنَا الثَّمَارَ الَّتِي تَتَّخِذُ مِنْهَا السُّكْرَ وَالرِّزْقَ الْحَسَنَ وَ هُوَ سَبْحَانَهُ وَ تَعَالَى لَا يَمْتَنُ بِمَا هُوَ مُحْرَمٌ . وَ هَذَا لِادِّلَالَةِ لَهُمْ فِيهِ لِأُمُورٍ -قرآن-١٨-٦٤-قرآن-٧٦-١٥٧ [صفحه ٢٨٠] أحدها أن المفسرين على خلاف هذا ولم يقل أحد منهم هو ما حرم من العثرات وإنما ذكروا في معناه تتخذون منه ما حل طعمه من شراب أو غيره . الثاني أنه لو أراد بذلك تحليل السكر لما كان لقوله وَ رِزْقًا حَسِينًا مَعْنَى لِأَنَّ مَا أَحْلَهُ وَأَبَاحَهُ فَهُوَ أَيْضًا رِزْقٌ حَسَنٌ . فَإِنْ قِيلَ فَلِمَ فَرَّقَ بَيْنَ الرِّزْقِ الْحَسَنِ وَبَيْنَهُ وَالْكَوْثُ وَالشَّيْءِ وَاحِدًا . قُلْنَا الْوَجْهُ فِيهِ أَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ هَذِهِ الثَّمَارَ لِتَنْتَفِعُوا بِهَا فَاتَّخَذْتُمْ مِنْهَا مَا هُوَ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ وَ تَرَكْتُمْ مَا هُوَ رِزْقٌ حَسَنٌ . وَ أَمَّا وَجْهُ الْمَنَةِ فَالْأَمْرُ بِمَعَا ثَابِتُهُ لِأَنَّ مَا أَبَاحَهُ وَأَحْلَهُ فَالْمَنَةُ بِهِ ظَاهِرَةٌ لِيُعْجَلَ الْإِنْتِفَاعُ بِهِ وَ مَا حَرَمَهُ فَوَجْهُ النِّعْمَةِ فِيهِ أَنَّهُ إِذَا حَرَّمَ عَلَيْنَا وَأَوْجَبَ الْإِمْتِنَاعَ ضَمَّنَ فِي مَقَابِلَتِهِ الثَّوَابَ الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ النِّعْمَةِ فَهُوَ نِعْمَةٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ . وَيُؤَكِّدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ وَ هَيْدِيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ وَ قَوْلُهُ فَالْهَمَّهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا وَ نَحْوَهُ قَوْلُنَا إِنْ خَلَقَ نَارَ جَهَنَّمَ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ . الثالث أن السكر إذا كان مشتركاً بين السكر والطعم وجب أن يتوقف فيه و

لا يحمل على أحدهما إبداليل و ما ذكرناه مجمع على أنه مراد و ما ذكر ليس عليه دليل . والسكر في اللغة على أربعة أقسام أحدها مأسكر والثاني ما طعم من -قرآن- ١٩٤-٢١٠-قرآن- ٦٧٩-٧٠١-قرآن- ٧١٠-٧٤١ [صفحه ٢٨١] الطعام كما قال الشاعر جعلت عين الأكرمين سكرًا . أى طعما الثالث المصدر من قولك سكر سكرًا وأصله انسداد المجارى بما يلقي فيها و منه السكر و هو القسم الرابع . على أنه كان يقتضى أن يكون كل مأسكر منه يكون حلالا- و ذلك خلاف الإجماع لأنهم يقولون القدر الذى لايسكر هوالمباح و كان يلزم على ذلك أن يكون الخمر مباحا و ذلك لايقوله أحد من المسلمين ويلزم أن يكون النقيع حلالا و ذلك خلاف الإجماع

باب بيان تحريم الخمر

إشاره

حدث على بن يقطين قال سألت المهدي الخليفة أبا الحسن موسى بن جعفر عن الخمر أهي محرمة في كتاب الله تعالى فإن الناس إنما يعرفون النهي عنها ولا يعرفون التحريم لها فقال له أبو الحسن هي محرمة في كتاب الله تعالى فقال في أى موضع هي محرمة في كتاب الله تعالى يا أبا الحسن فقال قول الله تعالى قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ وَ الْإِثْمَ -روايت- ١-٢-روايت- ٢٧-٢٧-ادامه دارد [صفحه ٢٨٢] فأما قوله ما ظَهَرَ مِنْهَا فإنه يعنى بذلك الزناء المعلن ونصب الرايات التي كانت ترفعها الفواجر في الجاهلية و أما قوله وَ مَا بَطَّنَ فإنه يعنى به ما نكح من الآباء فإن الناس كانوا من قبل أن يبعث الله النبي ص إذا كان للرجل زوجة ومات عنها زوجها تزوجها ابنه من بعده إذا لم تكن أمه فحرم الله ذلك و أما قوله وَ الْإِثْمَ فإنه يعنى به الخمره بعينها و قد قال الله تعالى في مواضع أخرى سَأَلْتُمُونَنِي عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَ إِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا إِنَّمَا عَنِ الْإِثْمِ حَرَامًا عَظِيمًا وَ قَدَسَمَاهَا اللَّهُ تَعَالَى أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ رَجَسًا ثُمَّ قَالَ عَ إِذَا كَانَ أَوَّلُ مَا نَزَلَ فِي تَحْرِيمِ الْخَمْرِ سَأَلْتُمُونَنِي عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَ إِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَحْسَنَ الْقَوْمُ بِتَحْرِيمِ الْخَمْرِ وَعَلِمُوا أَنَّ الْإِثْمَ مِمَّا يَجِبُ اجْتِنَابُهُ ثُمَّ نَزَلَتْ آيَةٌ أُخْرَى وَ هِيَ قَوْلُهُ إِنََّّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصَابُ وَ الْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَ كَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَشَدَّ مِنَ الْأُولَى وَ أَغْلَظَ فِي التَّحْرِيمِ ثُمَّ ثَلَاثُ آيَةٍ أُخْرَى وَ كَانَتْ أَغْلَظَ فِي الْآيَةِ الْأُولَى وَ الثَّانِيَةَ وَ أَشَدَّ وَ هِيَ قَوْلُهُ إِنََّّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَ الْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ وَ يُصُدَّكُمْ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَ عَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ فَأَمْرٌ بِاجْتِنَابِهَا وَ فِيسْرِ عِلَلِهَا الَّتِي لَهَا وَ مِنْ أَجْلِهَا حَرَمَهَا ثُمَّ بَيْنَ تَعَالَى تَحْرِيمَهَا وَ كَشَفَهُ فِي الْآيَةِ الرَّابِعَةِ مَعَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ -روايت- از قبل- ١-روايت- ٢-ادامه دارد [صفحه ٢٨٣] المتقدمة بقوله قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ وَ الْإِثْمَ وَ قَالَ فِي الْآيَةِ سَأَلْتُمُونَنِي عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ فَخَبِرَ أَنَّ الْإِثْمَ فِي الْخَمْرِ وَغَيْرِهَا وَ أَنَّهُ حَرَامٌ وَ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَرَادَ أَنْ يَفْرُضَ فَرِيضَةً أَنْزَلَهَا شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ حَتَّى يُوَطِّنَ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ عَلَيْهَا وَيَسْكُنُوا إِلَى أَمْرِ اللَّهِ وَ نَهْيِهِ فِيهَا وَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَ وَجْهَ التَّجْدِيرِ وَ الصَّوَابِ لَهُمْ لِيَكُونُوا أَقْرَبَ إِلَى الْأَخْذِ بِهَا وَ أَقْلَ لِنَفْسِهِمْ مِنْهَا فَقَالَ الْمَهْدِيُّ هَذِهِ وَ اللَّهُ فَتَوَى هَاشِمِيَّةً -روايت- از قبل- ٤٩٠-

فصل

وروى أنه شرب قدامه بن مظعون الخمر فى أيام عمر فأراد أن يحده فقال له قدامه إنه لا يجب على الحد لأن الله تعالى يقول لَيْسَ عَلَى الْعَذِيبِ آمْنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَ أَحْسَنُوا فدرأ عنه الحد فبلغ ذلك أمير المؤمنين ع فأتى المسجد و فيه عمر فقال له لم تركت إقامة الحد على قدامه فى شربه الخمر فقال تلا على آية و تلاها عمر فقال له أمير المؤمنين ع ليس قدامه من أهل هذه الآية و لا من سلك سبيله فى ارتكاب ما حرم الله إن الذين آمنوا لا يستحلون حراما فاردد قدامه واستتبه مما قال فإن تاب فأقم عليه الحد و إن لم يتب فاقتله فقد خرج من الملة فعرف قدامه الخبر فأظهر التوبة -روایت- ۱-۲-روایت- ۹-۷۱۲. والآية إنما أنزلت فى القوم الذين حرموا على أنفسهم اللحوم و سلكوا طريق الترهيب كعثمان بن مظعون و غيره فبين الله لهم أنه لا جناح فى تناول المباح مع اجتناب المحرمات أى ليس عليهم إثم و خروج فيما طعموا من الحلال [صفحہ ۲۸۴] و هذه اللفظة صالحة للأكل و الشرب . و قوله ثُمَّ اتَّقَوْا وَ آمَنُوا أى اتقوا شربها بعد التحريم ثُمَّ اتَّقَوْا أى دانوا على الاتقاء فالاتقاء الأول من الشرب و الاتقاء الثانى هو الدوام عليه و الاتقاء الثالث اتقاء جميع المعاصى و ضم الإحسان إليه . و قال الله تعالى وَ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ مِيثَاقَهُ الَّذِى وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَ اطعنا -قرآن- ۴۴-۶۶-قرآن- ۹۴-۱۰۵-قرآن- ۲۶۵-۳۶۴ قال أبو جعفر ع الميثاق هو ما بين لهم فى حجة الوداع من تحريم كل مساء و كيفية الوضوء على ما ذكره الله فى كتابه و نصب أمير المؤمنين ع إماما للخلق كافة -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۰-۱۶۱. و تحريم الفقاع لا يعلل بالسكر و إنما تحريمه مثل لحم الخنزير و الدم .

فصل

و قد أباح الله تعالى الماء الذى هو أذل موجود و أعز مفقود و قد قال تعالى وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ وَ قَالَ هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ أَخْبِرَ تَعَالَى أَنَّهُ الَّذِى يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَعْنِي غَيْثًا وَمَطَرًا لِمَنَافِعِ خَلْقِهِ فَبَيَّنْتَ بِذَلِكَ الْمَاءِ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي عَدَّدَهَا. وَ قَالَ تَعَالَى وَ أَوْحَى رَبِّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا إِلَى أَنْ قَالَ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ مِنَ الْأَصْفَرِ وَأَبْيَضٍ وَأَحْمَرٍ مَعَ -قرآن- ۷۶-۱۱۴-قرآن- ۱۲۲-۱۷۸-قرآن- ۳۰۹-۳۷۵-قرآن- ۳۹۰-۴۳۷ [صفحہ ۲۸۵] أنها تأكل الحامض و المر فيجعله الله تعالى عسلا حلوا لذيذا فيه شفاء للناس . و أكثر المفسرين على أن الهاء راجعة إلى العسل و هو الشراب الذى ذكر أن فيه شفاء من كثير من الأمراض و إنما قال من بُطُونِهَا وَ هُوَ خَارِجٌ مِنْ فِيهَا لِأَنَّ الْعَسَلَ يَخْلُقُهُ اللَّهُ فِي بَطْنِ النَّحْلِ ثُمَّ يَخْرُجُهُ إِلَى فِيهِ ثُمَّ يَخْرُجُهُ مِنْ فِيهِ وَ لَوْ قَالَ مِنْ فِيهَا لَظَنَّ أَنَّهَا تَلْقِيهِ مِنْ فِيهَا وَ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنَ الْبَطْنِ . وَ قَالَ الرضی فی کتاب مجاز القرآن أن العسل عند المحققين من العلماء غير خارج من بطون النحل و إنما تنقله بأفواهها من مساقطه و مواقعه من أوراق الأشجار و أصناف النبات لأنه يسقط كسقوط الندى فى أماكن مخصوصة و على أوصاف معلومة و النحل ملهمة بتتبع تلك المساقط و تعهد تلك المواقع فتتنقل العسل بأفواهها إلى المواضع المعدة لها قال تعالى يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا وَ الْمَرَادُ مِنْ جِهَةِ بَطْنِهَا وَ جِهَةِ بَطْنِهَا أَفْوَاهُهَا وَ هَذَا مِنْ غَوَامِضِ الْبَيَانِ وَ شَرَائِفِ الْكَلَامِ . -قرآن- ۱۹۰-۲۰۲-قرآن- ۷۱۲-۷۳۲ و قال أمير المؤمنين ع اشربوا ماء السماء فإنه يطهر البدن و يدفع الأسقام قال تعالى وَ يُنَزَّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهَّرَكُمْ بِهِ وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ -روایت- ۱-۲-روایت- ۲۸-۱۸۴ و جاء رجل فشكا إليه وجع البطن فقال ع أ لك زوجة قال نعم قال استوهب منها درهما من صداقتها بطيبة نفسها من مالها و اشتر به عسلا و اسكب عليه من ماء السماء ثم اشربه ففعل الرجل فبرأ فسرل ع عن ذلك فقال سمعت الله تعالى يقول فى كتابه فَإِنِ طِبِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا -روایت- ۱-۲-روایت- ۳-ادامه دارد [صفحہ ۲۸۶] فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا وَ قَالَ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ وَ قَالَ وَ نَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأِذَا اجْتَمَعَتِ الْبَرَكَةُ

باب الزيادات

إشارة

قال الشافعي إنفحة الميتة نجسة لا يحل الانتفاع بها وعندنا وعند أبي حنيفة هي طاهرة وبذلك نصوص عن أئمة الهدى ع يؤيد ذلك قوله تعالى كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وهذا عام إلا ما أخرجه الدليل ولادليل على تحريم الإنفحة من الميتة ولانجاستها من كتاب وسنة ولا إجماع . ويؤكد ذلك -قرآن- ١٣٩-١٧٨ ما ذكره أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني في كتابه المشهور عن أبي حمزة الثمالي قال كنت في مسجد النبي ع إذ دخل رجل وقال لي من أنت فقلت رجل من أهل الكوفة قال تعرف محمدا الباقر قلت نعم فما حاجتك إليه قال هيأت أربعين مسألة أسأله عنها فما كان من حق أخذته وما كان من باطل تركته قال أبو حمزة فقلت له هل تعرف ما بين الحق والباطل قال نعم قلت ما حاجتك إليه إن كنت تعرف الفرق ما بين الحق والباطل -روایت- ١-٢-روایت- ٨٩-١-ادامه دارد [صفحه ٢٨٧] قال أنتم قوم لاتطاقون فما انقطع كلامه حتى أقبل أبو جعفر وحوله أهل خراسان وغيرهم يسألونه عن مناسك الحج فقال للرجل من أنت فقال أناقتاده بن دعامة البصرى قال أنت فقيه البصرة قال نعم أخبرني عن الجبن فتبسم أبو جعفر وقال رجعت مسألتك إلى هذا فقال ضلت عنى فقال ع لابس به فقال ربما جعلت فيه إنفحة الميتة قال ليس بها بأس إن الإنفحة ليس لها عروق و ليس فيها دم و ليس لها عظم إنما تخرج من بين فرث ودم وإنما الإنفحة بمنزلة دجاجة ميتة أخرجت منها بيضة فهل تؤكل تلك البيضة قال لا ولا أمر بأكلها فقال ع و لم فقال لأنها من الميتة قال له فإن حضنت تلك البيضة فخرجت منها دجاجة أأكلها قال نعم قال فما حرم عليك البيضة وأحل لك الدجاجة كذلك الإنفحة مثل البيضة فاشتر الجبن من أسواق المسلمين من أيدي المصلين و لاتسأل عنه -روایت-از قبل-٧٧٢

مسألة

قوله تعالى كُلِّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا أَى كل المطعومات أو كل أنواع الطعام والحل مصدر حل الشيء كما يقال عز الرجل عزا وذلت الدابة ذلا ولذا استوى فى الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال تعالى لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَ لا هُمْ يَحِلُّونَ لِهِنَّ . والمعنى كل الطعام لم يزل حلالا لهم من قبل إنزال التوراة وتحريم ما حرم -قرآن- ١٤-٣٧-قرآن- ٢٠٨-٢٥٢ [صفحه ٢٨٨] عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شىء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذى حرمه أبوهم إسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه . و هورد على اليهود وتكذيب لهم حيث أرادوا براءة ساحتهم مما نزل فيهم من قوله فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمُ الْآيَةَ وَ فى قوله وَ عَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ فَقَالُوا لَسْنَا بِأول من حرمت عليه و ما هو إلا تحريم قديم وكانت محرمة على نوح و على ابراهيم و من بعده وهلم جرا إلى أن انتهى التحريم إلينا وغرضهم تكذيب شهادة الله تعالى عليهم بالبعى والظلم وأكل الربا فقال تعالى قُلْ فَأْتُوا بِالتَّورَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ -قرآن- ٢١٥-٢٨٤-قرآن- ٣٠٢-٣٥٠-قرآن- ٥٧٧-٦٣٠ [صفحه ٢٨٩]

إشارة

قال الله تعالى لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ. لما نزلت هذه الآية عمد كثير من الصحابة إلى نفائس أموالهم فتصدقوا بهازيادة على الزكوات الواجبة -قرآن- ١٩-٦٩ كما روى عن أبي طلحة أنه قال يا رسول الله إن لى حائطا و قد جعلته صدقة فقال اجعله صدقة على فقراء أهلك فجعله بين حسان بن ثابت و أبى بن كعب -رواية- ١-٢-رواية- ١١-١٥٣. و قدورد فى القرآن آى كثيرة تحث على الوقوف والصدقات بطواهرها قال الله تعالى وَ افْعَلُوا الْخَيْرَ وَ هُوَ أَمْرٌ بِالطَّاعَاتِ وَالْقُرْبَاتِ . فإن قيل ما أنكرتم من فساد الاستدلال بذلك من جهة أن الخير لانهاية له ومحال أن يوجب الله تعالى علينا ما لا يصح أن نفعله و إذا لم يصح إيجاب الجميع فليس البعض بذلك أولى من البعض وبطل الاستدلال بالآية. -قرآن- ٨٥-١٠٣ [صفحہ ٢٩٠] قلنا لا شبهة فى أن إيجاب ما لا يتناهى لا يصح غير أنانفرض المسألة فنقول قد ثبت أن من وقف و تصدق على بعض فقراء المؤمنين يكون فاعلا للخير و فعل المرة صحيح غير محال فيجب تناول الآية له وهكذا يفرض فى كل مسألة و موضع استدلالنا بعموم هذه الآية وأمثالها على استحباب شىء من العبادات أو وجوب شىء من القربات هو أن نعين على ما يصح تناول الإيجاب والاستحباب له ثم ندخله فى عموم الآية

باب كيفية الوقف وأحكامه

إشارة

قال الله تعالى وَ اقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا نَّزَلَتْ حِينَ وَقَفَ بَعْضُ الْأَنْصَارِ نَخِيلًا وَ سَمَى تَعَالَى ذَلِكَ قَرْضًا تَلَطَّفًا فِى الْقَوْلِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يُجَازِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ بِالثَّوَابِ فَكَأَنَّهُ اسْتَقْرَضَ مِنْهُمْ لِرَدِّ عَوْضِهِ . وإنما قال حسنا أى على وجه لا يكون فيه وجه من وجوه القبح . وما تَقَدَّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ أَى مَا تَعَطَّوْا الْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ تَجِدُوا ثَوَابَهُ وَ جَزَاءَهُ . ثم اعلم أن وجوه العطايا ثلاثة اثنان منها فى الحياة وواحد بعد الوفاة فالذى بعد الوفاة هو الوصية ولها كتاب مفرد نذكره فيما بعد إن شاء الله و أما اللذان فى حال الحياة فهما الهبة والوقف وللهبنة باب مفرد يجىء بعد هذا. و أما الوقف فهو تحبب الأصل و تسبيل المنفعة و جمعه وقوف وأوقاف و قفت يقال و لا يقال أوقفت إلا شاذا نادرا و يقال حبست وأحبست . -قرآن- ١٩-٥٢-قرآن- ٢٨٠-٣٣٨ [صفحہ ٢٩١] فإذا وقف شيئا من أملاكه زال ملكه عنه إذا قبض الموقوف عليه أو من يتولى عنه و إن لم يقبض لم يخص الوقف و لم يلزم فهذان شرطان فى صحة الوقف فمتى لم يقبض الوقف و لم يخرج من يده أو وقف ما لا يملكه كان الوقف باطلا- فإذا قبض الوقف فلا يجوز الرجوع له فيه بعد ذلك و لا التصرف فيه ببيع و لاهبة و لا غيرها و لا يجوز لأحد من ورثته التصرف فيه .

فصل

و ماروى عن النبى ص أنه قال لا-أحبس بعدسورة النساء -رواية- ١-٢-رواية- ٣٦-٦٠ فلا يدل على حظر الوقف أو كراهيته وإنما المعنى فى ذلك أحد أمرين أحدهما أراد حبس الزانية التى ذكرها الله فى قوله فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ

الموتُ أو يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا فَإِنَّ اللَّهَ نَسَخَ هَذَا الْحُكْمَ -قرآن- ١٢١-٢١١ على لسان رسوله ع بقوله البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم -رواية- ١-٢-رواية- ٢٩-٩٧ . والثاني أراد الحبس الذي كان يفعله الجاهلية في نفى السائبة والبحيرة والوصيلة ولاحام قال الله تعالى ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيْلَةٍ وَلَا حَامِفًا لِسَائِبَةٍ هِيَ النَّاقَةُ تَلِدُ عَشْرَةَ بَطُونَ كُلِّهَا إِنْثَاتٌ فَتَسِيْبُ تِلْكَ النَّاقَةُ فَلَا تَرْكَبُ وَلَا تَحْلُبُ إِلَّا الضَّيْفَ وَبِحَيْرَةٍ هِيَ وَلِدَهَا الَّذِي تَجِيءُ بِهِ فِي الْبَطْنِ الْحَادِي عَشْرَ فَإِنْ كَانَ أَنْثَى بَحَرُوا أُذُنَهَا أَى شَقَوْهَا فِيهِ الْبَحِيرَةُ . و أما الوصيلة فهي الشاة تلد خمس بطون في كل بطن اثنان فإذا ولدت البطن السادس ذكرا وأنثى قيل وصلت أخاها فما يلد بعد ذلك يكون حلالا -قرآن- ١١٠-١٨١ [صفحہ ٢٩٢] للذكور وحراما على الإناث و أما اللحم فهو الفحل ينتج من صلبه عشرة أبطن فكان لا يركب . وكذا يحمل على الوجهين ماروى عن شريح أنه قال جاء محمد بإطلاق الحبس .

فصل

يجوز وقف الأراضي والعقار والرقيق والماشية والسلاح و كل عين يبقى بقاء متصلا ويمكن الانتفاع بها فاما إذا كانت في الذمة أو كانت مطلقة و هو أن يقول وقفت فرسا أو عبدا فإن ذلك لا يجوز لأنه لا يمكن الانتفاع به ما لم يتعين و لا يمكن تسليمه و لا القبض . ويجوز وقف المشاع كما يصح بتعدد ألفاظ الوقف مثل تصدقت ووقفت وحبست وسبلت وحرمت وأبدت فإذا قال تصدقت بدارى أو بكذا لم ينصرف إلى الوقف لأن التصديق يحتمل الوقف ويحتمل صدقة التملك المتطوع بها ويحتمل الصدقة المفروضة فإذا قرنه بقرينه تدل على الوقف انصرف إلى الوقف وزال الاحتمال . والقرينه أن تقول تصدقت صدقة موقوفة أو محبسة أو مسبله أو محرمة أو مؤبده أو قال صدقة لاتباع و لاتوهب و لاتورث لأن هذه كلها لاتصرف إلا إلى الوقف . و إذا قال حبست أو سبلت رجع إلى الوقف وصار صريحا فيه لأن الشرع ورد بهما قال النبي ص لعمر حبس الأصل وسبل الثمرة -رواية- ١-٢-رواية- ٣-٤٨ وعرف الشرع أكد من عرف العادة . والأقوى عندنا أن صريح الوقف عندنا قول واحد و هو وقفت لا غير و به [صفحہ ٢٩٣] يحكم بالوقف فاما غيره من الألفاظ فلا يحكم به إلا بدليل . و لا يجوز أن يقف شيئا على حمل هذه الجارية و لم ينفصل الحمل بعد و لا ينتقض بالوقف على أولاد الأولاد ما تناسلوا لأن الاعتبار بما ولد فإذا صح في حقه صح في حق الباقيين على وجه التبعية لهم . و إذا وقف دارا و قبض فإنه يزول ملكه الواقف كما يزول بالبيع و ينتقل إلى الموقوف عليه و هو الصحيح و قال قوم ينتقل إلى الله تعالى وإنما قلنا ذلك لأنه يثبت عليه اليد و ليس فيه أكثر من أنه لا يملك بيعه على كل حال وإنما يملك بيعه على وجه عندنا و هو إذا خيف على الوقف الخراب أو كان بأربابه حاجة شديدة أو لا يقدر على القيام به أو يخاف وقوع خلاف بينهم يؤدي إلى فساد يجوز لهم بيعه و مع عدم ذلك كله لا يجوز . والوقف على المساجد و ما فيه صلاح المؤمنين إنما يصح إن كانت هذه الأشياء لاتملك لأن الوقف عليها لمصالح المسلمين فالوقف عليها وقف على المسلمين والمسلمون يملكون . فإن وقف إنسان شيئا على قومه و لم يسمهم كان ذلك وقفا على جماعة أهل لغته من الذكور دون الإناث لقوله تعالى لا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ فِدَلْ عَلَى أَنْ لَفْظُ الْقَوْمِ لَا يَقَعُ عَلَى النِّسَاءِ . -قرآن- ٩٧٢-١٠٥٣

فصل

العمري نوع من الهبات يفتقر في صحتها إلى إيجاب وقبول ويقضى لزومها إلى قبض كسائر الهبات . وهي مشتقة من العمر

وصورتها أن يقول الرجل لآخر أعمرتك هذه الدار أو جعلتها لك عمرتك أو هي لك ماحيت . [صفحہ ۲۹۴] و هذا عقد جائز فإن قال هذه الدار لك عمرتك ولعقبك من بعدك فإنه جائز وإنما هي للذي يعطاها لا ترجع إلى الذي أعطها. و أما إذا أطلق ذلك و لم يذكر العقب فإن العمرى يصح و يكون للمعمر حياته فإذا مات رجع إلى المعمر أو إلى ورثته إن كان مات و هو الصحيح و لا فرق عندنا سواء علقه بموت المعمر أو المعمر. و الرقبي جائز عندنا و صورتها صورة العمرى إلا أن اللفظ يختلف و من أصحابنا من قال الرقبي أن تقول جعلت خدمه هذا العبد لك مدة حياتك أو مدة حياتي و هي مأخوذة من رقبة العبد

باب الهبة وأحكامها

إشارة

الهبة جائزة لكتاب الله وللسنة فالكتاب قوله تعالى تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوَى وَ لَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعِدْوَانِ وَ الهبة من البر و قوله تعالى لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولَّوْا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ إِلَى قَوْلِهِ وَ آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينَ . و السنة أكثر من أن تحصى . و الهبة و الصدقة و الهدية بمعنى واحد غير أنه إذا قصد الثواب و التقرب بالهبة إلى الله سميت صدقة و إذا قصد بها التودد و المواصلة سميت هدية . و كان النبي ص يقبل الهدية و يأكلها و لا يقبل الصدقة و لا يأكلها . - قرآن - ۵۴ - ۱۳۱ - قرآن - ۱۶۲ - ۱۶۲ - ۲۶۲ - قرآن - ۲۷۴ - ۳۴۱ [صفحہ ۲۹۵] فإذا ثبت هذا فإنه لا يلزم شىء منها إلا بالقبض .

فصل

الهبات على ثلاثة أصناف هبة لمن هو فوق الواهب و هبة لمن هو دونه و هبة لمن هو مثله و يقتضى كل واحد منها الثواب عندنا على بعض الوجوه . و صدقة التطوع عندنا بمنزلة الهبة فى جميع الأحكام و من شرطها الإيجاب و القبول و لا يلزم إلا بالقبض أو ما يجرى مجراه . و كل من له الرجوع فى الهبة له الرجوع فى الصدقة . و إذا كان لإنسان فى ذمته رجل مال فوهبه له كان ذلك إبراء بلفظ الهبة و قال قوم من شرط صحته قبوله و هذا حسن لأن فى إبرائه من الحق الذى عليه منه عليه و لا يجبر على قبول المنه و قال آخرون إنه يصح شاء من عليه الحق أو أبى لقوله فَ نَظَرَهُ إِلَى مَيْسِرَةٍ وَ أَنْ تَصِيَدُوا خَيْرٌ لَكُمْ فَاعْتَبِرْ مَجْرَدَ الصَّدَقَةِ وَ لَمْ يَعتَبِرِ الْقَبُولَ وَ قَالَ اللهُ تَعَالَى وَ دِيَةٌ مَسْلُومَةٍ إِلَى أَهْلِهَا إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَاسْقُطْ الدِّيَةَ لِمَجْرَدِ التَّصَدَّقِ وَ لَمْ يَعتَبِرِ الْقَبُولَ وَ هَذَا أَيْضًا قَوَى ظَاهِرُ - قرآن - ۵۵۱ - ۶۰۵ - قرآن - ۶۶۳ - ۷۱۶ [صفحہ ۲۹۶]

باب الزيادات

قوله تعالى وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ الْمَلَائِكَةِ وَ الْكِتَابِ وَ النَّبِيِّينَ وَ آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ السَّائِلِينَ وَ فِي الرِّقَابِ وَ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ . فالبر العطف و الإحسان و هو مصدر و قد يكون بمعنى البار أى الواسع الإحسان و أصله من الاتساع . بين سبحانه أن البر كله ليس فى الصلاة وإنما هى مصلحة من المصالح الدينية و التقدير ولكن البر بر من آمن بالله أى لكن ذا البر من آمن بالله أى صدق بالله و يدخل فيه جميع ما لا يتم معرفة الله إلا به . وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ بمعنى القيامة و إن الملائكة عباد الله و الكتب المنزلة و أنبياءه كلهم . وَ آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ أى حب المال و الإيتاء حب الله و

هذا أبلغ . وذوَي القُربى المعطى وقيل قرابته الرسول ع - قرآن - ١٤ - ٢٦٤ - قرآن - ٥٦٨ - ٥٨٥ - قرآن - ٦٥٨ - ٦٨٣ - قرآن - ٧٣١ - ٧٤٤ قال ابن عباس فى المال حقوق سوى الزكاة ويدخل فيها ما يتطوع به الإنسان قربته إلى الله من الوقوف والصدقات والهبات لأن ذلك كله من البر قال ولا يجوز حمله على الزكاة المفروضة لأنه عطف عليه الزكاة - رواية - ١ - ٢ - رواية - ١٨ - ٢١١ . وإنما خص هؤلاء لأن الغالب أنه لا يوجد الاضطرار إلا فى هؤلاء ولئلا يظن أنه مستحق الزكاة الواجبة لا يجوز أن يعطى ما يتصدق به تطوعاً والآية تعمها . [صفحہ ٢٩٧] وشرائط الوقوف شيان أن يخرج الوقف من يده ويقبضه الموقوف عليه أو من يتولى عنه و يكون ملكاً للواقف . والوقف والصدقة شىء واحد ولا يصحان إلا بالقربة إلى الله تعالى . والوقف لا بد أن يكون مؤبداً [صفحہ ٢٩٨]

كتاب الوصايا

إشاره

الوصية مشتقة من وصاء النبت إذا اتصل بعضه ببعض و كل وصية أمر و ليس كل أمر وصية فعلى هذا معنى الوصية وصل الأمر بمثله أو غيره مما يؤكد قال أبو على النحوى كأن الموصى وصل جل أمره بالموصى إليه فقال وصى فلان وأوصى إذا وصل تصرف ما قبل الموت بما يكون بعد الموت والتوصية أبلغ من الإيضاء لأنها لمرار كثيرة. والأصل فى ذلك الكتاب والسنة أما الكتاب فقد قال الله تعالى يوصيكم الله فى أولادكم فذكر هاهنا الوصية فى أربعة مواضع أحدها قوله فلأمة السدس من بعد وصية الثانية فى فرض الزوج قال الله تعالى فللكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصي بها أو ديناً الثالث فى فرض الزوجة قال فلهن الثمن مما تركن من بعد وصية توفون بها أو ديناً الرابع قوله فهم شركاء فى الثلث من بعد وصية يوصى بها أو ديناً ثبت بذلك أن الوصية لها حكم فى الشرع . قرآن - ٣٨٣ - ٤١٤ - قرآن - ٤٦٠ - ٤٩٧ - قرآن - ٥٣٨ - ٦١١ - قرآن - ٦٣٩ - ٧١٣ - قرآن - ٧٢٧ - ٧٩٣ [صفحہ ٢٩٩] فإذا ثبت هذا فالناس فى الوصية على ثلاثة أضرب منهم من لا تصح له الوصية بحال وهو الكافر الذى لا رحم له مع الميت وعند المخالف الوارث . والثانى من تصح له الوصية بلا - خلاف مثل الأجنب فإنه يستحب لهم الوصية وعندنا الوارث تصح له الوصية أيضاً . والثالث من هو مختلف فيه وهو على ضربين منهم الأقرباء الذين لا يرثونه بوجه مثل ذوى الأرحام عند من لم يورث ذوى الأرحام مثل بنت الأخ و بنت العم والخالة والعممة والضرب الآخر يورثون لكن ربما يكون معهم من يحجبهم مثل الأخت مع الأب والولد فإنه يستحب أن يوصى لهم و ليس بواجب . وعندنا أن الوصية لهؤلاء كلهم مستحبة

باب الحث على الوصية

إشاره

قال الله تعالى كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْأَقْرَبِينَ وَ لِلْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ معنى كتب فرض إلا - أنه هاهنا معناه الحث والترغيب دون الفرض والإيجاب . و فى الآية دلالة على أن الوصية للوارث جائزة لأنه تعالى قال لِلْأَقْرَبِينَ وَ الْأَقْرَبِينَ وَالْوَالِدَانَ وَ الْوَالِدَاتِ وَ الْإِخْوَانَ وَ الْإِخْوَاتِ وَ الْأَقْرَبِينَ وَ الْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ بالكافرين فقد قال قولاً بلا دليل و من ادعى نسخ الآية فلانسلم له ذلك بلا دليل . وبمثل ما قلناه قال محمد بن جرير الطبرى

سواء فإن ادعوا الإجماع على -قرآن- ١٩-١٥٩-قرآن- ٢٩٩-٣٢٦ [صفحة ٣٠٠] نسخها كان ذلك دعوى باطله ونحن نخالف في ذلك وقد خالف في نسخها طاوس فإنه خصها بالكافرين لمكان الخبر و لم يحملها على النسخ وقد قال أبو مسلم محمد بن بحر إن هذه الآية مجمله وآية الموارث مفصلة وليست نسخا فمع هذا الخلاف كيف يدعى الإجماع على نسخها. و من ادعى نسخها بقوله ع لا وصية لوارث -رواية ١-٢-رواية ١٢-٢٧ فقد أبعد لأن هذا أولا خبر واحد لا يجوز نسخ القرآن به إجماعا و لوسلمنا الخبر لجاز أن نحمله على أنه لا وصية لوارث فيما زاد على الثلث لأننا لو خلينا وظاهر الآية لأجزنا الوصية بجميع ما يملك للوالدين والأقربين . و أما من قال إن الآية منسوخة بأنه للوارث فقوله أيضا بعيد من الصواب لأن الشيء إنما ينسخ غيره إذا لم يمكن الجمع بينهما فأما إذا لم يكن بينهما تناف و لا تضاد بل يمكن الجمع بينهما فلا يجب حمل الآية على النسخ و لا تنافي بين ذكر ما فرض الله للوالدين وغيرهما من الميراث و بين الأمر للوصية لهم على جهة الخصوص فلم يجب حمل الآية على النسخ . وقول من قال حصول الإجماع على أن الوصية ليست فرضا يدل على أنها منسوخة باطل أيضا لأن إجماعهم على أنها لا تفيد الفرض لا يمنع من كونها مندوبا إليها ومرغبا فيها ولأجل ذلك كانت الوصية للأقربين الذين ليسوا بوارثين ثابتة بالآية و لم يقل أحد إنها منسوخة في حيزهم . و من قال إن النسخ في الآية ما يتعلق بالوالدين و هو قول الحسن فقد قال قولنا ينافي ما قاله مدعو نسخ الآية على كل حال و مع ذلك فليس الأمر على ما قال لأنه لا دليل على دعواه . [صفحة ٣٠١] و قال طاوس إذا أوصى لغير ذى قرابته لم تجز وصيته و قال الحسن ليست الوصية إلا للأقربين و هذا الذى قاله عندنا و إن كان غير صحيح فهو مبطل قول من يدعى نسخ الآية و إنما قلنا إنه ليس بصحيح لأن الوصية لغير الوالدين والأقربين عندنا جائزة و لا خلاف بين الفقهاء فى جوازها. والوصية لا تجوز بأكثر من الثلث إجماعا والأفضل أن تكون بأقل من الثلث لقوله ع والثلث كثير -رواية ١-٢-رواية ١٢-٢٦ . وأحق من وصى له من كان أقرب للميت إذا كانوا فقراء و إن كانوا أغنياء فقال الحسن هم أحق بها و قال ابن مسعود الأحق بها الأوج فالأوج من القرابة.

فصل

وقوله تعالى إن ترك خيرا يعنى مالا واختلفوا فى مقدار مال الذى يستحق الوصية عنده فقال الزهرى كل ما وقع عليه اسم مال من قليل أو كثير و قال ابراهيم النخعى ألف درهم إلى خمسمائة. -قرآن- ١٦-٣٢ وروى أن عليا ع دخل على مولى له فى مرضه و له سبعمائة درهم أو ستمائة فقال أ لا أوصى فقال ع لا إنما قال سبحانه إن ترك خيرا و ليس لك كثير مال -رواية ١-٢-رواية ٩-١٥٧ وبهذا يؤخذ لأن قوله ع عندنا حجة. والوصية مرفوعة بكتب ويجوز أن تكون مبتدأ وخبره للوالدين والجملة فى موضع رفع على الحكاية بمنزلة قيل لكم الوصية للوالدين . و فى إعراب إذا والعامل فيه قولان أحدهما كتب على معنى إذا حضر أحدكم الموت أى عند المرض والوجه الآخر قال الزجاج لأنه رغب [صفحة ٣٠٢] فى حال صحته أن يوصى فتقديره كتب عليكم الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف فى حال الصحة قائلين إذا حضرنا الموت فلفلان كذا. والمعروف هو الذى لا يجوز أن ينكر و لا يحيف فيه و لا جور. والحضور وجود الشيء بحيث يمكن أن يدرك و ليس معناه فى الآية إذا حضره الموت أى إذا عاين الموت لأنه فى تلك الحال فى شغل عن الوصية لكن المعنى كتب عليكم أن توصوا وأنتم قادرون على الوصية فيقول الإنسان إذا حضرني الموت يعنى إذا أنامت فلفلان كذا. والحق هو الذى لا يجوز إنكاره وقيل ما علم صحته سواء كان قولنا أوفعلا أواعقادا و هو مصدر حق يحق حقا وانتصب فى الآية على المصدر وتقديره أحق حقا و قد استعمل على وجه الصفة بمعنى ذى الحق كما وصف بالعدل . و قوله بالمعروف ومعناه بالشيء الذى يعرف ذو والتميز أنه لا يحيف فيه و لا جور على قدر التركة وحال

الموصى له وقيل معنى المعروف بالحق الذى لا يجوز أن ينكر وقيل أى لا يوصى بماله للغنى ويدع الفقير. -قرآن- ٦٧٠-٦٨١ و قال ابن مسعود الوصية للأخلاق فالأخلاق -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-٤٢ أى للأخلاق على ما قدمناه . ومعنى حضره الموت حضرته أماراته ومقدماته .

فصل

ثم قال فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ الْهَاءَ عَائِدَةً عَلَى الْوَصِيَّةِ وَإِنَّمَا ذَكَرَ حَمَلًا عَلَى الْمَعْنَى لِأَنَّ الْإِيصَاءَ وَالْوَصِيَّةَ وَاحِدَةٌ وَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَائِدَةٌ عَلَى التَّبْدِيلِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ وَقَالَ الطَّبْرِيُّ الْهَاءُ تَعُودُ عَلَى مَحذُوفٍ لِأَنَّ عَوْدَهَا عَلَى الْوَصِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ لَا يَجُوزُ لِأَنَّ التَّبْدِيلَ -قرآن- ١٠-٤١-قرآن- ١٣٥-١٥٠-قرآن- ١٩٠-٢٢١ [صفحة ٣٠٣] إِنَّمَا يَكُونُ لَوْصِيَّةِ الْمَوْصِي فَأَمَّا أَمْرُ اللَّهِ بِالْوَصِيَّةِ فَلَا يَقْدَرُ هُوَ وَلَا غَيْرُهُ أَنْ يَبْدُلَهُ . قَالَ الرَّمَانِيُّ وَهَذَا بَاطِلٌ لِأَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ لِلْوَصِيَّةِ إِنَّمَا هُوَ لَوْصِيَّةِ الْمَوْصِي فَكَأَنَّهُ قِيلَ كَتَبَ عَلَيْكُمْ وَصِيَّةً مَفْرُوضَةً عَلَيْكُمْ فَالْهَاءُ تَعُودُ إِلَى الْوَصِيَّةِ الْمَفْرُوضَةِ الَّتِي يَفْعَلُهَا الْمَوْصِي . وَقَوْلُهُ فَمَنْ بَدَّلَهَا التَّبْدِيلُ هُوَ تَغْيِيرُ الشَّيْءِ عَنِ الْحَقِّ فِيهِ وَالبَدَلُ هُوَ وَضْعُ شَيْءٍ مَكَانَ آخَرَ . وَ مِنْ أَوْصَى وَصِيَّةً فِي ضَرَارٍ فَبَدَّلَهَا الْوَصِي لَمْ يَأْتِ بِذَلِكَ -قرآن- ٢٥٠-٢٦٣ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مِنْ أَوْصَى فِي ضَرَارٍ لَمْ تَجْزِ وَصِيَّتُهُ لِقَوْلِهِ غَيْرَ مُضَارٍّ -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٧٠ . وَالْوَصِي إِذَا بَدَّلَ الْوَصِيَّةَ لَمْ يَنْقُصْ مِنْ أَجْرِ الْمَوْصِي شَيْءٌ كَمَا لَوْ لَمْ يَبْدُلْهَا لِأَنَّهُ لَا يَجَازِي أَحَدًا عَلَى عَمَلٍ غَيْرِهِ لَكِنْ يَجُوزُ أَنْ يُلْحِقَهُ مَنَافِعُ الدُّعَاءِ وَالْإِحْسَانِ الْوَاصِلِ إِلَى الْمَوْصِي لَهُ عَلَى غَيْرِ وَجْهِ الْأَجْرِ لَهُ . وَ فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى بَطْلَانِ قَوْلٍ مِنْ يَقُولُ إِنْ الْوَصِي أَوْ الْوَارِثُ إِذَا لَمْ يَقْضِ دِينَ الْمَيِّتِ فَإِنَّهُ يُؤْخَذُ بِهِ فِي قَبْرِهِ أَوْ فِي الْآخِرَةِ إِذْ لَا إِثْمَ عَلَيْهِ فِي تَبْدِيلِ غَيْرِهِ فَأَمَّا إِنْ قَضَى عَنْهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَوْصَى بِهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَتَفَضَّلُ بِإِسْقَاطِ الْعِقَابِ عَنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . ثُمَّ قَالَ تَعَالَى فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَا حَذَرَ فِي الْآيَةِ الْأُولَى الْوَصِي مِنْ تَبْدِيلِ أَمْرِ الْوَصِيَّةِ وَأَوْعَدَهُ أَنْ يَجَاوِزَ مَا أَمَرَ بِهِ أَعْقَبَ ذَلِكَ بِمَا لِلْوَصِي أَنْ يَفْعَلَهُ فِيمَا جَعَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْوَصِيَّةِ لِأَنَّ الْأُولَى كَالْعَمُومِ وَهَذَا تَخْصِيصٌ لَهُ فَكَأَنَّهُ قَالَ لَيْسَ لِلْوَصِي أَنْ يَبْدُلَ وَيَصْلِحَ لِأَنَّهُ رَدٌّ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ . -قرآن- ٤٦٥-٥٤١ [صفحة ٣٠٤] وَ قَالَ الْمُرْتَضَى لَا تَصِحُّ الْوَصِيَّةُ فِي حَالِ الصِّحَّةِ وَالْمَرَضِ جَمِيعًا بِأَكْثَرِ مِنَ الثَّلَاثِ وَكَذَلِكَ كُلُّ تَمْلِيكَ يَسْتَحِقُّ لِمَوْتِ الْمَمْلُوكِ وَ إِذَا أَوْصَى الْإِنْسَانُ بِأَكْثَرِ مِنَ الثَّلَاثِ يَرُدُّ إِلَى الثَّلَاثِ عَلَى مَا نَذَرَهُ .

فصل

فإن قيل كيف قال تعالى فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ لَمَّا قَدَّوْقِعَ وَالْخَوْفُ إِنَّمَا يَكُونُ لَمَّا لَمْ يَقْعِ . قُلْنَا فِيهِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْزَلُ فِي وَصِيَّتِهِ فَالْخَوْفُ لِلْمُسْتَقْبَلِ وَ ذَلِكَ الْخَوْفُ هُوَ أَنْ يَظْهَرَ مَا يَبْدُلُ عَلَى أَنَّهُ قَدْزَلُ لِأَنَّهُ مِنْ جِهَةٍ غَالِبِ الظَّنِّ . وَالثَّانِي لِمَا اشْتَمَلَ عَلَى الْوَاقِعِ وَ لَمْ يَقْعِ جَازٍ فِيهِ خِلَافٌ ذَلِكَ فَيَأْمُرُهُ بِمَا فِيهِ الصَّلَاحُ وَ مَا وَقَعُ رَدُّهُ إِلَى الْعَدْلِ بَعْدَ مَوْتِهِ . وَالجَنَفُ الْجَوْرُ وَ هُوَ الْمَيْلُ عَنِ الْحَقِّ قَالَ الْحَسَنُ هُوَ أَنْ يَوْصِيَ فِي غَيْرِ الْقَرَابَةِ قَالَ فَمَنْ أَوْصَى لِغَيْرِ قَرَابَتِهِ رَدُّهُ إِلَى أَنْ يَجْعَلَ لِلْقَرَابَةِ الثَّلَاثَانَ وَلَمَنْ أَوْصَى لَهُ الثَّلَاثُ وَ هَذَا بَاطِلٌ عِنْدَنَا لِأَنَّ الْوَصِيَّةَ لَا يَجُوزُ صَرْفُهَا عَنْ مَنْ أَوْصَى لَهُ وَ إِنَّمَا قَالَ الْحَسَنُ ذَلِكَ لِقَوْلِهِ إِنْ الْوَصِيَّةُ لِلْقَرَابَةِ وَاجِبَةٌ وَعِنْدَنَا أَنَّ الْأَمْرَ بِخِلَافِهِ عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ . وَ إِذَا خَانَ الْمَوْصِي فِي وَصِيَّتِهِ فَلِلْوَصِي أَنْ يَرُدَّهَا إِلَى الْعَدْلِ وَ هُوَ الْمَرْوِيُّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع . وَ قَالَ قَوْمٌ أَيُّ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ فِي حَالِ مَرَضِهِ الَّذِي يَرِيدُ أَنْ يَوْصِيَ فِيهِ وَيُعْطَى بَعْضًا وَيُضَرُّ بَعْضًا فَلَا إِثْمَ أَنْ يَشِيرَ

عليه بالحق ويرده إلى الصواب ويشرع - قرآن- ٢٧-٤٦ [صفحہ ٣٠٥] بالإصلاح بين الموصى والورثة والموصى له حتى يكون الكل راضين ولا يحصل حيف ولا ظلم ويكون ذا صلح بينهم يريد فيما يخاف من حدوث الخلاف فيه فيما بعده ويكون قوله فَمَنْ خَافَ عَلَى ظَاهِرِهِ فَيَكُونُ الْخَوْفُ مَتْرُقًا غَيْرَ وَاقَاعٍ وَهَذَا قَرِيبٌ أَيْضًا غَيْرَ أَنَّ الْأَوَّلَ أَصَوَّبٌ . وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْمَتَوَسِّطِ بِالْإِصْلَاحِ لَيْسَ عَلَيْهِ إِثْمٌ وَلَمْ يَقُلْ فَلَهُ الْأَجْرُ عَلَى الْإِصْلَاحِ لِأَنَّ الْمَتَوَسِّطَ إِنَّمَا يَجْرَى أَمْرُهُ فِي الْغَالِبِ عَلَى أَنْ يَنْقُصَ صَاحِبُ الْحَقِّ بَعْضَ حَقِّهِ بِسُؤَالِهِ إِيَّاهُ فَاحْتِاجُ أَنْ يَبِينَنَّ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا أَنَّهُ لَا إِثْمَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ إِذَا قُصِدَ الْإِصْلَاحُ . وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ بَيْنَهُمْ عَائِدٌ إِلَى الْمَوْصَى لَهُ وَ مِنْ يَنْزَعُهُ لِأَنَّ الْكَلَامَ عَلَيْهِ وَقِيلَ يَعُودُ إِلَى الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَقَوْلُهُ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ إِلَى الْمَصْلُوحِ الْمَذْكُورِ فِي مَنْ وَقِيلَ الضَّمِيرُ عَائِدٌ إِلَى الْوَصِيِّ . وَالْحَيْفُ فِي الْوَصِيَّةِ عَلَى جِهَةِ الْخَطِئِ لِأَنَّهُ لَا يَدْرِي أَنَّهُ لَا يَجُوزُ وَالْإِثْمُ أَنْ يَتَعَمَّدَ ذَلِكَ رُويَ ذَلِكَ عَنِ الْبَاقِرِ وَقِيلَ الْحَيْفُ بِأَنْ يَوْصَى أَكْثَرَ مِنَ الثَّلَاثِ أَوْ يَوْصَى بِمَالٍ فِي الْمَعْصِيَةِ أَوْ يَنْفَاقَ فِي غَيْرِ مَرْضَاءِ اللَّهِ فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ يَرُدُّ وَلَا يَنْفُذُ . فَأَمَّا أَنْ يَوْصَى الرَّجُلُ لِابْنِ بَنْتِهِ وَ لَهُ أَوْلَادٌ أَوْ يَوْصَى لِرُجُلٍ بَنْتُهُ وَ لَهُ أَوْلَادٌ فَلَا يَجُوزُ رَدُّهُ عَلَى وَجْهِ عِنْدَانَا وَ كَذَا إِنْ وَصَى لِلْبَعِيدِ دُونَ الْقَرِيبِ لِأَنَّ تَرْدُ وَصِيَّتِهِ - قرآن- ١٧٥-١٨٤- قرآن- ٥٢٧-٥٣٤- قرآن- ٦٣١-٦٤٨

باب الوصية للوارث وغيره من القربات وأحكام الأوصياء

إشارة

الوصية للوارث جائزة بدلالة قوله تعالى كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ - قرآن- ٤١-٧٨ الوصية للوارث جائزة بدلالة قوله تعالى كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَ هَذَا نَصٌّ فِي مَوْضِعِ الْخِلَافِ عَلَى مَا قَدَّمْنَاهُ وَقَوْلُهُمْ إِنْ هَذِهِ الْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ عَلَى نَسْخِهَا لَا يَغْنَى شَيْئًا . وَأَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُؤْصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَ هَذَا عَامٌ فِي الْأَقْرَابِ وَالْأَجَانِبِ فَمَنْ خَصَّ بِهِ الْأَجَانِبَ دُونَ الْأَقْرَابِ فَقَدْ عَدَلَ عَنِ الظَّاهِرِ بِغَيْرِ دَلِيلٍ . فَإِنْ قَالُوا إِنْ الْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ الْمَوَارِيثِ الْجَوَابُ أَنَّ النِّسْخَ إِنَّمَا يَكُونُ إِذَا تَنَافَى الْعَمَلُ بِمَوْجِبِهِمَا وَ لَا تَنَافَى بَيْنَ آيَةِ الْوَصِيَّةِ وَ آيَةِ الْمَوَارِيثِ وَالْعَمَلُ بِمَقْتَضَاهُمَا سَائِغٌ فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَدْعَى النِّسْخَ فِي ذَلِكَ مَعَ فَقْدِ التَّنَافِي وَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَنْسَخَ بِمَا يَقْتَضِي الظَّنَّ كِتَابَ اللَّهِ الَّذِي يَجُوبُ الْعَمَلُ وَ إِذَا كُنَّا لَا نَخْصُصُ كِتَابَ اللَّهِ بِأَخْبَارِ الْأَحَادِ فَالْأَوْلَى أَنْ لَا نَنْسَخَهُ بِهَا . وَقَالَ تَعَالَى وَ إِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الْخَطَّابَ بِقَوْلِهِ فَارْزُقُوهُمْ مَتَّوِّجَةً إِلَى مَنْ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وَ أَرَادَ الْوَصِيَّةَ فَإِنَّهُ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَوْصُوا لِمَنْ لَا يَرِثُ مِنَ الْأَقْرَبَاءِ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِنْ كَانُوا أَغْنِيَاءَ وَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ إِنْ كَانُوا فُقَرَاءَ وَ رَزَقَ الْإِنْسَانَ غَيْرَهُ يَكُونُ عَلَى مَعْنَى التَّمْلِيكِ . ثُمَّ قَالَ تَعَالَى وَ لِيُخَشَّ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَ لِيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا قِيلَ فِي مَعْنَى الْآيَةِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ أَحَدُهَا النَّهْيُ عَنِ الْوَصِيَّةِ بِمَا يَجْحَفُ بِالْوَرِثَةِ وَيُضِرُّ بِهِمْ - قرآن- ١-٦٦- قرآن- ١٩٣-٢٣٣- قرآن- ٦٩٣-٨١٢- قرآن- ٨٤٥-٨٥٦- قرآن- ١٠٧٧-١٢٠٢ [صفحہ ٣٠٧] الثَّانِي قَالَ الْحَسَنُ كَانَ الرَّجُلُ يَكُونُ عِنْدَ الْمَيِّتِ يَقُولُ لَهُ أَوْصِ بِأَكْثَرِ مِنَ الثَّلَاثِ مِنْ مَالِكَ فَهَذَا اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ . الثَّلَاثُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّهُ خَطَّابٌ لَوْلَى الْيَتِيمِ بِأَمْرِهِ بِأَدَاءِ الْأَمَانَةِ فِيهِ وَالْقِيَامِ بِحِفْظِهِ كَمَا لَوْ خَافَ عَلَى مَخْلَفِيهِ إِذَا كَانُوا ضِعَافًا وَ أَحَبُّ أَنْ يَفْعَلَ بِهِمْ مِثْلَ ذَلِكَ . الرَّابِعُ قَالَ مِثْمُ هِيَ فِي حَرَمَانَ ذُو الْقُرْبَى أَنْ يَوْصَى لَهُمْ بِأَنْ يَقُولَ الْحَاضِرُ لِلْوَصِيَّةِ لَا تَوْصِ لِأَقْرَابِكَ وَ وَفَّرَ عَلَى وَرَثَتِكَ . وَمَعْنَى الْآيَةِ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ الَّذِي لَوْ تَرَكَ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا بَعْدَ مَوْتِهِ خَافَ عَلَيْهِمُ الْفَقْرَ وَ الضِّيَاعَ أَنْ يَخْشَى عَلَى وَرَثَتِهِ غَيْرَهُ مِنَ الْفَقْرِ وَ الضِّيَاعِ وَ لَا يَقُولُ لِمَنْ يَحْضُرُ وَصِيَّتَهُ أَنْ يَوْصَى بِمَا يَضُرُّ بَوْرَثَتَهُ وَ لِيَتَّقِ الْإِضْرَارَ بِوَرِثَتِهِ الْمُؤْمِنِ .

ثم خوف الله تعالى الأوصياء وأوعدهم بقوله إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَإِنَّمَا علق سبحانه الوعيد في الآية بمن يأكل أموال اليتامى ظلماً لأنه قديماً كله على وجه الاستحقاق بأن يأخذ الوصى منه وغيره أجره المثل على ماقلناه أو يأكل منه بالمعروف على مافسرناه أو يأخذه قرضاً على نفسه . فإن قيل إذا أخذه قرضاً على نفسه أو أجره المثل على ماقلناه فلا يكون أكل مال اليتيم وإنما أكل مال نفسه . قلنا ليس الأمر على ذلك لأنه يكون أكل مال اليتيم لكنه على وجه التزم عوضه في ذمته أو استحققه بالعمل في ماله فلم يخرج بذلك من استحقاق الاسم بأنه مال اليتيم و لو سلم ذلك لجاز أن يكون المراد بذلك ضرباً من -قرآن- ٤٦-١٣٢ [صفحة ٣٠٨] التأكيد وبياناً لأنه لا يكون أكل مال اليتيم لا ظلماً وظلماً نصب على المصدر وأكل مال اليتيم وغصبه يتساويان في توجه الوعيد إليه . وقال تعالى وَ لَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُنَّهِ سبْحَانَهُ جَمِيعِ الْمَكْلِفِينَ أَنْ يَتَصَرَّفُوا فِي أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ بَلْ يَحْفَظُوا عَلَى الْيَتِيمِ مَالَهُ وَيُثْمِرُوهُ عَلَى مَا لَا يَشْكُ أَنْ أَصْلَحَ لَهُ فَمَا بغير ذلك فلا يجوز لأحد التصرف فيه وإنما خص اليتيم بذلك و إن كان التصرف في مال الغير بغير إذنه لا يجوز أيضاً لأن اليتيم إلى ذلك أحوج والطمع في ذلك أكثر . حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ أَي حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْحِلْمَ وَقِيلَ حَتَّىٰ يَبْلُغَ كَمَالَ الْعَقْلِ وَيُؤْنَسَ مِنْهُ الرِّشْدُ . وَقَالَ تَعَالَى وَ اتُّوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَ لَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ هَذَا خِطَابٌ لِأَوْصِيَاءِ الْيَتَامَىٰ أَمْرُهُمْ اللَّهُ بِأَنْ يَعْطُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ إِذَا بَلَغُوا الْحِلْمَ وَأُونَسَ مِنْهُمْ الرِّشْدَ وَسَمَاهُمْ يَتَامَىٰ بَعْدَ الْبُلُوغِ مَجَازاً -قرآن- ١٤٩-٢٣١-قرآن- ٥٢٦-٥٤٧-قرآن- ٦٣٠-٦٩٧ لأنه ع قال لا يتم بعد حلم -رواية- ١-٢-رواية- ١٦-٣٢ . وقيل كان أوصياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الرديء قال لهم لا تبدلوا الخبيث بالطيب أى لا تبدلوا ما حرمه الله عليكم من أموالهم بما أحله لكم من أموالكم وَ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ أَى لَا تَضَيِّفُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ فَتَأْكُلُوهُمَا جَمِيعاً فَمَا خَلَطَ مَالَ الْيَتِيمِ بِمَالِ نَفْسِهِ إِذَا لَمْ يَظْلَمْهُ فَلَبَّاسٌ بِهِ . قَالَ الْحَسَنُ لِمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ كَرِهُوا مَخَالَطَةَ الْيَتَامَىٰ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ وَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَ إِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ -قرآن- ١٩١-٢٣٢-قرآن- ٤٢٧-٥١٢ . وقيل كان أوصياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الرديء قال لهم لا تبدلوا الخبيث بالطيب أى لا تبدلوا ما حرمه الله عليكم من أموالهم بما أحله لكم من أموالكم وَ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ أَى لَا تَضَيِّفُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ فَتَأْكُلُوهُمَا جَمِيعاً فَمَا خَلَطَ مَالَ الْيَتِيمِ بِمَالِ نَفْسِهِ إِذَا لَمْ يَظْلَمْهُ فَلَبَّاسٌ بِهِ . قَالَ الْحَسَنُ لِمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ كَرِهُوا مَخَالَطَةَ الْيَتَامَىٰ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ وَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَ إِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ الْمُنْفِسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَكُمُ وَ هُوَ الْمَرُورَىٰ عَنْهُمَا ع . وَ قَالَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ وَ لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ الْمَرَادُ بِالْقَرْبِ التَّصَرُّفُ فِيهِ عَلَى مَا قَدَّمْنَاهُ وَإِنَّمَا خَصَّ الْيَتِيمَ لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ لَا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ وَ لَا لَهُ وَالِدٌ يَدْفَعُ عَنْهُ وَ كَانَ الطَّمَعُ فِي مَالِهِ أَقْوَىٰ تَأْكَدَ النَّهْيُ فِي التَّصَرُّفِ فِي مَالِهِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ أَى يَحْفَظُهُ عَلَيْهِ إِلَىٰ أَنْ يَكْبُرَ أَوْ بِتَشْمِيرِهِ بِالتَّجَارَةِ -قرآن- ١-٧٥-قرآن- ١٢٢-٢٠٤-قرآن- ٣٨١-٤٠٩

باب ما على وصى اليتيم

إشارة

قال الله تعالى وَ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ قَالَ ابْنُ جَبْرِ يَعْنِي بِأَمْوَالِكُمْ أَمْوَالَهُمْ كَمَا قَالَ وَ لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ قَالَ وَ هُمُ الْيَتَامَىٰ

لا تتوهم أموالهم و ارزقوهم فيها و اكسوهم . و الأولى حمل الآية على الأمرين لأن العموم يقتضى ذلك فلا يجوز أن يعطى السفيه الذى يفسد المال و لا اليتيم الذى لم يبلغ و لا الذى بلغ و لم يؤنس منه الرشد و لا أن يوصى إلى سفيه و لا يخصص بعض دون بعض فالموصى إذا كان عاقلا حرا ثابت العقل لا يوصى إلى سفيه و لا إلى فاسق و لا إلى عبد لأنه لا يملك مع سيده شيئا بل يختار لو صيته عاقلا مسلما عدلا حكيما وإنما تكون إضافة مال اليتيم - قرآن- ١٩-٥٤- قرآن- ١٠٣-١٢٨ [صفحة ٣١٠] إلى من له القيام بأمرهم على ضرب من المجاز أولأنه لا يعطى الأولياء ما يخصهم لمن هو سفيه . و يجرى ذلك مجرى قول القائل لواحد يافلان أكلتم أموالكم بينكم بالباطل فيخاطب الواحد بخطاب الجميع و يريد به أنك و أصحابك أكلتم و التقدير فى الآية لا تتوتوا السفهاء أموالكم التى بعضها لكم و بعضها لهم فتضيعوها . و معنى قوله وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا أى يامعشر و لاء السفهاء قولوا للسفهاء إن صلحتم و رشدتم سلمنا إليكم أموالكم و قال الزجاج علموهم مع إطعامكم إياهم و كسوتمهم أمر دينهم . و فى الآية دلالة على جواز الحجر على اليتيم إذ يبلغ و لم يؤنس منه الرشد لأنه منع تعالى من دفع المال إلى السفهاء و فيها أيضا دلالة على وجوب الوصية إذا كان الورثة سفهاء لأن ترك الوصية بمنزلة إعطاء المال فى حال الحياة إلى من هو سفيه . وإنما سمي الناقص العقل سفيها و إن لم يكن عاصيا لأن السفه هو خفة الحلم . - قرآن- ٣٢٧-٣٥٩

فصل

ثم قال تعالى وَ ابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ هَذَا خِطَابٌ لِأَوْلِيَاءِ الْيَتَامَى أَمْرٌ اللَّهُ أَنْ يَخْتَبِرُوا عُقُولَ الْيَتَامَى فِى أَفْهَامِهِمْ وَصَلَاحِهِمْ فِى أَدْيَانِهِمْ وَإِصْلَاحِ أَمْوَالِهِمْ . و قوله حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ مَعْنَاهُ حَتَّى يَبْلُغُوا الْحُدَّ الَّذِى يَقْدَرُ عَلَى مَجَامِعَةِ النِّسَاءِ وَنَزَلَ وَ لَيْسَ الْمُرَادُ الْإِحْتِلَامَ لِأَنَّ فِى النَّاسِ مَنْ لَا يَحْتَمِلُ أَوْ تَأَخَّرَ إِحْتِلَامَهُ . - قرآن- ١٧-١٢٤- قرآن- ٢٤٦-٢٧٣ [صفحة ٣١١] و فى المفسرين من قال إذا كمل عقله و أونس منه الرشد سلم إليه ماله و هو الأقوى و منهم من قال لا يسلم إليه حتى يكمل له خمس عشرة سنة إذا كان عاقلا لأن هذا حكم شرعى و يكمال العقل يلزمه المعارف لا غير . فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا أى وجدتم منهم صلاحا و عقلا و دينا و إصلاح المال فادفعوا إليهم أموالهم و الأقوى أن يحمل على أن المراد به العقل و إصلاح المال هو المروى عن أبى جعفر للإجماع على أن من يكون كذلك لا يجوز عليه الحجر فى ماله و إن كان فاجرا فى دينه فإذا كان ذلك إجماعا فكذلك إذ بلغ و له مال فى يدي وصى أبيه أو فى يد حاكم قذولى ماله و جب عليه أن يسلم إليه ماله إذا كان عاقلا- مصلحا لماله و إن كان فاسقا فى دينه . و فى الآية دلالة على جواز الحجر على العاقل إذا كان مفسدا فى ماله من حيث إنه إذا كان عند البلوغ يجوز منعه المال إذا كان مفسدا له فكذلك فى حال كمال العقل إذا صار بحيث يفسد المال جاز الحجر عليه و هو المشهور فى أخبارنا . ثم قال وَ لَا تَأْكُلُوهُا إِسْرَافًا وَ بِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا خِطَابٌ لِأَوْلِيَاءِ الْيَتِيمِ أَيْضًا أَيْ لَا تَأْكُلُوهُا بغير ما أباحه الله لكم و لا مبادرة منهم ببلوغهم و إيناس الرشد منهم حذرا أن يبلغوا فيلزمهم ردها إليهم و موضع أن يَكْبُرُوا نَصَبٌ بِالمبادرة و المعنى لا تأكلوها مبادرة كبرهم . و من كان من و لاء أموال اليتامى غنيا فليستعفف بماله عن أكلها و من كان فقيرا فليأكل بالقرض و هو المروى عن أبى جعفر أنه قال فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ . و قال الحسن يأخذ ماسد الجوعه و وارى العورة و لا قضاء عليه و لم يوجب أجره المثل قال لأن أجره المثل ربما كان أكثر من قدر الحاجة و الظاهر فى - قرآن- ٢١٣-٢٣٩- قرآن- ٨٩٦-٩٤٥- قرآن- ١٠٩٩-١١١١- قرآن- ١٣٠٦-١٣٦١ [صفحة ٣١٢] أخبارنا أن له أجره المثل سواء كان قدر كفايته أو لم يكن . و اختلفوا فى هل للفقير من أولياء اليتيم أن يأكل من ماله هو و عياله فقال بعضهم ليس له ذلك لقوله فَلْيَأْكُلْ خِصْمَهُ بِالْأَكْلِ و قال غيره له ذلك لأن قوله بِالْمَعْرُوفِ يَفْتَضِي أَنْ يَأْكُلَ هُوَ وَ عِيَالُهُ عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ فِى

أمثاله . و قال إن كان المال واسعا كان له أن يأخذ قدر كفايته له لمن يلزمه نفقته من غير إسراف و إن كان قليلا كان له أجره المثل لا غير وإنما لم يجعل له أجره المثل إذا كان المال كثيرا لأنه ربما كان أجره المثل أكثر من نفقته من غير إسراف و إن كان قليلا- كان له أجره المثل من نفقته بالمعروف على ما قلناه من أن له أجره المثل سقط بهذا الاعتبار. ثم أمر الأولياء أن يحتاطوا لأنفسهم أيضا بالإشهاد عليهم إذ ادفعوا إليهم أموالهم لثلاث- يقع منهم جحودهم و يكون أبعد من التهمة و سواء كان ذلك في أيديهم أو استقرضوه دينا على أنفسهم فإن الإشهاد يقتضيه الاحتياط و ليس بواجب و كفى بالله شهيدا يوصل الحق إلى صاحبه . وولى اليتيم المأمور بابتلائه هو الذى جعل إليه القيام به من وصى أو حاكم أو أمين ينصبه الحاكم وأصحابنا إنما أجازوا الاستقراض من مال اليتيم إذا كان مليا -قرآن- ١٦٢- ١٧٠-قرآن- ٢١٥- ٢٢٦-قرآن- ٨٦٨- ٨٩٢

باب الوصية المبهمة

عن معاوية بن عمار سألت أبا عبد الله ع عن رجل أوصى بجزء من ماله قال جزء من عشرة قال الله تعالى ثم اجعل على كل جبلٍ منهنّ -رواية- ١-٢-رواية- ٢١-دأمة دارد [صفحة ٣١٣] جزءاً وكانت الجبال عشرة أجبل -رواية- از قبل- ٣٤ و عن إسماعيل بن همام الكندى عن الرضاع فى الرجل أوصى بجزء من ماله قال الجزء من سبعة قال تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم -رواية- ١-٢-رواية- ٤٦- ١٦١ . والوجه فى الجمع بينهما أن يحمل الجزء على أنه يجب أن ينفذ فى واحد من العشرة ويستحب للورثة أن ينفذوا فى واحد من السبعة. و عن صفوان و أحمد بن محمد بن أبى نصر سألت الرضاع عن رجل أوصى لك بسهم من ماله و لاندري السهم أى شىء هو فقال ليس عندكم فيما بلغكم عن جعفر و لا عن أبى جعفر فيها شىء قلنا له ماسمعنا أصحابنا يذكرون شيئا من هذا عن آبائك فقال السهم واحد من ثمانية فقلنا فكيف واحد من ثمانية فقال أ ماتقرون كتاب الله قلت إنى لأقرؤه ولكن لأدرى أى موضع هو فقال قول الله إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسَاكِينِ وَ الْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ فِي الرُّقَابِ وَ الْغَارِمِينَ وَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ ثم عقد بيده ثمانية -رواية- ١-٢-رواية- ٤٣- ٥٦٨ . و إذا أوصى إنسان لغيره بكثير من ماله أونذر أن يتصدق بمال كثير فالكثير ثمانون فما زاد لقول الله تعالى لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ و كانت ثمانين موطنا. -قرآن- ١١٢- ١٥٧ [صفحة ٣١٤] والأحسن أن يقيد الكلام فيقول المال الكثير ثمانون درهما إلا إذا كان مضافا إلى جنس فإذا يكون منه خاصة. و قدروى عن أمير المؤمنين ع أن من أوصى بشىء من ماله كان ذلك السدس -رواية- ١-٢-رواية- ٣٤- ٧٩ و عن الحسين بن عمر قلت لأبى عبد الله ع إن رجلا أوصى إلى بشىء فى سبيل الله قال اصرف إلى الحج فإنى لأعلم شيئا من سبله أعظم من الحج -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤- ١٥١ و عن الحسن بن راشد سألت العسكرى ع بالمدينة عن رجل أوصى بمال فى سبيل الله فقال سبيل الله شيعتنا -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤- ١٠٨. ذكر أبو جعفر بن بابويه رحمه الله عليه الوجه فى الجمع بين الخبرين أن المعنى فى ذلك أن يعطى المال لرجل من الشيعة ليحج به فقد انصرف فى الوجهين معا وسلم الخبران من التناقض و هذا وجه حسن . على أنه إن أوصى إنسان بثلث ماله فى سبيل الله و لم يسم أخرج فى معونة المجاهدين لأهل الضلال فإن لم يحضر مجاهد فى سبيل الله يصرف أكثره فى فقراء آل محمد ع و مساكينهم و أبناء سبيلهم ثم يصرف مابقى بعد ذلك فى معونة الفقراء و المساكين و أبناء السبيل عامة و فى جميع وجوه البر. و إن أوصى إنسان لأولاده شيئا و قال هو بينهم على كتاب الله كان للذكر [صفحة ٣١٥] مثل حظ الأنثيين و إن أبهم و لم يبين كيفية القسمة بينهم أصلا كان بينهم بالسوية. و إذا أوصى المسلم للفقراء كان ذلك للفقراء المسلمين و إن أوصى الكافر كان ذلك للفقراء أهل ذمته فقد حدث أبو طالب عن عبد الله بن الصلت قال كتب الخليل بن هاشم إلى ذى الرئاستين و هو والى نيسابور أن رجلا- من

المجوس مات وأوصى للفقراء بشيء من ماله فأخذه قاضى نيسابور فجعله فى فقراء المسلمين فكتب الخليل إلى ذى الرئاستين بذلك فسأل المأمون عن ذلك فقال ليس عندى فى ذلك شىء فسأل أبا الحسن الرضا ع فقال إن المجوسى لم يوص لفقراء المسلمين ولكن ينبغى أن يؤخذ مقدار ذلك المال من مال الصدقة فيرد على فقراء المجوس أن الله تعالى يقول فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ -رواية- ١-٢-رواية- ٤٩-٥٤٥

باب الوصية التى يقال لها راحة الموت

قال الله تعالى وَ وَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ أَى وصى ابراهيم ويعقوب ع بينهما بلزوم شريعة ابراهيم التى هى الإسلام وقالوا إن الله رضىه لكم دينا فلا تفارقوه ما عشتم . -قرآن- ١٩-٦٢ وجاء فى التفسير أن ابراهيم جمع ولده وأسباطه وقال إن الإسلام دين الله -رواية- ١-٢-رواية- ١٩-ادامه دارد [صفحه ٣١٦] الذى تعبدكم به فالزموه ولا تعدلوا عنه و لو نشرتم بالمنشير وقرضتم بالمقاريض وأحرقتم بالنار -رواية- از قبل -١٠٠ وَ جَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ أَى جعل هذه الوصية بقيت فى عقبه يذكرونها و كان فى وصيته يابنى عليكم أن تظهروا كل حسنة وجدتم من غيركم و أن تستروا كل سيئة وفاحشة وإياكم أن تشيعوها. و قوله فَلَا تَمُوتُنَّ و إن كان على لفظ النهى فما نهوا عن الموت وإنما نهوا فى الحقيقة عن ترك الإسلام لثلا يصادفهم الموت عليه وتقديره لاتعرضوا للموت على ترك الإسلام بفعل الكفر ومثله فى كلام العرب لأرينك هاهنا فالنهي للمتكلم فى اللفظ وإنما هو فى الحقيقة للمخاطب فكأنه قال لاتعرض لأن أراك بكونك هاهنا. وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ تجمله فى موضع الحال أى لاتموتن لإسلامين . واقتصروا على تفعله فى مصدر وصى فقالوا وصى توصية ورفضوا تفعيلا لثلا تجتمع ثلاث ياءات ومعنى وصى أمر وعهد والفرق بينهما أن الأمر يحصل بلفظ الأمر و لومرة والوصية وصل لفظه الأمر بمثله أو بغيره مما يؤكد على ما قدمنا. -قرآن- ١-٤٢-قرآن- ٢٠٧-٢٢٠-قرآن- ٥٢٧-٥٤٦ وقال أمير المؤمنين ع من أوصى و لم يحف و لم يضار كمن تصدق به فى حياته و من لم يوص عند موته لذى قرابته ممن لا يرث فقد ختم عمله بمعصية قال الله تعالى كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ -رواية- ١-٢-رواية- ٢٨-ادامه دارد [صفحه ٣١٧] خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ -رواية- از قبل -٨٥ وقال النبى ص الوصية تمام مانقص عن الزكاة و من لم يحسن وصيته عند الموت كان نقصا فى مروته وعقله قالوا يا رسول الله فكيف الوصية قال إذا حضرته الوفاة قال ألهم إنى أعهد إليك أنى أشهد ألا إله إلا الله و أن محمدا عبده ورسوله و أن القول كما حدث ألهم أنت ثقتى وعدتى صل على محمد وآل محمد و أنس فى قبرى وحشتى واجعل لى عندك عهدا يوم ألقاك -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-٣٦٦ وقال الصادق ع وتصديق هذا فى سورة مريم قول الله تعالى لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا وَ هَذَا هُوَ الْعَهْدُ -رواية- ١-٢-رواية- ٢٠-١٤٤

باب من تجوز شهادته فى الوصية وشرائط الوصية

إشارة

من شرط الوصية أن يشهد الموصى عليه تعيين عدلين لثلا يعترض فيه الورثة فإن لم يشهد وأمكن الوصى إنفاذ الوصية جاز له إنفاذها على ما أوصى به إليه قال الله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ -قرآن- ١٦٩-٣١١ قال حمزة بن حمران سألت أبا عبد الله ع عن هذه الآية فقال -رواية- ١-٢-

روایت-۲۲-ادامه دارد [صفحه ۳۱۸] اللذان منكم مسلمان واللذان من غيركم من أهل الكتاب ثم قال إدامات الرجل المسلم بأرض غربة فطلب رجلين مسلمين يشهدهما على وصيته فلم يجد مسلمين فليشهد على وصيته رجلين ذميين من أهل الكتاب مرضيين عند أصحابهما -روایت- از قبل-۲۲۶ و عن يحيى بن محمد عن الصادق ع قال سألته عن قوله يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم الآية قال اللذان منكم مسلمان واللذان من غيركم من أهل الكتاب فإن لم تجدوا من أهل الكتاب فمن المجوس لأن رسول الله ص شبه المجوس بأهل الكتاب في الجزية قال و إدامات في أرض غربة فلم يجد مسلمين أشهد رجلين من أهل الكتاب -روایت- ۱-۲-روایت-۴۲-۳۴۲. تحسبونها من بعد الصلوة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآمين قال و ذلك إن ارتاب ولي الميت في شهادتهما. فإن عثر على أنهما استحقا إثما أي شهدا بالباطل فأخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدنا إنا إذا لمن الظالمين فإذا فعل ذلك نقض شهادة الأولين وجازت شهادة الآخرين لقول الله عز و جل ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم. -قرآن- ۲-۱۷۶-قرآن- ۲۲۴-۲۶۷-قرآن- ۲۸۵-۴۶۶-قرآن- ۵۴۳-۶۴۰

فصل

و قد تقدم بيان هذه الآية في باب الشهادة ونزيدها إيضاها هنا فنقول إن قوله اثنا ترفع على أنه خبر للمبتدأ الذي هو شهادة بينكم أو -قرآن- ۸۱-۸۶-قرآن- ۱۲۳-۱۳۹ [صفحة ۳۱۹] على أنه فاعل شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان وإذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه . و حضور الموت مشارفته وظهور أمارات بلوغ الأجل وقيل منكم أي من أقاربكم ومن غيركم أي من أجانبيكم فعلى هذا معناه إن وقع الموت في السفر و لم يكن معكم أحد من عشيرتكم فاستشهدوا أجنبيين على الوصية وجعل الأقارب أولى لأنهم أعلم بأحوال الميت وبما هو أصلح وهم له أنصح والأصح ما قدمناه أن قوله منكم أي من المسلمين ومن غيركم أي من أهل الذمة. و قوله إن ارتبتم اعتراض بين القسم والمقسم عليه أي إن اتهمتموهما فحلفوهما والضمير في به للقسم و في كان للمقسم له يعني لا يستدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا أي لا يحلف بالله كاذبين لأجل المال و لو كان من يقسم له قريبا منا. و قوله شهادة لله أي الشهادة التي أمر الله بتعظيمها وحفظها. و قوله تحسبونها تقفونها وتصيرونها للحلف من بعد الصلاة وقيل اللام في الصلاة للجنس والقصد بالتحليف على أثرها أن تكون الصلاة لطفًا في النطق بالصدق ونهاية عن الكذب فإن اطلع على أنهما فعلا ما أوجب إثما فاستوجبا أن يقال لهما إنهما من الآمين. فشاهدان آخران من الذين جنى عليهم وهم أهل الميت والأوليان باللاحق بالشهادة لقربتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الأوليان كأنه قيل و من هما فقيل الأوليان وقيل هما بدل من الضمير في يقومان أو من آخران وقرئ الأولين على أنه وصف للذين استحق عليهم . ومعنى الأولية التقدم على الأجنب في الشهادة لكونهم أحق بها ذلك -قرآن- ۱۶-۳۲-قرآن- ۷۷-۸۷-قرآن- ۱۰۲-۱۱۷-قرآن- ۱۸۳-۱۸۸-قرآن- ۲۰۷-۲۱۸-قرآن- ۴۴۱-۴۴۶-قرآن- ۴۶۶-۴۷۷-قرآن- ۵۰۵-۵۱۷-قرآن- ۷۵۱-۷۶۵-قرآن- ۸۱۷-۸۳۰-قرآن-

۱۱۱۹-۱۱۲۹-قرآن- ۱۲۶۲-۱۲۷۰ [صفحة ۳۲۰] الذي يقدم من بيان الحكم أدنى أن تأتوا بالشهادة على نحو تلك الحادثة أن تكرر أيمان شهود آخرين بعد أيمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل على ما تقدم . ويجوز شهادة النساء عند عدم الرجال فإن لم تحضر إلا امرأة جازت شهادتها في ربع الوصية فإن حضرت اثنتان جازت شهادتهما في النصف والثلاث في النصف والربع والأربع في كل الوصية إذا كانت بالثلث فما دونه والعدالة معتبرة في المواضع كلها

عن سلمى مولاة ولد أبي عبد الله ع كنت عنده حين حضرته الوفاة فأغمى عليه فلما أفاق قال أعطوا الحسن بن علي بن الحسين بن علي و هو الأفتس سبعين ديناراً قلت أعطى رجلاً - حمل عليك بالشفرة قال ويحك أ ما تقرأين القرآن قلت بلى قال أ ماسمعت قول الله تعالى الْعَذِينَ يَصْلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ -رواية- ١-٢-رواية- ٤٠-٣٧٥ و عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله ع قال سأله أبي و أنا حاضر عن قوله تعالى وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوَى قَالَ الْاِحْتِلَامُ قَالَ فَقَالَ يَحْتَلِمُ فِي سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً وَسَبْعِ عَشْرَةَ وَ نَحْوَهَا فَقَالَ لَمَّا أَتَتْ عَلَيْهِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً كَتَبَ لَهُ الْحَسَنَاتُ وَ كَتَبَتْ عَلَيْهِ السَّيِّئَاتُ وَ جَازَ أَمْرَهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ سَفِيهَا أَوْ ضَعِيفًا فَقَالَ وَ مَا السَّفِيهِ فَقَالَ أَلَّذِي يَشْتَرِي الدَّرْهَمَ بِأَضْعَافِهِ قَالَ وَ مَا -رواية- ١-٢-رواية- ٥٥-٥٥-ادامه دارد [صفحه ٣٢١] الضعيف فقال الأبله -رواية- از قبل- ٢٣ و عن العيص بن القاسم قال سألته عن اليتيم متى يدفع إليها مالها قال إذا علمت أنها لا تفسد و لا تضيع فسألته إن كانت تزوجت فقال إذا تزوجت فقد انقطع ملك الوصي عنها -رواية- ١-٢-رواية- ٣١-١٧٦ و قال إذا بلغ الغلام ثلاث عشرة كتبت له الحسنه و كتبت عليه السيئه و عوقب فإذا بلغت الجارية تسع سنين فكذلك و ذلك أنها تحيض لتسع سنين و لا يدخل بالجارية حتى يأتي بهاتسع سنين أو عشرة سنين -رواية- ١-٢-رواية- ١٠-٢٠١ . و قوله تعالى لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَ لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لِمَنْ يَشَاءُ أَنْ يَنْقَضَ عَنْهُ الْاِحْتِلَامُ أَنَّ لِلرِّجَالِ وَ لِلنِّسَاءِ نَصِيبًا مِّمَّا كَتَبْنَا وَ هُوَ الثَّلَاثُ مِنْ أَمْوَالِهِمُ أَلَّذِي يَصْحَحُ لَهُمْ أَنْ يُوصُوا بِهِ فِي صَدَقَتِهِ أَوْ صِلَتِهِ إِنْ أَشْرَفُوا عَلَى الْمَوْتِ فَإِذَا وَصُوا بِنَثْلٍ مِنْ أَمْوَالِهِمْ يَجِبُ أَنْ يَمْضَى وَ يَنْفَذَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ نَصِيبُهُمْ -قرآن- ١٧-٨٧

باب الإقرار

إقرار الحر البالغ الثابت العقل غير المولى عليه جائز على نفسه للكتاب والسنة أما الكتاب فقوله تعالى أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمَلَّ هُوَ فَلْيَمَلَّ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ أَى فليقر وليه بالحق غير زائد و لا ناقص و هو العدل . -قرآن- ١٠٥-١٦٦ [صفحه ٣٢٢] و أيضاً قوله تعالى كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَ لَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَ الشَّهَادَةُ عَلَى النَّفْسِ هُوَ الْاِئْتِمَارُ بِمَا عَلَيْهَا . و قوله فَمَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ وَ قَوْلُهُ فَمَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ وَ الْاِئْتِمَارُ وَ الْاِعْتِرَافُ وَاحِدٌ . و أيضاً قوله أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بلى و قوله أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بلى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ . و لا يجوز أن يكون الجواب فى مثل هذا الإبللى و لو قال نعم كان إنكاراً و لم يكن إقراراً و يكون تقديره نعم لست ربنا و لم يأتنا نذير ولهذا يقول الفقهاء إذا قال رجل لآخر أليس لى عليك ألف درهم فقال بلى كان إقراراً و إن قال نعم لم يكن إقراراً و معناه ليس لك على -قرآن- ٢٠-٨٦-قرآن- ١٣٦-١٥٨-قرآن- ١٦٧-١٨٩-قرآن- ١٩٢-٢٢٣-قرآن- ٢٦٢-٢٩١-قرآن- ٣٠٠-٣٥٣

باب الزيادات

روى السكونى عن أبى عبد الله ع أنه سئل عن رجل يوصى بسهم من ماله فقال السهم واحد من ثمانية لقول الله تعالى إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسَاكِينِ الْاِيَّةِ -رواية- ١-٢-رواية- ٣٨-١٧٣ . و قدروى أن السهم واحد من ستة . [صفحه ٣٢٣] و الحديثان متفقان لا تناقض بينهما فتمضى الوصية على ما يظهر من مراد الموصى فمتى أوصى بسهم من سهام الزكاة كان السهم واحداً من ثمانية و متى أوصى بسهم من سهام الموارث فالسهم واحد من ستة . و عن على بن مزيد صاحب السابرى قال أوصى إلى رجل

بتركته وأمرني أن أحج بها عنه فنظرت في ذلك فإذا شيء يسير لا يكون للحج فسألت أبا حنيفة وفقهاء أهل الكوفة فقالوا تصدق بها عنه فلما لقيت عبد الله بن الحسن في الطواف سألته فقال هذا جعفر بن محمد في الحجر فسله فدخلت الحجر فإذا هو تحت الميزاب فقلت أوصى إلى رجل أن أحج عنه بتركته فلم تكف فسألت من عندنا من الفقهاء فقالوا تصدق بها فقال ع ما صنعت قلت تصدقت بها عنه فقال ضمنت إلا أن لا يكون مبلغ ما يحج به من مكة فإن كان لا يبلغ ما يحج به من مكة فليس عليك ضمان وإن كان بلغ ما يحج به من مكة فأنت ضامن -رواية- ١-٢-رواية- ٤٢-٥٩٤ وسئل ع أيضا عن رجل أوصى بحجته فجعلها وصيه في نسمة فقال يغرمها وصيه ويجعلها في حجة كما أوصى به فإن الله تعالى يقول فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ -رواية- ١-٢-رواية- ٣-٢٣٣ [صفحة ٣٢٤]

كتاب الموارث

إشارة

قال الله تعالى لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا فجعل تعالى تركه الميت لأقاربه من الرجال والنساء على سهام بينها في موضع آخر من كتابه وسنه نبيه ع فينبغي أن يعرف السهام على حقائقها في مواضعها. ونسلك في عملها طريق المعرفة بهادون غيره ليحصل للإنسان فهمها ويستقر لها الحكم فيها على يقين إن شاء الله تعالى -قرآن- ١٩-١٨٣

باب كيفية ترتيب نزول الموارث

إشارة

اعلم أن الجاهلية كانوا يتوارثون بالحلف والنصرة وأقروا على ذلك في [صفحة ٣٢٥] صدر الإسلام في قوله تعالى وَالَّذِينَ عَقَدَتِ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ ثُمَّ نَسَخَ مَعِ جُودِ ذَوِي الْأَنْسَابِ بِسُورَةِ الْأَنْفَالِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَ أُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ. وكانوا يتوارثون بعد ذلك بالإسلام والهجرة فروى أن النبي ص أخى بين المهاجرين والأنصار لما قدم المدينة فكان يرث المهاجرى من الأنصارى والأنصارى من المهاجرى ولا يرث وارثه الذى كان له بمكة وإن كان مسلما لقوله إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَ نَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا. ثم نسخت هذه الآية بالقرابة والرحم والنسب والأسباب بقوله وَ أُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا فينبغي أن أولى الأرحام أولى من المهاجرين إلا أن يكون وصيه ولقوله تعالى لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ الآية. ثم قدر ذلك في سورة النساء في ثلاث آيات وهى أمهات أحكام الموارث ذكر الله فيها أصول الفرائض وهى سبع عشرة فريضه فذكر في قوله يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ وَلِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ وَلِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ

قرآن- ٣٠-٨٠-قرآن- ١٤٣-٢٠٣-قرآن- ٤٢٨-٦٧٢-قرآن- ٧٣٥-٨٧٨-قرآن- ٩٦٢-١٠١٨-قرآن- ١١٦١-١١٩٢-قرآن- ١٣٣٦-

١٣٧٠ [صفحة ٣٢٦] مع عدمهم من الأب والأم وذكر واحدة وهي تمام السبع عشرة فريضه في قوله و أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله -قرآن- ٧٧-١٣٧

فصل في بيان ذلك

ذكر تعالى أولا- فرض ثلاثه من الأولاد جعل للبت النصف ولبتين فصاعدا الثلثين و إن كانوا ذكورا وإناتا فللذكر مثل حظ الأنثيين ثم بين ذكر الوالدين في قوله و لأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له و لمد فإن لم يكن له و لمد و ورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس ذكر أن لكل واحد من الأبوين السدس مع الولد بالفرض فإن لم يكن ولد فلأم الثلث والباقي للأب و إن كان إخوة من الأب والأم أو من الأب فلأمه السدس والباقي للأب هذه الآية الأولى . ثم قال و لكم نصف ما ترك أزواجكم في صدر الآية حكمهم وذكر في آخرها حكم الكلاله من الأم ذكر في أولها حكم الزوج والزوجه و أن للزوج النصف إذا لم يكن ثم ولد فإن كان ولد فله الربع و أن للزوجه الربع إذا لم يكن ولد فإن كان ولد فلها الثمن ثم عقب بكالله الأم فقال إن كان له أخ من أم أو أخت منها فله أولها السدس و إن كانوا اثنتين فصاعدا فلهم الثلث . و في قراءة ابن مسعود و إن كان رجل يورث كلاله أو امرأة و له أخ أو أخت من أم فلكل واحد منهما السدس . وأيضا فإن الله لما ذكر أنثى وذكرها وجعل لهما الثلث و لم يفصل أحدهما -قرآن- ١٦٢-٣٥٤-قرآن- ٥٥٣-٥٨٧ [صفحة ٣٢٧] عن الآخر ثبت أنهما يأخذان بالرحم وذكر في قوله يستفتونك قبل الله يفيتكم في الكلاله في آخر سورة النساء يذكر فيها أربعة أحكام ذكر أن للأخت من الأب والأم إذا كانت واحد فلها النصف و إن ماتت وهي لم يكن لها ولد ولها أخ فالأخ يأخذ الكل و إن كانتا اثنتين فصاعدا فلهما أولهن الثلثان و إن كانوا إخوة رجالا- ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين فإن لم يكن أخ و لا أخت من الأب والأم فحكم الأخت الواحدة من الأب والأخ من الأب وحكم الأختين فصاعدا من الأب وحكم الإخوة والأخوات معا من الأب حكم الإخوة والأخوات من الأب والأم على ما ذكرناه . -قرآن- ٥٢-١٠١ و قال ابن عباس من تعلم سورة النساء وعلم من يحجب و من لا يحجب فقد علم الفرائض -روایت- ١-٢-روایت- ٢٠-٨٩

باب ما يستحق به الموارث وذكر سهامها

قد بين الله في كتابه أن الميراث يستحق بشيئين سبب ونسب و بين أيضا أن النسب على ضربين نسب الولد للصلب و من يتقرب بهم ونسب الوالدين و من يتقرب بهما فقال يوصيكم الله في أولادكم وهذا عام في الولد وولد الولد و إن نزلوا و قال و لأبويه لكل واحد منهما السدس و قال إن امرؤ هلك ليس له ولد و له أختا لآيه و قال و إن كان رجلا يورث كلاله أو امرأة و له أخ أو أختا لآيه . -قرآن- ١٦٩-٢٠٠-قرآن- ٢٤٩-٢٩٤-قرآن- ٣٠٢-٣٥١-قرآن- ٣٦٤-٤٣٥ [صفحة ٣٢٨] وكذا بين تعالى أن السبب على ضربين الزوجية والولاء فقال و لكم نصف ما ترك أزواجكموهن لهن الربع مما تركن و قال فإخوانكم في الدين و مواليكمفإنه يدل على أن معتق زيد إذامات و لم يخلف نسيبا كان مولاه أولى به من كل أحد فيكون ميراثه له وكذا يدل على ولاء الإمامه فإن ميراث من لاوارث له كان للنبي ع و هولمن قام مقامه خلفا عن سلف . و قال تعالى و الذين عاهدت أيما نكم فأتوهم نصيبهمفإنه يدل على ولاء تضمن الجريره على ماتقدم . و يمنع كفر الوارث ورقه على بعض الوجوه وقتله عمدا ظلما من الميراث من جهة السبب والنسب معا . و من تأمل هذه الآيات علم أن سهام الموارث ستة النصف والربع والثمن والثلاثان والثلث

والسدس وإنما صارت سهام الموارث من ستة أسهم لا يزيد عليها لأن أهل الموارث الذين يرثون ولا يسقطون ستة الأبوان والابن والبنت والزوج والزوجة وقيل إن الإنسان خلق من ستة أشياء و هو قول الله تعالى وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ لِصَلْحَةٍ رَأَاهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ - قرآن- ٩٥-٦١- قرآن- ٩٦-١٢٨- قرآن- ١٣٦-١٧٣- قرآن- ٣٩٥-٤٤٥- قرآن- ٨٩٣-٩٤٢

باب ذكر ذوى السهام

إشارة

نبدأ بذوى الأسباب الذين هم الزوجان ثم نعقبه بذكر ذوى الأنساب قال الله تعالى وَ لَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ بَيْنَ سَبْحَانِهِ أَنْ لِلزَّوْجِ - قرآن- ٨٧-١٢١ [صفحة ٣٢٩] النصف مع عدم الولد وولد الولد و إن نزلوا و هو السهم الأعلى له و له الربع مع وجود الولد. و قال وَ لَهِنَّ الرِّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ بَيْنَ أَيْضًا أَنْ لَهَا الرِّبْعُ مَعَ عَدَمِ الْوَلَدِ وَ كَذَلِكَ الزَّوْجَاتُ إِنْ لَهَا الثَّمَنُ مَعَ وَجُودِ الْوَلَدِ وَ الْوَلَدُ وَ إِنْ نَزَلُوا وَ كَذَلِكَ الزَّوْجِينَ وَ الثَّلَاثُ وَ الْأَرْبَعُ وَ هُوَ السَّهْمُ الْأَدْنَى لَهُنَّ . فَإِذَا اجْتَمَعَ وَاحِدٌ مَعَ الزَّوْجِينَ مَعَ ذَوَى الْأَنْسَابِ أَخَذَ هُوَ نَصِيبَهُ وَ الْبَاقَى لَهُمْ وَ إِذَا انْفَرَدَ أَحَدُ الزَّوْجِينَ فَإِنْ كَانَ هُوَ الزَّوْجِ يَأْخُذُ فَرِضَهُ الْمَسْمُومِ وَ الْبَاقَى يَرُدُّ عَلَيْهِ أَيْضًا عَلَى بَعْضِ الرِّوَايَاتِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَ إِنْ كَانَ زَوْجَةٌ تَأْخُذُ هِيَ نَصِيبَهَا وَ الْبَاقَى لِبَيْتِ الْمَالِ وَ فِي زَمَانِ الْغَيْبَةِ يَرُدُّ إِلَيْهَا أَيْضًا الْبَاقَى وَ لَا يَرِثَانِ إِلَّا بَعْدَ وِفَاءِ الدِّينِ كُلِّهِ وَ إعطاء ثلث الوصية. - قرآن- ١٠١-١٣٣

فصل

و أما ذوى الأنساب فأقواهم قرابة الولد ولذلك بدأ الله بذكر سهامه فقال تعالى يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ وَ سَبَبُ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ قِيلَ فِيهِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا - قرآن- ٨١-١١٢ قال ابن عباس والسدى إن سبب نزولها أن القوم لم يكونوا يرثون النساء والبنات والبنين الصغار ولا يرثون إلا- من قاتل وطاعن فأنزل الله الآية وأعلمهم كيفية الميراث -رواية- ١-٢-رواية- ٢٦-١٧٦ و قال عطاء عن ابن عباس و ابن جريح عن مجاهد أنهم كانوا يرثون الولد والوالدين للوصية فنسخ الله ذلك -رواية- ١-٢-رواية- ٤٨-١٠٩ و قال محمد بن المنكدر عن جابر قال كنت عليلاً مدنفاً فعادني النبي ص ونضح الماء على وجهي فأفقت و قلت يا رسول الله كيف أعمل في مالي فأنزل الله الآية -رواية- ١-٢-رواية- ٣٩-١٦٢ [صفحة ٣٣٠] وروى عن ابن عباس أنه قال كان المال للولد والوصية للوالدين والأقربين فنسخ بهذه الآية -رواية- ١-٢-رواية- ٣٣-٩٨ . وقرئ يوصي بها أو دئبفتح الصاد وكسرها والكسر أقوى لقوله مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَ لَدَّفَتْ قَدَّمَ ذَكَرَ الْمَيْتَ وَ ذَكَرَ الْمَفْرُوضَ مِمَّا تَرَكَ وَ مِنْ فَتْحِهَا فَلِأَنَّهُ لَيْسَ لِمَيْتٍ مَعِينٌ وَ إِنَّمَا هُوَ شَائِعٌ فِي الْجَمِيعِ . وَ مَعْنَى يُوصِيكُمُ اللَّهُ فَرِضَ عَلَيْكُمْ لِأَنَّ الْوَصِيَّةَ مِنْ اللَّهِ فَرِضٌ كَمَا قَالَ وَ لَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَ صِيَاكُمْ بِهَيْعَتِي فَرِضٌ عَلَيْكُمْ ذَكَرَهُ الزَّجَّاجُ . وَ إِنَّمَا لَمْ يَعُدَّ قَوْلُهُ يُوصِيكُمُ إِلَى قَوْلِهِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ نَبْصَبِ اللَّفْظِ لِأَنَّهُ كَالْقَوْلِ فِي حِكَايَةِ الْجَمَلَةِ بَعْدَهُ وَ التَّقْدِيرُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ وَ لِأَنَّ الْفَرِضَ بِالْآيَةِ الْفَرْقَ بَيْنَ الْمَوْصِي وَ الْمَوْصِي لَهُ فِي نَحْوِ أَوْصِيَتْ زَيْدًا بِعَمْرٍ وَ - قرآن- ٨-٢٩- قرآن- ٦٨-١٠٠- قرآن- ٢٠٨-٢٢٤- قرآن- ٢٧١-٣٥١- قرآن- ٤٠٣-٤١٢- قرآن- ٤٢٤-٤٤٦

فصل فى ميراث الولد

اعلم أن قوله تعالى يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْعَمَ فِي كُلِّ وَلَدٍ يَتْرِكُهُ الْمَيِّتَ وَ أَنَّ الْمَالَ بَيْنَهُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَّيْنَ وَ كَذَا حَكَمَ الْبَنَاتِ وَ الْبَنَاتِ لَهَا وَ لَهَا النِّصْفُ وَ الثَّلَاثَانِ عَلَى كُلِّ حَالٍ إِلَّا - مِنْ خِصْمِ الدَّلِيلِ مِنَ الرِّقِّ وَ الْكُفْرِ وَ الْقَتْلِ الظُّلْمِ عَلَى مَا ذَكَرْنَا فَإِنَّهُ لَأَخْلَافٌ أَنَّ الْكَافِرَ وَ الْقَاتِلَ عَمْدًا عَلَى سَبِيلِ الظُّلْمِ وَ الْمَمْلُوكِ عَلَى بَعْضِ الْوَجْهِ لَا يَرِثُونَ وَ إِنْ كَانَ الْقَاتِلُ خَطَأً فَفِيهِ خِلَافٌ وَ عِنْدَنَا يَرِثُ مِنَ الْمَالِ دُونَ الدِّيَةِ وَ الْمُسْلِمَ عِنْدَنَا يَرِثُ الْكَافِرُ وَ فِيهِ خِلَافٌ وَ الْعَبْدُ لَا - قُرْآن - ٢٣-٥٤ [صَفْحَةٌ ٣٣١] يَرِثُ لِأَنَّهُ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا وَ يَوْرَثُ إِذَا لَمْ يَكُنْ غَيْرَهُ وَ ارِثَ فِي دَرَجَتِهِ بِشَرَطِ أَنَّ تَكُونَ التَّرِكَةُ أَكْثَرَ مِنْ قِيَمَتِهِ أَوْ مِثْلَهَا. وَ الْمَرْتَدُ لَا يَرِثُ وَ مِيرَاثُهُ لَوْرَثَتِهِ الْمُسْلِمِينَ وَ هُوَ قَوْلُ عَلِيِّ عٍ وَ قَالَ ابْنُ الْمُسَيْبِ نَرِثُهُمْ وَ لَا يَرِثُونَا وَ مَا يَرِثُونَهُ عَنِ النَّبِيِّ صَ أَنَّهُ قَالَ لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ - رَوَايَتُ ١-٢-٢٧-٤٩ فَإِذَا صَحَّ فَمَعْنَاهُ لَا يَرِثُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ وَ إِنَّا نَقُولُ الْمُسْلِمَ يَرِثُ الْكَافِرَ وَ الْكَافِرَ لَا يَرِثُ الْمُسْلِمَ وَ لَمْ يَثْبُتْ حَقِيقَةُ التَّوَارِثِ بَيْنَهُمَا فَلَا - يَكُونُ كَلَامُنَا مُخَالَفًا لِذَلِكَ . وَ قَوْلُهُ تَعَالَى فَمَنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَالظَّاهِرُ فِي هَذَا يَقْتَضِي أَنَّ الْبَنَاتِ لَا يَسْتَحِقُّنَ الثَّلَاثِينَ وَ إِنَّمَا يَسْتَحِقُّ الثَّلَاثَانَ إِذَا كُنَّ فَوْقَ اثْنَتَيْنِ لَكِنْ أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ أَنَّ حَكْمَ الْبَنَاتِ حَكْمُ مَنْ زَادَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْبَنَاتِ فَتَرَكَنَا لَهُ الظَّاهِرُ . وَ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ وَ اخْتَارَهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ الْقَاضِي إِنْ فِي الْآيَةِ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ لِلْبَنَاتِ الثَّلَاثِينَ أَيْضًا لِأَنَّهُ قَالَ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّيْنَ وَ أَوَّلُ الْعَدَدِ ذَكَرٌ وَ أَنْثَى وَ لِلذَّكَرِ الثَّلَاثَانَ مِنْ سِتَّةٍ وَ لِلأُنثَى الثَّلَاثَ عِلْمٌ مِنْ فَحْوَى ذَلِكَ أَنَّ لِلْبَنَاتِ الثَّلَاثِينَ وَ إِنْ كَانَ بِالتَّلْوِيحِ ثُمَّ أَعْلَمَ اللَّهُ بَعْدَهُ أَنَّ مَا فَوْقَ الْبَنَاتِ لِهِنَّ الثَّلَاثَانَ أَيْضًا بِالتَّصْرِيحِ لِيَكُونَ فِي بَابِ الْبَلَاغَةِ عَلَى الْأَقْصَى وَ هَذَا حَسَنٌ . وَ قَوْلُهُ وَ إِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ فَيُفِيدُ عَلَى أَنَّ فَاطِمَةَ عَ كَانَتْ مُسْتَحِقَّةً لِلْمِيرَاثِ لِأَنَّهُ عَامٌ فِي كُلِّ بِنْتٍ وَ الْخَبَرُ الْمُدْعَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا يَوْرَثُونَ خَبَرٌ مَا عَمِلَ بِهِ الرَّاوِي أَيْضًا لِأَنَّهُ وَرِثَ ابْنَتَهُ مَعَ أَنَّهُ خَبَرَ وَاحِدًا لَا يَتْرِكُ لَهُ عَمُومَ الْآيَةِ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ لَا يَتْرِكُ بِمِظْنُونِ - قُرْآن - ١٨٠-٢١٢ - قُرْآن - ٥١٣-٥٤٥ - قُرْآن - ٧٩١-٨٢٧ [صَفْحَةٌ ٣٣٢]

فصل فى ميراث الوالدين

ثُمَّ قَالَ وَ لِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السِّدْسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَ لَدَّ لِأَخْلَافٍ فِي ذَلِكَ وَ كَذَا إِنْ كَانَ وَاحِدًا مِنَ الْأَبَوَيْنِ مَعَ الْوَالِدِ كَانَ لَهُ السِّدْسُ بِالْفَرَضِ بِلَا خِلَافٍ . ثُمَّ نَظَرَ فَإِنْ كَانَ الْوَالِدُ ذَكَرًا كَانَ الْبَاقِي لِلْوَالِدِ وَاحِدًا كَانَ أَوْ أَكْثَرَ بِلَا خِلَافٍ وَ كَذَلِكَ إِنْ كَانُوا ذَكَرًا وَ إِنَاثًا فَالْمَالُ بَيْنَهُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَّيْنَ وَ إِنْ كَانَتْ بِنَاتًا كَانَ لَهَا النِّصْفُ وَ لِأَحَدِ الْأَبَوَيْنِ السِّدْسُ أَوْ لَهَا السِّدْسَانِ وَ الْبَاقِي عِنْدَنَا يَرِدُ عَلَى الْبَنَاتِ وَ الْأَبَوَيْنِ أَوْ أَحَدَهُمَا عَلَى قَدْرِ سَهَامِهِمَا أَيُّهُمَا كَانَ لِأَنَّ قَرَابَتَهُمَا سَوَاءٌ . وَ مِنْ خَالَفْنَا يَقُولُ إِنْ كَانَ أَحَدُ الْأَبَوَيْنِ أَبًا كَانَ الْبَاقِي لَهُ لِأَنَّهُ عَصْبَةٌ وَ إِنْ كَانَتْ أُمًّا فَفِيهِمْ مِنْ يَقُولُ بِالرَّدِّ عَلَى الْبَنَاتِ وَ الْأُمِّ وَ فِيهِمْ مَنْ يَقُولُ الْبَاقِي فِي بَيْتِ الْمَالِ وَ إِنَّمَا رَدَدْنَا عَلَيْهِمْ لِعَمُومِ قَوْلِهِ تَعَالَى وَ أَوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ وَ هَاهُنَا هُمَا مُتَسَاوِيَانِ لِأَنَّ الْبَنَاتِ تَتَقَرَّبُ بِنَفْسِهَا إِلَى الْمَيِّتِ وَ كَذَا الْأَبْوَانِ وَ الْخَبَرُ الْمُدْعَى فِي أَنَّ مَا بَقِيَ الْفَرَائِضِ فَلِأَوْلَى عَصْبَةٍ ذَكَرَ خَبَرَ ضَعِيفٌ وَ لَهُ مَعَ ذَلِكَ وَجْهٌ لَا يَخْصُ بِهِ عَمُومُ الْقُرْآنِ . وَ قَوْلُهُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَ لَمَدَّ وَ وَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمَّهِ التُّثْمُفُهُومَهُ أَنَّ الْبَاقِي لِلْأَبِّ فَلَيْسَ فِيهِ خِلَافٌ . فَإِنْ كَانَ فِي الْفَرِيضَةِ زَوْجٌ كَانَ لَهُ النِّصْفُ وَ لِلْأُمِّ الثَّلَاثُ بِالظَّاهِرِ وَ مَا بَقِيَ فَلِلْأَبِّ - قُرْآن - ١٠-٨٩ - قُرْآن - ٦٨٧-٧٢٩ - قُرْآن - ٩٢١-٩٨٨ [صَفْحَةٌ ٣٣٣] وَ مَنْ قَالَ لِلْأُمِّ ثَلَاثَ مَا بَقِيَ فَقَدْ تَرَكَ الظَّاهِرَ وَ بِمِثْلِ مَا قَلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ . وَ إِنْ كَانَ بَدَلَ الزَّوْجِ زَوْجَةٌ كَانَ الْأَمْرُ مِثْلَ ذَلِكَ لِلزَّوْجَةِ الرَّبِيعِ وَ لِلْأُمِّ الثَّلَاثُ وَ الْبَاقِي لِلْأَبِّ وَ بِهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ ابْنُ سَيْرِينَ . ثُمَّ قَالَ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمَّهِ السِّدْسُ فَنَفِي أَصْحَابِنَا مَنْ يَقُولُ إِنَّمَا يَكُونُ لَهَا السِّدْسُ إِذَا كَانَ هُنَاكَ أَبٌ لِأَنَّ التَّقْدِيرَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَ وَّرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمَّهِ الثَّلَاثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ وَ وَّرِثَهُ أَبَوَاهُ

فلأمه السدس . ومنهم من قال إن لها السدس بالفرض مع وجود الإخوة سواء كان هناك أب أو لم يكن و به قال جميع الفقهاء غير أننا نقول إن كان هناك أب كان الباقي للأب فإن لم يكن أب كان الباقي ردا على الأم . ولا يرث أحد من الإخوة والأخوات مع الأم شيئا سواء كانوا من قبل أب وأم أو من قبل أب أو من قبل أم على حال لأن الأم أقرب منهم بدرجة . ولا يحجب عندنا من الإخوة إلا - من كان من قبل الأب والأم أو من قبل الأب فأما من كان منهم من قبل الأم فحسب فإنه لا يحجب على حال . ولا يحجب أقل من أخوين أو أخ وأختين أو أربع أخوات بشرطه أن لم يكونوا كفارا و لارقا و لقاتلين ظلما فأما أخ وأخت أو أختان فلا يحجبان وكذلك ثلاث أخوات لا يحجبن على حال وخالفنا جميع الفقهاء فى ذلك . فأما الأخوان فإنه لا خلاف أنه يحجب بهما الأم عن الثلث إلى السدس إلا - ما قال ابن عباس إنه لا يحجب بأقل من ثلاثة لقوله تعالى فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ قَالَ وَالثلاثة أقل الجمع . وحكى عن ابن عباس أيضا أن ما يحجب الإخوة من سهم الأم من الثلث إلى السدس يأخذه الإخوة دون الأب وذلك خلاف ما أجمعت عليه الأمة لأنه لا خلاف أن أحدا من الإخوة لا يستحق مع الأبوين شيئا . -قرآن- ٢١٠-٢٥٢- قرآن- ١٢٤٩-١٢٧١ [صفحہ ٣٣٤] وإنما قلنا إن الأخوين يحجبان للإجماع وأيضا فإنه يجوز وضع لفظ الجمع فى موضع التثنية إذا اقترنت به دلالة كما قال إن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا عَلَى أَنْ أَقْلَ الْجَمْعِ اثْنَانِ . فإن قيل لم حجبت الأم الإخوة من غير أن يرثوا مع الأب . قلنا قال قتادة معونة للأب لأنه يقوم بنفقتهم ونكاحهم دون الأم وهذا بعينه رواه أصحابنا و هودال على أن الإخوة من الأم لا يحجبون لأن الأب لا يلزمه نفقتهم على حال . و إن كان الإخوة كفارا أو مماليك أو قاتلين ظلما لا يحجبون الأم أيضا مع وجود الأب وفقده وكذلك إن كانا اثنين و كان أحد الأخوين كافرا أو قاتلا ظلما كذلك فإن الأم لا تحجب . و قوله لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا مَعْنَاهُ لا تعلمون أيهم أقرب نفعًا فى الدين والدنيا و الله يعلمه فافهموه على ما بينه من تعلم المصلحة فيه . و قال بعضهم الأب يجب عليه نفقة الابن إذا احتاج إليها وكذلك الابن يجب عليه نفقة الأب مع الحاجة فهما فى النفع فى هذا الباب سواء لا تدرُونَ أيهم أقرب نفعًا وقيل لا تدرُونَ أيكم يموت قبل صاحبه فينتفع الآخر بماله . و قوله فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ مِنْ قَوْلِهِ لِأَبَوَيْهِ وَتَقْدِيرُهُ فَيُثَبِّتُ لَهُؤَلَاءِ الْوَرِثَةَ مَا ذَكَرْنَاهُ مَفْرُوضًا فَرِيضَةٌ مُؤَكَّدَةٌ كَقَوْلِهِ يُوصِيكُمُ اللَّهُ هَذَا قَوْلَ الزَّجَاجِ وَ قَالَ غَيْرُهُ هُوَ نَصَبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ مِنْ يَوْصِيكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَرَضًا مَفْرُوضًا وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَصَبًا عَلَى التَّمْيِيزِ أَى فَلأمه السدس فريضة كما يقال هو لك صدقة أو هبة . وإنما يقال فى تثنية الأب والأم أبوان تغليبا للفظ الأب و لا يلزم على ذلك فى ابن وابنة لأنه هاهنا يومهم -قرآن- ١٢٠-١٦٧-قرآن- ٦١٧-٦٥٦-قرآن- ٩٩٨-١٠١٨-قرآن- ١٠٤٤-١٠٥٤- قرآن- ١١٢١-١١٣٧ [صفحہ ٣٣٥]

فصل فى ميراث الزوجين

و إن كنا قد منا القول فيه فإننا نتكلم على ذلك أيضا هاهنا لنسق القرآن . لا خلاف أن للزوج نصف ماتركه الزوجة إذا لم يكن لها ولد فإن كان لها ولد فله الربع بلا خلاف سواء كان ولدها منه أو من غيره و إن كان ولد لا يرث لكونه مملوكا أو كافرا أو قاتلا عمدا ظلما فلا يحجب الزوج من النصف إلى الربع ووجوده كعدمه . وكذلك حكم الزوجة لها الربع إذا لم يكن للزوج ولد على ما قلناه فى الزوجة فى أنه سواء كان منها أو من غيرها فإن كان لها ولد كان لها الثمن . و لا خلاف أن ماتستحقه الزوجة إن كانت واحدة فهو لها و إن كانت ثنتين أو ثلاثا أو أربعا لم يكن لهن أكثر من ذلك و لا يستحق الزوج أقل من الربع فى حال من الأحوال و لا الزوجة أقل من الثمن على وجه من الوجوه و لا يدخل عليهما النقصان وكذا الأبوان لا ينقصان فى حال من الأحوال لأن العول عندنا باطل على ما ذكره . وولد الولد و إن نزل يقوم مقام الولد للصلب فى حجب الزوجين من الفرض

الأعلى إلى الأدون . و كل من ذكر الله له فرضا فإنما يستحقه إذا أخرج من التركة الكفن والدين والوصية فإن استغرق الدين المال لم تنفذ الوصية ولا ميراث وإن بقي نفذت الوصية ما لم يزد على ثلث ما يبقى بعد الدين فإن زادت ردت إلى الثلث . فإن قيل كيف قدم الوصية على الدين في هذه الآية وفي التي قبلها مع أن الدين يتقدم عليها بلا خلاف . [صفحہ ۳۳۶] قلنا لأن أو لا يوجب الترتيب وإنما هي لأحد الشئيين فكأنه قال من بعد أحد هذين مفردا أو مضموما إلى الآخر كقولهم جالس الحسن أو ابن سيرين أى جالس أحدهما مفردا أو مضموما إلى الآخر ويجب البدء بالدين بعد الكفن لأنه مثل رد الوديعة التي يجب ردها على صاحبها فكذا حال الدين وجب رده أولا ثم تكون الوصية بعده ثم الميراث . ومثل ما قلناه اختاره الطبري والجبائي وهو المعتمد عليه في تأويل الآية

فصل فى ميراث كلاله الأم

ثم قال تعالى وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِّنَ الْأُمِّ بِلا- خلاف . و كلاله نصبها يحتمل أمرين أحدهما على أنه مصدر وقع موقع الحال وتكون كان تامه وتقديره يورث متكلم النسب كلاله والثاني أن يكون خبر كان ناقصة وتقديره وإن كان رجل وارث كلاله فرجل اسم كان ويورث صفته و كلاله خبره والأول هو الوجه لأن يورث هو الذى اقتضى ذكر الكلاله كما تقول يورث هذا الرجل كلاله بخلاف من يورث ميراث الصلب ويورث كلاله عصبه وغير عصبه . واختلفوا فى معنى الكلاله فقال قوم هو من عدا الولد والوالد - قرآن- ۱۷- ۸۸ و قال ابن عباس إن الكلاله ما عدا الولد -روایت- ۱- ۲- روایت- ۲۰- ۴۴ وورث الإخوة من الأم السدس مع الأبوين وهو خلاف إجماع أهل الأعصار و قال ابن زيد الميت يسمى كلاله و قال قوم الكلاله هو الميت الذى لا ولد له ولا ولد . وعندنا أن الكلاله هم الإخوة والأخوات فمن ذكره الله فى هذه الآية هو [صفحہ ۳۳۷] من كان من قبل الأم و من ذكر فى آخر السورة هو من قبل الأب والأم أو من قبل الأب . وأصل الكلاله الإحاطه و منه الإكليل لإحاطته بالرأس والكلاله لإحاطتها بالنسب الذى هو الولد والوالد و قال أبو مسلم أصلها من كل إذا عيا فكأنه يتناول الميراث من بعد على كلاله وإعياء و قال الحسين بن على المغربى أصله عندى ماترکه الإنسان وراء ظهره مأخوذاً من كلاله و هو مصدر الأكل و هو الظهر تقول ولائى فلان أكله على وزن أظله أى ظهره . و هذه الاسم تعرفه العرب وتخبره عن جملة النسب والوراثة و لاخلاف أن الإخوة والأخوات من الأم يتساوون فى الميراث . وإنما قال وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ و لم يقل لهما وقد قال قبله وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ لرفع الإبهام و لوثنى لكان حسنا كما يقول من كان له أخ أو أخت فليصله ويجوز فليصلها ويجوز أيضا فليصلها فالأول يرد الكنايه على الأخ والثانى على الأخت والثالث عليهما كل ذلك حسن . و قوله تعالى غَيْرَ مُضَارِّنِصِبِ عَلَى الْحَالِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا بِهِ . تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ أَى هَذِهِ تَفْصِيْلَاتُ اللَّهِ لِفَرَايِضِهِ لِأَنَّ أَصْلَ الْحُدِّ هُوَ الْفَصْلُ . و قال ابن إلیاس المعنى تلك حدود طاعة الله . فإن قيل إذا كان ماتقدم ذكره دل على أنها حدود الله فما الفائدة فى هذا القول . قلنا عنه جوابان أحدهما أنه للتأكيد والثانى أن الوجه فى إعادته معلق به من الوعد والوعيد - قرآن- ۵۷۳- ۵۹۴- قرآن- ۶۲۵- ۶۷۳- قرآن- ۸۷۸- ۸۹۰- قرآن- ۹۳۳- ۹۵۲ [صفحہ ۳۳۸]

فصل فى ميراث كلاله الأب

قال الله تعالى يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ امْرَأَتَكَ لَأُمٌّ مُّضَارَّةٌ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ إِلَى آخِرِهَا . روى

البراء بن عازب أن هذه الآية آخر ما نزلت بالمدينة وقال غيره نزلت في مسير كان فيه رسول الله ص . واختلفوا في سبب نزولها فقال سعيد بن المسيب سئل النبي ع عن الكلاله فقال أليس قد بين الله ذلك فنزلت الآية -قرآن- ١٩-١٤٢ و قال جابر اشكيت وعندى تسع أخوات لى أوسع فدخل على النبي ع فنفسخ فى وجهى فأفقت فقلت يا رسول الله أ لا أوصى لأخواتى بالثلثين قال أحسن قلت بالشطر قال أحسن ثم خرج وتركنى ورجع إلى وقال يا جابر إنى لا أراك ميتا من وجعك هذا وإن الله قد أنزل لأخواتك فجعل لهن الثلثين قال وكان جابر يقول أنزلت هذه الآية فى -روايت- ١-٢-روايت- ١٤-٣٣٨ وعن قتاده أن أصحاب رسول الله همهم شأن الكلاله فأنزل الله هذه الآية. ومعنى يَسْتَفْتُونَكَ يسألونك يا محمد أن تفتيهم فى الكلاله قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فى الكلاله فحذف أن اختصارا لمادل الجواب عليه والاستفتاء والاستقصاء واحد. وقوله تعالى إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ مَعْنَاهُ مات إنسان ليس له ولد -قرآن- ٨٣-٩٥-قرآن- ١٣٤-١٥٤-قرآن- ٢٤٧-٢٨٢ [صفحة ٣٣٩] ذكر و لا أنثى وَ لَهُ أُخْتَيْنِ وللमित أخت لأبيه وأمه أو لأبيه فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ والباقي عندنا رد عليه أيضا سواء كان هناك عصبه أو لم يكن وقال جميع الفقهاء إن الباقي للعصبه. وإن لم يكن عصبه هناك وهم العم وبنو العم وأولاد الأبخ فمن قال بالرد على ذوى الأرحام رد الباقي على الأخت و هو اختيار الجبائى وأكثر أهل العلم و هو يرثها إن لم يكن لها ولد يعنى إن كانت الأخت هى الميته ولها أخ من أب وأم أو من أب فالمال كله له بلا خلاف إذا لم يكن لها ولد سواء كان ذكرا أو أنثى لأنه تعالى قال وَ هُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ والبت بلا خلاف ولد والدليل على صحه تسميه البنت بالولد قوله يُوَصِّيهُ اللَّهُ فى أولادكم ثم فسر الأولاد فقال للذكر مثل حظ الأنثيين. فإن كان للأخت ولد ذكر فالمال كله له بلا خلاف ويسقط الأخ و إن كان بنتا كان لها النصف بالتسميه بلا خلاف والباقي عندنا رد عليها لأنها أقرب دون الأخ. ثم قال فإن كانتا اثنتين يعنى إن كانت الأختان اثنتين فلهما الثلثان وهذا لا خلاف فيه والباقي على ما بيناه من الأخت الواحدة عندنا رد عليهما دون عصبته ودون ذوى الأرحام و إذا كان هناك عصبه رد الفقهاء الباقي عليهم. فإن كانت إحدى الأختين لأب وأم وأخرى لأب فالواجب للأب والأم النصف بلا خلاف والباقي رد عليها عندنا لأنها مجمع السببين و لا شىء للأخت للأب لأنها انفردت بسبب واحد و عند الفقهاء لها السدس يكمله الثلثين والباقي على ما بيناه من الخلاف. و إن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يعنى إن كان الورثه إخوة رجالا ونساء للأب والأم فللذكر مثل حظ الأنثيين بلا خلاف -قرآن- ١٥-٢٧-قرآن- ٦٨-٨٩-قرآن- ٥٢٠-٥٦١-قرآن- ٦٢٧-٦٥٨-قرآن- ٦٨٠-٧١٢-قرآن- ٨٨٢-٩٠٤ [صفحة ٣٤٠] و إن كان الذكور منهم للأب والأم والإناث للأب انفرد الذكور بجميع المال بلا خلاف و إن كان الإناث للأب والأم والذكور للأب كان للإناث الثلثان بالتسميه بلا خلاف والباقي عندنا رد عليهن لما بيناه من اجتماع السببين لهن. و عند جماعة الفقهاء أن الباقي للإخوة من الأب لأنهم عصبه ويروون خبرا ضعيفا عنه ع أنه قال ما تفقت الفرائض فلاولى عصبه ذكر -روايت- ١-٢-روايت- ٤٠-٧٦ و قد قلنا ما عندنا فى خبر العصبه. ويمكن أن يحمل خبر العصبه مع تسليمه على من مات وخلف زوجا أو زوجة وأخا لأب وأم وأخا لأب أو ابن أخ لأب وأم و ابن عم لأب وأم و ابن عم لأب قال للزوج سهمه المسمى والباقي لمن يجتمع كلاله الأب والأم دون من يتفرد بكلاله الأب و قال عمر سألت رسول الله ص عن الكلاله فقال يكفيك آية الصيف -روايت- ١-٢-روايت- ١٣-٦٨

باب فى مسائل شتى

إذا تركت امرأة زوجها وأبويها فللزوج النصف وللأم الثلث كاملا و مابقى فللأب قال الله تعالى فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَ وَّرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِلْمُتِّهِ التُّلُثُ -قرآن- ٩٩-١٦٦ [صفحة ٣٤١] فجعل الله للأم الثلث كاملا إذا لم يكن ولد ولا إخوة. و من الدليل على أن لها الثلث

فى جميع المال أن جميع من خالفنا لم يقولوا لها السدس فى هذه الفريضة إنما قالوا للأم ثلث مابقى وثلث مابقى هو السدس فأحبوا أن لا يخالفوا الكتاب فأثبتوا لفظ الكتاب وخالفوا حكمه و ذلك تمويه . وجاء رجل إلى أبى جعفر فسأله عن امرأة تركت زوجها وأخويها وأختها لأمها فقال للزوج النصف ثلاثة أسهم وللإخوة من الأم سهمان وللأخت من الأب السدس سهم فقال له الرجل فإن فرائض زيد وفرائض العامة على غير هذا يقولون للأخت من الأب ثلاثة أسهم تصير من ستة تعول من ثمانية فقال أبو جعفر و لم قالوا ذلك قال لأن الله تعالى قال وَ لَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ فَقَالَ عَ فَإِنْ كَانَ مَكَانَ الْأُخْتِ أَخًا قَالَ لَيْسَ لَهُ إِلَّا السُّدْسُ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَمَا لَكُمْ نَقَضْتُمُ الْأَخَ إِنْ كُنْتُمْ تَحْتَجُونَ لِلأُخْتِ النِّصْفَ بِأَنَّ اللَّهَ سَمَّى لَهَا النِّصْفَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمَّى لِلأَخِ الكُلَّ وَالكُلَّ أَكْثَرَ مِنَ النِّصْفِ لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ فِي الأُخْتِ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَقَالَ فِي الأَخِ وَ هُوَ يَرْتُهَا يَعْنَى جَمِيعَ مَالِهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَمَّا فَلَا تَعْطُونَ أَلَّذَى جَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْجَمِيعَ فِي بَعْضِ فَرَايِضِهِمْ شَيْئًا وَتَعْطُونَ أَلَّذَى جَعَلَ اللَّهُ لَهُ النِّصْفَ تَامًا وَيَقُولُونَ فِي زَوْجٍ وَأُمٍّ وَإِخْوَةٍ لِأُمٍّ وَأُخْتٍ لِأَبٍ فَيَعْطُونَ الزَّوْجَ النِّصْفَ وَالْأُمَّ السُّدْسَ وَالْإِخْوَةَ مِنَ الأُمَّ الثَّلَاثَ وَالْأُخْتِ مِنَ الأَبِ النِّصْفَ فَيَجْعَلُونَهَا مِنْ تِسْعَةٍ وَهِيَ سِتَّةٌ تَعُولُ إِلَى -رَوَايَاتٍ- ١-٢-رَوَايَاتٍ-٣-أَدَامَةٌ دَارِدٌ [صَفْحَةٌ ٣٤٢] تِسْعَةٌ فَقَالَ كَذَلِكَ يَقُولُونَ فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ فَإِنْ كَانَتِ الأُخْتُ أَخًا لِأَبٍ قَالَ الرَّجُلُ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ فَقَالَ الرَّجُلُ لِأَبِي جَعْفَرٍ فَمَا تَقُولُ فَقَالَ لَيْسَ لِلْإِخْوَةِ مِنَ الأَبِ وَالْأُمِّ وَ لِلْإِخْوَةِ مِنَ الأُمِّ وَ لِلْإِخْوَةِ مِنَ الأَبِ مَعَ الأُمِّ شَيْءٌ -رَوَايَاتٍ- از قبل -٢٢٠

باب من يرث بالقرابة دون الفرض

إشارة

قال الله تعالى وَ أُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ بَيْنَ سَبْحَانِهِ أَنْ أَوْلَى النَّاسِ بِالْمِيتِ أَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ وَ الْآيَةُ بَعْمومها تتناول الميراث وغيره . و من يرث بالقرابة ستة فأقواهم قرابة الولد للصلب لا يرث معه أحد سواء يتقرب به أو بغيره إلا ذوى السهام المذكورين من قبل من الأبوين والزوجين ثم ولد الولد و إن نزلوا ثم الأب ثم من يتقرب به من ولده أو أبويه ثم من يتقرب بالأم دونها ودون ولدها . ومما يدل على ذلك أيضا قوله تعالى فى سورة الأحزاب وَ أُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيائِكُمْ -قرآن- ١٩-٧٩-قرآن- ٤٨١-٦١٤ قال الله تعالى وَ أُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ بَيْنَ سَبْحَانِهِ أَنْ أَوْلَى النَّاسِ بِالْمِيتِ أَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ وَ الْآيَةُ بَعْمومها تتناول الميراث وغيره . و من يرث بالقرابة ستة فأقواهم قرابة الولد للصلب لا يرث معه أحد سواء يتقرب به أو بغيره إلا ذوى السهام المذكورين من قبل من الأبوين والزوجين ثم ولد الولد و إن نزلوا ثم الأب ثم من يتقرب به من ولده أو أبويه ثم من يتقرب بالأم دونها ودون ولدها . ومما يدل على ذلك أيضا قوله تعالى فى سورة الأحزاب وَ أُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ مَسْطُورًا . بَيْنَ سَبْحَانِهِ أَنْ مِنْ كَانَ قَرْبَاهُ أَقْرَبَ فَهُوَ أَحَقُّ بِالمِيرَاثِ مِنَ الأَبْعَدِ وَظَاهِرُ ذَلِكَ يَمْنَعُ أَنْ يَرِثَ مَعَ البنتِ وَالْأُمُّ أَحَدٌ مِنَ الإِخْوَةِ وَالأَخَوَاتِ لِأَنَّ البنتِ وَالْأُمُّ أَقْرَبُ مِنَ الإِخْوَةِ وَالأَخَوَاتِ وَكَذَلِكَ يَمْنَعُ أَنْ يَرِثَ مَعَ الأُخْتِ أَحَدٌ مِنَ العَمَمَةِ وَالعَمَاتِ وَأَوْلَادِهِمْ لِأَنَّهَا أَقْرَبُ . وَالخبر المروى فى هذا الباب أن ما أثبت الفرائض فلاولى عصبه ذكر خبر واحد مطعون على سنده لا يترك لأجله ظاهر القرآن الذى بين فيه أن أولى الأرحام الأقرب منهم أولى من الأبعد فى كتاب الله من المؤمنين المهاجرين فقد روى أنهم كانوا يتوارثون بالهجرة والمؤاخاة الأولى حتى نزلت هذه الآية . والاستثناء منقطع فى قوله إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا معناه لكن أن فعلتم معروفا من الوصية يعرف صوابه فهو حسن ولا يجوز أن تكون القرابة

مشركين لقوله لا- تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ. وقد أجاز كثير من الفقهاء الوصية للقربات الكفار وعندنا أن ذلك جائز للوالدين والولد. و من يحتمل أمرين أحدهما أن تكون دخلت لأولى أى بعضهم أولى ببعض من المؤمنين والثاني أن يكون التقدير وأولى الأرحام من المؤمنين والمهاجرين أولى بالميراث . -قرآن- ١-٤٤-قرآن- ٦٤١-٦٥٩-قرآن- ٧٦١-٨٠٥ [صفحہ ٣٤٤]

فصل

ويدل على ذلك أيضا عموم قوله تعالى وَ لَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ بِنَفْسِهِنَّ الْخَطَابِ يَقْتَضِي تحريم تمنى ما فضل الله به بعض على بعض فلا يجوز لرجل أن يتمنى إن كان امرأة ولا للمرأة أن تتمنى لو كانت رجلا بخلاف ما فعله الله تعالى لأنه تعالى لا يفعل من الأشياء إلا ما هو الأصلاح فيكون تمنى ما يكون مفسدة. ثم اعلم أن الله أخبر عن أحوال المؤمنين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة وعن أحوال الأنصار بقوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الَّذِينَ آوَوْا وَ نَصَرُوا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا. فقال أولئك يعنى المهاجرين والأنصار بعضهم أولى ببعض ثم أخبر عن الذين آمنوا ولم يهاجروا من مكة إلى المدينة فقال ما لكم من ولايتهم من شىء. قيل نفى ولاية القرباء عنهم لأنهم كانوا يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الرحم فى قول ابن عباس وقيل إنه نفى الولاية التى يكونون بها ويدا واحدة فى الحل والعقد فنفى عن هؤلاء ما أثبتة للأولين حتى يهاجروا وقيل نسخ ذلك بقوله وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ. -قرآن- ٤٠-١٦٩-قرآن- ٥١٨-٧٦٢-قرآن- ٧٧٠-٧٧٧-قرآن- ٨٠٣-٨٢٦-قرآن- ٨٨٩-٩٢٢-قرآن- ١١٥٦-١٢١٠ [صفحہ ٣٤٥] ثم قال وَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْفِي الْآيَةِ دلالة على أن من كان قريبا أقرب إلى الميت كان أولى بالميراث سواء كان عسبة أو لم يكن أو تسمية أو لم يكن لأن مع كونه أقرب تبطل التسمية. وهذه الآية نسخت حكم التوارث بالنصرة والهجرة على ما قدمناه فإنهم كانوا لا يورثون الأعراب من المهاجرين على ما ذكر فى الآيات الأولى. و من قال الولاية فى الآيات الأولى ولاية النصره دون الميراث نقول ليست ناسخة لهما بل هما محكمتان . قال مجاهد فى هذه الآيات الثلاث ذكر ما والى به رسول الله ص بين المهاجرين والأنصار فى الميراث ثم نسخ ذلك بآخرها من قوله تعالى وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ. و قال ابن الزبير نزلت فى العصابات كان الرجال يعاقد الرجل يقول ترثنى وأرثك فنزلت وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ إِلَى آخِرِهَا -قرآن- ١٠-١٥٠-قرآن- ٦٨٧-٧٤٧-قرآن- ٨٣٦-٨٥٥

باب فى مسائل شتى

روى عن أبى جعفر أنه قال فى رجل ترك خالتيه ومواليه أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ الْمَالِ بَيْنَ الْخَالَتَيْنِ -رواية- ١-٢-رواية- ٢٤-١٢٥. و لا يرث الموالى مع أحد من القربات شيئا و إن كان بعيدا لأن الله تعالى قد ذكرهم وفرض لهم وأخبر أنهم أولى فى هذه الآية و لم يذكر الموالى. والحديث الذى رواه المخالفون أن مولى لحمزة توفى و أن النبى ص -رواية- ١-٢-رواية- ٣٤-٣٤-ادامه دارد [صفحہ ٣٤٦] أعطى بنت حمزة النصف وأعطى ورثة المولى الباقي -رواية- از قبل -٥٣ فهو خبر واحد و مع التسليم نقول لعل ذلك كان شيئا قبل نزول الفرائض فنسخ. فقد فرض الله للحلفاء فى كتابه فقال وَ الَّذِينَ عَقَدْتُمْ أَيْمَانَكُمْ

فَأَتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ وَلَكِنَّه نَسَخَ ذَلِكَ بِقَوْلِ وَ أَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ. فَمَتَى خَلَفَ أَحَدٌ مِنْ ذَوَى الْأَرْحَامِ وَ تَرَكَ مَوْلَاهُ الْمَنْعَمَ أَوِ الْمَنْعَمَ عَلَيْهِ فَالْمَالُ لِنَسِيْبِهِ وَ لَيْسَ لِلْمَوْلَىٰ شَيْءٌ فَإِنَّه تَعَالَى يَقُولُ وَ أَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا يَعْنِي الْوَصِيَّةَ لَهُمْ بِشَيْءٍ أَوْ هَبَهُ الْوَرِثَةُ لَهُمْ مِنَ الْمِيرَاثِ شَيْئًا - قرآن- ١١٦-١٦٦- قرآن- ١٨٩-٢٤٩- قرآن- ٣٧١-٥١٤

باب ذكر من يرث بالفرض والقربة

إشارة

قال الله تعالى لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَ الْأَقْرَبُونَ وَ لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَ الْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا. اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية فقال قوم إن أهل الجاهلية كانوا يرثون الذكور دون الإناث فنزلت هذه الآية ردا لقولهم . قرآن- ١٩-١٨٣ [صفحہ ٣٤٧] و قال الزجاج كانت العرب لا يرثون إلا من طاعن بالرمح و زاد عن الحریم فزلت هذه الآية ردا عليهم و بين أن للرجال والنساء نصيبا فى مال الميت قليلا كان المال أو كثيرا لكيلا يتوهم أنه إذا قل كان الرجال أولى به أو خالف حكمه حكم الكثير. وَ نَصِيْبًا مَّفْرُوضًا نَصِيْبٌ عَلَى الْحَالِ أَى لَهُمْ نَصِيْبٌ حَالُهُ أَنْ اللَّهُ فَرَضَهُ . وَ فى الآية دليل على بطلان القول بالعصبة لأن الله تعالى فرض الميراث للرجال والنساء فلو جاز أن يقال النساء لا يرثن فى موضع لجاز لآخرين أن يقولوا والرجال لا يرثون . ثم قال وَ إِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ هَذِهِ الْآيَةُ عِنْدَنَا مُحْكَمَةٌ غَيْرَ مَنْسُوخَةٍ وَ به قال ابن عباس و جماعته والمخاطب بقوله فَارْزُقُوهُمْ الْوَرِثَةَ أَمَرُوا بِأَنْ يَرْزُقُوا الْمَذْكُورِينَ إِذَا كَانُوا لِأَسْهَمِ لَهُمْ فِي الْمِيرَاثِ وَ قال آخرون إنما يتوجه إلى من حضرته الوفاة وأراد الوصية فإنه ينبغي له أن يوصى لمن لا يرثه من هؤلاء المذكورين بشىء من ماله والوجه الأول . قرآن- ٢٥١-٢٦٨- قرآن- ٥٠٢-٥٨٧- قرآن- ٦٦٥-٦٧٦ و قال سعيد بن جبیر إن كان الميت أوصى لهم بشىء أنفذت وصيته و إن كان الورثة أَرْضَخُوا لَهُمْ فَإِنْ كَانُوا صِغَارًا قَالَ وَلِيَهُمْ إِنِّي لَسْتُ أَمْلِكُ هَذَا الْمَالَ وَ لَيْسَ لِي إِذَا هُوَ لِلصِّغَارِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ وَ قَوْلُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ الْوَالِي الَّذِي لايَرِثُ الْمَذْكُورِينَ قَوْلًا مَعْرُوفًا وَ يَقُولُ إِنْ هَذَا الْقَوْمُ غَيْبٌ أَوْ يَتَامَى صِغَارٌ وَلَكُمْ فِيهِ حَقٌّ وَ لَسْنَا نَمْلِكُ أَنْ نَعْطِيَكُمْ مِنْهُ -روایت- ١-٢-روایت- ٢٢-٣٦٣ و قال ابن عباس إن قوله لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَ لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا -روایت- ١-٢-روایت- ٢٠-٢٠-ادامه دارد [صفحہ ٣٤٨] اِكْتَسَبْتُمْ فِي الْمِيرَاثِ -روایت- از قبل- ٢٧ فإن كان كذلك و إلفالعموم أيضا يتناوله .

فصل

و قال تعالى وَ لِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَ الْأَقْرَبُونَ وَ الَّذِينَ عَقَدْتُمْ أَيْمَانَكُمْ فَأَتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ مَعْنَى الْآيَةِ جَعَلْنَا الْمِيرَاثَ لِكُلِّ مَنْ هُوَ مَوْلَى الْمَيْتِ وَ الْمَوْلَى الْمَذْكُورُونَ فِي الْآيَةِ قَالَ مُجَاهِدٌ هُمُ الْعَصْبَةُ وَ قَالَ قَوْمٌ هُمُ الْوَرِثَةُ وَ هُوَ أَقْوَاهُمَا وَ التَّقْدِيرُ وَلَكُمْ جَعَلْنَا وَرثَهُ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَ الْأَقْرَبُونَ وَقِيلَ تَقْدِيرُهُ وَلِكُلِّ مَالٍ تَرَكَهُ مَيْتٌ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ أَى قَوْمًا يَرِثُونَهُ فَيَمْلِكُونَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَ الْأَقْرَبُونَ وَ قَالَ الْجَبَائِىُّ أَى لِكُلِّ شَيْءٍ عَارِثٍ هُوَ أَوْلَىٰ بِهِ مِنْ غَيْرِهِ يُسَمَّى الْوَارِثُ مَوْلَىٰ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ. ثُمَّ اسْتَأْنَفَ فَقَالَ وَ الَّذِينَ عَقَدْتُمْ أَيْمَانَكُمْ أَرَادَ بِذَلِكَ عَقْدَ الْمَصَاهِرَةِ وَ الْمُنَاكِحَةِ. وَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَ يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ

فِيهِنَّ وَ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّاخْتَار الطَّبْرِي أَن يَكُونَ الْمَرَاد بِهِ آيَاتِ الْفَرَائِضِ قَالَ لِأَنَّ الصَّدَاقَ لَيْسَ مِمَّا كَتَبَ اللَّهُ لِلنِّسَاءِ إِلَّا بِالنِّكَاحِ فَمَا لَمْ تَنْكَحْ فَلَا صَدَاقَ لَهَا عِنْدَ أَحَدٍ. وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوَالِدَانِ أَيْ وَ فِي الْمُسْتَضْعَفِينَ وَ الْيَتَامَى الصِّغَارِ مِنَ الذُّكُورِ وَ الْإِنثَاءِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لِأَيُّورَثُونَ الصِّغَارِ مِنَ الذُّكُورِ حَتَّى يَبْلُغُوا فَأَمْرُهُمْ أَن يَأْتُوا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوَالِدَانِ حَقُّوهُمْ مِنَ الْمِيرَاثِ . -قُرْآن- ١٥-١٣٣-قُرْآن- ٥٣٤-٥٥٢-قُرْآن- ٥٦٣-٥٧٢-قُرْآن- ٦٢٧-٧٨٣-قُرْآن- ٩١٩-٩٥١ [صَفْحَةُ ٣٤٩] قَالَ ابْنُ جَبْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْعِنَى قَوْلُهُ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ. وَ قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الْجَاهِلِيَّةَ لِأَيُّورَثُونَ الْمَرْأَةَ وَ لِأَلْمَوْلُودِ حَتَّى يَكْبُرَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الْمِيرَاثِ فِي أَوَّلِ النِّسَاءِ وَ هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَ تَرْغَبُونَ أَن تَنْكِحُوهُنَّ أَي تَرْغَبُونَ فِيهِنَّ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ وَقِيلَ أَي تَرْغَبُونَ أَن تَنْكِحُوهُنَّ . -قُرْآن- ٢٨-٤٧-قُرْآن- ٥٩-١٠٨-قُرْآن- ٢٢٦-٢٩٨

فصل

أَمَّا قَوْلُهُ وَ إِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَ كَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا فَإِنَّ الْمَخَالَفِينَ اسْتَدَلُّوا بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ الْبِنْتَ لَا تَجُوزُ الْمَالَ دُونَ بَنِي الْعَمِّ وَ الْعَصْبَةِ قَالُوا لِأَنَّ زَكْرِيَّا طَلَبَ وَلِيًّا وَ لَمْ يَطْلُبْ وَلِيَّةً وَ هَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ لِأَنَّ زَكْرِيَّا إِنَّمَا طَلَبَ وَلِيًّا لِوَجْهِهِ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْهَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ وَعَدَهُ أَنَّهُ يَرْزُقُهُ وَلِدًا رَضِيًّا فَسَأَلَ اللَّهُ إِنْجَاحَ ذَلِكَ . وَقِيلَ إِنَّمَا طَلَبَ وَلِيًّا لِأَنَّ مِنَ طَبَاعِ الْبَشَرِ الرَّغْبَةَ فِي الذُّكُورِ دُونَ الْإِنثَاءِ مِنَ الْأَوْلَادِ فَلِذَلِكَ طَلَبَ الذُّكْرَ عَلَى أَنَّهُ قِيلَ إِنْ لَفِظَ الْوَلِيُّ يَقَعُ عَلَى الذُّكْرِ وَ الْأُنثَى فَلَانَسَلِمَ أَنَّهُ طَلَبَ الذُّكْرَ بَلِ الَّذِي يَقْتَضِي الظَّاهِرَ أَنَّهُ طَلَبَ وَلِدًا سِوَاءَ كَانَ ذَكَرًا أَوْ أُنثَى . وَاعْلَمْ أَنَّ أَكْثَرَ الْخِلَافِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ مَخَالَفِينَا وَمَعْظَمِهِ فِي الْفَرَائِضِ وَ الْمَوَارِيثِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءٍ الْعَصْبَةُ وَ الْعَوْلُ وَ الرَّدُّ وَ نَحْنُ نَبِينُ بَعْدَ هَذَا أَنَّ الْحَقَّ فِي -قُرْآن- ١١-١٠٩ [صَفْحَةُ ٣٥٠] هَذِهِ الْأَصُولُ مَعْنَى كَمَا فِي جَمِيعِ الْمَوَاضِعِ فَإِذَا ثَبِتَ ذَلِكَ اسْتَغْنَيْنَا عَنِ التَّطْوِيلِ بِتَعْيِينِ الْمَسَائِلِ . وَ قَدْ اسْتَدَلُّنَا عَلَى أَمْهَاتِ مَسَائِلِ الْمَوَارِيثِ مِنَ الْكِتَابِ وَ فُرُوعِهَا لِأَيُّحْتَمَلُ هَذَا الْمَوْضِعَ ذَكَرَهَا غَيْرُ أَنَّا نَعْقُدُ هَاهُنَا جَمْلَةً تَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ الْمَذْهَبِ فَنَقُولُ الْمِيرَاثَ بِالْفَرْضِ لِأَيُّجْتَمِعُ فِيهِ إِلَّا مِنْ كَانَ قَرِيبًا وَاحِدَةً إِلَى الْمَيْتِ مِثْلَ الْبِنْتِ وَ الْبَنَاتِ مَعَ الْوَالِدِينَ أَوْ أَحَدَهُمَا فَإِنَّهُ مَتَى انْفَرَدَ وَاحِدٌ مِنْهُمُ أَخَذَ الْمَالَ كُلَّهُ بَعْضُهُ بِالْفَرْضِ وَ الْبَاقِي بِالرَّدِّ وَ إِذَا اجْتَمَعَا أَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ مَا سَمِيَ لَهُ وَ الْبَاقِي يَرُدُّ عَلَيْهِمْ إِنْ فَضَلَ عَلَى قَدْرِ سَهَامِهِمْ وَ إِنْ نَقَصَ لِمَزَاحِمَةِ الزَّوْجِ أَوْ الزَّوْجَةِ لَهُمْ كَانَ النِّقْصُ دَاخِلًا عَلَى الْبِنْتِ أَوْ الْبَنَاتِ دُونَ الْأَبَوَيْنِ أَوْ أَحَدِهِمَا وَ دُونَ الزَّوْجِ وَ الزَّوْجَةِ . وَ لَا يَجْتَمِعُ مَعَ الْأَوْلَادِ وَ لَا مَعَ الْوَالِدِينَ وَ لَا مَعَ أَحَدِهِمَا أَحَدٌ مِمَّنْ يَتَقَرَّبُ بِهِمَا كَالْكَالَتَيْنِ فَإِنَّهُمَا لَا يَجْتَمِعَانِ مَعَ الْأَوْلَادِ ذُكُورًا أَوْ إِنثَاءً وَ لَا مَعَ الْوَالِدِينَ وَ لَا مَعَ أَحَدِهِمَا أَبَا كَانَ أَوْ أُمَّبَلِ يَجْتَمِعُ كَلَالَةُ الْأَبِّ وَ كَلَالَةُ الْأُمِّ فَكَلَالَةُ الْأُمِّ إِنْ كَانَ وَاحِدًا كَانَ لَهُ السُّدْسُ وَ إِنْ كَانَ اثْنَيْنِ فَصَاعِدًا كَانَ لَهُمُ الثَّلَاثُ لِأَيُّنَقْصُونَ مِنْهُ وَ الْبَاقِي لِكَلَالَةِ الْأَبِّ فَإِنْ زَاحَمَهُمُ الزَّوْجُ أَوْ الزَّوْجَةُ دَخَلَ النِّقْصُ عَلَى كَلَالَةِ الْأَبِّ دُونَ كَلَالَةِ الْأُمِّ . وَ لَا يَجْتَمِعُ كَلَالَةُ الْأَبِّ مَعَ كَلَالَةِ الْأَبِّ وَ الْأُمِّ فَإِنْ اجْتَمَعَا كَانَ الْمَالَ كُلَّهُ لِكَلَالَةِ الْأَبِّ وَ الْأُمِّ دُونَ كَلَالَةِ الْأَبِّ ذَكَرًا أَوْ أُنثَى . وَ مِنْ يَرِثُ بِالْقَرَابَةِ دُونَ الْفَرْضِ لَا يَجْتَمِعُ إِلَّا مِنْ كَانَتْ قَرِيبًا وَاحِدَةً وَ أَسْبَابُهُ وَ دَرَجَتُهُ مَتَسَاوِيَةٌ فَعَلَى هَذَا لَا يَجْتَمِعُ مَعَ الْوَالِدِ الصَّلْبِ وَ لِدِ الْوَالِدِ ذَكَرًا أَوْ أُنثَى لِأَنَّ أَقْرَبَ بَدْرَجَةٍ . [صَفْحَةُ ٣٥١] وَ كَذَلِكَ لَا يَجْتَمِعُ مَعَ الْأَبَوَيْنِ وَ لَا مَعَ أَحَدِهِمَا مِمَّنْ يَتَقَرَّبُ بِهِمَا مِنَ الْإِخْوَةِ وَ الْأَخَوَاتِ وَ الْجَدِّ وَ الْجَدَّةِ عَلَى حَالٍ وَ لَا يَجْتَمِعُ الْجَدُّ وَ الْجَدَّةُ مَعَ الْوَالِدِ الصَّلْبِ وَ لَا مَعَ وَلَدِ الْوَالِدِ وَ إِنْ نَزَلُوا . وَ يَجْتَمِعُ الْأَبْوَانُ مَعَ وَلَدِ الْوَالِدِ وَ إِنْ نَزَلُوا لِأَنَّهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ لِلصَّلْبِ إِذَا لَمْ يَكُنْ وَلَدُ الصَّلْبِ . وَ الْجَدُّ وَ الْجَدَّةُ يَجْتَمِعَانِ مَعَ الْإِخْوَةِ وَ الْأَخَوَاتِ لِأَنَّهُمْ فِي دَرَجٍ وَ الْجَدُّ مِنْ قَبْلِ الْأَبِّ بِمَنْزِلَةِ الْأَخِّ مِنْ قَبْلِهِ وَ الْجَدَّةُ مِنْ قَبْلِهِ بِمَنْزِلَةِ الْأَخْتِ مِنْ قَبْلِهِ وَ الْجَدُّ مِنْ قَبْلِ الْأُمِّ بِمَنْزِلَةِ الْأَخِّ مِنْ قَبْلِهَا وَ الْجَدَّةُ مِنْ قَبْلِهَا بِمَنْزِلَةِ الْأَخْتِ مِنْ قَبْلِهَا . وَ أَوْلَادُ

الإخوة والأخوات يقاسمون الجد والجدة لأنهم بمنزلة آبائهم وآباء الجد والجدة وأمهاتهم يقاسمون الإخوة وأخوات أيضا. و لا يجتمع مع الجد والجدة من يتقرب بهما من العم والعممة والخال والخالة و لالجد الأعلى و لالجدة العليا. و على هذاتجربى جملة الموارث فإن فروعها لا تنحصر والآيات التى قدمناها تدل على جميع ذلك من ظاهرها و من فحواها

باب بطلان القول بالعصبة والعول وكيفية الرد

إشاره

الذى يدل على صحه مذهبنا وبطلان مذهبهم فى العصبة زائدا على إجماع الطائفة أذى هو حجة قوله تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وهذا نص فى موضع الخلاف لأن الله صرح بأن للرجال من الميراث نصيبا و أن للنساء أيضا نصيبا و لم يخص -قرآن- ١٠٢-٢١٩ [صفحة ٣٥٢] موضعا دون موضع فمن خص فى بعض الموارث الرجال دون النساء فقد خالف ظاهر هذه الآية. وأيضا فإن توريث الرجال دون النساء مع المواساة فى القربى والدرجة من أحكام الجاهلية و قد نسخ الله بشريعة نبينا محمدص أحكام الجاهلية و ذم من أقام عليها واستمر على العمل بها بقوله أ فحکم الجاهليّة يبغون و من أحسن من الله حكما. و ليس لهم أن يقولوا إنا نخص الآية التى ذكرتموها بالسنة و ذلك أن السنة التى لا تقتضى العلم القاطع لا يخص بها القرآن كما لا ينسخه بها وإنما يجوز بالسنة أن تخص أو تنسخ إذا كانت تقتضى العلم اليقين و لاخلاف فى أن الأخبار المروية فى توريث العصبة أخبار آحاد لا توجب علما وأكثر ما تقتضيه غلبة الظن على أن أخبار التعصيب معارضة بأخبار كثيرة يروونها فى إبطال أن يكون الميراث بالعصبة و أن يكون بالقربى والرحم و إذا تعارضت الأخبار رجعنا إلى ظاهر الكتاب . فإن قيل إذا كنتم تستدلون على أن العمات يرثن مع العمومة و بنات العم يرثن مع بنى العم و ما أشبه ذلك من المسائل بقوله تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وفى هذه الآية حجة عليكم فى موضع آخر لأننا نقول لكم ألا- و رثتم العم أو ابن العم مع البنت بظاهر هذه الآية و كيف خصتم النساء دون الرجال بالميراث فى بعض المواضع و خالفتم ظاهر الآية فالأساغ لمخالفكم مثل ما قلتموه . قلنا لا خلاف أن قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون أن -قرآن- ٢٧٦-٣٤١ -قرآن- ٩٤٢-٩٩٨ -قرآن- ١٢٥٣-١٣٠٩ [صفحة ٣٥٣] المراد به مع الاستواء فى القرابة والدرج ألا- ترى أنه لا- يورث ولد الولد ذكورا أو إناثا مع ولد للصلب لعدم التساوى فى الدرجة والقرابة و إن كانوا يدخلون تحت التسمية بالرجال والنساء و إذا كانت الدرجة والقرابة مراعاتين فالعم أو ابنه لا يساوى البنت فى القربى والدرجة و هو أبعد منها كثيرا و ليس كذلك العمومة والعمات و بنات العم و بنو العم لأن درجة هؤلاء واحدة و قرباهم متساوية والمخالف يورث الرجال منهم دون النساء فظاهر الآية حجة عليه و فعله مخالف لها و ليس كذلك قولنا فى المسائل التى وقعت الإشارة إليها فالفرق واضح فليأمل .

فصل

أما العول فإنه اسم يدخل فى الفرائض فى المواضع التى ينقص فيها المال عن السهام المفروضة منها فالذى يذهب إليه الإمامية أن المال إذا ضاق عن سهام الورثة قدم ذو السهام المولدة من الأبوين والزوجين على البنات والأخوات من الأب والأم أو من الأب وجعل الفاضل من السهام لهن . و قال المخالف إن المال إذا ضاق عن سهام الورثة قسم بينهم على قدر سهامهم كما يفعل فى

الديون والوصايا إذاضقت التركة عنها. و الذي يدل على صحه مانذهب إليه بعدالإجماع أن المال إذاضاق عن السهام كمرأه ماتت وخلفت ابنتين وأبوين والزوج والمال يضيق عن الثلثين والسدس والربع فنحن بين أمرين إما أن ندخل النقص على كل واحد من هذه السهام أو ندخلها على بعضها وقد أجمعت الأمه على أن البنتين هاهنا منقوصتان بلا- خلاف فيجب أن يعطى الأبوين السدسين والزوج الربع ويجعل مابقى للبنتين ونخصهما بالنقص لأنهما منقوصتان بالإجماع و ماعداهما ما [صفحہ ۳۵۴] وقع إجماع على نقصه من سهامه و لاقام دليل على ذلك . فظاهر الكتاب يقتضى أن له سهما معلوما فيجب أن نوفيه إياه ونجعل النقص لاحقا بمن أجمعوا على نقصه و قد استدل على ذلك بعض أصحابنا من القرآن و عليه اعتراضات كثيره فأضربنا عنه .

فصل

و أما الرد فعندنا أن الفاضل عن فرض ذوى السهام من الورثه يرد على أصحاب السهام بقدر سهامهم و لارد على الزوجين كمن خلف بنتا و بأفلبنت بالتسميه النصف وللأب بالتسميه السدس و مابقى بعد ذلك و هو ثلث المال رد عليهم بقدر أنصباثهما فللبنت ثلاثه أرباعه وللأب ربه . ويمكن أن يستدل عليه بقوله تعالى وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِذَا عَلَى الْإِجْمَاعِ فَدَلَّ عَلَىٰ أَن مِّنْهُ أَوْلَىٰ بِالرَّحْمِ وَأَقْرَبُ بِهِ أَوْلَىٰ بِالْمِيرَاثِ وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ قَرَابَةَ الْمَيْتِ وَذَوَىٰ أَرْحَامِهِ أَوْلَىٰ بِمِيرَاثِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَبَيْتِ الْمَالِ وَأَصْحَابِ السَّهْمِ غَيْرِ الزَّوْجِ وَالزَّوْجَةِ أَقْرَبُ إِلَى الْمَيْتِ مِنْ عَصْبَتِهِ فَوْجِبَ أَنْ يَكُونَ فَاضِلُ السَّهْمِ إِلَيْهِمْ مَصْرُوفًا. فَإِنْ قِيلَ لَمْ يَقَعْ التَّصْرِيحُ فِي الْآيَةِ أَنَّ أَوْلَى الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي الْمِيرَاثِ. قُلْنَا اللَّفْظُ يَحْتَمِلُ الْمِيرَاثَ وَغَيْرَهُ فَنَحْمَلُهُ بِحُكْمِ الْعُمُومِ عَلَى جَمِيعِ مَا يَحْتَمِلُهُ وَ مِنْ ادْعَى التَّخْصِيصَ فَعَلَيْهِ الدَّلِيلُ . واحتج المخالف لنا فى الرد بقوله إن امرؤ هلك ليس له ولمد له وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولمد فجعل للأخت النصف إدامات أخوها و لاولد له و لم يزد عليه فدل على أنها لا تستحق أكثر من النصف بحال من الأحوال . قرآن- ۳۱۴-۳۷۴-قرآن- ۸۷۱-۹۸۶ [صفحہ ۳۵۵] والجواب عن ذلك أن النصف إنما وجب لها بالتسميه لأنها أخت والزيادة إنما تأخذها لمعنى آخرها و هو الرد بالرحم و ليس يمتنع أن ينضاف سبب إلى آخر مثال ذلك الزوج إذا كان ابن عم و لاوارث معه فإنه يرث بالزوجيه النصف والنصف الآخر عندنا لأجل القرابه و عندمخالفينا لأجل العصبه و لم يجب إذا كان الله تعالى قدسمى النصف له مع فقد الولد أن لايزاد على ذلك لأنا قدينا أن النصف قد يستحق بسبب آخر و هو الرد فاختلف السببان

باب بيان أن فرض البنين الثلثان

اشاره

إن سأل سائل عن قوله تعالى فإن كن نساءً فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك فقال من أين تقولون إن فرض البنين هو الثلثان و قوله فوق اثنتين يتضمن بأن الثلثين سهم من زاد على البنين دون البنين .الجواب أن الله تعالى لماعلمنا الفرائض و قال يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيينه بذلك أولا على أن لكل ذكر حظ كل أنثيين لأن اللام التى فى كلتا الكلمتين للجنس تفيد ما ذكرنا فلما بين لنا ذلك علمنا أن للابن سهم البنين بهذا التصريح و علمنا أيضا أن للبنتين الثلثين بهذا البلوغ . وإنما قلنا ذلك لأنه إذا اجتمع ابن و بنت و كان للابن الثلثان وللبنث الثلث هاهنا علم من ذلك أن للبنتين الثلثين فكفى هذا النص فى بيان فريضه

البنتين و لم يحتج لأجل ذلك إلى غيره . -قرآن- ٣٢-٩٠-قرآن-١٤٩-١٦٣-قرآن-٢٧٣-٣٣٨ [صفحہ ٣٥٦] و ليس لأحد أن يقول إنما يتمشى لكم ذلك لو كان الثلثان في كل موضع نصيب الابن مع وجود البنتين والثلاث فصاعدا أيضا كما كان مع بنت واحدة و ذلك لأن أول العدد على ظاهر القرآن ذكر وأنثى وللذكر الثلثان فلا اعتبار بما سواه من الأحوال لأن الدرجة الأولى هي التي يبنى عليها واللفظ يقتضى ذلك . ويمكن أن يستدل على ذلك بوجه آخر و هو أن يقال إن الله تعالى بين نصيب الولد الذكر سهمين و ذكر الأنثيين و بين فرضهما من فحواه و بين فرض من فوق اثنتين من البنات بعده فدلّت الآية على سهم البنتين كما ذكرناه من فحواها و دلت على حظ من زاد عليهما من الثلاث والأربع فصاعدا من حيث ظاهر اللفظ والتصريح ليكون في باب الفصاحة أبلغ و من التكرار أبعده . و أما قوله **فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثًا مَا تَرَكَ** فقد علمنا به أن الثلثين فرض يسمى لمن زاد على البنتين أيضا كما أن هذه التسمية تصور مع فقد جنس البنتين من الثلثين فرض لهما بالنص الأول إلا أن هذه التسمية إنما تصور مع فقد جنس البنتين من الصلب . وكذا قوله **وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ** لأنه ليس للبنت الواحدة و لا للثنتين فصاعدا مع وجود ابن فما زاد فرض مسمى بل يكون الميراث بينهما للذكر مثل حظ الأنثيين ومثاله قوله تعالى **إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ** مسمى سبحانه للأخت الواحدة من الأب والأم أو من الأب النصف وللأختين منه الثلثين . وإنما يصح ذلك شريطة فقد أحد من الإخوة فصاعدا ألا ترى إلى قوله تعالى بعده **وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ** قد أسقط -قرآن- ٦٧٨-٧٣٦-قرآن- ٩٥٧-٩٩٣-قرآن- ١١٤٠-١٣١٣-قرآن- ١٤٧٩-١٥٥٣ [صفحہ ٣٥٧] فيه الاعتبار الأول وأثبت للذكر مثل حظ الأنثيين فيه إذا كانوا رجلا ونساء . واستدل بعض الفقهاء على أن للبنتين الثلثين من هذه الآية وحمل ذاك على هذا و ليس ذلك بشيء . و ماوردت أنا آية الكلاله في هذا الموضع للدلالة وإنما هي على طريق المثال والتمثيل جائز و ليس بقياس يدل عليه ماروى عبدالرحمن بن الحجاج عن أبي عبد الله ع في الرجل يرمى الصيد و هو يؤم الحرم فتصيبه الرمية فيتحمل بها حتى يدخل الحرم فيموت قال ع ليس عليه شيء إنما هو بمنزلة رجل نصب شبكة في الحل فوقع فيها صيد فاضطرب حتى دخل الحرم فمات فيه قلت هذا عندهم من القياس قال لا إنما شبهت لك شيئا بشيء -رواية- ١-٢-رواية- ٥٤-٣١١ . و ليس لأحد أن يقول ألزمت نفسك في إيراد هذا الجواب بهذا التطويل شيئا ليس يلزمك و قد أمكنك رد السائل بأن لودفعته بإبطال دليل الخطاب و ذلك لأن هذه الآية مظنة للنصوص على الموارد مفصلة في أصولها غير مجمله ليست آية من القرآن بهذا التفصيل في المعنى . و لو أجتب السائل بذلك لكان دفعا بالراح و لم يكن مغنيا بل يلزمني مع ذلك إيراد النص على ذلك من الآية أو من موضع آخر من الكتاب أو السنة والاشتغال بالأحسن أولى مع أن دليل الخطاب و إن كان المرتضى يمنع منه و هو قوی وكلامه لا غبار عليه فإن الشيخ المفيد كان يقول به وينصره والشيخ أبو جعفر الطوسي كان متوقفا فيه . فإن قيل إن ما استدلتتم به ضرب من القياس وأنتم لا تقولون به . قلنا هذا كلام من لا يعرف دلالة النص و لا حكم القياس و ذلك لأنه لا [صفحہ ٣٥٨] خلاف بين الفقهاء المحصلين أن الخطاب الذي يستقل بنفسه ويمكن معرفته المراد به على أربعة أقسام أولها ما وضع في أصل اللغة لما أريد به و كان صريحا فيه سواء كان خاصا أو عاما فمتى خاطب الحكيم به يعلم المراد بظاهره . وثانيها ما يفهم به المراد بفحواه لا بصريحه وليست دلالة هذا الضرب في القوة يقصر عن الضرب الأول و في الوجهين ربما يحتاج إلى قرينة . وثالثها تعليق الحكم بصفة الشيء فإنه يدل على أن ماعده بخلافه على ما يدل و إن كان فيه خلاف على ما أشرنا إليه . ورابعها ما يدل فائدته عليه لا بصريحه و لا فحواه و لا دليله . على أن الروايات عن أئمة الهدى ع الذين كان فيهم التنزيل و من عندهم التفسير والتأويل متظافرة في أن الثلثين فرض البنتين وكلامهم كله من رسول الله ص و ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى . فعلمنا ذلك منهم ع وأجمعت الطائفة المحققة على صحتها فإذا أضفنا كتاب الله إليه فتلك دلالة تنضاف إلى دلالة و إلا فإجماع الإمامية كفاية .

و من شجون الحديث أن أباهاشم الجعفرى ذكر أن الفهفكى سأل أبا محمدالعسكري ع فقال مابال المرأة المسكينه الضعيفه تأخذ سهما واحدا ويأخذ الرجل القوى سهمين فقال أبو محمد ع لأن المرأة ليس عليها جهاد و لانفقه و لامعقله إنما ذلك على الرجال فقلت فى نفسى قد كان قيل لى -روايه- ١-٢-روايه- ٤٨-ادامه دارد [صفحه ٣٥٩] إن ابن أبى العوجاء سأل أبا عبد الله ع عن هذه المسأله فأجابته بمثل هذاالجواب فأقبل ع على و قال نعم هذه مسأله ابن أبى العوجاء والجواب منا واحد إذا كان معنى المسأله واحدا -روايه- از قبل -١٨٦ و عن أبى عبد الله ع و قدسأله عبد الله بن سنان لم صار للذكر مثل حظ الأنثيين فقال لماجعل لها من الصداق -روايه- ١-٢-روايه- ٣-١١٧ و قال الرضاع إعطاء النساء نصف مايعطى الرجال من الميراث لأن المرأة إذاتزوجت أخذت و الرجل يعطى فلذلك وفر على الرجال ولأن الأنثى فى عيال الذكر إن احتاجت و عليه أن يعولها و عليه نفقتها و ليس على المرأة أن تعول الرجل و لاتؤخذ بنفقتها إن احتاج فوفر على الرجل لذلك و ذلك قوله الرّجال قَوَامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ -روايه- ١-٢-روايه- ١٨-٤٠٣

باب أن القاتل خطأ يرث المقتول من التركة لا من الدية

يدل عليه ظواهر آيات الموارث كلها مثل قوله تعالى يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ. فإذاورضنا بقاتل العمد فهو يخرج بدليل قاطع لم يثبت مثله فى قاتل الخطأ. ويمكن أن يقوى ذلك أيضا بأن الخاطئ معذور فلايجب أن يحرم - قرآن- ٥٥-١٢٠ [صفحه ٣٦٠] الميراث الذى يحرمه القاتل ظلما على سبيل العقوبة. فإن احتج المخالف بقوله وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَ دِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَإِنْ كَانَ الْقَاتِلُ خَطَأً وَارِثًا لِمَا وَجَبَ عَلَيْهِ تَسْلِيمُ الدِّيَةِ. فالجواب عن ذلك أن وجوب تسليم الدية على القاتل إلى أهله لايدل على أنه لايرث مادون هذه الدية من تركته لأنه لاتنافى بين الميراث و بين تسليم الدية وأكثر ما فى ذلك أن لايرث من الدية التى يجب عليه تسليمها شيئا و إلى هذانذهب -قرآن- ٨٠-١٧٢

باب أن المسلم يرث الكافر

جميع ظواهر آيات الموارث دالة على أن المسلم يرث الكافر لأن قوله يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ المسلم والكافر وكذلك آية ميراث الأزواج والزوجات والكلاليتين . وظواهر هذه الآيات كلها تقتضى أن الكافر كالمسلم فى الميراث فلما أجمعت الأمة على أن الكافر لايرث المسلم أخرجناه بهذا الدليل الموجب للعلم . ونفى ميراث المسلم من الكافر تحت الظاهر كميراث المسلم من المسلم و لايجوز أن يرجع عن هذاالظاهر بأخبار الآحاد التى يروونها لأنها توجب الظن و لايبخص بها و لايرجع عما يوجب العلم من ظواهر الكتاب . وربما عول بعض المخالفين لنا فى هذه المسائل على أن الموارث بنيت على النصره والولاء بدلالة قوله تعالى وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فَفَقَطَّ بِذَلِكَ الميراث بين المسلم المهاجر و بين المسلم الذى -قرآن- ٧٢-١٣٧-قرآن- ٦٧٣-٧٦١ [صفحه ٣٦١] لم يهاجر إلى أن نسخ ذلك بانقطاع الهجرة بعدالفتح فلذلك يرث الذكور من العصبه دون الإناث لنفى العقد والنصره عن النساء ولذلك لايرث القاتل عمدا ظلما و لاالعبد لنفى النصره. و هذاضعيف جدا لأننا أولا لانسلم أن الموارث بنيت على النصره والمعونه لأن النساء يرثن وكذا الأطفال و لانصره هاهنا وعله ثبوت الموارث غير معلومه على التفصيل و إن كنا نعلم على سبيل الجملة أنها للمصلحة. و بعد فإن

النصرة مبذولة من المسلم للكافر في الواجب على الحق كما أنها مبذولة للمسلم بهذه الشروط

باب أن ولد الولد ولد وإن نزل

الدليل على ذلك بعد الإجماع قوله تعالى يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ وهذا يدخل فيه الولد للصلب وولد الولد ولا خلاف أن مع أولاد الابن للوالدين السدسين . ولا اعتبار بخلاف بعض أصحاب الحديث من أصحابنا لأن الإجماع عندنا إنما كان حجة لكون المعصوم فيه و من خالف فيه معلوم أنه ليس بمعصوم فلا يعتد بخلافه ولا ينعكس ذلك علينا لأننا لانعلم أن كل من قال بما قلناه ليس بمعصوم لتجويز أن يكون بعض علماء الأمة الذي لا يعرف نسبه ولا ولادته إماما. فإن قيل لانسلم أن ولد الولد ولد حقيقة. قلنا هذا خلاف القرآن لأن الله تعالى قال وَحَلَالٌ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ولا خلاف أن امرأة ولد الولد يحرم نكاحها ووطؤها سواء كان -قرآن- ٤٣-١٠٨-قرآن- ٥٨٥-٦٣١ [صفحة ٣٦٢] ولد ابن أو ولد بنت وإن نزلوا ببطن كثيرة لا خلاف بين الأمة في ذلك وإنما شرط في الآية بقوله الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ لئلا يتوهم أن ولد الدعي الذي تنبأه به يحرم عليه نكاح زوجته إذا فارقتها فإن هذا الحكم يختص الولد للصلب وإن نزلوا. وقال تعالى وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ ولا خلاف أن من عقد عليه إنسان فإن الجد لا يجوز العقد عليها وإن علا وإذا كان الجد أبا في هذا الموضع فولد الولد يكون ولدا قال تعالى مَلَأَهُ أَيْكُمُ إِبْرَاهِيمَ. وقال تعالى نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ولا خلاف أنه عنى بذلك الحسن والحسين ع لأنه لم يحضر المباهلة غيرهما من الأبناء. وأيضا فلو أن إنسانا وصى بثلاث ماله لولد رسول الله ص ولولد على ع كان يجب أن لا تصح الوصية لأن أولادهما للصلب ليسوا بموجودين وولد الولد على هذا المذهب ليس بولد وكذا لو وقف وقفا عليهم كان يجب أن لا يصح الوقف لمثل ما قلناه و كل ذلك باطل بالاتفاق . فإن قيل لو كان ولد الولد ولدا على الحقيقة لوجب أن يكون المال بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين إذا كان ابن بنت وابن بنت ابن والمذهب بخلافه. قلنا في أصحابنا من ذهب إلى ذلك و كان المرتضى ينصره ونحن إذا قلنا بخلافه نقول لو خيلنا والظاهر لقلنا بذلك ولكن أجمعت الأمة على خلافه فإن مخالفينا لا يورثون ولد البنت مع ولد الابن شيئا أصلا وأصحابنا يقولون إن كل واحد يأخذ نصيب من يتقرب به -قرآن- ٩٧-١١٩-قرآن- ٢٥٤-٢٨٧-قرآن- ٤٢٥-٤٥٠-قرآن- ٤٦٦-٤٩٤ لقوله ع ولد -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-إداهه دارد [صفحة ٣٦٣] الولد يقوم مقام الولد إذا لم يكن ولد -رواية- از قبل -٤٣. فولد الابن يقوم مقام الابن ذكرا كان أو أنثى وولد البنت يقوم مقام البنت ويأخذ نصيبها ذكرا كان أو أنثى وإذا أقمناهم مقام آبائهم وأمهاتهم فكان هم أولاد للصلب للذكر مثل حظ الأنثيين . على أنه لو كان ميراث ولد الولد بالرحم والقربا لأدى إلى أنه إذا ترك بدرجتين عن ولد الصلب أن يكون المال للأخ دونه وإذ انزل ثلاث درج أن يكون المال للعم دونه إذ انزل بأربع درج أن يكون الميراث لابن العم دونه وأن يكون ولد الولد يقاسم الأخ و كل ذلك فاسد فكان يؤدي إلى أن يكون ولد الأخ لا يقاسم الجد وولد ولد الأخ مع العم يكون المال للعم و ذلك باطل

باب الزيادات

إشارة

أما قوله تعالى يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ فَمَنْ بَلَغَ مِنْكُمْ فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ. فإن قيل هلا قيل للأنثيين مثل حظ الذكر. قلنا بدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف هذا إجمالا تفصيله للذكر مثل حظ الأنثيين. فإن قيل هلا قيل للأنثيين مثل حظ الذكر. قلنا بدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف

حظه لذلك ولأنهم كانوا يورثون الذكور دون الإناث و هو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور أن ضوعف لهم نصيب الإناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرم من مع إدلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به وتقديره للذكر منهم فحذف الراجع إليه لأنه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم . -قرآن- ١٨-٤٩-قرآن- ١٤٤-١٧٦ [صفحہ ٣٦٤]

مسألة

أول من يتقرب إلى الميت بنفسه الولد والوالدان قال تعالى يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ثُمَّ قَالَ وَ لِلْبَوِيهِ إِلَى قَوْلِهِ عَلِيمًا حَكِيمًا أَقْدَمَ الْوَلَدَ وَالْوَالِدِينَ عَلَى جَمِيعِ ذَوِي الْأَرْحَامِ لِقُرْبِهِمْ مِنَ الْمَيِّتِ وَأَخْرَجَ مِنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْأَهْلِ عَنْ رَتْبِهِمْ فِي الْقُرْبَى وَجَعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ نَصِيبًا سَمَاهُ لَهُ وَبَيْنَهُ لِنَزُولِ الشَّبْهِ عَمَّنْ عَرَفَهُ فِي اسْتِحْقَاقِهِ . -قرآن- ٦٢-٩٣-قرآن- ١٠٣-١١٦-قرآن- ١٢٨-١٤٤

مسألة

و قوله وَ لِلْبَوِيهِ الضمير للميت و مابعدہ بدلہ بتكرير العامل والإبدال والتفصيل بعد الإجمال تأكيد وتشديد. فإن قيل كيف يصح أن يتناول الإخوة الأخوين والجمع خلاف التثنية. قلنا الإخوة يفيد الجمع المطلقه بغير كميئه والتثنيه كالتثليث والتربيع في إفادة الكميئه وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق فدل بالإخوة عليه . -قرآن- ٩-٢٢

مسألة

و قوله وَ إِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً الْكَلَالَةُ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْكِلَالِ وَ هُوَ ذَهَابُ الْقُوَّةِ مِنَ الْإِعْيَاءِ وَ اسْتَعْيَرَتْ لِلْقُرَابَةِ مِنْ غَيْرِجَهَةِ الْوَلَدِ وَالْوَالِدِ لِأَنَّهَا بِالْإِضَافَةِ إِلَى قُرَابَتِهِمَا كَالْضَعِيفَةِ. وَالْكَالَالَةُ يُطْلَقُ عَلَى مَنْ لَمْ يَخْلَفْ وَلَدًا وَلَا وَالِدًا وَعَلَى مَنْ لَيْسَ بَوْلَدٍ وَلَا وَالِدٍ مِنَ الْمَخْلُفِينَ وَعَلَى الْقُرَابَةِ مِنْ غَيْرِجَهَةِ الْوَلَدِ وَالْوَالِدِ فَإِذَا جَعَلَتْ صِفَةً لِلْوَارِثِ أَوِ الْمَمْلُوكِ مِنْهُ فَبِمَعْنَى ذِي كَلَالَةٍ كَمَا تَقُولُ فُلَانٌ مِنْ قُرَابَتِي تَرِيدُ -قرآن- ٩-٤٣ [صفحہ ٣٦٥] مِنْ ذِي قُرَابَتِي وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صِفَةً كَالْفَقَاقَةِ لِلْأَحْمَقِ . فَإِنْ جَعَلْتَهَا اسْمًا لِلْقُرَابَةِ فِي الْآيَةِ فَانْتِصَابُهَا عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ أَيْ يورث لأجل الكلاله أويورث غيره لأجلها فإن جعلت يورث على البناء للمفعول من أورث فالرجل حينئذ هو الوارث لا الموروث و كلاله حال أو مفعول به إذا قرئ يورث على البناء للفاعل بالتخفيف والتشديد [صفحہ ٣٦٦]

كتاب الحدود

إشاره

الحد في أصل اللغة المنع وحد العاصي سمي به لأنه شيء يمنع عن المعاوذة والحدود في الشريعة معروفة موضوعه للعصاة لا يجوز أن يتجاوز عنها وقد أمر الله بها في أشياء مخصوصه ونحن نذكر جميع وجوهها وجميع أحكامها بابا بابا إن شاء الله تعالى . و قال أبو عبد الله ع إن في كتاب علي ع أنه كان يضرب بالسوط وبنصف السوط و ببعض السوط يعني الحدود إذا أتى بسلام

أوجاريه لم يدركا لم يكن يبطل حدا من حدود الله قيل له كيف كان يضرب ببعضه قال كان يأخذ السوط بيده من وسطه فيضرب به أو من ثلثه فيضرب على قدر أسنانهم كذلك يضربهم بالسوط ولا يبطل حدا من حدود الله -رواية- ١-٢-رواية- ٢٧-٣٣٥ وقال قال على ع إن الله حد حدودا فلا تعدوها وفرض فرائض فلا تنقصوها وسكت عن أشياء ولم يسكت عنها نسيانا لها فلا تتكلفوها رحمه -رواية- ١-٢-رواية- ٢٣-٢٣-ادامه دارد [صفحه ٣٦٧] من الله لكم فاقبلوها -رواية- از قبل- ٢٦- والمريض إذا وجب عليه حد دون هلاكه يؤخذ دقاق فيضرب عليه لمره أو مرتين قال الله تعالى وَ خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ . - قرآن- ٩٣-١٤٠

فصل

قال الله تعالى وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا شرع الله تعالى في بدو الإسلام إذازنت الثيب أن تحبس حتى تموت والبكر أن تؤذى وتوبخ حتى تتوب ثم نسخ هذا الحكم فأوجب على الثيب الرجم و على البكر جلد مائة. -قرآن- ١٩-٢١٢ وروى عبادة بن الصامت أن النبي ص قال خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم -رواية- ١-٢-رواية- ٤٥-١٤٦ . وقيل المراد بالآية الأولى الثيب وبالثانية البكر بدلالة أنه أضاف النساء إلينا في الأولى فقال وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فكانت إضافة زوجية لأنه لو أراد غير الزوجات لقال من النساء و لافائدة للزوجية هاهنا إلا أنها ثيب . و قال أكثر المفسرين إن هذه الآية منسوخة لأنه كان الفرض الأول أن -قرآن- ١٠٠-١٤٥ [صفحه ٣٦٨] المرأة إذازنت وقامت عليها البينة بذلك أربعة شهود أن تحبس في البيت أبدا حتى تموت ثم نسخ ذلك بالرجم في المحصنين والجلد في البكرين .

فصل

وقوله أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا -قرآن- ٩-٤٢ قال ابن عباس معنى السبيل أنه الجلد للبكر مائة وللثيب المحصن الرجم -رواية- ١-٢-رواية- ١٨-٧٦ . وقوله يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ أى بالفاحشة فحذف الباء كما يقولون أتيت أمرا عظيما أى بأمر عظيم . وقال أبو مسلم وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ هى المرأة تخلو بالمرأة فى الفاحشة المذكورة عنهن أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا بالتزويج والاستغناء بالنكاح وهذا خلاف ما عليه المفسرون لأنهم متفقون على أن الفاحشة المذكورة فى الآية هى الزنا وهو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله ع . -قرآن- ١٠-٢٨-قرآن- ١١٢-١٤٣-قرآن- ١٩٣-٢٢٦ و لمانزل قوله الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي قَالَ النَّبِيُّ ص قد جعل الله لهن سبيلا- البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب الجلد ثم الرجم -رواية- ١-٢-رواية- ٣-١٤٩ . قال الحسن وقتادة إذا جلد البكر فإنه ينفى سنه و هو مذهبا و قال الجبائى النفى يجوز من طريق اجتهاد الإمام و أما من وجب عليه الجلد والرجم فإنه يجلد أولا- ثم يرجم وأكثر الفقهاء على أنهما لا يجتمعان فى الشيخ الزانى المحصن أيضا. وثبوت الرجم معلوم من جهة التواتر لا يخلج فيه شك و لا اعتداد بخلاف الخوارج فيه . [صفحه ٣٦٩] و أما قوله وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا المعنى بقوله اللذان فيه ثلاثة أقوال أقواها ما قال الحسن وعطا إنهما الرجل والمرأة و قال السدى و ابن زيد هما البكران من الرجال والنساء و قال مجاهد هما الرجلان الزانيان . قال الرماني قول مجاهد لا يصح لأنه لو كان كذلك لكان للثنية معنى لأنه إنما يجيء الوعد والوعيد بلفظ الجمع لأنه لكل واحد منهم أو بلفظ الواحد لدلالته على الجنس الذى يعمهم جميعهم و أما الثنية فلافائدة فيها والأول أظهر. و قال أبو مسلم هما الرجلان يخلوان فى الفاحشة بينهما. و الذى عليه جمهور المفسرين أن

الفاحشة هي الزنا هاهنا و أن الحكم المذكور في هذه الآية منسوخ بالحد المفروض في سورة النور وبعضهم قال نسخها الحدود بالرجم أو الجلد. وقوله تعالى فَأَذُوهُمَا قِيلَ فِي مَعْنَاهُ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَهُوَ التَّعْيِيرُ بِاللِّسَانِ وَالضَّرْبُ بِالنَّعَالِ وَقَالَ مُجَاهِدٌ هُوَ التَّوْبِيخُ . فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ ذَكَرَ الْأَذَى بَعْدَ الْحَبْسِ . قُلْنَا فِيهِ ثَلَاثَةٌ أَوْجُهُ أَحَدُهَا قَوْلُ الْحَسَنِ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ أَوْلَا ثُمَّ أَمْرٌ بِأَنْ يُوَضَعَ فِي التَّلَاوُفِ بَعْدَ مَكَانِ الْأَذَى أَوْلَا- ثُمَّ الْحَبْسِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ نَسَخَ الْحَبْسَ بِالْجُلْدِ أَوِ الرَّجْمِ . الثَّانِي قَالَ السُّدِّيُّ إِنَّهُ فِي الْبَكْرَيْنِ خَاصَّةً دُونَ الثَّيْبَيْنِ وَالْأُولَى فِي الثَّيْبَيْنِ دُونَ الْبَكْرَيْنِ . الثَّلَاثُ قَوْلُ الْفَرَاءِ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَسَخَتْ الْأُولَى . -قرآن- ١٣-٩٤- قرآن- ٧٤٢-٧٥١ [صفحہ ٣٧٠] وقال الجبائي في الآية دلالة على نسخ القرآن بالسنة المقطوع بها لأنها نسخت بالرجم أو الجلد والرجم ثبت بالسنة و من خالف في ذلك يقول هذه الآية نسخت بالجلد في الزنا وأضيف إليه الرجم زيادة لانسخا و لم يثبت نسخ القرآن بالسنة. و أما الأذى المذكور في الآية فليس بمنسوخ فإن الزاني يؤدي ويوبخ على فعله ويذم وإنما لا يقتصر عليه فزيد في الأذى إقامة الحد عليه وإنما نسخ الاقتصار عليه . وروى أن امرأة أتت عمر فقالت إني فجرت فأقم على حد الله فأمر برحمها و كان على ع حاضرًا فقال له سلها كيف فجرت قالت كنت في فلاة من الأرض أصابني عطش شديد فرفعت لي خيمة فأتيتها فأصببت فيها أعراييا فسألته الماء فأبى علي أن يسقيني إلا أن أمكنه من نفسي فوليت منه هاربة فاشتد في العطش حتى غارت عيناى وذهب لساني فلما بلغ مني العطش أتيت فسقاني ووقع على فقال علي ع هذه التي قال الله تعالى فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ هَذِهِ غَيْرَ بَاغِيَةٍ وَلَا عَادِيَةٍ فَخَلَا سَبِيلَهَا -روایت- ١-٢-روایت- ٩-٥١٢

فصل

أما قوله الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ الْآيَةُ فَإِنَّ حُكْمَ الزَّانِي لَا يَثْبُتُ إِلَّا بِشَهِيدَيْنِ أَحَدُهُمَا بِإِقْرَارِ الْفَاعِلِ بِذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ مَعَ كَمَالِ عَقْلِهِ مِنْ غَيْرِ إِجْبَارٍ -قرآن- ١١-٨١ [صفحہ ٣٧١] أربع مرات في أربع مجالس فلو أقر بالوطى في الفرج أربعاً حكم له بالزنا و إن أقر أقل من ذلك كان عليه التعزير. والثاني قيام البينة بالزنا و هو أن يشهد أربعة عدول على مكلف بأنه وطئ امرأة ليس بينها وبينه عقد و لا شبهة عقد و شاهدوا وطئها في الفرج فإذا شهدوا كذلك قبلت شهادتهم و حكم عليه بالزنا ووجب عليه ما يجب على فاعليه من أى قسم كان على ما ذكرناه. أمر الله في هذه الآية أن يجلد الزاني والزانية إذا لم يكونا محصنين كل واحد منهما مائة جلدة و إذا كانا محصنين أو أحدهما كان على المحصن الرجم بلا خلاف . وعندنا أنه يجلد أولاً مائة جلدة ثم يرجم و فى أصحابنا من خص ذلك بالشيخ والشيخة إذا زنيا و كانا محصنين كما ذكرناه فأما إذا كانا شابين محصنين لم يكن عليهما غير الرجم و هو قول مسروق . والإحصان الذى يوجب الرجم هو أن يكون له زوج يغدو إليها ويروح على وجه الدوام و كان حراً فأما العبد فلا يكون محصناً وكذا الأمة لا تكون محصنة وإنما عليهما نصف الحد خمسون جلدة. والحر متى كان عنده زوجة سواء كانت حرة أو أمة يتمكن من وطئها مخلى بينه وبينها أو كانت هذه أمة يطأها بملك اليمين فإنه متى زنى و جب عليه الرجم . و من كان غائباً عن زوجته شهراً فصاعداً أو كان محبوساً أو هى محبوسة هذه المدة فلا إحصان و من كان محصناً على ما قدمناه و قدمات زوجته أو طلقها بطل إحصانه .

فصل

وقد استدل بعض المفسرين على الرجم حيث يجب الرجم و على القتل [صفحہ ٣٧٢] حيث يجب القتل في الزنا من الكتاب فإن الله تعالى وضع قوله وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً فِي الْأَنْعَامِ وَبَنَى إِسْرَائِيلَ بَيْنَ قَوْلِهِ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ وَقَوْلِهِ وَلَا تَقْتُلُوا

النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ إِشَارَةً إِلَى ذَلِكَ لِأَنَّ الْحَقَّ الَّذِي يَسْتَبَاحُ بِهِ قَتْلَ النَّفْسِ فِي الشَّرِيعَةِ الْكُفْرَ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَقَوْدَ النَّفْسِ الْحَرَامِ وَالزَّوْجَةَ بَعْدَ الْإِحْصَانِ . وَ مَا ذَكَرْنَا مِنْ أَنَّهُ يَجْمَعُ عَلَى الزَّانِيِ الْمُحْصَنِ الْجِلْدَ وَالرَّجْمَ يَبْدَأُ بِالْجِلْدِ وَيُنْتَهِي بِالرَّجْمِ وَدَلِيلُنَا عَلَيْهِ إِجْمَاعُ الطَّائِفَةِ الْمُحَقِّقَةِ فَإِنَّهُ لَا خِلَافَ فِي اسْتِحْقَاقِ الْمُحْصَنِ الرَّجْمَ وَإِنَّمَا الْخِلَافُ فِي اسْتِحْقَاقِ الْجِلْدِ . وَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ إِيَّاهُ قَوْلُهُ تَعَالَى الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَالْمُحْصَنُ يَدْخُلُ تَحْتَ هَذَا الْأَسْمِ فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُسْتَحَقًّا لِلْجِلْدِ فَكَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ اجْلِدُوهُمَا لِأَجْلِ زَنَاهُمَا وَإِذَا كَانَ الزَّوْجَةُ عِلَّةً لِاسْتِحْقَاقِ الْحَدِّ وَجِبَ فِي الْمُحْصَنِ كَمَا وَجِبَ فِي غَيْرِهِ وَاسْتِحْقَاقُهُ الرَّجْمَ غَيْرُ مُنَافٍ لِاسْتِحْقَاقِهِ الْجِلْدَ لِأَنَّ اسْتِحْقَاقَ الْحَدِّينَ لَا يَتَنَافَى وَاجْتِمَاعُ اسْتِحْقَاقَيْنِ لَا يَتَنَاقِضُ وَ لَا تَحْمِلُ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى الْإِنْكَارِ لِأَنَّهُ تَخْصِيصٌ بِغَيْرِ دَلِيلٍ . وَالْخِطَابُ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَإِنْ كَانَ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْجَمَاعَةِ فَالْمُرَادُ بِهِ الْأُمَّةُ بِإِخْلَافٍ لِأَنَّ إِقَامَةَ الْحَدِّ لَيْسَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْإِمَامِ أَوْ لِمَنْ نَصَبَهُ الْإِمَامُ . فَإِذَا كَانَ الَّذِي مِنْ وَجِبَ عَلَيْهِ الرَّجْمَ قَدْ قَامَتْ عَلَيْهِ بَيْنَةٌ كَانَ أَوَّلَ مَنْ يَرْجِمُهُ الشُّهُودُ ثُمَّ الْإِمَامُ ثُمَّ النَّاسُ وَإِنْ كَانَ قَدْ وَجِبَ عَلَيْهِ بِإِقْرَارِهِ عَلَى نَفْسِهِ كَانَ أَوَّلَ مَنْ يَرْجِمُهُ الْإِمَامُ ثُمَّ النَّاسُ . -قرآن- ١٠٨-٦٦-١٠٨-قرآن- ١٤٧-١٧٢-قرآن- ١٨١-٢٤٠-قرآن- ٦٠٢-٦٧٢ [صفحة ٣٧٣] و ليس كل وطى حرام زنا لأنه قديطاً في الحيض والنفاس و هو حرام و لا- يكون زنا و كذا لو وجد امرأة على فراشه فظنها زوجته أو أمته فوطئها لم يكن ذلك زنا لأنه شبهة على أنه روى إذا وطئها من غير تحرز يقام عليه الحد سرا و عليها جهرا -روایت- ١-٢-روایت- ١٧-٧١ و يمكن الجمع بين الروایتين .

فصل

قوله وَ لَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ مَعْنَاهُ لَا تَمْنَعُكُمْ الرَّحْمَةُ مِنْ إِقَامَةِ الْحَدِّ وَ قَالَ الْحَسَنُ لَا يَمْنَعُكُمْ ذَلِكَ مِنَ الْجِلْدِ الشَّدِيدِ أَى إِنْ كُنْتُمْ تَصَدِّقُونَ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ وَ تَوَعَّدَ عَلَيْهِ وَ تَقْرُونَ بِالْبَعْثِ وَ النُّشُورِ وَ لَا يَأْخُذْكُمْ فِي مَا ذَكَرْنَاهُ الرَّأْفَةُ وَ لَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ فَمَنْ وَجِبَ عَلَيْهِ الْجِلْدُ فَاجْلِدُوهُ مِائَةَ جَلْدَةٍ كَأَشَدِّ مَا يَكُونُ مِنَ الْجِلْدِ وَ يَفْرُقُ الضَّرْبَ عَلَى بَدَنِهِ وَ يَبْقَى الْوَجْهَ وَ الرَّأْسَ وَ الْفَرْجَ . وَ الرَّجْمَ يَكُونُ بِأَحْجَارٍ صَغِيرَةٍ وَ يَكُونُ الرَّجْمُ مِنْ وَرَاءِ الْمَرْجُومِ لِثَلَاثِ يَصِيبُ وَجْهَهُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ . وَ يَنْبَغِي أَنْ يَشْعُرَ النَّاسُ بِالْحُضُورِ ثُمَّ يَجْلِدُ بِمُحْضَرٍ مِنْهُمْ لِيَنْزَجِرُوا عَنْ مَوَاقِعِهِ مِثْلَهُ قَالَ تَعَالَى وَ لِيَشْهَدَ عِذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ عِكْرَمَةُ الطَّائِفَةُ رَجُلَانِ فِصَاعِدَا وَ قَالَ قَتَادَةُ الْأَزْهَرِيُّ هُم ثَلَاثَةٌ فِصَاعِدَا وَ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ أَقْلَهُ أَرْبَعَةٌ وَ قَالَ الْجَبَائِيُّ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الطَّائِفَةَ أَقْلُ مِنْ ثَلَاثَةٍ فَقَدْ غَلَطَ مِنْ جَهَةِ اللَّغَةِ وَ قَالَ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَقِيمَ الْحَدَّ إِلَّا الْأُمَّةُ وَ وَلَا تَهْمُ وَ مَنْ خَالَفَ فِيهِ فَقَدْ غَلَطَ كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَقِيمَ الْحَدَّ . وَ قَدْ دَخَلَ الْمُحْصَنُ فِي حُكْمِ الْآيَةِ بِإِخْلَافٍ وَ كَانَ سَبِيحِيهِ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ -قرآن- ٧-١٠٣-قرآن- ٦٢٢-٦٦٩ [صفحة ٣٧٤] التَّأْوِيلُ فِي مَا فَرضَ عَلَيْكُمُ الزَّانِيَةَ وَ الزَّانِيَّ وَ لَوْ لَا ذَلِكَ لَنْصَبَ بِالْأَمْرِ وَ قَالَ الْمُبَرِّدُ إِذَا رَفَعْتَهُ فِيهِ مَعْنَى الْجِزَاءِ وَ لِذَلِكَ دَخَلَ الْفَاءُ فِي الْخَبْرِ وَ التَّقْدِيرِ الَّتِي تَزْنِي وَ الَّذِي يَزْنِي وَمَعْنَاهُ مِنْ زَنَى فَاجْلِدُوا فَيَكُونُ عَلَى ذَلِكَ عَامًا فِي الْجِنْسِ . ثُمَّ قَالَ الزَّانِي لَّا- يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً إِلَى قَوْلِهِ وَ حُرِّمَ ذَلِكُكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ قِيلَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ يَنْكِحُ جَمَاعَ وَ الْمَعْنَى أَنَّ الزَّانِيَّ لَا يَزْنِي إِلَّا بِزَانِيَةٍ وَ الزَّانِيَةَ لَا يَزْنِي بِهَا إِلَّا زَانٍ وَ جَمَلُهُ مَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَحْرِيمُ الزَّوْجَةِ . وَ قَالَ الْحَسَنُ رَجِمَ النَّبِيُّ صَ الثَّيْبَ وَ أَرَادَ عَمْرُ أَنْ يَكْتُبَهُ فِي آخِرِ الْمَصْحَفِ ثُمَّ تَرَكَهُ لِثَلَاثَةِ يَتَوَهَّمُ أَنَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ . وَ قَالَ قَوْمٌ إِنَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ وَ إِنَّ ذَلِكَ مَنْسُوخُ التَّلَاوَةِ دُونَ الْحُكْمِ . -قرآن- ٢٣٦-٢٨٤-قرآن- ٢٩٦-٣٢٩-قرآن- ٣٤٨-٣٥٤ وَ عَنْ عَلِيٍّ عَ أَنَّ الْمُحْصَنَ يَجْلِدُ مِائَةَ جَلْدَةٍ بِالْقُرْآنِ ثُمَّ يَرْجِمُ بِالسَّنَةِ وَ أَنَّهُ أَمْرٌ بِذَلِكَ -روایت- ١-٢-روایت- ١٧-٨٥

فصل

ومما يكشف عن ذلك قوله تعالى يا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِلَى قَوْلِهِ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا. قال ابن عباس أى أرسلوا بهم فى قصة زان محصن فقالوا لهم إن أفتاكم محمد بالجلد فخذوه و إن أفتاكم بالرجم فلا تقبلوه لأنهم كانوا قد صرفوا حكم -قرآن- ٣٤-٩٨-قرآن- ١١٠-٢٢٠ [صفحہ ٣٧٥] الحد الذى فى التوراة إلى جلد أربعين وتسويد الوجه والإشهار على حمار. و قال أبو جعفر ع إن امرأة من خير فى شرف منهم زنت وهى محصنة فكرهوا رجمها فأرسلوا إلى يهود المدينة يسألون محمدا طمعا أن يكون أتى برخصة فسألوا فقال هل ترضون بقضائى فقالوا نعم فأنزل الله عليهم الرجم فأبوه فقال جبريل سلهم عن ابن صوريا ثم اجعله بينك وبينهم فقال ع تعرفون ابن صوريا قالوا نعم هو أعلم يهودى فأرسل إليه فأتى فقال له رسول الله ص أنشدك الله هل تجدون فى كتابكم الذى جاء به موسى الرجم على من أحصن قال عبد الله بن صوريا نعم و الذى ذكرتنى لو لا مخافتى من رب التوراة أن يهلكنى إن كتمت ما اعترفت لك به فأنزل الله فيه يا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ فَقَامَ ابْنُ صُورِيَا وَسَأَلَهُ أَنْ يَذَكَرَ الْكَثِيرَ الَّذِي أَمَرَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُ فَأَعْرَضَ عَنِ ذَلِكَ -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٧٧٢ . قال أهل التفسير سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ قَبْلُونَ لَهُ كَمَا يُقَالُ لَا تَسْمَعُ مِنْ فُلَانٍ أَيْ لَا تَقْبَلُ مِنْهُ . وقيل قال المنافقون لليهود إن أمركم محمد بالجلد فخذوه واجلدوا و إن أمركم بالرجم فلا تقبلوا وسلوه عن ذلك ليقوله لا يحزنك الذين يسارعوننا الآية نهى الله نبيه ع أن يحزنه الذين يتبادرون فى الكفر من المنافقين و من اليهود. ورفع قوله سَمَاعُونَ فِيهِ قَوْلَانِ قَالَ سَيُؤَيِّدُهُ هُوَ ابْتِدَاءُ وَالْخَبْرُ مِنَ الَّذِينَ -قرآن- ١٩-٣٨-قرآن- ٢١٠-٢٤١-قرآن- ٣٤١-٣٥٠-قرآن- ٣٩٠-٤٠٢ . قال أهل التفسير سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ قَبْلُونَ لَهُ كَمَا يُقَالُ لَا تَسْمَعُ مِنْ فُلَانٍ أَيْ لَا تَقْبَلُ مِنْهُ . وقيل قال المنافقون لليهود إن أمركم محمد بالجلد فخذوه واجلدوا و إن أمركم بالرجم فلا تقبلوا وسلوه عن ذلك ليقوله لا يحزنك الذين يسارعوننا الآية نهى الله نبيه ع أن يحزنه الذين يتبادرون فى الكفر من المنافقين و من اليهود. ورفع قوله سَمَاعُونَ فِيهِ قَوْلَانِ قَالَ سَيُؤَيِّدُهُ هُوَ ابْتِدَاءُ وَالْخَبْرُ مِنَ الَّذِينَ هَذَا وَالثَّانِي قَالَ الزَّجَاجُ هُوَ رَفَعَ عَلَى أَنَّهُ خَيْرٌ مَبْتَدِئًا وَتَقْدِيرُهُ الْمُنَافِقُونَ هُمُ الْيَهُودُ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ وَ فِي مَعْنَاهُ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا سَمَاعُونَ كَلَامُكَ لِلْكَذِبِ عَلَيْكَ سَمَاعُونَ كَلَامُكَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ لِيَكْذِبُوا عَلَيْكَ إِذْ أَرَجَعُوا إِلَيْهِمْ أَيْ هُمْ عَيُونَ عَلَيْكَ وَقِيلَ إِنَّهُمْ كَانُوا رَسَلُوا أَهْلَ خَيْبَرَ وَ أَهْلَ خَيْبَرَ لَمْ يَحْضُرُوا فَلِهَذَا جَالِسُوكَ -قرآن- ١-٧

باب غير المسلم يفجر بالمسلم

جعفر بن رزق الله أن المتوكل بعث إلى أبي الحسن على بن محمد العسكري ع من سأله عن نصرانى فاجر بامرأة مسلمة فلما أخذ ليقام عليه الحد أسلم فأجاب ع أن الحكم عليه أن يضرب حتى يموت لأن الله عز و جل يقول فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَ كَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَبَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-٤١٢

باب الحد فى اللواط والسحق

قال الله تعالى وَ اللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَحْرٍ هَذِهِ الْآيَةُ فِي السَّاحِقَاتِ وَقَوْلُهُ وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فِي أَهْلِ اللُّوَاطِ . وأجمع السلف والخلف ماعدها على أن الآيتين فى الزناة والزواني و أن هذين الحكمين كانا فى أول الإسلام ثم نسخا بحكم الجلد والرجم . ثم اعلم أن اللواطى إذا أوقب فى الدبر يجب فيه القتل من غير مراعاة -قرآن- ١٩-٦٤-

قرآن-١١٣-١٥٢ [صفحه ٣٧٧] للإحصان فيه و الذى يقوى ذلك أن الحدود إنما وضعت فى الشريعة للزجر عن فعل الفواحش والجنايات وكلما كان الفعل أفحش كان الزجر أقوى و لاختلاف فى أن اللواط أفحش من الزنا والكتاب ينطق بذلك فيجب أن يكون الزجر أقوى و ليس هذا بقياس ولكنه ضرب من الاستدلال وربما قيل إن اللواط أفحش من الزنا لأنه إصابه لفرج لا يستباح إصابته و ليس كذلك الزنا. على أنه ليس يلزمنا تعليل الأحكام الشرعية فمتى نص الله على حكم فى كتابه أو على لسان نبيه ع فنحن نتلقاه بالقبول . و عن محمد بن أبى حمزة وهشام وحفص عن أبى عبد الله ع أنه دخل عليه نسوة فسألته امرأة منهن عن السحق فقال حدها حد الزانى فقالت المرأة ما ذكر الله ذلك فى القرآن فقال بلى فقالت وأين فقال هن أصحاب الرس -رواية- ١-٢-رواية-٦٢-٢٢٠ . فإذا ساحت المرأة أخرى وجب على كل واحدة منهما مائة جلده حدا و إن كانتا محصنتين كان على كل واحدة منهما الرجم . ويثبت الحكم فيه بقيام البينة وهى شهادة أربعة عدول أو إقرار المرأة على نفسها أربع مرات دفعة بعد أخرى من غير إكراه مع كمال عقلها. و أما اللواط و هو الفجور بالذكران فيثبت فيه الحد بإقرار المرء على نفسه فاعلا- كان أو مفعولا- أربع مرات على ما ذكرناه أو قيام البينة يشهدون على الفاعل والمفعول به فى الفعل ويدعون المشاهدة كالميل فى المكحلة كما هو فى الزنا. و من ثبت عليه حكم اللواط بفعلة الإيقاب كان حده أحد خمسة أشياء إما يرمى من مكان عال أو يرمى عليه جدار أو يضرب رقبتة أو يجرم أو [صفحه ٣٧٨] يحرق بالنار و إن أقيم عليه الحد بأحد الأربعة ثم يحرق جاز ذلك تغليظا وتشديدا للعقوبة وتعظيما لها. والجامع بين الفاجرين يجب عليه ثلاثة أرباع حد الزانى

باب الحد فى شرب الخمر

من شرب شيئا من المسكر قليلا أو كثيرا وجب عليه الحد ثمانون جلده حد المفترى. و قد ذكرنا فى باب تحريم الخمر أن قدامة بن مظعون شرب الخمر فلما أراد عمر أن يحده قال له قدامة لا-يجب على الحد فإن الله يقول لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا فَدَرَأَ عَنْهُ الْخَمْرَ فَقَالَ أمير المؤمنين على بن أبى طالب ع أقم على قدامة الحد فلم يدر عمر كيف يحده فقال لأمر المؤمنين أشر على فى حده فقال حده ثمانين إن شارب الخمر إذا شربها سكر و إذا سكر هذى و إذا هذى افترى قال الله تعالى وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً فَجَلده عمر ثمانين -رواية-١-٢-رواية-٣-٥٥٦ . و قد كان عثمان بن عفان يرى فى حد شرب الخمر أربعين جلده فشرى بعض أقاربه فى عهده وشهد عليه شاهدا عدل فأشار إلى أمير المؤمنين ع بضربه فضربه بدره لها رأسان أربعين جلده فكانت ثمانين . [صفحه ٣٧٩] و ليس هذا الحد حملا على حد القذف و لم يكن ما ذكره لعمر اجتهادا من على ع وإنما أومى إلى بعض ما سمعه من النبى ص فى وجه ذلك . و من شرب الخمر مستحلا لها حل دمه إذا استتيب كما هو الواجب و لم يتب فإن تاب أقيم عليه حد الشرب . و شارب المسكر يجلد عريانا على ظهره و كتفيه . و أتى برجل بعد وفاة النبى ص قد شرب الخمر و أقر بذلك فقيل لم شربتها وهى محرمة قال أسلمت و منزلى بين ظهرانى قوم يشربون الخمر ويستحلونها و لم أعلم أنها حرام فلم يدر أحد منهم ما الحكم فى ذلك فقال أمير المؤمنين ع ابعثوا من يدور به على مجالس المهاجرين والأنصار فمن تلا عليه آية التحريم فليشهد عليه فإن لم يكن أحد تلا عليه آية التحريم فلا شىء عليه ففعل بالرجل ما قاله فلم يشهد عليه أحد فخلى سبيله فقال سلمان يا أمير المؤمنين ع لقد أرشدتهم فقال ع إنما أردت أن أجدد تأكيد هذه الآية فى وفيهم أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون -رواية-١-٢-رواية-٣-٦٣٤

باب الحد فى السرقة

قال الله تعالى وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ظَاهِر الْآيَةِ يَقْتَضِي وَجوب القطع على كل من يكون سارقاً أو سارقةً لأن الألف واللام إن دخلا -قرآن- ١٩-٦٨ [صفحة ٣٨٠] على الأسماء المشتقة أفادا الاستغراق إذا لم يكن للعهد دون تعريف الجنس على ما ذهب إليه قوم و قد دل على ذلك في كتب أصول الفقه. فأما من قال القطع لا يجب إلا على من كان سارقاً مخصوصاً من مكان مخصوص مقداراً مخصوصاً و ظاهر الآية لا ينبئ عن تلك الشروط فيجب أن تكون الآية مجملة مفتقرة إلى بيان فقوله فاسد لأن ظاهر الآية يقتضي وجوب القطع على كل من يسمى سارقاً وإنما يحتاج إلى معرفة الشروط ليخرج من جملتهم من لا يجب قطعه فأما من يقطع فإنما نقطعه بالظاهر والآية مجملة فيمن لا يجب قطعه دون من يجب قطعه فسقط ما قالوه . و قال ابن جرير الظاهر يوجب أن يقطع من سرق كائناً من كان إلا أنه صح عن النبي ع أنه قال القطع في ربع دينار فصاعداً -رواية ١-٢-رواية ٣٠-٥٨ . و قوله فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا أمر من الله بقطع أيدي السارق والسارقة والمعنى أيماهما وإنما جمعت الأيدي لأن كل شيء من شيئين فثنيت بلفظ الجمع كما قال تعالى فَصَدَّ صَغَتْ قُلُوبُكُما ويمكن أن يقال إن في جمع أيديهما هنا إشارة إلى من سرق و ليس له اليمنى بل كانت قطعت في القصاص أو غير ذلك و كان له اليسرى قطعت له اليسرى . ونحن إنما اعتبرنا قطع الأيمان لإجماع المفسرين عليه ولقراءة ابن مسعود والسارقون والسارقات فاقطعوا أيماهما. -قرآن- ١٠-٣١-قرآن- ١٧١-١٩٣

فصل

وكيفية القطع عندنا يجب من أصول الأصابع الأربعة ويترك الإبهام والكف و هو المشهور عن أمير المؤمنين ع و قال أكثر الفقهاء إنه يقطع من [صفحة ٣٨١] المفصل من الكف والساعد وقالت الخوارج يقطع من الكف . و أما الرجل فعندنا تقطع الأصابع الأربع من مشط مسقط القدم ويترك الإبهام والعقب دليلنا إنما قلناه مجمع على وجوب قطعه و ما قالوه ليس عليه دليل . واليد يقع على جميع اليد إلى الكتف و لا يجب قطعه إليه بلا- خلافاً إلا- ما حكيناه عن لا يعتد به و قد استدل عليه قوم من أصحابنا بقوله قَوْلٌ لِلْعَذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ قَالُوا إِنَّمَا يَكْتُبُونَهُ بِالأصابع والمعتمد ما قلناه . على أنه يمكن أن يستدل على ذلك بقوله وَ ادْخُلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءً ومعلوم بإجماع المفسرين على أن النور ما كان في أكثر من أربع أصابع موسى ع . ويستدل على وجه آخر على أنه يجب قطع يد السارق من أصول الأصابع ويبقى له الراحة والإبهام و في السرقة الثانية يجب قطع رجله من صدر القدم ويبقى له العقب . و هو أننا نقول إن الله أمر بقطع يد السارق بظاهر الكتاب واسم اليد يقع على هذا العضو من أوله إلى آخره ويتناول كل بعض منه ألا ترى أنهم يسمون من عالج شيئاً بأصابعه أنه قد فعل شيئاً بيده قال تعالى قَوْلٌ لِلْعَذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ وآية الطهارة تتضمن التسمية باليد إلى المرفق فإذا وقع اسم اليد على هذه المواضع كلها وأمر الله بقطع يد السارق و لم ينضم إلى ذلك بيان مقطوع عليه في موضع القطع وجب الاقتصار على أقل ما يتناوله الاسم لأن القطع والإتلاف محظور عقلاً- فإذا أمر الله تعالى به و لا يبيان وجب الاقتصار -قرآن- ٣٤٧-٣٩٥-قرآن- ٤٨٥-٥٢٧-قرآن- ٩٨٣-١٠٣١ [صفحة ٣٨٢] على أقل ما يتناوله الاسم وأقل ما يتناوله الاسم مما وقع الخلاف فيه هو ما ذهب إليه الإمامية. فإن قيل هذا يقتضي أن يقتصر على قطع أطراف الأصابع و لا يوجب أن يقطع من أصولها. قلنا الظاهر يقتضي ذلك والإجماع منع منه و قدروى الناس كلهم أن علياً قطع من الموضع الذي ذكرناه و لم يعرف له مخالف في الحال و لا منازع و كان ع يقول إنى لأكره أن تدركه التوبة فيحتج على عند الله أنى لم أذع له من كرائم بدنه ما يركع به ويسجد -رواية ١-٢-رواية ٣-٢٢٢ . و

إذا اشترك نفسان أو جماعة في سرقة ما يبلغ النصاب من حرز قطع جميعهم لأن قوله وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ظاهره يقتضى أن القطع إنما وجب بالسرقة المخصوصة و كل واحد من الجماعة يستحق هذا الاسم فيجب أن يستحق القطع . -قرآن-

١٣٣-٨٤

فصل

والنصاب الذى يتعلق القطع به قيل فيه ستة أقوال أولها مذهبا و هوربع دينار و به قال الشافعى والأوزاعى لماروى عن النبى ص أنه قال القطع فى ربع دينار -رواية- ١-٢-رواية- ٢٥-٥٦. الثانى ثلاثة دراهم و هو قيمة المجن ذهب إليه مالك بن أنس. الثالث خمسة دراهم روى ذلك عن على ع و عن عمر أنهما قال لا يقطع إلا فى خمسة دراهم -رواية- ١-٢-رواية- ٣-٧٢ و هو اختيار أبى على قال لأنه بمنزلة [صفحة ٣٨٣] من منع خمسة دراهم من الزكاة فإنه فاسق. الرابع قال الحسن يقطع فى درهم لأن مادونه تافه. الخامس قال أبو حنيفة خمسة دراهم و قدروى أصحابه لأنه كان قيمة المجن. السادس قال أصحاب الظاهر يقطع فى القليل والكثير. و لا يقطع إلا من سرق من حرز و الحرز مختلف فلكل شىء حرز يعتبر فيه حرز مثله فى العادة وحده أصحابنا بأنه كل موضع لم يكن لغيره الدخول إليه والتصرف فيه إلا يذنه فهو حرز قال الجبائى الحرز أن يكون فى بيت أو دار يغلق عليه و له من يراعيه ويحفظه. و من سرق من غير حرز لا يجب عليه القطع قال الرمانى لأنه لا يسمى سارقا حقيقة وإنما يقال ذلك مجازا كما يقال سارق كلمة أو معنى فى شعر لأنه لا يطلق على هذا الاسم سارق على كل حال و قال داود يقطع إذا سرق من غير حرز. فعلى هذا السارق الذى يجب عليه القطع هو الذى يسرق من حرز ربع دينار فصاعدا أو ما قيمته كذلك و يكون كامل العقل والشبهة عنه مرتفعة حرا كان أو عبدا مسلما كان أو كافرا. و إذا سرق نفسان فصاعدا ما قيمته ربع دينار من حرز و وجب عليهما القطع فإن انفرد كل واحد منهما ببعضه لم يجب عليهما القطع لأنه قد نقص عن المقدار الذى يجب فيه القطع و كان عليهما التعزير ويمكن أن يستدل عليه من الآية. و من ترك القياس العقلى الذى هو جائر و هو الأصول واشتغل بالقياس الشرعى الذى هو محذور و هو الفروع إذ لا دليل على ثبوته فى الشرع و إن [صفحة ٣٨٤] جاز خبط خبط عشواء فليظنوا إلى الملحد الملهد أعمى البصر والبصيرة ضل عن حكمة الله بجهله فرآها مناقضة ثم نظم خبث عقيدته لصفاقه وجهه وقله مبالاته بالدين فقال يد بخمس مئين من عسجد فديت || ما بالها قطعت فى ربع دينار تناقض مالنا إلا السكوت له || نعوذ بالله مولانا من النار. و قد كان الأئمة المعصومون ع كشفوا وجه الحكمة فى ذلك و روى عن جدهم النبى الأسمى ص ما هو دواء العليل وشفاء الغليل ونظم السيد الإمام الكبير أبو الرضا الراوندى قدس الله سره مجيبا لذلك المعرى الله قومها تقويم خمس مئى || زجرا لقاطعها دفعا لإضرار و قدرأى قطعها فى الربع مصلحة || فى حفظ مال الورى يأياها الزارى. و قد هذى المعرى أيضا فقال هذا النبى الذى جبريل جادله || بالوحى و الله أولى خلقه المنحا ولى سيوف الأعدى هاج شيعته || و كان يكره فى أسنانها فلحا. فأجبتة و قلت يا من تحمل خسرانا و ماربحا || هذا النبى لقد أسدى و قد نصحا لنصرة الدين سام العز و أمته || وللطهارة فيهم أنكر الفلحا

فصل

أما قوله تعالى فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَ أَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ فإنه -قرآن- ١٨-٨٦ [صفحة ٣٨٥] سبحانه أخبر أن من تاب و ندم على ما كان منه من فعل الظلم بالسرقة وغيرها فإن الله يقبل توبته بإسقاط العقاب بها عن المعصية التى تاب عنها. فعلى هذا

لوتاب السارق قبل أن يرفع إلى الإمام وظهر ذلك منه ثم قامت عليه البيئته فإنه لا يقطع غير أنه يطالب بالسرقة وإن تاب بعد قيام البيئته عليه وجب قطعه على كل حال . وروى أن رجلا جاء إلى أمير المؤمنين ع فأقر بالسرقة فقال له على ع أتقرأ شيئا من كتاب الله قال نعم سورة البقرة فقال قدوهبت يدك لسورة البقرة فقال الأشعث أتبطل حدا من حدود الله فقال وما يدريك ما هذا إذقامت البيئته فليس للإمام أن يعفو قال الله تعالى وَ الْحَافِظُونَ لِجُدُودِ اللَّهِ فَإِذَا أقر الرجل على نفسه بسرقة فذلك إلى الإمام إن شاء عفا وإن شاء عاقب -رواية 1-2-رواية 3-379 . ولا يقطع حتى يقر بالسرقة مرتين و أنه سرق من حرز و كان نصابا فإن رجع ضمن السرقة و لم يقطع و قال الفقهاء إذقامت البيئته على السارق يجب قطعه على كل حال فإن كان تاب كان قطعه امتحانا و إن لم يكن تاب كان عقوبة وجزاء . ومتى قطع فإنه لا يسقط عنه رد السرقة سواء كانت باقية أو هالكة فإن كانت باقية ردها بلا خلاف و إن كانت هالكة رد عندنا قيمتها و قال أبو حنيفة وأصحابه لا يجب عليه القطع والغرامة معا فإن قطع سقطت عنه الغرامة و إن غرم سقط القطع . و من سرق بعد قطع اليد دفعه ثانية على ما ذكرناه قطعت رجله اليسرى [صفحة 386] حتى يكون من خلاف فإن سرق ثالثة حبس عندنا أبدا فإن سرق في الحبس قتل و لا يعتبر ذلك أحد من الفقهاء. فظاهر الآية يقتضى وجوب قطع العبد والأمة لتناول اسم السارق والسارقة لهما إذاسرقا و صح ذلك عليهما بالبيئته دون الإقرار. و قوله تعالى جزاء بما كسبنا معناه استحقاقا على فعلهما نكالا من الله أى عقوبته منه على ما فعلناه و قال مجاهد الحد كفارة و هذا غير صحيح لأن الله دل على معنى الأمر بالتوبة وإنما يتوب المذنب عن ذنبه والحد من فعل غيره وأيضا فمتى كان مصرا كان إقامة الحد عليه عقوبة والعقوبة لا تكفر الخطيئة كما لا يستحق بها الثواب والتوبة التى يسقط الله العقاب عندها هى الندم على ماضى من القبيح أو الإخلال بالواجب والعزم على ترك الرجوع إلى مثله فى القبح . فإن قيل قوله فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَعَلِ الصَّالِحَ شَرْطَ فِى قَبُولِ التَّوْبَةِ أَمْ لَا- فإن لم يكن شرطا فلم علق الغفران بمجموعهما. قيل له لا خلاف فى أن التوبة متى حصلت على شرائطها فإن الله يقبلها ويسقط العقاب و إن لم يعمل بعدها عملا صالحا غير أنه إذا تاب وبقى بعد التوبة فإن لم يعمل العمل الصالح عاد إلى الإصرار لأنه لا يخلو فى كل حال من واجب عليه و أما إن مات عقيب التوبة من غير فعل صلاح فإن الرحمة ياسقط العقاب تلحقه بلا خلاف . على أن قوله تعالى وَأَصْلَحَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ إِشَارَةً إِلَى الْعَزْمِ عَلَى تَرْكِ -قرآن- 244-261-قرآن- 288-306-قرآن- 708-746-قرآن- 1183-1192 [صفحة 387] المعاودة مع الندم و قال بعض المفسرين معناه وأصلح أمره بالتفصى عن التبعات ورد السرقة و هذا من شرائط صحة التوبة فيه . و أمارف قوله وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَإِنَّهُ عِنْدَ سَيُوبِهِ رَفَعَ عَلَى تَفْسِيرِ فَرَضِ فِيهِمَا يَتْلَى عَلَيْكُمْ حُكْمَ السَّارِقِ وَ السَّارِقَةَ وَقِيلَ مَعْنَاهُ الْجَزَاءُ وَ تَقْدِيرُهُ مِنْ سَرَقَ فَاقْطَعُوهُ وَ لَهُ صَدْرُ الْكَلَامِ . قال الفراء و لو أراد سارقا بعينه لكان النصب الوجه و يفارق ذلك قولهم زيدا فاضربه لأنه ليس فيه معنى الجزاء والمقصود واحد بعينه و ليس المقصد بالسارق واحدا بعينه وإنما هو كقولك من سرق فاقطعوا يده فهو فى حكم الجزاء والجزاء له صدر الكلام و قال الزجاج هو القول المختار. وأجمع العلماء على أن القطع لا يجب على السارق إلا بعد أن يأخذ المال الذى لغيره من دون إذنه من حرز و هو لا يستحقه - قرآن- 141-167

باب حد المحارب

قال الله تعالى إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ الْآيَةَ. من جرد السلاح فى مصر أو غيره و هو من أهل الريبة على كل حال كان محاربا و له خمسة أحوال فإن قتل و لم يأخذ المال وجب على الإمام أن يقتله و ليس لأولياء المقتول العفو عنه و لا للإمام و إن قتل و أخذ المال فإنه يقطع بالسرقة ويرد المال ثم يقتل بعد ذلك ويصلب و إن أخذ المال و لم يقتل و لم يجرح قطع ثم نفى

عن البلد فإن جرح و لم يأخذ المال و لم يقتل و يجب أن يقتصر منه ثم ينفي بعد ذلك و إن لم يجرح و لم يأخذ المال و يجب أن ينفي من البلد الذي -قرآن- ١٩-٧٢ [صفحة ٣٨٨] فعل فيه ذلك إلى غيره على ما قدمناه . و هذا التفصيل يدل عليه قوله تعالى أن يُقْتَلُوا أَوْ يُصَيَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ وَاللصُّ أَيْضًا مُحَارَبٌ . و قد أخبر الله في هذه الآية بحكم من يجهر بذلك مغالبا بالسلاح ثم أتبعه بحكم من يأتيه في خفاء في قوله وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ الْآيَةَ . و من سرق حرا فباعه و جب عليه القطع لأنه من المفسدين في الأرض . و دم اللص الذي يدخل على الإنسان في دفعه عن نفسه فيؤدى إلى قتل اللص هدر و لم يكن له قود و لاديه -قرآن- ٧٩-١٨٠-قرآن- ٣١٠-٣٣٦

باب الحد في الفرية

إشارة

قال الله تعالى وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً قَالَ سعيد بن جبیر هذه الآية نزلت في عائشة و قال الضحاك في جميع نساء المؤمنين و هذا أولى لأنه أعم فائدة لأن الأولى أيضا يدخل تحته و إن كان يجوز أن يكون سبب نزولها في عائشة لكن لا تقصر الآية على سببها . قال الحسن يجلد هذا القاذف و عليه ثيابه و هو قول أبي جعفر . و يجلد الرجل قائما و المرأة قاعده و قال ابراهيم يرمى عنه ثيابه و عندنا إنما يرمى عنه ثيابه إذا كان الحد في الزنا و كان وجد عريانا فإن وجد و عليه ثيابه في الزنا يجلد و عليه ثيابه قائما على كل حال . فإن مات من يجلد من الضرب لم يكن عليه قود و لاديه . -قرآن- ١٩-١١٩ [صفحة ٣٨٩] فإذا قال الرجل أو المرأة كافرين كانا أو مسلمين حرين أو عبيدين بعد أن يكونا بالغين لغيره من المسلمين البالغين الأحرار يازاني أو يلائط أو معناه معنى هذا الكلام بأى لغة كانت بعد أن يكون عارفا لموضوعها و بفائدة اللفظ و جب عليه الحد ثمانون و هو حد القاذف . فإن قال قد لظت بفلان كان عليه حدان حد للمواجهة و حد لمن نسبه إليه و الآية تدل على جميع ذلك . و قوله وَ لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ذَكَرْنَا فِي كِتَابِ الشَّهَادَاتِ بَيَانَهُ . و الحد حق المقذوف لأنه لا يزول بالتوبة . و قال بعض المفسرين و الفقهاء إذا كان القاذف عبدا أو أمه كان الحد أربعين جلدة و روى أصحابنا أن هذا الحد ثمانون في الحر و العبد و المسلم و الكافر و ظاهر العموم يقتضى ذلك و به قال عمر بن عبد العزيز و القاسم بن عبد الرحمن . و ثبت الحد في القذف بشهادة شاهدين مسلمين عدلين أو بإقرار القاذف على نفسه مرتين بأنه قذف و لا يكون الحد فيه كما هو في شرب الخمر و في الزنا في الشدة بل يكون دون ذلك . و قد ذكرنا أن القاذف لا يجرد على حال . و العفو عن القاذف في جميع الأحوال إلى المقذوف ألا ترى أنه لو قال لغيره يا ابن الزانية كانت المطالبة إلى الأم إن كانت حية و إن كانت ميتة و لها وليان أو أكثر و عفا بعضهم أو أكثرهم كان لمن بقى منهم المطالبة بإقامة الحد عليه على الكمال . -قرآن- ٣٧٣-٤١٠

فصل

و القذف على الإطلاق يكون بالزنا و ما في معناه و يكون بغير ذلك و المراد [صفحة ٣٩٠] في الآية قذفهن بالزنا بسببين أحدهما ذكر المحصنات عقيب آية الزواني و الثاني اشتراط أربعة شهداء . و القذف بالزنا أن يقول العاقل البالغ لمحصنة أو لمحصن يولد الزنا أو ما قدمناه ففيه الحد و القذف لغير الزنا أن يقول يا آكل الربا يا شارب الخمر يا فاسق يا عاص يا يهودى

يانصرانى.فعليه إذا كان المقذوف على ظاهر العدالة التعزير و هو مادون الحد و قال الفقهاء لا يبلغ به أدنى حد العيب و قال أبو يوسف يبلغ به تسعة وتسعون وللإمام أن يعزر إلى تسعة وتسعين . وشروط إحصان القذف الحرية والبلوغ والإسلام وزاد بعضهم العقل والعفة فمتى قال إنسان لمسلم أمك زانية وكانت أمه كافرة أو أمه كان عليه الحد تاما لحرمة ولدها المسلم الحر و إن قال لغيره من المماليك أو الكفار يا ابن الزانى أو يا ابن الزانية و كان أبوا المقذوف مسلمين أو حرين كان عليه الحد أيضا كاملا لأن الحد لمن لوواجهه بالقذف لكان له الحد تاما. ثم قال تعالى إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَى أبعادوا من رحمة الله فى الدنيا بإقامة الحدود عليهم ورد الشهادة و فى الآخرة بأليم العقاب . و هذا وعيد عام لجميع المكلفين فى قول ابن عباس و من قال الوعيد خاص فيمن قذف عائشة فقولہ لا يصح لأن الآية إذا نزلت فى سبب لم يجب قصرها عليه كآية اللعان وآية الظهار ومتى حملت على العموم دخل من قذفها فى جملتهم . و إذا لم يكن المقذوف محصنا يعزر القاذف و لا يحد. -قرآن- ٨٥٠-٩٤٠ [صفحہ ٣٩١] و قال الفقهاء أشد الضرب ضرب التعزير ثم ضرب الزنا ثم ضرب من شرب الخمر ثم ضرب القاذف

باب الزيادات

إشارة

إن قيل كيف قال يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ وَ الْمَتَوَفَى وَ الْمَوْتُ وَ الْحَدُّ قَلْنَا يَجُوزُ أَنْ يَرَادَ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَلَائِكَةُ الْمَوْتَ كَقَوْلِهِ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ حَتَّى يَأْخُذَهُنَّ الْمَوْتُ . وَ اللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةُ أَى يَرْهَقْنَهَا يُقَالُ أَتَى الْفَاحِشَةَ وَ جَاءَهَا وَ غَشِيَهَا وَ رَهَقَهَا وَ الْفَاحِشَةُ الزَّانَا لِزِيَادَتِهَا فِي الْقَبْحِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْقَبَائِحِ . وَ قِيلَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي السَّاحِقَاتِ وَ مَابَعْدَهَا فِي اللُّوَاطِينِ . -قرآن- ١٩-٣٩-قرآن- ١١٥-١٤٩-قرآن- ١٧٥-٢٠٣

مسألة

و قوله الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي فَاجْلِدُوا الْجِلْدَ ضَرْبَ الْجِلْدِ كَمَا يُقَالُ جِلْدُ ظَهْرِهِ وَرَأْسُهُ . وَ هَذَا حَكْمٌ مِنْ لَيْسَ بِمُحْصَنٍ مِنَ الزَّانِئَةِ وَ الزَّوَانِي فَإِنَّ الْمُحْصَنَ حَكَمَهُ الرَّجْمُ . وَ شَرَايِطُ الْإِحْصَانِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ سِتُّ الْإِسْلَامِ وَ الْحَرِيَّةُ وَ الْعَقْلُ وَ الْبُلُوغُ وَ التَّرْوِجُ بِنِكَاحٍ صَحِيحٍ وَ الدَّخُولُ وَ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ الْإِسْلَامُ لَيْسَ بِشَرْطٍ . فَإِنَّ قِيلَ اللَّفْظُ يَقْتَضِي تَعْلِيْقَ الْحَكْمِ بِجَمِيعِ الزَّانِئَةِ وَ الزَّوَانِي لِأَنَّ قَوْلَهُ -قرآن- ٩-٤٣ [صفحہ ٣٩٢] الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي عَامٌ فِي الْمُحْصَنِ وَ غَيْرِ الْمُحْصَنِ . قَلْنَا هُمَا يَدْلَانِ عَلَى جَنْسَيْنِ دَلَالَةٌ مُطْلَقَةٌ وَ الْجَنْسِيَّةُ قَائِمَةٌ فِي الْكُلِّ وَ الْبَعْضِ جَمِيعًا فَأَيُّهُمَا قَصْدُ الْمُتَكَلِّمِ فَلَا يُطْلَقُ إِلَّا عَلَيْهِ كَمَا يَفْعَلُ بِالْأَسْمِ الْمَشْتَرَكِ وَإِنَّمَا ابْتَدِئَ هُنَا بِذِكْرِ النِّسَاءِ وَ فِي آيَةِ السَّرْقَةِ بِالرِّجَالِ لِلتَّغْلِيْبِ وَ لِأَنَّ الْحَدَّ بِالْجِلْدِ إِنَّمَا يَجِبُ عَلَى الرَّجُلِ الشَّابِّ غَيْرِ الْمُحْصَنِ إِذْ ذَنْبِي وَ طَاوَعْتَهُ الْمَرْأَةُ فَإِنَّ أَكْرَهَهَا وَ غَضَبَ فَرْجِهَا فَإِنَّهُ يَجِبُ ضَرْبُ عُنُقِهِ الْبَتَّةَ . -قرآن- ١-٢٤

مسألة

وقوله تعالى وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءِ الْآيَةِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ ظَاهِرُهَا أَنْ يَكُونَ الْجَمْلُ الثَّلَاثَ بِمَجْمُوعِهِمْ
جزاء الشرط كأنه قيل و من قتل المحصنات فاجلدوهم ورددوا شهادتهم وفسقوهم أى فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق إلا الذين
تابوا. -قرآن- ١٦-٨٥

مسألة

عن سليمان بن خالد قلت لأبي عبد الله ع فى القرآن رجم قال نعم قلت كيف قال الشيخ والشيخة إذازنيا فارجموهما البتة فإنهما
قضايا الشهوة -رواية- ١-٢-رواية- ٢٢-١٤٢. و قد ذكرنا فى كتاب الصوم كيفية ذلك فى باب النسخ .

مسألة

و عن حنان بن سدير قال إن عباد المكى سأل الصادق ع عن -رواية- ١-٢-رواية- ٢٧-ادامه دارد [صفحه ٣٩٣] رجل زنى و
هومريض فإن أقيم عليه الحد خافوا عليه أن يموت ماتقول فى هذه المسألة فقال هذه المسألة من تلقاء نفسك أو أمرك إنسان
أن تسأل عنها فقال إن سفيان الثورى أمرنى أن أسألك عنها فقال إن رسول الله ص أتى برجل أحبن قد استسقى بطنه وبدت
عروق فخذي و قد زنى بامرأة مريضه فأمر رسول الله فأتى بعرجون فيه مائة شمراخ فضربه به ضربة واحدة و ضربها به ضربة واحدة
وخلى سبيلهما و ذلك قوله تعالى وَ خُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ وَ لَا تَحْنَثْ -رواية- از قبل -٤٦٣- [صفحه ٣٩٤]

كتاب الديات

إشارة

اعلم أن القتل على ثلاثة أضرب عمد محض و يجب فيه القود أو الدية على ما بينته و خطأ محض و خطأ شبيه العمد و فيهما الدية لا
غير و فى كل واحد منهما يجب على القاتل الكفارة بعد أخذ الدية أو العفو على ما ذكرناه فى باب الكفارة

باب القتل العمد وأحكامه

إشارة

قال الله تعالى وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا الْآيَةُ. فالعمد المحض هو كل من قتل غيره و كان بصيرا بالغاً كامل
العقل بحديد أو غيره إذا كان قاصداً بذلك القتل أو يكون فعله مما قد جرت العادة بحصول الموت عنده يجب عليه القود و
لا يستفاد منه إلا بحديد و إن كان قتل هو -قرآن- ١٩-٨٦ [صفحه ٣٩٥] صاحبه بغير الحديد و لا يمكن من تقطيع أعضائه و إن
كان هو فعل ذلك بصاحبه بل يؤمر بضرب رقبتة . ويستوى فى القاتل جميع ذلك ذكرنا كان أو أنثى حراً كان أو مملوكاً مسلماً
كان أو كافراً. و ليس لأولياء المقتول إلا نفسه و ليس لهم مطالبته بالدية فإن فادى القاتل نفسه بمال جزيل و رضوا به جاز. أخبر الله

تعالى فى هذه الآيه أن من يقتل مؤمنا متعمدا يعنى قاصدا إلى قتله أن جزاءه جهنم خالدا مؤبدا فيها وغضب الله عليه و قدينا أن غضب الله هو إرادة عقابه والاستخفاف به ولعنه معناه أبعد من رحمته . وسأل سماعه أبا عبد الله ع عن قول الله وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ قَالَ من قتل مؤمنا على دينه ولإيمانه فذاك المتعمد الذى قال الله تعالى فى كتابه وَ أَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا قلت فالرجل يقع بينه و بين الرجل شىء فيضربه بسيفه فيقتله قال ليس ذلك المتعمد الذى قال الله عز و جل -روايت- ١-٢- روايت- ٣-٣٣٠ . و إن كان قتله متعمدا لغضب أولسبب شىء من الدنيا فإن توبته أن يقاد منه و هذاحد من الله والتوبه منه مع الاستسلام . و إن لم يكن علم به أحد وانطلق إلى أولياء المقتول فأقر عندهم بقتل صاحبهم فإن عفوا عنه و لم يقتلوه وأعطاهم الدية أو عفوه عن الدية أيضا أعتق نسمة وصام شهرين متتابعين وأطعم ستين مسكينا كفارة وتوبه إلى الله تعالى .

فصل

واختلفوا فى صفة قتل العمد قال قوم لا- يكون قتل العمد إلا ما كان بحديد [صفحه ٣٩٦] و إليه ذهب أبوحنيفة وأصحابه والشافعى فى روايه . و قال آخرون إن من قصد قتل غيره بما يقتل مثله فى غالب العاده سواء كان بحديد حاده كالسلاح أو مثقله من حديد أو خنق أو سم أو إحراق أو تغريق أو ضرب بالعصا أو الحصى حتى يموت فإن جميع ذلك عمد يوجب القود و به قال الشافعى وأصحابه واختاره الطبرى و هو مذهبنا على ما ذكرناه و قد أمر الله تعالى بذلك فى قوله يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرِّ بِالْحَرِّ وَ الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَ الْأُنثَى بِالْأُنثَى . فإن قيل كيف قال كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْمَعْنَى فرض والأولياء مخيرون بين القصاص والعفو. قلنا عنه جوابان أحدهما أنه فرض عليكم ذلك إن اختار أولياء المقتول القصاص والفرض قد يكون مضيقا و قد يكون مخيرا فيه والثانى فرض عليكم ترك مجاوزة ما حد لكم إلى التعدى فيما لم يجعل لكم والقصاص الأخذ من الجاني مثل ما جنى و ذلك لأنه مال لجنايته . -قرآن- ٣٦٥-٤٨٧-قرآن- ٥٠٨-٥٢٣

فصل

وقال بعض المفسرين إن هذه الآيه منسوخه بقوله وَ كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ قال جعفر بن مبشر ليس هذا عندى كذلك لأنه تعالى إنما أخبرنا أنه كتبها على اليهود قلنا و ليس فى ذلك ما يوجب أنه فرض علينا لأن شريعتهم منسوخه بشريعتنا . و الذى نقوله نحن أن هذه الآيه ليست منسوخه لأن ماتضمنته معمول -قرآن- ٥٠-٩٧ [صفحه ٣٩٧] عليه و لا ينافى قوله النَّفْسَ بِالنَّفْسِ لأن تلك عامه و هذه خاصه ويمكن بناء تلك على هذه و لا تناقض و لا يحتاج إلى أن ينسخ إحداهما بالأخرى . و قال قتاده نزلت هذه الآيه لأن قوما من أهل الجاهليه كانت لهم جوله على غيرهم فكانوا يتعدون فى ذلك فلا يرضون بالعبد إلا الحر و لا المرأة إلا الرجل فنهاهم الله بهذه الآيه عن مثل ذلك . ويجوز قتل العبد بالحر والأنتى بالذكر إجماعا لقوله وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا وَلِقَوْلِهِ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ و قوله فى هذه الآيه الْحَرِّ بِالْحَرِّ وَ الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَ الْأُنثَى بِالْأُنثَى لا يمنع من ذلك لأنه تعالى لم يقل و لا يقتل الأنتى بالذكر و لا العبد بالحر و إذا لم يكن ذلك فى الظاهر فما تضمنته الآيه معمول به و ما قلناه مثبت بما تقدم من الأدله . و أما قتل الحر بالعبد فعندنا لا يجوز و به قال الشافعى و أهل المدينه و قال أهل العراق يجوز . و لا يقتل الوالد بالولد عندنا و عند أكثر الفقهاء و قال مالك يقتل به على بعض الوجوه . و أما قتل الوالد بالولد فعندنا تقتل به و عند جميع الفقهاء أنها جارية مجرى الأب . و أما قتل الولد بالوالد فيجوز إجماعا و لا يقتل مولى بعبده . ويجوز قتل الجماعة بواحد إجماعا

ولقوله وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا إِلَّا أَنْ عِنْدَنَا يَرِدُ أَوْلِيَاءَ الْمَقْتُولِ فَاضِلَ الدِّيَةِ وَعِنْدَهُمْ لَا يَرِدُ شَيْءٌ عَلَى حَالٍ . وَ إِذَا اشْتَرَكَ بَالِغٌ مَعَ طِفْلٍ أَوْ مَجْنُونٍ فِي قَتْلِ فَعِنْدَنَا لَا يَسْقُطُ الْقَوْدُ عَنِ الْبَالِغِ وَ بِهِ قَالَ الشَّافِعِيُّ وَ قَالَ أَهْلُ الْعِرَاقِ يَسْقُطُ . -قرآن- ٢٤-٤٠-قرآن- ٣٩٢-٤٤٨-قرآن- ٤٥٧-٤٧٣-قرآن- ٤٩٦-٥٥٢-قرآن- ١٠٩٥-١١٥١

فصل

ثم قال سبحانه فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ مَعْنَى عَفَى هَاهُنَا تَرَكَ مِنْ -قرآن- ١٧-٥٢ [صفحة ٣٩٨] عَفَى الْمَنَازِلَ لَو تَرَكَ حَتَّى دَرَسَتْ وَالْعَفْوُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ تَرَكَ الْعِقَابَ عَلَيْهَا. وَالْعَفْوُ عَنِ الْقَتْلِ يَكُونُ عَلَى وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنْ يَعْفُوَ أَوْلِيَاءَ الْمَقْتُولِ عَنِ الْقَاتِلِ وَيَصْفَحُوا عَنْهُ وَ لَا يَطْلُبُونَ مِنْهُ شَيْئًا إِمَّا لِلتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِمَّا لَغَرَضٍ مِنَ الْأَغْرَاضِ . وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ الْعَفْوُ تَرَكَ الْقَوْدَ بِقَبُولِ الدِّيَةِ إِذَا بَذَلَ الْقَاتِلُ وَرَضِيَ بِهِ أَوْلِيَاءَ الْمَقْتُولِ . وَأَوْلِيَاءَ الْمَقْتُولِ كُلِّ مَنْ يَرِثُ الدِّيَةَ إِلَّا الزَّوْجَ وَ الزَّوْجَةَ لَيْسَ لَهُمَا غَيْرُ سَهْمِهِمَا مِنَ الدِّيَةِ إِنْ قَبِلَهَا الْأَوْلِيَاءُ أَوَالْعَفْوُ عَنْهُ بِمَقْدَارِ مَا يَصِيبُهُمَا مِنَ الْمِيرَاثِ وَ لَيْسَ لَهُمَا الْمَطْلَبَةُ بِالْقَوْدِ وَ أَمَا مَنْ سَوَاهُمَا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ فَلَهُمُ الْمَطْلَبَةُ بِالْقَوْدِ وَلَهُمُ الرِّضَا بِالدِّيَةِ . وَلَهُمُ الْعَفْوُ عَلَى الْجَمَاعِ وَالْأَنْفِرَادِ ذَكَرْنَا أَنَّ أَوَانْتَى فَإِنْ اخْتَلَفُوا فَبَعْضُ عَفَا عَنِ الْقَاتِلِ وَبَعْضُ طَلَبَ الْقَوْدَ وَبَعْضُ رَضِيَ بِالدِّيَةِ كَانَ لِلَّذِي يَطْلُبُ الْقَوْدَ أَنْ يَقْتُلَ الْقَاتِلَ إِذَا رَدَّ عَلَى الَّذِي طَلَبَ الدِّيَةَ مَا لَهُ مِنْهَا وَرَدَّ عَلَى أَوْلِيَاءِ الْقَاتِلِ سَهْمَ مَنْ عَفَا عَنْهُ . وَ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ إِذَا كَانَ لِلْمَقْتُولِ وَلَدٌ صَغِيرًا وَ كِبَارًا فَلِلْكَبَارِ أَنْ يَقْتُلُوا وَاحْتِجَّ بِقَاتِلِ عَلَى عَ وَ قَالَ غَيْرُهُ لَا يَجُوزُ حَتَّى يَبْلُغَ الصَّغَارَ وَعِنْدَنَا أَنْ لَهُمْ ذَلِكَ إِذَا ضَمِنُوا حِصَّةَ الصَّغَارِ مِنَ الدِّيَةِ إِذَا بَلَّغُوا وَ لَمْ يَرْضُوا بِالْقَصَاصِ . وَ قَالَ الزَّجَّاجُ مَعْنَى قَوْلِهِ فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ أَيْ مَنْ تَرَكَ قَتْلَهُ وَرَضِيَ مِنْهُ بِالدِّيَةِ وَ هُوَ قَاتِلٌ مُتَعَمِّدٌ لِلْقَتْلِ فَقَدْ عَفَى لَهُ بِأَنْ دَيْتَهُ وَرَضِيَ مِنْهُ بِالدِّيَةِ وَ هُوَ مِنَ الْعَفْوِ الَّذِي هُوَ الصَّفْحُ وَ تَرَكَ الْمَوْأَخِذَةَ بِالذَّنْبِ فَمَعْنَى عَفَى لَهُ صَفْحَ عَنْهُ بِأَنْ لَا يُؤَاخِذَ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْقَصَاصِ وَالْقَتْلِ . وَقِيلَ الْعَفْوُ التَّرَكُّ كَمَا قَدَّمْنَاهُ وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ص -قرآن- ١٠٣٠-١٠٦٥ [صفحة ٣٩٩] عَفْوَتْ عَنْكُمْ عَنْ صَدَقَةِ الْخَيْلِ -رواية- ١-٢-رواية- ٣-٣٠ أَيْ تَرَكَتْهَا وَأَصْلُ الْعَفْوِ مَحْوُ الْأَثَرِ . وَ هَذَا الْعَفْوُ كَمَا ذَكَرْنَاهُ عَلَى ضَرِيَيْنِ أَحَدُهُمَا عَفْوُ عَنِ دَمِ الْقَاتِلِ وَ عَنِ الدِّيَةِ جَمِيعًا وَ الْآخَرُ عَفْوُ عَنِ الدَّمِ وَ الرِّضَا بِالدِّيَةِ وَ هُوَ الْمَرَادُ بِالْآيَةِ . وَ الْمَرَادُ بِقَوْلِهِ مِنْ أَخِيهِ أَيْ مِنَ الْقَاتِلِ عَفَا وَ لِي الْمَقْتُولِ عَنِ دَمِهِ الَّذِي لَهُ مِنْ جِهَةِ أَخِيهِ الْمَقْتُولِ وَ الْمَرَادُ بِقَوْلِهِ شَيْءٌ الدَّمُ فَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ مِنْ أَخِيهِ يَعُودُ إِلَى أَخِي الْمَقْتُولِ فِي قَوْلِ الْحَسَنِ وَ قَالَ الْآخَرُونَ تَعُودُ إِلَى أَخِ الْقَاتِلِ . فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَعُودَ عَلَى أَخِي الْقَاتِلِ وَ هُوَ فِي تِلْكَ الْحَالِ فَاسِقٌ . قِيلَ عَنْ ذَلِكَ ثَلَاثَةٌ أَجْوِبُهُ أَحَدُهَا أَنَّهُ أَرَادَ إِخْوَةَ النَّسَبِ لَا فِي الدِّينِ كَمَا قَالَ وَ إِلَى عَادِ إِخْوَتِهِمْ هُوَذَا الثَّانِي أَنْ الْقَاتِلَ قَدِ تَوَبَّ وَ يَدْخُلُ فِي الْجُمْلَةِ غَيْرِ التَّائِبِ عَلَى وَجْهِ التَّغْلِيْبِ الثَّلَاثُ تَعْرِيفُهُ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ كَانَ أَخَاهُ قَبْلَ أَنْ قَتَلَهُ كَمَا قَالَ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبَّغْنَ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ يَعْنِي الَّذِينَ كَانُوا أَزْوَاجَهُنَّ . -قرآن- ١٧٨-١٨٨-قرآن- ٢٧٧-٢٨١-قرآن- ٣٠٤-٣١٤-قرآن- ٥٣٣-٥٥٩-قرآن- ٦٩٧-٧٨٣

فصل

قوله تعالى فَاتَّبَاعَ بِالْمَعْرُوفِ عَنِ الْعَافِي وَ عَلَى الْمَعْفُو عَنْهُ أَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ وَ بِهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ الْحَسَنُ وَ هُوَ الْمَرْوِيُّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع وَ قَالَ قَوْمٌ هُمَا عَنِ الْمَعْفُو عَنْهُ . وَ دِيَةُ الْقَصَاصِ فِي قَوْدِ النَّفْسِ أَلْفُ دِينَارٍ أَوْ عَشْرَةُ آلَافِ دَرَاهِمٍ أَوْ مِائَةٌ مِنْ مَسَانِ الْإِبِلِ أَوْ مِائَتَانِ مِنَ الْبَقَرِ أَوْ أَلْفُ شَاةٍ أَوْ مَا شَاكَلَهُ فَهَذِهِ السُّتَةُ أَصْلُ -قرآن- ١٤-٣٥-قرآن- ٦٧-٩٠ [صفحة ٤٠٠] فِي نَفْسِ الدِّيَةِ وَ لَيْسَ

بعضها بدلا من بعض و هذا كما نقول في زكاة الفطرة إنها تجب صاع من أحد الأجناس الستة الحنطة والشعير والتمر والزبيب والأرز والأقط فإن كل واحد منها أصل فيها و ليس بعضها بدلا من بعض . و لا يجبر القاتل عمدا على الدية فإن رضى فهي عليه في ماله فإن لم يقبل أولياء المقتول الدية فأدى القاتل نفسه بأضعاف الدية فلا بأس بقبوله . فاتباع بالمعروف أى فعله اتباع الأخ العافى بمعروف . و أداء إليه بإحسان أى يتبعه بالحمد والشكر والثناء ويؤدى إليه الدية بإحسان أى على وجه جميل . و قال الزجاج قيل على الولي العافى اتباع القاتل بالمطالبة للدية و على القاتل أداء الدية بإحسان و قال وجائز أن يكون الاتباع بالمعروف والأداء بالإحسان جميعا على القاتل . وجاء فى التفسير أن الأداء بإحسان أن يكون منجما و لا يذهب شىء من الدية والاتباع بالمعروف أن يقبضها برفق و قال أبو مسلم أى على قاتل العمد الذى يرضى منه ولى المقتول بالدية ويعفو له عن القود أن يتبع ما أمره الله فى إعطاء الولي ما يصلح عليه و يرضى به منه و يحتمل بالمعروف أن يكون صفة لأمر الله أن يكون ما يتعارفه العرب بينها من دية القتلى بينهم إذا أرادوا الإصلاح وحقن الدماء . ويؤخذ دية العمد نسيئة و قد حدث الله كل واحد منهما على الإحسان فليؤد المطلوب إلى الطالب إن استطاع بتعجيل و ليرفق الطالب فى طلب الدية . وأنكر بعض أهل اللغة أن يكون العفو فى الآية بمعنى الإعطاء كما قاله البصرى إن الضمير فى أخيه يرجع إلى أخى المقتول الذى يرث دمه والأخ المراد به فى النسب بذل له من دم أخيه شىء يعطى عفوا أى الدية فى سهولة و ذلك لأنه لو كان من الإعطاء لقليل فمن أعطى له و ليس فى الكلام - قرآن- ٣٥٤-٣٧٥-قرآن-٤١٦-٤٤٢-قرآن-١٣٣٣-١٣٣٩ [صفحہ ٤٠١] عفى له منه بمعنى أعطاه عفوا إنما يقال عفى له بكذا إذا أعطاه وإنما هو عفو ولى المقتول عن دية القاتل . و قوله القاتل لا يكون أخا المقتول إلا فى النسب ليس بصحيح لأنه يمكن أن يكون القاتل عمدا والمقتول مسلمين . قال ابن مهران يزيد الصحيح أن الضمير فى أخيه للقاتل الذى عفى له القصاص وأخوه ولى المقتول والضمير فى إليها أيضا له أى يؤدى القاتل الدية إلى الولي العافى بإحسان أى من غير مظل و لا أذى . -قرآن- ٢٦٣-٢٦٩-قرآن-٣٣١-٣٣٧-قرآن-٣٨٨-٣٩٦

فصل

ثم قال ذلك تخفيف من ربكم و رحمة المشار إليه بذا ترخيص الله ترك القصاص والاقتصاص على الدية فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم أى من اعتدى بعد البيان فى الآية فقتل غير قاتل و ليه أو بعد قبول الدية فله عذاب أليم أى من قتل منكم نفسا فى الدنيا قتله فى النار مائة ألف قتله مثل قتله صاحبه . وجاء فى التفسير أن الاعتداء هاهنا أن يقتل بواحد عدة كما كان يفعل كبراء الكفار فى الجاهلية و كل هذا يحتمل فى الآية و المروى عن ابن عباس أن الاعتداء هو القتل بعد قبول الدية وكذلك عن أبى جعفر و أبى عبد الله ع . و معنى تخفيف من ربكم أنه جعل لكم القصاص أو الدية أو العفو و كان لأهل التوراة قصاص و عفو ولأهل الإنجيل عفو ودية . و قال و لكم فى القصاص حياة المراد به القصاص فى القتل وإنما كان فيه حياة من وجهين أنه إذا هم الإنسان بالقتل فذكر القصاص ارتدع فكان ذلك سببا للحياة حياة للذى هم هو بقتله و حياة له لأنه من أجل القصاص أمسك عن القتل فسلم من أن يقتل و قال السدى من جهة أنه لا يقتل إلا القاتل دون غيره خلاف فعل الجاهلية الذين كانوا يتفألون بالطوائف و -قرآن- ١٠-٤٦-قرآن-١٠٧-١١٩-قرآن-١٢٩-١٤٩-قرآن-٥٤٨-٥٦٧-قرآن-٦٧٠-٦٩٧ [صفحہ ٤٠٢] المعنيان جميعا حسنان و نظير هذه الآية قولهم القتل أنفى للقتل . وإنما خص الله بالخطاب أولى الألباب لأنهم المكلفون بالمأمورين و من ليس بعقل لا يصح تكليفه فعلى هذامتى كان القاتل غير بالغ وحده عشر سنين فصاعدا أو يكون مع بلوغه زائل العقل إما أن يكون مجنوننا أو موهوبا فإن قتلها و إن كان عمدا فحكمه حكم الخطأ .

قوله تعالى وَ لَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّعْنِي إِلَّا بِالْقَوْدِ أَوْ الْكُفْرِ أَوْ مَا يَجْرِي مَجْرَاهُمَا فَإِنْ قَتَلَهُ كَذَلِكَ حَقٌّ وَ لَيْسَ بِظَلَمٍ وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ أَيْ فَلَا يَسْرِفُ الْقَاتِلُ فِي الْقَتْلِ وَ جَازَ أَنْ يُضْمَرَ وَ إِنْ لَمْ يَجْرَ لَهُ ذِكْرٌ لِأَنَّ الْحَالَ يَدُلُّ عَلَيْهِ وَ يَكُونُ تَقْيِيدُهُ بِالْإِسْرَافِ جَارِيًا مَجْرَى قَوْلِهِ فِي أَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ وَ لَا تَأْكُلُوا إِسْرَافًا وَ إِنْ لَمْ يَجْزَ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ عَلَى الْاِقْتِصَادِ فَكَذَلِكَ لَا يَمْتَنَعُ أَنْ يُقَالَ لِلْقَاتِلِ الْأَوَّلِ لِاتْسْرِفِ فِي الْقَتْلِ لِأَنَّهُ يَكُونُ بِقَتْلِهِ مُسْرِفًا فَلَا يَسْرِفُ لِأَنَّ مَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا كَانَ مَنْصُورًا بِأَنْ يَقْتَصِرَ لَهُ وَلِيهِ وَالسُّلْطَانُ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ فَيَكُونُ هَذَا الْقَاتِلُ عَنِ الْقَتْلِ . وَ الْآخِرُ أَنْ يَكُونَ فِي يُسْرِفُضْمِيرِ الْوَلِيِّ أَيْ لَا يَسْرِفُ الْوَلِيُّ فِي الْقَتْلِ فَاسْرَافَهُ فِيهِ أَنْ يَقْتُلَ غَيْرَ مَنْ قَتَلَ أَوْ يَقْتُلَ أَكْثَرَ مِنْ قَاتِلٍ وَلِيَهُ أَيْ فَلَا يَسْرِفُ الْوَلِيُّ فَإِنَّهُ مَنْصُورٌ بِقَتْلِ قَاتِلٍ وَلِيَهُ وَالْاِقْتِصَاصُ مِنْهُ . وَالسُّلْطَانُ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لِلْوَلِيِّ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ هُوَ الْقَوْدُ أَوْ الْعَفْوُ أَوْ الْدِيَّةُ . -قرآن- ١٤-٧٣-قرآن- ١٤٩-٢١٧-قرآن- ٣٦٩-٣٩٣-قرآن- ٦٥٩-٦٦٤] صفحہ ٤٠٣ [

ومما يقتضيه الآيات أن المرأة إذا قتلت رجلاً واختار أولياؤه القود فليس لهم إلا نفسها فإن قتل الرجل امرأة عمدا وأراد أولياؤها قتله كان لهم ذلك إذا ردوا نصف دية الرجل . و إذا قتل المسلم ذميا عمدا وجب عليه دية ولا يجب فيه القود وكذلك إذا قتل حر عبدا أو أمة لم يكن عليه قود و عليه الدية يعطى قيمتهما يوم قتلتهما فإن زادت القيمة على دية الحر والحره رد إليها . فإن قتل عبد حرا عمدا كان عليه القتل إن أراد أولياء المقتول ذلك فإن طلبوا الدية كان على مولاه الدية كاملة أو تسليم العبد إليهم إن شاءوا استرقوه و إن شاءوا قتلوه . فإذا قتل جماعة واحدا فإن أولياء الدم مخيرون بين أمور ثلاثة أحدها أن يقتلوا القاتلين كلهم ويؤدوا فضل ما بين دياتهم ودية المقتول إلى أولياء المقتولين والثاني أن يتخيروا واحدا منهم فيقتلوه ويؤدوا المستبقون دية إلى أولياء صاحبهم بحساب أقساطهم من الدية الثالث إن اختار أولياء المقتول أخذ الدية كانت على القاتلين بحسب عددهم والدليل على صحته إجماع الطائفة ولأن ما ذكرناه أشبه بالعدل . و الذي يدل على الفصل الأول زائدا على الإجماع قوله تعالى وَ لَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ الْقَاتِلَ إِذْ عَلِمَ أَنَّهُ إِنْ قَتَلَ قَتَلَ كَفَّ عَنِ الْقَتْلِ وَ كَانَ ذَلِكَ أَزْجَرَ لَهُ وَ كَانَ دَاعِيًا إِلَى حَيَاتِهِ وَ حَيَاةٍ مِنْهُمْ بِقَتْلِهِ فَلَوْ أَسْقَطْنَا الْقَوْدَ فِي حَالِ الْاِشْتِرَاكِ سَقَطَ هَذَا الْمَعْنَى الْمَقْصُودَ بِالْآيَةِ فَكَانَ مِنْ أَرَادَ قَتْلَ غَيْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْتُلَ بِهِ شَارِكَ غَيْرِهِ فِي قَتْلِهِ فَسَقَطَ الْقَوْدُ عَنْهُمَا . -قرآن- ١٠٠٦-١٠٣٣] صفحہ ٤٠٤ [ويمكن أن يستدل أيضا على من خالف في قتل الجماعة بواحد بقوله تعالى فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَالْقَاتِلُونَ إِذَا كَانُوا جَمَاعَةً فَكُلُّهُمْ مَعْتَدُونَ فَيَجِبُ أَنْ يَعامَلُوا مَاعْمَلُوا بِهِ الْقَتِيلَ . فَإِنْ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْحُرَّ بِالْحُرِّ وَ هَذَا يَنْفِي أَنْ يُؤْخَذَ نَفْسَانِ بِنَفْسٍ وَ حِرَانِ بِحُرٍّ . قَلْنَا الْمَرَادُ بِالنَّفْسِ وَالْحُرِّ هَاهُنَا الْجِنْسُ لِأَنَّ الْعَدَدَ فَكَانَهُ تَعَالَى قَالَ إِنْ جِنْسُ النَّفْسِ يُؤْخَذُ بِجِنْسِ النَّفْسِ وَ كَذَا جِنْسُ الْأَحْرَارِ فَالْوَأَحِدُ وَالْجَمَاعَةُ يَدْخُلُونَ فِي ذَلِكَ . فَإِنْ قِيلَ قَدْ ثَبَتَ أَنَّ الْجَمَاعَةَ إِذَا اشْتَرَكُوا فِي سَرَقَةٍ نَصَابَ لَمْ يَلْزَمُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَطْعٌ وَ إِنْ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِذَا اشْتَرَكَ نَفْسَانِ فِي سَرَقَةٍ شَيْءٍ مِنْ حِرْزٍ وَ كَانَ قِيمَةُ الْمَسْرُوقِ رُبْعَ دِينَارٍ وَ يَكُونُ أَيْدِيهِمَا عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِمَا الْقَطْعُ مَعًا وَ قَدْ سَوَيْنَا بَيْنَ الْقَتْلِ وَالْقَطْعِ وَ لِهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ تَفْصِيلُ ذِكْرِ فِي بَابِهِ . -قرآن- ٧٣-١٤١-قرآن- ٢٥٤-٢٧٠-

واختلف أهل التأويل في قوله مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا. -قرآن- ٣٢-١٧٠ [صفحة ٤٠٥] قال الزجاج معناه أنه بمنزلة من قتل الناس جميعاً في أنهم خصومه في قتل ذلك الإنسان . قال الحسن معناه تعظيم الوزر والإثم . قال ابن مسعود من قتل نفساً فكأنما قتل الناس عندالمقتول و من أحياها فكأنما أحيا الناس عندالمستقيد. و قال ابن زيد معناه أنه يجب من القتل والقود مثل ما يجب عليه لوقتل الناس جميعاً ومعنى من أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً من نجاها من الهلاك مثل الغرق والحرق . وقيل من عفا عن دمها و قدوجب القود عليها وقيل معناه من زجر عن قتلها بما فيه حياتها على وجه يفتدى به فيها بأن يعظم تحريم قتلها كما حرمه الله على نفسه فلم يقدم عليه فقد حيى الناس بسلامتهم منه و ذلك إحياءه إياها و هو اختيار الطبرى. و الله هو المحيى للخلق لا يقدر عليه غيره وإنما قال أحياها على وجه المجاز يعنى نجاها من الهلاك كما حكى عن نمرود أننا أحيى و أميتُفاستبقى واحداً و قتل الآخر. والقول فى ذلك أن يقال إن الله تعالى شبه قاتل النفس بقاتل جميع الناس ومنجيتها بمنجى جميع الناس وتشبيه الشئ بالشئ يكون من وجوه حقيقة ومجازاً فيجب أن ينظر فى التشبيه هاهنا بما ذا يتعلق فلا يجوز أن يكون شبه الفعل بالفعل لأن قتل واحد لا يشبه قتل اثنين فلا بد من أن يكون التشبيه فى المعنى . و لا يجوز أن يقال شبه الإثم بالإثم والعقاب بالعقاب لأن الذى يحاسب على الفتيل والقطمير ويتمدح بأنه لا يظلم مثقال حبة من خردل يمنع غناه -قرآن- ٧٦٠-٧٨٣ [صفحة ٤٠٦] وحكمته وعدله أن يساوى فى العقاب بين قاتل نفس واحدة و بين قاتل نفسين فكيف من قتل نوع الناس فإذا التشبيه مجاز والمراد به تهويل أمر القتل ومبالغة فى الزجر عنه و أنه يستحق فى الدنيا من كل مؤمن البراءة واللعنة والعداوة كما لو تعرض له نفسه بالقتل لا يستحق كل ذلك منه لكون المؤمنين يدا واحدة على من سواهم . و قد قضى الحسن بن على ع فى رجل اتهم بأنه قتل نفساً فأقر بأنه قتل وجاء آخر فأقر أن الذى قتل هودون صاحبه ورجع الأول عن إقراره أنه درأ عنهم القود والدية و دفع إلى أولياء المقتول الدية من بيت المال وقرأ هذه الآية ثم قال هذا إن قتل ذلك فقد أحيا هذا -رواية ١-٢-رواية ٣-٢٧١ . والأولياء هم الوراث من الرجال فمن الأولاد الذكور و من الأقارب من كان ذكراً من قبل الأب

باب القتل الخطأ المحض

إشارة

قال الله تعالى وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَ دِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا. اعلم أن النفى هاهنا متعلق بالجواز فى دين الله وحكمه أى لا يجوز ذلك فى حكم الله والظاهر إخبار بانتفاء الجواز ويتضمن النفى أى فلا تفعلوه ولدخول كان إفادة أن هذا ليس حكماً حادثاً بل لم يزل حكم الله على هذا. و قد ذكر الله تعالى فى هذه الآية ديتين وثلاث كفارات. ذكر الدية والكفارة بقتل المؤمن فى دار الإسلام فقال وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا -قرآن- ١٩-١٨٧-قرآن- ٥٢١-٥٤٢ قال الله تعالى وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَ دِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا. اعلم أن النفى هاهنا متعلق بالجواز فى دين الله وحكمه أى لا يجوز ذلك فى حكم الله والظاهر إخبار بانتفاء الجواز ويتضمن النفى أى فلا تفعلوه ولدخول كان إفادة أن هذا ليس حكماً حادثاً بل لم يزل حكم الله على هذا. و قد ذكر الله تعالى فى

هذه الآية ديتين وثلاث كفارات . ذكر الدية والكفارة بقتل المؤمن في دار الإسلام فقال وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَ دِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ . وذكر الكفارة دون الدية بقتل المؤمن في دار الحرب في صف المشركين إذا حضر معهم الصف فقتله مسلم ففيه الكفارة دون الدية فقال فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ لَأَنْ قَوْلُهُ وَ إِنْ كَانَ كُنْيَاةً عَنِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي تَقْدِمُ ذِكْرَهُ . ثم ذكر الدية والكفارة بقتل المؤمن في دار المعاهدين فقال وَ إِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ . وعند المخالف أن ذلك كناية عن الذي في دار الإسلام و ما قلناه أليق بسياق الآية لأن الكنايات كلها في كان عن المؤمن فلا ينبغي أن يصرفها إلى غيره بلا دليل . ومعناه لم يأذن الله و لأباح لمؤمن أن يقتل مؤمناً فيما عهده إليه لأنه لو أباحه أو أذن فيه لما كان خطأ و التقدير إلا أن يقتله خطأ فإن حكمه كذا ذهب إليه قتادة . و قوله إِلَّا خَطَأً استثناء منقطع في قول أكثر المفسرين و تقدير الآية إلا- أن المؤمن قديقتل المؤمن خطأ و ليس ذلك فيما جعله الله له و إجماع أن قتل المؤمن لا يجوز لاعتماد و لا خطأ فالتقدير غير جائز في حكم الله أن يقتل مؤمن مؤمناً لكن إن وقع عليه غلط فأخطأ في مقصده و فعل هذا المحذور فعليه كذا و كذا . -قرآن- ١-٧١-قرآن- ٢٠٥-٢٨٣-قرآن- ٢٩٤-٣٠٤-قرآن- ٣٩٩-٥١٢-قرآن- ٨٥٥-٨٦٦

فصل

ثم أخبر سبحانه بحكم من قتل من المؤمنين مؤمناً خطأ فقال وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فعليه تحرير رقبته مؤمنة يعني مظهره -قرآن- ٦٠-١١٨ [صفحة ٤٠٨] للإيمان و ظاهر ذلك يقتضى أن تكون بالغه ليحكم لها بالإيمان و ذلك في ماله خاصة . وَ دِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهَا بِدِيَتِهَا عَنْ عَاقَلَتِهِ إِلَىٰ أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ . إِلَّا أَنْ يَصِدَّقُوا أَوْلِيَاءَ الْمَقْتُولِ عَلَىٰ مِنْ لَزِمَتْهُ دِيَةٌ قَتَلَهُمْ فَيَعْفُوا عَنْهُ فَحِينَئِذٍ يُسْقِطُ عَنْهُمْ وَ مَوْضِعُ أَنْ مِنْ قَوْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصِدَّقُوا نَصَبٌ لِأَنَّ الْمَعْنَىٰ فَعَلَيْهِ ذَلِكَ إِلَّا فِي حَالِ التَّصَدَّقِ ثُمَّ حَذَفَتْ فِي وَقِيلَ إِحَالِ التَّصَدَّقِ وَأَصْلُهُ إِلَّا عَلَىٰ أَنْ تَصَدَّقُوا ثُمَّ سَقَطَ عَلَىٰ وَيَعْمَلُ فِيهِ مَاقْبَلُهُ عَلَىٰ مَعْنَىٰ الْحَالِ أَوْ هُوَ مُصَدَّرٌ وَقَعَ مَوْضِعَ الْحَالِ وَيَجُوزُ فِي سَبَبِ النَّزُولِ كُلِّ مَاقْبَلٍ . وَ الَّذِي يَعُولُ عَلَيْهِ أَنْ مَا تَضَمَّنَتْهُ الْآيَةُ حَكْمٌ مِنْ قَتْلِ خَطَأً . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ الْحَسَنُ الرَّقْبِيُّ الْمُؤْمِنَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا بِالْبَالِغَةِ قَدَّامَتْ وَ صَامَتْ وَ صَلَّتْ فَأَمَّا الطِّفْلُ فَإِنَّهُ لَا يَجْزِي وَ لَا الْكَافِرُ وَقَالَ عَطَا كُلِّ رَقَبَةٍ وَ وُلِدَتْ فِي الْإِسْلَامِ فَهِيَ تَجْزِي وَ الْأَوْلَىٰ أَقْوَىٰ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا يُطْلَقُ إِلَّا عَلَىٰ بَالِغٍ عَاقِلٍ مَظْهَرٌ لِلْإِيمَانِ مُلْتَزِمٌ لَوْجُوبِ الصَّلَاةِ وَ الصَّوْمِ إِلَّا أَنَّهُ لَا خِلَافَ أَنَّ الْمَوْلُودَ بَيْنَ مُؤْمِنِينَ يَحْكُمُ لَهُ بِالْإِيمَانِ فَهَذَا الْإِجْمَاعُ يَنْبَغِي أَنْ يَجْرَىٰ فِي كَفَّارَةِ قَتْلِ الْخَطَا فَأَمَّا الْكَافِرُ وَ الْمَوْلُودُ بَيْنَ كَافِرِينَ فَإِنَّهُ لَا يَجْزِي بِحَالٍ . وَ دِيَةُ قَتْلِ الْخَطَا يَلْزَمُ الْعَاقِلُ وَ الْعَاقِلَةُ يَرْجَعُ بِهَا عَلَى الْقَاتِلِ إِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ فَلَا شَيْءَ لِلْعَاقِلَةِ عَلَيْهِ وَ مَتَىٰ كَانَ لِلْقَاتِلِ مَالٌ وَ لَمْ يَكُنْ لِلْعَاقِلَةِ مَالٌ أَلْزَمَ فِي مَالِهِ الدِّيَةُ خَاصَّةً . وَ لَا يَلْزَمُ الْعَاقِلَةَ مِنْ دِيَةِ الْخَطَا إِلَّا مَا قَامَتْ بِهِ الْبَيْنَةُ فَأَمَّا مَا يَقْرَبُ الْقَاتِلَ فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ مِنْهُ شَيْءٌ وَ يَلْزَمُ الْقَاتِلَ ذَلِكَ فِي مَالِهِ خَاصَّةً . وَ تَسْتَأْدَىٰ دِيَةَ الْخَطَا فِي ثَلَاثِ سِنِينَ . وَ الْعَاقِلَةُ هُمُ الَّذِينَ يَرْتُونَ دِيَةَ الْقَاتِلِ إِنْ لَوْ قَتَلَ وَ لَا يَلْزَمُ مِنْ لَا يَرِثُ مِنْ دِيَتِهِ شَيْئًا . -قرآن- ٨٥-١١٧-قرآن- ١٥٧-١٧٦-قرآن- ٢٦٧-٢٨٦ [صفحة ٤٠٩] وَ الدِّيَةُ الْمُسَلَّمَةُ إِلَىٰ أَهْلِ الْقَتِيلِ هِيَ الْمَدْفُوعَةُ إِلَيْهِمْ مَوْفَرَةٌ غَيْرُ مَنْقُصَةٌ حَقُوقُ أَهْلِهَا مِنْهَا إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا مَعْنَاهُ يَتَصَدَّقُوا وَ هُوَ فِي قِرَاءَةِ أَبِي فَاذْغَمْتَ التَّاءَ فِي الصَّادِ لِقَرَبِ مَخْرَجِهِمَا . -قرآن- ٨٥-١٠٤

فصل

و قوله تعالى فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ يعني إن كان هذا القاتل الذي قتله المؤمن خطأ من قوم هم

أعداء لكم مشركون و هو مؤمن فعلى قاتله تحرير رقبه مؤمنه. واختلفوا فى معناه فقال قوم إذا كان القتل فى عداد الأعداء و هو مؤمن بين أظهرهم لم يهاجر فمن قتله فلا دية له و عليه تحرير رقبه مؤمنه لأن الدية ميراث وأهله كفار لا يرثونه هذا قول ابن عباس . وقال آخرون بل عنى به من أهل الحرب من تقدم دار الإسلام ثم يرجع إلى دار الحرب فإذا مر بهم جيش من أهل الإسلام فهرب قومه وأقام ذلك المسلم بينهم فقتله المسلمون وهم يحسونه كافرا. ثم قال و إن كان من قوم بينكم و بينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله و تحرير رقبه مؤمنه معناه إن كان القتل الذى قتله المؤمن خطأ من قوم بينكم و بينهم أيها المؤمنون ميثاق أو عهد أى عهد و ذمه و ليسوا أهل حرب لكم فدية مسلمة إلى أهله يلزم عاقلة قاتله و تحرير رقبه مؤمنه على القاتل كفارة لقتله . واختلفوا فى صفة هذا القتل الذى هو من قوم بيننا و بينهم ميثاق أ هو مؤمن -قرآن- ١٦-٩٤-قرآن- ٦١٨-٧٣١ [صفحہ ٤١٠] أو كافر فقال قوم هو كافر إلا- أنه يلزم قاتله دية لأن له و لقومه عهدا ذهب إليه ابن عباس و قال آخرون بل هو مؤمن فعلى قاتله دية يؤديها إلى قومه من المشركين لأنهم أهل ذمة و هو المروى فى أخبارنا إلا- أنهم قالوا تعطى دية و رثته المسلمون دون الكفار. و الميثاق العهد و المراد به هاهنا الذمة و غيرها من العهود. و الخطأ هو أن يريد شيئا فيصيب غيره . و الدية الواجبة فى قتل الخطأ مائة من الإبل إن كانت العاقلة من أهل الإبل . و قال ابن مهران يزيد هو أن يكون المقتول مؤمنا من قوم معاهدين و ذكر ابن إسحاق أنه يجوز أن لا يكون مؤمنا و لأجل المهادنة و الميثاق و جبت الدية و الكفارة.

فصل

أما دية أهل الذمة فقال قوم هى دية المسلم سواء ذهب إليه ابن مسعود و اختاره أبو حنيفة و قال قوم هى على النصف من دية المسلم و قال قوم هى على الثلث من دية المسلم ذهب إليه الشافعى و قال إنها أربعة آلاف . و أما دية المجوسى فلا خلاف أنها ثمانمائة درهم و كذلك عندنا دية اليهودى و النصرانى و الأثنى منهم أربعمائة درهم و الدليل عليه إجماع الطائفة. فإن احتج المخالف بقوله و من قتل مؤمنا خطأ ف تحرير رقبه مؤمنه و دية مسلمة إلى أهله ثم قال و إن كان من قوم بينكم و بينهم ميثاق فدية مسلمة و ظاهر الكلام يقتضى أن الدية واحدة. قلنا هذا السؤال ساقط على قول من يقول هذا القتل الذى هو من قوم -قرآن- ٣٨٣- ٤٧٥-قرآن- ٤٨٥-٥٥٤ [صفحہ ٤١١] بينكم و بينهم ميثاق هو مؤمن و معناه إن كان القتل الذى قتله المؤمن خطأ من قوم بينكم و بينهم ميثاق أى ذمة و عهد و ليسوا من أهل حرب لكم فدية مسلمة إلى أهله لأنهم أهل الذمة و أما على قول من يقول إن هذا القتل كافر فلا شبهة فى أن ظاهر الكلام لا يقتضى التساوى فى مبلغ الدية و إنما يقتضى التساوى فى وجوب الدية على سبيل الجملة. و فى تقديم تحرير الرقبه على الدية فى صدر الآية و تقديم الدية على تحرير الرقبه فى آخر الآية خبيثة لطيفة و كذلك فى قوله إلا أن يصدقوا إشارة حسنة و الأحسن أن تكون الكناية فى كان من قوله فإن كان من قوم عدو لكم للقتل دون أن يكون للمؤمن لأن قوله و هو مؤمن يمنع من ذلك . و كذا الكناية فى كان من قوله و إن كان من قوم بينكم و بينهم ميثاق للمقتول لأن المقبول يقع على المؤمن و الكافر فإن كان القتل من هؤلاء الكافرين كافرا فديته دية الكافر و إن كان مؤمنا فديته دية المؤمن هذا هو المذهب و يجوز أن يكون كان تامه فى أول الآية من قوله و ما كان للمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ أى ما وقع قتل مؤمن لمؤمن إقتلا خطأ. -قرآن- ٤٦٥-٤٨٤-قرآن- ٥٤٠-٥٧٢-قرآن- ٦١٣-٦٢٧-قرآن- ٦٧٥-٧٢٤-قرآن- ٩٣٠-٩٨٣

فصل

ثم قال تعالى فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصَةَ يَوْمِ شَهْرَيْنِ مُتَابِعِينَ اختلفوا في معناه فقال قوم يعنى فمن لم يجد الرقبة المؤمنة كفارة عن قتله المؤمن خطأ لإعساره فعليه صيام شهرين متتابعين و قال آخرون فمن لم يجد الدية فعليه صوم شهرين عن الدية والرقبة و قال مسروق تأويل الآية فمن لم يجد رقبة مؤمنة و لاديه يسلمها إلى أهله فعليه صوم شهرين متتابعين . -قرآن- ١٧-٦٣ [صفحہ ٤١٢] والأول هو الصحيح لأن دية قتل الخطأ على العاقلة والكفارة على القاتل يجمع الأمة على ذلك . وصفه التابع في الصوم أن يتابع الشهرين لايفصل بينهما بإفطار يوم على ماقدمناه في باب الكفارة. ثم قال تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَ هُوَ نَصَبٌ عَلَى الْقَطْعِ وَمَعْنَاهُ رِخْصَةٌ مِنَ اللَّهِ لَكُمْ إِلَى التَّسْيِيرِ عَلَيْكُمْ بِتَخْفِيفِهِ مَاخَفَّ عَنْكُمْ مِنْ فَرْضِ تَحْرِيرِ رِقْبَةٍ مُؤْمِنَةٍ بِإِجَابِ صَوْمِ شَهْرَيْنِ مُتَابِعِينَ . قال الجبائي إنما قال تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ لِأَنَّهُ تَعَالَى بِهَذِهِ الْكُفَّارَةِ الَّتِي يَلْزِمُهَا يَدْرَأُ الْعِقَابَ وَالذَّمَّ عَنِ الْقَاتِلِ لِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَاصِيًا فِي السَّبَبِ وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ عَاصِيًا فِي الْقَتْلِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ رَمَى فِي مَوْضِعٍ هُوَ مَنَهَى عَنْهُ وَ إِنْ لَمْ يَقْصِدِ الْقَتْلَ وَ هَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ لِأَنَّ الْآيَةَ عَامَةٌ فِي كُلِّ قَاتِلٍ خَطَاً وَ مَا ذَكَرَهُ رَبِّمَا اتَّفَقَ فِي الْآحَادِ . وَإِلْزَامُ دِيَةِ الْخَطَاِ لِلْعَاقِلَةِ لَيْسَ هُوَ مَوْأَخِذَةٌ الْبَرِيءِ بِالسَّقِيمِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِعَقُوبَةٍ بَلْ هُوَ حَكْمٌ شَرَعِي تَابِعٌ لِلْمَصَالِحِ وَ لَوْخَلِينَا وَ الْعَقْلَ مَا أَوْجِبْنَاهُ وَ قَدْ قِيلَ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الْمَوَاسَاةِ وَ الْمَعَاوَنَةِ . ثُمَّ قَالَ وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَ اسْتَدْلَتِ الْمَعْتَرِلَةُ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنْ مَرَّتْ بِالكَبِيرَةِ يَخْلُدُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَ أَنَّهُ إِذَا قَتَلَ مُؤْمِنًا يَسْتَحِقُّ الثَّوَابَ فِيهَا وَ لَا يَعْطَى عَنْهُ . وَ لَنَا أَنْ نَقُولَ لَهُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِالْآيَةِ الْكُفَّارَ وَ مِنْ لَآ ثَوَابَ لَهُ أَصْلًا فَأَمَّا مَنْ يَسْتَحِقُّ الثَّوَابَ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَرَادًا بِالْخُلُودِ فِي النَّارِ أَصْلًا وَ قَدْ ذَكَرَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَفْسَرِينَ أَنَّ الْآيَةَ مُتَوَجِّهَةٌ إِلَى مَنْ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا تَعْصِبًا لِيَأْمَانَهُ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْكَافِرَ . وَ قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الْقَمِيَّ إِنَّ التَّقْدِيرَ فِي الْآيَةِ مَنْ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا لِدِينِهِ وَ الْوَعِيدَ وَرَدَّ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ لِأَنَّهُ إِذَا قَتَلَ لِأَجْلِ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَقَدْ كَفَرَ .

فصل

أما قوله يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا فَقَدْ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ نَزَلَتْ فِي أَمْرِ بَنِي النَّضِيرِ وَبَنِي قَرِيظَةَ . قَالَ قَتَادَةُ إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ فِي قَتِيلٍ بَيْنَهُمْ قَالُوا إِنْ أَفْتَاكُمْ مُحَمَّدٌ بِالْذِّمَّةِ فَاقْتُلُوهُ وَإِنْ أَفْتَاكُمْ بِالْقُودِ فَاحْذَرُوهُ فَلَمَّا أَرَادُوا الْإِنْصِرَافَ تَلَقَّتْ قَرِيظَةَ بِالنَّضِيرِ قَالُوا يَا أَبَا الْقَاسِمِ وَ كَرِهُوا أَنْ يَقُولُوا يَا مُحَمَّدٌ لَيْتَ يُوَافِقُ ذَلِكَ مَا فِي كِتَابِهِمْ مِنْ ذِكْرِهِ هَؤُلَاءِ إِخْوَانُنَا بَنُو النَّضِيرِ إِذَا قَتَلُوا مَنَا قَتِيلًا لَا يَعْطُونَ الْقُودَ مِنْهُمْ وَأَعْطَوْنَا سَبْعِينَ وَسَقَا مِنْ تَمْرٍ وَ إِنْ أَخَذُوا الدِّيَةَ أَخَذُوا مَنَا مِائَةَ وَأَرْبَعِينَ وَسَقَا وَ كَذَا جِرَاحَاتُنَا عَلَى أَنْصَافِ جِرَاحَاتِهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ وَ إِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرَّوكَ شَيْئًا وَ إِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ أَيْ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالسَّوَاءِ فَقَالُوا لَانْرَضِي بِقَضَائِكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ أَلْفَحْكُمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ . ثُمَّ قَالَ تَعَالَى وَ كَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَ عِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ شَاهِدًا لَكَ فِيمَا -قرآن- ١١-٧٩-قرآن- ٥٥٦-٦٤٠-قرآن- ٧٠٢-٧٨٦-قرآن- ٨٠٤-٨٤٨ [صفحہ ٤١٤] يَخْلُفُونَكَ ثُمَّ فَسَّرَ مَا فِيهَا مِنْ حَكْمِ اللَّهِ فَقَالَ وَ كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ بِالْآيَةِ . فَإِنَّ تَوْلَا يَعْنِي بَنِي النَّضِيرِ لِمَا قَالُوا لَانْرَضِي بِحُكْمِكَ -قرآن- ٤٦-١١٤-قرآن- ١٢١-١٣٤

باب القتل الخطأ وشبه العمد

اعلم أن القتل على ثلاثة أضرب عمد محض و هو أن يكون عامدا بآله يقتل غالبا كالسيف والسكين والحجر الثقيل عامدا في

قصده و هو أن يقصد قتله بذلك فمتى كان عامدا في قصده عامدا في فعله فهو العمد المحض قال تعالى وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ. والثاني خطأ محض و هو ما لم يشبه شيئا من العمد بأن يكون مخطئا في فعله مخطئا في قصده مثل أن رمى طائرا فأصاب إنسانا فقد أخطأ في الأمرين قال الله تعالى وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقِيَّةٍ مُؤْمِنَةٍ. الثالث عمد الخطأ أو شبه العمد والمعنى واحد و هو أن يكون عامدا في فعله مخطئا في قصده فأما كونه عامدا في فعله فهو أن يعمد إلى ضربه لكنه بآلة لا تقتل غالبا كالسوط والعصا الخفيفة والخطأ في القصد أن يكون قصده تأديبا وزجره وتعليمه لكنه إن مات منه فهو عامد في فعله مخطئ في قصده . ويمكن أن يستدل على هذا النوع من القتل أيضا بقوله وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً الْآيَةَ فَالخطأ شبه العمد هو أن يعالج الطبيب غيره بما -قرآن- ٢١٩-٢٧٢-قرآن- ٤٣٥-٤٩٣-قرآن- ٨٣٨-٨٩١ [صفحة ٤١٥] قد جرت العادة بحصول النفع عنده أو بفضده فيؤدي ذلك إلى الموت فإن هذا و ما قدمناه يحكم فيه بالخطأ شبه العمد ويلزم فيه الدية مغلظة و لا قود فيه على حال . والدية فيه تلزم القاتل بنفسه في ماله خاصة و إن لم يكن له مال استسعى فيها أو يكون في ذمته إلى أن يوسع الله عليه والدية في ذلك مائة من الإبل أثلاثا و هذه الدية تستأدى في سنتين . و على هذا القاتل بعد إعطاء الدية كفارة عتق رقبة مؤمنة فإن لم يجد كان عليه صيام شهرين متتابعين فإن لم يستطع أطعم ستين مسكينا كما على قاتل الخطأ المحض لأن الآية أيضا دالة عليه . وكفارة قتل العمد بعد العفو له ببدل أو بلا بدل هذه الثلاثة والدليل عليه بعد الإجماع السنة فإن لم يقدروا على ذلك تصدقوا بما استطاعوا وصاموا ما قدروا عليه

باب ديات الجوارح والأعضاء والقصاص فيها

إشاره

قال الله تعالى وَ كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا. هذا و إن كان إخبارا من الله تعالى أنه مما كتب على اليهود في التوراة فإنه لا خلاف أن ذلك ثابت في شرعنا و ذلك لأنه إذا صح بالقرآن أو بالسنة أن حكما من الأحكام كان ثابتا في شريعته من كان قبل نبينا من الأنبياء ع -قرآن- ١٩-١٧٠ [صفحة ٤١٦] و لا يثبت نسخه لأقرآنا و لاسنة فإنه يجب العمل به . يقول الله عز و جل فرضنا على اليهود الذين تقدم ذكرهم في التوراة أن النفس بالنفس ومعناه إذا قتلت نفس نفسا أخرى متعمدا فإنه يستحق عليه القود إذا كان القاتل عاقلا مميزا و كان المقتول مكافئا للقاتل إما أن يكونا مسلمين حرين أو كافرين أو مملوكين فأما أن يكون القاتل حرا مسلما والمقتول كافرا أو مملوكا فإن عندنا لا يقتل به و فيه خلاف بين الفقهاء و إن كان القاتل مملوكا أو كافرا والمقتول مثله أو فوقه فإنه يقتل بلا خلاف . ويراعى في قصاص الأعضاء ما يراعى في قصاص النفس من التكافؤ ومتى لم يكونا متكافئين فلا قصاص على الترتيب الذي رتبناه في النفس سواء و فيه أيضا خلاف . ويراعى في الأعضاء التساوى أيضا فلا يقطع العين اليمنى باليسرى و لا يقطع اليمين باليسار و لا يقطع الناقصة بالكامل فمن قطع يمين غيره وكانت يمين القاطع شلاء قال أبو على يقال له إن شئت قطعت يمينه الشلاء أو تأخذ دية يدك و قد ورد في أخبارنا أن يساره تقطع إذا لم يكن للقاطع يمين . وروى عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله ع أنه قال دية اليد إذا قطعت خمسون من الإبل فما كان جروحا دون الاصطلام فيحكم به ذوا عدل منكم و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون -رواية- ١-٢-رواية- ٦٠-٢٠١ و في هذا إشارة إلى أن الحكم بذلك أو بغيره ليس إلا -إلى حجة الله أو من يأمره بالحجة. فأما عين الأعور فإنها تعلق بالعين الذي يقلعها سواء كانت المقلوعة عوراء أو لم تكن فإن قلعت العوراء كان فيها كمال

الديّة إذا كانت خلقه أذهبت [صفحة ٤١٧] بآفه من الله تعالى أو تطلع إحدى عيني القالع ويلزمه مع ذلك نصف الديّة وفيه خلاف .

فصل

وقوله تعالى وَ الْجُرُوحِ قِصَاصًا لِّتَقْدِيرِ أَوْجِبْنَا أَنْ النَّفْسِ تَقْتُلُ إِذْ قَتَلْتَ نَفْسًا بِغَيْرِ حَقِّ وَفَرْضْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ الْجُرُوحِ قِصَاصًا . وظاهر هذه الآية لا يقتضى أنامتعبدون بهذه الأحكام لأنها حكايه عن أمه أنه فرض عليهم ذلك إلا أن العلماء مجمعون على أن أيضا بهذه الأحكام متعبدون لابهذه الآية بل بالآيه التي في سورة البقره وهى مجاريه لهذه ولا يجب من الاتفاق فى كثير من المتعبدات أن تكون الشريعتان واحده بعينها. ومعنى النَّفْسِ بِالنَّفْسِ تَقْتُلُ النفس بسبب قتل النفس قيل وذلك مجمل و له بيان طويل وفيه تخصيص . ومعنى الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ تَقْتُلُ العين لمن قلع عينا بغير حق . وكذا إن قطع أنفه أو أذنه أو قلع أو كسر سنا له أو جرحه بجراحه يفعل به مثله وهذا معنى قوله وَ الْجُرُوحِ قِصَاصًا لِأَنَّ الْقِصَاصَ أَنْ يَتَّبَعَ بِهِ فِعْلَهُ فَيَفْعَلُ مِثْلَ فِعْلِهِ وَمَعْنَاهَا ذَاتِ قِصَاصٍ أَى يَقَاصُ الْجَارِحُ قِصَاصًا. وتفاصيل هذه الأحكام بكتب الفقه أولى لكننا نذكر ألفاظا يسيرة. -قرآن-١٦-٣٤-قرآن-٤٢٠-٤٣٦-قرآن-٥٢٢-٥٣٨-قرآن-٦٧١-٦٨٩

فصل

وأما الجروح فإنه يقتص منها إذا كان الجراح مكافئا للمجروح على ما بيناه فى النفس فيقتص بمثل جراحته الموضحة بالموضحة والهاشمه بالهاشمه والمنقله بالمنقله ولاقصاص فى المأمومه وهى التى تبلغ أم الرأس ولا الجائفه [صفحة ٤١٨] وهى التى تبلغ الجوف لأن فى القصاص منهما تضريرا بالنفس . ولا ينبغى أن يقتص الجراح بعد أن يندمل من المجروح فإذا اندمل اقتص حينئذ من الجراح وإن سرت إلى النفس كان فيها القود. وكسر العظم لاقتصاص فيه وإنما فيه الديّة. وكل جرحه كانت ناقصه فإذا قطعت كان فيها حكمه ولا يقتص بها الجارحه الكامله كيد شلاء وعين لا تبصر وسن سوداء متآكله فإن فى جميع ذلك حكمه لا تبلغ ديّه تلك الجارحه وقدرونا فى هذه الأشياء مقدرًا وهولث ديّه العضو الصحيح . والعين تطلع بالعين وإن تفاوتتا فى الصغر والكبر والحسن والقبح وزيادة البصر إلا أن تكون عمياء.

فصل

وقوله تعالى فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لِّهَا هَاءِ فى كفارة له يحتمل عودها إلى أحد أمرين أحدهما وهو الأقوى أنها عائدة على المتصدق من المجروح أوولى المقتول لأنه إذا تصدق بذلك على الجراح لوجه الله تعالى كفر الله بذلك عنه عقوبه ماضى من معاصيه. الثانى أنها تعود على المتصدق عليه لأنه يقوم مقام أخذ الحق عنه . وإنما رجحنا الأول لأن العائد يجب أن يرجع إلى مذكور وهو من والمتصدق عنه لم يجز له ذكر على أنه لو كان هاهنا كفارة وقصاص كما قتل خطأ المؤمن فى دار الإسلام كفارة وديّه لما سقطت الكفارة وإن أسقط المجروح القصاص كما لا تسقط الكفارة فى قتل الخطأ وإن تصدقوا بالديّه فتسقط. ومعنى من تصدق به عفا عن الحق وأسقط. -قرآن-١٦-٥٦ [صفحة ٤١٩] فإن قيل هل يكفر الذنب إلا التوبه أو اجتناب

الكبيرة. قلنا على مذهبنا لا يجوز أن يكفر الذنب شىء من أفعال الخير ويجوز أن يتفضل الله بإسقاط عقابها كما قال ع من يعف يعف الله عنه -رواية- ١-٢-رواية- ١١-٣٦. وقوله فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ مِنْ لِسَانِ الْحَقِّ وَالَّذِي لَهُ أَنْ يَطْلُبَ الْقِصَاصَ وَالضَّمِيرَ فِي بِهِ لِحْقَهُ يَقُولُ وَلِي الْمَقْتُولِ وَمَنْ جَرَحَ أَوْ أُصِيبَ عَضُوهُ مِنْهُ إِنْ عَفَا وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَنْ حَقِّهِ وَلَمْ يَطْلُبْ بِالْقِصَاصِ أَوْ الْدِيَةَ فَهُوَ أَى فَعَلَهُ ذَلِكَ وَتَرَكَهُ لِحَقِّهِ كَفَّارَةٌ لَهُ أَى يَكْفُرُ اللَّهُ لَهُ ذَنْبُهُ فَلَا يُؤَاخِذُهُ بِهَا وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّهُ كَفَّارَةٌ لِلْحَامِي أَى يَسْقُطُ عَنْهُ الْوَلِيُّ وَالْمُخْرَجُ الْقُودَ وَالْقِصَاصَ عَنِ الْقَاتِلِ وَالْجَارِحِ فَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ . -قرآن- ١٠-٢٨

فصل

و أما قوله وَ الْعَذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ إِلَى قَوْلِهِ وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ الْعَفْوُ فِي الْآيَةِ الْمُرَادُ بِهِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْإِسَاءَةِ إِلَى نَفْسِهِمْ أَلَّذِي لَهُ الْإِخْتِصَاصُ بِهَا فَمَتَى عَفَا عَنْهَا كَانُوا مَمْدُوحِينَ وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِحَقِّهِ اللَّهِ وَحُدُودِهِ فَلَيْسَ لِلْإِمَامِ تَرْكُهَا وَلَا الْعَفْوُ عَنْهَا وَلَا يَجُوزُ لَهُ عَنِ الْمَرْتَدِ وَعَمَّنْ يَجْرَى مَجْرَاهُ . وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مَا جَعَلَ اللَّهُ لَنَا الْإِقْتِصَاصَ مِنْهُ مِنَ النَّفْسِ وَالنَّفْسِ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنِ بِالْعَيْنِ الْآيَةُ فَإِنَّ الْمَجْنِي عَلَيْهِ لَهُ أَنْ يَفْعَلَ بِالْجَانِي مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَسَمَاهُ سَيِّئَةٌ لِلْإِزْدِوَاجِ كَمَا قَالَ وَ إِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ . -قرآن- ١٣-٦٥-قرآن- ٧٧-١٥٦-قرآن- ٣٧٩-٤١٣-قرآن- ٦٠١-٦٥٢ [صفحة ٤٢٠] ثُمَّ مَدَحَ الْعَافِي بِمَا لَهُ أَنْ يَفْعَلَ فَقَالَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ أَى فِجْرَاؤُهُ عَلَيْهِ وَهُوَ سَبْحَانَهُ يَشْبِهُهُ عَلَى ذَلِكَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ أَى لَمْ أُرْغَبْكُمْ فِي الْعَفْوِ عَنِ الظَّالِمِ لِأَنِّي أَحْبَبْتُ لِي لِأَنِّي أَحْبَبْتُ الْإِحْسَانَ وَالْعَفْوُ . ثُمَّ أَخْبَرَ أَنْ مِنْ أَنْتَصِرَ بَعْدَ أَنْ تَعَدَى عَلَيْهِ فَلَيْسَ عَلَيْهِ سَبِيلٌ قَالَ قِتَادَةُ بَعْدَ ظُلْمِهِمَا يَكُونُ فِيهِ الْقِصَاصُ بَيْنَ النَّاسِ فِي النَّفْسِ أَوِ الْأَعْضَاءِ أَوِ الْجَرْحِ فَأَمَّا غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَفْعَلَ بِمَنْ ظَلَمَهُ . وَقَالَ قَوْمٌ إِنَّ لَهُ أَنْ يَنْتَصِرَ عَلَى يَدِ سُلْطَانٍ عَادِلٍ بِأَنْ يَحْمِلَهُ إِلَيْهِ وَيَطَالِبُهُ بِأَخْذِ حَقِّهِ مِنْهُ لِأَنَّ السُّلْطَانَ هُوَ الَّذِي يَقِيمُ الْحُدُودَ وَيَأْخُذُ مِنَ الظَّالِمِ لِلْمَظْلُومِ . فَصَلَّ وَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا . فَأَوَّلُ مَا يَكُونُ الْجَنِينَ نُطْفَةً وَ فِيهَا عَشْرُونَ دِينَارًا وَيَصِيرُ عَلَقَةً وَ فِيهَا أَرْبَعُونَ دِينَارًا وَفِيهَا بَيْنَهُمَا بِحَسَابِ ذَلِكَ ثُمَّ يَصِيرُ مُضْغَةً وَ فِيهَا سَبْعُونَ دِينَارًا ثُمَّ يَصِيرُ عِظْمًا وَ فِيهِ ثَمَانُونَ دِينَارًا ثُمَّ يَصِيرُ صُورَةً بِلَا رُوحٍ مَكْسُورًا عَلَيْهَا اللَّحْمُ خَلْقًا سَوِيًّا شَقَّ لَهُ الْعَيْنَانِ وَالْأَذْنَانِ وَالْأَنْفَ قَبْلَ أَنْ تَلْجَةَ الرُّوحَ وَ فِيهِ مِائَةٌ دِينَارٍ ثُمَّ تَلْجَةُ الرُّوحَ وَ فِيهِ دِيَةٌ كَامِلَةٌ وَبِذَلِكَ قَضَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع وَ قَرَأَ الْآيَةَ . قَوْلُهُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ قَوْلَ -قرآن- ٤١-٦٢-قرآن- ١٠٩-١٣٧-قرآن- ٢٨٣-٢٩٥-قرآن- ٥٧٢-٧٨٢-قرآن- ١١٥٧-١٣٣٨ [صفحة ٤٢١] أَرَادَ بِهِ جَمِيعَ الْخَلْقِ لِأَنَّ النُّطْفَةَ الَّتِي خَلَقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهَا تَكُونُ مِنَ الْغِذَاءِ وَالغِذَاءُ يَكُونُ مِنَ التُّرَابِ وَالْمَاءُ فَكَانَ أَصْلُهُمْ كُلُّهُمْ التُّرَابُ ثُمَّ أَحَالَهُ بِالتَّدرِجِ إِلَى النُّطْفَةِ ثُمَّ أَحَالَ النُّطْفَةَ عَلَقَةً وَهِيَ الْقِطْعُ مِنَ الدَّمِ جَامِدَةٌ ثُمَّ أَحَالَ الْعَلَقَةَ مُضْغَةً وَهِيَ شَبِيهُهُ قِطْعَةً مِنَ اللَّحْمِ مَمْضُوعَةٌ وَ الْمُضْغَةُ مَقْدَارٌ مَا يَمْضَغُ مِنَ اللَّحْمِ فَخَلَقَهُ تَامَةً الْخَلْقَ وَغَيْرَ تَامَةٍ وَقِيلَ مَتَّصُورَةٌ وَغَيْرَ مَتَّصُورَةٌ وَهُوَ السَّقَطُ . ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ بِنَبَاتِ الْأَسْنَانِ وَالشَّعْرِ وَأَعْضَاءِ الْعَقْلِ وَالْفَهْمِ وَقِيلَ خَلْقًا آخَرَ أَى ذَكَرْنَا وَأَنْتَى . وَجَاءَ فِي الْأَثَرِ أَنَّ الصَّحَابَةَ اخْتَلَفُوا فِي الْمَوْوَدَةِ مَا هِيَ وَهِيَ الْإِعْتِرَالُ وَأَدَّ وَهِيَ إِسْقَاطُ الْمَرْأَةِ جَنِينِهَا وَأَدَّ -قرآن- ٣٦٩-٣٩٦ قَالَ عَلَى عَ إِذَا لَاتُكُونُ مَوْوَدَةٌ حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيْهَا الْبَارَاتُ السَّبْعُ فَقَالَ عَمْرٌ صَدَقَتْ -رواية- ١-٢-رواية- ١٦-٨٣ . وَأَرَادَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع بِالْبَارَاتِ السَّبْعِ طَبَقَاتِ الْخَلْقِ السَّبْعِ الْمَشْتَبَةِ فِي قَوْلِهِ وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ الْآيَةِ فَعَنَى سَبْحَانَهُ وَوَلَادَتُهُ مِيتًا فَأَشَارَ عَلَى عَ أَنَّهُ إِذَا اسْتَهَلَّ بَعْدَ الْوِلَادَةِ ثُمَّ دَفِنَ فَقَدْ وَئِدَ وَقَصَدَ بِذَلِكَ أَنْ يَدْفَعَ قَوْلَ مَنْ تَوَهَّمَ أَنَّ الْحَامِلَ إِذَا اسْقَطَتْ جَنِينَهَا قَبْلَ أَنْ تَلْجَةَ الرُّوحَ بِالتَّداوِي فَقَدْ وَأَدَّتْهُ -قرآن- ٨١-١٢٠

اعلم أن الحر لا يقتل بالعبد أخذاً بقوله تعالى كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ وَهِيَ مفسرة لما أبهم في قوله النَّفْسَ بِالنَّفْسِ لِأَنَّ تلك واردة لحكاية ما كتب في التوراة على أهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم فيها. وروى أنه كان بين حنين دماء في الجاهلية فأقسموا لنقتلن الاثنين بالواحد والحر بالعبد فتحاكموا إلى رسول الله ص حين جاء الإسلام فنزلت وأمرهم أن يتساووا. -قرآن- ٤٨-٨٤-قرآن- ١١٥-١٣١ [صفحة ٤٢٢] وقوله فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ كَقَوْلِكَ سِيرَ يَرِيدُ بَعْضَ السَّيْرِ وَلا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ فِي مَعْنَى الْمَفْعُولِ بِهِ لِأَنَّ عَفَا لا يَتَعَدَى إِلَى الْمَفْعُولِ بِهِ إِلا بِوِاسِطَةٍ. وَأَخُوهُ هُوَ الْوَالِدُ الْمَقْتُولُ وَذَكَرَهُ بِلَفْظِ الْإِخْوَةِ لِيعطف أحدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والإسلام. فَإِنْ قِيلَ إِنَّ عَفَا يَتَعَدَى بَعْنَ لِابْتِلاَمٍ فَمَا وَجْهُ قَوْلِهِ فَمَنْ عَفِيَ لَهُ. قُلْنَا يَتَعَدَى بَعْنَ إِلَى الْجَانِيِ وَ إِلَى الذَّنْبِ فَيُقَالُ عَفَوْتُ عَنْ فُلَانٍ وَ عَنْ ذَنْبِهِ قَالَ تَعَالَى عَفَا اللَّهُ عَنْكَ وَقَالَ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا فَإِنْ تَعَدَى إِلَى الذَّنْبِ قِيلَ عَفَوْتُ لِفُلَانٍ عَمَّا جَنَى كَمَا يُقَالُ تَجَاوَزْتَ لَهُ عَنْهُ وَ عَلَى هَذَا فَمَا فِي الْآيَةِ كَأَنَّهُ قِيلَ فَمَنْ عَفَا لَهُ مِنْ جَنَايَتِهِ فَاسْتغْنَى عَنْ ذِكْرِ الْجَنَايَةِ. فَإِنْ قِيلَ هُنَا فَسَّرْتَ عَفَا بِتَرْكِ جَنَى يَكُونُ شَيْءٌ فِي مَعْنَى الْمَفْعُولِ بِهِ. قُلْنَا لِأَنَّ عَفَا الشَّيْءَ إِذَا تَرَكَهُ لَيْسَ يَثْبُتُ وَلَكِنْ أَعْفَاهُ ذَمَّتْهُ -قرآن- ٩-٤٤-قرآن- ٣٢٦-٣٤٣-قرآن- ٤٣١-٤٤٨-قرآن- ٤٥٦-٤٧٣ قوله عَافُوا اللَّحَى -رواية- ١-٢-رواية- ١٢-٢٥. فَإِنْ قِيلَ فَقَدْ ثَبَتَ قَوْلُهُمْ عَفَا الشَّيْءَ إِذْ نَحَاهُ فَإِنَّ لَهُ فَهَلَا فَعَلْتَ مَعْنَاهُ فَمَنْ عَفَا لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ. قُلْنَا عِبَارَةٌ قَلِقَتْ فِي مَكَانِهَا وَالْعَفْوُ فِي الْجَنَايَاتِ عِبَارَةٌ مَشْهُورَةٌ فِي الشَّرْعِ فَلَا نَعْدِلُ عَنْهَا.

قوله وَ لَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاءٌ عَرَفَ الْقِصَاصُ وَنَكَرَ الْحَيَاءُ لِأَنَّ الْمَعْنَى -قرآن- ٧-٣٤ [صفحة ٤٢٣] وَلَكُمْ فِي هَذَا الْجِنْسِ مِنَ الْحَكْمِ أَلَّذِي هُوَ الْقِصَاصُ حَيَاءٌ عَظِيمَةٌ وَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتُلُونَ بِالْوَاحِدِ الْجَمَاعَةَ كَمَا قَادَ مَهْلَهُ بِأَخِيهِ كَلِيبَ حَتَّى كَادَ يَفْنَى بِكَرْبَنٍ وَائِلٍ فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامَ فَشَرَعَ الْقِصَاصَ كَانَتْ فِيهِ حَيَاءٌ أَى حَيَاءٌ أَوْنَوْعٍ مِنَ الْحَيَاءِ وَهِيَ الْحَيَاءُ الْحَاصِلَةُ بِالْإِرْتِدَاعِ عَنِ الْقَتْلِ لَوْ قَرَعَ الْعِلْمُ بِالْإِقْتِصَاصِ مِنَ الْقَاتِلِ وَقَرِئَ ذَلِكَ فِي الْقِصَصِ حَيَوَةٌ أَى مِمَّا قَصَّ عَلَيْكُمْ مِنْ حَكْمِ الْقَتْلِ وَالْقِصَاصِ .

وقوله وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ أَى بِأَحَدٍ ثَلَاثَ إِبَابَانَ يَكْفُرُ أَوْ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا عَمْدًا أَوْ يَزْنِي بَعْدَ إِحْصَانٍ. وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا أَى غَيْرَ رَاكِبٍ وَاحِدَةً مِنْهُمْ فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيِّهِ سُلْطَانًا عَلَى الْعَاقِلِ فِي الْإِقْتِصَاصِ مِنْهُ فَلَا يُسْرِفُ الْوَالِي أَى فَلَا يَقْتُلُ غَيْرَ الْقَاتِلِ وَقِيلَ الْإِسْرَافُ الْمِثْلَةُ وَقَرِئَ فَلَا يُسْرِفُ بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ خَبِرَ فِي مَعْنَى الْأَمْرِ وَ فِيهِ مَبَالِغَةٌ لَيْسَتْ فِي الْأَمْرِ وَقَرِئَ بِالتَّاءِ عَلَى خُطَابِ الْوَالِي أَوْ قَتْلِ الْمَظْلُومِ. إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا أَلْضَمِيرُ إِذَا لِلْوَالِيِ يَعْنِي حَسْبَهُ أَنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ بِأَنَّ أَوْجِبَ لَهُ الْقِصَاصُ فَلَا يَسْتَرِدُّ عَلَى ذَلِكَ وَبِأَنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ بِمَعُونَةِ السُّلْطَانِ وَبِإِظْهَارِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى اسْتِيفَاءِ الْحَقِّ فَلَا يَقَعُ مَا وَرَاءَ حَقِّهِ أَمَّا الْمَظْلُومُ لِأَنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ حَيْثُ أَوْجِبَ الْقِصَاصُ بِقَتْلِهِ وَبِنَصْرِهِ وَ فِي الْآخِرَةِ بِالثَّوَابِ وَ أَمَّا أَلَّذِي يَقْتُلُهُ الْوَالِيُ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَيُسْرِفُ فِي قَتْلِهِ فَإِنَّهُ مَنْصُورٌ بِإِجَابِ الْقِصَاصِ عَلَى الْمُسْرِفِ

. قرآن-٩-٦٨-قرآن-١٣٦-١٥٨-قرآن-١٨٤-٢١٦-قرآن-٢٤٧-٢٥٧-قرآن-٣١٦-٣٢٦-قرآن-٤٣٧-٤٥٧ [صفحة ٤٢٤]

مسألة

و أما قوله مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ فَتَقْدِيرُهُ بِغَيْرِ قَتْلِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادِ عَظْفٍ عَلَى نَفْسٍ بِمَعْنَى أَوْ بِغَيْرِ فِسَادٍ وَ هُوَ الشَّرْكَ أَوْ قَطْعَ الطَّرِيقِ . فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ شَبَّهَ الْوَاحِدَ بِالْجَمْعِ وَجَعَلَ حُكْمَهُ حُكْمَهُمْ . قُلْنَا لِأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مَدْلَى بِمَا يَدْلَى بِهِ الْآخِرَ وَثُبُوتَ الْحَرَمَةِ فَإِذَا قَتَلَ فَقَدْ أَهَيْنَ وَتَرَكْتَ حَرَمَتَهُ وَ عَلَى الْعَكْسِ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ فِي ذَلِكَ . ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أَي بَعْدَ مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ لَمْ يُسْرِفُونَ فِي الْقَتْلِ لَا يَبَالُونَ بِعَظْمَتِهِ . قرآن-١٣-٤٣-قرآن-٦٧-٧٦-قرآن-٣٣١-٣٦٧-قرآن-٣٩١-٤٠٢

مسألة

سئل أبو عبد الله ع عن القسامه في القتل فكان بدؤها من قبل رسول الله ص فقد وجد أنصارى قتل قالوا يا رسول الله قتلت اليهود صاحبنا قال ليقسم منكم خمسون رجلا على أنهم قتلوه فقالوا نقسم على ما لم نر فقال ليقسم اليهود قالوا من يصدق اليهود فقال أنا أؤدى دية صاحبكم إن الله حكم في الدماء ما لم يحكم في شيء من حقوق الناس لتعظيمه الدماء -روایت-١-٢-روایت-٣-٣٥٧ فاليمين على المدعى عليه في سائر الحقوق و في الدم على المدعى كمتارى . [صفحة ٤٢٥]

مسألة

وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً أَوْ مَاصِحًا وَ لَا اسْتِقَامًا وَ لَا لِقَاءَ بِحَالِهِ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا ابْتِدَاءً غَيْرَ قِصَاصٍ إِلَّا خَطَأً أَوْ عَلَى وَجْهِ الْخَطَايَا وَ انْتَصَبَ خَطَأً عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ أَوْ مَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَقْتُلَهُ لَعَلَّهُ مِنَ الْعِلَلِ إِلَّا لِلْخَطَايَا وَ حُدِّدَ وَ يُجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا بِمَعْنَى لَا يَقْتُلُهُ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ إِلَّا فِي حَالِ الْخَطَايَا وَ أَنْ يَكُونَ صَفَةً مُصَدِّرًا لِإِقْتِلَا- خَطَأً . وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَعَلِيهِ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ وَ التَّحْرِيرُ الْإِعْتَاقُ وَ الرَقَبَةُ عِبَارَةٌ عَنِ النَّسَمَةِ كَمَا عُبِّرَ عَنْهَا بِالرَّأْسِ يُقَالُ فُلَانٌ يَمْلِكُ كَذَا رَأْسًا مِنَ الرِّءُوسِ . فَإِنْ قِيلَ عَلَى مَنْ يَجِبُ الدِّيَةُ أَوْ الرَقَبَةُ . قُلْنَا عَلَى الْقَاتِلِ إِلَّا أَنْ الرَقَبَةَ فِي مَالِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَ الدِّيَةَ إِنْ كَانَ أَقْرَبَ هُوَ عَلَى نَفْسِهِ بِذَلِكَ فَعَلَى مَالِهِ أَيْضًا عَلَى الْأَحْوَالِ وَ إِنْ كَانَ بِإِقَامَةِ الْبَيْنَةِ عَلَيْهِ بِذَلِكَ فَالدِّيَةُ يَتَحَمَّلُهَا عَنْهُ الْعَاقِلَةُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَاقِلَةٌ أَوْ كَانُوا وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَالٌ فَفِي مَالِهِ وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ يَسْتَسْعَى وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي بَيْتِ الْمَالِ . إِلَّا أَنْ يَصِّدَّقُوا عَلَيْهِ بِالدِّيَةِ وَ مَعْنَاهُ الْعَفْوُ . فَإِنْ قِيلَ بِمَنْ يَتَعَلَّقُ أَنْ يَصِّدَّقُوا وَ مَا مَحَلُّهُ . قُلْنَا يَتَعَلَّقُ بِعَلِيهِ أَوْ بِتَسْلِيمِهِ كَأَنَّهُ قِيلَ وَ يَجِبُ عَلَيْهِ الدِّيَةُ أَوْ تَسْلِيمُهَا إِلَّا- حِينَ تَتَصَدَّقُونَ عَلَيْهِ وَ مَحَلُّهَا النَّصَبُ عَلَى الظَّرْفِ بِتَقْدِيرِ خِلَافِ الزَّمَانِ كَقَوْلِهِمْ اجْلِسْ مَا دَامَ زَيْدٌ جَالِسًا وَ يُجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنْ أَهْلِهِ بِمَعْنَى أَلَا يَتَصَدَّقُونَ . قرآن-١-٥٤-قرآن-٣٥٢-٣٨٠-قرآن-٨٣٤-٨٥٣-قرآن-٩٠١-٩١٤

مسألة

قوله وَ كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَ الْمَعْطُوفَاتُ -قرآن-٧-٧٥ [صفحة ٤٢٦] كلها قرئت منصوبه و مرفوعه

والرفع للعطف على محل أن النفس لأن المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس إما لإجراء كتبنا مجرى قلنا وإما لأن معنى الجملة التي هي قوله النَّفْسِ بِالنَّفْسِ ما يقع عليه الكتب كما يقع عليه القراءة. وكذلك قال الزجاج لو قرأَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ الكسر لكان صحيحاً أو الاستئناف والمعنى فرضنا عليهم فيها أن النفس مأخوذة بالنفس مقتولة بها إذا قتلها بغير حق . وكذلك العين مفقوءة بالعين والأنف مجدوع بالأنف والأذن مقطوعة بالأذن والسن مقلوعة بالسن والجروح ذات قصاص و هو المقاصد ومعناه ما يمكن فيه القصاص ويعرف المساواة. -قرآن- ١٧٠-١٨٦-قرآن- ٢٥٤-٢٧٥

مسألة

إن قيل في قوله تعالى وَ الْمَذِينِ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ أهم محمودون على الانتصار. قلنا نعم لأن من أخذ الحق غير متعد حد الله و لم يسرف في القتل إن كان ولى الدم أورد على سفيه محاماة على عرضه فهو مطيع و كل مطيع محمود على أن كلنا التعليلين الأولى و جزاؤها سيئة لأنها تسوء من ينزل به . والمعنى أنه يجب إذا قبلت الإساءة أن يقابل بمثلها من غير زيادة فمن عفا وأصلح بينه و بين خصمه بالعفو فأجره على الله عدة مبهمه لا يقاس أمرها في العظم لأنه لا يحب الظالمين دلالة على أن ... لا يكاد مؤمن فيه تجاوز بالسيئة خصوصا في حال الحرب و التهاب الحمية و الله أعلم بالصواب -قرآن- ٢٦-٧٨ [صفحة ٤٢٧]

باب فيما يحتاج إليه الناظر في هذا الكتاب

إشارة

اعلم أن القرآن على ثلاثة أقسام مما استدللنا به أحدها ما هو مجمل لا ينبى الظاهر عن المراد به تفصيلا مثل قوله تعالى أقيموا الصلوة و آتوا الزكاة و قوله وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ و قوله فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ و ما أشبه ذلك فإن تفصيل أعداد الصلاة و عدد ركعاتها و تفصيل مناسك الحج و شروطه و مقادير النصاب في الزكاة لا يمكن استخراجها إلا ببيان النبي ع و وحى من جهة الله تعالى فتكلف القول في ذلك خطأ و ممنوع منه و يمكن أن تكون الأخبار متناولة له قال الله تعالى وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ. وثانيها ما كان لفظه مشتركا بين معنيين فما زاد عليهما و يمكن أن يكون كل واحد منهما مرادا فإنه لا ينبغي أن يقدم أحد فيقول هذا مراد الله منه إلا بقول معصوم ع بل ينبغي أن يقول إن الظاهر يحتمل الأمور و كل واحد يجوز أن يكون مرادا على التفصيل و متى كان اللفظ المشترك بين شيئين أو ما زاد عليهما و دل الدليل على أنه لا يجوز أن يريد إلا وجه واحد جاز أن يقال إنه المراد. وثالثها يكون ظاهره مطابقا لمعناه فكل من عرف اللغة التي خوطب بها -قرآن- ١٢٠-١٥٥-قرآن- ١٦٤-١٩٩-قرآن- ٢٠٨-٢٣٥-قرآن- ٤٩٩-٥٦٤ [صفحة ٤٢٨] عرف معناها مثل قوله تعالى وَ لَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ و مثل قوله قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ و غير ذلك . و لا ينبغي لأحد أن ينظر في تفسير آية لا ينبى ظاهرها عن المراد مفصلا أن يقلد أحدا من المفسرين إلا أن يكون التأويل مجمعا عليه فيجب اتباعه لمكان الإجماع الذي هو حجة لأن من المفسرين من حمدت طرائقه و مدحت مذهبها في التأويل كابن عباس و الحسن وقتادة و مجاهد و غيرهم و منهم من ذمت مذهبها كآبي صالح و السدى و الكلبي. هذا في الطبقة الأولى فأما المتأخرون فكل واحد منهم نصر مذهب و تأول على ما يوافق أصله فلا يجوز لأحد أن يقلد أحدا منهم بل ينبغي أن يرجع إلى الأدلة الصحيحة إما العقلية أو الشرعية من إجماع عليه أو نقل متواتر به عن من يجب اتباع قوله و لا يقبل في

ذلك خبر واحد وخاصة إذا كان مما طريقه العلم . ومتى كان التأويل مما يحتاج إلى شاهد من اللغة فلا يقبل من الشاهد إلا ما كان معلوما بين أهل اللغة سائغا بينهم ولا يجعل الشاذ النادر شاهدا على كتاب الله وينبغي أن يتوقف فيه ويذكر ما يحتمله ولا يقطع على المراد منه بعينه ويحتاط في ذلك كله فإن كل آخذ بالاحتياط غير زال عن الشرائط . -قرآن- ٣٠-٨٩-قرآن- ١٠٢-

١٢٣

فصل

ثم اعلم أن الله سبحانه أغنانا بفضلته في الشرعيات عن أن نستخرج أحكامها بالمقاييس والاجتهادات التي تصيب مرة وتخطئ أخرى بل بين جميع ما يحتاج إليه المكلفون في تكليفهم عقلا- وشرعا ووقفهم عليه في كتابه و على لسان [صفحة ٤٢٩] نبيه وحججه عليه وعليهم السلام فلاحاجة مع ذلك إلى تعسف وتكلف . والفقيه ينبغي أن يكون كيسا فلا يختلجه بعد العلم شك على حاله فإن من أطفانا الخاصة ما يروونه آل محمد عنه ص في أشياء كثيرة يعلم وجوبها إجماع أنها من السنن كغسل من مس ميتا من الناس بعد البرد وقيل التطهير فإنه يعلم بالإجماع الذي هو حجة وجوب ذلك فإذا قال ع إن ذلك سنة فإن معناه أن وجوبه يعلم بالسنة لا بالكتاب . وكذلك إذا قال ع غسل يوم الجمعة واجب وعلم بالإجماع كونه مستحبا يعلم أن المراد به شدة التأكيد في استحبابه . وكذلك إذا علم من الأثر النبوي علما مقطوعا على صحته أن الأغسال الواجبة هي غسل الجنابة وغسل الحيض والاستحاضة والنفاس وغسل مس الميت على ما ذكرناه وتغسيل الأموات فقط وغسل من رأى أثر المنى على ثيابه التي لا يستعملها إلا هوبأن لم يذكر احتلاما . ثم ورد عنه ص بطريقة أهل بيته ع أن من ترك صلاتي الكسوف والخسوف متعمدا و قد احترق القرصان يجب عليه القضاء مع الغسل فلا يوهمنه نظم هذا الكلام أن غسل قاضى هذه الصلاة على هذا الوجه واجب مع تقدم علمه بكونه مستحبا غير واجب بتفصيل من النصوص وإنما تثبت بإيراد هذه المسألة على أخواتها . واعلم أن جميع كلامهم ع الوارد في الأصول رموز وإشارات كيلا يرى أحد أنه تعليم بل تقويم وأكثر ما فيه أنه تنبيه فإن كلامهم ع في فروع الفقه بيان وإيضاح كي لا يتورط أحد في القياس وقد أبى أكثر [صفحة ٤٣٠] الناس إلا خلاف ما أشاروا إليه فسكتوا عن العقليات وتكلموا في الشرعيات . وقد وفيت بعون الله بما شرطت في صدر الكتاب والله سبحانه ينفعني . وأسأل الناظر فيه أن لا يخليني من صالح دعائه فقد كفته مئونة الدأب وصعوبة الطلب وفسرت له ما خلته ملتبس على من يقتبس . والحمد لله وحده والصلاة على خير خلقه محمد وآله من بعده

تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بأموالكم و أنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١). قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رحم الله عبداً أحمياً أمرنا... يتعلم علومنا و يعلمها الناس؛ فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لتبعونا... (بناذر البحار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧). مؤسس مجتمع "القائمة" الثقافية بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رحمه الله - كان أحداً من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و يساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ و لهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية

(= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه طريفة لم ينطفئ مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم. مركز "القائمة" للتحري الحاسوبى - بأصبهان، إيران - قد ابتدأ أنشطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامى - دام عزه - ومع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه... الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الشككين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحري الأذق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعه - مكان البلايى المتبدله أو الزديئه - فى المحاميل (=الهواتف المنقوله) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعه جامعته ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءه و إغناء أوقات فراغه هواء برامج العلوم الإسلاميه، إناله منابع اللزومه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة فى الجامعه، و... - منها العداله الاجتماعيه: التى يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - فى آكناف البلد - و نشر الثقافه الإسلاميه و الإيرانيه - فى أنحاء العالم - من جهه أخرى. - من الأنشطة الواسعه للمركز: (الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه ب إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل فى الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و... د) إبداع الموقع الانترنتى "القائمة" www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخره ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض فى القنوات القمرية و الإطلاق و الدعم العلمى لنظام إجابته الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤) ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيره SMS ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جمران و... ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسه" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين فى الجلسه ي) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربيه المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه المكتب الرئيسى: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيد"/ ما بين شارع "بنج رمضان" ومفترق "وفائى"/ بنايه "القائمه" تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) رقم التسجيل: ٢٣٧٣ الهويه الوطنيه: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦ الموقع: www.ghaemiyeh.com البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com المتجر الانترنتى: www.eslamshop.com الهاتف: ٢٥-٢٣٥٧٠٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١) الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١) مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١) التجارتيه و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠١٠٩ امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١) ملاحظه هامه: الميزانيه الحاليه لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكوميه، و غير ربحيه، اقتشيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكتها لا توافى الحجم المتزايد المتسع للامور الدينيه و العلميه الحاليه و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمه) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - فى حد التمكن لكل احد منهم - إيانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولى التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩